
مصباح الأدب الزاهر
لذوي البصائر



مصباح الأدب الزاهر لذوي البصائر

للسيد مهدي بن داود الحلي

(١٢٢٢ - ١٢٨٩هـ)

الجزء الأول

تحقيق وتعليق

الدكتور مضر سليمان الحسيني الحلي

مراجعة وضبط

مركز تراث الحلة

قسم شؤون المعارف الإسلامية والإنسانية

العتبة العباسية المقدسة
قسم شؤون المعارف والاستاذ والاستنساخ
مركز تراث الحلة
موبايل: 009647602320073
E-mail: hilla@alkafeel.net

الحِلِّيّ، مهدي داوود، ١٢٢٢-١٢٨٩، مؤلِّف.
مصباح الأدب الزَّاهر لذوي البصائر. الجزء الأوَّل / السيِّد مهدي بن داوود الحِلِّيّ؛ تحقيق وتعليق الدكتور مضر سليمان الحسينيّ الحِلِّيّ؛ مراجعة وضبط مركز تراث الحِلَّة قسم شؤون المعارف الإسلاميَّة والإنسانيَّة.-الطبعة الأولى.- الحِلَّة، العراق: العتبة العبَّاسيَّة المقدَّسة، مركز تراث الحِلَّة ١٤٤٣ هـ. = ٢٠٢٢.
مجلَّد: نسخ طبق الأصل؛ ٢٤ سم
يتضمَّن إرجاعات ببليوجرافيَّة وكشافات.
١. الشعر العربي - تاريخ ونقد. أ. الحِلِّيّ، مضر سليمان، ١٩٤٤- محقِّق. ب. العتبة العبَّاسيَّة المقدَّسة. قسم شؤون المعارف الإسلاميَّة والإنسانيَّة. مركز تراث الحِلَّة، مصحِّح. د. العنوان
LCC : PJ7510 . H55 2022
مركز الفهرسة ونظم المعلومات التابع لمكتبة ودار مخطوطات العتبة العبَّاسيَّة المقدَّسة
فهرسة أثناء النشر

٨١١/٩٢
ح/ ٥٩٩ مضر سليمان الحسينيّ الحِلِّيّ
مصباح الأدب الزاهر لذوي البصائر للسيِّد مهدي بن داوود الحِلِّيّ
١-٢ جزء
تحقيق وتعليق: الدكتور مضر سليمان الحِلِّيّ
الحِلَّة: مركز تراث الحِلَّة/ العتبة العبَّاسيَّة المقدَّسة
E-mail: hilla@alkafeel.net
١. الشعر العربي.
م/ و
٣٧٦/ ٢٠٢٢م
المكتبة الوطنيَّة/ الفهرسة
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٣٧٦) لسنة ٢٠٢٢م

الكتاب: مصباح الأدب الزاهر لذوي البصائر. (الجزء الأوَّل).
المؤلِّف: السيِّد مهدي بن داوود الحِلِّيّ (١٢٢٢-١٢٨٩هـ).
تحقيق وتعليق: الدكتور مُضَر سُلَيمَان الحُسينيّ الحِلِّيّ.
مراجعة وضبط: مركز تراث الحِلَّة، قسم شؤون المعارف الإسلاميَّة والإنسانيَّة.
جهة الإصدار: العتبة العبَّاسيَّة المقدَّسة، قسم شؤون المعارف الإسلاميَّة والإنسانيَّة.
الطَّبعة: الأُولى. المطبعة: دار الكفيل للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع.
سنة الطَّبع: ١٤٤٣هـ/ ٢٠٢٢م.


بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة المركز

بسم الله الرحمن الرحيم

والصَّلاة والسلام على نبيِّنا محمَّد، وعلى آله الطيِّبين الطاهرين، واللعنُ الدائم على أعدائهم أجمعين..

وبعدُ..

فعندي ههنا مقدِّمتان:

الأولى: ثمَّة معنَيان جدليَّان للنَّقد- اعتنى بعض الباحثين بجانبٍ، وهو السلبيّ، وتركوا الثاني- وهما:

الإيجابيّ: قال ابن فارس (المتوفَّى٣٩٥هـ): «نَقَدَ: يَدلُّ على إبراز شيءٍ وبروزه، ومن الباب نَقدُ الدِّرهم، وذلك أن يكشف عن حاله في جودته أو غير ذلك، ودرهم نقد: وازن جيِّد، كأنَّه قد كُشِفَ عَن حاله فعُلم»[1].

فابن فارس لم يذكر تبيان المعايب؛ وإن كانت هنا قد ذُكرت ضمنًا، أو ما يعنيه بقول (أو غير ذلك)؛ فقدَّم تبيان المحاسن والجودة على سواه.

والسلبيّ: وهو المعنى الشائع والمتبادر، وفي أدبيَّاتنا الاستعماليَّة: فلانٌ تعرَّض للنقد، ويصفونه أحيانًا بـ(اللاذع)، أو (الشديد).

---

(١) مقاييس اللغة ٥/ ٤٦٧.

ومن المعنى المعجميّ نستطيع أن نستكنه أنَّ النقد له معنى مطلق التمييز، والبروز، لا التركيز في الوجه السلبيّ التبادريّ للاستعمال اللفظيّ، وكِلَا المعنَيَين محتملٌ؛ بل إنَّ معنى النظر، والاطِّلاع هو المنظور فيه، وقد ورد في حِكَم لقمان في ما أوصى به ابنه، أنَّه قال: «يا بُني تعلَّمتُ بسبعة آلاف من الحكمة، فاحفظْ منها أربعة، ومُر معي إلى الجنَّة: أَحكِمْ سفينتك؛ فإنَّ بحرك عميق، وخفِّفْ حملك؛ فإنَّ العقبة كؤود، وأكثرِ الزَّاد؛ فإنَّ السَّفر بعيد، وأخلصِ العمل؛ فإنَّ النَّاقد بصير»[1].

فيدلُّ هذا الكلام هنا على أنَّ النقد، هو مطلق الاطِّلاع على العمل، سواءٌ كان حسنًا، أو غيره.

الثانية: ما رواه السيِّد الرضيّ في نهج البلاغة عن أمير المؤمنين عليه السلام، أنَّه سُئِلَ: مَنْ أَشْعَرُ الشُّعَرَاءِ؛ فَقَالَ عليه السلام: «**إِنَّ الْقَوْمَ لَمْ يَجْرُوا فِي حَلْبَةٍ -تُعْرَفُ الْغَايَةُ عِنْدَ قَصَبَتِهَا- فَإِنْ كَانَ ولَا بُدَّ فَالْمَلِكُ الضِّلِّيلُ، يريد امرأ القيس**»[2].

وظاهر هذا الحديث الشريف أنَّ امرأ القيس أشعرُ الشُّعراء، مع أنَّ أكثر العلماء يرجِّحون شِعرَ غيره على شِعرِه في الحُسن، والجَودة، وجمع المحاسن واللطائف، وغير ذلك، ويظهر في شِعره عيوب كثيرة، وأبيات رديَّة، ومعانٍ سخيفة، ومطالب غير تامَّة، وكثير من شعراء الإسلام وغيرهم أحسن شعرًا منه بحسب الظَّاهر، وأمتن لفظًا، ومعنًى، وأجمع للمحاسن.

ويمكن الكلام في هذا الأمر من وجوهٍ:

الأوَّل: أنَّه يمكن كونه على ظاهره وعمومه وإطلاقه، ويكون أشعر الشُّعراء كلّهم، السابقين واللاحقين، ويكون في شعره محاسن ذاتيَّة، لا يدركها فَهمُ كلِّ أحد، أو يكون

(١) الاختصاص للمفيد ٣٤١.

(٢) نهج البلاغة، صبحي الصالح ٥٥٥-٥٥٦.

الجيِّد من شعره -الذي لا يدانيه شِعرُ شاعرٍ في الحُسن- لم يصلْ إلى هذا الزَّمان، ويكون أشعر الشعراء، بمعنى أحسنهم شِعرًا.

الثاني: أن يكون أشعر الشعراء بمعنى أكثرهم شِعرًا -فيكون النظر هنا إلى الكمِّ لا الكيف، وإن لم يكن شِعره أحسن مِن شِعر غيره- ولا ينافي ذلك قلَّة شعره الموجود؛ لاحتمال اندراسه؛ لطول العهد.

الثالث: أن يكون أشعر الشُّعراء، بمعنى أقدرهم على نظم الشِّعر-بالنَّظر إلى القدرة، والبداهة، والنَّظم- وإن لم يكن أحسن شِعرًا، ولا أكثر؛ لأنَّ من كان أقدر على فعل من الأفعال لا يلزم كثرة إتيانه به، ويمكن اجتماع هذا الوجه مع سابقه، بل سابقيه.

الرابع: أن يكون أشعر الشُّعراء؛ أي أحسنهم شِعرًا إلى زمان أمير المؤمنين عليه السلام؛ فيكون أشعر المتقدِّمين على ذلك الوقت لا المتأخِّرين عنه، وهذا مستقيم على التقدير الثاني والثالث أيضًا.

ويؤيِّده ما رواه الشيخ الطوسيّ في الأمالي، ففي الحديث: إنَّ المتوكِّل سأل عليّ بن محمَّد عليه السلام عن أشعر الشعراء، فقال: «**فلان بن فلان العلويّ**»[1]، ويؤيِّده أيضًا ما رواه الكشِّيّ عن الصادق عليه السلام أنَّه قال للسيِّد إسماعيل بن محمَّد الحميريّ: «**أنت سيِّد الشعراء**».

وفي رواية: إنَّ أبا عبد الله عليه السلام لقي السيِّد ابن محمَّد الحميريّ، فقال: «**سمَّتك أمُّك سيِّدًا، ووُفِّقَت في ذلك، وأنت سيِّد الشعراء**»؛ ثمَّ أنشد السيِّد في ذلك:

وَلَقَدْ عَجِبتُ لِقائلٍ لي مَرَّةً ... عَلَّامةٌ فَهْمٌ من الفُقَهاءِ
سمَّاكَ قومُكَ سيِّدًا صَدَقُوا بِهِ ... أَنتَ الموفَّقُ سيِّدُ الشُّعراءِ[2]

(١) الأمالي ١/ ٢٩٣، والفوائد الطوسيَّة، الحرُّ العامليّ ٣٤٦-٣٤٨.
(٢) رجال الكشِّيّ ٢/ ٥٧٣-٥٧٤.

هذا الكتاب

لِعَلمٍ من أعلام الحِلَّة الفيحاء، مارس فيه أحكامه النقديَّة، وأظهر المكنة النقديَّة؛ فأجاد لا عن كلالةٍ، وبالاتِّجاهين الآنفَينِ، فهو بحقٍّ مصباحُ أدبٍ زاهرٍ، لمن رام البصيرةَ، وفيه:

١. الجُرأة في إطلاق الأحكام.

٢. الاستقصاء الماتع للحوادث التاريخيَّة النقديَّة.

٣. انتقاء الشاهد الشعريّ، والأدبيّ، الملائم للحكم النقديّ.

٤. بثُّ الشعر المنظوم من المصنِّف نفسه، أو من ابن أخيه السيِّد حيدر الحِلِّيّ؛ لموازنة الأحكام النقديَّة، وإطلاقها.

٥. تنوُّع الأغراض الشعريَّة التي ناقشها السيِّد الحِلِّيّ في كتابه، ولم يقتصر على نوعٍ واحدٍ فقط.

٦. تعدُّد طرائق النقد الأدبيّ، وبحسب المناهج العلميَّة المعروفة.

وغيرها من ميزاتٍ تفوق حدَّ المتأمِّل اللبيب.

أسأل الله لمحقِّقه السيِّد الدكتور مضر سليمان الحِلِّيّ مزيدَ عِلمٍ، ومعرفةٍ، وأن يبارك له في عمره، ويجعله ذخرًا لمدينة أجداده المعطاء.

ولا أنسى أن أشكرَ المولى -جَلَّ وعَلا- على نِعَمِهِ التي لا تُحصى، وأن أشكرَ صاحبَ الشيبةِ المقدَّسة الإمام السيستانيّ دام ظله على فتواه التي حفظت الأرضَ والعِرضَ والدِّينَ والمذهبَ والمقدَّسات، إذ لَبَّى هذه الفتوى حشدٌ من الشُّبَّان والكُهول والشيوخ، كلُّهم لَبسوا القلوبَ على الدروع بمشيئةٍ رَبَّانيَّةٍ؛ لأنَّه لا شكَّ ولا رَيبَ أنَّ نورَ هذه الفتوى مِن نُورِ صاحبِ العصرِ والزَّمان عجل الله فرجه الشريف.

وأن أتقدَّمَ بجزيل الشكر والامتنان إلى الشخصيَّة المعطاء، وصاحب اليدِ البيضاء في إحياء تراث علماء الإماميَّة، سماحة الحجَّة السيِّد أحمد الصافي -دام فضلُه- فجزَاهُ اللهُ عن العلماء العامِلينَ خيرًا، وجعلَهُ اللهُ في مَصَافِّهِم.

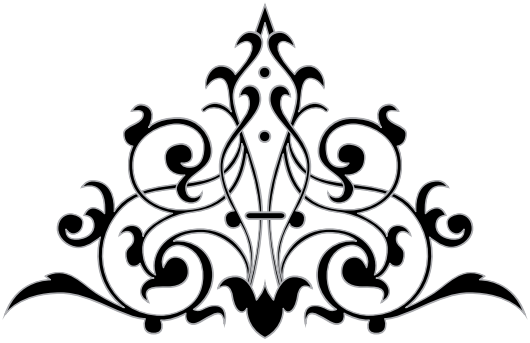
وكذا أشكرُ الشيخ عمَّار الهلاليّ، رئيس قسم شؤون المعارف الإسلاميَّة والإنسانيَّة، على حرصِه ومتابعته في إخراج التراث.

وآخرُ دعوانا أن الحمدُ للهِ رَبِّ العالَمين، والصلاةُ والسلامُ على خيرِ خلقهِ محمَّدٍ وآلِهِ الطيِّبينَ الطَّاهرين.

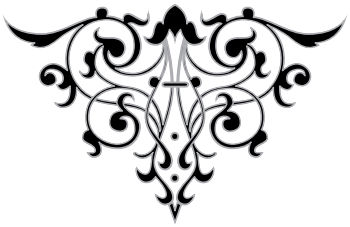
صادق الشيخ عبد النبي الخويلديّ

مدير مركز تراث الحِلَّة





مُقَدِّمَةُ ٱلْمُحَقِّق





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ.

يَقِفُ الإنسانُ حَائِرًا فِي وَصفِ الحَاجِّ مُحَمَّدِ صَالِح كُبَّة، مِن أَينَ يَبدَأ؟ وَكَيفَ يَبدَأ؟.

هَذَا الرَّجلُ -بِاخْتِصَارٍ شَدِيدٍ- لَا يُشبِهُهُ أَحَد، وَلَيسَ مِثلَهُ أَحَدٌ مِن رِجَالِ عَصرِهِ -وَرُبَّمَا لَا يَأْتِي مِثلُهُ فِي عُصُورٍ قَادِمَةٍ أُخرَى- فِي إِنفَاقِهِ فِي سُبلِ الخَيرِ وَالمَعروفِ، وَرِعَايَةِ العِلمِ وَالعُلَمَاءِ، وَطُلَّابِ العُلُومِ، وَالإِنفَاقِ عَلَيهِم بِلَا خَوفٍ أَو تَرَدُّدٍ، وَكَأَنَّه مُكَلَّفٌ بِإِعَالَةِ هَذِهِ الأَقوَامِ مَهمَا بَلَغَ عَدَدُهُم، وَمَهمَا زَادَت مُتَطَلَّبَاتُهُم، لَا يَزِيدُهُ ذَلِكَ إِلَّا حَمَاسًا وَإِصْرَارًا عَلَى الاتِّسَاعِ فِي الإِنفَاقِ وَالبَذلِ بِكُلِّ رَحَابَةِ صَدرٍ، وَانْشِرَاحِ وَسُرُورٍ، وَلَا يَكتَفِي بِهَؤُلَاءِ وَحَسب؛ فَدَارُهُ فِي الكَرخِ مَفتُوحَةٌ لِلمُحتَاجِينَ، وَالمُعوَزِينَ، وَالعُفَاةِ، تَتَوالَى عَلَيهَا الوُفُودُ زِرَافَاتٍ وَوِحدَانَا، لِتَجِدَ مَن يَسْتَقبِلُهَا بِكُلِّ ارْتِيَاحٍ وَحَفَاوَةٍ، يُقَدِّمُ لَهَا مَا لَذَّ وَطَابَ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، تُقِيمُ عِندَهُ كَمَا تُحِبُّ، وَتَذهَبَ مَتَى تَشَاءُ، وَقَد امْتَلَأَت حَقَائِبُهَا بِالهَدَايَا، والـهِباتِ، وَالعَطَايَا.

ثُمَّ لَا بُدَّ أَن يَسأَلَ وَيَستَقْصِي عَن فُقَرَاءِ السَّادَةِ العَلَوِيِّينَ، وَيَمُدُّ لَـهُم يَدَ العَونِ، وَيَطرُدَ عَنهُمُ العَوزَ وَالحِرمَانَ، يُزَوِّجُ مَن لَم يَمْلِكِ البَاءَةَ، وَيَتَكفلُ بِعِلَاجِ مَرضَاهُم، وَيَبنِي لَـهُم دُورَهُم الآيِلَةَ لِلسُّقُوطِ.

وَيَلتَفِتُ إِلَى الطُّرقِ الخَارِجِيَّةِ الَّتِي تَربُطُ بَينَ المُدُنِ المُقَدَّسَةِ الَّتِي تَضُمُّ أَضرِحَةَ الأَئِمَّةِ مِن آلِ البَيتِ -سَلَامُ الله عَلَيهِم- فَيُفَكِّرُ فِي رَاحَةِ الزَّائِرِينَ وَأَمَانِهِم، وَهُم يَقْطَعونَ البَرَاري لَيلًا وَنَـهَارًا سَيرًا عَلَى الأَقـدَامِ أَو رُكُوبًا عَلَى ظُهُورِ الـدَّوَابِّ، فَيَبنِي لَـهُمُ

الخَانَاتِ عَلَى طُولِ الطَّرِيقِ، وَالخَانُ عِبَارَةٌ عَنْ قَلْعَةٍ كَبِيرةٍ وَاسِعَةٍ مُحَصَّنةٍ يَدخُلُهَا الزَّائِرُ فِي آخِرِ النَّهَارِ مَعَ دَابَّتِهِ؛ لِيَجِدَ الرَّاحَةَ وَالأَمَانَ، وَيُغَادِرُهَا صَبَاحًا لِيُكمِلَ الطَّرِيقَ إِلَى جِهَتِهِ المَقصُودَةِ.

انْتَشَرَت هَذِهِ الخَانَاتُ بَينَ النَّجَفِ الأشرَفِ وَكَربَلَاءَ المُقَدَّسَة، وَبَينَهَا وَبَينَ بَغدَادَ وَسَامَرَّاءَ وَمَشهدَ المُشَرَّفَة.

وَغَيرُ ذَلِكَ كَثِيرٌ جِدًّا مِمَّا يُصيبُ العَقلَ بِالذُّهُولِ.

وَتَقْصُدُهُ الشُّعَرَاءُ، وَتَكونُ اللَّيَالِي فِي دَارِهِ لَيَالِيَ لِلاسْتِمْتَاعِ بِمَا تَجودُ بِهِ قَرَائِحُهُم فِي مُنَاسَبةٍ وَبِلَا مُنَاسَبة، وَلَا يَخلو هَذَا الجَوُّ مِن تَنَافُسٍ وَتَسَابُقٍ بَينَ الشُّعَرَاءِ، وَتَلَاقُحٍ لِأَفكَارِهِم، وَتَفَاعُلِهِم مَعَ بَعضِهِم، مِمَّا يَشحَذُ الهِمَمَ لِلارْتِقَاءِ بِالحَرَكَةِ الأَدبِيَّةِ وَالشِّعريَّةِ إِلَى مُستَوَيَاتٍ أَسمَى وَأَعلَى.

وَهُنَا يَبرزُ أَثَرُ القَامَةِ الحِلِّيَّةِ الأَدَبِيَّةِ، الاجْتِمَاعِيَّةِ، الدِّينِيَّةِ السَّامِقَةِ، أُستَاذِ الشُّعَرَاءِ السَّيِّدِ مَهدِيّ بنِ دَاوودَ الحِلِّيّ الذي «كَانَ (عَلَيهِ رَحمَةُ الله) ذَا مَقَامٍ رَفِيعٍ مِنَ الوَرَعِ وَالصَّلَاحِ، بِحَيثُ كَانَ يَأتَمُّ بِهِ كَثِيرٌ مِنَ الصُّلَحَاءِ فِي مَسجِدٍ خَاصٍّ مُلَاصِقٍ لِدَارِهِ يُعرَفُ بِمَسجِدِ (أَبو حواض)، وَكَانَ هَذَا المَسجِدُ مَدرسَةً أَدَبِيَّةً، تَخَرَّجَ مِنهَا عَدَدٌ مِن مَشَاهِيرِ أُدبَاءِ الحِلَّةِ»، مِنهُم: الشَّيخُ حَسَن مُصَبِّح، وَالشَّيخُ حَمَادِي الكَوَّاز، وَالشَّيخُ حَسُّون بنُ عَبدِ الله، وَالشَّيخُ عَليّ عِوَض، وَالشَّيخُ مُحَمَّد المُلَّا، وَالشَّيخُ عَلي بنُ قَاسِم، وَالشَّيخُ حَمَادِي نُوح، الَّذِي طَالَمَا كَانَ يُعَبِّر عَنهُ فِي دِيوَانِهِ بِقَولِهِ: «سَيِّدُنا وَأُستَاذُنَا الأَعْظَمُ».

وَيَحدثُ اللِّقَاءُ بَينَ السَّيِدِ مَهديِّ بنِ دَاوودَ الحِلِّيّ وَبَينَ الحَاجِّ مُحَمَّدِ صَالِح كُبَّة، وَيَطَّلِعُ السَّيِّدُ مَهدِيّ عَلَى مَا ذَكَرنَا مِن مَعروفِ الحَاجِّ مُحَمَّد صَالِح الَّذِي لَا يُشبِهُهُ شَيءٌ وَلَا يُقَارِبُهُ شَيء، فَيلتَفِتُ إِلَى مَا لَـم يَلتَفِتْ إِلَيهِ غَيرُه، فَيُؤَلِّفُ هَذَا الكِتَابَ لِيَطرَحَ شَخصِيَّةَ الحَاجِّ مُحَمَّدِ صَالِحٍ كُبَّة فَائِقَةَ النُّبلِ وَالسَّخَاءِ، وَالكَرَمِ وَالعَطَاءِ، عَلَى النَّاسِ؛

لِيُعطِيَ هَذِهِ الشَّخصِيَّةَ الفَذَّةَ حَقَّهَا أَوَّلًا؛ وَلِتكونَ قُدوَةً حَسَنةً فِي المُجتَمَع ثانيًا، ثُمَّ يُفْرِغُ فِي كِتَابِهِ هَذَا مَزيدًا مِن عِلمِهِ الجَمِّ فِي الشِّعرِ وَالنَّثرِ، وَاللُّغَةِ وَالأَدَب؛ لِينتَفِعَ بِهِ طُلَّابُهُ، وَغَيرُهُم مِنَ المُتَأَدِّبِينَ.

قَالَ السَّيِّدُ مَهديُّ: «سَمَّيتُهُ: (**مِصبَاحُ الأَدَبِ الزَّاهِر لِذَوي البَصَائِر**)، وَرَتَّبتُهُ عَلَى مُقَدِّمَةٍ وَأَربَعةِ أَبوابٍ، وَخَاتِمةٍ»

فِي **المُقَدِّمَةُ** تَطَرَّقَ المُؤَلِّفُ إِلَى فَضلِ الشِّعرِ وَمَا انْطَوَى فِيهِ مِنْ حِكمَةٍ، وَمَا وَرَدَ فِيهِ مِن مَدحِ نَبِيِّ الرَّحمَةِ ﷺ، وَبَعْضِ مَا أَتَى فِيهِ مِن حَديثِ الأَئِمَّةِ، وَظَرَائِفَ مِن عِلمِ الأَدَبِ.

وَفِي **البَابِ الأَوَّلِ**، تَكَلَّمَ عَلَى إِثْبَاتِ مَا ادَّعَاهُ فِي أَوَّلِ الكِتَابِ، مِن أَنَّ مَديحَ شُعَرَاءِ عَصرِه لَا يَلِيقُ أَنْ يَكونَ فِي شَأنِ مَمْدوحِهِ الحَاجِّ مُحَمَّدِ صَالِحِ الَّذِي قِيلَ عَنهُ: إِنَّهُ إِنْسَانُ عَينِ الدَّهْرِ.

وَخَصَّصَ **البَابَ الثَّاني** مِنَ الكِتَابِ لِلْمَديحِ، وَهُنَا يَعرِضُ رَأْيَه فِي مَديحِ الآخَرينَ كَيفَ يَكونُ، وَكَيفَ يَرتَقِي إِلَى المُستَوى المَطلوبِ، مُعَزِّزًا أَقوَالَه بِأَمثِلَةٍ مِن مَديحِ الأَوَائِلِ، مِمَّا يَجعَلَكَ تَعتَقِدُ أَنَّكَ تَستَمِعُ إِلَى مُحَاضَرةٍ عِلمِيَّةٍ لِلأُستَاذِ يُلقِيهَا عَلَى طُلَّابِهِ.

أَمَّا **البَابُ الثَّالِثُ**: فَجَعَلَهُ فِي مَا أَنشَأَهُ هُوَ وَابنُ أَخِيهِ السَّيِّدِ حَيدَر لَلحَاجِّ مُحَمَّدِ صَالِحِ مِنَ التَّهنِئَاتِ فِي بَنِيهِ النُّجُومِ الزَّاهِرَاتِ.

وَيأتِي **البَابُ الرَّابِعُ** فِي الكَلَامِ عَلَى الرِّثَاءِ وَأَنوَاعِهِ وَحُدُودِهِ وَجَيِّدِهِ مِن رَديئِه، مُقَدِّمًا كَثيرًا مِنَ الأَمثلَةِ مِن شِعرِ الشُّعَرَاءِ القُدَامَى، ثُمَّ يُعَرِّجُ عَلَى مَا أَنشَأَهُ وَابنُ أَخِيهِ مِنَ الرِّثَاءِ فِي مَنِ انْتقَلَ مِن ذُرِّيَةِ أَبنَاءِ العَلَاءِ إِلَى دَارِ البَقَاءِ.

وَفِي **الخَاتِمَةِ**: يَتَطَرَّقُ إِلَى رَسَائِلِ العِتَابِ، وَبِذَلِكَ يُقَدِّمُ نُصوصًا نَثريَّةً يُعَلِّمُ طُلَّابَه مِن خِلَالِهَا كَيفَ يَكونُ عِتَابُ الأَكَابِرِ، العِتابُ البَنَّاءُ الَّذِي يُصلِحُ الخَطَأَ وَيُرَمِّمُ العَلَاقَةَ مَعَ الأَصدِقَاءِ النُّبَلَاءِ، مِثل الحَاجِّ مُحَمَّد صَالِح، وَيُحَافِظُ عَلَيهَا.

وَمِن كُلِّ ذَلِكَ نَجِدُ أَنَّ هَذَا الكِتَابَ يُقَدِّمُ أَدَبِيَّاتِ مَدرَسةِ الأُستَاذِ السَّيِّدِ مَهديِّ ابنِ دَاوودَ الحِليِّ النَّقْدِيَّةِ، هَذِه المَدرسَةُ الَّتِي خَرَّجَت السَّيِّدَ حَيدَرَ الحِلِّيّ وَحَمادِي نُوح، وَحَسَن مُصَبِّح، وَحَمَّادِي الكَوَّاز، وَمُحَمَّد حَمزة، وَعَلي عِوَض وَغَيرهم مِن شُعرَاءِ الحِلَّةِ الأَوَائِل.

وَيَحتَاجُ المُصَنِّفُ إِلَى أَمثِلَةٍ شِعرِيَّةٍ لِطَرحِ أَفْكَارِهِ النَّقدِيَّةِ البَنَّاءَةِ لِتَلَامِيذِه، فَيخَتارُ قَصيدَةً لِشَاعِرٍ سَمَّاهُ (السَّيِّدَ البَغدَاديّ)، وَتَشطِيرهَا (لِلشَّيخِ العَامِليِّ)، وَيَبدَأُ مِن مَطلَعِ القَصيدَةِ ذَاكِرًا العُيوبَ وَالسَّقَطَاتِ؛ لِيَتَجَنَّبَهَا طُلَّابُهُ فِي كِتَابَةِ القَصيدَةِ، وَذَلِكَ هُوَ الهَدفُ السَّامِي، وَالغَايَةُ القُصوَى، مِنْ تَألِيفِ هَذَا الكِتَابِ، فَهوَ قَدْ حَقَّقَ هَدَفَينِ نَبِيلَينِ جَلِيلَين:

الأَوَّلُ: إِعْطَاءُ الحَاجِّ مُحَمَّدٍ صَالِح كُبَّة -هَذا الرَّجلُ العَظِيمُ- حَقَّهُ مِنَ المَدِيحِ، وَذِكرُ مَحَاسِنِهِ وَسُمُوِّ ذَاتِهِ، وَعِلمِهِ وَكَرمِهِ، وَحِنُوِّهِ عَلَى الصَّغِيرِ وَالكَبِيرِ، وَعَلَى العَالِمِ وَالجَاهِلِ، وَالأستَاذِ وَطَالِبِ العِلمِ.

وَالهَدَفُ الثَّانِي: تَربِيةُ طُلَّابِهِ وَتَعلِيمُهم وَتَخرِيجُهُم مِن مَدرَسَتِهِ شُعرَاءَ مُتَمَكِّنِينَ مِن صَنْعَتِهِم، مُزَوَّدِينَ بِمَا يَحتَاجُونَهُ مِن عُلُومٍ نَقدِيَّةٍ مُقَوِّمَةٍ لِلشِّعرِ وَالشَّاعِر.

أَمَّا الخُصُومَةُ الَّتِي ذَكَرَهَا، فَهِيَ خُصومَةٌ أَدَبِيَّةٌ رُبَّمَا كَانَت حَقِيقِيَّةً أَو مُفْتَعَلَةً، الغَايَةُ مِنهَا النَّقدُ الأَدَبِيُّ الخَالِصُ، فَنَقُولُ عَنهَا كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

لَـولَا اشْـتِـعَـالُ الـنَّـارِ فِـيـمَا جَـاوَرَتْ مَـا كَـانَ يُـعـرَفُ طِـيـبُ عَـرفِ الـعُـودِ

فَمِنْها أَفَدنَا كَثِيرًا، وَتَعَلَّمنَا مِن فُنُونِ الشِّعرِ، وَأَسَاسِيَّاتِهِ، وَقَوَاعِدِهِ وَأُصُولِهِ، وَجَيِّدِهِ وَرَدِيئِهِ، وَمُحكَمِهِ وَمَبذُولِه.

وَأَخِيرًا فَقَد كَانَ حُلْمِي كَبِيرًا جِدًّا لِلْحُصُولِ عَلَى مَخطُوطَةِ هَذَا الكِتَابِ، لَقَد كَانَ حُلمًا بَعِيدَ المَنالِ، وَبِفَضلٍ مِنَ الله تَعَالَى تَحَرَّكَ مَركزُ تُرَاثِ الحِلَّةِ التَّابِعُ لِلعَتَبَةِ العَبَّاسِيَّةِ المُقَدَّسَةِ الـمُتَمَثِّلُ بِمُدِيرِهِ سَمَاحَةِ الشَّيخِ صَادِقٍ الخُوَيلِدِيّ، وَاستَطَاعَ الوُصُولَ إِلَى

مَـخْبَئِهَا وَاسْتِخرَاجِهَا وَتَقدِيمِهَا لِـي يَومَ ١٢/ ٥/ ٢٠٢٠، فَكانَ سُروري بِهَا لَا يُوصَف، وَبَادَرتُ فَورًا إِلى العَمَلِ الجَادِّ عَلَيهَا، وَقَد هَيَّأَ لِي المَركَزُ مَجموعَةً مِنَ الشَّبَابِ المُخلِصِينَ لِكِتَابَةِ المَخْطُوطَةِ، وَتَنْضِيدِهَا أَلِكترونِيًّا؛ تَسهِيلًا لِأَمرِ التَّحقِيقِ، وَالإِسرَاعِ فِيهِ.

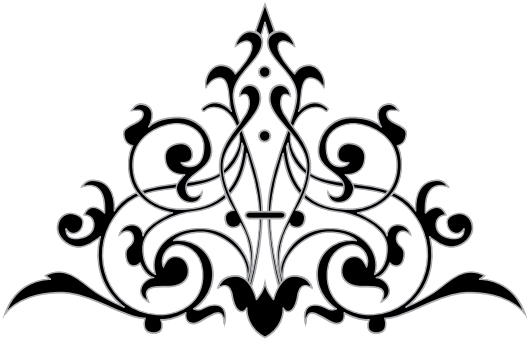
وَهُنَا لَا يَسَعُنِي إِلَّا أَنْ أَتَقَدَّمَ بِوَافِرِ الشُّكرِ وَجَزيلَ الإِمتِنَانِ لِفَضيلَةِ الشَّيخِ الـهُمَامِ صَادِقِ الخُوَيلِديّ مُديرِ مَركزِ تُراثِ الحِلَّةِ، وَجَمِيعِ الإِخوَةِ العَامِلِينَ فِي المَركَزِ عَلَى مَوَاقِفِهِم المُشَرِّفَةِ وَجُهودِهِم العَظِيمَةِ فِي تَحقيقِ هَذَا الهَدفِ؛ إِذ لَولَاهُمُ لَـما اسْتَطَعتُ تَقديمَ شَيءٍ يُذكَر.

وَالحَمدُ لله رَبِّ العَالـمِينَ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِ الأَنَامِ مُحَمَّد وَعَلَى آلِهِ الطَّيبِينَ الطَّاهِرين.

د. مُضر سُلَيْمان الحِلِّيّ

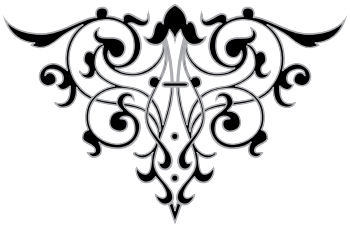
الحِلَّةُ الفَيحاءُ ١٢/ ١٠/ ٢٠٢٠م





الفصل الأول

حياة المؤلف





الفَصْلُ الأَوَّلُ

حَيَاةُ المُؤلِّف

اسْمهُ ونَسبُه

هُوَ السَّيِّدُ مَهدِيّ[1] بنُ دَاوودَ بنِ سُليمَانَ بنِ دَاوودَ بنِ حَيْدَر الشَّرع بنِ أَحمدَ المِزيَدِيّ ابنِ مَحمود بنِ شِهَاب بنِ عَليِّ بنِ مُحَمَّد بنِ عَبدِ الله بنِ أَبِي القَاسِم بنِ أَبِي البَرَكَات بنِ القَاسِمِ بنِ عَليِّ بنِ شُكر بنِ أَبِي مُحَمَّدِ الحَسَنِ الأَسمَرِ بنِ شَمْسِ الدِّينِ النَّقِيبِ أَحمَد بنِ أَبِي الحَسَن عَليِّ بنِ أَبِي طَالِب مُحَمَّد بنِ عُمَرَ بنِ يَحيَى بنِ الحُسَينِ النَّسَّابَة بنِ أَحمَد المُحَدِّثِ ابنِ عُمَر بنِ يَحيَى بنِ الحُسَينِ ذِي الدَّمعَة بنِ زَيْدِ الشَّهِيدِ ابنِ الإِمَامِ زَينِ العَابِدِينَ عَليِّ ابنِ الإِمَامِ الحُسَينِ ابنِ الإِمَامِ عَليِّ بنِ أَبِي طَالِب عليهم السلام.

أُسرَتُه

السَّيدُ مَهدِيّ بنُ دَاوودَ الحِلِّيّ هُوَ أَحدُ أَركَانِ أُسرَةِ آلِ سُلَيمَانَ فِي الحِلَّةِ، هَذِهِ الأُسرَةِ

---

(١) ترجمته في: العِقد المفصَّل ١/ ٢٦٩، والحصون المنيعة ٩/ ٣٣٠، ومعارف الرجال ٣/ ١٠١-١٠٤، والطليعة ٢/ ٣٥٥، والبابليَّات ٢/ ١٠٦-١٢٣، وأعيان الشيعة ٤٧/ ١٤٨-١٥٢، والدرُّ النضيد ٥٥، والذريعة ٢١/ ١٠٠-١٠١، والأعلام للزركليّ: ٧/ ٣١٣، وشعراء الحِلَّة ٥/ ٣٢٣-٣٥٠، وأدب الطفِّ ٧/ ٢٠١، ومعجم المؤلِّفين ١٣/ ٢٨، ديوان السَّيِّد سليمان الكبير ٤٦، مجلَّة العرفان الصيداويَّة، بقلم الشيخ محمَّد عليّ اليعقوبيّ، آل السَّيِّد سليمان الكبير/ مخطوط ١٨٨.

الَّتِي أَسَّسَهَا السَّيِّدُ سُلَيمَانُ الكَبِيرُ (الحَكِيمُ)[1] جَدُّ السَّيِّدِ مَهدِيٍّ، ابتِدَاءً مِن استِقْرَارِهِ فِي الحِلَّةِ عَامَ (١١٧٥هـ)، وَقَد قَدِمَ مِنَ النَّجَفِ الأَشرَف -الَّتِي وُلِدَ فِيهَا- بَعدَ اسْتِكمَالِ دِرَاسَتِهِ العِلمِيَّةِ[2].

وَالِدُه السَّيِّدُ دَاوود ابنُ سُلَيمَانَ الكَبِير، شَاعِرٌ، كَاتِبٌ، تَرَكَ لَنَا كِتَابًا فِي سِيرَةِ وَالِدِهِ السَّيِّد سُلَيمَانَ الكَبِير، رَتَّبَهُ عَلَى مُقَدِّمَةٍ وَأَبوَابٍ وَخَاتِمَةٍ، وَتَعَرَّضَ فِيهِ إِلَى نَسَبِ النَّبِيِّ ﷺ وَآبَائِهِ وَعِترَتِهِ وَأَبنَائِهِ بِصورَةٍ مُفَصَّلَة، وَتَرجَمَةِ وَالِدِهِ وَمَا قِيلَ فِيهِ وَمَا رَثَتهُ الشُّعَرَاءُ بِه، وَقَد ذَكَرَ فِي كِتَابِهِ جَمَاعَةً مِنَ الأُدبَاءِ وَالشُّعَرَاءِ المُعَاصِرِينَ لِوَالِدِه، وَفَّقَنِي اللهُ تَعَالَى إِلَى تَحقِيقِ هَذَا الكِتَاب، وَقَامَت مُؤَسَّسَةُ دَارِ التُّرَاثِ فِي النَّجَفِ الأَشرَفِ بِطَبعِهِ وَنَشرِه[3].

وَلَهُ كِتَابٌ آخَرُ أَسمَاهُ (كَشْف السّترَةِ عَنْ أَنوَارِ النَّبِيِّ ﷺ وَالعِترَةِ) يَجري العَمَلُ عَلَى تَحْقِيقِهِ وَنَشْرِهِ بِعَونِ الله تَعَالَى.

وَكَانَ لَهُ دِيوَانٌ مِنَ الشِّعرِ وَلَكِنَّهُ تَلَفَ فِي حَوَادِثِ الحِلَّةِ، وَتُوفِّيَ سَنَةَ (١٢٣٢هـ)[4].

وَأَخُوهُ السَّيِّدُ سُلَيمَانُ الصَّغِيرُ، شَاعِرٌ مُتَمَيِّزٌ[5]، الَّذِي مَاتَ شَابًّا يَافِعًا فِي طَاعُونِ

(١) سُليمانُ بنُ داوودَ الحِلِّيّ: تَذكرُهُ المَصَادِرُ بِلَقَبِ (الكَبير، وَالحَكيم، وَالمزيَديّ، وَالحِلِّيّ، وَالنَّجَفِيّ) شَاعِرٌ، طَبيبٌ، وُلِدَ فِي النَّجَفِ سَنَةَ (١١٤١هـ)، وَفِيهَا أَخَذَ عُلُومَه وَتَخصَّصَ فِي دِرَاسَةِ الطِّبِّ وَهَاجرَ إِلَى الحِلَّةِ سَنَةَ (١١٧٥هـ)، وَفِيهَا أَدَّى رِسَالَتَهُ الفِكريَّةَ وَالعَقَائِديَّة، بَرعَ فِي الطِّبِّ وَصَنَّفَ فِيهِ، وَتَركَ لَنَا دِيوَانًا فِي آلِ بَيتِ النُّبُوَّة.وُفِّقنَا لِتَحقِيقِهِ وَنَشرِه وَالحَمدُ لله. تُوفِّي سَنَةَ (١٢١١هـ). تنظر ترجمته في: الطليعة ١/ ٣٨١-٣٨٣، أعيان الشيعة ٣٥/ ٢٩٨، البابليَّات ١/ ٢٩٩-٣٠٩، الكرام البررة ٢/ ٦٠٧-٦٠٨، الذريعة ٩/ ٤٦٧، شعراء الحِلَّة ٣/ ١٨-٣٣، معجم رجال الفكر والأدب في النجف ١/ ٤٣٩-٤٤٠، الأعلام ٣/ ١٢٥، وأدب الطفِّ ٦/ ٣٨-٤٧، ومعجم المؤلِّفين ٤/ ٢٦٣، عليّ في الكتاب والسنَّة والأدب ٤/ ٣٥٢.

(٢) ينظر: ديوان السَّيِّد سُليمانَ الكَبير ٣٥-٥٢.

(٣) طُبِعَ الكِتابُ بِعنوَان: (السَّيِّد دَاوودُ بنُ سُليمانَ الكَبيرِ وَكِتَابُه).

(٤) البابليَّات ٢/ ١٩.

(٥) السَّيِّد سُلَيمانُ (الصَّغيرُ): هُوَ أَبو حَيدَر السَّيِّد سُليمانُ ابنُ دَاوودَ بنِ سُلَيمانَ الحِلِّيُّ، وُلِدَ سَنَةَ=

عام (١٩٤٧هـ)، وُفِّقتُ بِحَمدِ الله إِلَى جَمعِ مَا وَجَدتُ مِن شِعرِهِ وَنَشَرتُهُ بِعُنوانِ: (السَّيد سُلَيمان الصَّغِير- حَيَاتُهُ وَشِعرُه).

وَعَمُّهُ السَّيِّدُ حُسَين الحَكِيم شَاعِرٌ[1]، وَابنُ أَخِيهِ الشَّاعِرُ المُفلِقُ السَّيِّدُ حَيدَرُ الحِلِّيّ[2]،

=(١٢٢٢هـ)، وَابْتَدَأَ يَقولُ الشِّعرَ وَهوَ ابنُ اثْنَتَي عَشرَةَ سَنةً، كَانَ عَلى صَغرِ سِنِّهِ وَاسِعَ الاطِّلَاعِ طَوِيلَ البَاعِ، وَكَانَت دِرَاسَتُه عَلَى وَالِدِهِ السَّيِّد دَاوودَ ابنِ سُليمانَ الكَبير، وَعَمِّهِ السَّيِّد حُسَين ابنِ سُلَيمَانَ الكَبِير، كَانَ شَاعِرًا مُفلِقًا، وَشِعرُهُ فِي غَايَةِ القُوَّةِ وَالرِّقَّةِ وَالسَّلَاسَةِ وَالانْسِجَام، أَرَقَّ أَلفَاظًا، وَأَجزَلَ أُسلُوبًا، مِن شِعرِ أَخِيهِ السَّيِّد مَهدِي، تُوفِّي بِالطَّاعُونِ عَام (١٢٤٧هـ) وَعُمرُهُ خَمسٌ وَعشرُونَ سَنةً، ومن آثاره: أرجوزة في النحو سَمَّاهَا (نظم الجمل)، وحاشية على الفاكهيّ سَمَّاها (الدرر الحلية في إيضاح غوامض العربيَّة)، و(خُلَاصَة الإعراب) بِخَطِّهِ الجَمِيلِ، وَقَدْ رَأَيتُهَا فِي مَكتَبَةِ مُؤَسَّسَةِ الإِمَامِ مُحَمَّدِ الحُسَينِ كَاشِفِ الغِطَاءِ ﷺ فِي النَّجفِ الأَشرَفِ، وَهِيَ مَحفوظَةٌ تَحتَ الرَّقمِ (٩٩٩). وَاسْتَطَعتُ -بِفَضلِ الله- أَنْ أَجمعَ شِعرَهُ المُدَوَّنَ فِي مَصَادِرَ شَتَّى وَنَشره بِعنوان عُنوانِ: (السَّيِّد سليمان بن داوود الصغير: حياته وشعره)، له ترجمة في: آل السَّيِّد سُليمانَ الكَبير (خ) ١٨٨، وأعيان الشيعة ٣٥/ ٢٩٧، والذريعة ٧/ ٢١٤، والبابليَّات ٢/ ٧٠-٧٦، وشعراء الحِلَّة ٣/ ٣٣، ومعجم المؤلِّفين ٤/ ٢٦٣، وآل سليمان في تراجم بعض رجال الأسرة ٤٠-٤٨.

(١) السَّيِّد حُسَين الحَكِيم: هُوَ أَكبرُ أَنجَالِ السَّيِّد سُليمَانَ ابنِ دَاوودَ الحِلِّيُّ، وُلِدَ فِي النَّجَفِ عَامَ (١١٦٢هـ)، كَانَ مُلَازمًا لِوَالِدِهِ فَعُنِيَ بِتَربِيتِهِ وَلَقَّنَه كَثِيرًا مِن مَبَادِئِ العُلُومِ، وَهَاجَرَ مَعَهُ إِلَى الحِلَّةِ عَام (١١٧٥هـ)، بَرَعَ فِي الطِّبِّ فَلُقِّبَ بـ(الحَكِيم)؛ وَهوَ لَقبُ وَالِدِهِ مِن قَبلِهِ لِلسَّبَبِ نَفسِه، وَكَانَ عَالِمًا بِالجَفرِ وَالعُلومِ الغَرِيبَةِ، وَلَه فِي الأَدَبِ وَالتَّرَسُّلِ بَاعٌ طَوِيل، فَهوَ شَاعِرٌ مُتَمَكِّنٌ، مُجِيدٌ، وَأَدِيبٌ مُتَفَوِّقٌ، تُوفِّيَ رَحِمهُ الله سَنةَ (١٢٣٦هـ).

ينظر عنه: الحصون المنيعة(خ) ٢/ ٥٥٥، والكرام البررة ٤٦١، وأعيان الشيعة ٢٦/ ٣٢، والبابليَّات ٢/ ٥١-٥٩، وشعراء الحِلَّة ٢/ ٢١١-٢٤٧، ومعجم أدباء الأطباء ١/ ١٢٨-١٣١، ومعجم رجال الفكر والأدب ١/ ٤٤٨، ومعجم المؤلِّفين ٤/ ١١، الشعر في الحِلَّة بين سنتَي ١٨٢٤-١٩١٧م: ١٥٢، وآل سليمان ٢٥-٣٤.

(٢) هُوَ الشَّاعِرُ الشَّهيرُ السَّيِّد حَيدَر بنُ سُلَيمانَ بنِ دَاوودَ بنِ سُليمَانَ الكَبِير، يَنتَهِي نَسبُه إِلَى زَيدِ الشَّهِيدِ عليه السلام، وَيُكنَّى بِأَبِي الحُسَينِ، وُلِدَ فِي الحِلَّةِ لَيلَةَ النِّصفِ مِنْ شَعْبَانَ سَنةَ (١٢٤٦هـ/ ١٨٣١م)، وَعَنهَا أَخذَ لَقَبَ الحِلِّيّ، فِي بَيتٍ اشْتَهَر جُلُّ أَفرَادِهِ بِالعِلمِ وَالأَدبِ، فَضلًا عَن المَكَانَةِ السِّيَاسِيَّةِ وَالاجتمَاعِيَّةِ، وَتُوفِّيَ فِي الحِلَّةِ عَشِيَّةَ الأَربعَاء التَّاسِع مِن رَبيعٍ الثَّانِي سَنَةَ (١٣٠٤هـ/ ١٨٨٧م)،=

وَحَفِيدُهُ السَّيِّدُ عَبدُ المُطَّلِبِ بنِ دَاوودَ[1]، وَآخَرُونَ مِن شَخصِيَّاتِ هَذِهِ الأُسَرةِ مِمَّن

=وَدُفِنَ فِي النَّجَفِ تَارِكًا لَنَا فَضلًا عن ديوانه: (العِقد المفصَّل في قبيلة المجد المؤثَّل)، وهو كتاب قيِّم ألَّفه لصديقه العلاَّمة محمَّد حسن كبَّة، و(دُميَة القصر في شعراء العصر)، و(الأشجان في مراثي خير إنسان)، جمع فيه مراثي صديقه العلَّامة ميرزا جعفر القزوينيّ.

تُرجم له في: ديوانه الطبعة الحجريَّة ١٣١٢هـ ترجمةٌ ضافيةٌ: ١-٣٩، وكذلك ترجم له الشيخ عليّ الخاقانيّ في ديوان السَّيِّد حيدر الحِلِّيّ: ١/ ٣-٢٦، وترجم له الأستاذ صالح الجعفريّ في شرح ديوان السَّيِّد حيدر الحِلِّيّ: أ-ق. كما تُرجم له في: إلزام النواصب بإمامة عليّ بن أبي طالب عليه السلام ٢٧، وأعيان الشيعة ٦/ ٢٦٦، والطليعة ١/ ٢٩٨، والبابليَّات ٢/ ١٥٣-١٦٨، وشعراء الحِلَّة ٢/ ٤٢٠-٤٣٧، والأعلام ٢/ ٢٩٠، وأدب الطفِّ ٨/ ٦-٣٣، ومعجم رجال الفكر والأدب في النجف خلال ألف عام ١/ ٤٤٢، و معجم المؤلِّفين ٤/ ٩٠، وعليّ في الكتاب والسنَّة والأدب ٥/ ١٢، والسَّيِّد حيدر الحِلِّيّ: حياته وأدبه ٤٦، والسَّيِّد حيدر الحِلِّيّ شاعر عصره ١٣-١٦، وآل سليمان ٦٠-٨٠، والعقد المفصَّل ١/ ١١-٣١.

(١) السَّيِّد عَبدُ المُطَّلِبِ بنُ دَاوودَ بنِ مَهدِيِّ بنِ دَاوودَ بنِ سُليمَانَ الكَبيرِ، وُلِدَ فِي الحِلَّةِ حَوالي سَنَةَ (١٢٨٠هـ). وَنَشأَ فِيهَا، وَكَانَ أَكثَرُ تَحصيلِهِ الأَدَبِيِّ عَلَى عَمِّهِ السَّيِّد حَيدَر، ثُمَّ عَكَفَ عَلَى دِرَاسَةِ كُتُبِ الأَدَبِ وَدَواوينِ الشِّعرِ حَتَّى صَارَ عَلَمًا مِن أَعلَامِ الشِّعرِ فِي عَصْرِهِ، أَعَانَه عَلَى ذَلِكَ قَابِلِيَّةٌ شَدِيدةٌ عَلَى الحِفظِ، سَاهَمَ فِي بَعثِ النَّهضَةِ الأَدَبِيَّةِ، وَكَانَ إِلَى جَانِبِ اشْتِغَالِهِ بِالأَدَبِ يُمَارِسُ الزِّرَاعَةَ، وَيَلتزَمُ الأَرَاضِي الأَمِيريَّةَ مِنَ الحُكومَةِ فَحَصَل عَلَى ثَروَةٍ كَبيرةٍ، ثُمَّ تَقَهقَرَت أَحوَالُهُ المَالِيَّةُ؛ بِسببِ جَفَافِ نَهرِ الحِلَّةِ، فَهَاجَر إِلَى النَّجَفِ سَنَة (١٣٢٤هـ)، وَفِيهَا نَشَطَ فِي تَأييدِ حَرَكَةِ الشَّيخِ كَاظِمِ الـخُرَاسَانِيّ، ثُمَّ رَجعَ إِلَى الحِلَّةِ، وَمِنهَا سَافَرَ إِلَى البَصرَةِ، فَاتَّصَلَ بِالسَّيِّد طَالِبِ النَّقِيبِ، وَانْضَمَّ إِلَى حَركَتِهِ اللَّامَركَزِيَّةِ، وَنَظَمَ الشِّعرَ فِي تَأييدِهَا وَهَاجَمَ الأَتَرَاكَ، وَقَامَ بِجَولَاتٍ فِي الفُرَاتِ الأَوسَطِ دَعمًا لِلحَرَكَةِ، وَلَكِنْ لَـمَّا أُعْلِنَت الحَربُ العَالميَّةُ الأولَى وَخَاضَهَا الأَتَرَاكُ، أَخَذَ يُؤَيِّدُهُم وَيُحَرِّضُ القَبَائِلَ فِي الفُرَاتِ الأَوسَطِ عَلَى مُحَارَبَةِ الإنكليز، وَزَارَ جَبهَاتِ القِتَالِ فِي البَصرَةِ، وَلَكِنَّهُ لَم يَسلَم مِنهُم حِينَ وَقَعَت حَادِثَةُ الحِلَّةِ، وَهَاجَمَ القَائِدَ التُّركِيَ عَاكِف الحِلَّةَ وَخَرَّبَ دُورَهَا، فَكَانَت دَارُ المُتَرجَم لَهُ فِيمَا خُرِّبَ؛ فَاعْتَذَرَ لَهُ الأَتَرَاكُ بِأَنَّ مَا حَصَلَ كَانَ خَطَأً، وَلَـمَّا احْتَلَّ الانكليزُ بَغدادَ اعْتَزَلَ فِي قَريةِ (بَيرمَانَة)، الَّتِي كَانَ لَهُ فِيهَا بَعضُ الأَملَاكِ، وَبَقِيَ مُعتَزِلًا فِيهَا حَتَّى مَماتِهِ سَنةَ (١٣٣٩هـ/ ١٩٢١م). تَركَ لَنَا دِيوَانًا حَافِلًا بِالقَصَائِدِ الوَطَنِيَّةِ الَّتِي تَدعُو إِلَى مُحَارَبَةِ الاستِعمَارِ الانكليزيّ بِصرَامَةٍ تَنِمُّ عَنْ قُوَّةِ عَقِيدَةٍ، وَشَرحَ دِيوانِ مِهيَارَ الدَّيْلَمِيّ. له ترجمة في: الحصون المنيعة ٩/ ٢٢٤، ونهضة العراق الأدبيَّة ٣٣٣-٣٤٥، ومستدركات أعيان=

جَاؤُوا بَعدَ عَصرِ السَّيِّدِ مَهدِيٍّ[1].

وَلِإلقَاءِ الضَّوءِ عَلَى مَكَانَةِ هَذِهِ الأُسرَةِ، أَقْتَبِسُ فِقرةً مِن مُقَدِّمَةِ كِتَابِ (العِقد المُفَصَّل) لِلسَّيِّدِ حَيدَر الحِلِّيّ، تُبَيِّنُ لَنَا بَعضَ مَا نُريدُ إِذْ تَقولُ: «آلُ السَّيِّد سُليمَانَ بَيتُ أَدَبٍ أَصيلٍ فِي الحِلَّةِ لَا يُعرَفُ فِيهَا أَعرَقُ مِنهَا فِي الأَدَبِ العَرَبِيِّ حَتَّى اليَوم، مِن مَشَاهِيرِهِم (السَّيدُ سُليمَانُ الكَبيرُ) كَانَ عَالِمًا وَجِيهًا فِي الحِلَّةِ مُهَابًا فِي صُدُورِ أَهلِهَا إِلَيهِ تَفْزَعُ فِي مُهِمَّاتِهَا وَعَن رَأيِهِ تَصدُرُ، تُوفِّيَ سَنةَ (١٢١١هـ)، وَكَانَ شَاعِرًا مُجِيدًا، كَاتَبَ النَّحْوِيِّينَ إِلَى النَّجَفِ وَلَهُ آثَارٌ قَلِيلَةٌ تُوجَدُ فِي الحِلَّةِ، وَمِنهُم (السَّيِّدُ دَاوودُ) جَدُّ المُؤَلِّفِ[2]، (وَالسَّيِّدُ مَهدِي) عَمُّهُ[3]، كَانَ مِن شُيوخِ صِنَاعَةِ الأَدَبِ فِي الفَيحَاءِ وَمِن صُدُورِ رِجَالِهَا، غَزيرَ المَادَّةِ، كَثِيرَ الاطِّلَاعِ عَلَى أَشعَارِ العَرَبِ وَأَيَّامِهِم، حَافِظًا لِسِيَرِهِم وَتَوَارِيخِهِم، وَمِن آثَارِهِ مَجموعُ شِعرِهِ[4]، وَكِتَابٌ لَه سَمَّاهُ (مِصبَاح الأَدَبِ الزَّاهِر)، وَكِتَابُ (مُختَارَاتٌ مِن شِعرِ شُعَرَاءِ العَرَبِ)[5] فِي جُزأَينِ ضَخِمَين غَيرَ أَنَّ أَشهَرَ أَعلَامِ هَذِهِ الأُسرَةِ المُتَأَخِّرينَ هُوَ السَّيدُ حَيدرُ الحِلِّي الشَّاعِرُ الشَّهِيرُ»[6].

ولادتُهُ ونشأتُه

وُلِدَ السَّيِّدُ مَهديّ فِي الحِلَّةِ سَنةَ (١٢٢٢هـ)، كَمَا جَاءَ ذَلِكَ فِي جَمِيعِ المَصَادِرِ الَّتِي

=الشيعة ١/ ١٠٦، والبابليَّات ٤/ ٥٣-٧٤، والطليعة من شعراء الشيعة ١/ ٥٣٦، وشعراء الحِلَّة ٣/ ٣٢٢-٣٦٠، ومعجم المؤلِّفين ٦/ ١٧٥، وتأريخ الحِلَّة ٢/ ١٤٥-١٥٠.

(١) ينظر: ديوان السَّيِّد سليمان الكبير ٥٠-٥٢.

(٢) المَقصُودُ بِالمُؤلِّفِ هُوَ السَّيِّدُ حَيْدرُ الحِلِّيّ، مُؤَلِّفُ كِتَابِ (العِقد المفصَّل فِي قَبيلَةِ المَجْدِ المُؤَثَّلِ).

(٣) السَّيِّد مَهديّ بن دَاوودَ مُؤَلِّفُ (مِصبَاح الأَدَبِ الزَّاهِر)، هَذَا الكِتَابُ الَّذِي بَيْنَ أَيدِينَا، عَمُّ السَّيِّد حَيدَر الحِلِّيِّ الشَّاعِر.

(٤) دِيوَانُهُ، الَّذِي وُفِّقنَا لِتَحقِيقِهِ وَنَشرِه.

(٥) هَذَا الكتَابُ مَفقودٌ، لَم نَعْثَر عَلَى مَخطوطٍ لَه إِلَى اليَوْم.

(٦) مُقَدَّمةُ (العِقدِ المفصَّل)، طبعة الشابندر: الصفحة (ب).

تَرجَمَت لَهُ بِدُونِ اخْتِلَافٍ، لَكِنَّ سَنَةَ ولَادَتِهِ هَذِهِ يَشْتَرِكُ فِيهَا مَعَ أَخِيهِ الأَكبَرِ السَّيِّدِ سُلَيمَانَ الصَّغِيرِ(١)، وَقَد سَبَقَ أَنْ تَعَرَّضتُ لِهذِهِ المَسأَلَةِ فِي كِتَابِي (ديوان السَّيِّد سليمان الكبير) وَقُلتُ: يَظهَرُ أَنَّ هُنَاكَ خَطَأً مَا(٢)، وَهَذِهِ مَسأَلَةٌ مَتروكَةٌ لِلْبَحْثِ وَالتَّمْحِيص.

نَشَأَ السَّيِّدُ مَهديّ فِي وَسَطٍ عِلمِيٍّ وَأَدَبِيٍّ مَرمُوقٍ، وَمُنَاخٍ رُوحِيٍّ مُنَشِّطٍ لِلمَوَاهِبِ، وَمُنَمٍّ لِلإمكَانَاتِ العِلمِيَّةِ وَالأَدَبِيَّةِ، وَمُحَفِّزٍ لَهَا، فَشَبَّ نَاهِلًا مِن نَمِيرٍ عَذبٍ لَا ينَضَبُ، عَلَى أَخِيهِ الشَّاعِرِ وَالكَاتِبِ السَّيِدِ سُلَيمَانَ الصَّغِير(٣)، فَدَرَسَ عَلَيهِ عُلومَ العَربِيَّةِ، وَالأَدَبَ، وَالمَنطِقَ(٤)، وَاسْتَقْصَى دَوَاوينَ العَرَبِ، وَتَوَارِيخَهُم، وَأَيَّامَهُم، حَتَّى أَصبَحَ مَرجِعًا وَمَنهَلًا يَستَقِي مِنهُ رُوَّادُ الأَدَبِ(٥)، فَهُوَ الأَدِيبُ الشَّاعِرُ اللُّغَوِيُّ المُؤَرِّخُ(٦)، ثُمَّ اتَّجَهَ لِلدِّرَاسَةِ العِلمِيَّةِ الفِقهِيَّةِ، فَتَوَجَّهَ نَحوَ الشَّيخِ حَسَنِ بنِ الشَّيخِ جَعفَرٍ كَاشِفِ الغِطَاءِ(٧)

(١) هُوَ سُلَيمانُ بنُ دَاوودَ بنِ سُلَيمانَ وَالِدُ السَّيِّد حَيْدر الحِلِّيّ، سُمِّيَ بِالصَّغِيرِ؛ لِتَمْيِيزِهِ عَنْ جَدِّهِ (سُليمان الكَبير) المُشْتَرِك مَعهُ في الإسمِ (سليمان بن داوود).

(٢) ينظر: ديوان السَّيِّد سليمان الكبير ٥٠.

(٣) ينظر: أدب الطفِّ ٧/ ٢٠١.

(٤) ينظر: شعراء الحِلَّة ٥/ ٣٢٣.

(٥) ينظر: أدب الطفِّ ٧/ ٢٠١.

(٦) ينظر: الأعلام ٧/ ٣١٣، ومعجم المؤلِّفين ١٣/ ٢٨.

(٧) الشَّيخُ حَسَن بنُ الشَّيخِ جَعفرٍ الكَبير، وُلِدَ فِي النَّجَفِ الأَشَرفِ سَنةَ (١٢٠١هـ)، وَأَحرزَ المَنقولَ وَالمَعقولَ فِي صِباهُ، ثُمَّ اجْتَهَدَ وَعَمِلَ بِرأيِهِ قَبلَ العِشرينَ، وَتَلمذَ عَلَى عِظامِ المَشَايخِ، مِنهُم: وَالِدُه الشَّيخُ جَعفر الكَبيرُ وَأَخوهُ الشَّيخُ مُوسَى، وَالسَّيِّد جَوادُ العَامليُّ وَغَيرُهم، وَتَلمذَ عَلَيهِ وَاستَجَازَه كَثيرٌ مِنَ العُلماءِ أَمثال: السَّيِّد مَهدِي القَزوينِيّ وَالشَّيخ مَشكور الحَولَاويّ وَغَيرهُمَا، تُوفِّيَ -رِضوَان الله عَلَيهِ- سَنةَ (١٢٦٢هـ)، وَمِن آثَارِه: (أَنوَارُ الفَقَاهَةِ)، و(الرسائل العمليَّة)، و(رسالة في الإمامة) وغيرها. له ترجمة في: روضات الجنَّات ٢/ ٣٠٦، ومستدرك الوسائل ٢/ ١٤٢، ومرآة الكتب ٢/ ١٩، وتكملة نجوم السماء ١/ ٣٤٨، وتكملة أمل الآمل ٢/ ٣٣٩، والفوائد الرضويَّة ١/ ١٧٧، ومعارف الرجال ١/ ٢١٠، ومرآة الشرق ١/ ٤٤٧، وأعيان الشيعة ٥/ ٣٥، وريحانة الأدب ٥/ ٢٦، وماضي النجف وحاضرها ٣/ ١٤٧، والكرام=

(عَلَيهِ الرَّحمَةُ)، صَاحِب كِتَابِ (أَنوَار الفَقَاهَةِ) يَومَ كَانَ مُقِيمًا فِي الحِلَّةِ[1]، ثُمَّ هَاجَرَ إِلَى النَّجَفِ الأَشرَفِ لِيُكمِلَ تَعلِيمَهُ، فَحَضَرَ حَلَقَاتِ الأَعلَامِ فِي الفِقْهِ وَالأُصُولِ أَمثَال المَرجِعِ الشَّيخِ مُحَمَّد حَسَن بنِ الشَّيخِ بَاقِر صَاحِب كِتَابِ (جَوَاهِر الكَلَام)[2]، فَكَانَت تِلكَ المَرحَلَةُ تُؤَسِّسُ لِمَا بَعدَهَا لِكَي يَنفَلِتَ السَّيِّدُ مَهدِيّ عِملَاقًا فِي الأَدَبِ وَالشِّعرِ وَاللُّغَةِ.

قَالَ عَنهُ مُحَمَّد حِرزُ الدِّين[3]: «هَاجَرَ إِلَى النَّجَفِ وَأَقَامَ فِيهِ لِطَلَبِ العِلمِ وَحَضَرَ عَلَى أَشهَرِ عُلَمَائِهَا فِي الفِقْهِ وَالأُصُولِ حَتَّى أَصبَحَ مِن أَهلِ الفَضلِ وَالعِلمِ وَالتُّقَى، وَكَانَ شَيْخًا مِن شُيوخِ الأَدَبِ، وَشَاعِرًا ذَا قَرِيحَةٍ بَاهِرَةٍ»[4].

وَقَالَ عَنهُ العَلَّامَةُ الشَّيخُ مُحَمَّد عَلِي اليَعقُوبِيّ: «أَبو دَاوودَ العَالِمُ الأَديبُ السَّيِّدُ مَهدِيّ ابنُ دَاوودَ بنِ سُلَيمَانَ الكَبِير، كَانَت وِلَادَتُهُ فِي الحِلَّةِ الفَيحَاءِ سَنَةَ (١٢٢٢هـ)، ثُمَّ أَخذَ يَجِدُّ وَيجتَهِدُ بِفِكرةٍ مُنِيرَةٍ وَقَرِيحَةٍ غَزِيرَةٍ حَتَّى صَارَ بِنَظْمِ الشِّعرِ وَمَعرِفَةِ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ وَأَسرَارِهَا نَسِيجَ وَحدِه، وَعَدِيمَ نِدِّه، غَزِيرَ المَادَّةِ، كَثِيرَ الإِطلَّاعِ وَالوُقوفِ عَلَى أَشعَارِ العَرَبِ وَأَيَّامِهِم، حَافِظًا لِسِيَرِهِم وَتَوَارِيخِهِم، وَأَصبحَ مِن شُيوخِ صِنَاعَةِ الأَدَبِ فِي

=البررة ٣١٦، وشهداء الفضيلة ٣٨٣، ومكارم الآثار ١/ ١٢١، الدرر البهيَّة ١/ ٢٩٥-٣٠٤، والأعلام ٢/ ١٨٦، ومعجم المؤلِّفين ٣/ ٢١٢، ومعجم رجال الفكر والأدب في النجف ٣/ ١٠٤٠، وموسوعة طبقات الفقهاء ١٣/ ١٧٧.

(١) ينظر: شعراء الحِلَّة ٥/ ٣٢٣.

(٢) ينظر: معارف الرجال ٣/ ١٠١-١٠٤

(٣) مُحمَّد حِرزُ الدِّين: هُوَ الشَّيخُ مُحمَّد حِرزُ الدِّين بنُ عَليٍّ، وُلِدَ فِي النَّجَفِ الأَشرَفِ، وَتُوفِّيَ فِيه سِنةَ (١٣٦٥هـ). يَنتَسِبُ إِلَى قَبيلَةٍ عَرَبِيَّةٍ عِرَاقِيَّةٍ تُدعَى (بَنو سليم)، وَهوَ مِن بَيتٍ عِلمِيٍّ أَدَبِيٍّ أَخرجَ جَماعَةٌ مِنَ الفُضَلَاءِ، لَهُ مَا يَزيدُ عَلَى الأَربَعينَ مُؤَلَّفًا بَقِيَت مَخطوطَةً لَمْ تُطْبَع. وَطُبِعَ مِن كُتُبِهِ (مَعَارفُ الرِّجَالِ) فِي التَّرَاجِم، و(مَرَاقِد المَعَارِفِ). ينظر: مستدركات أعيان الشيعة ١/ ١٨٦.

(٤) معارف الرجال ٣/ ١٠١-١٠٤.

الحِلَّةِ، وَمِن صُدُورِ رِجَالِهَا وَنَـهَضَ فِيهَا بِأَعبَاءِ الزَّعَامَةِ الدِّينِيَّةِ وَالأَدَبِيَّةِ الَّتِي كَانَ يَقومُ بِـهَا أَعلَامُ أُسرَتِهِ قَبلَه»[1].

شيوخُهُ وطلَّابُه

كَانَ شَيخُهُ الأَوَّل الـحَقِيقِي أَخاهُ السَّيِّد سُلَيمَان الصَّغِير[2]، قَالَ عَنهُ الشَّيخ عَليّ الخَاقَانِيّ «وُلِدَ فِي الحِلَّةِ عَامَ (١٢٢٢هـ)، وَنَشَأَ فِيهَا عَلَى أَخِيهِ السَّيِّد سُلَيمان الصَّغِير المُتَوَفَّى (١٢٤٧هـ)، فَدَرَسَ العَرَبِيَّة عَلَيهِ، وَبَعضَ العُلُوم الأُخرَى مِنْ أَدَبٍ، إِلَى مَنطقٍ، ثُمَّ أَخَذَت مَواهِبُهُ تَسمُو إِلَى عَالَمِ الظُّهُورِ، فَمَارَسَ النَّظْمَ بَعدَ أَن حَفَظَ شَيئًا كَثِيرًا مِن شِعرِ العَرَب وَآدَابهم، وَحَصَلَ عَلَى اطِّلَاعٍ وَاسِعٍ فِي اللُّغَةِ، فَتَبَلوَر فِكرهُ، وَشَحَذَ ذِهنهُ، وَتَفَتَّحَت قَرِيحتُهُ، فَأَبدَعَ فِي النَّظْمِ، وَأَجَادَ فِي السَّبْكِ»[3].

ثُمَّ رَجَعَ إِلَى مَسقَط رَأسِهِ؛ لِيُقِيمَ الصَّلَاةَ جَماعَةً فِي المَسجِدِ المُجَاورِ لِدَارِهِ الَّذِي يُعرفُ بِـ(مَسجِد أَبو حواض)، وَهوَ العَالِمُ، الأديبُ، الشَّاعِرُ الَّذِي تَخَرَّجَ عَلَى يَدَيهِ عَددٌ لَيسَ بِالقَلِيلِ مِن أُدبَاءِ الحِلَّةِ وَشُعَرائِهَا، مِن مَدرسَتِهِ الأَدَبِيَّةِ فِي المَسجِدِ المَلاصِقِ لِدَارِهِ، وَالسَّيِّدُ حَيدَر الحِلِّيّ هُو أَحدُ أَبرزِ طُلَّابِهِ، فَبعدَ وَفَاةِ أَخيهِ السَّيِّدِ سُليمَانَ الصَّغِيرِ فِي طَاعُونِ عَام (١٢٤٧هـ)؛ تَبَنَّى السَّيِّدُ مَهديّ ابنَ أَخيهِ حَيدرًا، وَكَانَ فِي السَّنَةِ الثَّانِيةِ مِنَ العُمرِ، وَغَـذَّاهُ بِالعُلُومِ وَالآدَابِ حَتَّى جَعَلَ مِنهُ عِمْلَاقًا فِي فَنِّ الشِّعرِ وَالأَدَبِ لَا يُجَارَى.

قَالَ عَنهُ العلَّامة الشَّيخُ مُحَمَّدُ عَليِّ اليَعقُوبِيّ: «وَكَانَ (عَلَيهِ رَحمَةُ الله) عَلَى جَانِبٍ عَظِيمٍ مِنَ الوَرَعِ وَالصَّلَاحِ، بِحَيثُ كَانَ يَأتَمُّ بِهِ كَثِيرٌ مِنَ الصُّلَحَاءِ فِي مَسجِدٍ خَاصٍّ

(١) البابليَّات ٢/ ١٠٦.

(٢) ينظر: أدب الطفِّ ٧/ ٢٠١.

(٣) شعراء الحِلَّة ٥/ ٣٢٣.

مُلَاصِقٍ لِدَارِهِ يُعرَفُ بِمَسجِدِ (أَبو حواض)، وَكَانَ هَذَا الـمَسجِدُ مَدرسَةً أَدَبِيَّةً»[1]، تَـخرَّجَ مِنهَا عَددٌ مِن مَشَاهِيرِ أُدبَاءِ الحِلَّةِ، «مِنهُم: الشَّيخُ حَسَن مُصَبِّح[2]، وَالشَّيخُ حَمادِي الكَوَّاز[3]، وَالشَّيخُ حَسُّون بنُ عَبدِ الله[4]، وَالشَّيخُ عَلـيّ عِوَض[5]، وَالشَّيخُ مُحَمَّد

(١) البابليَّات ٢/ ١٠٧.

(٢) الشَّيخُ حَسَن مُصَبِّح: هُوَ حَسَن بنُ مُـحسِنٍ الْمُلَقَّبُ بِمُصَبِّح، نِسبَةً إِلَى جَدِّهِ الأَعلَى الشَّيخ مُصَبِّح، مِن قَبيلَةِ اليسَارِ الطَّائِيَّة الَّتِي تَقطُنُ شَمالِي الحِلَّةِ، أَقَامَ فِي النَّجَفِ عِشرِينَ عَامًا يَطلُبُ العِلمَ، فَأَصبَحَ عَالِـمًا فَاضِلًا أَدِيبًا شَاعِرًا، لَهُ دِيوَانٌ جَمَعَهُ بِنَفْسِهِ -وَفَّقَنَا اللهُ تَعَالَى لِتَحقِيقِه بِرِعَايَةِ وَإِشـرَافِ مَركزِ تُراثِ الحِلَّةِ التَّابِعِ لِلعَتَبَةِ العَبَّاسِيَّةِ الْمُقَدَّسَةِ، وَنَشَرَهُ المَركزُ فِي جُزئَينِ مُنْفَصِلِينِ- تَأَثَّرَ بِالكَوَّازِينِ صَالِح وَحَمَّادِي، وَالشَّيخ محمَّد (حمَّادي) نوح. تُوفِّيَ سَنةَ (١٣١٧هـ). لَهُ تَرجَمة فِي: أدب الطَّفِّ ٨/ ١٣١-١٤٢، وأعيان الشيعة ٢٣/ ٥٨، والبابليَّات ٣/ ٣١-٤٠، الذريعة ١٢/ ١٢٥، طبقات أعلام الشيعة ١/ ٤٢٩-٤٣٠، ومعجم المؤلِّفين ٣/ ٢٧٣، وأعلام الأدب في العراق الحديث ١/ ٢٦٨، موسوعة أعلام الحِلَّة ١/ ٥٦، والنهضة الفكريَّة في الحِلَّة ٧٧، والحسين عليه السلام في الشعر الحِلِّيّ ١/ ٢٤٧-٢٥١، وشعراء الحِلَّة السيفيَّة ٢٤١-٢٤٢.

(٣) الشَّيخُ حَمَّادي الكَوَّاز: فَلتةٌ مِن فَلَتَاتِ الدَّهرِ، إِنسَانٌ لَا يَعرِفُ القِراءَة وَلَا الكِتابَة، وَلَـم يَتَسَنَّ لَه دِرَاسَةُ اللُّغَةِ وَالعَروضِ وَالصَّرف، وَلَم تَتَهَيأ لَه إِلَّا فرصَةٌ وَاحِدةٌ هِي مَدرسَةُ السَّيِّد مَهديِّ بنِ السَّيِّد دَاوود، فَكَانَ مِـمَّنْ وَاظَبَ عَلَى الحُضُورِ وَالإِصغَاءِ لِـمَا يُقَالُ فِي دِيوانِ السَّيِّد، كَمَا استَفَادَ مِن أَخِيهِ الأَكبَر الشَّاعِرِ الشَّيخِ صَالِحٍ الكَوَّاز، تُوفِيَ رحمه الله سَنةَ (١٢٨٣هـ) مَرِيضًا وَعُمرُهُ لَا يَتَجَاوَزُ الثَّامِنةَ وَالثَّلاثِينَ سَنةً. له ترجمة في: الحصون المنيعة ٢/ ٤٤، ٢١٣، ٣١٣، ٩/ ٢٠٥، وأعيان الشيعة ٤٦/ ٦٤-٦٦، والبابليَّات ٢/ ٣٩، وشعراء الحِلَّة ٢/ ٣٦٩-٤٠٣، وأدب الطفِّ ٧/ ١٦١-١٧٢، ومجلَّة الاعتدال النجفيَّة، السنة الثالثة ٩.

(٤) حَسُّون بنُ عَبدِ الله: هُوَ الشَّيخُ حَسُّونُ (حُسَين) بنُ عَبدِ الله بنِ الحَاجِّ مَهدِيّ الحِلِّـيُّ مِن مَشَاهِيرِ الـخُطَبَاءِ فِي عَصرِهِ وَهوَ أَدَيبٌ وَمِن أَعلَامِ الشُّعَرَاءِ، وُلِدَ وَنَشَأَ فِي الحِلَّةِ وَمَاتَ فِيهَا سَنةَ (١٣٠٥هـ). ينظر: أعيان الشيعة ٢٥/ ٤٠٩، والبابليَّات ٢/ ٢٤٢-٢٥٩، وشعراء الحِلَّة ٢/ ١٣٩-١٧٠، وأدب الطفِّ ٨/ ٤٤-٥١.

(٥) الشَّيخُ عَلـيّ عِوَض: أَبو الأَمِين عَلـيّ بنُ حُسَين بنِ عَلِيٍّ آل عِوض الأَسَدِيُّ، رَجُلٌ صَافِي السَّرِيرَةِ، نَقِيُّ القَلبِ، طَاهِرُ الثَّوبِ. ناثر، ناظم، أديب، كاتب، شاعر، تُوفِّيَ فِي الحِلَّةِ سَنةَ (١٣٢٥هـ)، وَدُفِنَ فِي النَّجَفِ الأَشرَفِ، وَهوَ القَائِلُ حِينَ قَصَدَ الإِمَامَ مُوسَى بنَ جَعفَر عليه السلام=

الـمُلا[1]، وَالشَّيخُ عَليّ ابنُ قَاسِم[2]، وَالشَّيخُ حَمَّادِي نُوح[3]، الَّذِي طَالَمَا كَانَ يُعَبِّر عَنهُ فِي دِيوَانِهِ بِقَولِهِ: «سَيِّدُنا وَأُستَاذُنَا الأَعْظَمُ»[4].

=مُتَوَسِّلًا إِلَى الله تَعَالَى بِهِ:

فَـمَـنْ مُـبْـلِـغٌ عَـنِّـي بِـبَـابِـلَ أُســرَتِي ... وَفِـتـيَـانُ قَـومِـي مِـنْ دُبَـيْـسِ بـنِ مِـزيَـدِ

بِـأَنَّ ابـنَ خَـيْرِ الـرُّسْـلِ أَكـرَمَ جَانِبِي ... وَأَطـلَـقَ مِـن أَسرِ الحَـوَادِثِ مِـقْـوَدِي

له ترجمة في: الذريعة ٤/ ٦٢، وأعيان الشيعة ٤٠/ ٢١٣، والبابليَّات ٣/ ١٥٦-١٧٣، وشعراء الحِلَّة ٤/ ٣-٤٩، وأدب الطفِّ ٨/ ١٩١-١٩٦، و محاضرة الأديب ومسامرة الحبيب ٥-٧.

(١) الشَّيْخ مُحَمَّدِ الحِلِّيّ: هُوَ الشَّيخُ مُحمَّد بنُ حَمزةَ بنِ الحُسَين بنِ نُور عَليٍّ التَّستَريُّ الحِلِّيُّ الشَّهِيرُ بِابنِ الـمُلَّا، كَانَ أَديبًا فَاضِلًا، سَرِيعَ البَدِيهَةِ، حَادَّ الفِكرَةِ، ثَاقِبَ الفَهم، يَتَدَفَّقُ شَاعِرِيَّةً، تَتَلمَذَ عَلَى يَدِ السَّيِّد مَهدِي بنِ دَاوودَ الحِلِّيّ، وَالشَّاعِرِ مُحَمَّدِ سَلمانَ نُوحٍ، وَالشَّيخ حَمزَة البَصير، كَانَ خَطِيبًا لَهُ مَكانَةٌ اجْتِمَاعِيَّة وَأَدَبِيَّةٌ سَامِيةٌ، فَقَدَ بَصرَه فِي الأَربَعين مِن عُمرِهِ، تُوفِّي فِي الحِلَّة سَنَة (١٣٢٢هـ)، وَدُفِنَ فِي النَّجَفِ الأَشرَفِ، وَتَرَكَ دِيوَانًا فِيهِ مَا يَربو عَلَى الثَلاثِينَ أَلف بيتٍ، أَكثَرُ شِعرِهِ فِي أَهلِ البَيتِ عليهم السلام، وَهوَ مُكثِرٌ مُجيدٌ، قَالَ وَلَدُه قَاسِم إِنَّه يَحتَفِظُ مِن شِعرِ وَالِدِهِ عَلَى زُهَاءَ الخَمسِينَ أَلف بَيتٍ. لَه تَرجَمة فِي: الحصون المنيعة ٢/ ٣٤١، والذريعة ٩/ ق١/ ٣٠، وأعيان الشيعة ٤٣/ ٢٦٤، والبابليَّات ٣/ ٩١-١٠٣، والطليعة ٢/ ٢٢٠، وشعراء الحِلَّة ٥/ ٢٠٩، وأدب الطفِّ ٨/ ١٧٤ ١٨١، والأعلام ٦/ ١١٠، ومعجم المؤلِّفين ٩/ ٢٧١، والعقد المفصَّل ١/ ٤٧٤.

(٢) الشَّيخُ عَليُّ بنُ قَاسِم (جَاسِم) الأَسَديُّ، كَانَ أَبوهُ يَسكُنُ الهِندِيَّةَ، ثُم انتَقَلَ إِلَى الحِلَّةِ، وَهوَ مِنَ الشُّعَرَاءِ الْمُعَمرِينَ، وُلِدَ سَنَةَ (١٢٤٠هـ)، وَتُـوفِّيَ سَنة (١٣٣٢هـ). ينظر أعيان الشيعة ٤٤/ ٣٠١، والذريعة ٩/ ق٣/ ٧٥٢، والبابليَّات ٣/ ٢٦٥-٢٧٥، والطليعة ٢/ ٧٠، وشعراء الحِلَّة ٤/ ١٢٧-٢٠٨، وأدب الطفِّ ٨/ ٢٤٧-٢٥٠.

(٣) الشَّيخُ محمَّد (حمَّادِي) نُوح: هُوَ أَبو هِبةِ الله مُحمَّد (حمَّادِي) بنُ سَلمانَ بنِ نُوحٍ الكَعْبِيُّ الأَهوَازِيُّ الحِلِّيُّ، وُلِدَ فِي الحِلَّةِ سَنةَ (١٢٤٠هـ)، وَفِيهَا شَبَّ وَنَشَأَ وَأَخَذَ عُلُومَهُ عَنِ السَّيِّد مَهديِّ ابنِ السَّيِّد دَاوودَ، وَالشَّيخِ الأَديبِ حَسَن الفَلوجِيّ الحِلِّيّ، وَهوَ شَاعِرٌ مُفلِقٌ مُكثِرٌ طَويلُ النَّفَسِ ذَائِعُ الصِّيتِ، كَانَ صَاحِبُ حَانُوتٍ فِي الحِلَّةِ يَجتَمِعُ إِلَيهِ الشُّعَرَاءِ وَالأُدبَاءِ لِيأَخذُوا عَنهُ. وَتُوفِّيَ فِي ٢٣ صفر (١٣٢٥هـ) وَدُفِنَ فِي النَّجَفِ الأَشرَفِ، تَركَ لَنَا دِيوَانًا ضَخمًا وُفِّقنَا لِتَحقِيقِهِ بِجُزئَينِ.

ينظر: الحصون المنيعة ٧/ ١٤٥، وأعيان الشيعة ٤٤/ ٣٤٧، والطليعة ١/ ٢٩٠، والبابليَّات ٣/ ١٣٠-١٥٥، وشعراء الحِلَّة ٢/ ٣٤٤-٣٦٩، وأدب الطفِّ ٨/ ١٩٧-٢١٣.

(٤) ديوان الشاعر حمَّادي نوح(خ): ٣٩٦، والبابليَّات ٣/ ١٣١.

وَقَد عُنِيَ السَّيِّدُ مَهدِيّ عِنايةً فَائِقَةً فِي تَهذِيبِ ابنِ أَخِيهِ وَرَبِيبِ حِجرِهِ حَيدَر، إِذْ كَفَلَهُ بَعدَ وَفَاةِ أَبِيهِ، «فَكَانَ لَهُ أَبًا وَمُهَذِّبًا كَمَا صَرَّحَ بِذَلِكَ السَّيِّدُ حَيدَر فِي قَصِيدَتِهِ الَّتِي رَثَاهُ بِهَا وَقَلَّمَا يُوجَد مِثلُهَا فِي مَرَاثِيهِ وَمَطْلَعُهَا: [من الكامل]

أَ ظُبَى الرَدَى انْصَلِتِي وَهَاكِ وَرِيدِي ذَهَبَ الزَّمَانُ بِعُدَّتِي وَعَدِيدِي»[1]

وَفَاتُه

انْتَقَلَ المَرحُومُ السَّيِّدُ مَهدِيّ إِلَى جِوَارِ رَبِّهِ فِي الرَّابِعِ مِنَ المُحَرَّمِ الحَرَامِ سَنَةَ (١٢٨٩هـ)، كَمَا أَثبَتَ ذَلِكَ الشَّاعِرُ الشَّيخُ مُحَمَّد بنُ الشَّيخِ حَمزَةَ المَعرُوفُ بِابنِ المُلَّا -أَحَدُ تَلَامِيذِهِ- الَّذِي رَثَاهُ بِقَصِيدَةٍ، وَعَزَّى بِهَا السَّيِّدَ مَهدِيّ القَزوينيَّ، مَطلَعُهَا: [من المتقارب]

أَقِلِّي المَلَامَ وَوَجْدًا أَدِيمِي فَإِنْ تَجِدِي لِي فُؤَادًا فَلُومِي

وَأَرَّخَ سَنَةَ وَفَاتِهِ فِي آخِرِ بَيتٍ بِقَولِهِ:

وَحِينَ مَضَى جَاءَ تَأرِيخُهُ (مَضَى عَجِلًا لِجِنَانِ النَّعِيمِ)[2]

التأريخ: ٨٥٠+١٠٤+١٣٤+٢٠١=١٢٨٩هـ

لَكِنَّ تَأرِيخَ وَفَاتِهِ كَانَ مَوضِعَ اخْتِلَافٍ بَينَ مَن أَرَّخُوا لَهُ، فَمِنهُم مَن ذَكَرَ أَنَّهُ تُوفِّيَ سَنَةَ (١٢٨٧هـ)، مِنهُم السَّيِّدُ مُحسِنُ الأَمِينِ فِي أَعيَانِ الشِّيعَةِ[3]، وَالشَّيخ مُحَمَّد السَّمَاوِيّ فِي الطَّلِيعَة[4]، وَالشَّيخ أَغَا بُزُرك الطَّهرَانِي فِي الذَّرِيعَة[5].

(١) ديوان السَّيِّد حيدر الحِلِّيّ ٢/ ٨٧.
(٢) البابليَّات ٢/ ٧٧.
(٣) أعيان الشيعة ٤٧/ ١٤٨.
(٤) الطليعة ٢/ ٣٥٥.
(٥) الذريعة ٢١/ ١٠٠.

أَمَا الشَّيخُ عَليٌّ الخَاقَانِيُّ فَقَد ذَكَرَ فِي شُعَراءِ الحِلَّةِ، أَنَّهُ تُوفِّيَ سَنَةَ (١٢٨٨هـ)[١]، وَفِي الدُّرِّ النَّضِيدِ يُثبِتُ لَهُ السَّيِّدُ مُحسِن الأَمِين سَنَةَ وَفَاتِهِ (١٢٨٩هـ)[٢]، وَهوَ الصَّحِيحُ كَمَا ذَكَرتُ ذَلِكَ آنفًا.

آثَارُه

مِنْ آثَارِهِ الَّتِي تَرَكَهَا لَنَا وَالَّتِي كَانَت إِلَى عَهدٍ قَرِيبٍ مَوجُودةً فِي الحِلَّةِ عِندَ حَفِيدِهِ السَّيِّدِ هَادِي بنِ السَّيِّدِ حَمزَةَ:

١. **دِيوَانُهُ** الَّذِي يَقَعُ فِي جُزأَينِ، الأَوَّلُ فِي مَدِيحِ أَهْلِ البَيتِ عليهم السلام وَرِثَائِهِم، وَالثَّانِي فِي الإِخوَانِيَّاتِ، وَقَد وُفِّقتُ لِتَحْقِيقِهِ وَنَشْرِهِ -وَالحَمدُ لله- مُعْتَمِدًا نُسْخَتَينِ مِن مَخطُوطَتِهِ، الأُولَى بِخَطِّ العَلَّامَةِ الشَّيخِ مُحَمَّد السَّمَاوِيّ، وَهِيَ مَحفوظةٌ فِي مَكتبَةِ الإِمَامِ الحَكِيمِ العَامَّةِ فِي النَّجَفِ الأَشرَفِ -وَعِندِي صُورةٌ مِنهَا- وَالثَّانِيةُ بِخَطِّ الخَطِيبِ الشَّيخِ مَهدِي ابنِ الشَّيخِ يَعقُوبَ النَّجَفِيّ الحِلِّيّ، المتوفَّى (١٣٧٢هـ)، وَقَد قَامَ الخَطِيبُ عَليُّ بنُ الحُسَينِ الهَاشِمِيُّ النَّجَفِيُّ بِنَسخِهَا لِحِسَابِ السَّيِّدِ هَادِي ابنِ السَّيِّد حَمزَةَ[٣] وَهِيَ الَّتِي كَانَت عِندَه فِي الحِلَّةِ، وَعِندِي صُورةٌ مِنهَا.

٢. **مِصبَاحُ الأَدَبِ الزَّاهِر**: وَهوَ الكِتَابُ الَّذِي بَينَ أَيدِينَا، مَوْجُودٌ عِندَ آلِ كُبَّة فِي بَغدَادَ، قَالَ الشَّيخُ أَغَا بُزرك فِي الذَّرِيعَةِ: «كِتَابٌ جَلِيلٌ فِي الأَدَبِ ذو فَوَائِدَ تَأْرِيخِيَّةٍ وَأَحوَالِ بَعضِ العُلَمَاءِ المُعَاصِرِينَ لَهُ، وَهوَ كَبِيرٌ يَزِيدُ عَلَى عِشرِينَ أَلفِ بَيتٍ، جَمعَ فِيهِ مَا أَنشَأَهُ هُوَ وَابنُ أَخِيهِ السَّيِّدُ حَيدَر المَذكورُ مِنَ النَّظمِ وَالنَّثرِ

(١) شعراء الحِلَّة ٥/ ٣٢٥.

(٢) الدُّرُّ النَّضِيدِ ٥٥.

(٣) ينظر: البابليَّات ٢/ هامش الصفحة ٧١.

وَالقَصَائِدِ وَالرَّسَائِلِ فِي مَديحِ العَالِمِ الحَاجِّ مُحَمَّد صَالِحٍ كُبَّة»[1].

٣. **أَنوَاعُ البَديعِ**: قَالَ عَنهُ الشَّيخُ عَليّ الخَاقَانِيّ: «مَجمُوعٌ يَتكَفَّلُ البَحثَ عَن أَنوَاعِ عِلمِ البَديعِ، وَتَراجِمَ بَعضِ الشُّعَرَاءِ، وَنَوادِرَهُم، وَمَحاسِنَهُم، وَسَقَطَاتِهِم، وَبَعضَ الحِكايَاتِ، بَرهَنَ فِيهِ عَلَى غَزَارَةِ عِلمِهِ وَاطِّلَاعِهِ، رَأَيتُهُ بِخَطِّ الشَّاعِرِ الخَطِيبِ قَاسِمِ المُلَّا، فَرَغَ مِن كِتَابَتِهِ يَومَ ٢٢ رَجب (١٣٦٣هـ)، وَقَد وَضَعَ تَرجَمَتِي هَذِهِ مُقَدَّمَةً لَه التَقَطَهَا مِنْ مَجلَّةِ الغَريِّ لِسَنَتِهَا الثَّالِثَةِ، وَيَقَعُ فِي (٢٨٢) صَحيفَةً عَددُ سُطُورِ الصحيفة (١٩)سَطرًا، طُولُه (٢٥)سم، وَعَرضُهُ (١٨) سم، وسمكه (٣)سم»[2]. مَفقُودٌ فِي الوَقْتِ الحَاضِرِ.

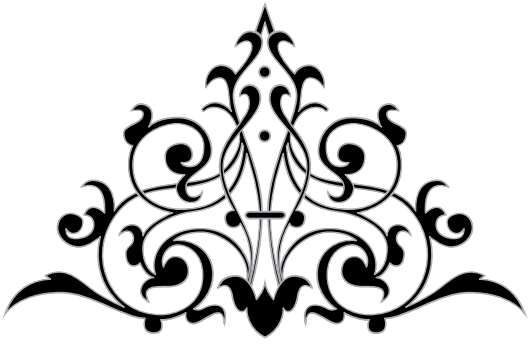
٤. **المُختَارُ مِن شِعرِ العَرَبِ**: يَقَعُ فِي جُزْأَينِ ضَخمَينِ[3]. مَفقُودٌ أَيضًا.

(١) الذريعة ٢١/ ١٠١.

(٢) شعراء الحِلَّة ٥/ ٣٢٨.

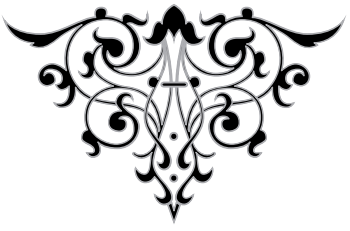
(٣) ينظر: الذريعة ٢٠/ ١٦٨.





الفصل الثاني

مخطوطة الكتاب ومنهج التحقيق





الفصل الثاني

مخطوطة الكتاب ومنهج التحقيق

وَصفُ مَخطُوطَةِ الكِتابِ

تُوجَدُ مَخطوطَةُ الكِتَابِ الأَصلِيَّةُ بِخَطِّ السَّيِّدِ حَيدَرٍ الحِلِّيِّ ابنِ أَخِي المُصَنِّفِ عِندَ عَائِلَةِ آلِ كُبَّةٍ الكَرِيمَةِ فِي بَغدَادَ، وَلَمْ أَتَمَكَّنْ مِنَ الاطِّلَاعِ عَلَيهَا أَوِ الحُصُولِ عَلَى صُورَةٍ مِنهَا فِي الوَقتِ الحَاضِرِ، وَلَكِن لِي أَمَلٌ فِي ذَلِكَ مُسْتَقْبلًا.

أَمَّا الآنَ فَقَد حَصَلتُ عَلَى صُورةٍ لِمَخْطُوطَةِ الكِتَابِ بِخَطِّ السَّيِّدِ حَيدَر الحِلِّيِّ كَمَا جَاءَ فِي آخِرِهَا، وَلَا أَعلَمْ هَلْ هِيَ صُورةُ المَخطُوطَةِ الَّتِي عِندَ آلِ كُبَّةَ أَو غَيرِهَا. وَهَذَا وَصفُهَا:

– **صُورةُ المَخطوطةِ** تَتَكوَّنُ مِن (٢٢٠) لَقطَةً، كُلُّ لَقطَةٍ مِنهَا تَضُمُّ صَحيفَتَينِ من المخطوطةِ، تَبدأ مِنَ الصُّورَةِ ذَاتِ الرَّقمِ (٤) وَتَنتَهِي بِالصُّورَةِ ذَاتِ الرَّقَم (٢٢٠)، وَلَاحظتُ تَكرَار بَعضِ اللَّقَطَاتِ، مِمَّا يَنتَجُ عَن ذَلِكَ أَنَّ عَدَدَ صَحَائِفِ المَخطُوطَةِ تُسَاوي (٣٧٦) صَحِيفَةً.

– **الصُّورَةُ الأُولَى فِيهَا**: رَقمُ المَخطُوطَةِ (٤٣٧٤). وَالصُّورَةُ الثَّانِيةِ فِيهَا (بِطَاقَةُ المَخطُوطَةِ): اسمُ المَخطُوطَةِ: (مِصبَاحُ الأَدبِ الزَّاهِرِ لِذَوي البَصَائِرِ) مُصَوَّرٌ عَنِ المَخطُوطَةِ المَحفُوظَةِ بِدَارِ الكُتُبِ القَومِيَّةِ [في القَاهِرَة] تَحتَ الرَّقَم (١١٩٤)[1] شِعر.

(١) الظَّاهِرُ أَنَّ هَذِهِ النُّسْخَةُ هِيَ النُّسخَةُ الَّتِي ذَكَرَتهَا الدكتورة أَحلَام فَاضِل عَبُّود.=

- **الصُّورةُ الثَّالِثَةُ مِن صَحيفَتَينِ**: الَّتِي عَلَى اليَمِينِ كُتِبَ عَلَيهَا (فِهرسُ الكِتَابِ) بِخَطٍّ مُغَايِرٍ لِخَطِّ المَخطُوطَةِ، تَضَمَّنَ مَا يَأتِي:

- ٣ [المُقَدِّمَةُ]: فِي فَضلِ الشِّعرِ وَمَا انْطَوَى فِيهِ مِنْ حِكمَةٍ وَمَا وَردَ فِيهِ مِن مَدحِ نَبِيِّ الرَّحمَةِ ﷺ، وَبَعضِ مَا أُتِيَ فِيهِ مِن حَدِيثِ الأَئِمَّةِ، وَظَرَائِفَ مِن عِلمِ الأَدَبِ.
- ٥٥ البَابُ الأَوَّلُ: فِي إِثْبَاتِ مَا ادَّعَيناهُ فِي أَوَّلِ الكِتَابِ مِن أَنَّ مَديحَ شُعَرَاءِ هَذَا العَصرِ لَا يَلِيقُ أَنْ يَكونَ فِي شَأنِ إِنسَانِ عَينِ الدَّهْرِ.
- ١٤٩ البَابُ الثَّانِي: فِي المَديحِ.
- ٢٤٥ البَابُ الثَّالِثُ: فِيمَا أَنشَأنَاهُ لَهُ مِنَ التَّهنِئَاتِ فِي بَنِيهِ النُّجُومِ الزَّاهِرَاتِ.
- ٣٠٨ البَابُ الرَّابِعُ: فِيمَا أَنشَأنَاهُ مِنَ الرِّثَاءِ فِي مَنِ انْتَقَلَ مِن ذُرِّيَةِ أَبنَاءِ العَلَاءِ [إِلَى دَارِ البَقَاءِ].
- ٣٦٢ الخَاتِمَةُ: فِي مَا أَنشَأنَاهُ مِنَ العِتَابِ لِرَئِيسِ الجَحَاجِحِ الحَاجِّ مُحَمَّد صَالِح.

أَمَّا الصَّحيفَةُ الَّتِي عَلَى الشِّمَالِ من هذه اللَّقْطَةِ فَقَد كَتَبَ فِيهَا الشَّيخُ مُحَمَّدُ حَسَنُ كُبَّة -عَلَيهِ رَحمةُ الله- مَا يَأتِي:

بِسمِ الله الرَّحمَنِ الرَّحِيمِ

كُنتُ شَاهِدَ النَّظَرِ مِن هَذَا الكِتَابِ الرَّائِقَةِ عِبَارَاتُهُ وَمَبَانِيه، الفَائِقَةِ إِشَارَاتُهُ وَمَعَانِيه، الشَّرِيفَةِ مَرَامِيه وَمَقَاصِدُه، اللَّطِيفَةِ مَصَادِرُهُ وَمَوَارِدُه، المَثنِيُّ عَلَى مُنشِيهِ بِلِسَانِ إِحسَانِهِ

= ينظر السَّيِّد حَيدَر الحِلِّيّ- حَياتُه وَأَدبُه ٣٤.

وَابدَاعِه، وَبَيَانِ نَظمِهِ وَأَسْجَاعِه، رَوضَةٌ تَلحَظُ مِنهَا الأَبصَارُ زَهرَا، فَتَقطِفُه الأَنظَارُ فَتَرَاهُ دُرًّا، فَتُحَقِّقُهُ الأَفْكَارُ فَتَجِدُهُ سِحرَا، فَلَا تَعلَمُ أَ شَاهَدَتْ رَوضَةً أَم وَجَدَت بَحرَا، وَهَذَا غَيرُ بَعيدٍ عَمَّنْ خَصَّهُمُ اللهُ بِالتَّأْيِيد.

حَرَّرَه غَريقُ بَحرِ الخَطَايَا فِي السِّرِّ وَالعَلَنْ
نَجلُ الرَّاجِي عَفوَ رَبِّهِ الصَّافِحِ
الحَاجُّ مُحَمَّدُ الصَّالِحُ مُحَمَّدُ حَسَنُ سَنَةَ (١٢٨٥هـ)

وَقَالَ المَذكورُ أَيضًا، مُقَرِّضًا عَلَى مَا اسْتُودِعَ فِي هَذَا الكِتَابِ مِنَ الأَلفَاظِ الَّتِي هِيَ كَنَفَحَاتِ الرِّيَاضِ، وَالمَعَانِي الَّتِي تَفْعَلُ بِالعُقُولِ فِعلَ الحَدَقِ المِرَاضِ بِهذَينِ البَيتَينِ: [الوافر]

١. كَوَاكِبُ فِي سَمَاءِ الطِّرسِ لَاحَتْ بِهَا السَّارِي اهْتَدَى فِي الشِّعرِ نَهجَهْ
٢. وَيَنْظُرُهَا الظَّرِيفُ إِذَا رَآهَا مُزَيَّنَةً حِدَائِقَ ذَاتَ بَهجَهْ

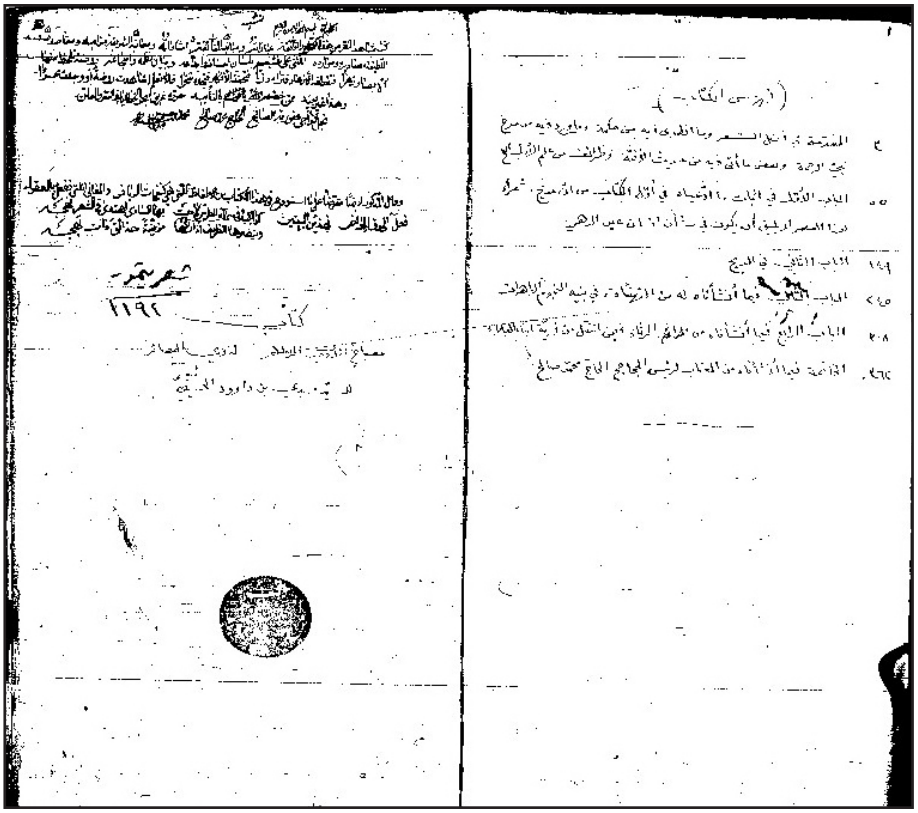
وَتَحتَ هَذَا كُتِبَ: «مِصبَاحُ الأَدَبِ الزَّاهِرِ لِذَوِي البَصَائِرِ لِلسَّيِّدِ مَهدِيّ بنِ دَاوودَ الحُسَيْنِيّ».

وَتَحتَهُ خَتمٌ لَم أَتَمَكَّنْ مِن قِرَاءَةِ مُحتَوَاه.

الخَطُّ وَاضِحٌ وَجَيِّدٌ، وَالصَّحيفَةُ تَضُمُّ (٢٨) سَطرًا.

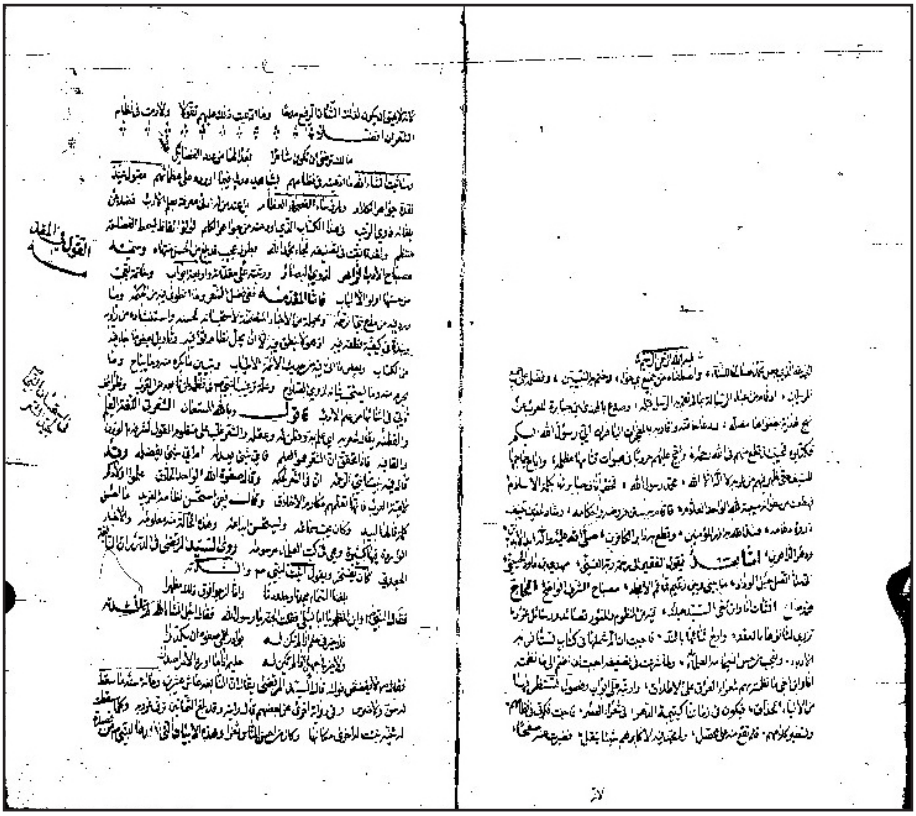
لَا تَخلو المَخطُوطَةُ مِن أَخطَاءٍ إِملَائِيةٍ وَأَخطَاءٍ نَاتِجَةٍ عَنْ سَهوِ النَّاسِخِ، وَسَبقِ القَلَمِ.

فِي الصَّحيفَةِ الأَخِيرَةِ مِنهَا كَتَبَ النَّاسِخُ رحمه الله: «كَانَ الفِرَاغُ مِنهُ يَومَ الرَّابِعِ عَشَرَ مِنَ جُمَادَى الثَّانِيةِ مِنْ شُهورِ [الـ]سَنَةِ التَّاسِعَةِ وَالسَّبعِينَ وَالمِئَتَينِ وَالأَلفِ هِجريَّة عَلَى يَدِ أَفقَرِ العِبَادِ إِلَى رَحمَةِ رَبِّهِ الغَنِيِّ حَيدر بنِ سُلَيمانَ الحُسَينيِّ وَالحَمدُ للهِ رَبِّ العَالمِينَ».

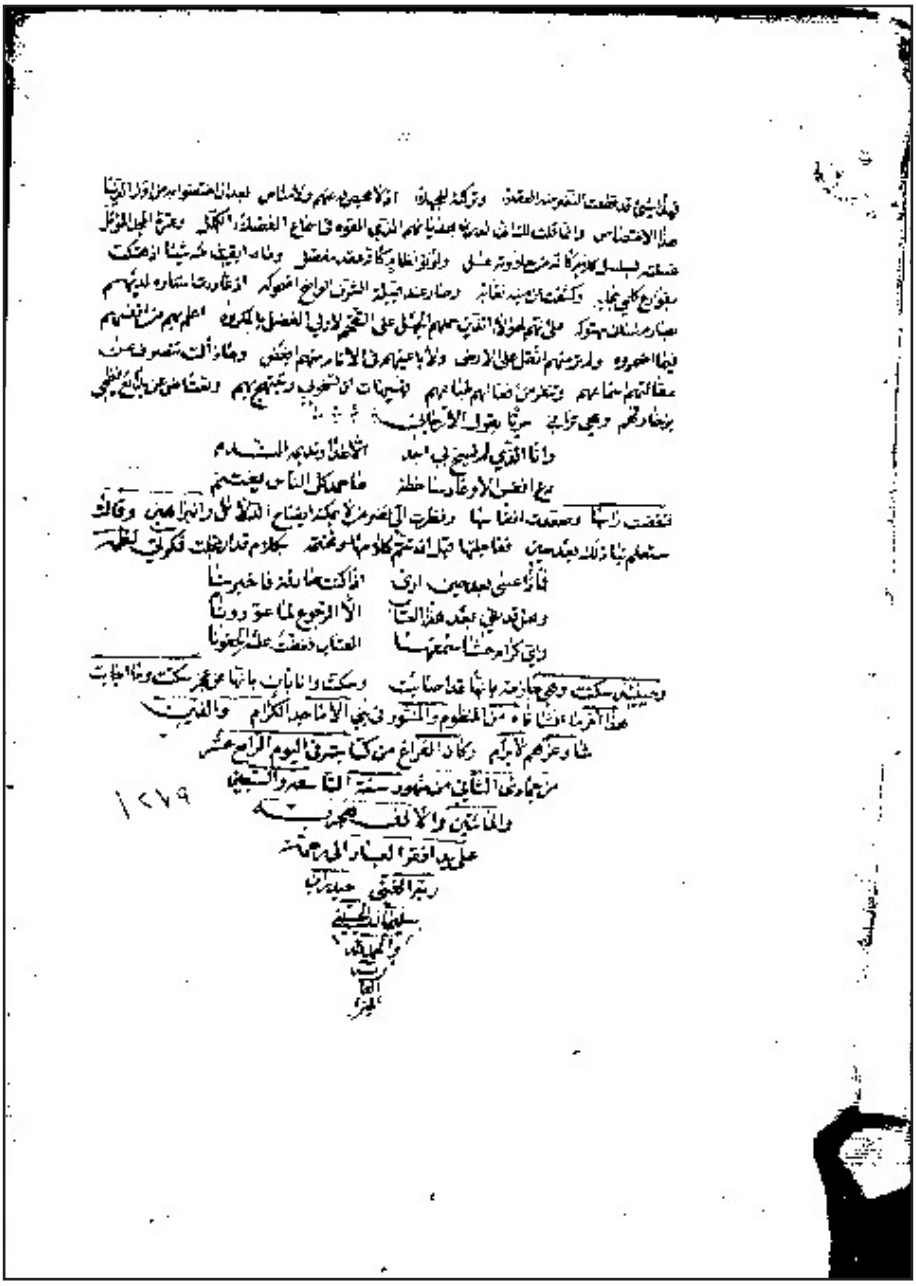


صحيفتا ما قبل الكتاب

الفصل الثاني



الصحيفَتان الأولى والثانية من المخطوطة



الصحيفة الأخيرة من المخطوطة

منهجُ التَّحقيقِ

اتَّبعتُ فِي عَمَلِي لِتَحقيقِ هذا الديوانِ مَنهجًا عِلميًّا يَتَلخَّصُ بِمَا يَأتي:

١. نَسْخُ الكِتابِ وفَاقًا لِقَوَاعِدِ الإِملَاءِ الحَديثِ، وَعَدَم التَّقَيُّدِ بِرَسْمِ النّاسِخِ.

٢. الاعتمادُ على نسخةٍ يتيمةٍ، ولم نتمكَّنْ من الحصولِ على نسخةٍ ثانيةٍ منها في الوقتِ الحاضرِ.

٣. ترقيمُ القصائدِ والمُقطَّعاتِ والتُّتفِ، وترقيمُ الأبياتِ؛ لِيَسْهَلَ الرُّجُوعُ إِلَيهَا.

٤. ضَبْطُ النَّصِّ ضَبْطًا كامِلًا؛ لإِعَانَةِ القَارِىءِ عَلَى سَلامَةِ نُطْقِهِ اللُّغَوِيّ.

٥. تَفْسِيرُ الْمُفْرَدَاتِ الَّتِي تَحْتَاجُ إِلَى إِيضَاحٍ بِالرُّجُوعِ إِلَى الْمُعْجَمَاتِ الْمُخْتَصَّةِ بِذَلِكَ.

٦. إثباتُ اسْمِ البَحرِ لِكُلِّ قَصِيدَةٍ أو مُقَطَّعَةٍ.

٧. التَّعريفُ بِالأَعْلامِ وَالمَوَاضِعِ وَمَا يتَّصِلُ بِهَا، وَكِتَابَةُ التَّراجِمِ لِكُلِّ مَن اسْتَطَعتُ أَنْ أُتَرْجِمَ لَهُ.

٨. إِثْباتُ صَحَائِفَ مُصَوَّرَةٍ مِنَ المَخطُوطَاتِ؛ لِمَا لِذَلِكَ مِنْ دَلالَةٍ عِلمِيَّةٍ.

٩. صُنعُ فهرسٍ للآياتِ القرآنيَّةِ.

١٠. صُنعُ فهرسٍ للحديثِ النبويِّ وأحاديثِ المعصومِينَ عليهم السلام.

١١. صُنعُ فهرسٍ لأَعلامِ ذَوي العِصمةِ عليهم السلام.

١٢. صُنعُ فهرسٍ للأعلامِ.

١٣. صُنعُ فهرسٍ لأسماءِ الأُسرِ والقبائلِ.

١٤. صُنعُ فهرسٍ للمواقعِ والمؤسَّساتِ الثقافيَّة.

١٥. صُنعُ فهرسٍ للأَيَّامِ والوقَائعِ.

١٦. صُنعُ فهرسٍ لأسماء المُدن والبِقاع.

١٧. صُنعُ فهرسٍ للقوافي.

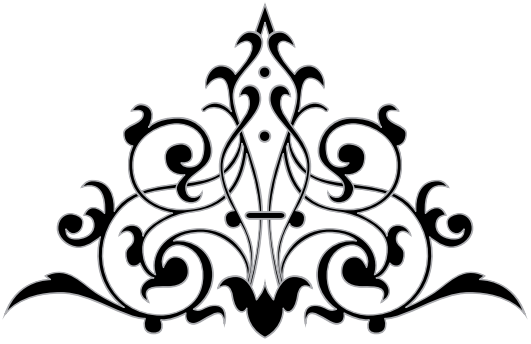
١٨. صُنعُ فهرسٍ للمصادر والمراجع.

١٩. صُنعُ فهرسٍ للمحتويات.

رموزُ بعضِ المصادرِ والمراجعِ المستعملةِ في التَّحقيقِ

- التاجُ: تاجُ العروسِ.
- اللِّسانُ: لسان العربِ.
- خزانةُ البغداديّ: خزانةُ الأدبِ ولُبِّ لُبابِ لسانِ العربِ للبغداديّ.
- خزانةُ الحمويّ: خزانةُ الأدبِ وغايةُ الإربِ لابنِ حجَّةَ الحمويّ.
- المعاصِرَةُ: معجمُ اللغةُ العربيَّةِ المعاصرةِ.
- معجمُ الصَّوابِ: معجمُ الصَّوابِ اللغويّ.
- الوسيطُ: المعجمُ الوسيطُ.



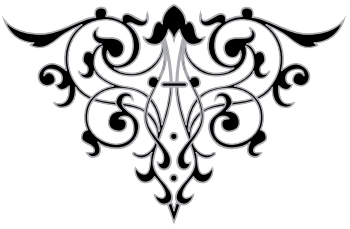


مصباح الأدب الزاهر

لذوي البصائر

للسيد مهدي بن داود الحلي

(١٢٢٢ - ١٢٨٩ هـ)





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحَمدُ لله الَّذِي جَعَلَ مُحَمَّدًا ﷺ صَالحًا لِلثَّناء، وَاصْطَفَاهُ مِن جَمِيعِ بَنِي حَوَّاء، وَخَتَم بِهِ النَّبِيِّين عليهم السلام، وَفَضَّلَهُ عَلَى جَمِيعِ المُرسَلِينَ عليهم السلام، إِذ قَامَ مِن أَعبَاءِ الرِّسَالَةِ بِمَا لَم تَقُمْ بِهِ الرُّسلُ قَبلَهُ، وَصدَعَ بِالهُدَى بَينَ جَبَابِرَةِ العَربِ عَن نَهجِ الهِدَايَةِ بِطَغْوَاهَا مُضِلَّةً، وَدَعَا حَامَّتَهُ وَأَقَارِبَهُ بِالمُعْجِزَاتِ البَاهِرَاتِ: ﴿**إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ**﴾[1]، فَكَذَّبُوهُ فَحِينَئِذٍ قَطَعَ مِنهُم فِي الله رَحِمَه، وَأَجَّجَ عَلَيهِم حُروبًا فِي هَبَوَاتٍ قَتَامُهَا مُظلِمَةٌ، وَأَبَاحَ جَمَاجِمَهَا لِلسَّيفِ حتَّى ظَهرَ فِيهِم مِن غَربِهِ: **لَا إِلَه إِلَّا الله مُحَمَّدٌ رَسولُ الله**. فَخَطَمَ[2] آنَافَ جَبَابِرَتِهَا بِكَلمَةِ الإِسلَامِ، فَهَطَعَتْ[3] مِن سَطَوَاتِهِ مُنِيبَةً لله الوَاحِدِ العَلَّامِ. فَأَقَامَ بِهِ سُنَنَ فُروضِهِ وَأَحكَامَهِ، وَشَادَ لِلدِّينِ الحَنِيفِ ذِروةَ دِعَامِهِ، فَشَدَّ اللهُ بِهِ أَزرَ المُؤمِنِينَ، وَقَطعَ بِهِ دَابِرَ الكَافِرِينَ، صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ أَبَدَ الآبِدِينَ، وَدَهرَ الدَّاهِرِينَ.

أَمَّا بَعدُ، فَيَقُولُ الفَقِيرُ إِلَى رَحمَةِ رَبِّهِ الغَنِيّ، مَهدِيّ بنُ دَاوودَ الحُسَينِيّ: إِنِّي لَـمَّا اتَّصَلَ حَبلُ الـوِدَادِ مَا بَينِي وَبَينَ زَعِيمِ قُماقِمِ الأَمجَـادِ[4]، مِصبَاحِ الشَّـرَفِ الوَاضِحِ، الحَاجِّ مُـحمَّد صَالِح، أَنشَأْتُ -أَنَا وَابنُ أَخِي السَّيِّد حَيدَر- فِيهِ مِنَ المَنظُومِ وَالمَنثُورِ قَصائِدَ

(١) سورة الأعراف/ ١٥٨، وسورة الصف/ ٥ و٦.

(٢) خَطَمَه بالخِطام: جَعَلَ الخِطام عَلَى أَنفه، والخِطامُ كلُّ مَا وُضِع فِي أَنف الْبَعِيرِ؛ ليُقاد بِهِ. (اللسان ١٢/ ١٨٧).

(٣) أَسْرَعَ مُقْبِلًا خائِفًا، لَا يَكُونُ إِلَّا معَ خَوْفٍ، والمُهْطِعُ: مَن يَنْظُرُ فِي ذُلٍّ وخُضُوعٍ، لَا يُقْلِعُ بصَرَهُ. (التاج ٢٢/ ٣٩٨).

(٤) القَمْقَامُ والقُـمَاقِمُ مِنَ الرِّجَالِ: السَّيِّد الْكَثِيرُ الْـخَيْرِ الْوَاسِعُ الْفَضْلِ. يُقَالُ: سَيِّدٌ قُـمَاقِمٌ؛ لِكَثْرَةِ خَيْرِهِ. (اللسان ١٢/ ٤٩٤).

وَرَسَائِلَ غُرَر[1]، تُزرِي لآلِئُهَا بِالعِقدِ، وَأَرجُ ثَنَائِهَا بِالنَّد[2]، فَأَحبَبتُ أَنْ أُلِمَّ شَملَهَا فِي كِتَابٍ تَسْتَأْنِس بِه الأُدبَاءُ، وَتَعجَبُ مِن حُسنِ انْسِجَامِهِ العُلَمَاءُ، وَلَمَّا شَرَعتُ فِي تَصْنِيفِهِ أَحبَبتُ أَن أَضُمَّ إِلَى مَا نَظَمتُهُ أَنَا وَابنُ أَخِي مَا نَظَمَتْهُ بِهِم شُعَراءُ العِرَاقِ عَلَى الإِطلَاقِ، وَأُرَتِّبُهُ عَلَى أَبوَابٍ وَفُصولٍ تَسْتَظْرِفُهَا مِنَ الأَلِبَّاءِ الحُذَّاقُ، فَيكونُ فِي زَمَانِنَا كَـ(يَتِيمَةِ الدَّهرِ)[3] فِي شُعَرَاءِ العَصر، فَأَجَلْتُ فِكرَتِي فِي نِظَامِهِم، وَتَسطيرِ كَلاَمِهِم، فَلَم تَقَع مِنهُ عَلَى مُحَصَّل، وَلَم تَجِد فِيهِ لِأَكَابِرِهِم شَيئًا يُنقَل، فَضَربتُ عَنهُ صَفحَا؛ لِأَنَّه لَا يَليقُ أَن يَكونَ لِذَلِكَ الشَّأنِ الرَّفِيعِ مَدحَا، وَمَا ادَّعَيتُ ذَلِكَ عَلَيهِم تَقَوُّلَا، وَلَا رُمتُ فِي نِظَامِ الشِّعرِ أَنْ أُفَضَّلا[4]. [من الرجز]

مَا لَكَ تَرضَى أَنْ تَكونَ شَاعِرًا ... بُعدًا لَهَا مِنْ عَدَدِ الفَضَائِلِ

وَسَأُثْبِتُ إِن شَاءَ اللهُ مَا ادَّعَيتُهُ فِي نِظَامِهِم بِشَاهِدِ عَدلٍ فِيمَا أُورِدُهُ عَلَى عُظَمَائِهِم مَقبولٍ عِندَ نَقَدَةِ جَوَاهِرِ الكَلَام، وَلِرُؤَسَاءِ الفُصَحَاءِ العِظَام، بَلْ عِندَ مَن لَهُ أَدنَى مَعرِفَةٍ بِعلمِ الأَدبِ، فَضلًا عَن بُلَغَائِهِ ذَوِي الرُّتَبِ، فِي هَذَا الكِتَابِ الَّذِي أَودَعتُهُ مِن جَواهِرِ الكَلَامِ لُؤلُؤَ أَلفَاظٍ بِسِمْطِ الفَصَاحَةِ مُنْتَظِمًا، وَلَقَد تَأَنَّقتُ فِي تَصنِيفِهِ، فَجَاءَ بِحَمدِ اللهِ بِطَرزٍ عَجيبٍ، قَد بَلَغَ مِنَ الحُسنِ مُنتَهَاهُ، وَسَمَّيتُهُ: (**مِصبَاحُ الأَدَبِ الزَّاهِرِ لِذَوِي البَصَائِرِ**)، وَرَتَّبتُهُ عَلَى مُقَدِّمَةٍ وَأَربَعةِ أَبوابٍ، وَخَاتِمةٍ تُعجِبُ مِن حُسنِهَا أُولِي الأَلبَاب.

---

(١) حَقُّهُ أَنْ يَقولَ: غُرَرًا، لَكِنَّهُ حَذَفَ الحَركَةَ مِن أَجلِ السَّجعِ، وَسَيتَكَرَّرُ هَذا كَثِيرًا فِي هَذَا الكِتَابِ.

(٢) النَّدُّ: ضَرْب مِنَ الطِّيبِ يُدَخَّن بِهِ. (اللسان ٣/ ٤٢١).

(٣) كتابُ: (يَتِيمَة الدَّهرِ فِي محَاسِنِ أَهلِ العَصر) لِعَبدِ المَلكِ بنِ مُحمَّد بنِ إِسمَاعِيلَ أَبو مَنصُورٍ الثَّعَالِبِيّ (المتوفَّى ٤٢٩هـ).

(٤) الشعرُ لِلشَّرِيفِ الرَّضِيِّ، ديوانه ٢/ ٦٤٦.

القَولُ في الـمُقَدِّمَة

فَأَمَّا الـمُقَدِّمَةُ فَفِي فَضلِ الشِّعرِ، وَمَا انْطَوَى فِيهِ مِنَ الحِكمَةِ، وَمَا وَرَدَ فِيهِ مِن مَدحِ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ ﷺ، وَجُملَةٍ مِنَ الأَخبَارِ الْمُتَضَمِّنَةِ لِاسْتِحسَانِهِ ﷺ لِحَسَنِهِ، وَاسْتِنشَادِهِ ﷺ مِن رَاوِيهِ، وَنُبذَةٍ فِي كَيفِيَّةِ نُطقِهِ ﷺ فِيهِ، إِذ هُوَ لَا يَنطِقُ فِيهِ إِلَّا أَن يَحِلَّ نِظَامَ قَوَافِيهِ، وَتَأْوِيلِ بَعضِ مَا جَاءَ فِيهِ مِنَ الكِتَابِ، وَبَعضِ مَا أَتَى فِيهِ مِن حَدِيثِ الأَئِمَّةِ الأَطيابِ عليهم السلام، وَتَبْيِينِ مَا يُكرَهُ مِنهُ وَمَا يُبَاح، وَمَا يُحرَمُ مِنهُ، وَمَا يُستَحَبُّ إِتْيَانُهُ لِذَوِي الصَّلَاح، وَعِلَّةِ تَرغِيبِ النَّبِيِّ ﷺ فِي نَظْمِهِ لِـمَنْ تَابَعَهُ مِنَ العَرَبِ، وَظَرَائِفَ تَأتِي فِي أَثنَائِهَا مِنْ عِلمِ الأَدَب.

فَأَقولُ وَبِالله الْمُستَعَانُ:

الشِّعرُ فِي اللُّغَةِ

الشِّعرُ فِي اللُّغَةِ: العِلمُ وَالفِطْنَةُ، يُقَالُ: شَعَرَ بِهِ أَي: عَلِمَ بِهِ، وَفَطِنَ لَهُ[1]، وَعَقَلَهُ، وَالشِّعرُ غَلَبَ عَلَى مَنظومِ القَولِ لِشرَفِهِ بِالوَزنِ وَالقَافِيَةِ، فَإِذَا تَحقَّقَ أَن الشِّعرَ هُو العِلمُ فَأَيُّ شَيءٍ يَعدِلُه؟! أَمْ أَيُّ شَيءٍ يَفضُلُه؟!

فِي اسْتِحسَانِ النَّبِيِّ ﷺ لِـجَيِّدِ الشِّعرِ

وَقَد قَالَ فِيهِ نَبِيُّنَا ﷺ، نَبِيُّ الرَّحمَةِ: «**إِنَّ مِنَ الشِّعرِ لَـحِكمَة**»[2]، وَقَالَ صَفْوَةُ الله الوَاحِدِ الخَلَّاقِ: «**عَلِّمُوا أَولَادَكُم لَامِيَّةَ العَربِ؛ فَإِنَّهَا تُعَلِّمُهُم مَكَارِمَ الأَخلَاقِ**»[3]،

(١) لسان العرب ٤/ ٤٠٩.

(٢) سنن ابن ماجه ٢/ ١٢٣٥، المبسوط للشيخ الطوسيّ ٨/ ٢٢٧، شرح نهج البلاغة ١٣/ ١١٨، المجموع ٧/ ٣٥٨، والغدير ٢/ ٩.

(٣) لم أجد حديث كهذا في كتب الحديث عامَّة، ولكن السَّيِّد محسن الأمين رحمه الله قال: روي، وذكر=

وَقَالَ فِي مَن اسْتَحْسَنَ نِظَامَهُ الفَرِيدَ: «**مَا أَحسَنَ كَلِمةً قَالَهَا لَبِيدٌ**»(١)، وَكَانَ ﷺ يُحِبُّ سَمَاعَهُ، وَيَسْتَحسِنُ إِبْدَاعَهُ، وَهَذِهِ الحَالَةُ مِنهُ مَعلُومَةٌ، وَالأَخبَارُ الوَارِدَةُ فِيهَا كَثِيرَةٌ، وَهِيَ فِي كُتُبِ العُلَمَاءِ مَرسُومَة.

مَعَ النَّابِغَة الـجَعدِيِّ

رَوَى السَّيِّدُ المُرتَضَى ﷺ(٢) فِي الدُّرَرِ(٣) أَنَّ النَّابِغَةَ الـجَعْدِيَّ(٤) كَانَ يَفتَخِرُ وَيَقولُ

=النصَّ. ينظر أعيانُ الشيعةِ ٦/ ١٢٨.

(١) مجمعُ البحرين ٤/ ١٠٤.

(٢) الشَّريفُ المُرتَضَى: عَليُّ بنُ الحُسَين بنِ مُوسَى يَنتَهِي نَسبُه لِلإِمَام مُوسَى الكَاظِم بـنِ الإِمَام جَعفَرٍ الصَّادِقِ عليهما السلام، وَكَانَ نَقيبَ الطَّالِبِيِّينَ، وَأَحَدَ الأَئِمَّةِ فِي عِلمِ الكَلَام وَالأَدَبِ وَالشِّعرِ، مَولِدُهُ ووَفَاتُهُ في بَغدَادَ. لَهُ تَصَانِيفُ كَثِيرةٌ، مِنهَا (الغُرَرُ وَالدُّرَرُ) يُعرَفُ بـ(أَمَالِي المُرتَضَى)، و(الشَّافِي فِي الإِمَامة)، وَ(ديوَانُ شِعر)، وَفَّقَنَا اللهُ تَعَالَى لِتَحقِيقِهِ -بِأَربَعَةِ مُجَلَّدَاتٍ- وَنَشَرَتهُ مُؤَسَّسَةُ دَارِ الحَديثِ فِي قُم المُشَرَّفَة، وَكَثِيرٌ مِنَ المُؤَلَّفَاتِ المُهِمَّةِ الأُخرَى. تُوفِّي فِي بَغدَادَ سَنَةَ (٤٣٦ هـ). له ترجمة في: الأَمَالِي للشَّيخِ الطُّوسِيّ ١٠، وَعُمْدَةُ الطالبِ ٢٠٥، وروضاتِ الجنَّاتِ ٣٨٣، والدرجاتِ الرفيعةِ في طبقاتِ الشيعةِ ٤٥٨، والفوائدِ الرجاليَّةِ ٣/ ١٠٣، والأعلامِ ٤/ ٢٧٩.

(٣) هو كتابُ (غُرَرِ الفَرائدِ ودُررِ القَلَائدِ)، المعروف بـ(أمالي المرتضى). وَيُذكَرُ اخْتِصَارًا بِاسمِ (الغُررُ والدُّررُ).

(٤) النَّابِغَة الـجَعْديّ: قَيسُ بنُ عَبدِ الله بنِ عُدَس بنِ رَبيعَةَ الـجَعْدِيُّ، العَامِرِيُّ، أَبُو لَيلَى: شَاعِرٌ مُفْلِقٌ، صَحَابِيٌّ: مِنَ المُعَمَّرِينَ. اشْتَهَرَ فِي الجَاهِلِيَّةِ. وَسُمِّيَ النَّابِغَةُ؛ لِأَنَّهُ أَقَامَ ثَلَاثِينَ سَنةً لَا يَقُولُ الشِّعرَ ثُمَّ نَبَغَ فَقَالَهُ، وَكَانَ مِمَّن هَجَرَ الأَوثَانَ، وَنَهَى عَنِ الخَمْرِ، قَبلَ ظُهُورِ الإسلام. وَوَفَد عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَسلَمَ، وَأَدرَكَ صِفِّينَ، فَشَهِدَهَا مَعَ الإِمَامِ عَلِيٍّ عليه السلام. ثُمَّ سَكَنَ الكُوفَةَ، فَسَيَّرَهُ مُعَاوِيةُ إِلَى أَصبَهَانَ مَعَ أَحَدِ وُلَاتِهَا، فَمَاتَ فِيهَا وَقَد كُفَّ بَصَرُهُ، وَجَاوَزَ المِئَةَ. وَأَخبَارُهُ كَثِيرةٌ، لَهُ دِيوَانٌ مَجمُوعٌ، تُوفِّيَ (نَحوَ ٥٠ هـ). له ترجمةٌ: الطبقاتُ الكبرى ١/ ٦١٦، وطبقاتُ فحولِ الشعراءِ ١/ ١٢، ومعجمُ الصَّحابةِ للبغويّ ٥/ ٤١، وطبقاتُ المحدِّثينَ ١/ ٢٧٣، والمؤتلفُ والمختلفُ في أسماءِ الشعراءِ ٢٥٢، ومعجمُ الشعراءِ ١/ ٢٤٩، والمؤتلفُ والمختلفُ للدارقطنيّ ١/ ٤٣٣، وتأريخُ أصبهانَ ١/ ١٠٢، ومعرفةُ الصَّحابةِ ٤/ ٢٣١٧، وأُسْدُ الغابةِ ٥/ ٢٧٦، وسيرُ أَعلامِ النُّبلاءِ ٣/ ١٧٨، والإِصابةُ ٥/ ٣٧٠، والأعلامُ ٥/ ٢٠٧.

أَتيتُ النَّبيَ صلى الله عليه وآله وَأَنْشَدتُهُ:(١) [الطويل]

بَلَغنَا السَّمَاءَ مَجدُنَا وَجُدُودُنَا وَإِنَّا لَنَرجُو فَوقَ ذَلِكَ مَظْهَرَا

فَقَالَ النَّبيُّ صلى الله عليه وآله: «**وَأَينَ المَظهَرُ يَا أَبَا لَيلَى**»؟!

فَقُلتُ: الجَنَّةَ يَا رَسولَ الله.

فَقَالَ صلى الله عليه وآله: «**أَجَلْ إِنْ شَاءَ اللهُ**»(٢).

ثُمَّ أَنْشَدتُهُ:(٣)

١. فَلَا خَيْرَ فِي حِلمٍ إِذَا لَمْ تَكُنْ لَهُ بَوَادِرُ تَحمِي صَفْوَهُ أَنْ يُكَدَّرَا

٢. وَلَا خَيْرَ فِي جَهلٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ حَلِيمٌ إِذَا مَا أَوْرَدَ الأَمْرَ أَصْدَرَا

فَقَالَ صلى الله عليه وآله: «**لَا يُفَضَّضُ فُوكَ**»(٤).

قَالَهُ السَّيِّدُ المُرتَضى رحمه الله.

يُقَالُ إِنَّ النَّابِغَةَ عَاشَ عِشرينَ وَمِئَةَ سَنةٍ مَا سَقَطَ لَهُ سِنٌّ وَلَا ضِرسٌ(٥).

وَفِي رُوايَةٍ أُخرَى عَنْ بَعْضِهِمْ: قَالَ رَأَيتُهُ وَقَد بَلَغَ الثَّمَانِينَ تَرِفُّ(٦) غُرُوبُهُ، وَكَلَّمَا سَقَطَتْ لَهُ ثَنِيَّةٌ(٧) نَبَتَتْ لَهُ أُخرَى مَكَانَهَا، وَكَانَ مِن أَحسَنِ النَّاسِ ثَغرًا، وَهَذِهِ الأَبيَاتُ الَّتِي أَنشَدَهَا لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وآله مِنْ قَصِيدَةٍ لَهُ مِنهَا

(١) ديوانُ النابغةِ الجعديّ ٧١.

(٢) أمالي السَّيِّدِ المرتضى ١/ ١٩٢، وتفسيرُ القرطبيّ ١٦/ ٨٦، وديوانُ النَّابغةِ الجعديّ ٧١.

(٣) ديوانُ النَّابغةِ الجعديّ ٨٥.

(٤) أمالي السَّيِّد المرتضى ١/ ١٩٢، كنزُ العمَّالِ ١٣/ ٦٠١، وبحارُ الأنوارِ ٥١/ ٢٨٤.

(٥) أمالي السَّيِّدِ المرتضى ١/ ١٩٢، وبحارُ الأنوارِ ٥١/ ٢٨٤.

(٦) تَرِفُّ غُرُوبُهُ: أَي تَبْرُق أَسنانُه، مِنْ رَفَّ البرقُ يَرِفُّ إِذَا تلألأ، وغُروبُه، هِيَ أَسنانه.(اللسان ١٣/ ٦٠١).

(٧) الثَّنِيَّةُ مِنَ الأَضْراسِ تَشْبيهًا بالثَّنِيَّةِ مِن الجَبَلِ فِي الهَيْئةِ والصَّلَابَةِ، وَهِي الأَرْبَعُ الَّتِي فِي مُقَدَّمِ الفَمِ، ثِنْتانِ من فَوْقُ، وثِنْتانِ مِن أَسْفَل. (التاج ٣٧/ ٢٩٥).

قَولُهُ:[1] [من الطويل]

١. وَإِنَّـــا أُنـــاسٌ لَا نُـعَـوِّدُ خَـيْـلَـنـا إِذَا مَـا التَقَينَا، أَنْ تَحِيدَ وَتَـنـفِـرَا[2]

٢. وَتُـنْـكِـرُ يَـوْمَ الـرَّوْعِ أَلْـوَانَ خَيْلِنا مِنَ الطعنِ، حتى تَحْسِبَ الجَوْنَ أَشقَرَا

٣. وَلَـيْـسَ بِـمَـعْـرُوفٍ لَـنَـا أَنْ نَـرُدَّهَـا صِحَاحًا، وَلَا مُسْتَنْكَرًا أَنْ تُعَقَّرَا[3]

مَعَ قَيسِ بنِ الـخَطِيم

وَرُوِيَ عَنْ أَنَسِ بنِ مَالِكٍ قَالَ[4]: جَلَسَ رَسُولُ اللهﷺ فِي مَجلِسٍ لَيْسَ فِيهِ إِلَّا خَزْرَجِيٌّ، فَاسْتَنْشَدَهُم قَصِيدَةَ قَيسِ بنِ الخَطِيمِ[5]: [من الطويل]

أَ تَـعْـرِفُ رَسـمًا كَـاطِّـرَادِ الـمَذَاهِبِ لِعَمْرَةَ وَحشًا غَـيْرَ مَـوْقِفِ رَاكِـبِ[6]

فَأَنْشَدَهُ بَعْضُهُم إِيَّاهَا، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى قَولِهِ: [7]

أُجَـالِـدُهُـمْ يَـوْمَ الـحَدِيقَةِ حَاسِرًا كَـأَنَّ يَدِي بِالسَّيفِ مِخرَاقُ لَاعِـبِ[8]

(١) ديوانُ النَّابغةِ الجعديّ ٦٩-٧٠.

(٢) في (الأصل): (ونحن) في موضع (وإنَّا).

(٣) في (الأصل): (صحيحًا) في موضع (صحاحًا).

(٤) الخبر والشعر في: معاهد التنصيص ١/ ١٩٢.

(٥) قَيْسُ بنُ الـخَطِيمِ بنِ عَدِيٍّ الأَوسِيُّ، أَبو يَزِيدَ: شَاعِرُ الأَوسِ، وَأَحَدُ صَنَادِيدِهَا، فِي الـجَاهِلِيَّةِ. أَوَّلُ مَا اشْتَهَرَ بِهِ تَتَبُّعُه قَاتِلَي أَبِيهِ وَجَدِّهِ حَتَّى قَتَلَهُمَا، وَقَالَ فِي ذَلِكَ شِعرًا. وَلَه فِي وَقْعَةِ (بعاث) الَّتِي كَانَتْ بَينَ الأَوسِ وَالخَزرَجِ، قَبلَ الهِجرَةِ، أَشعَارٌ كَثِيرةٌ. أَدرَكَ الإسلام وَتَرَيَّثَ فِي قَبولِهِ، فَقُتِلَ قَبلَ أَنْ يَدخُلَ فِيهِ. شِعرُهُ جَيِّد، وَفِي الأدبَاءِ مَن يُفَضِّلُهُ عَلَى شِعرِ حَسَّانَ. له (ديوان). توفِّيَ (نحو ٢ ق هـ/ نحو ٦٢٠ م). يُنظرُ: المؤتلِفُ والمختلفُ في أسماءِ الشعراءِ ١٤١، وأُسدُ الغابةِ ١/ ٤٥٠، والأعلام ٥/ ٢٠٥، ومعجم المؤلِّفين ٨/ ١٣٥.

(٦) في (الأصل): (كَالطِّرَازِ الْمُذَهَّبِ) في موضع (كاطراد المذاهب).

- اطِّرَاد: تَتَابُع، وَالمَذَاهِبُ: جُلُودٌ كَانَتْ تُذْهَب، واحِدُها مُذْهَبٌ؛ تُجْعَلُ فِيهِ خُطوطٌ مُذَهَّبة، فَيُرَى بَعْضُها فِي أَثرِ بَعْضٍ، فكأَنَّها مُتَتابِعَةٌ. (اللسان ١/ ٣٩٥).

(٧) ديوانُ قيسِ بنِ الخطيمِ ٨٨.

(٨) في (الأصل): (الحديبة) في موضعِ (الحديقة)، و(مِخرَاقَ لَاعِبِ) في محل (موقف راكب).=

التَفَتَ إِلَيْهِم رَسُولُ اللهﷺ فَقَالَ: «هَل كَانَ كَمَا ذَكَرَ»؟!

فَشَهَدَ ثَابِتُ بنُ قَيسِ بنِ شَمَّاسٍ[1] وَقَالَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحِقِّ نَبيًّا لَقَدَ خَرَجَ إِلَينَا يَومَ سَابِعِ عُرْسِهِ؛ فَجَالَدَنَا كَمَا ذَكَرَ وَعَلَيهِ غِلَالَةٌ وَمِلْحَفَةٌ مُوَرَّسَةٌ[2].

وَكَانَﷺ يُعْجِبُهُ الشِّعرُ إِذَا تَضَمَّنَ حِكمَةً، وَيَستَظْرِفُ نَظْمَهُ، وَمَا زَالَ يَسْتَحْسِنُ فَرَائِدَهُ وَيَسأَلُ عَنْ قَائِلِهِ، وَمِن جُملَةِ مَنْ سَأَلَ عَنهُ: قُسَّ بنُ سَاعِدَةَ[3].

مَعَ قُسِّ بنِ سَاعِدَةَ الإِيَادِيّ

رُوِيَ عَنْ أَبِي جَعفَرٍ عليه السلام قَالَ: بَينَمَا رَسُولُ اللهﷺ، ذَاتَ يَومٍ جَالِسًا بِفِنَاءِ الكَعْبَةِ يَومَ فَتْحِ مَكَّةَ إِذَ أَقْبَلَ إِلَيهِ وَفدٌ فَسَلَّمُوا عَلَيهِ.

=- الحديقةُ: قَريةٌ مِن أَعرَاضِ المَدينَةِ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ، كَانَت فِيهَا وَقْعةٌ بينَ الأَوسِ وَالخَزْرَجِ قَبْلَ الإسلام، وَإِيَاهَا أَرَادَ قَيسُ بنُ الخَطِيم بِقَولِه. (معجم البلدان ٢/ ٢٣٢)، وَمخراقُ لَاعِبٍ: مِنديلٌ يُلَفُّ لِيُضْرَبُ أَو يُلَفُّ فيُفَزَّعُ بِهِ، وَهُوَ لُعْبة يَلْعب بِهَا الصِّبْيَانُ. (اللسان ١٠/ ٧٦).

(١) ثَابِتُ بنُ قَيْسِ بنِ شَمَّاسٍ الخَزرَجِيُّ الأنصَارِيُّ: صَحَابِيٌّ، كَانَ خَطيبَ رَسولِ اللهﷺ، وَشَهِدَ أُحُدًا وَمَا بَعدَهَا مِنَ المَشَاهِدِ. قُتل يوم اليمامة سنة (١٢هـ/ ٦٣٣م) في زمن أبي بكر.
له ترجمة في: التأريخ الكبير ٢/ ١٦٧، ومعجم الصَّحابة ١/ ١٢٦، ومعرفة الصَّحابة ٣٣٦، والاستيعاب ١/ ٢٠٠، وتأريخ دمشق ٤/ ٣٢٦، وأسد الغابة ١/ ٤٥١، وتهذيب الكمال ٤/ ٣٦٨، وسير أعلام النُّبلاء ١/ ٣٠٨، وتأريخ الإسلام ٢/ ٤٤، والوافي بالوفيات ١٠/ ٢٧٩، وتهذيب التهذيب ٢/ ١٢، والتُّحفة اللَّطيفة ١/ ٢٢٧، والأعلام ٢/ ٩٨.

(٢) الخبر والشعر في: معاهد التنصيص ١/ ١٩٢.

(٣) قُسُّ بن سَاعِدَة بنِ عَمرِو بنِ عَدِيِّ بنِ مَالِكٍ، مِن بَنِي إِيَاد: أَحَدُ حُكَمَاءِ العَربِ، وَمِن كِبَارِ خُطَبَائِهِم، فِي الجَاهِلِيَّةِ. كَانَ أُسقُفَ نَجرَانَ، وَيُقَالُ: إِنَّهُ أَوَّلُ عَرَبِيٍّ خَطَبَ مُتَوَكِّئًا عَلَى سَيفٍ أَو عَصَا، وَأَوَّلُ مَنْ قَالَ فِي كَلَامِهِ (أَمَّا بَعدُ). وَكَانَ يَفِدُ عَلَى قَيْصَرِ الرُّومِ، زَائِرًا فَيُكرِمهُ وَيُعَظِّمُه، وَهوَ مَعدُودٌ فِي المُعَمِّرِينَ، طَالَت حَيَاتُهُ وَأَدْرَكَهُ النَّبِيُّﷺ قَبلَ النُّبُوَّةِ، وَرَآهُ فِي عُكاظَ، وَسُئِلَ عَنهُ بَعدَ ذَلِكَ، فَقَالَ: يُحْشَرُ أُمَّةً وَحْدَه. توفِّي (نحو ٢٣ق.هـ/ نحو ٦٠٠م).
ينظر: الوافي بالوفيات ٢٤/ ١٨٠، وشعراء النصرانيَّة ٢/ ٢١١، الأعلام ٥/ ١٩٦.

فَقَالَ ﷺ: «**مِمَّن القَوْم**»؟.

قَالُوا: وَفِدْنَا مِنْ بَكرِ ابنِ وَائِلٍ.

قَالَ ﷺ: «**هَلْ عِنْدَكُم [عِلمٌ] مِن خَبرِ قُسِّ بنِ سَاعِدَة الإِيَادِيِّ**»؟.

قَالُوا: نَعَم يَا رَسُولَ الله.

فَقَالَ ﷺ: «**فَمَا فَعَلَ**»؟.

قَالُوا: مَاتَ.

فَقَالَ رَسولُ الله ﷺ: «**الحَمْدُ لله رَبِّ المَوتِ وَرَبِّ الحَيَاةِ، كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ المَوتِ. كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى قُسِّ بنِ سَاعِدَةَ الإِيَادِيِّ وَهُوَ بِسُوقِ عُكَاظٍ[1]، عَلَىَ جَملٍ لَهُ أَحْمرَ وَهوَ يَخْطِبُ النَّاسَ وَيَقُولُ:**

أَيُّهَا النَّاسُ اجْتَمِعُوا، فَإِذَا اجْتَمَعْتُمْ فَانْصِتُوا، فَإِذَا أَنْصَتُّمْ فَاسْمَعُوا، فَإِذَا سَمِعتُمْ فَعُوا، فَإِذَا وَعَيتُمْ فَاحْفَظُوا، فَإِذَا حَفِظتُمْ فَاصْدِقُوا.

أَلَا إِنَّهُ مَنْ عَاشَ مَات، وَمَنْ مَاتَ فَات، فَلَيْسَ بِآتٍ، إِنَّ فِي السَّمَاءِ خَبَرًا وَفِي الأَرضِ عِبرًا، سَقفٌ مَرفُوعٌ، وَمِهَادٌ مَوضُوعٌ، وَنُجُومٌ تَدُورُ، وَبِحَارُ مَاءٍ لَا تَغُور، يَحلِفُ قُسٌّ مَا هَذَا بِلَعِبٍ، وَإِنَّ مِنْ وَرَاءِ هَذَا لَعَجَبًا، مَا لِي أَرَى النَّاسَ يَذهَبونَ فَلَا يَرجِعُونَ، أَرَضُوا فَأَقَامُوا؟! أَم تُرِكُوا فَنَامُوا؟! يَحلِفُ قُسٌّ يَمِينًا غَيْرَ كَاذِبَةٍ أَنَّ لله دِينًا خَيْرًا مِنَ الَّدِينِ الَّذِي أَنْتُم عَلَيهِ».

---

(١) عُكَاظ: اسمُ سُوقٍ مِن أَسوَاقِ العَربِ فِي الجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَت قَبَائِلُ العَربِ تَجتَمِعُ بِعُكَاظَ فِي كُلِّ سَنةٍ، وَيَتفَاخَرونَ فِيهَا، وَيَحضرَهَا شُعَرَاؤُهُم وَيَتَنَاشَدُونَ مَا أَحَدثوا مِنَ الشِّعرِ ثُمَّ يَتَفَرَّقُونَ، وَقِيلَ: عُكاظَ نَخلٌ فِي وَادٍ بَينَهُ وَبَينَ الطَّائِفِ لَيلَةً، وَبَينَهُ وَبَينَ مَكَّةَ ثَلَاثَ لَيَالٍ، وَبِه كَانَت تُقَامُ سُوقُ العَربِ بِمَوضعٍ مِنهُ يُقَالَ لَهُ الأَثيدَاءُ، سُمِّيَ عُكَاظُ عُكَاظًا؛ لِأَنَّ العَربَ كَانَتْ تَجتَمِعُ فِيهِ فَيَعْكِظُ بَعضُهُم بَعضًا بِالفَخَارِ، أَي يَدعَكُ، وَعَكَظَ فُلَانٌ خَصمَهُ بِاللَّدَدِ وَالحُجَجِ عَكظًا، وَعَكظَ الرَّجُلَ صَاحِبَهُ إِذَا فَاخَرَهُ وَغَلَبَهُ بِالمُفَاخَرةِ، فَسُمِّيَت عُكَاظُ بِذَلِك. معجم البلدان ٤/ ١٤٢.

ثُمَّ قَالَ ﷺ: «رَحِمَ اللهُ قُسًّا يُحشَرُ يومَ القِيَامَةِ أُمَّةً وَحْدَه»[1].

ثُمَّ قَالَ ﷺ: «هَلْ فِيكُمْ أَحَدٌ يُحسِنُ مِنْ شِعْرِهِ شَيئًا»؟

فَقَالَ لَهُ بَعْضُهُم: سَمِعْتُهُ يَقُولُ:[2] [من مجزوء الكامل المرفَّل]

١. فِي الـذَّاهِـبِـينَ الأَوَّلِـيـ ـنَ مِـنَ الْـقُـرُونِ لَـنَـا بَـصَـائِـرْ
٢. لَـمَّا رَأَيْـتُ مَـوَارِدًا لِـلْـمَـوْتِ لَـيْـسَ لَهَـا مَـصَـادِرْ
٣. وَرَأَيْـتُ قَـوْمِـي نَـحْـوَهَـا تَـسْـعَـى الأَصَـاغِـرُ وَالأَكَـابِـرْ
٤. لَا يَـرْجِـعُ الْمَـاضِي إِلَـيـ ـيَ وَلَا مِـنَ الْـبَـاقِـينَ غَـابِـرْ
٥. أَيْـقَـنْـتُ أَنِّي لَا مَحَـا لَـةَ حَـيْـثُ صَـارَ الْـقَـوْمُ صَائِـرْ

وَعَنْ هِشَام[3] عَنْ أَبيهِ أَنَّهُ وَفَدَ مِن إِيَاد وَفدٌ فَقَدِمُوا عَلَى رَسُولِ ﷺ فَسَأَلَهُم عَنْ حِكمَةِ قُسٍّ، فَقَالُوا: قَالَ قُسٌّ:[4] [من البسيط]

(١) الخبرُ بألفاظ متقاربة في: البيانِ والتبيينِ ١/ ٢٥٣، والأوائل للعسكريّ ٦٧/ ٣٩٥، ونثر الدر ٦/ ٧، ومجمع الأمثال ١/ ١١١، ونهاية الأرب في فنون الأدب ٢/ ١٢٠، وخزانة البغداديّ ٩/ ١٨٩.

– في(الأصل) وفي بعض المصادر: (واحدة) بدلًا من (وحده)، لَكِنَّ أَغلَبَ المَصَادِرِ تَقولُ (وحده)، ينظر: معاني الأخبار ٢٩، وكنز الفوائد ٢٥٦، وسعد السعود ٢٣٣، وبحار الأنوار ١٥/ ٢٣٥.

(٢) ينظر: سعد السعود ٢٣٢، وبحار الأنوار ١٥/ ١٨٤، ٢٢٨، ومجمع الزوائد ٩/ ٤١٩، والمعجم الكبير للطَّبرَانيّ ١٢/ ٧٠.

(٣) هَو الإِمامُ النَّسَّابةُ أَبو المُنذِرِ هِشَامُ بنُ محُمَّدِ بنِ السَّائِبِ الكَلْبِيُّ مِن أَهلِ الكُوفَةِ، يَروي عَنْ أَبِيهِ الَّذِي كَانَ مِنَ العُلَمَاءِ وَقَد تَركَ لَنا كِتابًا فِي تَفسِيرِ القُرآنِ، تُوفِّيَ هِشَام سَنةَ (٢٠٦هـ). قَالَت بَعضُ المَصَادِر أَنَّه تَركَ أَكثرَ مِن (١٥٠) كِتَابًا مِنهَا خَمسَةُ كُتبٍ فِي الأَنسَابِ هِي: المنزلة، والجمهرة، والوجيز، والفريد، والملوكي. ينظر: الغارات ٢/ ٧٤٦، والأنساب للسمعانيّ ١١/ ١٣٥، والطرائف في معرفة مذاهب الطوائف ٤٩٥، وتذكرة الحفَّاظ ١/ ٢٥٠، وعمدة الطالب ٨، وكتاب الأربعين للشيرازيّ ٣٥٩، وبحار الأنوار ١٥/ ٢٤١، ٣٣/ ١٩٨.

(٤) في: كمال الدين وتمام النعمة ١٦٨، ومقتضب الأثر ٣٦، ورسائل الشريف المرتضى ٣/ ٢٢٥، وتأريخ دمشق ٣/ ٤٣٦، وبحار الأنوار ١٥/ ١٨٥، وشعراء النصرانيَّة ٢/ ٢١٤، وخزانة=

١. يَا نَاعِيَ المَوْتِ وَالأَمْوَاتُ فِي جَدَثٍ عَلَيهِمُ مِنْ بَقَايَا خِزِّهِم خِرَقُ[١]

٢. دَعْهُمْ فَإِنَّ لَهم يَوْمًا يُصَاحُ بِهِمْ فَهُمْ إِذَا انْتَبَهوا مِن نَوْمِهِمْ فَرَقُوا[٢]

٣. حَتَّى يَعودوا بِحَالٍ غَيرِ حَالِهِمُ خَلْقًا جَدِيدًا كَمَا مِن قَبلِهَا خُلِقُوا

٤. مِنهُمْ عُرَاةٌ وَمَوتَى فِي ثِيَابِهِمُ مِنهَا الجَدِيدُ وَمِنهَا الأَورَقُ الخَلِقُ[٣]

مَطَرٌ وَنَبَات، وَآبَاءٌ وَأُمَّهَات، وَذَاهِبٌ وَآت، وَأَصوَاتٌ بَعدَ أَمواتٍ، وَضَوءٌ وَظَلَامٌ، وَلَيَالٍ وَأَيَّامُ، وَفَقِيرٌ وَغَنِيٌّ، وَسَعِيدٌ وَشَقِيٌّ، وَمُحْسِنٌ وَمُسِيءٌ، أَينَ الأَربَابُ الفَعَلَةُ؟! لِيُصْلِحَنْ كُلُّ عَامِلٍ عَمَلَه، كَلَّا بَلْ هُوَ اللهُ الوَاحِدُ الأَحَدُ، لَيْسَ لَهُ وَالِدٌ وَلَا وَلَدُ، أَعَادَ وَأَبدَى، وَإِلَيهِ المَآبُ غَدَا.

أَمَّا بَعْدُ

فَيَا[٤] مَعْشَرَ أَيَادٍ، أَينَ ثَمُودُ وَعَادُ، وَأَينَ الآبَاءُ وَالأَجدَادُ، أَينَ الحَسَنُ الَّذِي لَم يُشْكَرْ، وَالظُّلْمُ الَّذِي لَمْ يُنقَمْ، كَلَّا وَرَبِّ الكَعْبَةِ لَيَعُودَنَّ مَا بَدَا، وَلَئِنْ ذَهَبَ يَوْمٌ لَيَعُودَنَّ يَوم[٥].

وَقُسٌّ هُوَ ابنُ سَاعِدَةَ بنِ حُذَافَة[٦] بنِ زَهر بنِ إِيَاد بنِ نِزَارٍ[٧].

=البغداديّ ٢/ ٨٢، الأبيات الأربعة، وفي معجم الشعراء ١/ ٢٧٩، والإصابة ٥/ ٤١٣ البيت الأوَّل والثاني.

(١) بعض المصادر (خزهم) وبعضها (بزهم) بدلًا من (ثوبهم).

(٢) في بعض المصادر، جاء العجز برواية: (كما ينبه من نوماته الصعق).

(٣) خَلَقٌ: أي مُتَقَطِّع. (اللسان ١/ ٣٤٣)، الأَوْرَقُ: مَا فِي لوْنه بياضٌ إلى سَوادٍ. (التاج ٢٦/ ٤٦٤).

(٤) في (الأصل): (يا) بدلًا من (فيا)، أظنُّها سهوًا من الناسخ.

(٥) الخبرُ والخطبةُ في: كَمال الدِّينِ وَتمام النِّعمَةِ ١٦٨، إِعجَاز القرآنِ لِلبَاقِلَّانيّ ١٥٣، وسعد السعود ٢٣٤، والبداية والنهاية ٢/ ٢٩٢، والسِّيرة النبويَّة ١/ ١٤٧، وبحار الأنوار ١٥/ ١٨٥، ٢٤٤.

(٦) في (الأصل): (حذاف) بدلًا من (حذافة).

(٧) حُذافَة بنُ زُهرٍ: بطنٌ مِن إِياد، مِنَ العَدنَانِيَّة، وَهم: بَنو حُذَافةَ بنِ زهرِ بنِ إِياد بنِ نِزارِ بنِ مَعد ابنِ عَدنانَ. (معجم قبائل العرب القديمة ١/ ٢٥٥).

أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِالبَعثِ مِنْ أَهلِ الجَاهِلِيَّةِ، وَأَوَّلُ مَنْ تَوَكَّأَ عَلَى عَصًا[1]، وَكَانَ يَعرِفُ النَّبِيَّ ﷺ بِاسمِهِ وَنَسَبِهِ وَيُبَشِّرُ النَّاسَ بِخُرُوجِهِ، وَكَانَ يَستَعمِلُ التَّقِيَّةَ وَيَأمُرُ بِهَا فِي خِلَالِ مَا يَعِظُ النَّاسَ[2].

وَجَاءَهُ ﷺ أَعْرَابِيٌّ شَاكِيًا الجَدْبَ فَاسْتَسْقَى لَهُ

وَفِي شَرحِ نَهجِ البَلَاغَةِ لِابنِ أَبِي الحَدِيدِ[3] قَالَ: رُوِيَ أَنَّ أَعرَابِيًّا جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي عَامِ جَدبٍ فَقَالَ:

أَتَينَاكَ يَا رَسولَ الله وَلَم يَبقَ لَنَا صَبِيٌّ يَرتَضِعُ، وَلَا شَارِفٌ[4] يَجْتَرُّ، ثُمَّ أَنْشَدَ:[5] [من الطويل]

---

(١) في (الأصل): (عصاة) بدلًا من (عصًا).

(٢) ينظر: الجوهرة في نسب النبي ١/ ٤٥٤، وفصل المقال في شرح كتاب الأمثال ٤٩٧، وخزانة البغدادي ٢/ ٩٠.

(٣) ابنُ أَبِي الحَدِيدِ: هوَ عِزُّ الدِّينِ عَبدُ الحَمِيدِ بنُ هِبَةِ الله بنِ أَبِي الحَدِيدِ أَبو حَامِدٍ المَدَائِنِيُّ المُعتَزِلِيُّ الفَقِيهُ الشَّاعِرُ، وَهوَ مَعدودٌ فِي أَعيَانِ الشُّعَرَاءِ، وَلَه دِيوانٌ مَشهورٌ، وَمِن تَصَانِيفِه (الفَلَكُ الدَّائِرِ عَلَى المَثَلِ السَّائِرِ) صَنَّفَهُ فِي ثَلَاثَةَ عَشَرَ يَومًا، وَشَرحَ نَهجَ البَلَاغَةِ فِي سِتَّةَ عَشَرَ مُجَلَّدًا، كَتَبَ الإِنشَاءَ لِلْمُسْتَعْصِم بِالله مُدَّةً. تُوفِّيَ سَنَةَ سِتٍّ وَخَمسِينَ وَسِتِّ مِئَةٍ. له ترجمة في: وفيات الأعيان ٥/ ٣٩١، والوافي بالوفيات ١٨/ ١٤٦، وفوات الوفيات ٢/ ٢٥٩، وتوضيح المشتبه ٣/ ١٥٠، السلوك لمعرفة دول الملوك ١/ ٤٩٧، تأريخ الإسلام-بشار ١٤/ ٧٧٩، سير أعلام النُّبلاء ٢٣/ ٢٧٤-٢٧٥، ذكره ضمن ترجمة أخيه الموفق قاسم بن هبة الله، والمنهل الصافي ٧/ ١٤٩، والأعلام ٣/ ٢٨٩، ومعجم المؤلِّفين ٥/ ١٠٦.

(٤) الشارِفُ: النَّاقةُ الَّتِي قَدْ أَسَنَّتْ.(اللسان ٩/ ١٧٣).

(٥) الخبر والشعر في: الأمالي للشيخ المفيد ٣٠٢، والأمالي للشيخ الطوسي ٧٥، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٤/ ٨٠، وبحار الأنوار ٣٥/ ١٦٧، والدرجات الرفيعة ٥٦، وجواهر الكلام ١٢/ ١٣٤، ومستدرك الو سائل ٦/ ١٩٣، وأعيان الشيعة ٨/ ١٢١، الأبيات الأربعة، وبدائع الصنائع ١/ ٢٨٣، البيتان الأول والأخير.

١. أَتَيـنَـاكَ وَالـعَـذرَاءُ يُـدمَـى لِـبَـانُهَـا وَقَـدْ شُـغِـلَـتْ أُمُّ البَنِينَ عَـنِ الطِّفلِ
٢. وَأَلـقَـى بِـكَـفَّـيْـهِ الـفَـتِـيُّ اسْـتِـكَـانَـةً مِنَ الجُـوعِ ضَعْفًا، لَا يُمِرُّ وَلَا يُحلِي[٦]
٣. وَلَا شَـيءَ مِـمَّـا يَـأْكُـلُ الـنَّـاسُ عِندَنَا سِوَى الحَنْظَلِ العَامِيِّ وَالعِلْهَزِ الفَسْلِ[٧]
٤. وَلَـيـسَ لَـنَـا إِلَّا إِلَـيـكَ فِـرَارُنَـا وَأَيـنَ فِـرَارُ الـنَّـاسِ إِلَّا إِلَى الـرُّسْـلِ

فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ يَجُرُّ رِدَاءَهُ حَتَّى صَعَدَ المِنْبَر، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثنَى عَلَيهِ، وَقَالَ: «**اللَّهُمَّ أَسْقِنَا غَيْثًا مَرِيعًا مُغِيثًا**[٨]**، هَنِيئًا مَرِيئًا، سَحًّا سِجَالًا**[٩]**، غَدِقًا طَبَقًا**[١٠]**، دَائِمًا دِرَرًا**[١١]**، تُحْيِي بِهِ الأَرْضَ وَتُنْبِتُ بِهِ الزَّرعَ، وَتَدِرُّ بِهِ الضَّرعَ، وَاجْعَلْهُ سَقْيًا نَافِعًا غَيرَ رَائِثٍ**[١٢]»[١٣].

فَوَ اللهِ مَا رَدَّ رَسولُ اللهِ ﷺ يَدَهُ إِلَى نَحْرِهِ حَتَّى أَلقَتِ السَّمَاءُ أَروَاقَهَا، وَجَاءَ النَّاسُ يَضُجُّونَ الغَرَقَ الغَرَقَ يَا رَسولَ اللهِ ﷺ.

---

(٦) أَي مَا يَنْطِقُ بِخَيْرٍ وَلَا شَرٍّ مِنَ الْجُوعِ وَالضَّعْفِ. (اللسان ٥/ ١٦٧).

(٧) في بعض المصادر: (والعلف الغل) بدلًا من (والعلهز الفسل).
- الحَنظَلُ العَامِيُّ: أَي اليَابِسُ، الَّذِي أَتَى عَلَيهِ عَامٌ، وَالعِلهِزُ: هوَ طعام يَتَّخِذونَهُ فِي سِنِينِ المَجَاعَةِ، يَخلطونَ الدَّمَ بِأَوبَارِ الإِبلِ ثُمَّ يَشوونهُ عَلَى النَّارِ وَيَأكلُونَهُ. (التاج ١٥/ ٢٤٣)، وَقِيلَ هو نَباتٌ يَشبَهُ البَرَدِيَّ يَنبتُ في بِلادِ بَني سُلَيم، وَالفَسلُ: المُستَرذَلُ الرَّدِيءُ من كلِّ شيءٍ. (التاج ٣٠/ ١٥٩).

(٨) المَرِيعُ: الخَصِيبُ. (اللسان ٨/ ٣٣٤)، وغَيْثٌ مُغِيثٌ: عامٌّ. (التاج ٥/ ٣١٩).

(٩) سَحَّ الماءَ وَغَيْرَهُ يَسُحُّه سَحًّا: صَبَّه صَبًّا مُتَتَابِعًا كَثِيرًا. (اللسان ٢/ ٤٧٦)، والسَّجْلُ: الدَّلْو الضَّخْمَة المملوءةُ ماءً، والجمع سِجَالٌ. (اللسان ١١/ ٣٢٥).

(١٠) الغَدَق: المَطَرُ الْكَثِيرُ الْعَامُّ. (اللسان ١٠/ ٢٨٢)، وطَبَّقَ السَّحابُ الجَوَّ: غَشّاه، وسَحابةٌ مُطَبِّقةٌ. وطَبَّقَ الماءُ وَجْهَ الأَرض: غَطَّاهُ، وأَصبحت الأَرض طَبَقًا وَاحِدًا إِذا تَغَشَّى وجهُها بِالـمَاءِ. (اللسان ١٠/ ٢١٠).

(١١) الدِّرَّةُ فِي الأَمطار: أَن يَتْبَعَ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَجَمْعُهَا دِرَرٌ. وَلِلسَّحَابِ دِرَّةٌ أَي صَبٌّ، وَالْجَمْعُ دِرَرٌ. (اللسان ٤/ ٢٨٠).

(١٢) غير رائِثٍ: أَي غيرَ بَطِيء. (التاج ٥/ ٢٧٠).

(١٣) الأمالي للشيخ الطوسيّ ٧٥، وبحار الأنوار ١٨/ ٢، ٨٨/ ٣٣٢، وشرح ابن أبي الحديد ١٤/ ٨٠.

وَيَذْكُرﷺعَمَّهُ أَبا طَالِبٍ وَيَسْتَغْفِرُ لَه

فَقَالَ ﷺ: «**اللَّهُمَّ حوالَينَا وَلَا عَلَينَا**»، فَانْجَابَ السَّحَابُ عَنِ المَدينَةِ حَتَّى استْدَارَ حَولَهَا كَالإِكليل، فَضَحَكَ رَسولُ اللهﷺ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، ثُمَّ قَالَ: «**لله دَرُّ أَبِي طَالِبٍ لَو كَانَ حَيًّا لَقَرَّتْ عَينُهُ**»(١).

مَن يُنْشِدُنَا قَولَهُ؟ فَقَامَ عَليٌّ عليه السلام، فَقَالَ: يَا رَسولَ اللهِ لَعَلَّكَ أَرَدْتَ: «**وَأَبْيَضَ يُسْتَسْقَى الغَمَامُ بِوَجْهِهِ**».

قَالَ ﷺ: «**أَجَل**»(٢).

فَأَنْشَدَهُ أَبيَاتًا مِن هَذِهِ القَصِيدَةِ(٣)، وَرَسولُ اللهﷺ يَسْتَغْفِرُ لِأَبي طَالِبٍ عَلَى المِنْبَرِ.

---

(١) بحار الأنوار ٣٥/ ١٦٨، شرح ابن أبي الحديد ١٤/ ٨١، والدرجات الرفيعة ٥٧، وأعيان الشيعة ٨/ ١٢٢.

(٢) الأمالي للشيخ المفيد ٣٠٤، والأمالي للشيخ الطوسيّ ٧٦، وروضة الواعظين ١٣٩، وبدائع الصنائع ١/ ٢٨٣، ومناقب آل أبي طالب ١/ ٢٤، وجواهر الكلام ١٤/ ١٢١، ومستدرك الوسائل ١٠/ ٣٨٨.

(٣) لأبي طَالِبٍ في رَسولِ اللهﷺ، قَصِيدَتُهُ اللاَّمِيَّةُ المَشهورةُ الَّتِي ذَكَرتْهَا كَثيرٌ مِنَ المَصَادِرِ وَمِنهَا: السِّيرةُ النَّبويَّةُ لِابنِ هِشَامٍ، ذَكرَ مِنهَا (٩٤) بَيتًا، وَقَالَ: هَذَا مَا صَحَّ لِيَ مِن هَذِه القَصيدَةِ وَمَطلَعُهَا عَلَى مَا فِي السِّيرةِ:

وَلَـمَّا رَأَيتُ القَومَ لَا وُدَّ فِيهِمُ ... وَقَدْ قَطَعوا كُلَّ العُرَى وَالوَسَائِلِ

ويقول فيها:

وَأَبيضَ يُسْتَسْقَى الغَمَامُ بِوَجْهِهِ ... رَبيعُ اليَتَامَى عِصْمَةٌ لِلأَرَامِلِ

تَطِيفُ بِهِ الهُلَّاكُ مِنْ آلِ هَاشِمٍ ... فَهُم عِنْدَهُ فِي نِعْمَةٍ وَفَوَاضِلِ

ومنها قوله:

كَذِبتُم وَبَيتِ اللهِ، نَترُكُ أَحمَدًا ... وَلَمَّا نُطَاعِن حَولَهُ وَنُنَاضِلِ!

وَنُسْلِمُهُ حَتَّى نُصَرَّعَ حَولَهُ ... وَنُذْهَلُ عَنْ أَبنَائِنَا وَالحَلَائِلِ!

لَعَمري لَقَد كَلَّفتُ وَجدًا بِأَحْمَدٍ ... وَإِخْوَتِهِ دَأبَ المُحِبِّ المُوَاصِلِ

=

وَمَعَ رَجُلٍ مِنْ كِنَانَةَ

ثُمَّ قَامَ رَجلٌ مِنْ كِنَانَةَ فَأَنْشَدَهُ:(١) [المتقارب]

١. لَكَ الحَمدُ وَالحَمدُ مِمَّنْ شَكَرْ ... سُقِينَا بِوَجهِ النَّبِيِّ ﷺ المَطَرْ
٢. دَعَا اللهَ خَالِقَهُ دَعوَةً ... وَأَشخَصَ مِنهُ إِلَيهِ البَصَرْ
٣. فَلَمْ يَكُ إِلَّا كَإِلْقَا الرِّدَاءِ ... وَأَسرَعَ، حَتَّى أَتَانَا الدِّرَرْ(٢)
٤. دِفَاقُ العَزَالِيَ، جَمُّ البُعَاقِ ... أَغَاثَ بِهِ اللهُ عَلِيَا مُضَرْ(٣)
٥. فَكَانَ كَمَا قَالَهُ عَمُّهُ ... أَبُو طَالِبٍ ذُو رُوَاءٍ أَغَرْ(٤)
٦. بِهِ يَسَّرَ اللهُ صَوْبَ الغَمَامِ ... فَهَذَا العَيَانُ وَذَاكَ الخَبَرْ

=

فَلَا زَالَ فِي الدُّنيَا جَمَالًا لِأَهْلِهَا ... وَزَينًا لِمَنْ وَالَاهُ رَبُّ المَشَاكِلِ
فَمَا مِثلُهُ فِي النَّاسِ أَيُّ مُؤَمَّلٍ ... إِذَا قَامَت الحُكَّامُ عِندَ التَّفَاضُلِ
حَلِيمٌ، رَشِيدٌ، عَادِلٌ، غَيرُ طَائِشٍ ... يُوَالِي إِلَهًا لَيسَ عَنهُ بِغَافِلِ
فَأَيَّدَهُ رَبُّ العِبَادِ بِنَصْرِهِ ... وَأَظْهَرَ دِينًا حَقُّهُ غَيرُ بَاطِلِ

ينظر: السِّيرة النبويَّة لابن هشام ١/ ١٧٦، والتوحيد للشيخ الصدوق ١٩٥، العمدة لابن البطريق ٤١٢، وشرح الأخبار ٣/ ٢٢٣.

(١) الأمالي للشيخ المفيد ٣٠٥، والأمالي للشيخ الطوسيّ ٧٦، وجواهر الكلام ١٢/ ١٣٥، وبحار الأنوار ١٨/ ٢، ٢٠/ ٣٠٠، ٣٥/ ١٦٨، ٨٨/ ٣٣٣، والغدير ٢/ ٤، ومستدرك سفينة البحار ٥/ ٤٤٤، مع اختلاف في رواية الأبيات بين المصادر المذكورة.

(٢) في الأصل جاء البيت برواية:

فَمَا كَانَ إِلَّا كَمَا سَاعَةً ... أَو أَقْصَرُ حَتَّى رَأَينَا المَطَر

– يُقَالُ: لِلسَّحَابِ دِرَّةٌ، أَي صَبٌّ واندِفاقٌ، وَالْجمع دِرَرٌ. (التاج ١١/ ٢٨٨).

(٣) العَزالِي: جَمْعُ العَزْلاء، وَهُوَ فَمُ المَزادة الأَسفل، فشَبَّه اتِّساعَ المَطَرِ واندفاقَه بِالَّذِي يَخْرُجُ مِنْ فَمِ المَزَادَةِ. (اللسان ١١/ ٤٤٣)، وَجَمّ البُعاقِ: هُوَ المَطَرُ الغَزِيرُ الكَثِيرُ الواسعُ كالباعِقِ فِي المَطرِ والسَّيْلِ. (التاج ٢٥/ ٨٧).

(٤) الرُّواءُ: المَنظَر. (اللسان ٣/ ٢٤٣)، وَرَجُلٌ أَغَرُّ: شَرِيفٌ. (اللسان ٥/ ١٦).

٧. فَمَنْ يَشكُرِ اللهَ يَلقَى المَزيدَ وَمَنْ يَكفُرِ اللهَ يَلقَ الغِيَرْ[١]

فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِنْ يَكُنْ شَاعِرٌ أَحسَنَ فَقَدْ أَحسَنْتَ»[٢]، وَاسْتِحسَانُ النَّبِيِّ ﷺ لِلشِّعرِ ظَاهِرٌ، وَالأَخْبَارُ الوَارِدَةُ فِيهِ لَا تُحْصَى، وَظَرَائِفُهَا لَا تُسْتَقْصَى.

سَوَادُ بنُ قَارَب وَخَبرُ النَّبِيِّ ﷺ[٣]

وَرَأَيتُ فِي (الغَيثُ الَّذِي انْسَجَمَ بِشَرحِ لَامِيَّةِ العَجَمِ) قَضِيَّةً وَقَعَتْ لِسَوَادِ بنِ قَارَب[٤] بَيْنَهُ وَبَيْنَ رِئِيِّهِ مِنَ الجِنِّ[٥]، هِيَ مِن أَغْرَبِ العَجَائِبِ، وَكَانَت مِن أَحَدِ مَعَاجِزِ

(١) الغِيرُ: تَغَيُّرُ الحَالِ وَزَوَالُ النِّعَم، وَتَغيَّر الشيءُ عَنْ حَالِهِ: تَحوَّلَ. وغَيَّرَه: حَوَّله وَبَدَّلَهُ كَأَنَّه جَعَلَهُ غَيْرَ مَا كَانَ. (اللسان ٥/ ٤٠).
وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ...﴾ (الأنفال/ ٥٣).

(٢) بحار الأنوار ٢٠/ ٣٠١، ٣٥/ ١٦٨، وعمدة القاري ٧/ ٣١، والتمهيد لما في الموطأ ٢٢/ ٦٥، وشرح ابن أبي الحديد ١٤/ ٨١، وأعيان الشيعة ٨/ ١٢٢.

(٣) الخبر والشعر في المصادر الآتية مع اختلافات كثيرة تنظر هناك: الاختصاص للشيخ المفيد ١٨٢، ومعجم الصَّحابة لابن قانع ١/ ٢٩٦، وتأريخ بغداد ١٩/ ١٣٢، تأريخ دمشق ٧٢/ ٣١٦، ومناقب آل أبي طالب لابن شهرآشوب ١/ ٧٦، وأسد الغابة ٢/ ٥٩٠، والرياض النضرة ٢/ ٣٢٥، وسير أعلام النُّبلاء- سيرة ١/ ١٦٧، وبحار الأنوار ١٨/ ٩٢، ٦٠/ ١٠٦، والمستدرك للحاكم النيسابوريّ ٣/ ٦٠٩، ومجمع الزوائد ٨/ ٢٥٠، والأحاديث الطوال للطبرانيّ ٨٥، والمعجم الكبير للطبرانيّ ٧/ ٩٤.

(٤) سَوَادُ بنُ قَارَب الأَزديُّ، وَيُقالُ السَّدوسيُّ أَو الدَّوسيُّ: مِن أَهلِ الشَّراةِ، مِن جِبَالِ البَلقَاءِ، لَهُ صُحْبَةٌ وَوِفَادَةٌ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَيُقَالُ: هُوَ رَجُلٌ مِن أَهلِ اليَمَنِ لَهُ فِيهِ شَرَفٌ وَمَوضِعٌ، وَهوَ صَاحِبُ الرِّئيةِ بِظُهور النَّبِيِّ ﷺ. شَاعِرٌ مِن بَنِي سَدوس، كَانَ يَتَكَهَّنُ فِي الجَاهِلِيَّةِ قَبلَ الإسلام، ثُمَّ أَسلَمَ، لَه أَخبارٌ، عَاشَ إِلَى عَهدِ عُمرَ وَمَاتَ فِي البَصرَةِ (نحو ١٥هـ/ نحو ٦٣٦م). ينظر: الاستيعاب ٢/ ٦٧٤، تأريخ دمشق ٧٢/ ٣١٦، وأسد الغابة ٢/ ٥٩٠، ومختصر تأريخ دمشق ١٠/ ٢١١، الوافي بالوفيات ١٦/ ٢٢، الإصابة ٣/ ١٨١، الأعلام ٣/ ١٤٤.

(٥) الرَّئِيُّ جنِّيّ يَتَعَرَّضُ لِلرَّجُلِ يُريه كَهَانَةً وطِبًّا، يُقَالُ: مَعَ فُلَانٍ رَئِيٌّ. قِيلَ: بِهِ رَئِيٌّ مِنَ الجِنِّ بِوَزْنِ رَعِيّ، وَهُوَ الَّذِي يَعْتَادُ الإِنسان مِنَ الجنِّ. (اللسان ١٤/ ٢٩٧).

النَّبِيِّ ﷺ حِينَ صَدَعَ بِالنُّبُوَّةِ بَينَ الأَنَامِ، وَقَامَ يَشِيدُ للهِ دَعَائِمَ الإِسلَامِ، وَذَلِكَ مَا رُوِيَ عَنْ مُحَمَّدٍ ابنِ كَعْبٍ الْقُرَظِيُّ[1]؛ قَالَ:

بَينَمَا عُمرُ بنُ الخَطَّابِ جَالِسًا مَعَه أَصحَابُهُ، إِذ مَرَّ بِهِ رَجلٌ فَسَلَّمَ عَلَيهِ، فَقَالَ لَه رَجلٌ مِنَ القَومِ: أَتَعرِفُ هَذَا المُسلِمَ؟

قَالَ عُمرُ: لَا.

قَالَ: هَذَا سَوَادُ بنُ قَارَبٍ، أَنبَأَهُ رِئِيُّهُ مِنَ الجِنِّ بِظُهُورِ النَّبِيِّ ﷺ.

فَدَعَاهُ عُمرُ، فَقَالَ لَهُ: هَل أَنتَ سَوَادُ بنُ قَارَبٍ الَّذِي أَنبأَهُ رِئِيُّهُ مِنَ الجِنِّ؟.

قَالَ: نَعم.

قَالَ: فَأَنتَ عَلَى مَا كُنتَ عَلَيهِ مِنْ كَهَانَتِكَ؟.

فَغَضِبَ غَضَبًا شَديدًا، وَقَالَ: مَا استَقبلَني أَحدٌ مُنذُ أَسلَمتُ بِهَذَا.

فَقَالَ عُمرُ: مَا كُنَّا عَلَيهِ مِنَ الكُفرِ أَعظَمُ مِنْ كَهَانَتكَ، أَخْبرني بِالَّذِي أَنبأَكَ بِهِ رِئِيُّكَ مِن ظُهورِ رَسولِ الله ﷺ.

قَالَ: نَعَم، بَينَا أَنَا نَائِمٌ وَيَقظَانُ إِذَا بِآتٍ أَتَى وَضَرَبَنِي بِرجلِهِ، وَقَالَ:

قُم يَا سَوَادُ بنُ قَارَبٍ، فَافْهَمْ وَاعْقَلْ إِنَّهُ قَدْ بُعِثَ رَسولٌ مِنْ لُؤَيِّ بنِ غَالِبٍ يَدعو إِلَى الله [عَزَّ وَجَلَّ وَإِلَى عِبَادَتِهِ][2]، ثُمَّ أَنشأَ يَقولُ: [من السريع]

١. عَجِبتُ لِلجِنِّ وَأَخْبَارِهَا ... وَشَدِّهَا العِيسَ بِأَكوَارِهَا

٢. تَهوى إِلَى مَكَّةَ تَبغِي الهُدَى ... مَا مُؤْمِنو الجِنِّ كَكُفَّارِهَا

٣. فَارْحَلْ إِلَى الصَّفْوَةِ مِنْ هَاشِمٍ ... بَينَ رَوَابِيهَا وَأَحْجَارِهَا

(١) ذكر في: المصنَّف لابن أبي شيبة ٥/ ١١٣، وغوامض الأسماء المبهمة ١/ ٤٢٤، والعمدة ١٩٤، ونظم درر السمطين ٨٤، والتُّحفة اللَّطيفة ٢/ ٤٧٢، والفتح السماويّ ٣/ ١٠٠٥.

(٢) بين العضادتَين عبارة ضروريَّة لإتمام المعنى وموجودة في المصادر.

فَقُلتُ: دَعني أَنَم فَإِنِّي أَمسَيتُ نَاعِسًا. فَلَمَّا كَانَت اللَّيلَةُ الثَّانِيةُ أَتَانِي فَضَربَنِي بِرِجلِهِ وَقَالَ: قُمْ يَا سَوَادُ بنُ قَارَبٍ، افْهَمْ وَاعْقَلْ إِن كُنتَ تَعقل، فَقَد بُعِثَ رَسولٌ مِن لُؤَيٍّ بنِ غَالِبٍ يَدعُو إِلَى الله ﷻ وَإِلَى عِبَادَتِهِ، ثُمَّ أَنشَأَ الجِنِّيُّ يَقولُ:

١. عَجِبتُ لِلجِنِّ وَتَطلَابِهَا ... وَشَدِّهَا العِيسَ بِأَقتَابِهَا
٢. تَهوَى إِلَى مَكَّةَ تَبغِي الهُدَى ... مَا صَادِقُ الجِنِّ كَكَذَّابِهَا
٣. فَارْحَلْ إِلَى الصَّفْوَةِ مِنْ هَاشِمٍ ... لَيْسَ قُدَامَاهَا كَأَذنَابِهَا[1]

فَقُلتُ: دَعني أَنَم فَإِنِّي أَمْسَيتُ نَاعِسًا. فَلَمَّا كَانَت اللَّيلَةُ الثَّالِثَةُ أَتَانِي فَضَرَبَنِي بِرِجلِهِ وَقَالَ: قُم يَا سَوَادُ بنُ قَارَبٍ، افْهَم وَاعْقَلْ إِنْ كُنْتَ تَعقِل، فَقَد بُعِثَ رَسولٌ مِن لُؤَيٍّ بنِ غَالِبٍ يَدعو إِلَى الله ﷻ وَإِلَى عِبَادَتِهِ، ثُمَّ أَنشَأَ يَقولُ:

١. عَجِبتُ لِلْجِنِّ وَتَحمَاسِهَا ... وَشَدِّهَا العِيسَ بِأَحلَاسِهَا
٢. تَهوَى إِلَى مَكَّةَ تَبغِي الهُدَى ... مَا خَيَّرُوا الجِنَّ كَأَنجَاسِهَا
٣. فَارْحَلْ إِلَى الصَّفْوَةِ مِنْ هَاشِمٍ ... وَاسْمُ بِعَيْنَيكَ إِلَى رَاسِهَا

فَلَمَّا أَنْ أَصبَحتُ شَدَدتُ عَلَى رَاحِلَتِي رَحلَهَا، وَسِرتُ إِلَى مَكَّةَ، فَقِيلَ لِي قَد صَارَ إِلَى المَدينةِ، فَأَتيتُ المَدينَةِ، فَصِرتُ إِلَى المَسجِدِ، فَعَقِلتُ نَاقَتِي، فَإِذَا بِرَسولِ الله ﷺ فِي جَماعَةٍ مِن أَصحَابِهِ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيَّ قَالَ: هَاتِ يَا سَوَادُ بنُ قَارِبٍ، فَقُلتُ: [من الطويل]

١. أَتَانِي رَئِيِّي بَيْنَ هَدْءٍ وَرَقْدَةٍ ... وَلَمْ أَكُ فِيمَا قَدْ بُلِيتُ بِكَاذِبِ[2]
٢. ثَلَاثَ لَيَالٍ قَولُهُ كُلَّ لَيلَةٍ ... أَتَاكَ رَسُولٌ مِن لُؤَيِّ بنِ غَالِبِ
٣. فَشَمَّرتُ مِنْ ذَيلِ الإِزَارِ وَوَسَّطَتْ ... بِي الذَّعلَبُ الوَجنَاءُ بَينَ السَّبَاسِبِ

(١) في بعض المصادر: (المقاديم) في موضع (قداماها).
– القَوادِمُ أَربع رِيشات فِي مُقَدَّم الْجَنَاحِ، الْوَاحِدَةُ قَادِمَة، وَهِيَ القُدَامَى، وَقِيلَ: قَوَادِم الطَّيْرِ مَقادِيم رِيشِهِ، وَهِيَ عَشْرٌ فِي كُلِّ جَنَاحٍ. وقيل: قُدَامَى الرِّيشِ المُقَدَّم. (اللسان ١٢/ ٤٦٩).
(٢) في المصادر الأخرى (نَجِيِّي) في موضع (رَئِيِّي).

٤. وَأَشْهَدُ أَنَّ اللهَ لَا رَبَّ غَيْرُهُ وَأَنَّكَ مَأْمُونٌ عَلَى كُلِّ غَائِبِ
٥. وَأَنَّكَ أَدْنَى المُرسَلِينَ وَسِيلَةً إِلَى اللهِ يَا ابنَ الأَكرَمِينَ الأَطَايِبِ
٦. فَمُرنَا بِمَا يَأْتِيكَ يَا خَيرَ مَن مَشَى وَإِنْ كَانَ فِيهَا جَاءَ شَيبُ الذَّوَائِبِ
٧. وَكُنْ لِي شَفِيعًا يَومَ لَا ذُو شَفَاعَةٍ بِمُغْنٍ فَتِيلًا عَنْ سَوَادِ بنِ قَارَبِ

قَالَ: فَفَرِحَ رَسولُ الله ﷺ فَرَحًا شَدِيدًا[1].

وَقَامَ إِلَيهِ عُمرُ بنُ الخَطَّابِ فَالتَزَمَهُ وَقَبَّلَ مَا بَينَ عَينَيهِ، وَقَالَ: لَقَد كُنتُ أُحِبُّ أَن أَسمَعَ هَذَا الخَبَرَ مِنكَ، فَأَخبِرنِي هَلْ يَأْتِيكَ رِئِيُّكَ اليَوم؟.

قَالَ: أَمَّا مُنذُ قَرَأتُ كِتَابَ الله فَلَا، وَنِعمَ العَوضُ كِتَابُ الله مِنَ الجِنِّ.

شَاعِرِيَّةُ عَبدِ الله بنِ رَوَاحَةَ

وَفِي (الفَتحِ القَرِيبِ)[2]، قَالَ[3]:

أَخرَجَ الزُّبَيرُ بنُ بَكَّارٍ[4] فِي (المُوفَّقِيَاتِ) عَنْ هِشَامِ بنِ عُروَةَ[5] عَنْ أَبِيهِ، قَالَ:

(١) عمدة القاري ١٧/ ٥، وفيه: (فَضَحكَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى بَدَت نَواجِذُهُ).

(٢) الفتح القريب على مغني اللبيب، لجلال الدين السيوطيّ (المتوفَّى ٩١١هـ).

(٣) الخبر والشعر في: الاستيعاب لابن عبد البر ٣/ ٩٠٠.

(٤) الزُّبَيْر بنُ بَكَّار بنِ عَبدِ الله القُرَشِيُّ الأَسَدِيُّ المَكِّيُّ، مِن أَحفَادِ الزُّبَيرِ بنِ العَوَّامِ، أَبو عَبدِ الله: عَالِمٌ بِالأنسَابِ وَأَخبَارِ العَربِ، رَاوِيةٌ. وُلِدَ فِي المَدِينَةِ، وَوَلِيَ قَضَاءَ مَكَّةَ فَتوفِّيَ فِيهَا سَنَةَ (٢٥٦هـ/ ٨٧٠ م)، لَه تَصَانِيفُ كثيرة، منها: (أخبار العرب، وأيامها) و(جمهرة نسب قريش)، وله مجموعٌ فِي الأخبَارِ وَنَوادِرِ التَّأرِيخِ، سَمَّاهُ (المُوَفَّقِيَّات)، أَلَّفَهُ لِلمُوَفَّقِ ابنِ المُتَوَكِّلِ العَبَّاسِيِّ، وَكَانَ يُؤَدِّبُهُ فِي صِغَرِهِ. لَهُ تَرجَمَةٌ فِي: تأريخ بغداد ٨/ ٤٦٨، معجم الأدباء ٣/ ١٣٢٢، تهذيب الكمال ٩/ ٢٩٣، وتأريخ الإسلام ٦/ ٨٢، وسير أعلام النُّبلاء ١٢/ ٣١١، والوافي بالوفيات ١٤/ ١٢٥، وتوضيح المشتبه ٤/ ٢٧٩، وتهذيب التهذيب ٣/ ٣١٢، ولسان الميزان ٧/ ٢١٨، والتُّحفة اللَّطيفة ١/ ٣٥٢، وخلاصة تذهيب تهذيب الكمال ١٢٠، والأعلام ٣/ ٤٣، ومعجم المؤلِّفين ٤/ ١٨٠.

(٥) هِشَام بنُ عُرْوَةَ بنِ الزُّبيرِ بنِ العَوَّامِ القُرَشِيُّ الأَسَدِيُّ، أَبو المُنذِرِ: تَابِعِيٌّ، قِيلَ عَنهُ: مِن أَئِمَّةِ=

[سَمِعتُ أَبِي يَقولُ] مَا سَمِعتُ أَحَدًا أَجرَأَ وَلَا أَسرَعَ شِعرًا مِن عَبدِ الله ابنِ رَوَاحَةَ[1]، يَومَ يَقولُ لَهُ رَسولُ اللهﷺ: «**قُلْ شِعرًا تَقْتَضِيهِ السَّاعَةُ وَأَنَا أَنظُرُ إِلَيكَ**»، ثُمَّ مَدَّ بَصَرَهُ.

فَانْبَعَثَ عَبدُ الله بنُ رَوَاحَةَ يَقُولُ: [من البسيط]

١.إِنِّي تَفَرَّسْتُ فِيكَ الخَيرَ أَعرِفُهُ ... وَاللهُ يَعْلَمُ: أَنْ مَا خَانَنِي البَصَرُ
٢.أَنْتَ النَّبِيُّ وَمَنْ يُحرَمْ شَفَاعَتَهُ ... يَومَ الحِسَابِ لَقَدْ أَزرَى بِهِ القَدَرُ
٣.فَثَبَّتَ اللهُ مَا آتَاكَ مِن حَسَنٍ ... كَالمُرسَلِينَ وَنَصرًا كَالَّذِي نُصِرُوا

فَقَالَ النَّبِيُّﷺ: «**وَأَنتَ فَثَبَّتَكَ اللهُ**».

وَفِي رُوَايَةِ هِشَامِ بنِ حَسَّان[2] أَنَّهُ لَمَّا قَالَ: فَثَبَّتَ اللهُ مَا آتَاكَ.. إِلى آخرِ البَيتِ، قَالَ لَهُ

=الحَديثِ، ومِن عُلَمَاءِ المدينةِ المنوَّرة، وَلَكِنَّهُ لَم يَكُن يُحسِنُ قِراءَةَ كُتبِهُ، وُلِدَ وَعَاشَ فِيهَا، وَزَارَ الكُوفَةِ فَسَمِعَ مِنهُ أَهلُهَ، وَدَخلَ بَغدادَ، وَافِدًا عَلَى المَنصورِ العَبَّاسيِّ، فَكانَ مِن خَاصَّتِهِ.وَتُوفِّيَ فيهَا سنة (١٤٦هـ/ ٧٦٣م)، وأخباره كثيرة. له ترجمة في: الطبقات الكبرى ٥/ ٣٧٥، والثُّقات للعجليّ- الدار ٢/ ٣٣٢، الثُّقات لابن حبَّان ٥/ ٥٠٢، ورجال صحيح البخاريّ ٢/ ٧٧٠، وتأريخ بغداد ١٤/ ٣٦، وتأريخ إربل ٢/ ٤٠٩، ووفيات الأعيان ٦/ ٨٠، وتأريخ الإسلام ٣/ ١٠٠١، وسير أعلام النُّبلاء ٦/ ٣٤، والوافي بالوفيات ٢٧/ ٢١٠، والأعلام ٨/ ٨٧.

(١) عَبْدُ الله بن رَوَاحَة بنِ ثَعلَبَةَ الأنصَاريُّ، مِنَ الخَزرَجِ، أَبو مُحمَّد: صَحَابِيٌّ، يُعدُّ مِنَ الأُمَرَاءِ وَالشُّعَرَاءِ الرَّاجِزينَ. كَانَ يَكتُبُ فِي الجَاهِلِيَّة. وَشَهِدَ العَقَبَةَ مَعَ السَّبعينَ مِن الأَنصَارِ. وَكَانَ أَحَدَ النُّقَبَاءِ الاثنَيْ عَشَر وَشَهِدَ بَدرًا وَأُحُدًا وَالخَندَقَ وَالحُدَيْبِيَّة. وَاسْتَخلَفَهُ النَّبِيُّﷺ عَلَى المَدينَةِ فِي إِحدَى غَزَوَاتِهِ، وَصَحِبَه فِي عُمرَةِ القَضَاءِ، وَلَهُ فِيهَا رَجَزٌ. وَكَانَ أَحدَ الأمرَاءِ فِي وَقعَةِ مُؤتَةَ في أَدنَى البَلقَاءِ مِن أَرضِ الشَّام، فَاستَشْهَدَ فِيهَا سنة (٨ هـ/ ٦٢٩م). له ترجمة في: الطبقات الكبرى ٣/ ٣٩٨، ومعجم الصَّحابة لابن قانع ٢/ ١٢٨، الثُّقات لابن حبَّان ٣/ ٣٢١، والاستيعاب ٣/ ٨٩٨، وتأريخ دمشق ٢٨/ ٨٠، وأسد الغابة ٣/ ٢٣٥، وتأريخ إربل ٢/ ٦٥٠، وتأريخ الإسلام ١/ ٣٣٣، وسير أعلام النُّبلاء- سيرة٢/ ١٣٣، والوافي بالوفيات ١٧/ ٨٨، والإصابة ٤/ ٧٢، وتهذيب التهذيب ٥/ ٢١٢، والأعلام ٤/ ٢٢٦.

(٢) القُرْدُوسّي هِشَامُ بنُ حَسَّانَ الأَزدِيّ، أَبو عَبدِ الله، مُحدِّثٌ، مِن أَهلِ البَصرَةِ، كَانَ يَكتُبُ حَديثَهُ، وَهوَ مِنَ المُكثِرينَ عَنِ الحَسَنِ البَصريِّ، تُوفِّيَ سَنةَ (١٤٧هـ/ ٧٦٤م). لَه تَرجمةٌ فِي:=

النَّبِيُّ ﷺ: «**وَإِيَّاكَ يَا سَيِّدَ الشُّعَرَاءِ**».

وَفِي الكِتَابِ المَذكورِ أَخرَجَ ابنُ عَسَاكِرٍ عَن عَبدِ العَزِيزِ ابنِ أَخِي المَاجِشون[1] قَالَ:[2]

بَلَغَنَا أَنَّهُ كَانَت لِعَبدِ الله بنِ رَوَاحَةَ جَارِيَةٌ يَتَسَرَّاهَا سِرًّا عَنْ أَهلِهِ، فَبَصُرَتْ بِهِ امرَأَتُهُ يَومًا قَدْ خَلَا بِهَا، فَقَالَتْ لَهُ:

لَقَد اخْتَرتَ أَمَتَكَ عَلَى حُرمَتِكَ، فَجَاحَدَهَا ذَلِكَ.

قَالَتْ: إِنْ كُنْتَ صَادِقًا فَاقرَأ آيَةً مِنَ القُرآنِ.

فَقَالَ: [من الوافر]

شَهِدتُ بِأَنَّ وَعدَ الله حَقٌّ وَأَنَّ النَّارَ مَثوَى الكَافِرِينَا

فَقَالَتْ: زِدنِي آيَةً أُخرَى.

فَقَالَ:

وَأَنَّ العَرشَ فَوقَ المَاءِ حَقٌّ وَفَوقَ العَرشِ رَبُّ العَالَمِينَا

=الطبقات الكبرى ٧/ ٢٠٠، والتأريخ الكبير ٨/ ١٩٧، والثُّقات للعجليّ ٢/ ٣٢٨، والثُّقات لابن حبَّان ٧/ ٥٦٦، ومشاهير علماء الأمصار ٢٣٩، ورجال صحيح البخاريّ ٢/ ٧٧١، ورجال صحيح مسلم ٢/ ٣١٧، وتهذيب الكمال ٣٠/ ١٨١، وتأريخ الإسلام ٣/ ٩٩٩، وسير أعلام النُّبلاء ٦/ ٣٥٥، وميزان الاعتدال ٤/ ٢٩٥، والوافي بالوفيات ٢٦/ ٥٦، والأعلام ٨/ ٨٥.

(١) عبد الْعَزِيز بن أبي سَلمَة المَاجشون، واسْمه دِينَار مولَى لآل الْمُنْكَدر، كُنْيَتُهُ أَبُو عَبْد الله، مُفْتِي أَهْلِ الْمَدِينَةِ، سَمِعَ الزُّهْرِيَّ، وَعَبْدَ الله بنِ دِينَارٍ، وَغَيْرَهُمَا يَرْوِي عَن الزُّهْرِيّ روى عَنهُ جماعة، مُخَرَّجٌ فِي الصَّحِيحَيْنِ، يَرَى التَّسْمِيعَ وَيُرَخِّصُ فِي الْعُودِ. ينظر: الثُّقات للعجليّ- الباز ٣٠٥، الثُّقات لابن حبَّان ٧/ ١١٠، رجال صحيح البخاريّ ٤٧٣، الإرشاد في معرفة علماء الحديث ١/ ٣١٠، وميزان الاعتدال ٢/ ٦٢٩، التُّحفة اللَّطيفة ٢/ ١٨١.

(٢) الخبر والشعر في: الاستيعاب لابن عبد البر ٣/ ٩٠٠، وتفسير مجمع البيان ١٠/ ٥٧، والمغني لعبد الله بن قدامة ١٢/ ٤٨٨، وتذكرة الفقهاء للعلَّامة الحِلِّيّ ١/ ٢٣٦، وجواهر الكلام ٣/ ٦٨، وتفسير الآلوسيّ ٧/ ١١٤.

فَقَالَت: زِدنِي آيةً أُخرَى.

فَقَالَ:

وَتَحـــمِـــلُـــهُ مَـــلَائِـــكَـــةٌ غِـــلَاظٌ مَـــلَائِـــكَـــةُ الإِلَـــــهِ مُـــسَـــوَّمِـــيـــنَـــا

فَقَالَتْ: آمَنتُ بِالله وَكَذَّبتُ بَصَري [وَكَانَت لَا تَحفِظُ القُرآنَ وَلَا تَقرَأهُ]، فَأَتَى ابنُ رَوَاحَةَ رَسُولَ اللهﷺ فَحَدَّثَهُ، فَضَحكَ وَلَم يُغَيِّرْ عَلَيهِ.

وَأَخرَجَ ابنُ عَسَاكِرٍ[1] عَن عِكرِمَةَ مَولَى ابنِ عَبَّاسٍ[2]، أَنَّ عَبدَ الله بنَ رَوَاحَةَ كَانَ مُضْطَجِعًا إِلَى جَنبِ امْرَأَتِهِ، فَخَرَجَ إِلَى الحِجرَةِ، فَوَاقَعَ جَارِيةً لَهُ، فَاسْتَيقَظَتْ المَرأَةُ فَلَمْ تَرَه، فَخَرَجَت فَإِذَا هُوَ عَلَى بَطنِ الجَارِيةِ، فَرَجَعَت وَأَخذَت الشَّفرَةَ، فَلَقِيهَا وَمَعهَا الشَّفرةُ، فَقَالَ لَهَا: مَهِيم[3]؟.

(١) الخبر والشعر في: تأريخ دمشق ٢٨/ ١١٦، وكنز العمال ١٣/ ٤٥١.
- ابن عَسَاكِر عَليُّ بنُ الحَسَن بن هِبةِ الله، أَبو القَاسِم الدِمَشْقِيّ: المُؤَرِّخُ الحَافِظُ الرَّحَّالَة. كَانَ مُحَدِّثَ الدِّيَارِ الشَّامِيَّة، وَرَفِيقَ السَّمْعَانيّ (صَاحِب الأَنْسَاب) فِي رِحْلَاتِهِ. وُلِدَ فِي دِمشق، وَتُوفِّيَ فِيهَا سَنةَ (٥٧١هـ/ ١١٧٦م)، وَلَهُ (تَأريخُ دِمشق الكَبير) يُعرَفُ بِتَأرِيخِ ابنِ عَسَاكِر، وَكُتُبٌ أُخرَى كَثِيرَة. لَه تَرجمة في: تأريخ بغداد ١٥/ ٢٩٥، وتأريخ دمشق ١/ ١١، والتقييد لمعرفة رواة السنن والأسانيد ٤٠٥، وتذكرة الحفاظ ٤/ ٨٢، وسير أعلام النُّبلاء ٢١/ ٤٠٥، وتأريخ الإسلام ١٢/ ٤٩٣، والوافي بالوفيات ٢٠/ ٢١٦، والأعلام ٤/ ٢٧٣، ومعجم المؤلِّفين ٧/ ٦٩.

(٢) عكرمة مولى ابن عَبَّاس أَبُو عَبْد الله الْهَاشِمِيّ سَمِعَ ابْن عَبَّاس وأبا سَعِيد والحَسَنِ بنَ عَليٍّ سَلامُ الله عَلَيهِمَا، روى عَنْهُ جَابِر بْن زَيْد وَعَمْرو بْن دينار، قيل مات سنة سبع ومئة، وقيل أربع ومئة. له ترجمة في: التأريخ الكبير ٧/ ٤٩، والثُّقات للعجلي- الباز ٣٣٩، والكنى والأسماء ١/ ٤٦٩، ورجال صحيح مسلم ٢/ ١٠٩، وطبقات الفقهاء ٧٠، والضعفاء والمتروكين ٢/ ١٨٢، ومعجم الأدباء ٤/ ١٦٢٧، وتهذيب الأسماء واللغات ١/ ٣٤١، وميزان الاعتدال ٣/ ٩٣، والوافي بالوفيات ٣/ ٩٣، والتُّحفة اللَّطيفة ٢/ ٢٦٩.

(٣) مَهْيَمْ، كَلِمَةٌ يَمَانِيَّةٌ مَعْنَاهَا مَا أَمْرُك؟ وَمَا هَذَا الَّذِي أَرى بكَ؟ وَنَحْوُ هَذَا مِنَ الْكَلَامِ. (اللسان ١٢/ ٥٦٥).

فَقَالَت: مَهِيم، أَمَّا إِنِّي لَوْ وَجَدْتُكَ حَيثُ كُنْتَ لَوَجَأْتُكَ بِهَا[1]!

قَالَ: وَأَينَ كُنتُ؟.

قَالَت: عَلَى بَطنِ الجَارِيَةِ.

قَالَ: مَا كُنتُ؟

قَالَتْ: بَلَى.

قَالَ: فَإِنَّ رَسولَ الله ﷺ نَهَى أَنْ يَقرَأَ أَحَدُنَا القُرآنَ وَهوَ جُنبٌ.

فَقَالَتْ: اقْرَأه.

قَالَ: [من الطويل]

١. أَتَانَا رَسُولُ الله يَتلُو كِتَابَهُ ... كَمَا لَاحَ مَشهُورٌ مِنَ الصُّبحِ سَاطِعُ

٢. أَتَى بِالهُدَى بَعدَ العَمَى فَقُلُوبُنَا ... بِهِ مُوقِنَاتٌ أَنَّ مَا قَالَ وَاقِعُ

٣. يَبِيتُ يُجَافِي جَنْبُه عَنْ فِرَاشِهِ ... إِذَا اسْتَثْقَلَتْ بِالكَافِرِينَ المَضَاجِعُ

قَالَت: آمَنتُ بِالله وَكَذَّبتُ بَصَري.

قَالَ: فَغَدَوتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَخبَرتُهُ، فَضَحِكَ حَتَّى بَدَت نَوَاجِذُهُ[2].

سُحَيمٌ وَقَولُهُ المَرضِيُّ عِندَ اللهِ وَرَسُولِهِ ﷺ

وَقَالَ ابنُ حَبِيبٍ[3] أَنشَدتُ رَسولَ الله ﷺ قَولَ سُحَيمٍ[4] عَبدِ بَنِي

(١) وَجَأَهُ باليَدِ والسِّكِّين: ضَرَبَه. (التاج ١/ ٤٨٢).

(٢) كنز العمَّال ١٣/ ٤٥٢، وتفسير الآلوسيّ ٢٨/ ١٥٢، وتأريخ دمشق ٢٨/ ١١٥.

(٣) الخبر والشعر في: الإصابة ٣/ ٢٠٧.

(٤) سُحَيم: عَبدُ بَني الحَسحَاس: شاعر مفلق، بديع القول، رقيق الشعر. كَان عَبدًا نُوبِيًّا أَعجَمِيَّ الأَصلِ، اشتَرَاهُ بَنو الحَسحَاس -وَهم بَطنٌ مِن بَني أَسَدٍ- فَنَشَأَ فِيهِم. مَولِدُهُ فِي أَوَائِلِ عَصرِ النُّبُوَّةِ. رَآهُ النَّبِيُّ ﷺ وَكَانَ يُعجِبُه شِعرُهُ. وَعَاشَ إِلَى أَوَاخِرِ أَيَّامِ عُثمَانَ، وَقَتلَهُ بَنو الحَسحَاسِ=

الحَسحَاسِ:[1] [من البسيط]

الحَمدُ لله حَمدًا لَا انْقِطَاعَ لَهُ فَلَيْسَ إِحسَانُهُ عَنَّا بِمَقْطُوعِ

فَقَالَ ﷺ: «**أَحسَنَ وَصَدَقَ فَإِنَّ اللهَ سَيَشْكُر مِثلَ هَذَا**»[2].

فَهَكذَا كَانَت عَادَتُهُ ﷺ فِي الشِّعرِ، يَسْأَلُ مُنْشِئَهُ أَنْ يَنْشُدَهُ، وَيَسْتَحْسِنُ جَيِّدَهُ، وَكَانَ مِنْ أَعلَمِ النَّاسِ بِدَقَائِقِ مَعَانِيهِ، مَعَ أَنَّهُ لَمْ يَنْطِقْ فِيهِ، وَكَانَت عَادَتُهُ إِذَا تَمَثَّلَ بِالشِّعرِ يَحِلُّ نِظَامَ أَلفَاظِهِ مِن سِلكِهَا، وَيُخرِجُهُ مِن مَاهِيَّتِه، كَمَا هُوَ المَعلُومُ مِن عَادَتِه.

رُوِيَ فِي (مَجمَعِ البَحْرَينِ)[3] عَنِ الحَسَنِ عليه السلام؛ قَالَ: كَانَ يَتَمَثَّلُ بِهَذَا البَيتِ رسولُ اللهِ ﷺ إِلَى الثَّقَلَينِ:

كَفَى الإِسْلَامُ وَالشَّيْبُ لِلْمَرءِ نَاهِيًا[4]

وَفِيهِ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ إِذَا تَمَثَّلَ بِهَذَا البَيتِ:[5] [من الطويل]

سَتُبْدِي لَكَ الأَيَّامُ مَا كُنْتَ جَاهِلا وَيَأتِيكَ بِالأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدِ

يَقُولُ: وَيَأتِيكَ مَن لَم تُزَوِّدْ بِالأَخْبَارِ، فَيُقَالُ لَهُ لَيسَ هَكَذَا؛ فَيَقُولُ: «لَستُ بِشَاعِرٍ».

=وَأَحرَقُوهُ؛ لِتَشْبِيبِهِ بِنِسَائِهِم. وذلك (نحو ٤٠ هـ/ نحو ٦٦٠ م)، له (ديوان شعر) صغير. له ترجمة في: طبقات فحول الشعراء ١/ ١٧٢، وسير أعلام النُّبلاء- راشدون ٢٨٩، وتأريخ الإسلام ٢/ ٣٨١، وفوات الوفيات ٢/ ٤٢، وتوضيح المشتبه ٦/ ٣٦٣، والإصابة ٣/ ٢٠٧، والأعلام ٣/ ٧٩.

(١) ديوان سحيم ٦٨.

(٢) ويروى الحديث: «**أَحسَنَ وَصَدَقَ وَإِنَّ اللهَ لَيَشكُر مِثلَ هَذَا**».

(٣) مجمع البحرين: تأليف العالم الفقيه فخر الدين الطريحي (المتوفَّى ١٠٨٧هـ).

(٤) هوَ بَيتُ سُحَيم:

عُمَيرَةَ وَدِّعْ إِن تَجَهَّزتَ غَادِيَا كَفَى الشَّيْبُ وَالإسلام لِلمَرْءِ نَاهِيَا

ديوان سحيم ١٦.

(٥) ديوان طرفة بن العبد ٢٩.

العَبَّاسُ بنُ مِرداسٍ السُّلَمِي وَخَبَرُه فِي قِسْمَةِ غَنَائِمِ حُنَيْنٍ

وَرُوِيَ فِي (كَشفِ الغُمَّةِ)(١) أَنَّهُ ﷺ أَعطَى العَبَّاسَ بنَ مِرداسٍ السُّلَمِي(٢) مِن غَنِيمَةِ حُنَيْنٍ(٣) أَربَعةً مِنَ الإِبلِ فَسَخِطَهَا، وَقَالَ(٤): [من المتقارب]

١. أَتَجعَلُ نَهبِي وَنَهبَ العُبَيْدِ ... بَينَ عُيَيْنَةَ وَالأَقْرَعِ(٥)

(١) كشف الغمَّة في معرفة الأئمَّة، تأليف العلَّامة المحقِّق أبي الحسن عليّ بن عيسى بن أبي الفتح الإربلِّيّ (المتوفَّى ٦٩٣هـ).

(٢) كَانَ عَبَّاس بنُ مَردَاس مِن المُؤَلَّفَةِ قُلوبِهِم، وَلَمَّا أَعطَى رَسولُ الله ﷺ المُؤَلَّفَةَ قُلُوبُهم مِن سَبي حُنَيْنٍ: الأَقرعَ ابنَ حَابِسٍ، وَعَيينةَ بنَ حِصنٍ مِئَةً مِئَةً مِنَ الإِبلِ، وَنَقَصَ طَائِفةً مِن المِئَةِ مِنهُم عَبَّاس بنُ مِردَاس، جَعَل عَباس بنُ مِرداس يَقولُ: إِذَا لَم يَبلغْ بِهِ مِنَ العَطَاءِ مَا بَلغَ بِالأَقرعِ بنِ حَابِسٍ وَعَيينةَ بنِ حِصنٍ.

(٣) المؤلِّفُ يَذكرُ مَعرَكَةَ حُنَيْنٍ، إِذ حَشَّدَتْ هَوَازنُ عِشرينَ أَلفَ مُقَاتِلٍ، وَكَانَ جَيشُ رَسولِ الله ﷺ اثنَي عَشَرَ أَلفًا، وَفَاجَأتهُ هَوَازنُ بِكَمِينٍ فَهَرَبَ الجَيشُ كُلُّهُ، وَلَبِثَ رَسولُ الله ﷺ وَبَنو هَاشِمٍ، فَوكَّلَهَم عَليٌّ عليه السلام بِحِمَايَةِ رَسولِ الله ﷺ، وَغَاصَ فِي جَيشِ هَوَازِن يَقْطِفُ رُؤُوسَ قَادَتِهِ فَقَط، حَتَّى جَدَّل أَربَعِينَ مِن حَمَلَة الرَّايَاتِ، فَوَقَعَت فِيهِم الهَزيمَةُ، وَاسْتَعَادَ النَّبيُّ ﷺ الكَفَّةَ وَحَقَّقَ النَّصرَ المُؤَزَّرَ. ينظر: تأريخ الطبريّ ٣٤٨، والعبر في خبر من غبر ١/ ٩.

(٤) الخبر والشعر في: صحيح مسلم ٣/ ١٠٨، والإرشاد للشيخ المفيد ١/ ١٤٧، والاستيعاب ٢/ ٨١٨، وكشف الغمَّة ١/ ٢٢٤، وتأريخ دمشق ٢٦/ ٤١٣، وفتح الباري ٨/ ٤٤، ١٣/ ٢١٨، وحلية الأبرار ١/ ٢٩٤، وبحار الأنوار ٢١/ ١٦٠، ١٧١، ومعالم المدرستَين ٢/ ٩٧.

(٥) العُبَيْدُ: اسمُ فَرس عَبَّاس بنِ مِرداسٍ، وَكَانَ يُدعَى فَارِسُ العُبَيدِ.

- الأَقرَعُ بنُ حَابِس بنِ عُقَال المُجَاشِعِي الدَّارميُّ التَّمِيمِيُّ: صَحَابِيٌّ، مِن سَادَاتِ العَرَبِ فِي الجَاهِلِيَّةِ. قَدِمَ عَلَى رَسولِ الله ﷺ فِي وَفْدٍ مِن بَنِي دَارِم (مِن تَميم) فَأَسلَموا، وَشَهِدَ حُنَينًا وَفَتحَ مَكَّةَ وَالطَّائِفَ، وَسَكَنَ المَدينَةَ، وَكَانَ مِنَ المُؤَلَّفَة قُلوبُهم، وَرَحَلَ إِلَى دَومَةِ الجَنْدَلِ فِي زَمَنِ أَبي بَكرٍ، وَكَانَ مَعَ خَالِدِ بنِ الوَلِيدِ فِي أَكثرِ وَقَائِعِه حَتَّى اليَمَامَةَ، وَاسْتُشْهَدَ بِالجَوزَجَانِ سَنَةَ (٣١هـ). وَفِي المُؤَرِّخينَ مَن يَرَى أَنَّ اسمَهُ (فراس)، وَأَنَّ الأَقرَعَ لَقَبٌ لَهُ؛ لِقَرَعَ كَانَ بِرأسِهِ. وَكَانَ حَكَمًا فِي الجَاهِلِيَّة. له ترجمة في: تأريخ دمشق ٩/ ١٨٤، وأسد الغابة ١/ ٢٦٤، وتأريخ إربل ٢/ ٢٤٠، وتهذيب الأسماء ١/ ١٢٤، وسير أعلام النُّبلاء ١٣٧، والوافي بالوفيات ٩/ ١٨٠، والتُّحفة=

٢.وَمَـا كَـانَ حِصـنٌ وَلَا حَـابِـسٌ يَـفُـوقَـانِ شَـيْـخِـيَ فِي مَجْـمَـعِ
٣.وَمَـا كُـنْـتُ دُونَ امْـرِئٍ مِـنهُـمَا وَمَـنْ تَـضَـعِ الـيَـومَ لَمْ يُـرفَـعِ

فَبَلَغَ النَّبِيَّ ﷺذَلِكَ فَأَحضَرَهُ، وَقَالَ لَهُ: أَنتَ القَائِلُ:

أَ تَجْـعَـلُ نَهْـبِـي وَنَهْـبَ الـعُـبَـيْـدِ بَـيـنَ الأَقَـرعِ وَعُـيَـيْـنَـةَ؟!

فَقَالَ لَهُ أَبو بَكرٍ: بِأَبِي أَنتَ وَأُمِّي لَستَ بِشَاعِرٍ.

قَالَ ﷺ: وَكَيفَ قَالَ؟.

قَالَ: بَينَ عُيَيْنَةَ وَالأَقْرعِ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهﷺ لِأَمِيرِ المُؤمِنينَ عليه السلام: قُمْ يَا عَلِيّ فَاقْطَعْ لِسَانَهُ.

قَالَ: فَقَالَ العَبَّاسُ: فَوَاللهِ لَـهَذِهِ الكَلِمةُ كَانَتْ أَشَدَّ عَلَيَّ مِنْ يَومِ خَثعَمٍ، حِينَ أَتونَا فِي دِيَارِنَا، فَانْطَلَقَ بِي وَإِنِّي لَأَوَدُّ أَنْ أَخلُصَ مِنهُ.

فَقُلتُ: أَتَقْطَعُ لِسَانِي؟.

قَالَ: إِنِّي مُمضٍ فِيكَ قَولَ رَسولِ اللهﷺ، فَمَا زَالَ حَتَّى أَدخَلَنِي حَظَائِرَ الإِبِلِ، ثُمَّ

=اللَّطيفة ١/ ١٩٤، والأعلام ٢/ ٥.

– عُيَيْنَة بنُ حِصْنِ بنِ حُذَيْفة بنِ بَدرِ بنِ عَمرِو بنِ جويةَ بنِ لُوذَانَ بنِ ثَعلَبَةَ بنِ عَديِّ بنِ فَزَارةَ الفَزَارِيُّ، مِن قَيْسِ عَيْلَانَ، وَاسمُ عُيَيْنَةَ: حُذَيفَةُ، فَأَصَابتهُ لِقْوَةٌ فَجَحَظَت عَينَاهُ، فسُمِّيَ عُيَيْنَة، ويُكنَّى أَبَا مَالِكٍ، وَهوَ سَيِّدُ بَنِي فَزَارَةَ وَفَارِسُهُم. وَكَانَ مِنَ المُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهم، أَسلَمَ قَبلَ الفَتحِ، وَشَهدهَا، وَشَهِدَ حُنَينًا، وَالطَّائِفَ، وَبَعثَهُ النَّبِيُّﷺ لِبَنِي تَمِيمٍ؛ فَسَبَى بَعضَ بَنِي العَنْبَرِ، ثُمَّ كَانَ مِمن خَرَجُوا عَلَى أَبِي بَكرٍ، وَمَالَ إِلَى طَلحَةَ، فَبَايَعَهُ، وَكَانَ فِيهِ جَفَاءُ سُكَّانُ البَوَادِي، وَمَاتَ فِي آخِرِ عَهدِ عُثمانَ. له ترجمة في: الطبقات الكبرى ٢/ ١٥٣، والثِّقات لابن حبَّان ٣/ ٣١٢، ومعجم الشعراء ١/ ١٥٤، ورجال صحيح مسلم ٢/ ٢٣٤، ومعرفة الصَّحابة لأبي نعيم ٤/ ٢٢٤٧، والاستيعاب ٣/ ١٢٤٩، وأسد الغابة ٤/ ٣١٨، وتأريخ إربل ٢/ ٢٤٠، وتأريخ الإسلام ٢/ ١٩٠، وسير أعلام النُّبلاء- راشدون ٢١٥، والوافي بالوفيات ١١/ ٢٥٣، والإصابة ٤/ ٦٣٨.

قَالَ: خُذْ مَا بَينَ أَربعٍ إِلَى مِئَةٍ.

فَقُلتُ: بِأَبِي أَنتَ وَأُمِّي مَا أَكرَمَكم، وَأَحلَمَكم، وَأَعلَمَكم؟!

فَقَالَ: إِنَّ رَسولَ اللهﷺ أَعطَاكَ أَربَعًا وَجَعَلَكَ مَعَ المُهَاجِرينَ، فَإِنْ شِئتَ فَخُذهَا، وَإِنْ شِئتَ فَخُذِ المِئَةَ وَكُنْ مَعَ أَهلِ المِئَةِ.

قَالَ: قُلتُ: أَشِرْ عَلَيَّ.

قَالَ: إِنِّي آمرُكُ أَنْ تَأخُذَ مَا أَعطَاكَﷺ وَتَرضَى.

قُلتُ: فَإِنِّي أَفْعَلُ.

وَرَوَى صَاحِبُ (الفَتحِ القَرِيبِ) بِطُرُقٍ أُخَر، قَالَ[1]: أَخرجَ مُسلِمٌ فِي (صَحِيحِهِ) وَالبَيهَقِيُّ فِي (دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ) عَن رَافِعِ بنِ خَدِيجٍ[2] أَنَّ النَّبِيَّﷺ أَعطَى المُؤَلَّفَةَ قُلُوبُهُم مِن سَبي (حُنَينٍ) كُلَّ رَجُلٍ مِنهُم مِئَةً مِنَ الإِبلِ، فَأَعطَى أَبَا سُفيَانَ ابنَ حَربٍ[3] مِئَةً، وَأَعطَى

(١) الخبر والشعر في: الاستيعاب ٢/ ٨١٧، وإعلام الورى ١/ ٢٣٦، وتأريخ الإسلام للذهبيّ- تدمريّ ٢/ ٦٠٢، والبداية والنهاية ٤/ ٤١٢، والسيرة النبويَّة لابن كثير ٣/ ٦٨٠، وفتح الباري ٨/ ٤٤، وعمدة القاري للعينيّ ١٥/ ٦٢، وسبل الهدى والرشاد ٥/ ٣٩٨.

(٢) رافِعُ بنُ خَدِيجِ بنِ رَافِعِ بنِ عَدِي بنِ زَيدِ بنِ جَشَمِ الأَنْصَارِيُّ الأَوسِيُّ الحَارِثِيُّ: صَحَابِيٌّ. كَانَ عَرِيفَ قَومِهِ بِالمَدِينَةِ، وَشَهِدَ أُحُدًا وَالخَنْدَقَ. تُوُفِّيَ فِي المَدِينَةِ مُتَأَثِّرًا مِن جِرَاحَةٍ، وَهوَ ابنُ سِتٍّ وَثَمَانِينَ سَنَةً، وذلك سَنَةَ أَربعٍ وَسَبعِينَ للهجرة. له ترجمة في: الثِّقات لابن حبَّان ٣/ ١٢١، مشاهير علماء الأمصار ٣١، وتأريخ مولد العلماء ووفاتهم ١/ ١٩٣، ورجال صحيح البخاريّ ١/ ٢٥٠، ورجال صحيح مسلم ١/ ٢٠٧، وتأريخ أصبهان ١/ ٩٥، ومعرفة الصَّحابة لأبي نعيم ٢/ ١٠٤٤، والاستيعاب ٢/ ٤٧٩، وأسد الغابة ٢/ ٢٣٢، وتأريخ الإسلام ٢/ ٨١١، وسير أعلام النُّبلاء ٣/ ١٨١، والإصابة ٢/ ٣٦٢، وتهذيب التهذيب ٣/ ٢٢٩، والتُّحفة اللَّطيفة ١/ ٣٣٨، وخلاصة تذهيب تهذيب الكمال ١١٣، والأعلام ٤/ ٢٢٦.

(٣) أَبُو سُفْيَان صَخرُ بنُ حَربِ بنِ أُميَّةَ بنِ عَبدِ شَمسِ بنِ عَبدِ مَناف، كَانَ مِن رُؤَسَاءِ المُشْرِكِيَن فِي حَربِ الإِسلام عِندَ ظُهورِهِ: قَادَ قُرَيشًا وَكِنَانَةَ يَومَ أُحُد وَيَومَ الخَندَق لِقِتَالِ رَسولِ اللهﷺ، وَأَسلَمَ يَومَ فَتحِ مَكَّةَ (سنة ٨هـ)، هُوَ رَأسُ الطُّلَقَاءِ يَومَ الفَتحِ، وَشَهِدَ حُنينًا وَالطَّائِفَ، وَكَانَ=

صَفوَانَ بنَ أُمَيَّةَ[1] مِئَةً، وَأَعطَى عُيَيْنَةَ بنَ حِصنٍ مِئَةً، وَأَعطَى الأَقرَعَ بنَ حَابِسٍ مِئَةً، وَأَعطَى عَلقَمَةَ بنَ عُلَاثَةَ[2] مِئَةً، وَأَعطَى مَالِكَ بنَ عَوفٍ[3] مِئَةً، وَأَعطَى العَبَّاسَ ابنَ

=مِنَ المُؤَلَّفَةِ قُلُوبهم، وَهوَ أَبو مُعَاوِيَةَ رَأسِ الدَّولَةِ الأَمويَّةِ، وَتُوفِّيَ في المَدينَةِ، وَقِيلَ في الشَّامِ سَنَةَ (٣١هـ/ ٦٥٢م). له ترجمة في: الطبقات لخليفة بن خيَّاط ٣٩، التأريخ الكبير ٤/ ٣١٠، والكنى والأسماء ١/ ٣٨٦، والاشتقاق ٧٥، ومعجم الصَّحابة ٢/ ١٩، الثُّقات لابن حبَّان ٣/ ١٩٢، ومشاهير علماء الأمصار ٥٨، ومعرفة الصَّحابة لأبي نعيم ٣/ ١٥٠٩، والاستيعاب ٢/ ٧١٤، وتأريخ بغداد ٤/ ١٦٧٧، وتأريخ دمشق ٢٣/ ٤٢١، وأسد الغابة ٥/ ١٤٨، والوافي بالوفيات ١٦/ ١٦٤، والأعلام ٣/ ٢٠١.

(١) صَفوان الجُمَحيّ: صَفوَانُ بنُ أُميَّةَ بنِ خَلَفِ بنِ وَهب الجُمَحِيُّ القَرَشيُّ المَكِّيُّ، أَبو وَهب: صَحَابِيّ، فَصيح جَوَاد. كَانَ مِن أَشرَافِ قُريشٍ فِي الجَاهِليَّةِ، أَسلَمَ بَعدَ الفَتحِ، وَكَانَ مِنَ المُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهم. وشهد اليرموك، ومات بمكَّة سنة (٤١هـ/ ٦٦١م). له ترجمة في: الطبقات الكبرى ٦/ ٧، والتأريخ الكبير ٤/ ٣٠٥، ومعجم الصَّحابة ٢/ ١١، والثُّقات لابن حبَّان ٣/ ١٩١، ومشاهير علماء الأمصار ٥٦، ومعرفة الصَّحابة لأبي نعيم ٣/ ١٤٩٨، والاستيعاب ٢/ ٧١٨، وأسد الغابة ٣/ ٢٤، وسير أعلام النُّبلاء ٢/ ٥٦٢، والوافي بالوفيات ١٦/ ١٨١، والأعلام ٣/ ٢٠٥.

(٢) عَلْقَمَة بن عُلَاثَة بنَ عُوفٍ الكِلَابيُّ العَامِريُّ. مِن بَنِي عَامِرِ بنِ صَعْصَعَةَ. كَانَ فِي الجَاهليَّةِ مِن أَشرَافِ قَومِهِ. وَفَدَ عَلَى قَيصَر، وَنَافَرَ عَامِرَ بنَ الطُّفَيل، ثُمَّ أَسلَمَ. وَكَانَ مِنَ المُؤَلَّفَةِ قُلُوبهم، وَخَرجَ عَلَى أَبي بَكرٍ، فَانصَرفَ إِلَى الشَّام، ثُمَّ عَادَ، وَوَلَّاهُ عُمرُ، توفِّي (نحو ٢٠هـ/ نحو ٦٤٠م). له ترجمة في: الاستيعاب ٣/ ١٠٨٨، وتأريخ دمشق ٤١/ ١٤١، وأسد الغابة ٤/ ٨٢، وتأريخ الإسلام ٢/ ١٦١، وسير أعلام النُّبلاء- راشدون ١٣٨، والإصابة ٤/ ٤٥٥، والأعلام ٤/ ٢٤٧.

(٣) في الأصل: (عوف بن مالك النضريّ) في موضع (مالك بن عوف النصريّ).

- مالِكُ بنُ عَوفِ بنِ سَعدِ بنِ يَربُوعٍ النَّصْريُّ، مِن هَوَازِن، مِن أَهلِ الطَّائِفِ، كَانَ رَئيسَ المُشركِينَ يَومَ حُنينٍ، قَادَ (هَوَازِنَ) كُلَّهَا لحربِ رَسولِ الله ﷺ، وَفَرَّ بَعدَ انْتِهَاءِ المَعرَكَةِ، ثمَّ جَاءَ لِرَسُولِ اللهﷺ مُسْلِمًا، فَأَعطَاهُ رَسولُ اللهﷺ مِنَ الغَنَائِمِ مِثلَ مَا أَعطَى لِلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبهم، وَشَهِدَ القَادِسِيَّةَ وَفَتح دِمشقَ. وَكَانَ شَاعِرًا، رَفيعَ القَدرِ فِي قَومِهِ، اسْتَعْمَلَهُ النَّبِيُّ ﷺ، فَكانَ يُقَاتِلُ ثَقِيفًا قَبلَ أَن يُسلِمُوا فَلَا يَخرجُ لَهُم سَرحٌ إِلَّا أَغَارَ عَلَيهِ حَتَّى يُصِيبَه. وَكَانَت فِي دِمشقَ دَارٌ تُعرفُ بِدَارِ بَني نَصرٍ، نَزَلَهَا مَالِكٌ أَوَّلَ مَا فُتِحَتْ دِمشقُ، فَعُرِفَت بِهِ، تُوفِّي (نَحو ٢٠هـ/ نحو ٦٤٠م).=

مِرْدَاسَ أَربعًا، فَقَالَ:

١.أَ تَجْعَلُ نَهبِي وَنَهبَ العُبَيْدِ ... بَينَ عُيَيْنَةَ وَالأَقْرَعِ[١]

٢.فَمَا كَانَ حِصنٌ وَلَا حَابِسٌ ... يَفُوقَانِ مِرْدَاسَ فِي مَجمَعِ

٣.وَقَدْ كُنْتُ فِي الحَربِ ذَا تُدَّرَإٍ ... وَلَمْ أُعْطَ شَيْئًا وَلَمْ أُمنَعِ[٢]

٤.وَمَا كُنْتُ دُونَ امْرِئٍ مِنْهُمُ ... وَمَنْ تَضَعِ اليَومَ لَمْ يُرْفَعِ

فَأَتَمَّ لَهُ رُسولُ اللهﷺ المِئَةَ.

قَالَ: وَأَخرَجَ البَيهَقِيُّ عَن عُروةَ بنِ الزُّبَيرِ[٣] وَمُوسَى بنِ عُقْبَةَ[٤]، قَالَا:

=له ترجمة في: معجم الشعراء ١/ ٣٢٢، الاستيعاب ٣/ ١٣٥٦، وأسد الغابة ٥/ ٣٨، والإصابة ٥/ ٥٥٠، والأعلام ٥/ ٢٦٤.

(١) تَناهَبَتِ الإِبلُ الأَرضَ: أَخَذَتْ بقَوائمها مِنْهَا أَخْذًا كَثِيرًا. والمُناهَبَةُ: المُباراةُ فِي الحُضْرِ والجَرْيِ؛ فرسٌ يُناهِبُ فَرَسًا. (اللسان ١/ ٧٧٤).

(٢) ذُو تُدْرَإٍ: ذُو هُجومٍ لَا يَتَوَقَّى وَلَا يهَاب. (التاج ١/ ٢٢٥).

(٣) هَو عُروةُ بنُ الزُّبَيرِ بنِ العَوَّامِ الأَسَدِيُّ القُرَشِيُّ أَبو عَبدِ الله: قِيلَ عَنهُ: كَانَ أَحدَ الفُقَهَاءِ السَّبعةِ في المَدينةِ. وكَانَ عَالِما بالدين، صَالحًا كَرِيمًا، لَم يَدخُل فِي شَيءٍ مِنَ الفِتَنِ. وَانْتَقَلَ إِلَى البَصرَةِ، ثُمَّ إِلَى مِصر، فَتَزَوَّجَ وَأَقَامَ فِيهَا سَبعَ سِنِينَ. وَعَادَ إِلَى المَدينةِ فَتُوفِّيَ فِيهَا سَنةَ (٩٣هـ/ ٧١٢م)، وهو أخو عبد الله بن الزبير لأبيه وأمِّه، وَإِلَيهِ تُنْسَبُ بِئرُ عُروةَ في المَدينَةِ. له ترجمة في: الطبقات الكبرى ٥/ ١٣٦، والتأريخ الكبير ٧/ ٣١، والثِّقات للعجليّ ٢/ ١٣٣، الثِّقات لابن حبَّان ٥/ ١٩٤، ورجال صحيح البخاريّ ٢/ ٥٨١، ورجال صحيح مسلم ٢/ ١١٦، وتأريخ دمشق ٤/ ٢٣٧، وتأريخ إربل ٢/ ٤١٠، ووفيات الأعيان ٣/ ٢٥٥، والوافي بالوفيات ١٩/ ٣٦١، والتُّحفة اللَّطيفة ٢/ ٢٥٨، والأعلام ٤/ ٢٢٦.

(٤) مُوسَى بنُ عُقْبَة بنِ أَبي عَيَّاشٍ الأَسدَيُّ بِالوَلَاء، أبو مُحمَّد، مَولَى آل الزُّبَيرِ، مِن أَهلِ المَدينَةِ، مَولِدُهُ وَوَفَاتُه فِيهَا. لَه (كتاب المغازي)، قَالَ أحمدُ بنُ حَنبل: عَلَيكم بِمَغَازِي ابنِ عُقبَةَ فَإِنَّه ثِقةٌ. توفِّي سنة (١٤١هـ/ ٧٥٨م). له ترجمة في: الثِّقات لابن حيَّان ٥/ ٤٠٤، ومشاهير علماء الأمصار ١٣١، ورجال صحيح مسلم ٢/ ٢٦٣، وتهذيب الكمال ٢٩/ ١١٥، وسير أعلام النُّبلاء ٦/ ١١٤، وتأريخ الإسلام ٣/ ٩٨٦، وتهذيب التهذيب ١٠/ ٣٦٠، والأعلام ٤/ ٢٢٦، ومعجم المؤلِّفين ١٣/ ٤٣.

قَالَ العَبَّاسُ بنُ مِرداسٍ السُّلَمِيُّ حِينَ رَأَى رَسولَ اللهﷺ يُقَسِّمُ الغَنَائِمَ:[1]

١. وَكَانَت نِهَابًا تَلَافَيتُهَا ... بِكَرِّي عَلَى المُهرِ فِي الأَجرَعِ

٢. وَإِيقَاظِيَ الحَيَّ أَنْ يَرقُدُوا ... وَإِذْ هَجَعَ النَّاسُ لَمْ أَهْجَعِ[2]

٣. فَأَصْبَحَ نَهبِي وَنَهبُ العُبَيدِ ... بَينَ عُيَيْنَةَ وَالأَقْرَعِ

وَسَاقَ الأَبيَاتَ بَعدَهَا فَبَلَغَ رَسولَ اللهﷺ فَدَعَاهُ؛ وَقَالَ:

«أَنْتَ القَائِلُ أَصْبَحَ نَهْبِي وَنَهْبُ العُبَيدِ بَينَ الأَقرَعِ وَعُيَيْنَةَ»؟!

فَقَالَ أَبو بَكْرٍ: بأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، لَمْ يَقُلْ كَذَلِكَ، وَلَا وَاللهِ مَا أَنْتَ بِشَاعِرٍ، وَلَا يَنْبَغِي لَكَ، وَمَا أَنْتَ بِرَاوِيهِ.

قَالَ: فَكَيفَ؟!

فَأَنْشَدَهُ أَبو بَكرٍ.

فَقَالَ النَّبِيُّﷺ: «سَوَاءٌ هُمَا مَا يَضُرُّكَ بِأَيِّهِمَا بَدَأتَ، بِالأَقْرَعِ أَو عُيَيْنَةَ».

فَقَالَ رَسولُ اللهﷺ: «اقْطَعُوا عَنِّي لِسَانَهُ»، فَفَزِعَ مِنهَا، وَإِنَّمَا أَرَادَ رَسُولُ اللهﷺ أَنْ يَقْطَعُوهُ بِالعَطِيَّةِ، وَالعُبَيْدُ اسْمُ فَرَسٍ لَهُ، وَأَورَدَ ابنُ إِسْحَاقَ الأَبيَاتَ، وَزَادَ بَعدَ قَولِهِ: وَلَمْ أُعْطَ شَيْئًا وَلَمْ أُمنَعِ، قَولَهُ:

وَلَكِنْ مَرَاقِيلُ أُعْطِيتُهَا ... عَدِيدَ قَوَائِمِهِ الأَرْبَعِ

فَهَكَذَا كَانَت عَادَتُهُﷺ، إِذَا بِهِ تَمَثَّلَ يَحُلُّ عِقْدَ نِظَامِهِ المُفَصَّلِ.

وَكَانَ هُوَﷺ مَعَ أَولَادِهِ المَعصُومِينَ عليهم السلام يَرغَبونَ فِي إِنشَاءِ مَا كَانَ مُتَضَمِّنًا خَيْرَ سَائِرِ المُؤْمِنِينَ، وَذَلِكَ فِي كُتُبِ العُلَمَاءِ كَثِيرٌ لَا يُحصى، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يُستَقْصَى.

(١) الخبر والشعر في: تفسير الثعلبيّ ٥/ ٥٩، والدرر لابن عبد البر ٢٣٢، وأسد الغابة ٣/ ١١٣، وخزانة البغداديّ ١/ ١٥٣.

(٢) في بعض المصادر (القوم) في موضع (الحي).

رَأيُ رَسُولِ اللهﷺ فِي الشُّعَرَاءِ

رُوِي فِي (مَجمعِ البَحرَينِ) عَنْ كَعْبِ بنِ مَالِكٍ[1] أَنَّه قَالَ: يَا رَسولَ الله مَاذَا تَقولُ فِي الشُّعَرَاءِ؟

قَالَ ﷺ: «**إِنَّ الـمُؤمِنَ مُـجَاهِدٌ بِسَيْفِهِ وَلِسَانِهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِه لَكَأَنَّمَا يَرضَخُونَهُم بِالنَّبْلِ**»[2]. يَعنِي ﷺ بِذَلِكَ الشُّعَرَاءَ مِنَ الْمُؤمِنِيَن بِهِجَائِهِم الكَفَرةَ.

وَقَـالَ كَعب: قَـالَ النَّبِيُّ ﷺ لِحَسَّـانَ بنِ ثَـابِـتٍ[3]: «**اهْجُهُم وَرُوحُ القُدْسِ مَعَكَ**»[4].

---

(١) كَعبُ بنُ مَالِكِ بنِ أَبِي كَعبٍ وَاسمُهُ عَمرُو بنَ القَينِ بنِ كَعبِ بنِ سَواد، أَبو عَبدِ الله السُّلَمِي، وَقِيلَ فِي كُنيتِهِ غَيرُ هَذَا، شَاعِرٌ، رَوَى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَعَن أَسيدِ بنِ حُضَيرٍ، وَعَنه أَولَادُهُ وعَبدُ الله ابنِ عَبَّاس وَجَابِر وَغَيرُهم، قِيلَ إِنَّهُ مَاتَ قَبلَ الأَربَعِينِ، وَقِيلِ إِحدَى وَخَمسِين، وَقِيلَ غَيرُ ذَلِكَ. له ترجمة في: أسد الغابة ٤/ ٢٤٧، وتهذيب التهذيب ٨/ ٤٤٠.

(٢) مسند أحمد ٣/ ٤٥٦، ٦/ ٣٨٧، وصحيح ابن حبَّان ١١/ ٦، ١٣/ ١٠٣، والمعجم الكبير للطبرانيّ ١٩/ ٧٥، والسنن الكبرى للبيهقيّ ١٠/ ٢٣٩، والغدير ٢/ ٩، وميزان الحكمة ٢/ ١٤٦٢.

(٣) حَسَّانُ بنُ ثَابِتِ بنِ الْمُنذِرِ الخَزرَجِيُّ الأَنصَارِيُّ، أَبو الوَلِيدِ: الصَّحَابِيُّ، شَاعِرُ النَّبِيِّ ﷺ وَأَحدُ الـمُخَضرمِينَ الَّذِينَ أَدرَكوا الجَاهِلِيَّةَ وَالإِسلام. عَاشَ سِتِّينَ سَنةً فِي الجَاهِلِيَّةِ، وَمِثلَهَا تَقرِيبًا فِي الإِسلام. وَكَانَ مِن سُكَّانِ الْمَدِينَةِ. وَاشْتَهَرت مَدائِحُهُ فِي الغَسَّانِيِّينَ، وَمُلوكِ الحِيرةِ، قَبلَ الإِسلام، وَعَمِيَ قُبيلَ وَفَاتِهِ. لَمْ يَشهَد مَعَ النَّبِيِّ ﷺ مَشْهَدًا؛ لِعِلَّة. توفِّي سنة (٥٤هـ/ ٦٧٤م). له ترجمة في: معجم الصَّحابة ١/ ١٩٩، الثِّقات لابن حبَّان ٣/ ٧١، ومشاهير علماء الأمصار ٣٢، ورجال صحيح البخاريّ ١/ ١٨٣، ورجال صحيح مسلم ١/ ١٦٧، الاستيعاب ١/ ٣٤١، وتأريخ دمشق ١٢/ ٣٧٩، وأسد الغابة ٢/ ٦، وتأريخ الإسلام ٢/ ٤٨٤، وسير أعلام النُّبلاء ٢/ ٥١٢، والوافي بالوفيات ١١/ ٢٧٠، نكت الهميان ١١١، والإصابة ٢/ ٥٥، والأعلام ٤/ ٢٢٦.

(٤) الاستيعاب لابن عبد البر ١/ ٣٤٥، وتفسير مجمع البيان ٧/ ٣٦٠، وتخريج الأحاديث للزيلعيّ ٢/ ٤٨١، والفتح السماويّ ٢/ ٨٨٧، والتفسير الصافي ٤/ ٥٧، وخلاصة عبقات الأنوار ٨/ ٣٢٢.

وَفِي (الجَوَامِع)[1] قَالَ ﷺ لِكَعْبِ بنِ مَالِك: «**اهْجُهُمْ فَوَ الَّذِي نَفسِي بِيَدِهِ لَـهوَ أَشَدُّ عَلَيهِم مِنَ النَّبْلِ**»[2].

وَفِي (الفَتحِ القَرِيبِ) قَالَ: وَأَخْرَجَ ابنُ عَسَاكِر عَن مُحَمَّدِ بنِ سِيرين[3]؛ قَال: كَانَ شُعرَاءُ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ: عَبدُ الله بنُ رَوَاحَةَ، وَحَسَّانُ بنُ ثَابِت، وَكَعبُ بنُ مَالِكٍ.

بَعضُ المَوَاقِفِ مَعَ حَسَّان بنِ ثَابِت وكَعْبِ بنِ مَالِكٍ

وَأَخرَجَ أَحمدُ وَغَيرُهُ عَن ابنِ الـمُسَيَّبِ قَالَ: مَرَّ عُمرُ بِحَسَّانَ وَهوَ يُنْشِدُ فِي المَسجِدِ، فَلَحَظَ إِلَيهِ، فَقَالَ: قَدْ كُنْتُ أُنْشِد وَفِيهِ مَن هُوَ خَيرٌ مِنكَ، ثُمَّ التَفَتَ إِلَى أَبِي هُرَيرَةَ فَقَالَ: أُنْشِدُكَ بِالله سَمِعتَ رَسولَ الله ﷺ يَقولُ: أَجِب عَنِّي، اللَّهُمَّ أَيِّدهُ بِرُوحِ القُدسِ؟ قَالَ نَعَم[4].

وَأَخْرَجَ الحَاكِمُ فِي الْمُستَدْرَك وَصَحَّحَهُ، عَنِ البَرَّاءِ أَنَّ رَسولَ الله ﷺ قَالَ لِـحَسَّان: «**إِنَّ رُوحَ القُدْسِ مَعَكَ مَا هَاجَيتَهُم**»[5].

---

(١) تفسير (جوامع الجامع) للشيخ الطبرسيّ (المتوفَّى ٥٤٨هـ).

(٢) تفسير جوامع الجامع ٢/ ٦٩٥، وتفسير البيضاويّ ٤/ ٢٥٧، وتخريج الأحاديث للزيلعيّ ٢/ ٤٧٩، والفتح السماويّ ٢/ ٨٨٩، والتفسير الصافي ٤/ ٥٧، وتفسير نور الثقلَين ٤/ ٧١.

(٣) مُحَمَّدُ بنُ سِيرينَ أَبو بَكرٍ الأَنصَارِيُّ، البَصريُّ، وُلِدَ لِسَنَتَين بَقِيتَا مِن خِلَافَةِ عُثمانَ، أَحدُ فُقَهاءِ البَصرةِ، رَوَى عَن أَبِي هُريرةَ، وَابنِ عُمرَ، وَأَنسَ بنِ مَالِكٍ وَغَيرِهِم، وَعَنهُ هِشَامُ بن حَسَّانَ، وَخَالدُ الـحَذَّاءُ، وَجريرُ وَآخرُونَ، مَاتَ سَنةَ ١١٠هـ. ينظر: الطبقات الكبرى ٧/ ١٤٣، ووفيات الأعيان ٤/ ١٨١/ ٥٦٥، والمعارف/ ٤٤٢، وتأريخ بغداد ٢/ ٤١٥.

(٤) مسند أحمد ٥/ ٢٢٢، وسنن أبي داوود ٢/ ٤٧٩، وسنن النسائيّ ٢/ ٤٨، وصحيح ابن حبَّان ٤/ ٥٣٢، ١٦/ ٩٨، والمعجم الكبير للطبرانيّ ٤/ ٤١، والـدرُّ المنثور للسيوطيّ ٥/ ١٠٠، والغدير ٢/ ٦٣.

(٥) المصنَّف لابن أبي شيبة الكوفيّ ٦/ ١٧٣، ومسند أحمد ٤/ ٢٩٨، والسنن الكبرى للنسائيّ ٥/ ٨٠، وصحيح ابن حبَّان ١٦/ ٩٦، ١٦/ ٩٨، والمعجم الكبير للطبرانيّ ٤/ ٤٢، والمستدرك=

وَأَخرَجَ أَبُو يَعلَى وَالحَاكِم وَصَحَّحَهُ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَ رَسولُ اللهﷺ يَضَعْ لِحَسَانَ بنِ ثَابتٍ مِنبرًا فِي المَسجِدِ؛ فَيُنْشِدُ عَلَيهِ قَائِمًا، يُنَافِحُ عَنْ رَسُولِ اللهﷺ، ثُمَّ يَقُولُ رَسُولُ اللهﷺ: «**إِنَّ اللهَ يُؤَيِّدُ حَسَّانًا بِرُوحِ القُدْسِ مَا نَافَحَ عَنِّي**»(١).

وَأَخرَجَ ابنُ عَسَاكِرٍ عَن عَائِشَةَ؛ قَالَت:

قَدِمَ رَسولُ اللهﷺ المَدِينةَ، فَهَجَتهُ قُرَيشٌ، وَهَجُوا الأَنْصَارَ مَعَهُ، فَأَتَى المُسلِمُونَ كَعْبَ بنَ مَالِكٍ؛ فَقَالوا: أَجِبْ عَنَّا.

قَالَ: اسْتَأذِنُوا لِيَ رَسُولَ اللهﷺ فَأَذِنَ لَهُ؛ فَقَالَ، فَأَحْسَنَ وَأَجمَلَ، وَلَم يَبلُغْ حَاجَتَهُ.

فَجَاؤُوا إِلَى حَسَّان، فَقَالوا أَجِبْ عَنَّا؛ فَقَالَ: اسْتَأذِنُوا لِي رَسُولَ اللهﷺ، فَقَالَ ﷺ: «**ادْعُوهُ**».

فَأَتَى حَسَّان إِلَى النَّبِيِّﷺ فَقَالَ لَهُ: «**إِنِّي أَخَافُ أَنْ تُصِيبَنِي مَعَهُم بِهَجوٍ مِن بَنِي عَمِّي**».

فَقَالَ حَسَان: لَأَسِلَّنَّكَ مِنْهُم سَلَّ الشَّعرَةِ مِنَ العَجِينِ، وَلِي مِقْوَلٌ مَا أُحِبُّ لِي بِهِ مِقوَلَ أَحَدٍ مِنَ العَرَبِ، وَإِنَّهُ لَيَفْرِي مَا لَا تَفْرِيهِ الحَرْبَةُ، ثُمَّ أَخْرَجَ لِسَانَهُ فَضَرَبَ بِهِ أَنْفَهُ كَأَنَّهُ لِسَانُ حَيَّة، بِطَرَفِهِ شَامَةٌ سَوداءُ، ثُمَّ ضَرَبَ ذِقْنَهُ، فَأَذِنَ لَهُ رَسولُ اللهﷺ(٢).

رَأي الإِمَامِ الصَّادِقِ عليه السلام فِي الشِّعْرِ وَالشُّعَرَاء

وَفِي كِتَابِ (رِجَال الكِشِّيّ)(٣)عَنِ الصَّادِقِ عليه السلام: «**يَا مَعشَرَ الشِّيعَةِ عَلِّمُوا أَولَادَكُم**

=للحاكم ٣/ ٤٨٧، وكنز العمَّال ١١/ ٦٧٢، والغدير ٢/ ٨.

(١) النهاية في غريب الحديث ٥/ ٨٩.

(٢) تأريخ دمشق ١٢/ ٣٩٣، وسير أعلام النُّبلاء- الحديث ٢/ ٥١٥، والوافي بالوفيات ١١/ ٢٧٢، وسبل الهدى والنجاة ٩/ ٣٥١، وكنز العمَّال ١٣/ ٣٤٢.

(٣) هو كتاب (اختيار معرفة الرجال المعروف برجال الكشِّيّ) للشيخ الطوسيّ.

شِعرَ العَبدِي[1] **فَإِنَّهُ عَلَىَ دِينِ الله**»[2].

وَفِي (العُيونِ)[3] عَنِ الصَّادِقِ عليه السلام؛ قَالَ: «**مَن قَالَ فِينَا بَيتَ شِعرٍ بَنَى اللهُ لَهُ بَيتًا فِي الـجَنَّةِ**»[4].

وَقَالَ عليه السلام: «**مَا قَالَ فِينَا قَائِلٌ شِعرًا حَتَّى يُؤَيَّدُ بِرُوحِ القُدْسِ**»[5].

فَإِن قِيلَ كَيفَ التَّوفِيقُ بَينَ هَذِهِ الأَحَادِيثِ الوَارِدَةِ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وَأَئِمَّةِ العِصْمَةِ، وَبَينَ مَا أَنْزَلَ الله عَلَى نَبِيِّهِ نَبِيِّ الرَّحمَةِ؟ قَولُهُ عَزَّ مَنْ قَائِل: ﴿**وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ * أَلَـمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ * وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ**﴾[6]، وَقَولُهُ عَزَّ مَنْ قَائِلَ: ﴿**وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ...**﴾[7]، وَمَا رَوَاهُ الشَّيخُ الطُّوسِيُّ رحمه الله فِي (المِصبَاحِ)[8] عَنْ حَمَّادٍ بنِ عُثمَانَ؛ قَالَ: سَمِعتُ أَبَا عَبدِ الله عليه السلام يَقُولُ: «**تُكرَهُ رِوَايَةُ الشِّعرِ لِلصَّائِمِ**

---

(١) سُفيَانُ بنُ مُصعَبٍ العَبدِيُّ، شَاعِرٌ كُوفِيٌّ مِن أَصحَابِ الصَّادِقِ عليه السلام، وَفِي رِوَايةٍ قَالَ لَهُ عليه السلام: «**قُل شِعرًا تَنوحُ بِه النِّسَاءُ**»، وَفِي أُخرَى قَالَ عليه السلام: «**يَا مَعشَرَ الشِّيعَةِ عَلِّموا أَولَادَكم شِعرَ العَبدِيِّ فَإِنَّه عَلَى دِينِ الله**». ينظر: شرح أصول الكافي ١٢/ ٢٨٧، والذريعة ٢/ ١٠٨، ٣/ ٧٠٣، وأعيان الشيعة ٢/ ٤٢٦.

(٢) رجال الكشِّيّ ٥٤.

(٣) كتاب العيون: هو كتاب (عيون أخبار الإمام الرضا عليه السلام للشيخ الصدوق المتوفَّى ٣٨١هـ).

(٤) عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢/ ١٥، ووسائل الشيعة (آل البيت) ١٤/ ٥٩٧، ووسائل الشيعة (الإسلامية) ١٠/ ٤٦٧، وبحار الأنوار ٢٦/ ٢٣١، ٧٦/ ٢٩١، و١٠٨/ ٣٧١، والحدائق الناضرة ١٣/ ١٦٣، وجهاد الإمام السجَّاد عليه السلام ١٨٨.

(٥) عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢/ ١٥، وسائل الشيعة (آل البيت) ١٤/ ٥٩٧، ووسائل الشيعة (الإسلامية) ١٠/ ٤٦٧، وبحار الأنوار ٢٦/ ٢٣١، ٧٦/ ٢٩١، و١٠٨/ ٣٧١، والحدائق الناضرة ١٣/ ١٦٣، الغدير ٢/ ٣، مستدرك سفينة البحار ١/ ٤٥٤، ٥/ ٤٢٥، وتفسير الصافي ٤/ ٥٦.

(٦) سورة الشعراء/ ٢٢٤-٢٢٦.

(٧) سورة يس/ ٦٩.

(٨) هو كتاب (مصباح المتهجِّد) للشيخ الطوسيّ رحمه الله (المتوفَّى ٤٦٠هـ).

وَالـمُحْرِمِ وَفِي الـحَرَمِ، وَأَنْ يُرْوَى فِي اللَّيلِ وَفِي يَومِ الـجُمُعَةِ»[1].

قَالَ: قُلتُ وَإِنْ كَانَ الشِّعرُ حَقًّا؟ قَالَ: **وَإِنْ كَانَ الشِّعرُ حَقًّا**. أليسَ ظَاهِرُ تِلكَ الأَحَادِيثِ يُـخَالِفُ ظَاهِرَ هَذِهِ الآيَاتِ؟! وَظَاهِرُ مَا رَوَاهُ الشَّيخُ مِنْ أَنَّهُ تُكرَهُ رِوَايَتُهُ فِي تِلكَ الأَمَاكِنِ وَالأَوقَاتِ؟! فَكَيفَ مُلَاءَمَتُهَا وَالتَّوْفِيقُ بَينَهُمَا؟ فَأَقُولُ:

التَّوفِيقُ ظَاهِرٌ لِـمَنْ تَصَفَّحَ تَفَاسِيرَ العُلَمَاءِ الأَعلَامِ لِكِتَابِ الله الوَاحِدِ العَلَّام؛ لِأَنَّهُم -رِضوَانُ الله عَلَيهِم- أَخَذُوا عِلمَ ذَلِكَ عَنْ أَئِمَّتِهِم عليهم السلام، وَأَئِمَّتُهُم أَخَذُوهُ عَنْ نَبِيِّهِم.

فَأَمَّا قَولُهُ تَعَالَى: ﴿**وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ**..﴾[2] إِلَى آخِرِ الآيَاتِ، فَقَدْ قَالُوا: أُنْزِلَتْ فِي العُلَمَاءِ الَّذِينَ غَيَّرُوا دِينَ الله، وَخَالَفُوا أَمرَهُ، وَوَضَعُوا أَدْيَانًا بِآرَائِهِم، فَتَبِعَهُم عَلَى ذَلِكَ النَّاسُ، وَيُؤَكِّدُ ذَلِكَ قَولُهُ تَعَالَى: ﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ**﴾[3]، يَعْنِي يُنَاصِرُونَ الأَبَاطِيلَ، وَيُـجَادِلُونَ بِالحُجَجِ، وَفِي كُلِّ مَذْهَبٍ يَذهَبونَ.

وَفِي (الصَّافِي)[4] عَنِ البَاقِرِ عليه السلام: «**هَلْ رَأَيتَ شَاعِرًا يَتْبَعُهُ أَحَدٌ؟! إِنَّمَا هُمْ قَومٌ تَفَقَّهُوا لِغَيرِ الله فَضَلُّوا، وَأَضَلُّوا**»[5].

وَفِيهِ عَنِ الصَّادِقِ عليه السلام: «**هُم قَومٌ تَعَلَّمُوا وَتَفَهَّمُوا بِغَيرِ عِلمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا**»[6].

وَفِيهِ قَالَ فِي تَأوِيلِ قَولِهِ تَعَالَى: ﴿**أَلَـمْ تَـرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ**﴾[7]، أَي يُنَاصِرُونَ

(١) مصباح المتهجِّد ٦٢٧، تذكرة الفقهاء ٦/ ٢٣٨، وعمدة القاري ٤/ ٢١٩، والحدائق الناضرة ١٣/ ١٦٢، ووسائل الشيعة- آل البيت ٧/ ٤٠٣، ١٢/ ٥٦٥، ومستدرك سفينة البحار ٥/ ٤٢٦، ومستند الشيعة ١٠/ ٣١٣، وموسوعة أحاديث أهل البيت ٤/ ٢٩٣.

(٢) سورة الشعراء/ ٢٢٤.

(٣) سورة الشعراء/ ٢٢٥.

(٤) التفسير الصافي الفيض الكاشانيّ (المتوفَّى ١٠٩١هـ).

(٥) التفسير الصافي ٤/ ٥٥.

(٦) تفسير الصافي ٤/ ٥٥.

(٧) سورة الشعراء/ ٢٢٥.

بِالأَبَاطِيلِ وَيُجَادِلُونَ بِالحُجَجِ المُضِلَّةِ وَفِي كُلِّ مَذهَبٍ يَذهَبونَ، يَعنِي بِهِم المُغَيِّرِينَ دِينَ الله، ﴿**وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ**﴾[1]، قَالَ: يَعِضُونَ النَّاسَ وَلاَ يَتَّعِظُونَ، وَيَنهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ وَلَا يَنْتَهُونَ، وَيَأْمُرونَ بِالمَعرُوفِ وَلَا يَعمَلُونَ.

أَقولُ: إِنَّهَا لَا شَكَّ نَزَلَت فِي هَؤلَاءِ؛ لِأَنَّهُم عَلَى الدِّينِ هُمُ الدَّاءُ العَيَاءُ؛ وَإِنَّ أَلسِنَتَهُم عَلَى المُؤْمِنينَ أَشَدُّ مِنَ أَلسِنَةِ الكَفَرَةِ، وَأَمْضَى مِن صِفَاحِهَا إِذَا الكِفَاحُ أَثَارَ عِثْيَره[2]، وَلِذَا مَا زَالَ يُحَذِّرُ النَّاسَ فِي مَواعِظِهِ عَلِيٌّ أَميرُ المُؤمِنينَ عليه السلام مِنْ دَهَاءِ هَؤلَاءِ المُضِلِّينَ، وَقَدْ كَشَفَ بِوَاضِحِ وَصْفِهِ لَهُم حُجُبَ نِفَاقِهِم بَعدَ انْسِدَالِهَا، وَأَبَانَ لِلنَّاسِ خَفَايَا أَفعَالِهَا، فَمِنْ بَعضِ كَلَامِهِ الَّذِي وَصَفَهُم فِيهِ هَذَا الَّذِي تُضِيءُ الحِكمَةُ مِنْ أَلفَاظِهِ وَمَعَانِيه: «**أُوصِيكُم عِبادَ الله بِتَقوَى الله**[3]. **وَأُحَذِّرُكُم أَهلَ النِّفَاقِ؛ فَإِنهَّم الضَّالُّونَ المُضِلُّونَ، وَالزَّالُّونَ المُزِلُّونَ، يَتَلَوَّنُونَ أَلوَانًا، وَيَفْتِنُونَ افْتِنَانًا، وَيَعْمِدُونَكُم بِكُلِّ عِمَاد**[4]**، وَيَرصُدُونَكُم بِكُلِّ مِرصَاد**[5]. **قُلُوبُهم دَوِيَّة. وَصِفَاحُهُم نَقِيَّة**[6]. **يَمشُونَ الخَفَاء، وَيَدُبُّونَ الضَّرَّاء**[7]**، وَصْفُهُم دَوَاء، وَقَولُهُم شِفَاء، وَفِعلُهُم الدَّاءُ العَيَاء. حَسَدَةُ الرَّخَاءِ، وَمُقْنِطُوا الرَّجَاء**[8]. **لَهم بِكُلِّ طَرِيقٍ**

(١) سورة الشعراء/ ٢٢٦.

(٢) العِثْيَر، وَهُوَ الغُبار، وَالْيَاءُ زَائِدَةٌ، وَالْمُرَادُ بِهَا الصَّعِيدُ الَّذِي لَا نَبَاتَ فِيهِ. (اللسان ٤/ ٥٤٢).

(٣) نهج البلاغة خطب الإمام عليّ عليه السلام: ٢/ ١٦٦.

(٤) عَمَدَه المرضُ يَعْمِدُه: فَدَحَه، وَهَدَّهُ، والعِمادُ والعَمُود: الْخَشَبَةُ الَّتِي يَقُومُ عَلَيْهَا الْبَيْتُ، وهنا: ما يُهَدُّه بِهِ. (اللسان ٣/ ٣٠٣).

(٥) الراصِدُ بِالشَّيْءِ: الرَّاقِبُ لَهُ، فهم يعدُّون المكائد لكم. (اللسان ٣/ ١٧٧).

(٦) رجل دَوَى: أي أُصِيبَ بِدَاء، وَمِنهُ قَالَ عليه السلام: نُفوسٌ دَوِيَّةٌ (اللسان ١/ ٧٩)، وصَفْحَةُ الرَّجُلِ: عُرْضُ وَجْهِهِ، والجمع: صفاح. (اللسان ٢/ ٥١٢)، قال الإمام عليه السلام: ظَاهِرُهُم سَلِيم وَبَاطِنُهُم فَاسِدٌ مَرِيضٌ.

(٧) يَمْشِي لَهُ الضَّرَّاءَ أَي يُخَاتِلُهُ، يُقَالُ للرجلُ إِذَا خَتَل صاحِبَه ومَكَرَ بِهِ: هُوَ يَدِبُّ لَهُ الضَّرَّاءَ. (اللسان ١٤/ ٤٣٨).

(٨) القُنُوط: اليأس. (اللسان ٧/ ٣٨٦)، فهم يبدلون رجاء راجي الخير باليأس.

صَرِيعٌ[١]، وَإِلَىٰ كُلِّ قَلبٍ شَفِيعٌ[٢]، وَلِكُلِّ شَجوٍ دُمُوعٌ[٣]. يَتَقَارَضُونَ الثَّنَاءَ[٤]، وَيَتَرَاقَبونَ الجَزَاءَ، إِن سَأَلوا أَلحَفُوا[٥]، وَإِنْ عَذَلوا كَشَفوا[٦]، وَإِنْ حُكِّمُوا أَسرَفُوا[٧]. قَدْ أَعَدُّوا لِكُلِّ حَقٍّ بَاطِلًا، وَلِكُلِّ قَائِمٍ مَائِلًا، وَلِكُلِّ حَيٍّ قَاتِلًا، وَلِكُلِّ بَابٍ مِفتَاحًا، وَلِكُلِّ لَيلٍ مِصبَاحًا. يَتَوَصَّلُونَ إِلَى الطَّمَعِ بِاليَأسِ لِيُقِيمُوا بِهِ أَسوَاقَهُم، وَيُنْفِقُوا بِهِ أَعلَاقَهُم[٨]. يَقُولُونَ فَيُشَبِّهُونَ[٩]، وَيَصِفُونَ فَيُمَوِّهُونَ[١٠]. قَد هَيَّأوا الطَّرِيقَ[١١]، وَأَضلَعوا المَضِيقَ[١٢]. فَهُم لُمَّةُ الشَّيطَانِ[١٣]، وَحُمَّةُ

---

(١) الصَّريعُ: القَتيلُ، تَعبيرٌ عَنْ ضَحَايَاهُم.

(٢) يستحوذون على قلوب الناس بالتملُّق والنفاق.

(٣) الشَّجْوُ: الهَمُّ والحُزْنُ. (اللسان ١٤/ ٤٢٢).

(٤) قَرَّظ فُلَانٌ فَلَانًا، وَهُمَا يَتَقَارَظَانِ المدحَ إِذا مَدَحَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ. (اللسان ٧/ ٤٥٥).

(٥) أَلْحَفَ: أَلَحَّ فِي السُّؤال، بِمَعْنى واحدٍ. (التاج ٧/ ٨٧).

(٦) وَإِن عَذَلوا كَشَفوا، أَي إِذَا عَذَلَك أَحدُهُم كَشفَ عُيوبَكَ فِي ذَلِكَ اللَّومِ وَالعَذلِ، وَجَبهكَ بِهَا، وَرُبَّمَا لَا يَستَحِي أَن يَذكرَهَا لَكَ بِمَحْضَرِ مِمَّن لَا تُحِبُّ ذِكرهَا بِحَضْرَتِهِ، وَليسُوا كَالنَّاصِحِينَ عَلَى الحَقيقَةِ، الَّذِينَ يَعرِضُونَ عِندَ العِتَابِ بِالذَّنبِ تَعريضًا لَطيفًا؛ لِيقَلَعَ الإنسَانُ عَنهُ. (شرح نهج البلاغة ١٠/ ١٦٨).

(٧) وَإِنْ حُكِّمُوا أَسرَفُوا، إِذَا سَأَلَك أَحَدُهُم فَفَوَّضتَهُ فِي مَالِكَ أَسرَفَ وَلَم يَقنَع بِشيءٍ، وَأَحَبَّ الاستِئصَالَ. (شرح نهج البلاغة ١٠/ ١٦٨).

(٨) الأعلاق، العَلَائِق: البَضائِع. (التاج ٢٦/ ٢٠١).

(٩) يشبهون: من الشبهات، أي يرمون الشبهات على الآخرين. (التاج ٢٦/ ٢٠١).

(١٠) التَّمْوِيهُ وَهُوَ التلبيسُ، وَمِنْهُ قِيلَ للمُخادِع: مُمَوِّه. وَقَدْ مَوَّهَ فلانٌ باطِلَه إِذَا زَيَّنه وأَراه فِي صورةِ الْحَقِّ. (اللسان ١٣/ ٥٤٤).

(١١) هَيَّأوا الطَّرِيقَ: هُوَ طَرِيقُ البَاطِلِ، هَيَّأوهُ؛ لِيَسلِكَهُ الآخَرونَ. (اللسان ١٣/ ٥٤٤).

(١٢) الضَّالِعُ: الجائِرُ. والضَّالِعُ: المائِلُ.(اللسان ٨/ ٢٢٧)، وَأَضلَعوا المَضِيقَ: أَمالُوهُ، وَجَعلوهُ ضَلعًا، أَي مُعوَجًّا، أَي جَعلوا المَسْلَكَ الضَّيِّقَ مُعْوَجًّا بِكَلَامِهِم وَتَلبِيسِهِم، فَإِذَا أَسلَكوهُ إِنسَانًا اعْوَجَّ لِاعوِجَاجِهِ. (شرح نهج البلاغة ١٠/ ١٦٩).

(١٣) لُمَّةُ الرجلِ أَصحابُه. (اللسان ١٢/ ٥٤٨).

النِّيرَان[1]، ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلاَ إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرونَ..﴾»[2].

فَانْظُرْ فِي مَعنَى هَذَا الكَلَامِ عَلَى عُمُومِهِ؛ تَجِدهُ مُخْتَصًّا بِمَنْ نَزَلَتْ فِيهِم تِلكَ الآيَاتُ، وَلَمْ تَعْدُهُم مِنهُ تِلكَ النُّعُوتُ وَالصِّفَاتُ؛ لِأَنَّهُم بِهَا جَدِيرونَ مِنْ حَيثُ إِنَّ مَعَانِيهَا مُوَافِقَةٌ لِتَأويلِ: ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾[3]، وَرَأَيْتَ لَهُ عليه السلام فِيهِم مِنْ هَذَا النَّمَطِ مَقَالًا دَلَائِلُهُ أَوْضَحُ مِنَ القَمَرينِ، وَقَد قَسَّمَ العُلَمَاءَ فِيهِ عَلَى قِسْمَينِ؛ فَقَالَ بَعْدَ أَنْ أَثْنَى عَلَى القِسمِ الأَوَّلِ؛ لِقُربِهِ مِنْ رَبِّهِ، وَآخَرُ قَد تَسَمَّى عَالِمًا وَلَيسَ بِهِ ؛ فَاقْتَبَسَ جَهَالَةً مِنْ جُهَّالٍ، وَأَضَالِيلَ مِنْ ضُلَّالٍ، وَنَصَبَ لِلنَّاسِ أَشْرَاكًا مِنْ حَبَائِلِ غُرورٍ، وَقَولِ زُورٍ، قَدْ حَمَلَ الكِتَابَ عَلَى آرَائِهِ، وَعَطَفَ الحَقَّ عَلَى أَهْوَائِهِ، يُؤَمِّنُ مِنَ العَظَائِمِ، وَيُهَوِّنُ كَبِيرَ الجَرَائِمِ، يَقُولُ: أَقِفُ عِندَ الشُّبُهَاتِ وَفِيهَا وَقَعَ، وَيَقولُ: أَعْتَزِلُ البِدَعَ وَبَيْنَهَا اضْطَجَعَ، فَالصُّورَةُ صُورَةُ إِنْسَان وَالقَلبُ قَلبُ حَيوَانٍ، لَا يَعرِفُ بَابَ الهُدَى فَيَتَّبِعُهُ، وَلَا سَبِيلَ العَمَى فَيَصُدَّ عَنهُ، فَذَلِكَ مَيِّتُ الأَحْيَاءِ.

وَأَمَّا قَولُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ...﴾[4]، فَقَد أَوَّلَهَا عُلَمَاؤُنَا الأَفَاضِلُ بِتَأْوِيلٍ شَافٍ لِمَرَضِ الأَفهَامِ، وَمُدْنٍ لَهَا[5] مِنْ بَيَانِهَا مَا كَانَ عَلَيهَا بَعِيدَ المَرَامِ، وَلَقَد قَالَ: مِنهُم، كَاشِفًا مَا كَانَ مِنهَا عَلَى ذَوِي الأَفْهَامِ خَافِيًا، مُلَّا مُحْسِن فِي كِتَابِهِ المُسَمَّى بِالصَّافِي[6]: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ...﴾[7] بِتَعلِيمِ القُرآن، يَعنِي: لَيْسَ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيهِ مِنْ صِنَاعَةِ الشِّعرِ فِي شَيءٍ، أَي لَيْسَ مَمَّا يَتَوَخَاهُ الشُّعَرَاءُ مِنَ التَّخَيُّلَاتِ المُرَغِّبَةِ

(١) الحُمَّةُ: الحُمَّى، وَحُمَّةُ النِّيرانِ: حَرَارَتُها. (اللسان ٣٢/ ١٧).

(٢) سورة المجادلة/ ١٩.

(٣) سورة الشعراء/ ٢٢٤.

(٤) سورة يس/ ٦٩.

(٥) مُدْنٍ: مُدْنِي بِمعنَى مُقَصِّرٌ، أَو مُقَرِّب. (اللسان ١٤/ ٢٧٤).

(٦) هُوَ المَولَى مُحسِن المُلَقَّبُ بِـ(الفَيض الكَاشَانِيّ) صَاحِبُ (التفسير الصافي).

(٧) سورة يس/ ٦٩.

وَالـمنَفِّرَةِ وَنَحْوِهِمَا، مِـمَّا لَا حَقِيقَةَ لَهُ وَلَا أَصْل، وَإِنَّمَا هُوَ تَمويهٌ مَحْضٌ، مَوزُونًا كَانَ أَو غَيرَ مَوزونٍ، ﴿..**وَمَا يَنْبَغِي لَهُ**...﴾[1]: يَعنِي هَذِهِ الصِّنَاعَة.

وَرُوِيَ عَنِ القُمِّيِّ[2] أَنَّهُ قَالَ: كَانَت قُرَيشُ تَدَّعِي أَنَّ هَذَا الَّذِي يَقولُهُ مُحَمَّدﷺ شِعرٌ؛ فَرَدَّ اللهُ عَلَيهِم[3].

قَالَ القُمِّيُّ: وَلَم يَقُلْ رَسولُ اللهﷺ شِعرًا قَطُّ[4].

قَالَ مُلَّا مُحسِن: كَانَ المُرَادُ أَنَّهُ لَمْ يَقُلْ كَلَامًا شِعْرِيًّا، لَا أَنَّهُ لَمْ يَقُلْ كَلَامًا مَوْزُونًا، فَإِنَّ الشِّعرَ يُطْلَقُ عَلَى مَعْنَيَين جَمِيعًا، وَلِـهَذَا عَدُّوا القُرآنَ شِعْرًا مَعَ أَنَّهُ لَيْسَ بِمَوزونٍ وَلَا مُقَفًّى.

وَقَدْ وَرَدَ فِي الحَدِيثِ «**إِنَّ مِنَ الشِّعرِ لَـحِكمَةٌ**»، يَعنِي مِنَ الكَلَامِ الـمَوزُونِ.

وَقَد نُقِلَ عَنهُﷺ كَلِمَاتٌ مَوزُونَةٌ؛ كَقَولِهِ: «**أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذب أَنَا ابنُ عَبدِ المُطَّلِب**»[5].

وَقَولُهُ: «**هَلْ أَنْتَ إِلَّا إِصْبَعٌ دُمِيتَ وَفِي سَبِيلِ اللهِ مَا لَقِيتَ**»[6]، وَغَيرُ ذَلِكَ.

---

(١) سورة يس/ ٦٩.

(٢) الشَّيخُ أَبو الحَسَنِ عَليّ ابنُ إِبرَاهِيمَ بنِ هَاشِمٍ القُمِّيّ، كَانَ حَيًّا سَنةَ (٣٠٧هـ)، وَهوَ شَيخُ ثِقةِ الإِسلام الكُلَينيِّ (المتوفَّى ٣٢٩هـ)، وَقَد أَكثَرَ الرِّوَايةَ عَنهُ فِي الكَافِي، كَانَ فِي عَصرِ أَبِي مُحَمَّد الـحَسَنِ العَسكَرِيِّ عليه السلام. ينظر: الذريعة ٤/ ٣٠٢.

(٣) تفسير القُمِّيّ، عليّ بن إبراهيم ٢/ ٢١٧.

(٤) تفسير القُمِّيّ، عليّ بن إبراهيم ٢/ ٢١٧.

(٥) مناقب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ٤٦٦، الإرشاد للعلَّامة الحِلِّيّ ١٤٣، والأمالي للشيخ الطُّوسيّ ٥٤٧، والخرائج والجرائح ٣/ ١٠٤٨، ومناقب آل أبي طالب ١/ ١٨٨، والمغني ١٢/ ٤٤، والمستجاد ٨٥، وحلية الأبرار ١/ ٣٠١، ونيل الأوطار للشوكانيّ ٦/ ١٣٩.

(٦) مسند أحمد ٤/ ٣١٢، صحيح البخاريّ ٣/ ٢٠٤، ٧/ ١٠٧، وصحيح مسلم ٥/ ١٨٢، وسنن الترمذيّ ٥/ ١١٢، والسنن الكبرى للبيهقيّ ٧/ ٤٤، والخرائج والجرائح ٣/ ١٠٤٩، ومجمع الزوائد للهيتميّ ٢/ ١٣٨، والصِّراط المستقيم ١/ ٦١، وبحار الأنوار ٩/ ١٤٠، ١٦/ ٢٠٥، ٨٩/ ١٦٦.

وَمَا رُوِيَ عَنهُ ﷺ: «أَنَّهُ كَانَ يَتَمَثَّلُ بِالأَبيَاتِ عَلَى غَيرِ وَجْهِهَا؛ لِتَصيرَ غَيرَ مَوزُونَةٍ لَمْ يَثْبُتْ، فَإِنْ صَحَّ؛ فَلَعَلَّهُ إِنَّمَا فَعَلَ ذَلِكَ لِئَلَّا يَتَوَهَّمُوا أَنَّهُ شَاعِرٌ؛ وَأَنَّ كَلَامَهُ كَلَامٌ شِعرِيٌّ، فَإِنَّ الوَزنَ وَالقَافِيَةَ لَيسَا بِنَقْصٍ فِي الكَلَامِ، وَلَو كَانَا نَقْصًا مَا أَتَى بِهِمَا أَمِيرُ المُؤمِنِينَ عليه السلام، وَقَدْ اسْتَفَاضَ ذَلِكَ عَنهُ وَعَن سَائِرِ الأَئِمَّةِ عليهم السلام، وَإِنَّمَا النَّقصُ فِي الكَلَامِ الشِّعرِيِّ»[1].

انتهى.

قُرَيْشُ وَاتِّهَامُهَا الرَّسُولَ ﷺ بِأَنَّه شَاعِرٌ وَمَا أَتَى بِهِ هُوَ الشِّعْرُ

أَقُولُ: لَا شَكَّ وَلَا شُبْهَةَ أَنْ قُرَيْشًا مَا ادَّعَتْ فِي القُرآنِ أَنَّهُ شِعرٌ؛ إِلَّا وَهِيَ مِنَ الشِّعرِ قَاصِدَةً تِلكَ التَّخَيُّلَاتِ الفَاسِدَةَ، الَّتِي لَا حَقِيقَةَ لَهَا وَلَا أَصْلَ، وَإِلَّا فَكَلَامُهَا عَلَى حَقَائِقِ الشِّعرِ لَا يُمْكِنُ أَنْ يُحمَلَ؛ لِأَنَّ فِي حَقَائِقِهِ مِنَ الحِكَمِ العَجِيبَةِ، وَالآدَابِ الغَرِيبَةِ، وَغَيرِ ذَلِكَ مِنَ المَوَاعِظِ المُعْتَبرةِ، الَّتِي بِهَا أُولُو الأَلبَابِ مُعْتَبِرةٌ، مَا تَبْتَهِرُ بِهِ الفُضَلَاءُ، وَتَعْجَبُ بِهِ النُّبَلَاءُ، وَلَا يَخطُرُ بِقَلبِ إِنسَانٍ أَنَّهَا بِهَذَا قَدْ عَابَت القُرآنَ، وَأَنَّى تُشَبِّهُهُ فِي مُستَحْسَنَاتِ حَقَائِقِ الشِّعرِ! وَهِيَ شِعَارُهَا فِي ذَلِكَ الزَّمَنِ؛ وَقَد صُقِلَتْ بِهَا أَذهَانُهَا وَالفِطَنُ، وَافْتَخَرَ بَعضُهَا عَلَى بَعْضٍ؛ وَفِي نَوَادِرِ كَلِمِهَا وَلَئَالِئِ نَظْمِهَا؛ وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يُحتَمَلَ أَنَّهَا أَرَادَت مَا هُوَ مِنَ الشِّعرِ مُسْتَحْسَنٌ، بَلْ يَحكُمُ العَقلُ بِالضَّرُورَةِ أَنَّهَا مَا قَصَدَتْ مِنهُ إِلَّا ذَلِكَ المَعنَى المُسْتَهْجَن؛ مَعَ عِلمِهَا بِهِ أَنَّهُ قَدْ تَعَالَى عَنْ كَلَامِهَا؛ فَلَا تُشْبِهُهُ بَدَائِعُ شِعرِهَا، وَلَا فَرائِدُ نَثْرِهَا، وَقَد قَطَعت فَصَحَاؤهَا أَنْ إِذَا اجْتَمَعَ الثَّقَلَانِ عَلَى مُجَارَاتِهِ تَعْجَزُ عَنْ مُبَارَاتِ آيةٍ مِن آيَاتِهِ، لَكِنَّهَا مِن إِلحَادِهَا بِرَبِّهَا مَرَّةً تَنْسِبُ كَلَامَهُ أَنَّهُ مِن زَخَارُفِ الشِّعر، وَتَارَةً أُخرَى تَدَّعِي أَنَّهُ سِحر، وَلَقَد اجْتَهَدَتْ بُلُغَاؤُهَا سَفَهًا أَنْ تَعِيبَهُ فَعَجَزَتْ، وَأَجَالَتْ أَفْكَارَهَا فِيهِ فَتَحَيَّرَت، وَمِن جُملَةِ مَنْ رَامَ ذَلِكَ مِن كِبَارِهَا الوَلِيدُ -لَعَنهُ اللهُ- فَإِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ فِي نَفْسِهِ؛ أَنَّهُ يَجِدُ طَعْنًا فِي الكِتَابِ المَجِيد، فَلَمَّا أَعْيَاهُ ذَلِكَ

(١) التفسير الصافي ٤/ ٢٥٩.

﴿.. **عَبَسَ وَبَسَرَ**﴾[1]، ثُمَّ أَدْبَرَ عَنِ الحَقِّ وَاسْتكبر[2]، فَأَنزَلَ اللهُ تَعَالَى فِيهِ: ﴿**ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا**﴾[3] إِلَى آخِرِ الآيَاتِ، وَهَذَا هُوَ الوَلِيدُ بنُ الـمُغِيرَة، كَانَ شَيْخًا كَبِيرًا مُـجَرِّبًا، يَعُدُّهُ العَرَبُ مِنَ الدُّهَاةِ، وَكَانَ يُلَقَّبُ بِالوَحِيدِ، وَسَمَّاهُ اللهُ بِهِ تَـهَكُّمًا.

وَفِي (المَجْمَعِ)[4]: الوَحِيدُ: الَّذِي لاَ يُعْرَفُ لَهُ أَبٌ.

وَفِي (الصَّافِي) عَنِ القُمِّي أَيضًا، أَنَّ الوَلِيدَ كَانَ مِنَ الـمُسْتَهْزِئِينَ بِرَسُولِ اللهﷺ، وَكَانَ رَسُولُ اللهﷺ يَقْعُدُ فِي الحِجْرَةِ وَيَقْرَأُ القُرآنَ، فَاجْتَمَعَتْ قُرَيشٌ إِلَى الوَلِيدِ بنِ الْمُغِيرةِ[5] فَقَالوا: يَا أَبَا عَبدِ شَمْسٍ، مَا هَذَا الَّذِي يَقُولُهُ مُحَمَّدٌ؟! أَ شِعْرٌ هُوَ أَمْ كَهَانَةٌ؟! فَقَالَ لَهم: دَعُونِي أَسْمَعُ كَلَامَهُ فَدَنَا مِن رَسولِ اللهﷺ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَنْشِدنِي مِنْ شِعْرِكَ، قَالَﷺ: مَا هُوَ بِشِعرٍ، وَلَكِنَّهُ كَلَامُ اللهِ الَّذِي ارْتَضَاهُ لِـمَلَائِكَتِهِ وَأَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ، فَقَالَ: أُتْلُ عَلَيَّ مِنهُ شَيئًا، فَقَرَأَﷺ عَلَيهِ: (حَم السَّجْدَةَ)[6] فَلَمَّا بَلَغَ قَولَهُ: ﴿**فَإِنْ أَعْرَضُوا**...﴾ -أَي قُرَيشٌ- يَا مُحَمَّدُ، فَقُل: ﴿... **أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ**﴾[7]؛ قَالَ فَاقْشَعَرَّ الوَلِيدُ، وَقَامَت كُلُّ شَعْرَةٍ فِي رَأْسِهِ وَلِـحيَتِهِ، وَمَرَّ إِلَى بَيْتِهِ وَلَمْ يَرجِعْ إِلَى قُرَيشٍ مِن

(١) سورة المدَّثر/ ٢٢.

(٢) الكَاتِبُ أَفادَ مِن قَولِهِ تَعَالَىَ: ﴿**ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ**﴾. (المدَّثر/ ٢٣).

(٣) سورة المدَّثر/ ١١.

(٤) يُنظرُ: مجمعُ البحرين للشيخ الطريحيّ. تنظر ٤/ ٤٧٤.

(٥) الوَلِيدُ بنُ الـمُغِيرةِ بنِ عَبدِ الله بنِ عَمرِو بنِ مخزوم، أَبو عَبدِ شَمْسٍ: مِن قُضَاةِ العَربِ فِي الجَاهليَّةِ، وَمِن زُعمَاء قُريشٍ، وَمِن زَنَادِقَتِهَا. وَأدركَ الإسلام، وَهوَ شَيخٌ هَرِمٌ، فَعَادَاهُ وَقَاوَمَ دَعوَتَه. وَهوَ الَّذي جَمعَ قُريشًا وَقَالَ: «إِنَّ النَّاسَ يَأتونَكم أَيَّامَ الحَجِّ فَيَسألونَكم عَن مُحَمَّد، فَقُولوا: (سَاحرٌ) يُفَرِّقُ بَينَ المَرءِ وَأَخِيهِ وَالزَّوجِ وَزَوجَتِهِ!»، وَهَلَكَ بَعدَ الهِجرَةِ بِثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ، وَدُفِنَ بِالحِجُونِ، سنة (١هـ/ ٦٢٢م)، وَهوَ أَبو خَالِد بنِ الوَلِيدِ. له ترجمة في: الطبقات الكبرى ٤/ ٩٨، والوافي بالوفيات ١/ ٣١، ونزهة الألباب ٢/ ٢٢٩، والأعلام ٨/ ١٢٢.

(٦) سورة فصِّلت.

(٧) سورة فصِّلت/ ١٣.

ذَلِكَ، فَمَشَوا إِلَى أَبِي جَهْلٍ[1] فَقَالوا: يَا أَبَا الحَكَمْ إِنَّ أَبَا عَبدِ شَمسٍ صَبَأَ إِلَى دِينِ مُحَمَّد وَلَمْ يَرجِعْ إِلَينَا، فَقَامَ أَبُو جَهْلٍ وَقَعَدَ إِلَى الوَلِيدِ؛ وَقَالَ لَهُ: يَا عَم نَكَّسْتَ رُؤُوسَنَا، وَفَضَحْتَنَا، وَأَشْمَتَّ بِنَا عَدُوَّنَا، وَصَبَوْتَ إِلَى دِينِ مُحَمَّد؛ فَقَالَ: مَا صَبوتُ إِلَى دِينِهِ، وَلَكِنْ سَمِعْتُ مِنْهُ كَلَامًا صَعْبًا تَقْشَعِرُّ مِنهُ الجُلُودُ، فَقَالَ أَبُو جَهلٍ: أَ خُطَبٌ هُوَ؟! قَالَ: لَا، الخُطَبُ كَلَامٌ مُتَّصِلٌ، وَهَذَا كَلَامٌ مَنْثُورٌ لَا يَشْبَهُ بَعْضُهُ بَعْضًا؛ قَالَ: أَ فَشِعْرٌ هُوَ؟! قَالَ: لَا مَا هُوَ بِشِعْرٍ، قَالَ: فَمَا هُوَ؟! قَالَ: دَعْنِي أُفَكِّرُ فِيهِ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الغَد، قَالَ لَهُ: يَا أَبَا عَبدِ شَمْسٍ، مَا تَقولُ فِيمَا قُلنَاهُ؟! قَالَ: قُولُوا هُوَ سِحْرٌ؛ فَإِنَّهُ أَخَذَ بِقُلُوبِ النَّاسِ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ فِي ذَلِكَ: ﴿**ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا**﴾[2]، وَإِنَّمَا سُمِّيَ وَحِيدًا؛ لِأَنَّهُ قَالَ لِقُرَيشٍ: أَنَا أَتَوَحَّدُ بِكُسْوَةِ البَيتِ سَنَةً وَعَلَيكُم فِي جَمَاعَتِكُم سَنَةً، وَكَانَ لَهُ مَالٌ كَثِيرٌ وَحَدَائِقُ، وَكَانَ لَهُ عَشَرَةُ بَنِينَ فِي مَكَّةَ وَعَشَرَةُ عَبِيدٍ عِندَ كُلِّ عَبدٍ أَلفِ دِينَارٍ يَتَّجِرُ بِهَا.

فِي الجَوَامِعِ[3] رُوِيَ أَنَّ الوَلِيدَ قَالَ لِبَنِي مَخزُومٍ: وَاللهِ لَقَدْ سَمِعْتُ مِنْ مُحَمَّدٍ آنِفًا

(١) أَبُو جَهْل: عَمرُو بنُ هِشَامِ بنِ المُغيرةِ المَخزُوميُّ القَرشيُّ: أَشدُّ النَّاسِ عَدَاوةً لِلنَّبيِّ ﷺ فِي صَدرِ الإسلام، وَأَحَدُ سَادَاتِ قُرَيشٍ وَأَبطَالِهَا وَدُهَاتِهَا فِي الجَاهِلِيَّةِ. عَدُوُّ اللهِ، فِرعَونُ هَذِهِ الأُمَّةِ، وَكَانَ أَحوَلَ مَأبونًا، سُئِلَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: تَنَازعنَا نَحنُ وَبنو عَبدِ مَنافٍ الشَّرفَ، أَطعَموا فَأَطعمنَا، وَحَملوا فَحَمَلنا، وَأَعطَو فَأَعطَينَا، حَتَّى إِذَا تَحاذَينَا عَلَى الرَّكبِ وَكُنَّا كَفَرَسَي رِهَانٍ؛ قَالوا مِنَّا نَبِيٌّ يَأتِيهِ الوَحيُّ مِنَ السَّمَاءِ، فَمَتَى نُدرِك هَذِه. وَاللهِ لَا نُؤمِن بِهِ أَبدًا وَلَا نُصَدِّقُه!. وَاستَمَرَّ عَلَى عِنَادِهِ، يُثيرُ النَّاسَ عَلَى مُحَمَّد رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَصحَابِهِ، لَايَفْتُرُّ عَنِ الكَيدِ لَهم وَالعَمَلِ عَلَى إِيذَائِهِم، حَتَّى كَانَت وَقْعَةُ بَدرٍ الكُبرَى، فَشَهِدَهَا مَعَ المُشرِكِينَ، فَكَانَ مِن قَتلَاهَا. سنة (٢هـ/ ٦٢٤م). ينظر: السيرة النبويَّة لابن هشام ٢/ ٥٢٨، كتاب المحبَّر ١٦١، وكتاب المنمَّق ٣٦٦، والإكمال في أسماء الرجال للخطيب ١٧٨، وإمتاع الأسماء ١/ ٣٥، وعمدة القاري ٨/ ١٨٠، وسبل الهدى والرشاد ٢/ ٤٦٩، والأعلام ٥/ ٨٧.

(٢) سورة المدَّثر/ ١١.

(٣) تفسير جوامع الجامع، ينظر ٣/ ٦٧٣.

وَيُنْظَر أَيضًا: الاستيعاب ٢/ ٤٣٣، وتفسير مجمع البيان ٦/ ١٩٢، ١٠/ ١٧٨، ومناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ١/ ٤٩، والتفسير الآصفيّ ٢/ ١٣٧٣، والتفسير الصافي ٥/ ٢٤٨،=

كَلَامًا مَا هُوَ مِن كَلَامِ الإِنْسِ وَلَا مِن كَلَامِ الجِنِّ، إِنَّ لَهُ لَحَلَاوَةً وَإِنَّ عَلَيهِ لَطَلَاوَةً، وَإِنَّ أَعلَاهُ لَمُثْمِرٌ، وَإِنَّ أَسْفَلَهُ لَمُغْدِقٌ، وَإِنَّهُ يعلُو وَمَا يُعلَى.

فَقَالَتْ قُرَيشٌ: صَبَأَ وَاللهِ الوَلِيدُ، وَلَيُصْبِيَنَّ قُرَيْشًا؛ فَقَالَ لَهُم أَبُو جَهْلٍ: أَنَا أَكفِيكُمُوهُ وَقَعَدَ إِلَيهِ حَزِينًا وَكَلَّمَهُ بِمَا أَحمَاهُ؛ فَقَامَ فَأَتَاهُمْ؛ فَقَالَ لَهُم: أَ تَزْعَمُونَ أَنَّ مُحَمَّدًا مَجنُونٌ؟! فَهَل رَأَيتُمُوهُ يُخنَق؟! وَتَزعَمُونَ أَنَّهُ كَاهِنٌ، فَهَل رَأَيْتُمُوهُ يَتَحَدَّثُ بِمَا تَتَحَدَّثُ بِهِ الكَهَنَةُ؟! وَتَزعَمُونَ أَنَّهُ شَاعِرٌ، فَهَل رَأَيتُمُوهُ يَتَعَاطَى شِعْرًا قَطُّ؟! وَتَزعَمُونَ أَنَّهُ كَذَّابٌ، فَهَلْ جَرَّبْتُم عَلَيهِ شَيئًا مِنَ الكَذِبِ؟! قَالُوا فِي كُلِّ ذَلِكَ اللَّهُمَّ لَا؛ فَقَالُوا: فَمَا هُوَ؟ فَفَكَّرَ؛ فَقَالَ: مَا هُوَ إِلَّا سَاحِرٌ، مَا رَأَيْتُمُوهُ يُفَرِّقُ بَينَ الرَّجُلِ وَأَهْلِهِ وَوَلَدِهِ وَمَوَالِيهِ، وَمَا يَقُولُهُ سِحرٌ يُؤْثَر عَنْ أَهلِ بَابِلَ، فَتَفَرَّقُوا مُتَعَجِّبِينَ مِنهُ[1].

أَقولُ: فَقَولُ الوَلِيدِ: قُولُوا هُوَ سِحرٌ، مِثْلُ قَولِهِم: إِنَّ مَا يَقُولُهُ مُحَمَّدٌ شِعرٌ؛ فَالسِّحرُ أَيضًا كَالشِّعرِ، لَهُ مَعْنَيَانِ:

الأَوَّلُ: وَهوَ مَا يَتَعَاطَاهُ الكُهَّانُ.

وَالثَّانِي مَا لَطُفَ مَأْخَذُهُ مِنَ الكَلَامِ، وَدَقَّ، وَقَد جَاءَ فِي الخَبَرِ: «إِنَّ مِنَ البَيَانِ لَسِحرًا».

قِيلَ: إِنَّ مَعنَاهُ لَمَّا كَانَ مِنَ البَيَانِ مِنْ إِبْدَاعِ التَّركِيبِ، وَغَرَابَةِ التَّأْلِيفِ، مِمَّا يَجْذِبُ السَّامِعَ وَيُخْرِجُهُ إِلَى حَدٍّ يَكادُ يُشْغِلُهُ عَنْ غَيرِهِ؛ شُبِّهَ بِالسِّحرِ الحَقِيقِيِّ، وَقِيلَ: هُوَ السِّحرُ الحَلَالُ[2].

=٧/ ٣٣٦، وبحار الأنوار ٩/ ١٦٧، وتفسير نور الثَّقلَين ٣/ ٧٨.

(١) التفسير الآصفيّ ٢/ ١٣٧٣، والتفسير الصافي ٥/ ٢٤٨، ٧/ ٣٣٦.

(٢) فيض القدير في شرح الجامع الصغير ٢/ ٦٦٥، ومجمع البحرَين ٢/ ٣٤٦.

وَفِي (مجمَعِ البَحرَينِ)[1] عَنِ الإِمَامِ فَخرِ الدِّينِ الرَّازِيِّ[2] أَنَّ لَفْظَةَ السِّحرِ فِي عُرفِ الشَّـرعِ مُخْتَصَّةٌ بِكُلِّ أَمرٍ مَخفِيٍّ سَبَبُه، وَيُتَخَيَّلُ عَلَى حَقِيقَتِه، وَيَجري مَجرَى التَّمْوِيهِ وَالخِدَاعِ، فَإِذَا كَانَ السِّحرُ كَالشِّعرِ، يُطلَقُ عَلَى مَعْنَيَينِ، فَلَا يُمْكِنُ أَنْ نَظُنَّ أَنَّ قَولَ الوَلِيدِ لِقُرَيْشٍ: قُولُوا إِنَّهُ سِحرٌ، مَحمُولٌ عَلَى مُطْلَقِ السِّحرِ، وَأَنْ يُرَادُ مِنهُ المَعنَيَانِ مَعًا، بَلْ يَقْطَعُ كُلُّ مَنْ سَمِعَ ذَلِكَ أَنْ مَا أَرَادَ مِنْهُمَا إِلَّا مَا تَتَعَاطَاهُ الكَهَنَةُ، مِن حَيْثُ إِنَّ المَقَامَ دَالٌّ عَلَى حَملِ كَلَامِهِ عَلَى هَذَا المَعنَى لَا غَيـرَ، وَمُـحَالٌ أَنْ يُرِيدَ غَيرَ السِّحرِ الحَقِيقِيِّ؛ لِأَنَّ قَصدَهُ أَنْ يُكَذِّبَ النَّبِيَّ ﷺ، وَمِن دَهَائِهِ قَالَ ذَلِكَ فِي الفُرْقَانِ، وَنَسَبَ النَّبِيَّ ﷺ أَنَّهُ مِنَ الكُهَّانِ، إِذْ أَجَالَ فِي كِتَابِ الله فِكرَتَهُ، فَلَـمَّا لَـمْ يَـجِدْ فِيهِ طَعْنًا يُنَبِّهُ عَلَيهِ قَبِيلَتَهُ؛ قَالَ: قُولُوا هُوَ سِحرٌ، لِعِلْمِهِ بِالسِّحرِ أَنَّهُ قَدْ دَقَّ مَعنَاهُ، فَلَمْ تَعْرِفهُ الوَرَى حَتَّى تُصَدِّقَ مِنهُ مَا افْتَرَى، وَأَعْجَبُ مِنَ الوَلِيدِ لَعَنهُ الله حَيثُ قَدَّرَ فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ يَقْدِرُ أَنْ يُعِيبَ الكِتَابَ المَجِيدَ مَعَ عِلمِهِ بِعِظَمِ إِعْجَازِهِ الَّذِي حَيَّرَ عُقُولَ فُصَحَائِهِم.

---

(١) ينظر: مجمع البحرين ٢/ ٣٤٦، وتفسير الـرازيّ ٣/ ٢٠٥. ويُنظر أَيضًا: أحكام القرآن للجصَّاص ١/ ٥٠، وكتاب الألَفين ٣٤٢، وبحار الأنـوار ٥٦/ ٢٧٧، وكتاب المكاسب ١/ ٢٦٢، ومصباح الفقاهة ١/ ٤٦٠.

(٢) فَخْرُ الدِّينِ مُـحَمَّدُ بنُ عُمَرَ بنِ الـحُسَيْنِ بنِ عَلِيٍّ التَّيْمِيّ الطَّبَرستانيُّ الأصلِ الرَّازيّ ابن خطيب الري، الشافعيّ المفسِّر المتكلِّم الأَشعَريُّ الأُصوليُّ الشَّافِعِيُّ الـمُلَقَّبُ بِابنِ الخَطِيبِ، قَالَ ابنُ خَلِّكَان: كَانَ فَرِيدَ عَصرِهِ وَنَسِيجَ وَحدِهِ، وَفَاقَ أَهلَ زَمانِهِ فِي عِلمِ الكَلَامِ وَعِلمِ المَعقولِ وَعِلمِ الأَوائِلِ، لَهُ التَّصَانِيفُ المُفيدةُ فِي فُنونٍ عَديدةٍ ومن تصانيفه في عِلم الكلام: (المطالب العالية)، وكتاب (نهاية العقول)، وكتاب (الأربعين)، وشرح (سقْط الزَّنْد) لأبي العلاء. وَغَير ذَلكَ مِنَ الكُتبِ، كَانَ مُتَعَصِّبًا مُتَصَلِّبًا فِي مَذهَبِهِ، توفِّي سنة (٦٠٦هـ). له ترجمة في: معجم الأدباء ٦/ ٢٥٨٥، وتأريخ إربل ٢/ ٥٣٧، وأخبار العلماء ٢١٩، ووفيات الأعيان ٤/ ٢٤٨، وسير أعلام النُّبلاء ٢١/ ٥٠٠، وتأريخ الإسلام ١٣/ ١٣٧، والوافي بالوفيات ٤/ ١٧٥، وطبقات الشافعيِّين ٧٧٨، وطبقات الشافعيَّة ٢/ ٦٥، وطبقات المفسِّرين ٢١٣، بحار الأنوار ١٠٤/ ٦٨، والأعلام ٦/ ٣١٣.

مُحاولَةُ كُفَّارِ قُريشٍ مُجارَاةَ القُرآنِ

اجْتَمَعَ جَماعَةٌ مِنْ بُلَغَائِهِم عَلَى مُجَارَاتِهِ وَهُم يَرونَهُ قَد أَخرَسَ أَلسِنَتَهُم فِي مُحْكَمِ آيَاتِهِ، فَرَأَوْا حِينَ صَمَّمُوا عَلَى ذَلِكَ لِسَانَ فَصَاحَتِهِم عَنْ مُبَارَاتِهِ انْقَطَعَ كَمَا هُوَ مَرويٌّ عَنهُم فِي (المَجْمَع) مِنْ أَنَّ كُفَّارَ قُرَيشٍ أَرَادوا أَنْ يَتَعَاطَوا مُعَارَضَةَ القُرآنِ، فَعَكَفُوا عَلَى لُبَابِ البُرِّ، وَسُلَافِ الخَمْرِ، وَلُحُومِ الضَّأْنِ، أَربَعِينَ يَومًا؛ لِيُصفُّوا أَذْهَانَهُم، فَلَمَّا أَخَذُوا فِي مَا أَرَادُوا، أُسْمِعُوا هَذِهِ الآيَةَ: ﴿**وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**﴾[1]؛ فَقَالَ بَعضُهُم لِبَعضٍ: هَذَا كَلَامٌ لَا يُشْبِهُهُ شَيءٌ مِنَ الكَلَامِ، وَلَا يُشْبِهُ كَلَامَ المَخْلُوقِينَ، وَتَركُوا مَا أَخَذُوا فِيهِ، وَافْتَرَقُوا.

وفي (الصافي)[2] قِيلَ: الآيةُ فِي غَايَةِ الفَصَاحَةِ؛ لِفَخَامَةِ لَفْظِهَا؛ وَحُسْنِ نَظْمِهَا وَالدَّلَالَةِ عَلَى كُنْهِ الحَالِ، مَعَ الإيجَازِ الخَالِي مِنَ الإخْلَالِ، وَإِيرَادِ الأَخْبَار عَلَى البِنَاءِ لِلمَفْعُولِ فِيهِ دَلَالَة عَلَى تَعظِيمِ الفَاعِلِ، وَأَنَّهُ مُتَعَيِّنٌ فِي نَفْسِهِ، مُسْتَغْنٍ عَنْ ذِكرِهِ، إِذْ لَا يَذْهَبُ الوَهْمُ إِلَى غَيرِهِ، لِلْعِلْمِ بِأَنَّ مِثلَ هَذِهِ الأَفْعَالِ لَا يَقْدِرُ عَلَيهَا سِوَى الوَاحِدِ القَهَّارِ.

أَقولُ: يَحكُمُ العَقلُ بِالضَّرورةِ أَنَّ تِلكَ الآيَاتِ إِمَّا أَن تَكونَ كَمَا أُوِّلَتْ فِي العُلَمَاءِ المُنَافِقِين، وَإِمَّا أَنْ تَكونَ نَزلَتْ فِي شُعرَاءٍ مَخْصُوصِينَ، كَمَا قِيلَ فِي تَأوِيلِهَا فِي (مَجمَعِ البَحْرَينِ)[3] أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي شُعَرَاءِ المُشْرِكِيَن، وَهُمْ: عَبدُ الله بنُ

(١) سورة هود/ ٤٤.

(٢) التفسير الصافي ٢/ ٤٤٨.

(٣) مجمع البحرين ٢/ ٥١٦. وينظر: جوامع الجامع ٢/ ٦٩٤، وتفسير مجمع البيان ٧/ ٣٥٩، وتفسير غريب القرآن ٢٥٣، وزاد المسير ٦/ ٥٤، وتفسير الآلوسيّ ١٩/ ١٤٦، وموسوعة التأريخ الإسلامي ١/ ٥١٢.

الزِّبَعرَى[1] وَأَبو سُفيَانَ[2] وَأَبو عَزَّة[3] وَنَحوهُم، حَيثُ قَالَوا: نَحنُ نَقولُ مِثلَمَا قَالَ مُحَمَّدﷺ، وَكَانُوا يَهجُونَهُ، وَتَجْتَمِعُ عَلَيهِم الأَعرَابُ مِن قَومِهِم يَسمَعُونَ أَشْعَارِهِم فِي الهِجَاءِ، وَعَلَى هَذِينِ التَّأْويلَينِ فَقَدِ استَثْنَى اللهُ المُؤمِنينَ مِنَ العُلَمَاءِ وَالشُّعَرَاءِ بِقَولِهِ عَزَّ مَنْ قَائِل: ﴿**إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ...**﴾[4]؛ وَإِلَّا فَلاَ يُعْقَل أَنَّهَا نَزَلَت عَلَى النَّبِيِّﷺ فِي عَامَّةِ الشُّعَرَاءِ، وَيَتلُوهَا مَا بَينَ حَاسِدٍ لَهُ وَشَامِت، ثُمَّ يَتَّخِذُ لَهُ مِنَ الشُّعَرَاءِ حَسَانَ بنَ ثَابِتٍ، حَتَّى إِنَّ خَاصَّةَ أَصْحَابِهِ وَحَامَّتَهُ -الَّذِينَ بِهِم قَد أَعلَى اللهُ كَلِمَتَهُ-

(١) ابن الزِّبَعْرى: عَبدُ الله بنُ الزِّبَعرَى بنِ قَيسٍ السَّهمِيُّ القَرشيُّ، أَبو سَعدٍ: شَاعِرُ قُريشٍ فِي الجَاهِلِيَّةِ. كَانَ شَديدًا عَلَى المُسلِمينَ إِلَى أَنْ فُتِحَتْ مَكَّةَ، فَهَرَبَ إِلَى نَجرَانَ، فَقَالَ فِيهِ حَسَانَ أَبيَاتًا، فَلَمَّا بَلَغَتهُ عَادَ إِلَى مَكَّةَ؛ فَأَسلَمَ وَاعتَذَرَ، وَمَدَحَ النَّبِيَّ ﷺ فَأَمرَ لَهُ بِحُلَّةٍ، توفِّيَ (نحو ١٥هـ/ نحو ٦٣٦م). ينظر: طبقات فحول الشعراء ١/ ٢٣٣، والاشتقاق ١٢٢، ومعرفة الصَّحابة ٣/ ١٦٦٢، الاستيعاب ٣/ ٩٠١، وأسد الغابة ٣/ ٢٣٩، وتهذيب الأسماء ١/ ٢٦٦، والأعلام ٤/ ٨٧، ومعجم شعراء المدح النبويّ ٢٠٤.

(٢) أغلب المصادر تقول إنَّه أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، وبعض منها تقول: إنَّه أبو سفيان بن حرب. ينظر: جوامع الجامع ٢/ ٦٩٤، وتفسير مجمع البيان ٧/ ٣٥٩، وتفسير غريب القرآن ٢٥٣، وزاد المسير ٦/ ٥٤، وتفسير الآلوسيّ ١٩/ ١٤٦، وموسوعة التأريخ الإسلاميّ ١/ ٥١٢.

(٣) أَبُو عَزَّة: عَمرُو بنُ عَبدِ الله بنِ عُثمانَ الجُمَحِيُّ: شَاعِرٌ جَاهِلِيٌّ، مِن أَهلِ مَكَّةَ. أَدركَ الإسلام، وَأُسرَ عَلَى الشِّركِ يَومَ بَدر، فَأُتِي بِهِ إِلَى رَسولِ اللهﷺ، فَقَالَ: يَا رَسولَ اللهَ امنن عَليَّ، وَلَكَ أَنْ لَا أُظَاهِرُ عَلَيكَ أَحدًا. فَامتَنَّﷺ عَلَيهِ، ثُمَّ لَمَّا كَانَ يَومُ أُحُد، اشْتَرَكَ مَعَ عَمرو ابنِ العَاصِ فِي اسْتِنفَارِ القَبَائِلِ، وَنَظمَ شِعرًا يُحَرِّضُ بِهِ عَلَى قِتَالِ المُسلِمِينَ. فَلَمَّا كَانَت الوَقعةُ أَسرهُ المُسلِمونَ، فَقَالَ: يَا رَسولَ اللهﷺ مُنَّ عَليَّ، فَقَال النَّبِيُّﷺ: «**لَا يُلدَغُ المُؤمِنُ مِن جُحْرٍ مَرَّتَينِ، لَا تَرجِعُ إِلَى مَكَّةَ تَمسَحُ عَارِضَيكَ وَتقُولُ: خَدَعْتُ مُحَمَّدًا مَرَّتَينِ**»! وأمر به عاصم بن ثابت، فضرب عنقه سنة (٣هـ/ ٦٢٥م). ينظر: الطبقات الكبرى ٢/ ١٣، وطبقات فحول الشعراء ١/ ٢٥٣، والاشتقاق ١٣١، وتهذيب الأسماء ٢/ ٢٦٠، وتأريخ الإسلام ١/ ٤١، وسير أعلام النُّبلاء- سيرة ١/ ٣١٩، وكنوز الذهب في تأريخ حلب ٢/ ٢٥، والأعلام ٥/ ٨٠، ومعجم أعلام المدح النبويّ ٢٨٢.

(٤) سورة الشعراء/ ٢٢٧.

يُنْشِدُونَ وَيَسمَعُ مِنهُم مَا يَقُولُونَ، وَلَمْ يَنْهَهُمْ عَنْ إِنْشَادِهِ وَالإنشَاءِ، وَلَا هُمْ يَرقَبُونَ فِي إِنْشَادِهِ وَإِنْشَائِهِ رَبَّ السَّمَاءِ، هَيْهَات لَو أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي عَامَّةِ الشُّعَرَاءِ لَحَرَّمَ الشِّعرَ خَاتِمُ النَّبِيِّينَ ﷺ عَلَى جَمِيعِ المُسلِمِينَ، وَلَكِنَّ الوَجْهَ الصَّحِيحَ مَا قُلنَا إِنَّهَا تَحتَمِلُ التَّأْوِيلَينِ، وَإِلَّا فَكَيفَ يُعْقَلُ أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي عَامَّةِ الشُّعَرَاءِ وَلَم يَترُك الشِّعرَ المُسْلِمُونَ؟! وَلَم يَرْقَبِ اللهُ بِهِ المُؤمِنونَ؟! وَكَيفَ يُنْشَدُ بِحَضْرَةِ النَّبِيِّ ﷺ، وَيَستَحْسِنُ جَيِّدَهُ، وَلَمْ يَنْهَ عَنْ إِنْشَادِهِ مُنْشِدَهُ؟! وَلَو فَرَضْنَا أَنَّ تِلْكَ الآيَاتِ نَزَلَت فِي قَائِلِي الشِّعرِ مِنَ رَبِّ البَرِيَّاتِ، فَلَا يُعْقَلُ أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي مُطْلَقِ قَائِلِيهِ، وَلَا أَنَّ مُطْلَقَ إِنْشَائِهِ وَإِنْشَادِهِ مَكرُوهٌ عَلَى مُنْشِئِيهِ وَمُنْشِدِيهِ؛ لِأَنَّ أَئِمَّةَ العِصْمَةِ عليهم السلام قَدْ مَلَأَت فِي تَمَثُّلِهَا بِهِ خُطبَهَا، وَنَاجَت بِبَدَائِعِ نَظْمِهَا رَبَّهَا.

وَقَد رَوَى ابنُ فَهْدٍ[1] فِي (العُدَّةِ)[2] وَابنُ طَاووسَ[3] فِي (مُهَجِ الدَّعَواتِ)، وَالكَثِيرُ

(١) الشَّيخُ أحمَد بنُ فَهدٍ: هوَ الشيخُ جَمالُ الدِّينِ أَبو العَبَّاسِ، أَحمدُ بنُ شَمسِ الدِّينِ مُحمَّدِ بنِ فَهدٍ الحِلِّيُّ الأَسديُّ، فَاضِلٌ فَقيهٌ، مُجتهِدٌ، زَاهِدٌ، عَابِدٌ، وَرِعٌ، تَقيٌّ، نَقِيٌّ، مَولِدُهُ فِي الحِلَّةِ السَّيفِيَّة وَإِلَيهَا نِسبَتُهُ، تَتَلمَذَ الشَّيخُ ابنُ فَهدٍ عَلَى يَدِ مَجموعَةٍ مِن أَسَاتِذَةِ وَمُدَرِّسِي الحَوزَةِ العِلمِيَّةِ فِي الحِلَّةِ آنذَاكَ، وَهُم: الشَّيخُ عَليُّ بنُ خَازِنِ الجَابريُّ، وَالشَّيخُ نِظامُ الدِّينِ عَليُّ بنُ عَبدِ الحَمِيدِ النِّيليُّ، وَالشَّيخُ ضِياءُ الدِّينِ عَليُّ بنُ عَبدِ الكَرِيمِ وَغَيرُهُم، كَانَ يُدَّرسُ فِي مَدرسَةِ الزَّعيَّةِ بِالحِلَّةِ السَّيفِيَّةِ، صَاحِبُ تَصَانِيفَ رَائِقة، وَتَأليفَاتٍ فَائِقَةٍ، مِنهَا: (المهذَّب البارع)، و(عدَّة الداعي) وَغَيرِهِمَا، وَمَعَ شَدِيدِ الأَسَفِ سُرِقَ تُرَاثُهُ الحِلِّيُّ وَطُبِعَ وَنُسِبَ إِلَى مُحَافَظَةٍ أُخرَى غَيرِ مَدِينَتِهِ الحِلَّةِ الَّتِي رَبَّتهُ وَلِيدًا، وَأَنشَأَتْهُ عَالِمًا فَرِيدًا، وَفِيهَا كَانَ عَطَاؤُه وَلَهَا. تُوفِّيَ سَنةَ (٨٤١هـ)، وَدُفِنَ فِي كَربَلَاءَ، وَضَرِيحُهُ مَزَارٌ مَعرُوفٌ هُنَاكَ. له ترجمة في: المهذَّب البارع، المقدِّمة ١/ ١٥، والذريعة ٣/ ٣٩٨، الأعلام ١/ ٢٢٧، وتأريخ العراق بين احتلالَين ٣/ ١٠٤.

(٢) عدَّة الداعي ونجاح الساعي، للشيخ جمال الدين أبي العبَّاس أحمد بن فهد الحِلِّيّ، المتوفَّى (٨٤١هـ).

(٣) ابنُ طَاووس: السَّيِّد عَليُّ بنُ مُوسَى بنِ جَعفَرِ بنِ طَاووس الحسَنيُّ: الفَاضِلُ الكَامِلُ الزَّاهِدُ المُجَاهِدُ العَالم العَامِلُ الأُصوليُّ، مِن كُتُبِهِ: (مهج الدعوات)، و(الأمان من أخطار الأسفار والأزمان)، و(الملهوف على قتلى الطفوف) وَغَيرهَا. توفِّي سنة (٦٦٤هـ/ ١٢٦٦م)، وَضَرِيحُهُ فِي الحِلَّةِ مَزَارٌ مَشهورٌ. أمل الآمل ٢/ ٢٠٥، وروضات الجنَّات ٤/ ٣٢٥، وتأريخ العراق=

مِنَ العُلَمَاءِ فِي كُتُبِ العِبَادَاتِ، وَغيرهَا مِن كُتُبِ السِّيرِ وَالأَخْبَارِ، مِنَ الدَّعَوَاتِ العَجِيبَةِ فِي رَائِقَاتِ الأَشعَارِ، بَل ذَكَروا مِنَ الشِّعرِ لَهُم فِي الحُرُوبِ وَغَيرِهَا، مَا لَا يُحْصَى؛ لِكَثرَتِهِ، وَلَا تَكادُ تَقِفُ عَلَى غَايَتِهِ، وَلَو كَانَ مُطْلَقُهُ مَكرُوهًا لَمَا نَطَقَتْ فِيهِ، وَأَنَّى تَفْعَلُ المَكرُوهَ، وَهيَ تَتَجَنَّبُهُ اجْتِنَابَ المُحَرَّمِ، وَلَو كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ لَمَا أَلفَيْتَهَا بِهِ تَتَكَلَّمُ؛ لِأَنَّهُم المَعصُومُونَ مِنَ الزَّلَلِ، وَكُلُّ أَفْعَالِهِم وَأَقوَالِهِم عَلَى مُقْتَضَى مَا عَلَى بُيوتِهِم الوَحِي قَدْ نَزَل، وَلَا يُعْقَلُ أَيْضًا أَنَّ جِبرئِيلَ عليه السلام مَعَ عِلْمِهِ بِنُزُولِهِ بِتِلكَ الآيَاتِ مِنَ الرَّبِّ الجَلِيلِ، هِيَ فِي مُطْلَقِ الشُّعَرَاءِ، ثُمَّ يُنَادِي بَعدَ ذَلِكَ يَومَ أُحِدٍ فِي السَّمَاءِ: [من مجزوء الكامل]

لَا سَيفَ إِلَّا ذُو الفَقَا رِ وَلَا فَتَى إِلَّا عَلِيّ[1]

عَلَى أَنَّهُ قَدْ حَكَمَ بِصِحَّةِ نِدَائِهِ هذَا العُلَمَاءُ الأَفَاضِلُ، وَهوَ بَيتُ شِعرٍ مِن مَجزوءِ الكَامِلِ، فَلَو أَنَّهُ كَانَ مَكرُوهًا مَا نَطَقَ بِهِ؛ لِأَنَّهُ مَعصُومٌ وَالمَعصُومُ بِالمَكرُوهِ لَا يَفُوهُ.

وَأَمَّا الرِّوَايَةُ الَّتِي ذَكَرَهَا الشَّيخُ فِي (المِصْبَاح)[2]، وَهيَ أَنَّهُ تُكرَهُ رِوَايَةُ الشِّعرِ فِي الحَرَمِ وَفِي تِلكَ الحَالَاتِ وَالأَوقَاتِ المَذْكُورَةِ[3]، وَلَو كَانَ حَقًّا، فَلَا تُحْمَلُ عَلَى كَرَاهَتِهِ مُطْلَقًا؛ لِأَنَّ الأَلِفَ وَاللَّامَ فِيهِ لَا تُفِيدُ العُمُومَ وَالاسْتِغْرَاقَ لِجَمِيعِ أَنوَاعِهِ الخَيرِيَّةِ وَالشَّرِّيَّةِ وَنُكَتِهِ الهَزْلِيَّةِ، وَإِنَّمَا تُفِيدُ الجِنْسَ مِن غَيرِ مَعنَى الاسْتِغْرَاقِ لَهَا وَذَلِكَ مِثلَ قَولِكَ حَفِظتُ:

=١/ ٢٦١، والكنى والألقاب ١/ ٣٣٩، ومصفى المقال ٢٩٧، والأعلام ٥/ ٢٦

(١) مناقب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ١/ ٤٩٥، ٢/ ٥٦٣، وشرح الأخبار ٢/ ٣٨١، ومناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ٢/ ٣١٧، ٣٢٨، وحلية الأبرار ٢/ ١٦٢، ومدينة المعاجز ١/ ١٠٩، وشرح أصول الكافي ١٢/ ١٩١، وبحار الأنوار ٢٠/ ١٠٥، ٢١/ ٤٠، وشجرة طوبى ٢/ ٢٨٠، ٢٩٢، والغدير ١٠/ ١٧، ٣٣.

(٢) هو كتاب (مصباح المتهجد) للشيخ الطوسيّ قدس سره المتوفَّى (٤٦٠هـ).

(٣) مصباح المتهجِّد ٦٢٧، وينظر: تذكرة الفقهاء ٦/ ٢٣٨، وعمدة القاري ٤/ ٢١٩، ووسائل الشيعة آل البيت ٧/ ٤٠٣، ١٢/ ٥٦٥، ووسائل الشيعة- الإسلامية ٥/ ٨٣، والحدائق الناضرة ١٣/ ١٦٢، ومستند الشيعة ١٠/ ٣١٣، ومستدرك سفينة البحار ٥/ ٤٢٦، وموسوعة أحاديث أهل البيت ٤/ ٢٩٣.

الشِّعرَ، وَاسْتَقْرَيتُ النَّثرَ، فَإِنَّهُ لَا يُعقَلُ وَلَا يُتَصَوَّرُ أَنَّكَ أَحَطْتَ فِي جَمِيعِ الشِّعرِ بِحِفْظِكَ، وَلَا اسْتَولَيتَ عَلَى جَمِيعِ النَّثْرِ بِتَتَبُّعِكَ، وَإِنَّمَا يُفْهَمُ مِن ذَلِكَ مَحْضَ الجِنسِ مِن غَيرِ عُمُومٍ وَاسْتِغْرَاقٍ، وَأَمْثِلَةُ ذَلِكَ فِي الشِّعرِ كَثِيرةٌ، لَا تَكَادُ تَحتَوِي عَلَيهَا الدَّفَاتِرُ وَالأَورَاقُ، مِنهَا مَا يُوَضِّحُ هَذَا الاشْتِبَاهَ الخَفِيَّ قَولُ أَبِي عُبَادَةَ البُحْتُرِيِّ:[1] [من البسيط]

١.أَهُـزُّ بِالشِّعرِ أَقـوَامًـا ذَوِي وَسَـنٍ فِي الجَهلِ لَو ضُرِبوا بِالسَّيفِ مَا شَعَروا

٢.عَـلَيَّ نَحْتُ الـقَـوَافِي مِـنْ مَقَاطِعِهَا وَمَـا عَـلَيَّ لَهُـم أَنْ تَـفْـهَـمَ الـبَـقَـرُ

فَمَا يُعقَلُ أَيْضًا أَنَّهُ يَهُزُّهُم بِجَمِيعِ الشِّعرِ الَّذِي أَنْشَأَهُ البَشَرُ، وَإِنَّمَا بِهَذا الجِنْسِ الَّذِي بِهِ عَلَيهِم افْتَخَرَ، وَكَذَلِكَ فِي البَيتِ الثَّانِي يُعْتَبَرُ.

فَأَمْعِن فِي جَمِيعِ مَا ذَكرنَاهُ النَّظَرَ، فَإِنَّهَا إِذَا تَـحَقَّقَت لِلْجِنسِ، فَلَا تَعُمُّ الشِّعرَ المُتَضَمِّنَ لِلثَّنَاءِ عَلَى رَبِّ الجِنِّ وَالإِنْسِ، وَلَا الـمُتَضَمِّن مَدحَ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍﷺ خَاتِمِ النَّبِيِّينَ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَعليهم السلام، بَلْ جَمِيعَ أَنوَاعِهِ الخَيْرِيَّةَ الَّتِي يُثَابُ عَلَيهَا العَبدُ مِن رَبِّ البَرِيَّةِ، وَكَيفَ تَكونُ لِلعُمُومِ وَالاسْتِغرَاقِ فَتَعُمَّ بِكَرَاهَتِهَا مَا ذَكرنَاهُ مِن أَنوَاعِهِ الـخَيْرِيَّةِ الَّتِي إِذَا فَعَلَهَا المَرءُ فِي دُنْيَاهُ سَعُدَ فِي أُخْرَاهُ، وَهِيَ فِي الحَقِيقَةِ أَفْضَلُ العِبَادَاتِ الَّتِي يَستَحِقُّ بِهَا العَبدُ الجَزَاءَ مِن رَبِّ البَرِيَّاتِ، عَلَى أَنَّهُ قَد بَالَغَ النَّبِيُّﷺ وَأَئِمَّةُ العِصْمَةِعليهم السلام فِي اسْتِحْبَابِهَا،

(١) ديوان البحتري ٢/ ٩٥٥.

– البُحْتُري: الوليدُ بنُ عُبيدِ بنِ يَحيَى الطَّائِيُّ، أَبو عُبَادةَ البُحتريُّ: شَاعرٌ كَبيرٌ، وَهوَ أَحدُ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ كَانُوا أَشعرَ أَبنَاءِ عَصرِهِم: المُتَنَبِّي، وَأَبُو تَمَّام، وَالبُحتُريُّ. قِيلَ لأبي العَلَاءِ المَعري: أَيُّ الثَّلَاثَةِ أَشعَر؟ فَقَالَ: المُتَنَبِّي وَأَبو تَمام حَكيمَانِ، وَإِنَّمَا الشَّاعِرُ البُحْتُرِيُّ. وُلِدَ بِمَنْبج (بَينَ حَلَبٍ وَالفُرات)، وَرَحَل إِلَى العرَاق، فَاتَّصَلَ بِجمَاعَةٍ مِنَ الخُلَفَاءِ أَوَّلـهُم المُتَوَكِّلُ العَبَّاسيُّ، ثُمَّ عَادَ إِلَى الشَّامِ، وَتُوُفِّيَ فِي مَنبَج سَنةَ (٢٨٤هـ/ ٨٩٨م)، لَه (ديوان شعر)، وَكتاب (الحماسة) على مثال حماسة أبي تـمَّام. وكُتبَ عنه الكثير. له ترجمة في: طبقات الشعراء ٣٩٣، وتأريخ بغداد ١٣/ ٤٥١، والإكمال ٧/ ٢٤٨، وتأريخ دمشق ٦٣/ ١٨٨، ومعجم الأدباء ٦/ ٢٧٩٦، وبغية الطلب ١/ ٥٦٨، ووفيات الأعيان ٦/ ٢١، وتأريخ الإسلام ٦/ ٨٤٤، وسير أعلام النُّبلاء ١٣/ ٤٨٦، والوافي بالوفيات ١٠/ ٥٢، والأعلام ٨/ ١٢١، ومعجم المؤلِّفين ١٣/ ١٧٠.

وَرَغَّبُوا مَوَالِيَهُم بِجَزيلِ ثَوَابِهَا، وَقَد أَوْرَدنَا عَنهُم سَابِقًا فِي أَوَّلِ الْمُقَدِّمَةِ أَحَادِيثَ فِي ذَلِكَ تَملَأُ سُرورًا أَفْئِدَةَ الْمُؤمِنينَ، وَتَكمُدُ بِالأَحزَانِ قُلُوبَ الكَاشِحينَ، وَيُؤَيِّدُ مَا ذَكَرنَا مِن عَدَمِ كَرَاهَةِ مَا كَانَ مُتَضَمِّنًا خَيرًا مِنَ الشِّعرِ، سِيرَةُ مَن تَوَلَّى مِنَ الأَئِمَّةِ عليهم السلام فِي كُلِّ طَبَقَةٍ طَبَقَة، وَعَصرٍ عَصْر، فَإِنَّهُم هُمْ وَعُلَمَاؤُهُم فِي جَمِيعِ الأَوقَاتِ وَالأَمَاكِنِ الْمُشَرَّفَاتِ مُوَاظِبونَ عَلَى رِوَايَةِ مَا كَانَ مِنهُ فِي أَئِمَّتِهِم الهُدَاةِ كَرِثَاءِ سَيِّدِ الشُّهَدَاءِ عليه السلام وَمَا نَاظَرَهُ، فَإِنَّهُ عِندَهُم مِن أَفْضَلِ الْمُسْتَحَبَّاتِ، وَهوَ مِنَ الْمَقْطُوعِ فِيهِ عِندَهُم أَنَّهُ يُقَرِّبُ مِنَ الله مَنزلَتَهُم، وَهَذَا ظَاهِرٌ لَا خِلَافَ فِيه، وَلَا شُبْهَةٌ تَعْتَرِيه، فَإِذَا تَحقَّقَ أَنَّ هَذَا وَمَا شَاكَلَهُ لَيْسَ مَكرُوهًا كَمَا ذُكِرَ، فَلَا بَأْسَ بِتَعْيِينِ مَا كَانَ مَكرُوهًا مِنَ الشِّعرِ فِي الحَرَمِ، وَفِي تِلْكَ الحَالَاتِ وَالأَوقَاتِ الْمُشَرَّفَاتِ، لِيُعْلَمَ عَلَى أَيِّ نَوعٍ مِنهُ تُحْمَلُ الرِّوَايَةُ، لِتَتُمَّ فَائِدَتُهَا لِمُسْتَقْصِي أَدِلَّتِهَا.

فَأَقولُ: يُفْهَم بَدِيهًا مِن مَتنِ الرِّوَايَةِ، مِن قَولِ حَمَّادِ بنِ عُثمَانَ[1] لِلإِمَامِ عليه السلام: وَلَو كَانَ الشِّعرُ حَقًّا؟! أَنَّ حَمَّادًا قَاطِعٌ بِأَنَّ مَا لَيسَ حَقًّا مَكرُوهٌ وَشَكَّ بِمَا لَو كَانَ حَقًّا هَل هُوَ مَكرُوهٌ أَم لَا، فَتَحَقَّقَتْ كَرَاهَتُهُ بِقَولِ الإِمَامِ عليه السلام: وَلَو كَانَ الشِّعرُ حَقًّا. فَعَلَى هَذَا تَعَلَّقَتْ الكَرَاهَةُ بِنَوعَينِ مِنَ الشِّعرِ حَقٌّ وَبَاطِلٌ، فَالبَاطِلُ عَلَى أَحَدِ مَعَانِيهِ فِي اللُّغَةِ: الهَزْلُ، الَّذِي هُوَ ضِدُّ الجِدِّ، وَهوَ الْمُرَادُ هُنَا مِنْ إِطلَاقِهِ عَلَى هَزْلِ الشِّعرِ، وَأَكَاذِيبِهِ، وَالحَقُّ أَيْضًا عَلَى أَحَدِ مَعَانِيهِ فِي اللُّغَةِ الصِّدقُ الَّذِي هُوَ ضِدُّ الكَذِبَ، وَهوَ الْمُرَادُ هُنَا أَيْضًا مِن إِطْلَاقِهِ عَلَى الشِّعرِ الَّذِي يُوصَفُ بِهِ الشَّيءُ عَلَى مَا هُوَ عَلَيهِ، وَهوَ يَنْقَسِمُ إِلَى قِسمَينِ: مُبَاحٌ وَمُسْتَحَبٌّ.

(١) حمادُ بنُ عُثمانَ بنِ زِيادٍ الْمُلَقَّبُ بـ(النَّاب)، كُوفيٌّ ثِقَةٌ جَليلُ القَدرِ، عَدَّهُ الشَّيخُ الطوسيّ رحمه الله فِي رِجَالِهِ مِن أَصحَابِ الصَّادِقِ وَالكَاظِمِ وَالرِّضَا عليهم السلام، مُحَدِّثٌ إِمَامِيٌّ ثِقةٌ وَفَقيهٌ جَلِيلٌ. تُوفِّيَ فِي الكُوفَةِ سَنةَ (١٩٠هـ). ينظر: رجال الطوسيّ ١٨٦، ٣٣٤، ٣٥٤، وفهرست الطوسيّ ١١٥، وخلاصة الأقوال ١٢٥، ورجال ابن داوود ٨٤، والأربعون حديثًا ٤٣، ونقد الرجال ٣/ ١٨٤، وجامع الرواة ١/ ٢٧١، ووسائل الشيعة ٢٠/ ١٨١، وأعيان الشيعة ٦/ ٢٢٠، ومستدركات علم رجال الحديث ٣/ ٢٥٦، ومعجم رجال الحديث ٧/ ٢٢٤.

فَأَمَّا المُسْتَحَبُّ، فَقَد خَرَجَ مِنهُ بِالدَّلِيلِ؛ لِأَنَّهُ يَتَضَمَّنُ الثَّنَاءَ عَلَى الله وَعَلَى أَنْبِيَائِهِ وَأُمَنَائِهِ عليهم السلام وَمَا شَاكَلَ ذَلِكَ، وَتَعَلَّقَتِ الكَرَاهَةُ فِي المُبَاحِ، وَفِي الشِّعْرِ الهَزْلِيِّ؛ وَعِلَّةُ كَرَاهَةِ رِوَايَةِ هَذِينِ النَّوعَينِ مِنَ الشِّعرِ فِي الحَرَمِ، وَفِيمَا قَدْ ذُكِرَ؛ أَنَّهُمَا خَلِيَّانِ مِن الخَيرِ، إِذْ هُمَا مِن مَحضِ أُمُورِ الدُّنيَا الَّتِي لَا فَائِدَةَ بِهَا؛ وَلِأَنَّ هَاتِيكَ الأُمُورَ الَّتِي قَد ذُكِرَتْ مِن مَحضِ أُمُورِ الآخِرَةِ، الَّتِي يَرجُو بِهَا العَبدُ الثَّوَابَ مِن رَبِّهِ، فَلَا شَكَّ فِي ضَيَاعِهَا، أَو ضَيَاعِ بَعْضِهَا، بِأَمرٍ دُنْيَوِيٍّ مَكرُوهٍ، وَعِلَّةُ خُروجِ الشِّعرِ المُتَضَمِّنِ خَيرًا، مِنَ الكَرَاهَةِ؛ أَنَّهُ بَخَيْرِيَّتِهِ يَزِيدُ ثَوَابُه، وَلَم يُنْقِصْهُ مِنهُ شَيئًا، وَيُؤَيِّدُ ذَلِكَ مَا ذَكَرهُ صَاحِبُ (مَجْمَعُ البَحرَينِ)[1] فِي نَشدٍ، قَالَ رحمه الله: وَأَنْشَدَ الشِّعرَ إِنْشَادًا، وَهوَ النَّشِيدُ فَعِيلٌ بِمَعنَى مَفْعول، وَنَشِيدُ الشِّعرِ قِرَاءَتُهُ، وَفِي الخَبَرِ: نُهِيَ عَنْ نَشَائِدَ الأَشعَارِ، وَهوَ أَنْ يُنْشِدَ كُلُّ أَحَدٍ صَاحِبَهُ نَشِيدًا لِنَفْسِهِ، أَو لِغَيْرِهِ، افْتِخَارًا أَو مُبَاهَاةً، أَو عَلَى سَبِيلِ التَّفَكُّهِ بِمَا يُسْتَطَابُ، وَأَمَّا مَا كَانَ فِي مَدْحِ حَقٍّ فَهوَ خَارِجٌ عَنِ الذَّمِّ، بَلْ هُوَ مُسْتَحَبٌّ[2]، كَمَا صَرَّحَتْ بِهِ الأَخْبَارُ. انتهى كَلَامُه.

وَمَا رَوَاهُ أَبو عَلِيٍّ الفَضلُ بنُ الحُسَينِ الطَّبرَسِيُّ[3] فِي كِتَابِهِ المَوسُومِ بِـ(المُقَدِّمَة الأَدَبِيَّة) عَنْ خُلقِ ابنِ حَمَّادٍ، قَالَ: قُلتُ لِلرِّضَا عليه السلام: إِنَّ أَصْحَابَنَا يَروونَ عَن آبَائِكَ عليهم السلام: أَنَّ الشِّعرَ لَيلَةَ الجُمُعَةِ وَيَومَ الجُمُعَةِ وَفِي شَهرِ رَمَضَانَ وَفِي اللَّيلِ مَكرُوهٌ إِلَّا ثَلَاثَةَ أَبْيَاتٍ، أَوَّلُهَا صَلَّى

(١) كتاب (مجمع البحرين) للشيخ الطريحي.

(٢) مجمع البحرين ٤/ ٣١١.

(٣) أَبو عَلِيٍّ الطَّبَرسِيُّ: الفَضلُ بنُ الحَسَنِ بنِ الفَضلِ أَمِينُ الدِّينِ أَبو عَلِيٍّ الطَّبَرسِيُّ ثِقةٌ، فَاضِلٌ، دَيِّنٌ، عَينٌ، مِن أَجِلَّاءِ هَذِهِ الطَّائِفَةِ لَهُ تَصَانِيفُ حَسَنةٌ مِنهَا: كِتَابُ (مَجمَعُ البَيَانِ فِي تَفْسِيرِ القُرَان)، وَ (الوسيط في التفسير)، وَغَرهُمَا، انْتَقَلَ إِلَى دَارِ الخُلُودِ لَيْلَةَ النَّحْرِ سَنةَ ثَمانٍ وَأَربَعِينَ وَخَمسِمِئَةٍ رَضيَ اللهُ عَنهُ وَأَرضَاهُ. له ترجمة: في جامع الرواة ٢/ ٤، وأمل الآمل ٢/ ٢١٦، وإكليل المنهج ٤٠٧، وتعليقة على منهج المقال ٢٧٩، وهدية العارفين ١/ ٨٢٠، وأعيان الشيعة ٢/ ٣٨٦، ومستدركات علم رجال الحديث ٦/ ٢٠٣، ومعجم رجال الحديث ١٤/ ٣٠٥، وموسوعة المصطفى والعترة ١١/ ٤٤٠.

الإلَه إلَخ... وَهِيَ مَشْهُورَةٌ، وَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَرْثِي أَبَا الحَسَنِ عليه السلام، وَهَذَا شَهرُ رَمَضَانَ، فَقَالَ: إِرْثِ أَبَا الحَسَنِ عليه السلام فِي لَيَالِي الجُمَعِ، وَفِي شَهْرِ رَمَضَانَ، وَفِي اللَّيلِ، وَفِي سَائِرِ الأَيَّامِ، فَإِنَّ اللهَ عز وجل مُكَافِؤُكَ عَلَى ذَلِكَ[1].

وَمَا ذَكَرَهُ السَّيِّدُ نِعْمَة الله صَاحِبُ (الأَنوَارِ النُّعْمَانِيَّةِ)[2] فِي رِسَالَتِهِ فِي الأَحْكَامِ الدِّينِيَّةِ عَنْ رَسولِ الله صلى الله عليه وآله أَنَّهُ قَالَ: «**مَنْ سَمِعْتُمُوهُ يُنْشِدُ الشِّعرَ فِي المَسَاجِدِ فَقُولُوا لَهُ: فَضَّ اللهُ فَاكَ، إِنَّمَا نُصِبَتِ المَسَاجِدُ لِلْقُرآنِ**»[3].

قَالَ السَّيِّدُ -قَدَّسَ اللهُ رُوحَهُ- نَعَم لَو كَانَ الشِّعرُ مُشْتَمِلًا عَلَى دُعَاءٍ أَو مَدحِ مَعْصُومٍ أَو مُنَاجَاةٍ أَو شَاهِدٍ عَلَى مَسأَلَةٍ عِلمِيَّةٍ، فَقَد رُوِيَ نَفْيُ البَأسِ عَنهُ[4].

أَقُولُ: فَقَولُ السَّيِّدِ نَعَم لَو كَانَ مُشتَمِلًا عَلَى دُعَاءٍ أَو مُنَاجَاةٍ أَو شَاهِدٍ عَلَى مَسأَلَةٍ عِلمِيَّةٍ، فَقَد رُوِيَ نَفْي البَأسِ عَنهُ لَم يَرِدْ أَنَّهُ رُوِيَ عِندَ الإِمَامِيَّةِ فَقَطْ بَلْ عِنْدَ سَائِرِ

(١) الحدائق الناضرة ١٣/ ١٦٤، ومستند الشيعة ١٠/ ٣١٤، ووسائل الشيعة (آل البيت) ١٤/ ٥٩٩، وموسوعة أحاديث أهل البيت ٤/ ٢٩٣.

(٢) السَّيِّد نِعمَة الله بنُ عَبدِ الله الحُسَينيُّ الجَزَائِرِيُّ. وُلِدَ بِالصَّبَّاغِيَّة مِن قُرَى الجَزَائِرِ مِن أَعمالِ البَصرةِ سَنةَ (١٠٥٠هـ)، عَلَّامةٌ جَليلُ القَدرِ، فَاضِل مُحَقِّقٌ، تَتَلمَذَ لمجمُوعةٍ مِن كِبَارِ العُلماءِ مِنهم الشَّيخُ حُسين بن سَبتي الحُويزيُّ، وَالفَقيهُ المُحدِّثُ المَولَى مُحَمَّد بَاقِر بنُ مُحَمَّد مُؤمِن السَّبزُواريُّ، وَالمَولَى محمَّد بَاقِر المَجلِسيُّ، وَاخْتَصَ بِالأَخِيرِ، توفِّي سنة (١١١٢هـ)، عُدَّ لَهُ مِنْ آثَارِهِ سِتٌّ وَعُشرونَ كِتَابًا، مِنهَا: (شرح التهذيب)، و(شرح الاستبصار)، و(الأنوار النعمانيَّة)، وغيرها. له ترجمة في: أمل الآمل ٢/ ٣٣٦، إجازات الحديث، العلَّامة المجلسيّ ٢٩٧، ورسائل فقهية ٣٧٢-٣٧٣، وأعيان الشيعة ٤٩: ٢٢٦، ومصفى المقال ٤٨٣، وطبقات أعلام الشيعة ٩/ ٧٨٥، معجم المؤلِّفين ١٣/ ١١٠.

(٣) تذكرة الفقهاء ٢/ ٤٢٨، ومنتهى المطلب ١/ ٣٨٨، ونهاية الأحكام ١/ ٣٥٧، وذكرى الشيعة ٣/ ١٢٣، ١٢٨، وروض الجنان ٢٣٦، وذخيرة المعاد ١/ ق٢/ ٢٥٠، وكشف اللثام ١/ ٢٠٣، ٣/ ٣٣٢، والحدائق الناضرة ٧/ ٢٨٨، وكشف الغطاء ١/ ٢١٤.

(٤) الحدائق الناضرة ١٣/ ١٦٤، ومستند الشيعة ١٠/ ٣١٤، ووسائل الشيعة (آل البيت) ١٤/ ٥٩٩، وموسوعة أحاديث أهل البيت ٤/ ٢٩٣.

عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَهَذَا أَظْهَرُ مِنَ الشَّمْسِ فِي رَابِعَةِ النَّهَارِ لِمَنْ تَصَفَّحَ كُتُبَ السِّيرِ، وَالأَخْبَارِ.

عَبدُ الله بنُ رَوَاحَة وَشِعرُهُ وَشَاعِرِيَتُهُ

رَوَى فِي (الفَتْحِ القَرِيبَ)؛ قَالَ: أَخْرَجَ أَبُو يَعلَى عَنْ أَنَسٍ؛ قَالَ: دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ مَكَّةَ وَابنُ رَوَاحَةَ بَينَ يَدَيهِ، وَهوَ يَقولُ:(١) [الرجز]

١. خَلُّوا بَنِي الكُفَّارِ عَنْ سَبِيلِهِ ... اليَومَ نَضْرِبُكُم عَلَى تَنْزِيلِهِ

٢. ضَرْبًا يُزِيلُ الهَامَ عَنْ مَقِيلِهِ ... وَيُذْهِلُ الخَلِيلَ عَنْ خَلِيلِهِ

فَقَالَ عُمَرُ: يَابنَ رَوَاحَةَ فِي حَرَمِ اللهِ؟! وَبَينَ يَدَي رَسُولِ الله ﷺ تَقُولُ الشِّعرَ؟! فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**خَلِّ عَنهُ يَا عُمَر فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَكَلَامُهُ أَشَدُّ عَلَيهِم مِنَ النَّبلِ**».

أَخْبَارُ الكُمَيْتِ مَعَ الإِمَامِ الصَّادِقِ عليه السلام

وَرَوَى صَاحِبُ (مَعَاهِد التَّنْصِيص)(٢) عَنْ مُحَمَّد ابنِ سَهلٍ صَاحِبِ الكُمَيتِ ابنِ زَيدٍ؛ قَالَ:(٣) دَخَلْتُ مَعَ الكُمَيْتِ عَلَى أَبِي عَبدِ الله عليه السلام جَعْفَرِ ابنِ مُحَمَّدٍ الصَّادِقِ فِي أَيَّامِ التَّشْرِيقِ؛ فَقَالَ: جُعِلْتُ فِدَاكَ أَلَا أُنْشِدُكَ؟!

قَالَ عليه السلام: إِنَّهَا أَيَّامٌ عِظَامٌ!.

---

(١) سنن الترمذيّ ٤/ ٢١٧، وسنن النسائيّ ٥/ ٢١٢، ومسند أبي يعلى ٦/ ١٦٠، والمبسوط للسرخسيّ ١٠/ ٣٩، ومناقب آل أبي طالب ١/ ١٧٦، وبحار الأنوار ٢٠/ ٣٣٧، والغدير ٢/ ٦٣، ومستدرك سفينة البحار ٥/ ٤٤٥.

(٢) كتاب (مَعَاهِدُ التَّنصِيصِ عَلَىَ شَوَاهِدِ التَّلْخِيصِ) لِعَبدِ الرَّحِيمِ بنِ عَبدِ الرَّحمَنِ بنِ أَحمَدَ، أَبي الفَتحِ العَبَّاسِيّ (المتوفَّى ٩٦٣هـ).

(٣) لم أجده في معاهد التنصيص، ينظر الخبر في: الدرجات الرفيعة ٥٧٠، وخلاصة عبقات الأنوار ٩/ ٢٠٢، والغدير ٢/ ٢٠، ١٩٢، وشرح إحقاق الحقّ ٢٨/ ٤٩٣، ونفحات الأزهار ٩/ ١٩٩.

قَالَ: فِيكُم.

فَقَالَ عليه السلام: هَاتِ.

وَبَعَثَ أَبو عَبدِ الله عليه السلام إِلَى بَعضِ أَهْلِهِ فَقُرِّيت فَأَنْشَدَهُ حَتَّى كَثُرَ البُكَاءُ فَلَمَّا أَتَى عَلَى هَذَا البَيْتِ:

يُصِيبُ بِهِ الرَّامُونَ عَنْ قَوْسِ غَيْرِهِم فَيَا آخِرًا أَسْدَى لَهُ الغَيَّ أَوَّلُ[1]

رَفَعَ أَبُو عَبدِ الله عليه السلام يَدَيهِ وَقَالَ: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْكُمَيْتِ مَا قَدَّمَ وَمَا أَخَّرَ وَمَا أَسَرَّ وَمَا أَعْلَنَ وَاعْطِهِ حَتَّى يَرضَى**»[2].

أَخْبَارُ الفَرَزْدَقِ مَعَ الإِمَامِ زين العابدين عليه السلام

وَقَالَ ابنُ خَلِّكَانَ فِي تَأرِيخِهِ[3]:

---

(١) في الديوان: (سَدَّى) في موضع (أسدى).
قَالَ: شَارِحُ الأبياتِ: فَيَا آخِرًا: يَعنِي هِشَامَ بنَ عَبدِ المَلِكِ، أَسدَى لَهُ الغَيَّ أَوَّل: يَعنِي مُعَاوِيَةَ بنَ أَبِي سُفيانَ، يُصيبُ بِهِ الرَّامونَ عَن قَوسِ... يَزيد بنِ مُعاويةَ.

(٢) خُلاصة عبقات الأنوار ٩/ ٢٠٢، والغدير ٢/ ١٩٢، والدرجات الرفيعة ٥٧١.

(٣) ابنُ خَلِّكان: أَحمدُ بنُ مُحمَّدِ بنِ إِبرَاهِيمَ بنِ أَبِي بَكرِ بنِ خِلِّكَانَ البَرمَكِيُّ الإربليُّ، المُؤَرِّخُ، وُلِدَ فِي إربل تَفَقَّهَ عَلَى وَالِده بِمَدِينَة إربل، ثمَّ انْتقل بعدَ مَوتِ أَبِيه إِلَى الْموصل، فأخذ عن بعض مشايخها، ثمَّ انْتقل إِلَى حلب وَأَقَام عِنْد بعض علمائها وتفقه عَلَيْهِ، وَقَرَأَ النَّحْو على أبي الْبَقَاء يعِيش ابن عَليّ النَّحْوِيّ، ثمَّ قَدِمَ دِمشقَ وَاشتَغَلَ عَلَى ابْنِ الصَّلَاحِ، ثُمَّ انْتقَلَ إِلَى الْقَاهِرَة وَوَلِيَ قَضَاء الْمَحَلَّةِ، ثمَّ وَلِيَ قَضَاء الْقُضَاة بِالشَّام، ثمَّ عُزِلَ ثُمَّ وَلِيهَا ثَانِيًا ثمَّ عُزلَ، وَمِن مُصَنَّفَاتِه كِتابَ (وفيات الْأَعْيَان) وَهُوَ كِتابٌ جَليلٌ. وَله فِي الْأَدَب الْيَد الطُّولى وشعره على درجة عالية من الرقَّة واللطافة، توفِّي في دِمَشْق سَنةَ (٦٨١هـ/ ١٢٨٢م)، فَدُفِنَ فِي سَفحِ قَاسِيونَ. له ترجمة في: طبقات الشافعيَّة الكبرى للسبكيّ ٨/ ٣٢، وذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد ١/ ٣٧٤، وطبقات الشافعيَّة لابن قاضي شهبة ٢/ ١٦٦، وتبصير المنتبه ٤/ ١٤٠٣، المنهل الصافي ٢/ ٨٩، والأعلام ١/ ٢٢٠.

وَمِمَّا يُنْسَبُ إِلَى الفَرَزْدَقِ[1] مَكرُمَةٌ يُرجَى لَهُ بِهَا الجَنَّةَ، وَذَلِكَ لَمَّا حَجَّ هِشَامُ بنُ عَبدِ المَلِكِ فِي أَيَّامِ أَبيهِ، فَطَافَ بِالبَيتِ وَجَهِدَ أَنْ يَسْتَلِمَ الحَجَرَ فَلَمْ يَقْدِرْ أَنْ يَصِلَ إِلَيهِ؛ لِكَثرَةِ الزُّحَامِ، فَنُصِبَ لَهُ مِنبَرٌ فَجَلَسَ عَلَيهِ يَنْظُرُ إِلَى النَّاسِ، فَبَينَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذ أَقْبَلَ زَينُ العَابِدِينَ عَلِيُّ بنُ الحُسَينِ بنِ عَلِيِّ بنِ أَبِي طَالِبٍ عليهم السلام، وَكَانَ مِن أَحْسَنِ النَّاسِ وَجْهًا وَأَطْيَبِهِم رِيحًا، فَطَافَ بِالبَيتِ حَتَّى انْتَهَى إِلَى الحَجَرِ فَتَنَحَّى عَنهُ النَّاسُ حَتَّى اسْتَلَمَهُ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ:

مَنْ هَذَا الَّذِي هَابَهُ النَّاسُ هَذِهِ الهَيبَةَ؟!

فَقَالَ هِشَامٌ: لَا أَعْرِفُهُ، مَخَافَةَ أَنْ يَرْغَبَ فِيهِ أَهلُ الشَّامِ.

فَقَالَ الفَرَزْدَقُ -وَكَانَ حَاضِرًا- لَكِنِّي أَعْرِفُهُ!.

فَقَالَ الشَّامِيُّ: مَنْ هُوَ يَا أَبَا فِرَاس؟!

فَقَالَ:[2] [من البسيط]

١.هَـذَا الَّـذِي تَعْرِفُ البَطْحَاءُ وَطْأَتَهُ ... وَالـبَـيْـتُ يَـعْـرِفُـهُ وَالحِـلُّ وَالـحَـرَمُ

٢.هَـذَا ابـنُ خَـيْرِ عِـبَـادِ اللهِ كُـلِّـهِـمُ ... هَـذَا الـتَّـقِـيُّ الـنَّـقِـيُّ الـطَّـاهِـرُ العَلَمُ

٣.إِذَا رَأَتْـهُ قُـرَيْـشٌ قَـالَ قَـائِـلُـهَـا: ... إِلَى مَـكَـارِمِ هَـذَا يَـنْـتَـهِـي الـكَـرَمُ

٤.يُنْمَى إِلَى ذَرْوَةِ العِزِّ الَّتِي قَصُرَتْ ... عَـنْ نَيْلِهَا عَـرَبُ الإِسْـلَامِ وَالعَجَمُ

---

(١) الفَرَزْدَق: همَّامُ بنُ غَالِبِ بنِ صَعصَعَةَ التَّمِيمِيُّ الدَّارِمِيُّ، أَبو فِراسٍ، شَاعِرٌ، مِنَ النُّبلاء، مِن أَهلِ البَصرَةِ، عَظيمُ الأَثَرِ فِي اللُّغَةِ، كَانَ يُقَالُ: لَولَا شِعرُ الفَرَزدَقِ لَذَهَبَ ثُلثُ لُغَةِ العَربِ، وَلَولَا شِعرُهُ لَذَهَبَ نِصفُ أَخبَارِ النَّاسِ. يُشَبَّهُ بِزُهَيرِ بنِ أَبِي سُلمَى. وَكَلاهُمَا مِن شُعَرَاءِ الطَّبَقَةِ الأُولَى، تُوفِّيَ سنة (١١٠هـ/ ٧٢٨م). تَرجَمَتُهُ فِي: طبقات فحول الشعراء ٢/ ٢٩٨، ومعجم الشعراء ١/ ٥٥٣، وتأريخ دمشق ٧٤/ ٤٨، ومعجم الأدباء ٦/ ٢٧٨٥، وسير أعلام النُّبلاء ٤/ ٥٩٠، والوافي بالوفيات ٢٧/ ٢٢٧، والبلغة ١٦٥، والأعلام ٨/ ٩٣، ومعجم المؤلِّفين ١٣/ ١٥٢.

(٢) ديوان الفرزدق ٢/ ٣٥٣.

٥.يَكَادُ يُمْسِكُهُ عِرْفَانُ رَاحَتِهِ ... رُكْنُ الحَطِيْمِ إذَا مَا جَاءَ يَسْتَلِمُ
٦.يُغْضِي حَيَاءً وَيُغْضَى مِنْ مَهَابَتِهِ ... فَمَا يُكَلَّمُ إِلَّا حِيْنَ يَبْتَسِمُ
٧.مَا قَالَ: (لَا) قَطُّ إِلَّا فِي تَشَهُّدِهِ ... لَولَا التَّشَهُّدُ كَانَتْ لَاؤُهُ (نَعَمُ)
٨.يَنْشَقُّ نُورُ الهُدَى عَن نُورِ غُرَّتِهِ ... كَالشَّمْسِ يَنجَابُ عَنْ إِشْرَاقِهَا الظُّلَمُ[1]
٩.هَذَا ابنُ فَاطِمَةٍ إِنْ كُنْتَ جَاهِلَهُ ... بِجَدِّهِ أَنْبِيَاءُ الله قَدْ خُتِمُوا
١٠.مَنْ جَدُّهُ دَانَ فَضلُ الأَنبِيَاءِ لَهُ ... وَفَضلُ أُمَّتِهِ دَانَتْ لَهُ الأُمَمُ
١١.اللهُ شَرَّفَهُ قِدْمًا وَعَظَّمَهُ ... جَرَى بِذَاكَ لَهُ فِي لَوحِهِ القَلَمُ
١٢.فَلَيسَ قَولُكَ مَنْ هَذَا بِضَائِرِهِ ... العُربُ تَعْرِفُ مَن أَنكَرتَ وَالعَجَمُ
١٣.مِنْ مَعْشَرٍ حُبُّهُم دِينٌ، وَبُغْضُهُمُ ... كُفْرٌ، وَقُرْبُهُمُ مَلْجًا وَمُعْتَصَمُ
١٤.إِنْ عُدَّ أَهلُ التُّقَى كَانُوا أَئِمَّتَهُم ... أَوْ قِيلَ: مَنْ خَيرُ أَهلِ الأَرضِ؟ قِيلَ: هُمُ
١٥.مُقَدَّمٌ بَعدَ ذِكرِ الله ذِكْرُهُمُ ... فِي كُلِّ فَرْضٍ، وَمَخْتُومٌ بِهِ الكَلِمُ[2]
١٦.مَنْ يَعْرِفِ اللهَ يَعْرِفْ أَوَّلِيَّةَ ذَا ... فَالدِّينُ مِنْ بَيْتِ هَذَا نَالَهُ الأُمَمُ

وَالقَصِيدَةُ طَوِيلَةٌ انْتَخَبنَا مِنهَا هَذِهِ الأَبيَات، وَأَعْرَضْنَا عَنْ ذِكرِ البَاقِي؛ لِشُهرَتِهَا، قَالَ: فَلَمَّا سَمِعَ هِشَامُ ذَلِكَ غَضِبَ غَضَبًا شَدِيدًا وَحَبَسَ الفَرَزدَقَ، وَأَنْفَذَ لَهُ زَينُ العَابِدِينَ عليه السلام اثْنَيْ عَشَر أَلفَ دِرهَمًا فَرَدَّهَا؛ وَقَالَ: مَدَحْتُهُ لله لَا لِلْعَطَاءِ، فَقَالَ عَلِيٌّ عليه السلام: «**إِنَّا أَهلُ بَيتٍ إِذَا وَهَبنَا شَيْئًا لَا نَسْتَعِيدُهُ**»[3].

وَفِي شَرحِ مِيمِيَّةِ أَبِي فِراسٍ أَنَّ الفَرَزدَقَ لَمَّا أَنْشَدَ القَصِيدَةَ غَضِبَ هِشَامٌ وَمَنَعَهُ جَائِزَتَهُ، وَقَالَ: هَلَّا قُلْتَ فِينَا مِثلَهَا؟!

(١) في الديوان: (ينشقُّ ثوبُ الدُّجى عن نورِ غرَّتِهِ)، وفي مصدر: (ينجاب) في موضع (ينشق)، و(القَتَمُ) في موضع (الظُّلَمُ).
(٢) وفي نسخة: (قَوْلٍ) في موضع (فرض).
(٣) وفيات الأعيان ٦/ ٩٧، والفصول المهمَّة لابن الصبَّاغ ٢/ ٨٧٣، وينابيع المودَّة ٣/ ١٠٩، ١٥٧، والكنى والألقاب ٣/ ٢٦، وشرح إحقاق الحقِّ ١٢/ ١٤٤، ١٤٦، ٢٨/ ١٨٠.

فَقَالَ الفَرَزْدَقُ: هَاتِ جَدًّا كَجَدِّهِ وَأَبًا كَأَبِيهِ وَأُمًّا كَأُمِّهِ حَتَّى أَقولَ فِيكُم مِثْلَهَا.

فَحَبَسَهُ بِعُسفَانَ بَينَ مَكَّةَ وَالمَدينَةِ[1]، فَبَلَغَ ذَلِكَ عَلِيَّ بنَ الحُسَين عليه السلام، فَبَعثَ إِلَيهِ اثْنَيْ عَشَرَ أَلفَ دِرْهَمًا؛ وَقَالَ: «**اعْذِرنَا أَبَا فِرَاس، فَلَو كَانَ عِندنَا أَكثَرُ مِن هَذَا لَوَصَلنَاكَ بِهِ**».

فَرَدَّهَا؛ وَقَالَ: يَا بنَ رَسُولِ الله صلى الله عليه وآله، مَا قُلتُ الَّذِي قُلتُ إِلَّا غَضَبًا لله وَلِرَسُولِهِ صلى الله عليه وآله، وَمَا كُنْتُ لأَرْجُو عَلَيهِ شَيئًا.

فَرَدَّهَا عليه السلام إِلَيهِ؛ وَقَالَ: «**بِحَقِّي عَلَيكَ لَمَا قَبلتَهَا، فَقَدْ رَأَى الله مَكَانَكَ وَعَرفَ نِيَّتَكَ**»[2].

فَقَبِلَهَا وَجَعَلَ الفَرَزدَقُ يَهجُو هِشَامًا وَهوَ فِي الحَبْسِ، فَكَانَ مِمَّا هَجَاهُ بِهِ قَولُهُ:[3]

[من الطويل]

١. أَيَحْبِسُنِي بَينَ المَدِينَةِ وَالَّتِي ... إِلَيهَا رِقَابُ النَّاسِ يَهوَى مُنِيبُهَا[4]

٢. يُقَلِّبُ رَأْسًا لَمْ يَكُنْ رَأْسَ سَيِّدٍ ... وَعَينًا لَهُ حَوْلَاءُ بَادٍ عُيُوبُهَا[5]

فَأُخْبِرَ بِذَلِكَ هِشَامٌ فَأَطْلَقَهُ.

خَبَرُ كَعْبِ بنِ زُهَيرٍ

وَفِي (الفَتحِ القَرِيبِ) قَالَ: أَخْرَجَ الحَاكِمُ فِي (المُسْتَدرَك)[6]، وَصَحَّحَهُ البَيْهَقِيُّ فِي

(١) عُسفَان عَلَى مَرحَلَتَينِ مِن مَكَّة عَلَى طَرِيقِ المَدِينَةِ. (معجم البلدان ٤/ ١٢٢).

(٢) الأمالي للسيِّد المرتضى ١/ ٤٩، وروضة الواعظين ٢٠١، ومستدرك الوسائل ١٠/ ٣٩٦.

(٣) ديوان الفرزدق ٤٥.

(٤) في الديوان: (يرددني) في موضع (أيحبسني).

(٥) في الديوان: (عينا لم تكن لخليفة) في موضع (رأسا لم يكن رأس سيد)، و(مشوهة) بدلًا من (وعين له).

(٦) المُسْتَدرك عَلَى الصَّحِيحَينِ: أَبو عَبدِ الله الحَاكِم مُحمَّد بنُ عَبدِ الله بنِ مُحمَّدِ بنِ حَمدَويه=

(دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ) أَنَّ كَعْبَ بنَ زُهَيرِ بنِ أَبِي سُلمَى المُزْنِيَّ[1] وَأَخَاهُ بُجَيرًا[2] خَرَجَا حَتَّى أَتَيَا أَبْرَقَ العَزَّاف[3]، فَقَالَ بُجَيْرٌ لِكَعبٍ اثْبتْ فِي هَذَا المَكَانِ حَتَّى آتِي هَذَا الرَّجُلَ، يَعنِي النَّبِيَّ ﷺ فَأَسْمَعُ مَا يَقولُ، فَجَاءَهُ فَأَسْلَمَ، فَبَلَغَ ذَلِكَ كَعْبًا، فَقَالَ:[4] [من الطويل]

=ابنِ نُعَيم بنِ الحَكَم الضَّبِيّ الطَّهَانِيّ النِّيسَابُوريّ المَعروفُ بِابنِ البَيع. (المتوفَّى ٤٠٥هـ).

(١) كَعبُ بنُ زُهيرِ بنِ أَبِي سُلمَى المَازنيُّ: شَاعِرٌ عَالِي الطَّبَقَةِ، وَهوَ مِن أَعرَقِ النَّاسِ فِي الشِّعرِ، مِن أَهلِ نَجدٍ، كَانَ مِمَّن اشتَهَر فِي الجَاهِليَّةِ. وَلَمَّا ظَهرَ الإسلام هَجَا النَّبِيَّ ﷺ وَأَقَامَ يُشَبِّبُ بِنِسَاءِ المُسلِمِينَ، فَهَدرَ النَّبِيُّ ﷺ دَمُه، فَجَاءَه مُستَأمِنًا، وَقَد أَسلَمَ، وَأَنشَدَهُ لَامِيَّتَهُ المَشهورَةُ الَّتِي مَطلَعُهَا: «بَانَت سُعَادُ فَقَلبِي اليومَ مَتبُولُ»؛ فَعَفَا عَنهُ النَّبِيُّ ﷺ وَخَلَعَ عَلَيهِ بُردَتَهُ. وَتُرجِمَت قَصيدَتُه إِلَى الإيطَالِيَّة، وَعُنِيَ بِهَا المُستَشرِقُ رِينيه بَاسِيه فَنَشرَهَا مُتَرجَمَةً إِلَى الفَرنسِيَّةِ، وَمَشروحةً شَرحًا جَيِّدًا، صَدَّرهُ بِتَرجمَةِ كَعبٍ. تُوفِّيَ سَنَة (٢٦هـ/ ٦٤٥م). لَهُ (ديوان شعر)، وَلأبي سَعيدٍ السُّكَّرِيِّ (شَرحُ دِيوانِ كَعبِ بنِ زُهير)، وَلِفؤَاد البُستَانِيِّ (كعب ابن زهير).

له ترجمة في: معجم الصَّحابة لابن قانع ٢/ ٣٨٠، ومعجم الشعراء ١/ ٢٨٧، ومعرفة الصَّحابة ٥/ ٢٣٧٧، والاستيعاب ٣/ ١٣١٣، وأسد الغابة ٤/ ٤٤٩، وتهذيب الأسماء ٢/ ٦٧، والوافي بالوفيات ٢٤/ ٢٥٧، والإصابة ٥/ ٤٤٣، ونزهة الألباب ١/ ٢٨١، والأعلام ٥/ ٢٢٦، ومعجم المؤلِّفين ٨/ ١٤٤، ومعجم أعلام المدح النبويّ ٣٠٥.

(٢) بُجَيرُ بنُ زُهيرِ بنِ أَبِي سُلمَى المَازنيُّ: أُخو كَعَب بنِ زُهيرٍ، أَسلَمَ قَبلَ أَخِيهِ كَعبٍ، وكان شاعرًا محسنًا، يُتَابِعُ مَا يَجري مِن هِجَاءِ أَخِيهِ وَبَاقِي شُعَرَاءِ المُشرِكِينَ لِلرَّسولِ ﷺ وَأَنصَارِهِ، وَرُدُودِ الأَفعَالِ عَلَى تِلكَ التَّصَرُّفَاتِ، فَكَتَبَ لِأَخِيهِ كَعبٍ مِنَ الطَّائِفِ يُخْبِرُهُ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَتَلَ رِجَالًا بِمَكَّةَ مِمَّنْ كَانوا يَهْجُوهُ وَيُؤْذِوه، وَأَنَّ مَنْ بَقِيَ مِنْ شُعَرَاءِ قُرَيْشٍ ابْنُ الزِّبَعْرَى، وَهُبَيْرَةُ ابْنُ أَبِي وَهْبٍ، قَدْ هَرَبُوا فِي كُلِّ وَجْهٍ، فَإِنْ كَانَتْ لَكَ فِي نَفْسِكَ حَاجَةٌ فَصِرْ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ، فَإِنَّهُ لَا يَقْتُلُ أَحَدًا جَاءَهُ تَائِبًا، وَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَفْعَلْ فَانْجُ إِلَى نَجَاتِكَ مِنَ الأَرْضِ. فَجَاءَ كَعبٌ تَائِبًا مُسلِمًا بِقَصيدَتِهِ المَشهورَة. ينظر: معرفة الصَّحابة لابن منده ٢٩٢، ومعرفة الصَّحابة لأبي نعيم ١/ ٤٢٥، والاستيعاب ١/ ١٤٨، والإصابة ١/ ٤٠٣، المؤتلف والمختلف ١/ ١٥١.

(٣) أَبْرَقُ العَزَّاف: هُوَ مَاءٌ لِبَني أَسدِ بنِ خُزيمَةَ بنِ مُدركَةَ، مَشهورٌ، ذُكِرَ فِي أَخبَارِهِم، وَهوَ فِي طَرِيقِ القَاصِدِ إِلَى المَدينَةِ مِنَ البَصرَةِ. قَالوا: وَإِنَّما سُمِّيَ العَزَّافُ؛ لِأَنَّهم يَسمَعونَ فِيهِ عَزِيفَ الجِنِّ. معجم البلدان ١/ ٦٨.

(٤) ديوان كعب بن زهير، تحقيق د.مفيد قميحة ١٩٨.

١.أَلَا أَبْلِغَا عَنِّي بُجَيْرًا رِسَالَةً عَلَى أَيِّ شَيءٍ وَيْبَ غَيْرِكَ دَلَّكَا
٢.عَلَى خُلُقٍ لَمْ تَلْفَ أُمًّا وَلَا أَبًا عَلَيهِ وَلَمْ تُدْرِكْ عَلَيهِ أَخًا لَكَا
٣.سَقَاكَ أَبُو بَكرٍ بِكَأْسٍ رَوِيَّةٍ وَأَنْهَلَكَ المَأْفُونُ مِنهَا وَعَلَّكَا

فَلَمَّا بَلَغَت الأَبيَاتُ رَسولَ اللهﷺ أَهْدَرَ دَمَهُ؛ فَقَالَﷺ: «**مَن لَقِيَ كَعْبًا فَلْيَقْتُلْهُ**»(١) فَكَتَبَ بِذَلِكَ بُجَيرٌ إِلَى أَخِيهِ، قَالَ: اعْلَمْ أَنَّ رَسولَ اللهﷺ لَا يَأْتِيهِ أَحَدٌ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ إِلَّا قَبِلَ ذَلِكَ؛ فَأَسْلَمَ وَقَالَ قَصيدَتَهُ الَّتِي أَوَّلُهَا:(٢) [من البسيط]

١.بَانَتْ سُعَادُ فَقَلْبِي اليَومَ مَتْبُولُ مُتَيَّمٌ إِثْرَهَا لَمْ يُفْدَ مَكبُولُ
٢.وَمَا سُعَادُ غَدَاةَ البَيْنِ إِذْ رَحَلُوا إِلَّا أَغَنُّ غَضِيضُ الطَّرْفِ مَكْحُولُ

ثُمَّ أَقْبَلَ حَتَّى أَنَاخَ بِبَابِ المَسْجِدِ، وَدَخَلَ وَرَسُولُ اللهﷺ مَعَ أَصْحَابِهِ مَكَانَ المَائِدَةِ مِنَ القَوْمِ مُتَحَلِّقُونَ حَولَهُ مُلْتَفِتٌ إِلَى هَؤلَاءِ مَرَّةً وَإِلَى هَؤلَاءِ أُخرَى، قَالَ كَعب: فَعَرفتُ رَسولَ اللهﷺ، فَتَخَطَّيتُ حَتَّى جَلَسْتُ إِلَيهِ فَأَسْلَمْتُ وَقُلتُ: الأَمَانَ يَا رَسُولَ اللهِ.

قَالَﷺ: مَنْ أَنْتَ؟!

قُلتُ: أَنَا كَعبٌ.

قَالَﷺ: الَّذِي تَقُولُ، ثُمَّ التَفَتَ إِلَى أَبِي بَكرٍ فَقَالَ: أَنْشِدْهُ، فَأَنْشَدَ: [الطويل]

سَقَاكَ أَبُو بَكرٍ بِكَأْسٍ رَوِيَّةٍ وَأَنْهَلَكَ المَأْفُونُ مِنهَا وَعَلَّكَا

فَقُلتُ: يَا رَسولَ اللهِ مَا هَكَذَا قُلْتُ.

قَالَﷺ: كَيفَ؟!

قُلْتُ: وَأَنْهَلَكَ المَأْمُونُ مِنهَا وَعَلَّكَا.

---

(١) الآحاد والمثاني ٥/ ١٦٨، ومستدرك الحاكم ٣/ ٥٧٩، وأسد الغابة ٤/ ٢٤٠، والبداية والنهاية ٤/ ٤٢٨، والسيرة النبويَّة لابن كثير ٣/ ٧٠٥، والإصابة ٥/ ٤٤٣.

(٢) ديوان كعب بن زهير ٦٠.

فَقَالَ رَسولُ اللهﷺ: مَأْمُونٌ وَاللهِ.

ثُمَّ أَنْشَدَ القَصِيدَةَ كُلَّهَا.

وَفِي الكِتَابِ المَذكورِ قَالَ: أَخْرَجَ الحَاكِمُ وَالبَيهَقِيُّ وَابنُ الزُّبَيرِ بنِ بَكَّار فِي أَخْبَارِ المَدِينَةِ مِن طَرِيقِ عَلِي بنِ زَيدِ بنِ جُدعَانَ.

قَالَ: أَنْشَدَ كَعْبُ بنُ زُهَيرٍ رَسُولَ اللهﷺ فِي المَسْجِدِ بَانَتْ سُعَادُ[1].

وَأَخْرَجَهُ فِي الأَغَانِي بِلَفْظٍ: فِي المَسْجِدِ الحَرَامِ لَا فِي مَسْجِدِ المَدِينَةِ.

وَأَخْرَجَ الحَاكِمُ وَالبَيْهَقِيّ عَن مُوسَى بنِ عَقَبة؛ قَالَ: لَمَّا بَلَغَ إِلَى قَوْلِهِ:

١. إِنَّ الرَّسُولَ لَنُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ مُهَنَّدٌ مِنْ سُيُوفِ اللهِ مَسْلُولُ

٢. فِي عُصْبَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ قَالَ قَائِلُهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ لَمَّا أَسْلَمُوا زُولُوا[2]

أَشَارَ رَسُولُ اللهِ إِلَى النَّاسِ لِيَسمَعُوا.

وَقَالَ مُحَمَّدُ بنُ سَلَّامٍ فِي (طَبَقَات الشُّعَرَاءِ):[3] قَدِمَ كَعْبٌ مُتَنَكِّرًا حِينَ بَلَغَهُ عَنِ النَّبِيِّﷺ أَنَّهُ أَوْعَدَهُ، فَأَتَى أَبَا بَكرٍ فَلَمَّا صَلَّى الصُّبْحَ وَهوَ مُتَلَثِّمٌ بِعِمَامَتِهِ، قَالَ: يَارَسولَ اللهﷺ رَجُلٌ يُبَايِعُكَ عَلَى الإِسْلَامِ، وَبَسطَ يَدَهُ وَحَسَرَ عَنْ وَجْهِهِ وَقَالَ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسولَ اللهِ، هَذَا مَكَانُ العَائِذُ بِكَ، أَنَا كَعبُ بنُ زُهَيرٍ، فَأَمَّنَهُ رَسُولُ اللهﷺ فَأَنْشَدَهُ القَصِيدَةَ المَذكورَةَ حَتَّى أَتَى عَلَى آخِرِهَا؛ فَكَسَاهُ رَسُولُ اللهِ بُرْدَةً اشْتَرَاهَا مِنهُ مُعَاوِيةُ بِمَالٍ كَثِيرٍ، فَهِيَ البُرْدَةُ الَّتِي تَلْبَسُهَا الخُلَفَاءُ فِي العِيدَينِ.

(١) السيرة النبويَّة، ابن هشام ٤/ ٩٤٣، والمستدرك للحاكم ٣/ ٥٨٢، والاستذكار ٨/ ٢٤١، وتفسير القرطبيّ ١٣/ ١٤٣، وشرح العينيَّة الحميريَّة، الفاضل الهنديّ ١٠.

(٢) في (الأصل): (فتية) في موضع (عصبة).

(٣) طبقات فحول الشعراء: محمَّد بن سَلَّام بن عبيد الله الجمحيّ بالولاء، أبو عبد الله (المتوفَّى ٢٣٢هـ).

- الخبر والشعر في: طبقات فحول الشعراء ١/ ١٠٠.

وَفِي (مَطَالِبِ السَّؤولِ فِي مَنَاقِبِ آلِ الرَّسولِ)[1] أَنَّ الحَسَنَين أَنْشَأَ كُلٌّ مِنْهُمَا أَبيَاتًا فِي المَسْجِدِ الحَرَامِ لَـمَّا أَتَاهُمَا الأَعرَابِيُّ يَجوبُ القِفَارَ لِيُطَارِحَهُمَا فِي الكَلَامِ.

قَالَ مَا هَذَا مَضْمُونُهُ:[2]

فَصَاحَةُ الحَسَنِ وَالحُسَينِ سَلَامُ الله عَلَيهِما

أَنَّ أَعرَابِيًّا دَخَلَ المَسجِدَ الحَرَامَ، فَوقَفَ عَلَى الحَسَنِ عليه السلام وَحَولَهُ حَلْقَةٌ مِن أَصحَابِهِ، فَقَالَ لِبَعضِهِم: مَنْ هَذَا الرَّجُلُ؟

فَقَالَ لَهُ: هَذَا الحَسَنُ بنُ عَلِيِّ بنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام.

فَقَالَ الأَعرَابِيُّ: إِيَّاهُ قَصَدتُ وَلَهُ طَلِبتُ.

فَقَالَ لَهُ: وَمَا أَردَتَ مِنهُ؟.

فَقَالَ: بَلَغَنِي أَنَّهم [أَهلُ بَيتِ حِكمَةٍ]، وَأَنَّهم يَتَكَلَّمُونَ فَيُعْرِبُونَ فِي كَلَامِهِم، فَقَطَعتُ إِلَيهِ بَوادِيَ وَجِبَالًا وَأَودِيَةً وَرِمَالًا، وَجِئتُ لِأُطَارِحَهُ فِي الكَلَامِ، وَأَسأَلَهُ عَن عَويصِ العَرَبِيَّةِ الَّذِي يُشكِلُ عَلَى ذَوي الأَفهَامِ.

فَقَالَ لَهُ جَليسُ الحَسَنِ عليه السلام: إِنْ كُنْتَ جِئتَ لِهَذَا فَابدَأ بِذَلِكَ الشَّاب، يَعنِي الحُسَينَ عليه السلام، فَإِنَّهُ بِهِ قَمِنٌ.

فَجَاءَ إِلَيهِ وَسَلَّمَ عَلَيهِ، فَرَدَّ عَلَيهِ السَّلَامَ، ثُمَّ قَالَ: «**مَا حَاجَتُكَ يَا أَعرَابِيُّ؟**».

فَقَالَ: إِنِّي جِئتُكَ مِنَ الهِرَقْلِ وَالجَعلَلِ وَالأَيْثَمِ وَالهَمهَم[3].

---

(١) مطالب السؤول في مناقب آل الرسول عليهم السلام، تأليف الشيخ كمال الدين محمَّد بن طلحة الشافعيّ (المتوفَّى ٦٥٢هـ).

(٢) الخبر والشعر في: مطالب السؤول ٣٦٠، ٣٨٨-٣٨٩، وينظر: مستدرك سفينة البحار ٥/ ٤٧٥، وشرح إحقاق الحقِّ ٣٣/ ٦٢٢، وموسوعة كلمات الإمام الحسين ١٠٠٣، وحياة الإمام الحسين ١/ ١٨٥.

(٣) الهِرْقِلُ: كَزِبْرِجٍ: المُنْخُلُ. (التاج ٣١/ ١٢٨)، وجَعْلَلَ: تَأَرجَحَ. (التكملة ٢/ ٢٢٧)، وإِيثَم:=

فَتَبَسَّمَ الحُسَينُ عليه السلام وَقَالَ: «**يَا أَعرَابي لَقَد تكلَّمتَ بِكَلَامٍ مَا يَعقِلُهُ إِلَّا العَالِمون**».

فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ أَخَذَهُ العَجَبُ، وَظَنَّتْ نَفسُهُ الظُّنون.

فَقَالَ الأَعرَابِيُّ: وَأَحسَنَ مِنهُ أَقولُ، وَإِنِّي لَعَربيٌّ وَأَكثَرُ مَقَالِي الشِّعرُ، وَإِنَّهُ دِيوَانُ العَرَب، وَزِينَةُ ذَوي الحَسَب، فَهَلْ أَنْتَ مُجيبي عَلَى قَدرِ كَلَامِي؟!

فَقَالَ لَهُ الحَسَينُ عليه السلام: «**قُلْ مَا شِئتَ فَإِنِّي مُجيبُكَ عَلَيهِ**».

فَقَالَ الأَعرَابيُّ:(١) [من الهزج]

١. هَفَا قَلْبِي إِلَى اللَّهْوِ ... وَقَدْ وَدَّعَ شَرْخَيْهِ
٢. وَقَدْ كَانَ أَنِيقًا عَصْـ ... ـرَ تِجْرَارِيَ ذَيْلَيْهِ
٣. عَلَاتٌ وَلَذَّاتٌ ... فَيَا سَقْيًا لِعَصْرَيْهِ
٤. فَلَمَّا عَمَّمَ الشَّيْبُ ... مِنَ الرَّأْسِ نِطَاقَيْهِ
٥. وَأَمْسَى قَدْ عَنَانِي مِنْـ ... ـهُ تَجْدِيدُ خِضَابَيْهِ
٦. تَسَلَّيْتُ عَنِ اللَّهْوِ ... وَأَلْقَيْتُ قَنَاعَيْهِ
٧. وَفِي الدَّهْرِ أَعَاجِيبٌ ... لِمَنْ يَلْبَسُ حَالَيْهِ
٨. فَلَو يَعْمَلُ ذُو رَأْيٍ ... أَصِيلٍ فِيهِ رَأْيَيْهِ
٩. لَأَلْفَى عِبْرَةً مِنْهُ ... لَهُ فِي كُلِّ عَصْرَيْهِ

فَقَالَ لَهُ الحُسَينُ عليه السلام: «**يَا أَعرَابِيُّ قَدْ قُلتَ فَاسمَعْ**»، ثُمَّ قَالَ عليه السلام عَلَى وَزنِ شِعرِهِ وَرَوِيِّهِ مَا هُوَ أَطْبَعُ مِنهُ وَأَبدَعُ:(٢) [من الهزج]

=هِيَ لُغَةٌ لِبَعْضِ الْعَرَبِ فِي آثَم. (اللسان ١٢/ ٥)، وَسَمِعَ الْكِسَائِيُّ رَجُلًا مِنْ بَنِي عَامِرٍ يَقُولُ: إِذا قِيلَ لَنَا أَبَقِيَ عِنْدَكُمْ شَيْءٌ؟ قُلْنَا: هَمْهامْ وهَمْهامِ يَا هَذَا، أَي لَمْ يَبْقَ شَيْءٌ. (اللسان ١٢/ ٦٢٣).

(١) مطالب السؤول ٣١١، ومستدرك سفينة البحار ٥/ ٤٧٥.

(٢) مطالب السؤول ٣٨٨، ومستدرك سفينة البحار ٥/ ٤٧٥، وشرح إحقاق الحقّ ٣٣/ ٦٢٢.

١. فَمَا رَسْمٌ شَجَانِي إِنْ مَحَا آيَةَ رَسْمَيْهِ
٢. سَفُورٌ دَرَجَ الذَّيلَيْـ ـنِ فِي بَوْغَاءِ قَاعَيْهِ[١]
٣. وَمَوْرٍ حَرْجَفٍ تَتْرَى عَلَى تَلْبِيدِ نُؤْيَيْهِ[٢]
٤. وَدَلَّاحٍ مِنَ الْمُزْنِ دَنَا نَوءُ سِمَاكَيْهِ[٣]
٥. أَتَى مُثْعَنْجِرَ الوَدقِ يَجُودُ مِنْ خَلَالَيْهِ[٤]
٦. وَقَدْ أُحْمِدَ بَرقَاهُ فَلَا ذَمٌّ لِبَرقَيْهِ
٧. وَقَدْ جَلْجَلَ رَعْدَاهُ فَلَا ذَمٌّ لِرَعْدَيْهِ[٥]

(١) دَرَجَ: الرَّجُلُ والضَّبُّ: أَي مَشَى، وَقَد استُعِيرَت لِلذَّيلِ. (التاج ٥/ ٥٥٣). لكلِّ رِيحٍ فيهِ ذَيْلٌ مَسْفُور. وذَيْلُها: مَا جرَّته عَلَى وَجْهِ الأَرض مِنْ التُّرَابِ والقَتام، وَالْجَمْعُ مِنْ كُلِّ ذَلِكَ أَذْيال وأَذْيُل. (اللسان ١١/ ٢٦٠)، سفَر الشَّيءُ: وضح وانكشف. (المعاصرة ٢/ ١٠٧١)، والبَوْغاءُ التُّرابُ الْـهَابِي فِي الهَواء، وَقِيلَ: هُوَ التُّرَابُ الَّذِي يَطِيرُ مِنْ دِقَّتِهِ إِذا مُسَّ. (اللسان ٨/ ٤٢١)، والقَاعُ: أَرْضٌ سَهْلَةٌ مُطْمَئِنَّةٌ واسِعَةٌ، مُسْتَوِيَةٌ، حَرَّةٌ، لَا حُزُونَةَ فِيهَا وَلَا ارْتِفاعَ وَلَا انْهباطَ، قد انْفَرَجَتْ عَنْها الجِبَالُ والآكامُ، وَلَا حَصىً فِيها وَلَا حِجَارَةَ، وَلَا تُنْبِتُ الشَّجَرَ. (التاج ٢٢/ ١٠٣).

(٢) مَارَ الشيءُ يَمورُ مَوْرًا: تَحَرَّكَ وَجَاءَ وَذَهَبَ. (اللسان ٥/ ١٨٦). الحَرْجَفُ: الرِّيحُ الباردةُ. (اللسان ٩/ ٤٥)، المُلْبِد: اللَّاصِقُ بالأَرض. (اللسان ٣/ ٣٨٧)، النُّؤْي حُفرة حَوْلَ الخِباء لِئَلَّا يَدْخُلَهُ مَاءُ المَطَرِ، وأَنْأَيْتُ الخِباء: عَمِلْتُ لَهُ نُؤْيًا. (اللسان ١٥/ ٣٠١).

(٣) دَلَّاحٌ: مِنَ الدَّلْحِ: مَشْيُ الرَّجُلِ بِحِمْلِه وَقَدْ أَثقله.(اللسان ٢/ ٤٥٣). المُزنُ: جَمعُ المُزنَةِ، وَهِيَ المَطَرَةُ، وَهِيَ السَّحَابُ أيضًا، وَهُنَا السَّحَابُ المُثقَلُ بِالمَاءِ، يُقَالُ لِلهِلَالِ: ابنُ مُزْنَة؛ لِأَنَّه يَخْرجُ مِن خِلَالِ السَّحابِ. (اللسان ٣٦/ ١٧٠)، النَّوْءُ ارْتِفاعُ نَجْمٍ مِنَ المَشْرِقِ وَسُقُوطُ نَظِيرِهِ فِي المَغْرِبِ، وَقَولُهُم مُطِرْنا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا مرادُه أَنَّا مُطِرْنا فِي هَذَا الْوَقْتِ.(اللسان ١/ ١٧٧)، والسِّماكانِ: نَجْمَانِ نَيِّرانِ أَحَدُهُمَا السِّماك الأَعْزَل وَالْآخَرُ السِّماكُ الرامِحُ.(اللسان ١٠/ ٤٤٣).

(٤) المُثْعَنْجِرُ: الدَّمُ الَّذِي يَسِيلُ، يَتْبَعُ بعضُه بَعْضًا. وَقَد استَعَارَهَا ﷺ لِلمَطَرِ الَّذِي يَسيلُ سَيلَانًا مِن شِدَّتِهِ. (اللسان ١/ ٤٧٠)، والوَدْقُ: المَطَرُ. (اللسان١٠/ ٣٧٣)، مِن خَلَالَيهِ أَي مِن خَلالِ السَّحَاب.

(٥) الجَلْجَلَة: صَوْتُ الرَّعْدِ وَمَا أَشبهه. والمُجَلْجِل مِنَ السَّحَابِ: الَّذِي فِيهِ صَوْتُ الرَّعْدِ،=

٨. ثَـجِـيـجُ الـرَّعْـدِ ثَـجَّـاجٌ إِذَا أَرخَـى نِـطَـاقَـيْـهِ[١]
٩. فَـأَضْـحَـى دَارِسًـا قَـفْـرًا لِـبَـيْـنُـونَـةِ أَهـلِـيـهِ[٢]

فَقَالَ الأَعرَابِيُّ لَـمَّا سَمِعَهَا: مَا رَأَيتُ كَاليوْمِ قَطُّ مِثلَ هَذَا الغُلَامِ أَعرَبَ مِنهُ كَلَامًا، وَأَذرَبَ مِنهُ لِسَانًا، وَلَا أَفصَحَ مِنهُ مَنطِقًا!

فَقَالَ لَهُ الحَسَنُ عليه السلام: يَا أَعرَابِيُّ:[٣] [من الهزج]

١. هَـذَا غُـلَامٌ كَـرَّمَ الـرَّحمَـا نُ بِـالـتَّـطْـهِـيرِ جَـدَّيْـهِ[٤]
٢. كَـسَـاهُ الـقَـمَـرُ الـقَـمْـقَـا مُ مِـن نُـورِ سَـنَـاءَيْـهِ
٣. وَلَـو عَـذَّرَ طَـمَّاحٌ نَـضَـحْـنَـا عَـنْ عِـذارَيْـهِ[٥]
٤. وَقَـدْ أَرَّضْـتُ مِـنْ شِـعْـرِي وَقَـوَّمْـتُ عَـرُوضَـيْـهِ[٦]

فَلَمَّا سَمِعَ الأَعرَابِيُّ قَولَ الحَسَنِ عليه السلام قَالَ: بَارَكَ اللهُ عَلَيْكُمَا، مِثلُكُمَا نَجلَتهُ الرِّجَالُ،

=وسحابٌ مُجَلْجِل: لِرَعْدِهِ صَوْتٌ. (اللسان ١١/ ١٢٢).

(١) ومَطَرٌ ثَجَّاجٌ: شَدِيدُ الِانْصِبَابِ جِدًّا. وأَتانا الْوَادِي بثَجِيجِه أَي بِسَيْلِهِ. (اللسان ٢/ ٢٢١). النِّطَاقُ: حِزامٌ يُشدُّ به الوسَط، وأرخى نطاقيه تعبير مجازي عن بدء هطول المطر الغزير من السحب. (المعاصرة ٣/ ٢٢٣٠).

(٢) دَرَسَ الأَثَـرُ يَـدْرُسُ دُروسًـا، ودَرَسَته الريحُ تَدْرُسُه دَرْسًـا أَي مَحَتْه. (اللسان ٦/ ٧٩)، والقَفْرُ والقَفْرة: الخَلَاءُ مِنَ الأَرض. (اللسان ٥/ ١١٠)، والبَيْنُونَةُ: التَّفَرُّقُ.(التاج ٣٤/ ٢٩٦).

(٣) الصِّراط المستقيم ٢/ ١٧٣، ومستدرك سفينة البحار ٥/ ٤٧٦، ومطالب السؤول ٣٦١، وشرح إحقاق الحقِّ ١٩/ ٤٢٤، ٣٣/ ٦٢٢.

(٤) (هذا) خزم. زيادة أربعة حروف.

(٥) رَجُلٌ طَمَّـاح: بِعِيدُ الطَّرْفِ، وَقِيلَ: شَـرِهٌ. وطَمَحَ بَصَـرُه إِلى الشَّـيْءِ: ارْتَفَعَ. (اللسان ٢/ ٥٣٤). عَذَّر يعَذِّر عِذَّارًا فِي مَعْنَى اعْتَذَرَ. (اللسان ٤/ ٥٤٧)، ونَضَحَ عَنْهُ: ذَبَّ وَدَفَعَ. ونَضَح الرَّجُلَ: ردَّ عَنْهُ. (اللسان ٢/ ٦٢٠)، العِذَاران: جَانِبَا اللِّحْيَةِ؛ لأَنَّ ذَلِكَ مَوْضِعُ الْعِذَارِ مِنَ الدَّابَّةِ. (اللسان ٤/ ٥٥٠).

(٦) التَّأْرِيضُ: تَشْذِيبُ الكَلَام. (التاج ١٨/ ٢٢٩).

وَعَن مِثلِكُمَا قَامَت النِّسَاءُ، فَوالله لَقَدْ انْصَرَفْتُ وَأَنَا مُحِبٌّ لَكُمَا رَاضٍ عَنكُمَا [فَجَزَاكُمَا اللهُ خَيرًا، وَانْصَرَفَ].

الإِمَامُ زَينُ العَابِدينَ فِي البَيتِ الحَرَامِ

وَرَوَى المَجلِسيّ[1] ﷺ فِي (بِحَارِ الأَنوَارِ)[2] عَنِ الأَصْمَعِيِّ[3]، قَالَ: كُنتُ أَطوفُ حَولَ البَيتِ، وَإِذَا شَابٌّ ظَرِيفُ الشَّمائِلِ، وَعَلَيهِ ذُؤَابَتَانِ وَهوَ مُتَعَلِّقٌ بِأَستَارِ الكَعبَةِ، وَيَقُولُ: غَارتِ النُّجُومُ، وَنَامَتِ العُيونُ، وَأَنتَ المَلِكُ الحَيُّ القَيُّومُ، غَلَّقَتِ المُلوكُ أَبوَابَهَا، وَأَقَامَت عَلَيهَا حُرَّاسَهَا، وَبَابُكَ مَفتُوحٌ لِلسَّائِلِينَ، جِئتُكَ أَنتَظِرُ رَحمَتَكَ يَا أَرحَمَ الرَّاحِمِينَ. ثُمَّ أَنشَأَ يَقولُ:[4] [من البسيط]

(١) بحار الأنوار ٤٦/ ٨٠، ٩٦/ ١٩٧، وينظر الخبر والشعر في: الصحيفة السجَّاديَّة ٥١٣، ومناقب آل أبي طالب ٣/ ٢٩١، ومستدرك الوسائل ٩/ ٣٥٣، ومستدرك سفينة البحار ٥/ ٤٨١، وشرح إحقاق الحقِّ ٨/ ٧٢١.

(٢) بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمَّة الأطهار: تأليف العلم العلَّامة الحجَّة فخر الأمَّةِ المولى الشيخ محمَّد باقر المجلسيّ ﷺ.

(٣) الأَصْمَعيُّ: عَبدُ المَلكِ بنُ قُرَيبِ بنِ عَليِّ بنِ أَصمَعَ البَاهليُّ، أَبو سَعيدٍ الأَصمَعيُّ: رَاويةُ العَربِ، وَأَحَدُ أَئِمَّةِ العِلمِ بِاللُّغَةِ وَالشِّعرِ وَالبُلدَانِ، نِسبَتُهُ إِلَى جَدِّهِ أَصمَع، وَمَولِدُهُ وَوَفَاتُه فِي البَصرَةِ، كَانَ كَثيرَ التُّطوَافِ فِي البَوادِي، يَقتَبِسُ عُلومَهَا وَيَتَلَقَّى أَخبَارَهَا، وَيُتحِفُ بِهَا الخُلَفَاءَ، فَيُكافَأُ عَلَيهَا بِالعَطَايَا الوَافِرةَ. أَخبَارُه كَثيرةٌ جِدًّا. وَتَصَانِيفُهُ كَثيرةٌ، تُوفِّيَ نَحوَ سَنةِ (٢١٦هـ).

تأريخ بغداد ١٠/ ٤٠٩، والإكمال ٧/ ٢٠١، وتأريخ دمشق ٣٧/ ٥٥، ونزهة الألباء ٩٠، وإكمال الإكمال ١/ ١٤٣، وإنباه الرواة ٢/ ١٩٧، ووفيات الأعيان ٣/ ١٧٠، وتهذيب الكمال ١٨/ ٣٨٢، وسير أعلام النُّبلاء ١٠/ ١٧٥، وميزان الاعتدال ٢/ ٦٦٢، والوافي بالوفيات ١٩/ ١٢٦، والبلغة ١٨٨، وبغية الوعاة ٢/ ١١٢، وديوان الإسلام ١/ ١٣٧، والأعلام ٤/ ١٦٢، ومعجم المؤلِّفين ٦/ ١٨٧.

(٤) مناقب آل أبي طالب ٣/ ٢٩١، وبحار الأنوار ٤٦/ ٨٠، و٩٦/ ١٩٧، ومستدرك الوسائل ٩/ ٣٥٣، ومستدرك سفينة البحار ٥/ ٤٨١.

١. إِنْ كَانَ عَفْوُكَ لَا يَرْجُوهُ ذُو سَرَفٍ فَمَنْ يَجودُ عَلَى العَاصِينَ بِالنِّعَمِ؟!
٢. أَدْعُوكَ رَبِّ دُعَاءً قَدْ أَمَرتَ بِهِ فَارْحَمْ بُكَائِي بِحَقِّ البَيتِ وَالحَرَمِ

فَسَأَلتُ عَنهُ فَقِيلَ: هَذَا عَلِيُّ بنُ الحُسَينِ عليهما السلام.

أَبو طَالِبٍ وَحِرصُهُ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله

وَرَوَى ابنُ أَبِي الحَدِيدِ(١) فِي شَرحِ النَّهجِ قَالَ(٢):

كَانَ أَبو طَالِبٍ(٣) كَثِيرًا مَا يَخَافُ عَلَى رَسولِ الله صلى الله عليه وآله البَيَات إِذَا عُرِفَ مَضْجَعُهُ،

---

(١) ابنُ أَبي الحَديدِ: مرَّت ترجمته في ٥٩.

(٢) شرح ابن أبي الحديد: كتاب (شَرحُ نَهجِ البَلاَغَةِ لعِزِّ الدِّينِ عَبدُ الحَميدِ بنُ أَبِي الحَديدِ المُعتَزِليُّ).

– شرح نهج البلاغة ١٤/ ٦٤، وينظر الخبر والشعر في: الفصول المختارة ٦٤، ومناقب آل أبي طالب ١/ ٥٨، الصراط المستقيم ١/ ١٧٦، وبحار الأنوار ٣٥/ ٩٣، ٣٦/ ٤٦، وأعيان الشيعة ١/ ٢١٩، ومستدرك سفينة البحار ٦/ ٥٥٦.

(٣) أَبُو طالِب: عَبدُ مَناف بنُ عَبدِ المُطَّلِبِ بنِ هَاشِم، وَالِدُ عَلِيٍّ وَجعفَر الطَّيَّار عليهما السلام، وَعَمُّ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله، وَكَافِلُهُ، وَمُرَبِّيهِ، وَمُنَاصِرُه. كَانَ مِن أَبطَالِ بَني هَاشِم وَرُؤَسَائِهِم، وَمِنَ الخُطَبَاءِ العُقَلَاءِ الأُبَاةِ. وَلَه تِجَارَة كَسَائِرِ قُريش. نَشَأ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله فِي بَيتِه، وَسَافَرَ مَعَه إِلَى الشَّام فِي صِبَاهُ. وَلَـمَّا أَظهَر الدَّعوةَ إِلَى الإِسلام، هَمَّ بَعضٌ مِن قُريش بِقَتلِهِ، فَحَماهُ أَبو طَالِبٍ وَصَدَّهُم عَنهُ، فَدَعَاهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله إِلَى الإِسلام، فَأَسلَمَ وَكَتَمَ إِسلَامَهُ مِن أَجلِ الإِسلام وَالمُسلِمِينَ، ذَلِكَ لِيُمكِنُه التَّعَامُلَ مَعَ قُريش وَدَفعِ شَرِّهَا وَشُرُورِهَا عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وَعَن أَنصَارِه، وَعَن بَنِي هَاشِم، وَوَعَدَ النَّبِيّ صلى الله عليه وآله بِنُصرَتِهِ وَحِمَايَتِه، قَالَ أَميرُ المُؤمِنِينَ عَلِيٌّ عليه السلام: **كَانَ وَالله أَبُو طَالِبٍ عَبدُ مَنَاف بنُ عَبدِ المُطَّلِبِ مُؤمِنًا مُسلِمًا يَكتُمُ إِيمَانَهُ مَخَافَةً عَلَى بَنِي هَاشِمٍ أَن تُنَابِذُهَا قُرَيشُ، وَفِي الحَديثِ: «مَا نَالَت قُرَيشُ مِنِّي شَيئًا أَكرَهَه حَتَّى مَاتَ أَبو طَالِبٍ»**، وُلِدَ فِي مَكَّةَ سَنَةَ (٨٥ق.هـ/ ٥٤٠م) وَتُوُفِّيَ فِيهَا سَنَةَ (٣ق.هـ/ ٦٢٠م). وَلِلشَّيخِ المُفِيدِ رحمه الله (مُحَمَّد بنُ مُحَمَّد بنِ النُّعمَانِ) رِسَالَةٌ سَمَّاهَا (إِيمَانُ أَبِي طالب)، وَلِلسَّيِّدِ مُحَمَّد عَليّ شَرف الدِّينِ العَامِلِي رِسَالَة (شَيخ الأبطح). ويُنسَب له ديوان صغير سمِّي (ديوان شيخ الأباطح أبي طالب). له ترجمة في: تأريخ دمشق ٣٧/ ٣٧٢، ومعجم الأدباء ٤/ ١٨٠٩، ووسائل الشيعة (آل البيت) ١٦/ ٢٣١، وبحار الأنوار ٣٥/ ١١٤، وجامع أحاديث الشيعة ١٤/ ٥٨٣،=

فَكَانَ يُقِيمُهُ لَيلًا مِن مَضْجَعِهِ وَيُضْجِعُ ابْنَهُ عَلِيًّا عليه السلام مَكَانَهُ، فَقَالَ عَلِيٌّ عليه السلام لَيلَةً لَهُ: يَا أَبَتِ إِنِي مَقْتُول، فَقَالَ لَهُ:(١) [من الخفيف]

١.اصْبِرَنْ يَا بُنَيْ فَالصَّبْرُ أَحْجَى ... كُلُّ حَيٍّ مَصِيرُهُ لِشَعُوبِ(٢)
٢.قَدْ بَذَلْنَاكَ وَالبَلَاءُ شَدِيدٌ ... لِفِدَاءِ النَّجِيبِ وَابنِ النَّجِيبِ
٣.لِفِدَاءِ الأَغَرِّ ذِي الحَسَبِ الثـ ... ـثَاقِبِ، وَالبَاعِ، وَالفِنَاءِ الرَّحِيبِ
٤.إِنْ يُصِبْكَ المَنونُ فَالنَّبْلُ يُبْرَى ... فَمُصِيبٌ مِنهَا وَغَيرُ مُصِيبِ
٥.كُلُّ حَيٍّ وَإِنْ تَمَلَّى بِعَيْشٍ ... آخِذٌ مِنْ سِهَامِهَا بِنَصِيبِ(٣)

فَأَجَابَهُ عَلِيٌّ عليه السلام:(٤)

١.أَ تَأْمُرُنِي بِالصَّبْرِ فِي نَصْرِ أَحْمَدٍ صلى الله عليه وآله ... وَوَاللهِ مَا قُلْتُ الَّذِي قُلْتُ جَازِعَا
٢.وَلَكِنَّنِي أَحْبَبْتُ إِظْهَارَ نُصْرَتِي ... وَتَعلَمُ أَنِّي لَم أَزَلْ لَكَ طَائِعَا
٣.وَسَعْيِي لِوَجْهِ اللهِ فِي نَصْرِ أَحْمَدٍ صلى الله عليه وآله ... نَبِيِّ الهُدَى المَحمُودِ طِفْلًا وَيَافِعَا

وَهَذِهِ الأَبيَاتُ رَوَاهَا السَّيِّدُ المُرْتَضَى رحمه الله عَنِ الشَّيخِ المُفِيدِ -رِضوَانُ اللهِ عَلَيه- وَرَوَى جَدِّي السَّيِّدُ سُلَيمانُ(٥) رحمه الله فِي (نُور البَصَائِر)(٦) مَا هَذَا مَضْمُونُهُ: أَنَّ عَلِيًّا عليه السلام أَبُو الأَئِمَّةِ الأَطهَارِ عليهم السلام كَانَ ذَاتَ يَومٍ -مِن شَهرِ رَمَضَانَ الَّذِي

=وأبو طالب حامي الرسول ٢١٢، والأعلام ٤/ ١٦٦.

(١) الفصول المختارة ٥٩، ومناقب آل أبي طالب ١/ ٥٨، والصراط المستقيم ١/ ١٧٦، وبحار الأنوار ٣٥/ ٩٣، و٣٦/ ٤٦، ومناقب آل البيت ٦١، وشجرة طوبى ٢/ ٢٣٦.

(٢) الشَّعوبُ: المَنِيَّةُ.(اللسان ١/ ٥٠١).

(٣) تَمَلَّى العَيْشَ ومُلِّيَه وأَمْلاه الله إياه ومَلَّاهُ وأَمْلى اللهُ لَهُ: أَمْهلَه وطوَّلَ لَهُ. (اللسان ١٥/ ٢٩٠).

(٤) ديوان الإمام عليّ ١٠٣.

(٥) مرَّت ترجمته في ٢٤.

(٦) (نور البصائر): أحد مؤلَّفات السَّيِّد سليمان بن داوود (سليمان الكبير) المفقودة.

تُـوفِّيَ فِيهِ- جَالِسًا عِندَ مِيثَمِ الـتَّـمَّارِ[1]، وَفِي ذَلِـكَ اليَوم قَـدْ سَقَت سَيفَ ابنِ

(١) مِيثَم التَّمَّـار: مِيثَمُ بنُ يَـحيَى الأَسَديُّ بِالوَلَاءِ، نَزَلَ الكُوفَةَ وَلَهُ فِيهَا ذُرِّيةٌ، كَانَ مِيثمُ التَّمارُ عَبدًا لِامرَأةٍ مِن بَنِي أَسَدٍ، فَاشتَرَاهُ عَلِيٌّ عليه السلام مِنهَا، وَأَعتَقَهُ، وَقَالَ لَهُ: **مَا اسْمُكَ؟** قَالَ: سَالم. قَالَ: **أَخبَرَنِي رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله أَنَّ اسمَكَ الَّذِي سَمَّاكَ بِهِ أَبواكَ فِي العَجَمِ مِيثَم.** قَالَ: صَدَقَ اللهُ وَرَسُولُه وَأَمِيرُ المُؤمِنِينَ، وَاللهِ إِنَّهُ لَاسمِي.قَالَ: **فَارجِع إِلَى اسمِكَ الَّذِي سَمَّاكَ بِهِ رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وَدَع سَالِما،** فَرَجَعَ مِيثمٌ، وَاكتنَى بِأَبِي سَالم، فَقَالَ عَلِيٌّ عليه السلام ذَاتَ يَوم: **إِنَّكَ تُؤخَذُ بَعدِي فَتُصلَبُ وَتُطعَنُ بِحَربَةٍ، فَإِذَا جَاءَ اليَومُ الثَّالِثُ ابتَدَر مِنخرَاكَ وَفَمُكَ دَمًا فَتُخضَبُ لِـحيَتُكَ، وَتُصلَبُ عَلَى بَابِ عَمرِو بنِ حُرَيثٍ عَاشِرُ عَشرةٍ، وَأَنتَ أَقصَرُهُم خَشَبةٍ، وَأَقرَبَهم مِنَ المَطهَرةِ، وَامضِ حَتَّى أُرِيكَ النَّخلَةَ الَّتِي تُصلَبُ عَلَى جِذعِهَا، فَأَرَاهُ إِيَّاهَا،** وَكَانَ مِيثمُ يَأتِيهَا فَيُصَلِّي عِندَهَا، وَيقولُ: بُوركتِ مِن نَخلَةٍ لَكِ خُلقتُ، وَلِيَ غُذِّيتِ، فَلَم يَزَل يَتَعَاهَدهَا حَتَّى قُطِعَت، ثُمَّ كَانَ يَلقَى عَمرُو بنُ حُرِيثٍ فَيقولُ لَهُ: إِنِّي مُجَاورك فَأَحسِنْ جِوَارِي، فَيقولُ لَهُ عَمرُو: أَتريدُ أَنْ تَشتريَ دَارَ ابنِ مَسعودٍ أَو دَارَ ابنِ حَكيم؟ وَهوَ لَا يَعلَمُ مَا يُرِيدُ. ثُمَّ حَجَّ فِي السَّنَةِ الَّتِي قُتِلَ فِيهَا، فَدَخلَ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ أُمِّ المُؤمِنِينَ، فَقَالَت لَه: مَن أَنتَ؟ قَالَ: أَنَا مِيثَم. فَقَالت: وَاللهِ لَربَّمَا سَمِعتُ مِن رَسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله يَذكُرُكَ وَيُوصِي بِكَ عَلِيًّا عليه السلام، فَسَأَلَهَا عَنِ الحُسَينِ عليه السلام، فَقَالَت: هُوَ فِي حَائِطٍ لَهُ، فَقَالَ: أَخبِرِيهِ أَنِّي قَد أَحبَبتُ السَّلامَ عَلَيهِ فَلَم أَجِدهُ، وَنَحنُ مُلتَقونَ عِندَ رِبِّ العَرشِ إِن شَاءَ اللهُ تَعَالَى، فَدَعَت أُمُّ سَلَمَة بِطِيبٍ فَطَيَّبَت بِهِ لِـحيَتَهُ، فَقَالَت لَه: أَمَّا إِنَّـهَا سَتُخضَبُ بِدَم. فَقَدِمَ الكُوفةَ، فَأَخذَه عُبيدُ اللهِ بنُ زِيادٍ، فَأُدخِلَ عَلَيهِ، فَقَالَ لَه: هَذَا كَانَ آثَرَ النَّاسِ عِندَ عَلِيٍّ. قَالَ: وَيـحكم! هَذَا الأَعجَمِيُّ! فَقِيلَ لَه: نَعَم. فَقَالَ لَه: أَينَ رَبُّكَ؟ قَالَ: بِالمِرصَادِ لِلظَّـلَمَةِ، وَأَنْتَ مِنهُم. قَالَ: إِنَّكَ عَلَى أَعجَمِيَّتِكَ لَتُبَلِّغَ الَّذِي تُرِيدُ، أَخبِرنِي مَا الَّذِي أَخبَرَكَ صَاحِبُكَ أَنِّي فَاعِلٌ بِكَ. قَالَ: أَخبَرَنِي أَنَّك تَصلُبُنِي عَاشِرَ عَشرةٍ، وَأَنَا أَقصَـرُهُم خَشَبةً وَأَقرَبَهم مِنَ الـمَطهَرةِ. قَالَ: لَنُخَالِفَنَّهُ. قَالَ: كَيفَ تُخَالِفُهُ؟ وَاللهِ مَا أَخبَرَنِي إِلَّا عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله عَن جِبرَائِيلَ عليه السلام عَنِ اللهِ، وَلَقَد عَرفتُ المَوضِعَ الَّذِي أُصلَبُ فِيهِ، وَأَنِي أَوَّلُ خَلقِ اللهِ أُلجَمُ فِي الإِسلام، فَحَبَسَه وَحَبَسَ مَعَه الـمُختَارَ بنَ عُبيدٍ، فَقَالَ مِيثمُ لِلمُختَارِ: إِنَّكَ سَتَفلتُ، وَتَـخرجُ ثَائِرًا بِدمِ الحُسَينِ عليه السلام، فَـتَقتُلُ هَذَا الَّذِي يُرِيدُ أَنْ يَقتُلَكَ. فَلَمَّا أَرادَ عُبيدُ اللهِ أَن يَقتُلَ الـمُختَارَ وَصَلَ بَرِيدٌ مِن يَزِيد يَأمُرُهُ بِتَخلِيَةِ سَبِيلِهِ، فَخَلَّاهُ، وَأَمرَ بِمِيثمَ أَن يُصلبَ، فَلَمَّا رُفِعَ عَلَى الخَشَبةِ عِندَ بَابِ عَمرِو بنِ حُرِيثٍ، قَالَ عَمرٌو: قَد كَانَ وَاللهِ يَقولُ لِي: إِنِّي مُجَاوِرك، فَجَعلَ مِيثمٌ يُحدِّثُ بِفَضَائِلِ بَنِي هَاشِم، فَقِيلَ لِابنِ زِيَاد: قَد فَضَحَكم هَذَا العَبدُ. قَالَ: أَلـجِمُوهُ. فَكانَ أَوَّلَ مَن أُلِجمَ فِي الإِسلام، فَلَمَّا كَانَ اليَومُ الثَّالِثُ مِن صَلبِهِ طُعِنَ بِالحَربةِ فَكبَّرَ، ثُمَّ انبَعثَ فِي آخِرِ النَّهارِ فَمُهُ وَأَنفُهُ دَمًا، وَكانَ ذَلكَ قَبلَ مَقدَمِ الحُسَينِ العَراقَ بِعَشرةِ أَيَّامٍ، سَنة=

مُلجَم[1] لَعَنَهُ اللهُ سُمَّا قَطَامُ، وَكَانَ قَد خَرجَ ابنُ مُلجَم يَتَمَشَّى فِي أَزِقَّةِ الكُوفَةِ وَأَسوَاقِهَا، فَاجتَازَ بَطَرِيقِهِ عَلَى الإِمَامِ عليه السلام، فَلَمَّا رَآهُ أَقبَلَ إِلَيهِ وَسَلَّمَ عَلَيهِ وَتَضَرَّعَ بَينَ يَدَيهِ، فَجَعَلَ أَميرُ المُؤمِنينَ عليه السلام يُطِيلُ النَّظَرَ إِلَيهِ، وَهوَ حِينَئِذٍ يَقولُ:[2]

[من الوافر]

أُرِيدُ حُبَاءَهُ وَيُرِيدُ قَتْلِي عَذِيرَكَ مِن خَلِيلِكَ مِنْ مُرَادِ

وَرَوَاهُ بِطَرِيقٍ آخَرَ عَلِيُّ بنُ عِيسَى رحمه الله فِي كِتَابِهِ المُسَمَّى بـ(كَشف الغُمَّةِ)[3]، نَقْلًا عَن فَخرِ خَوَارِزمَ عَن جَابِرٍ[4]، قَالَ:

=(٦٠هـ/ ٦٨٠م). ولمحمَّد حسين المظفَّريّ، كتاب (ميثم التمَّار).

ينظر: الإصابة في معرفة الصَّحابة ٦/ ٢٤٩، والأعلام ٧/ ٣٣٦.

(١) ابنُ مُلجَم(لع): أَدركَ الجَاهِلِيَّةَ، وَهَاجَر فِي خِلافَةِ عُمَرَ، وَقرأَ عَلَى مَعاذ بنِ جَبلٍ. ذَكَرَ ذَلِكَ أَبو سَعيدِ بنُ يُونِس، ثُمَّ صَارَ مِن كِبارِ الخَوَارِجِ، وَهوَ أَشقَى هَذِهِ الأُمَّةِ بِالنَّصِّ الثَّابِتِ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله بِقَتلِ عَلِيِّ بنِ أَبِي طَالِبٍ، فَقَتَلَه أَولَادُ عَلِيٍّ، وَذَلِكَ فِي شَهرِ رَمَضَانَ سَنَةَ وَاحِدٍ وَأَربَعِينَ. ينظر: تأريخ ابن يونس ١/ ٣١٤، وسير أعلام النُّبلاء- راشدون ٢٨٧، وميزان الاعتدال ٢/ ٥٩٢، والوافي بالوفيات ١٨/ ١٧١، والإصابة ٥/ ٨٥.

(٢) البيتُ لِعَمرِو بنِ مَعديكَرِب الزّبيديّ، شعره ١٠٧.

وَيُروَى: (حياته) في محل (حباءه)، في مصادر كثيرة.

- الحِبَاءُ: العَطاء بِلَا مَنٍّ وَلَا جَزاءٍ. (اللسان ١٤/ ١٦٢).

(٣) كشف الغمَّة في معرفة الأئمَّة، تأليف العلَّامة المحقِّق أبى الحسن عليّ بن عيسى بن أبي الفتح الإربلِّيّ المتوفَّى سنة (٦٩٣هـ).

(٤) جَابِرُ بنُ عَبْدِ اللهِ بنِ عَمْرِو بنِ حَرَامٍ السَّلِمِيُّ ابْنِ ثَعْلَبَةَ بنِ حَرَامِ بنِ كَعْبِ بنِ غَنْمِ بنِ كَعْبِ ابنِ سَلِمَةَ، الأَنْصَارِيُّ، الخَزْرَجِيُّ، السَّلِمِيُّ، المَدَنِيُّ، الإِمَامُ الكَبِيْرُ، المُجْتَهِدُ، الحَافِظُ، صَاحِبُ رَسُوْلِ اللهِ صلى الله عليه وآله، مِنْ أَهْلِ بَيْعَةِ الرُّضْوَانِ، وَكَانَ آخِرَ مَنْ شَهِدَ لَيْلَةَ العَقَبَةِ الثَّانِيَةِ مَوْتًا. رَوَى: عِلْمًا كَثِيرًا عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله. شَهِدَ بَدرًا وَثَماني عَشرَةَ غَزوةً مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله. وَأَحَدُ السَّابِقِينَ، وَكَانَ مِن أَصحَابِ الإِمَامِ أَمِيرِ المُؤمِنِينَ، وَالإِمَامِ الحَسَنِ، وَالإِمَامِ الحُسَينِ، وَالإِمَامِ عَلِيِّ بنِ الحُسَينِ، وَالإِمَامِ مُحَمَّدِ البَاقِرِ عليهم السلام. تُوفِّيَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَسَبْعِينَ، وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعٍ وَتِسْعِينَ سَنَةً، وَكَانَ قَدْ ذَهَبَ بَصَرُهُ. قَالَ الصَّادِقُ عليه السلام: إِنَّه كَانَ آخِرَ مَن بَقيَ مِن أَصحَابِ رَسولِ الله صلى الله عليه وآله، وَكَانَ مُنْقَطِعًا إِلَينَا=

إِنِّي لَشَاهِدٌ لِعَلِيٍّ عليه السلام وَقَد أَتَاهُ المُرَادِيّ -لَعَنَهُ الله- يَسْتَحْمِلُهُ فَحَمَلَهُ، ثُمَّ قَالَ:[1] [الوافر]

عَذِيري مِن خَلِيلِي مِنْ مُرَادِ أُرِيدُ حِبَاءَهُ وَيُرِيدُ قَتْلي

أَقُولُ: بِهذِهِ الرِّوَايَةِ تَغَيَّرَ البَيتُ وَصَارَ عَجزُهُ صَدرَهُ، وَصَدرُهُ عَجزَهُ، وَهوَ بِهذَا التَّغْيِير، وَإِنْ كَانَ شَطرَاهُ مُرتَبِطَينِ بِقَولِهِ: مِن مُرادٍ أُرِيدُ حِبَاءَهُ، لَكِنَّهُ -وَاللهُ أَعلَمُ- بِحَسَبِ مَا وَجَدْنَاهُ لَمْ يَكُنْ قَائِلُه هَكَذَا أَنْشَأَهُ؛ لِأَنَّهُ مِنْ أَبْيَاتٍ قِيلَ إِنَّها لِعَمرو بنِ مَعدِ يكَرِب[2]،

=أَهل البَيتِ، وَكَانَ يَقعُدُ فِي مَسجِدِ رَسولِ الله وَهوَ مُعتَمٌّ بِعِمامَةٍ سَودَاءَ، رُوِيَ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله قَالَ لَهُ: «**إِنَّكَ تَلقَى البَاقِرَ مِن وُلدِي فَقلْ لَهُ كَذَا وَكَذَا**».

له ترجمة في: الثِّقات لابن حبَّان ٣/ ٥١، ومشاهير علماء الأمصار ٣٠، وفتح الباب ٤٥٩، ورجال صحيح البخاريّ ١/ ١٤١، ورجال صحيح مسلم ١/ ١١٣، ومعرفة الصَّحابة لأبي نعيم ٢/ ٥٢٩، ورجال الطوسيّ ٣١، ١١١، والاستيعاب ١/ ٢١٩، وتأريخ دمشق ١١/ ٢٠٨، وأسد الغابة ١/ ٤٩٢، وتأريخ إربل ٢/ ١٠٧، وتأريخ الإسلام ٢/ ٧٩٧، ورجال ابن داوود ٦٠، وسير أعلام النُّبلاء ٣/ ١٨٩، والوافي بالوفيات ١١/ ٢٢، ونكت الهميان ١٠٩، والإصابة ١/ ٥٤٦، ونقد الرجال ١/ ٣٢٣، وجامع الرواة ١/ ١٤٣، ووسائل الشيعة- أهل البيت ٣٠/ ٣٢٨، والفوائد الرجاليَّة ٢/ ١٣٥، وطرائف المقال ٢/ ١٣١، والأعلام ٢/ ١٠٤، ومستدرك سفينة البحار ٢/ ١٣.

(١) المناقب ٣٩٣، وكشف الغمَّة ٢/ ٦٢، والفصول المهمَّة ١/ ٦٣١، وبحار الأنوار ٤٢/ ١٩٣، وشرح إحقاق الحقِّ ٨/ ١٢٦، ومستدرك سفينة البحار ٥/ ٤٦٢.

(٢) عَمرُو بنُ مَعدِ يكَرِبَ بنِ رَبيعةَ بنِ عَبدِ الله الزُّبَيديُّ: فَارِسُ اليَمَنِ، وَصَاحِبُ الغَارَاتِ المَذكورة. وَفَدَ عَلَى المَدينَةِ سَنَة (٩هـ) فِي عَشرةٍ مِن بَني زُبَيدٍ، فَأَسلَمَ وَأَسلَموا، وَعَادُوا. وَلَمَّا تُوفِّيَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله خَرَجَ عمرو في اليمن. ثُمَّ تَرَاجَعَ، فَبعثَه أَبو بَكرٍ إِلَى الشَّامِ، فَشَهِدَ اليَرمُوكَ، وَذَهَبت فِيهَا إِحدَى عَينَيهِ. وَبَعثَه عُمرُ إِلَى العِرَاقِ، فَشَهِدَ القَادِسِيَّةَ. وَكَانَ عَصِيَّ النَّفسِ، أَبِيَّهَا، فِيهِ قَسوةُ الجَاهلِيَّةِ، يُكنَّى أَبَا ثُور. وَأَخبَارُ شَجَاعَتِهِ كَثِيرةٌ. لَهُ شِعرٌ جَيِّدٌ، تُوفِّي سَنَةَ (٢١هـ/ ٦٤٢م). له ترجمة في: الطبقات الكبرى ٦/ ٨٥، والتأريخ الكبير ٦/ ٣١٢، ومعجم الصَّحابة لابن قانع ٢/ ٢١٦، والثِّقات لابن حبَّان ٣/ ٢٧٨، ومعجم الشعراء ١/ ٣٨، ومعرفة الصَّحابة ٤/ ٢٠١٧، وتأريخ دمشق ٤٦/ ٣٦٣، والأعلام: ٥/ ٨٦، معجم أعلام المدح النبويّ ٢٨٢.

وَقِيلَ لِدُرَيدِ بنِ الصَّمَّةِ[1] وَالأَبيَاتُ هَذِه:[2] [الوافر]

١. وَيَبقَى بَعدَ حِلمِ القَومِ حِلْمِي ... وَيَفْنَى قَبْلَ زَادِ القَومِ زَادِي

٢. فَمَنْ ذَا عَاذِري مِنْ ذِي سَفَاهٍ ... يَرُودُ بِنَفْسِهِ شَرَّ المُرَادِ

٣. أُرِيدُ حِبَاءَهُ وَيُرِيدُ قَتْلِي ... عَذِيرِي مِن خَلِيلِي مِنْ مُرَادِ

وَهَذَا البَيْتُ قَدْ رَوَاهُ كَثِيرٌ مِنَ المُؤَرِّخِينَ، أَنَّهُ تَمَثَّلَ بِهِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ فِي النَّهَارِ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ عليه السلام.

وَرُوِيَ فِي شَرحِ مِيمِيَّةِ أَبِي فِرَاسٍ وَغَيرِهِ مِنْ كُتُبِ السِّيَرِ وَالأَخْبَارِ أَنَّ اللَّيلَةَ الَّتِي خَرَجَ فِيهَا إِلَى المَسجِدِ عَلِيٌّ عليه السلام أَبو السَّادَةِ الأَطْهَارِ، كَانَتْ لَيلَةَ الجُمُعَةِ التَّاسِعَ عَشَرَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ، وَأَنَّهُ لَمَّا خَرَجَ إِلَى المَسْجِدِ وَانْحَلَّ مِئْزَرُهُ -زَعِيمُ بَنِي عَدْنَانَ- أَنْشَدَ هَذِهِ الأَبْيَاتَ، وَاتَّفَقَ عَلَى رِوَايَتِهَا المُحَدِّثُونَ وَالرُّوَاةُ، وَهِيَ:[3] [من الهزج]

---

(١) دُرَيدُ بنُ الصَّمةِ الجَشمِيُّ البَكريُّ، مِن هَوَازِنِ: شُجَاعٌ، مِنَ الأَبطَالِ، الشُّعَرَاءِ، المُعَمَّرينَ فِي الجَاهِلِيَّةِ. كَانَ سَيِّدَ بَني جَشَم وَفَارِسَهُم وَقَائِدَهُم، وَغَزَا نَحوَ مِئَةِ غَزوةٍ لَم يُهزَم فِي وَاحِدَةٍ مِنهَا.
وَعَاشَ حَتَّى سَقَطَ حَاجِبَاه عَن عَينَيهِ، وَأَدركَ الإسلام، وَلَمْ يُسلِم، فَقُتِلَ عَلَى دِينِ الجَاهِلِيَّةِ يَومَ حُنينٍ، وَكَانَت هَوازنُ خَرَجَت لِقِتَالِ المُسلِمِينَ، فَاسْتَصْحَبتهُ مَعهَا تَيمُّنًا بِهِ، وَهوَ أَعمَى، فَلَمَّا انْهزَمَت جُموعُهَا أَدرَكَه رَبيعةُ بنُ رَفيعٍ السّلميُّ فَقَتَلَه. لَه أَخبَارٌ كَثيرةٌ. وَالصَّمَّةُ لَقَبُ أَبِيهِ مُعَاوِيَة ابنِ الحَارِثِ. (٨هـ/ ٦٣٠م). له ترجمة في: الإكمال ٣/ ٣٨٨، الذخيرة ٧/ ٢٠١، وتأريخ دمشق ١٧/ ٢٣١، وتهذيب الأسماء ١/ ١٨٥، والوافي بالوفيات ١٤/ ٩، والأعلام ٢/ ٣٣٩.

(٢) شعر عمرو بن معد يكرب ١١٠. يذكر المحقِّق الأبيات بحسب ما جاءت في العقد الفريد، ويكون البيت الأوَّل هنا هو البيت الرابع في تسلسلها، وسقط البيت الثاني، ولكنه موجود من ضمن أبيات القصيدة التي ذكرها الصفديّ (المتوفَّى ٧٦٤هـ) في كتابه (الشعور بالعور: ١٨٦)، ويجيء البيت الثالث في الصحيفة ١١١ من (شعر عمرو)، وهو آخر الأبيات، وفيه (حياته) بدلًا من (حباءه).

(٣) دِيوانُ الإِمَامِ عَلِيِّ بنِ أَبِي طَالِب عليه السلام ١١٥، يَقولُ مَن اعْتَنَى بِجَمعِ شِعرِه: إِنَّ هَذِه الأبياتَ تُنسبُ لِلإِمَامِ عليه السلام، وَمِنَ المُرَجَّحِ أَنَّهُ تَمَثَّلَ بِهَا.

١. أُشْـــدُدْ حَـيَـازِيـمَـكَ لِـلْـمَـوْتِ فَـــــإِنَّ الـــــمَـــوْتَ لَاقِـيـكَـا
٢. وَلَا تَـــجْـزَعْ مِـــنَ الَـــمـوْتِ إِذَا حَـــــلَّ بِـــوَادِيـــكَـــا
٣. وَلَا تَـغْـتَـــرَّ بِـالـدَّهْـرِ وَإِنْ كَـــــانَ يُـوَاتِـيـكَـا
٤. كَـــمَا أَضْـحَـكَـكَ الـدَّهْـرُ كَـــذَاكَ الـــدَّهْـــرُ يُـبْـكِـيـكَـا

الـخَزمُ فِي الشِّعرِ العَربِيِّ

إِنَّ هَذِه الزِّيَادَةَ فِي قَولِهِ أُشْدُدْ حَيَازِيمَكَ.. البَيْت[1]، يُسَمِّيهَا العَرُوضِيُّونَ الخَزم، وَالخَزمُ عِندَهُم زِيَادَة أَربَعَةِ أَحْرُفٍ فَمَا دُونهَا فِي أَوَّلِ الصَّدرِ، أَوْ حَرفَينِ فَمَا دُونَهَا فِي الابْتِدَاءِ، وَالابْتِدَاءُ اسمٌ لِلجُزءِ الأَوَّلِ مِنَ المِصرَاعِ الثَّاني[2]، وَوَجهُ تَسمِيَتِهِ بِالخَزمِ، أَنَّهُ مَأْخُوذٌ مِنْ قَولِهِم: خَزمتُ أَنْفَ البَعِيرِ؛ إِذَا جَعلتُ فِي أَنْفِهِ الخِزَامَةَ، وَهِيَ حَلَقَةٌ تُجعَلُ فِي الأَنفِ يُشَدُّ فِيهَا الزِّمَامُ، وَهوَ بِجَمِيعِ أَنوَاعِهِ قَبِيحٌ عِندَهُم.

فَمِثَالُهُ بِزِيَادَةِ حَرفٍ وَاحِدٍ، فِي أَوَّلِ الصَّدرِ: قَولُ امرئ القَيْسِ[3] -عَلَى رِوَايةِ مَن

(١) في قوله: (أشدد حيازيمك للموت) كلمة (أشدد) زائدة على الوزن، فالشعر من الهزج، ووزنه (مفاعيلن مفاعيلن)، ولذلك فالوزن يتحقق بقوله: (حيازيمك للموت فإنَّ الموت لاقيكا). وهنا يضمر (أشدد)، فعندما يظهرها ويقول: (أشدد حيازيمك للموت) تكون زائدة، وهي ظاهرة معروفة في الشعر العربيّ تكلَّم عنها مؤلِّف الكتاب رحمه الله.

(٢) المصراع الثاني: عَجُزُ البَيتِ.

(٣) امْرُؤُ القَيْس بنُ حِجرِ بنِ الحَارثِ الكِنديُّ، مِن بَني آكلِ المِرارِ: أَشهرُ شُعرَاءِ العَربِ عَلَى الإِطلَاقِ. يَمانيُّ الأَصلِ. مَولِدُه في نَجدٍ، أَو في (مِخلَاف السَّكَاسِك) في اليَمَن. اشتَهرَ بِلَقبِهِ، وَاختلفَ المُؤَرِّخونَ فِي اسمِهِ، فَقيلَ: (حُندجُ)، وَقِيلَ: (مَليكة)، وَقِيلَ: (عَدِيٌّ). وَكَانَ أَبوه مَلكَ أَسدَ وَغَطفَانَ. وَأُمُّهُ أُختُ المُهَلهِلِ الشَّاعِرِ، فَلقَّنَه المُهَلهِلُ الشِّعرَ، فَقَالَه وَهوَ غُلَامٌ، وَجَعلَ يُشَبِّبُ وَيَلهو وَيُعاشِرِ صَعاليكَ العَربِ، فَبلَغَ ذَلكَ أَباهُ، فَنهَاهُ عَن سِيرتِهِ فَلَم يَنتَهِ. فَأَبعَدَه إِلَى (دَمُّون) بِحَضرَموت، مَوطِنِ آبَائِه وَعَشيرتِهِ، وَهوَ فِي نَحوِ العِشرينَ مِن عُمرِهِ. فَأَقَامَ زُهَاءَ خَمسَ سِنينَ، ثُمَّ جَعلَ يَتنقَّلُ مَعَ أَصحَابِهِ فِي أَحياءِ العَربِ، يَشربُ وَيطربُ وَيغزو وَيلهو، إِلَى أَن ثَارَ بَنو أَسَد عَلى أَبيهِ وَقَتلوهُ، فَبلَغَ ذَلِكَ امرءَ القَيسِ وَهوَ جَالسٌ لِلشَّرَابِ فَقالَ: رَحمَ اللهُ أَبِي! ضَيَّعنِي صَغيرًا،=

أَثْبَتَ الوَاو فِيهِ- وَهوَ:[1] [من الطويل]

كَـــأَنَّ ثَـبِـيـرًا فِي عَـــرَانِـــينِ وَبـلِـهِ كَـبِـيرُ أُنَـــاسٍ فِي بَـجَـادٍ مُـزَمَّـلِ[2]

وَبِحَرْفَينِ فِيهِ أَيضًا: قَولُ بَعْضِهِمْ:[3] [من الكامل]

يَـا مَـطـرُ بـنُ نَـاجِـيَـةَ بـنِ ذِرْوَةَ إِنَّـنِـي أُجْـفَـى وَتُـغْـلَـقُ دُونِيَ الأَبْـــوَابُ[4]

وَبِثَلَاثَةِ أَحْرُفٍ فِيهِ أَيضًا: قَولُ القَائِل:[5] [من الهزج]

=وَحَمَّلني دَمَهُ كَبيرًا، لَاصَحوَ اليَومَ وَلَا سُكرَ غَدًا! اليَومُ خَمرٌ وَغَدًا أَمرٌ!، وَنَهضَ مِن غَدِهِ فَلَم يَزَل حَتَّى ثَأَرَ لأبيهِ مِن بَني أَسدٍ، وَقَالَ فِي ذَلِكَ شِعرًا كَثيرًا. أخباره كثيرة، مات في أنقرة، وكان وافدًا على ملك الروم، وذلك (نحو ٨٠ق.هـ/ نحو ٥٤٥م). له ترجمة في: طبقات فحول الشعراء ١/ ٥١، وتأريخ دمشق ٩/ ٢٢٢، وشعراء النصرانيَّة ١/ ٦، الأعلام ٢/ ١١، ومعجم المؤلِّفين ٢/ ٣٢٠.

(١) ديوان امرئ القيس ١٢٢.

(٢) قال: (وَكَأَنَّ ثَبِيرًا..)، وفيه الواو زائدة. ولو قال: (كَأَنَّ ثَبِيرًا) تزول الزيادة ويصحُّ الوزن. وفي الديوان:

كَـــأَنَّ أَبَـانًـا فِي أَفَـانِـينَ وَدْقِـهِ كَـبِـيرَ أُنَـــاسٍ فِي بَـجَـادٍ مُـزَمَّـلِ

جَرَّ مُزَمَّلًا عَلَى جِوَارِ بَجَادٍ، وَإِلَّا فَالقِيَاسُ يَقتَضِي رَفعَهُ؛ لِأَنَّه وَصفُ كَبِيرِ أُنَاسٍ، وَمِثلُهُ مَا حُكِيَ عَنِ العَربِ مِنْ قَولِهِم: جُحرُ ضَبٍّ خَرِبٍ، جَرَّ خَربًا بِمُجَاوَرَةِ ضَبٍّ.

(٣) قال: (يا مطر..)، وفيه (يا) زائدة. ولو قال: (مطر بن ناجية) تزول الزيادة ويصحُّ وزن البيت من الكامل.

(٤) مَطَر بن ناجِيَة الرِّيَاحِيُّ، مِن بَني يَربوعٍ، مِن تَميم: ثَائِر، مِنَ الشُّجعَانِ. كَانَ فِي أَيَّامِ وُلَايَةِ الحَجَّاجِ بِالعِرَاقِ يَتَولَّى (المَعونَةَ). وَلَمَّا خَرجَ ابنُ الأَشعَثِ (عَبدُ الرَّحمَنِ بنُ مُحَمَّد)، وَحَارَبَ الحَجَّاجَ فِي البَصرَةِ، قَامَ مَطر بِأَهلِ الكُوفَةِ، فَأَخرَجوا مِنهَا عَبدَ الرَّحمنِ الحَضرَمي عَامِلَ الحَجَّاجِ، وَتَولَّى (مَطرٌ) أَمرَهَا (سَنَةَ ٨٢هـ)، وَأَقبَلَ ابنُ الأَشعَثِ مِنَ البَصرةِ، فَخَرجَ أَهلُ الكُوفَةِ لِاستقبَالِهِ، وَامْتَنَعَ مَطر بِجَماعَةٍ مِن بَني تَميم، فِي القَصرِ، فَأَصعدَ ابنُ الأَشعَثِ رِجَالًا فِي السَّلَالِيم فَدَخلوا القَصرَ وَجِيء بِمَطرٍ، فَحَبَسَهُ ثُم أَطلَقَه فَصَارَ مِن رِجَالِهِ. توفِّي (بعد ٨٢هـ/ بعد ٧٠١م). له ترجمة في: الطبقات الكبرى ٦/ ٢٧٣، والاشتقاق ٢٢٢، وتأريخ الإسلام ٢/ ٩٠٦، والأعلام ٧/ ٢٥٠.

(٥) البيتُ مِنَ الهَزجِ المَجزوءِ المَحذُوفِ. ينظر: أصول النغم ١٦٢.=

١. نَحْنُ قَتَلْنَا سَيِّدَ الخَزْرَ ... جِ سَعْدَ بنَ عُبَادَهْ
٢. رَمَيْنَاهُ بِسَهْمَينِ فَلَمْ نُخْطِ فُؤَادَهْ

وَبِأَرْبَعَةِ أَحْرُفٍ فِيهِ أَيْضًا وَذَلِكَ كَقَولِهِ: (أُشْدُدْ حَيَازِيمَكَ لِلْمَوْتِ)، كذا اسْتَشْهَدَ فِيهِ العَرُضِيُّونَ، وَبَنَوا عَلَى هَذِهِ الحُرُوفِ أَنَّهَا زَائِدَةٌ عَلَى عَرُوضِهِ.

وَمِثَالُهُ بِزِيَادَةِ حَرفِ الابتِدَاءِ ذَلِكَ مِثلَ قَولِ القَائِلِ:(١) [من الرمل]

والهَبَانِيقُ قِيامٌ حَوْلَنَا ... بِكُلِّ مَلْثومٍ، إِذَا صُبَّ هَمَلْ(٢)

وَمِثَالُهُ بِحَرْفَينِ فِيهِ وَفِي الصَّدرِ أَيْضًا، وذلك مِثلَ قَولِ القَائِلِ:(٣) [من الكامل]

هَلْ تَذْكُرُونَ إِذْ نُقَاتِلُكُمْ ... إِذْ لَا يَضُرُّ مُعْدِمًا عَدَمُهْ

وَقَالَ الشَّيْخُ المُفِيدُ رحمه الله: إِنَّ الشِّعرَ يُعزَى لأُحَيْحَةَ بْنِ الجُلاحِ الأَوسِيِّ، وَإِنَّما تَمَثَّلَ بِهِ أَبُو الحَسَنَينِ عَلِيٌّ عليه السلام وَالشِّعرُ عَلَى وَجْهِهِ: [من الهزج]

أَلَا شُدَّ حَيَازِيمَـ ... ـكَ إِنَّ المَوْتَ لَاقِيكَا

=- فيه (نحن) زائدة، فلو قال:

(قتلنا سيِّد الخزر ... ج سعد بن عُبادهْ)

لاستقام الوزن بلا خزم.

(١) البيت للبيد العامريّ، ديوانه ١٨. في الديوان جاء البيت برواية:

وَالهَبَانِيقُ قِيَامٌ، مَعَهُمْ ... كُلُّ مَحْجُومٍ إِذَا صُبَّ هَمَلْ

- البيت من الرمل. فيه (حرف الباء) من (بِكُلِّ) في أوَّل العجز، زائدة، فلوقال: (كلُّ ملثوم)؛ لاستقام الوزن، بلا خزم.

(٢) الهَبَانِيقُ: جَمعُ الهُبنَقِ: وَهوَ الوَصِيفُ. (اللسان ١٠/ ٣٦٥)، والمَحجُومُ: إبريقُ الخَمرِ شُدَّ عَلَيه اللِّثَام.

(٣) البيت لطرفة بن العبد، ديوانه ٧٢. في الديوان جاء البيت برواية:

تَذْكُرُونَ إِذْ نُقَاتِلُكُمْ ... لَا يَضُرُّ مُعْدِمًا عَدَمُهْ

- البيت من المديد، فيه التفعيلة الأولى من الصدر والعجز مكفوفة (فاعلاتُ)، ويروى بزيادة (هل) في أوَّل الصدر، وزيادة (إذ) في أوَّل العجز.

خُلَاصَةُ القَولِ فِي تَحرِيمِ الشِّعرِ

أَقُولُ: وَإِنْ أَسْهَبْنَا فِيمَا اسْتَشْهَدْنَا فِيهِ مِنْ هَذِهِ الأَحَادِيثِ، وَعَضَدْنَا بِهِ مَا أَقَمْنَا مِنَ الأَدِلَّةِ، فَدَعْ عَنْكَ هَذَا كُلَّهُ -وَإِنْ كَانَ مُحْتَوِيًا عَلَى عَجَائِبَ مِنَ الأَدِلَّةِ- فَالعَقلُ يَحكُمُ بِالضَّرُورَةِ: أَنَّ الشِّعرَ إِذَا خَلِيَ مِنْ هِجَاءِ مَنْ يَسْتَحِقُّ الهِجَاءَ، وَقَذفِ المُحَصَّنَاتِ، وَسَائِرِ أَنْوَاعِ المَكرُوهَاتِ وَالمُحَرَّمَاتِ، وَقُصِدَ بِإِنْشَائِهِ الخَيْرَات؛ يَقْبُحُ أَنْ يَكونَ مِنَ المُحَرَّمَاتِ أَو المَكرُوهَاتِ، وَهَل هُوَ إِلَّا فِعلُ اللِّسَانِ؟! وَاللِّسَانُ فِي فِعْلِهِ كَسَائِرِ جَوَارِحِ الإِنْسَانِ، لَمْ يَنْفَرِدْ بِالحُكْمِ عَنهَا، بَلْ يَتَرَتَّبُ عَلَيهِ بِفِعْلِهِ مَا يَتَرَتَّبُ عَلَيهَا بِفِعْلِهَا، وَأَفْعَالِ المَرءِ: مِنهَا مَا يُثَابُ عَلَيهَا، وَمِنهَا مَا يُعَاقَبُ، وَمِنهَا مَا يُلغَى كَالمُبَاحَاتِ، فَإِنَّهُ لَا يُؤَاخَذُ عَلَيهَا، وَإِنْ هُوَ عَنهَا يَومَ المَعَادِ يُحَاسَبُ، فَأَيُّ فِعلٍ لِلْعَبدِ غَيرِ الشِّعرِ؛ مُحْتَوِيًا عَلَى مَا احْتَوَى عَلَيهِ الشِّعرُ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ ؛أَوْ غَيرِ ذَلِكَ، فَنُبِيَ عَلَى حُرْمَتِهِ أَوْ كَرَاهَتِهِ مُطْلَقًا، وَمَا كَانَ عَلَى حَسَبِ أَنْوَاعِهِ الخَيْرِيَّةِ وَالشَّرِّيَّةِ مُشْتَقًّا.

فَعَلَى هَذَا يَنْقَسِمُ الشِّعرُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ: مُسْتَحَبٌّ وَمُبَاحٌ وَحَرَامٌ.

[١]- فَأَمَّا المُسْتَحَبُّ، فَهوَ مَا كَانَ مُتَضَمِّنًا لِأَنوَاعِ الخَيْرِ عَلَى الإِطلَاق، وَكَانَ مَقصودًا بِهِ وَجهَ الوَاحِدِ الخَلَّاق، وَهَذَا فِي الحَقِيقَةِ لَمْ يَكُنْ أَحْسَنَ مِنْهُ عَمَلًا إِذَا كَانَ عِقْدُ نِظَامِهِ مُفَصَّلًا فِي الثَّنَاءِ عَلَى الإِلَهِ الحَمِيدِ المَجِيدِ كَمَا فَصَّلَ عُقُودَ هَذِهِ الأَبْيَاتِ ابنُ أَبِي الحَدِيدِ وَهِيَ: [1] [من مجزوء الكامل المرفل]

١. تَـــاهَ الأَنَـــامُ بِـسُـكْـرِهِـمْ ... فَـلِـذَاكَ صَـاحِـي الـقَـومِ عَـرْبَـدْ
٢. وَجَـــلَا عَـــنِ الـشَّـكِّ الـكَـثِـيـ ... ـفِ مُـــجَـرَّدُ الـعَـزَمَـاتِ مُـقْـعَـدْ
٣. تَـــالله لَا مُـــوسَـــى ﷺ وَلا ... عِيسَى المَسِيحِ ﷺ وَلَا مُحَمَّدْ ﷺ
٤. عَـرَفُـوا وَلَا جِبْرِيلُ ﷺ وَهْـ ... ـوَ إِلَى مَـحَـلِّ الْـقُـدْسِ يَـصْـعَـدْ

(١) الخبر والشعر في: رياض السالكين ١/ ٣١٧ بلا عزو.

٥.كَـلَّا وَلَا الـنَّـفْـسُ الـبَـسِـيـ ـطَـةُ لَا وَلَا الـعَـقْـلُ الْمُـجَـرَّدْ
٦.وَجَـدوا إِضَـافَـاتٍ وَسَـلْـ ـبًا وَالـحَـقِـيـقَـةُ لَـيْـسَ تُـوجَـدْ
٧.مِـنْ كُـنْـهِ ذَاتِـكَ غَـيـرَ أَنْـ ـنَـكَ أَوْحَـدِيُّ الـذَّاتِ سَرْمَـدْ
٨.فَـلْـتَـخْـسَـأُ الـحُـكَـمَاءُ عَـنْ حَـرَمٍ لَـهُ الأَمْـلَاكُ سُـجَّـدْ
٩.مَـنْ أَنْـتَ يَـا رِسـطُـو وَمَـنْ أَفْـ ـلَاطُـونُ قَـبْـلَـكَ يَـا مُـلَـبَّـدْ
١٠.وَمَـن ابـنُ سِـينَـا حِـينَ قَـرْ رَرَ مَـا بَـنَـاهُ لَـهُ وَشَـيَّـدْ
١١.مَـا أَنْـتُـمُ إِلَّا الـفَـرَا شُ رَأَى الـسِّـرَاجَ وَقَـدْ تَـوَقَّـدْ[1]
١٢.فَـدَنَـى وَأَحْـرَقَ نَـفْـسَـهُ وَلَـو اهْـتَـدَى رُشْـدًا لَابْـعَـدْ

وَكَمَا نَهجَ فِي هَذَا المَنْهَجِ، وَغرفَ مِن بُحورِ هَذَا العِلمِ، وَهيَ طَاغِيةُ اللُّجَج، وَنَظَمَ مِن سِنْخِ هَذِهِ المَعَانِي:

القَاضِي البَابي[2] هَذِهِ الأَبيَاتَ، الَّتِي تَسْتَأنِسُ بَهَا أَنْفُسُ الحُكَمَاءِ، وَتَرْتَاحُ لِدَقَائِقِ مَعَانِيهَا العُلَمَاءُ، وَهِيَ:[3] [من مجزوء الكامل المرفَّل]

(١) الفَرَاشُ: دوابٌّ مِثْلُ الْبَعُوضِ تَطير، واحدتُها فَراشةٌ. والفرَاشةُ: الَّتِي تَطير وتَهافَتُ فِي السِّراج، وَالجَمْعُ فَراشٌ. (اللسان ٦/ ٣٣).

(٢) مُصطَفَى بنُ عَبدِ المَلكِ، وَقيل عُثْمَان البَابيُّ الحَلَبِيُّ الأَديبُ الفَاضِلُ المُتَمَكِّنُ مِنَ المَعَارِفِ، وَكَانَ مِن أَجَلِّ فُضَلَاءِ الدَّهْرِ وَأَوحَدِ أُدَبَاءِ الْعَصْر، نَشأَ بِحَلَب، وَأَخذَ فِيهَا الْعُلُومَ عَن جَمعٍ مِن عُلَمَائِهَا، وَدَخَل دِمشقَ وَأَخذَ عَن مَشَايِخِهَا، وَرَحَلَ إِلَى الدِّيَارِ الرُّومِيَّةِ فَدرَّسَ فِيهَا، وَانْتَفَعَ بِهِ جمَاعَة مِن فُضَلَائِهَا، وَتَوَلَّى قَضَاءَ طَرَابُلس الشَّام، ثمَّ مَعنِيسَا، ثُمَّ بَغْدَاد، ثُمَّ المَدِينَة المُنَوَّرة -عَلَى سَاكِنِهَا أَفضلَ الصَّلَاة وَالسَّلَام- فِي سَنةِ إحدَى وَتِسْعين، وَحجَّ فى هَذِه السَّنة، فتوفِّي في مَكَّة، وَأَشعَارُهُ كُلَّهَا نَفِيسةٌ، فَائِقةٌ، مُطرِبَةٌ، رَائِقَة، وَهِي في الجَزَالَةِ وَالفَصَاحَةِ فَوقَ شِعرِ المُفْلِقِينَ مِن الْمُتَقَدِّمِينَ، وَفي الرَّشَاقَةِ وَحُسنِ التَّخَيُّلِ تَفوقُ قَولَ المُجِيدينَ مِنَ المُحدثين.
خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر ٤/ ٣٧٧.

(٣) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر ٤/ ٣٧٧، ونفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة ١/ ٢٦٧، ومجاني الأدب ٤/ ١٣.

١. هَـوَتِ الـمَـشَـاعِـرُ وَالـمَـدَا ... رِكِ عَـنْ مَـعَـارِجِ كِـبْـرِيَـائِـكْ
٢. يَـا حَـيُّ يَـا قَـيُّـومُ قَـدْ ... بَهَـرَ الـعُـقُـولَ سَـنَـا بَهَـائِـكْ
٣. أُثْـنِـي عَـلَـيْـكَ بِـمَا عَـلِـمْـ ... ـتُ وَأَيْـنَ عِـلْـمِي مِـنْ ثَـنَـائِـكْ؟!
٤. مُـتَـحَـجِّـبٌ بِـحِـجَـابِـكَ الـ ... أَحْـمَـى مَـنِـيـعٌ فِي حِـمَـائِـكْ
٥. وَظَـهَـرْتَ بِـالآثَـارِ وَالـ ... آيَـاتِ بَـادٍ فِي جَـلَائِـكْ
٦. عَـجَـبًا خَـفَـاؤُكَ مِـنْ ظُـهُـو ... رِكَ، أَوْ ظُـهُـورُكَ مِـنْ خَـفَائِكْ
٧. مَـا الـكَـوْنُ إِلَّا ظُـلْـمَـةٌ ... قَـبَـسُ الأَشِـعَّـةِ مِـنْ ضِـيَـائِـكْ
٨. وَجَـمِـيـعُ مَـا فِي الـكَـونِ فَـا ... نٍ، مُـسْـتَـمَـدٌّ مِـنْ بَـقَـائِـكْ
٩. بَـلْ كُـلُّـمَا فِـيـهِ فَـقِـيـ ... ـرٌ مُـسْـتَـمِـيـحٌ مِـنْ عَـطَـائِـكْ
١٠. مَـا فِي الـعَـوَالِمِ ذَرَّةٌ ... فِي جَـنْـبِ أَرْضِـكَ أَوْ سَـمَائِـكْ
١١. إِلَّا وَوَجْـهَـتُـهَـا إِلَـيـ ... ـكَ بِـالافْـتِـقَـارِ إِلَى غِـنَـائِـكْ
١٢. إِنِّي سَـأَلْـتُـكَ بِـالَّـذِي ... جَـمَـعَ الـقُـلُـوبَ عَـلَى وَلَائِـكْ
١٣. نُـورُ الـوُجُـودِ خُـلَاصَـةُ الـ ... ـكَـوْنَـيْـنِ صَـفْـوَةُ أَنْبِيَائِكْ ﷺ
١٤. إِلَّا نَـظَـرْتَ لِـمُـسْـتَـغِـيـ ... ـثٍ عَـائِـذٍ بِـكَ مِـنْ بَـلَائِـكْ
١٥. قَـذَفَـتْ بِـهِ مِـنْ شَـاهِـقٍ ... أَيْـدِي امْـتِـحَـانِـكَ وَابْـتِـلَائِـكْ
١٦. وَرَمَـتْـهُ مِـنْ ظُـلَـمِ الـعَـنَـا ... صِـرِ وَالـطَّـبَـائِـعِ فِي شِـبَـائِـكْ
١٧. وَسَـطَـتْ عَـلَـيْـهِ لَـوَازِمُ الـ ... إِمْـكَـانِ صَـدًّا عَـنْ سَـنَـائِـكْ
١٨. فَـإِذَا ارْعَـوَى أَوْ كَـادَ نَـا ... دَتْـهُ الـقُـيُـودُ إِلَى وَرَائِـكْ
١٩. فَـالْـطُـفْ لَـهُ فِـيـمَا جَـرَى ... فِي طَـيِّ عِـلْـمِـكَ مِـنْ قَـضَـائِـكْ

وَمَـا شَـاكَـلَ ذَلِـكَ مِـنْ مَـدْحِ الـنَّـبِـيِّ وَأَئِـمَّـةِ الـعِـصْـمَـةِ، أَوْ مَـا كَـانَ مُتَضَمِّنًا مَوعِظَةً أَو حِكْمَةً، وَذَلِـكَ كَـمَا نَظَـمَ أَبُـو العَتَاهِيَةِ[1] فِيهَا، وَأَجَـادَ

(١) أَبُو العَتَاهِيَة: إِسمَاعِيلُ بنُ القَاسِمِ بنِ سُويدٍ العَينيُّ، شَاعرٌ مُكثرٌ، سَريعُ الخَاطِرِ، فِي=

نَظمَهُ:[1] [من المتقارب]

١.أَلَا أَنَّنَا كُلُّنَا بَائِدُ وَأَيُّ بَنِي آدَمٍ ﷺ خَالِدُ
٢.وَبَدْؤُهُمُ كَانَ مِنْ رَبِّهِمْ وَكُلٌّ إِلَى رَبِّهِ عَائِدُ
٣.وَلله فِي كُلِّ تَحرِيكَةٍ وَكُلِّ تَسْكِينَةٍ شَاهِدُ
٤.وَفِي كُلِّ شَيءٍ لَهُ آيَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدُ[2]

وَكَقَولِهِ الَّذِي مِن مَكنُونِ الحِكمَةِ اسْتَنْخَبَهُ هَذَا الَّذِي حَدَّثَ عَنهُ عُمَرُ ابنُ شَبَّةَ[3]، قَالَ:

مَرَّ عَابِدٌ بِرَاهِبٍ؛ فَقَالَ لَهُ: عِظْنِي.

فَقَالَ لَهُ: أَعِظُكَ وَعَلَيْكُم نَزَلَ القُرآنُ؟! وَنَبِيُّكُم مُحَمَّدٌ قَريبُ العَهدِ بِكُم؟!

قُلتُ: نَعم.

قَالَ: فَاتَّعِظْ بِبَيتٍ مِن شِعْرِ شَاعِرِكُمْ أَبِي العَتَاهِيةِ، حَيْثُ

=شِعرِهِ إِبدَاعٌ. غَزيرُ النَّظمِ، لَهُ (الأنوار الزاهية في ديوان أبي العتاهية)، توفِّيَ سَنة (٢١١هـ/ ٨٢٦م).
ترجمته في: طبقات الشعراء ٢٢٧-٢٣٤، وتأريخ بغداد ٢/ ٣٣، ووفيات الأعيان ١/ ٢١٩، والوافي بالوفيات ٩/ ١١١، وديوان الإسلام ٣/ ٢٩٧، والأعلام ١/ ٣٢١.

(١) ديوان أبي العتاهية ١٢٢.

(٢) في (الديوان): (الواحد) في موضع (واحد).

(٣) عُمَرُ بنُ شَبَّةَ بنِ عَبْدَةَ بْنِ زَيْدِ بنِ رَائِطَةَ، العَلَّامَةُ الأَخْبَارِيُّ، الحَافِظُ، صَاحِبُ التَّصَانِيفِ، أَبُو زَيْدٍ، النُّمَيْرِيُّ البَصْرِيُّ النَّحْوِيُّ، نَزِيلُ بَغْدَادَ.وُلِدَ: سَنَةَ ثَلاَثٍ وَسَبْعِينَ وَمِئَةٍ. قيل عنه: كان مُسْتَقِيمَ الحَدِيثِ، وَكَانَ صَاحِبَ أَدبٍ وَشعرٍ، وَأَخْبَارٍ، وكَانَ عَالِمًا بِالسِّيَرِ وَأَيَّامِ النَّاسِ، وَلَهُ تَصَانِيْفُ كَثِيْرَةٌ. وَكَانَ قَدْ نَزَلَ فِي آخِرِ عُمُرِهِ بِسُرَّ مَنْ رَأَى، وَتُوُفِّيَ فيهَا يَوْم الاثْنَيْن لِخَمْسٍ بَقِينَ مِنْ جُمَادَى الآخِرَةِ، سَنَة اثْنَتَيْنِ وَسِتِّينَ وَمِئَتَيْنِ. له ترجمة في: معجم الأدباء ٥/ ٢٠٩٣، وسير أعلام النُّبلاء ١٢/ ٣٦٩، والوافي بالوفيات ٢٢/ ٣٠١، وبغية الوعاة ٢/ ٢١٨، والأعلام ٥/ ٤٧.

يَقولُ:[1] [من الطويل]

تَـجَـرَّدْ مِـنَ الـدُّنْـيَـا فَـإِنَّـكَ إِنَّـمَـا ... وَقَـعْـتَ إِلَى الـدُّنْـيَـا وَأَنْـتَ مُجَـرَّدُ

وَكَـمَا قَـالَ الـصَّـاحِـبُ بـنُ عَـبَّـادٍ[2]، هَـذَا الـقَـولَ الَّـذِي تَـجِدُ بَـردَ رُوحِـهِ الْقُلُوبُ وَالأَكْبَادُ: [من المجتث]

١. اعْـمَـلْ لِـنَـفْـسِـكَ شَـيْـئًـا ... تَـكُـنْ لِـمَـالِـكَ مَـالِـكْ

٢. مِـنْ قَـبْـلُ أَنْ تَـتَـوفى ... وَلَـونُ حَـالِـكَ حَـالِـكْ

٣. أَمَّـا لِجَـنَّـةِ عَـدْنٍ ... أَوْ فِي الَمَـهَـالِـكِ هَـالِـكْ

وَأَنْشَدَ الأَصْمَعِي لِبَعْضهم:[3] [من السريع]

١. أُقْـسِـمُ بِـاللهِ لَـمَـصُّ الـنَّـوَى ... وَشُرْبُ مَـاءِ الْـقُـلُـبِ الـسَمِالِـحَهْ[4]

٢. أَحـسـن لِـلْإِنْـسَـانِ مِـنْ ذلة ... وَمِـنْ سُـؤَالِ الْأَوْجُـهِ الْـكَـالِحَهْ

٣. فَـاسْـتَـغْـنِ بِـاللهِ تَـكُـنْ ذَا غِـنًى ... مُـغْـتَـبِـطًـا بِـالـصَّـفْـقَـةِ الـرَّابِـحَـهْ

(١) ديوان أبي العتاهية ١٢٨.

(٢) الصَّاحِبُ بنُ عَبَّادٍ: أَبو القَاسِمِ إِسمَاعِيلُ ابنُ عَبَّادٍ، الوَزيرُ المَشهُورُ بِكَافِي الكُفاةِ، وزَرَ لمؤيِّد الدَّولةِ بن ركنِ الدَّولةِ بنِ بُويهِ، وَقَد كَانَ مِنَ العِلمِ وَالفَضِيلَةِ وَالبَرَاعَةِ وَالكَرَمِ وَالإحسَانِ إِلَى العُلَمَاءِ وَالفُقَراءِ عَلَى جَانِبٍ عَظِيمٍ، أَصلُهُ مِنَ الطَّالِقَانِ، أَخَذَ الأَدَبَ عَنِ الوَزير أَبِي الفَضلِ ابنِ العَميدِ، وَأَبِي الحُسَين أَحمدَ بنِ فَارِسٍ، وَسَمِعَ الحَديثَ مِن أَبيهِ، تُوفِّيَ في الرَّيِّ سَنَةَ (٣٨٥هـ).

ينظر: معجم الأدباء ٢/ ٦٦٢، وتأريخ إربل ٢/ ٣٣٩، وإنباه الرواة ١/ ٢٣٦، والمنتظم ١٤/ ٣٧٥، وسير أعلام النُّبلاء ١٢/ ٤٥٣، وتأريخ الإسلام ٢٧/ ٩٢، والبداية والنهاية ١١/ ٣١٤، وأعيان الشيعة ٣/ ٣٢٨.

(٣) البصائر والذخائر ٥/ ٣١، وسير السلف الصالحين ١٠٨٨، وتأريخ دمشق ١٠/ ٢١٤، ولباب الآداب ٣٠٧، وتأريخ إربل ١/ ٤٠٨، وطبقات الأولياء ١١٢. أجمعت المصادر على أنَّ هذه الأبيات أنشدها بشر الحافي.

(٤) في بعض المصادر: (لرضخ) بدلًا من (لمص).

٤. طُوبَى لِمَنْ يُصبِحُ مِيزَانُهُ يَومَ يُلَاقِي رَبَّهُ راجِحَهْ

[٢]- وَأَمَّا الْمُبَاحُ فَهوَ خِلَافُ المَحْظُورِ مَأْخُوذٌ مِن بَاحَةِ الدَّارِ أَي سَعَتِهَا، فَكَونُهُ مُبَاحًا مَعنَاهُ مُوَسَّعٌ فِيهِ، وَهوَ يَقعُ فِي الكَلَامِ سَواءٌ كَانَ نَظْمًا أَوْ نَثْرًا، وَذَلِكَ مَثلًا إِذَا وَصَفَ الشَّاعِرُ جَدبَ الأَرضِ وَالسَّحَابِ، فَإِنَّهُ لَمْ يَترَتَّبْ عَلَيهِ إِثْمٌ، وَلَمْ يَسْتَحِقَّ بِهِ الثَّوَابَ، وَذَلِكَ كَمَا قَالَت بَعضُ نِسَاء بَنِي أَسَدٍ حِينَ صَوَّحَتْ عَلَيْهِم[١] السَّمَاءُ وَأَرخَتْ عَزَاليهَا عَلَيهِمْ بَعدَ الجَهْدِ[٢]: [من المتقارب]

١. أَ لَمْ تَرَ: إِنَّا غُبِنَّا مَأْنَا زَمَانًا فَظَلنَا نَكِدُّ البِئَارَا

٢. فَلَمَّا عَدَا المَاءُ أَوْطَانَهُ وَجَفَّ الثِّمَادُ فَصَارَتْ حَرَارَا[٣]

٣. وَضَجَّتْ إِلَى رَبِّهَا فِي السَّمَاءِ رُؤُوسُ العِضَاهِ تُنَاجِي السَّرَارَا[٤]

٤. وَفَتَّحَتِ الأَرضُ أَفْوَاهَهَا عَجِيجَ الجِمَالِ وَرَدْنَ الجِفَارَا[٥]

٥. لَبِثْنَا لَدَى عَطَنٍ لَيلَةً عَلَى اليَأْسِ آتَانَنَا وَالحِمَارَا[٦]

٦. وَقُلنَا أَعِيرُوا النَّدَى حَقَّهُ وَصَبرَ الحِفَاظِ، وَمُوتُوا حِرَارَا[٧]

---

(١) التَّصْوِيحُ: التَّجْفِيفُ، يُقَال: تَصَوَّحَ البَقْلُ وصَوَّحَ تَمَّ يُبْسُه، وصَوَّحَتْه الرِّيحُ: أَيْبَسَتْه. (التاج ٦/ ٥٥٧).

(٢) الخبر والشعر في: أمالي السَّيِّد المرتضى ٤/ ١٤٦.

(٣) الثِّمادُ الحُفَرُ يَكُونُ فِيهَا الماءُ الْقَلِيلُ. (اللسان ٣/ ١٠٥).

(٤) الْعِضَاهُ اسْمٌ يَقَعُ عَلَى شجر من شجر الشَّوك لَهُ أَسماء مُخْتَلِفَةٌ يَجْمَعُهَا الْعِضَاهُ. (اللسان ٧/ ١٩٠). السَّرَارُ: جَمعُ السِّرِّ، والسِّرُّ مِنَ الأَرض مِثْلَ السَّرارةِ أَكرمها؛ والسِّرُّ أَخْصَبُ الْوَادِي. (اللسان ٤/ ٣٥٩).

(٥) الجُفْرَةُ: الحُفْرَةُ الْوَاسِعَةُ الْمُسْتَدِيرَةُ. والجَفْرُ: الْبِئْرُ الْوَاسِعَةُ الَّتِي لَمْ تُطْوَ، وَالْجَمْعُ جِفَارٌ. (اللسان ٤/ ١٤٣).

(٦) العَطَنُ لِلإبل: كالوَطَنِ لِلنَّاسِ، وَقَدْ غَلَبَ عَلَى مَبْرَكِها حولَ الْحَوْضِ. (اللسان ١٣/ ٢٨٦). الأَتانُ: الحِمارةُ، وَالْجَمْعُ أُتُنٌ، وهنا جمعت آتان. (اللسان ١٣/ ٦). آتاننا: نُصبت على نزع الخافض.

(٧) الحِفاظ: المُحافظة عَلَى العَهْد والمُحاماةُ عَلَى الْحَرَم ومنعُها مِنَ الْعَدُوِّ. (اللسان ٧/ ٤٤٢)،=

٧. وَإِنَّ النَّدَى لَعَسَى مَرَّةً ... يَرُدُّ إِلَى أَهْلِهِ مَا اسْتَعَارَا
٨. فَبَيْنَا نُوطِّنُ أَحْشَاءَنَا ... أَضَاءَ لَنَا عَارِضٌ فَاسْتَطَارَا[1]
٩. وَأَقْبَلَ يَزْحَفُ زَحْفَ الكَسِيرِ ... سَوقَ الرِّعَاءِ البِطَاءَ العِشَارَا[2]
١٠. يُغَنِّي وَتَضْحَكُ حَافَاتُهُ ... خِلَالَ النُّعَامِ، وَتَبْكِي مِرَارَا[3]
١١. كَأَنَّا تَضِيءُ لَنَا حُرَّةٌ ... تَشُدُّ إِزَارًا وَتَلْقِي إِزَارَا
١٢. فَلَمَّا خَشِينَا بِأَنْ لَا نَجَاءَ ... وَأَنْ لَا يَكونَ فِرَارٌ قَرَارَا
١٣. أَشَارَ لَهُ آمِرٌ فَوْقَهُ ... هَلُمَّ فَقَامَ إِلَى مَا أَشَارَا[4]

فَهَذَا وَمَا شَاكَلَهُ مِن وَصفِ النَّسِيمِ، وَالرِّيَاضِ وَأَزَاهِيرِها، وَكِرَامِ الهِجَانِ وَمَسِيرِهَا، وَنُعَاسِ المُدلِجِينَ، وَمَيلِ عَمَائِمِهِم عَلَى أَكوَارِهَا، وَمُقَاسَاتِهِم مِنَ الهَوَاجِرِ لَوَافِحَ أُوَارِهَا، مِمَّا لَا شَكَّ وَلَا شُبْهَةَ فِيهِ أَنَّهُ مِنَ المُبَاحَاتِ، بَلْ يَسري المَقَامُ فِيهِ إِلَى كُلِّ شَيءٍ حَتَّى النِّسَاءِ الكَاعِبَاتِ، إِذَا لَمْ يُعَيِّنْ مِنْهُنَّ نِسَاءً بِنَظْمِهِ، وَقَصَدَ نَفْس فَصَاحَةَ كَلِمِهِ، وَهَذَا مَعلومٌ لَا خِلَافَ فِيهِ بَينَ عُلَمَاءِ المُسْلِمينَ وَالفُضَلَاءِ المُدَقِّقينَ وَلَهم فِيهِ بَدَائِعُ كَثِيرةٌ لَا تُحْصَى وَفَرَائِدُ لَا تُسْتَقْصَى.

=رَجُلٌ حَرَّانُ: عَطْشَانُ مِنْ قَوْمٍ حِرَارٍ وحَرارَى وحُرارَى؛ وامرأَة حَرَّى مِنْ نِسْوَةٍ حِرَارٍ وحَرارَى: عَطْشى. (اللسان ٤/ ١٧٨).

(١) العارِضُ السَّحابةُ تَرَاهَا فِي نَاحِيَةٍ مِنَ السَّمَاءِ. (اللسان ٧/ ١٧٤)، اسْتَطَارَ: انْتَشَرَ وَتَفَرَّقَ كَأَنَّهُ طَارَ فِي نَوَاحِيهَا. (اللسان ٤/ ٥١٣).

(٢) الرِّعَاءُ جَمعُ الرَّاعِي، والرَّاعِي هو الَّذِي يَرْعى الماشيةَ أَي يَحوطُها ويحفظُها، وَالْجَمْعُ رُعَاةٌ، مِثْلُ قاضٍ وقُضاةٍ، ورِعَاءٌ. (اللسان ١٤/ ٣٢٥).

(٣) الأَنْعَام والأَنَاعِيم، والنُّعامى، بِالضَّمِّ عَلَى فُعالى: مِنْ أَسماء رِيحِ الْجَنُوبِ؛ لأَنَّها أَبَلُّ الرِّيَاحِ وأَرْطَبُها. (اللسان ١٢/ ٥٨٥). الضِّحكُ هُنَا كِنايَةٌ عَنِ البَرقِ، وَالبُكاءِ كِنايةٌ عَنِ المَطرِ.

(٤) الآمر هنا: كناية عن الله سبحانه وتعالى، فهو الآمر الناهي.

مَا بَينَ الشَّريفِ المُرتَضى[1] وَالشَّريفِ الرَّضِيِّ[2]

مِنهَا مَا حَكَاهُ أَبو الحَسَنِ العُمَرِيُّ[3]، قَالَ: دَخَلتُ عَلَى الشَّريفِ المُرتَضَى -رَحِمَهُ اللهُ تَعالَى- فَأَرَانِي بَيْتَينِ قَدْ عَمِلَهُمَا، وَهُمَا:[4] [الطويل]

١. سَرَى طَيفُ سُعدَى طَارِقًا فَاستَفَزَّني ... سَحِيرًا وَصَحْبِي بِالفَلَاةِ رُقُودُ[5]

٢. فَقُلتُ لِعَينِي عَاوِدِي النَّوْمَ وَاهجَعِي ... لَعَلَّ خَيالًا طَارِقًا سَيَعُودُ

فَخَرَجتُ مِن عِندِهِ وَدَخَلتُ عَلَى أَخِيهِ الرَّضِيِّ، فَعَرَضْتُ عَلَيهِ البَيتَينِ، فَقَالَ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- بَدِيهًا:

١. فَرَدَّتْ جَوَابًا وَالدُّمُوعُ بَوَادِرٌ ... وَقَدْ آنَ لِلشَّمْلِ المُشِتِّ وُرُودُ

٢. فَهَيهَاتَ مِنْ ذِكرَى حَبِيبٍ تَعَرَّضَتْ ... لَنَا دُونَ لُقيَاهُ مَهَامِهُ بِيدُ[6]

---

(١) الشَّرِيف المُرْتَضَى: مرَّت ترجمته في ٥٢.

(٢) الشرَّيفُ الرَّضِي مُحَمَّد بن الطَّاهِر ذِي المَنَاقِبِ أبي أَحْمد الْحُسَيْنْ بن مُوسَى بن مُحَمَّد، ينمى نسبه إلى الإمام موسى بن جعفر الكَاظِمعليه السلام، صَاحب الدِّيوَان الْمَشْهُور، قَالَ الشّعْر بعد أَن جَاوز عشر سِنِين بِقَلِيل وَهُوَ أَشعَرُ الطَّالِبِيِّنَ، كَانَ أَبوهُ قَدِيمًا يتَوَلَّى نقابة الطالبيِّين وَالنَّظَر فِي الْمَظَالِمِ وَالْحجِّ بِالنَّاسِ، وَردت الْأَعْمَال الَّتِي كَانَت بيد أَبِيه إِلَيْهِ فِي حَيَاته، تُوفِّيَ الشَّرِيفُ الرَّضِيُّ -رضوان الله عليه- سنة (٤٣٠هـ)، ومن آثاره: كِتَابٌ فِي (مجَاز الْقُرْآن) نَادِر، وَكتاب فِي (مَعَاني الْقُرْآن)، و(المتشابه فِي الْقُرْآن)، وكتاب (نهج البلاغة) جَمعَ فِيهِ خُطَبَ الإِمَامِ عَلِيِّ ابنِ أَبِي طَالِبعليه السلام وَكَلامَهُ، وَ(ديوَان شعره)، وَمؤلَّفات أخرى كثيرة. ينظر: الرسائل العشر للشيخ الطوسيّ ٢٨، والوافي بالوفيات ٢/ ٢٧٦، وديوان الإسلام ٢/ ٣٢٤، والأعلام ٤/ ٢١٩.

(٣) أَبُو الحَسَنِ العُمَرِيُّ النَّسَّابةُ: وُلِدَ بِالبَصرَةِ فِي سَنَةَ (٣٤٨هـ)، قِيلَ عَنهُ: كَانَ سَيِّدًا جَلِيلًا نَسَّابةً فَاضِلًا مُصَنِّفًا محقِّقًا، صَنَّفَ (مَبسوطَ نَسبِ الطَّالِبِيِّنَ)، وَهوَ كِتابٌ كَبِيرٌ يَكونُ فِي مُجَلَّدَاتٍ كَثِيرةٍ، وَصنَّفَ كِتابَ (المَجدي) فِي الأَنسَابِ لِنَقيب مِصر، وَمَاتَ فِي المُوصِلِ سَنةَ (٤٩٠هـ).
ينظر: المجدي في أنساب الطالبيِّين ٢٢.

(٤) ديوان الشريف المرتضى ١/ ٤١، وينظر: المجدي في أنساب الطالبيِّين ١٣٤.

(٥) في الأصل (هبوبا) في موضع (سحيرا).

(٦) في الأصل (لقيا) في موضع (ذكرى).

فَعُدْتُ إِلَى المُرتَضَى بِالخَبَرِ، فَقَالَ: يَعزُّ عَلَيَّ أَخِي قَتَلَهُ الذَّكَاءُ، فَمَا كَانَ إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى مَضَى لِسَبِيلِهِ[1].

قَد أَبدَعَ الرَّضِيُّ بِإِجَازَتِهِ لِأَبيَاتِ أَخِيهِ غَايَةَ الإِبدَاعِ مِن حَيثُ إِنَّ مَعنَى قَولِهِ فِي مِثلِ هَذَا المَقَامِ مَا قَرَعَ الأَسْمَاعَ، وَلِهَذَا قَالَ أَخُوهُ: يَعُزُّ عَلَيَّ أَخِي قَتَلَهُ ذَكَاؤُه، إِذْ لَمْ يَجِد أَحَدًا مِنَ الشُّعَرَاءِ سَبقَهُ إِلَى مَعنَاه، وَإِنَّمَا أُعْجِبَ بِهِ مِن حَيثُ وَقَعَ فِيهِ مِن أَقْسَامِ البَدِيعِ عَلَى بَدَاهَتِهِ، وَذَلِكَ لِحِدَّةِ فِكرَتِهِ، وَالإِبدَاعِ عَلَى مَا حَدَّهُ عُلَمَاءُ المَعَانِي وَالبَيَانِ هُوَ أَنْ يَخْتَرِعَ المُتَكَلِّمُ مَعَانِيَ غَيرَ مَسبُوقٍ إِلَيهَا، وَهوَ ضَربَانُ:

أَحَدُهُمَا: مَا يَحْدُثُ عِندَ الحَوَادِثِ المُتَجَدِّدَةِ، وَذَلِكَ كَمَا قَالَ المُتَنَبِّي[2] لَمَّا عَصَفَت الرِّيحُ بِخَيمَةِ سَيفِ الدَّولَةِ[3] وَسَقَطَتْ،

(١) ديوان الشريف المرتضى ١/ ٤١-٤٢، وينظر: بحار الأنوار ١٠٤/ ٢٠ ٢١، وينظر: خاتمة المستدرك ٣/ ٢١١.

(٢)أَبُو الطَّيِّبِ المُتَنَبِّي: أَحمَدُ بنُ الحُسَينِ بنِ الحَسَنِ بنِ عَبدِ الصَّمَدِ الجُعفِيُّ الكُوفِيُّ الكِندِيُّ، أَبُو الطَّيِّب المُتَنَبِّي: الشَّاعرُ الحَكيمُ، وَأَحَدُ مَفَاخِرِ الأَدبِ العَربِيِّ. لَهُ الأَمثَالُ السَّائِرةُ وَالحِكَمُ البَالِغَةُ وَالمَعَانِي المُبتَكَرةُ. وَفِي عُلَمَاءِ الأَدَبِ مَن يَعُدُّهُ أَشعَرَ الإِسلامِيِّينَ. وُلِدَ فِي الكُوفَةِ فِي مَحلَّةٍ تُسمَّى (كِندَة) وَإِلَيهَا نِسبَتُهُ. وَنَشَأَ فِي الشَّامِ، ثُمَّ تَنَقَّلَ فِي البَادِيةِ يَطلُبُ الأَدَبَ وَعِلمَ العَربيةِ وَأَيَّامَ النَّاسِ. وَقَالَ الشِّعرَ صَبِيًّا. قُتِلَ أَبو الطَّيبِ وَابنُهُ مُحسَّد وَغُلَامُه مُفْلِح بِالنُّعمَانِيَّةِ، بِالقُربِ مِن دَيرِ العَاقولِ قَتَلَه قَاطِعُ طُرُقٍ اسمُهُ فَاتِكُ سنة (٣٥٤هـ/ ٩٦٥م). وَأَخبَارُهُ كَثيرةٌ جِدًّا. له ترجمة في: تأريخ بغداد ٤/ ٣٢٤، وتأريخ دمشق ٧١/ ٧٦، وبغية الطلب ٢/ ٦٣٩، ووفيات الأعيان ١/ ١٢٠، وتأريخ الإسلام ٨/ ٦٥، والوافي بالوفيات ٦/ ٢٠٨، ولسان الميزان ١/ ١٥٩، ونزهة الألباب ٢/ ٣٠٩، وديوان الإسلام ٤/ ١٨٥، والأعلام ١/ ١١٥، ومعجم المؤلِّفين ١/ ٢٠١.

(٣) سَيْف الدَّولَة الحَمْدانيُّ: عَليُّ بنُ عَبدِ الله بنِ حَمدَانَ التَّغلُبيُّ الرِّبعيُّ، أَبو الحَسَنِ، الأميرُ، صَاحِبُ المُتَنَبِّي وَمَمْدُوحِهِ. يُقَالُ: لَم يَجتَمِعْ بِبَابِ أَحَدٍ مِنَ المُلوكِ بَعدَ الخُلَفَاءِ مَا اجْتَمَعَ بِبَابِ سَيفِ الدَّولَةِ مِن شُيوخِ العِلمِ وَنُجُومِ الدَّهرِ! وُلِدَ فِي مَيافَارقينَ (بِدِيَارِ بَكرٍ)، وَنَشَأَ شُجَاعًا مُهَذَّبًا عَالِيَ الهِمَّةِ. وَمَلَكَ وَاسِطًا وَمَا جَاوَرَهَا. وَمَالَ إِلَى الشَّامِ فَامتَلَكَ دِمشقَ. وَعَادَ إِلَى حَلَب فَمَلَكَهَا سَنةَ (٣٣٣هـ)، وَتُوفِّيَ فِيهَا سَنَةَ (٣٥٦هـ/ ٩٦٧م) وَدُفِنَ فِي مَيافَارقِينَ. أَخبَارُهُ وَوَقَائِعُه=

فَتَطَيَّرَ سَيفُ الدَّولَةِ مِنْ ذَلِكَ:[1] [من المتقارب]

١. تَضِيقُ بِشَخْصِكَ أَرْجَاؤُهَا ... وَيَرْكُضُ فِي الوَاحِدِ الجَحْفَلُ[2]

٢. فَلَا تُنْكِرَنَّ لَهَا صَرْعَةً ... فَمِنْ فَرَحِ النَّفْسِ مَا يَقْتُلُ[3]

٣. وَلَمَّا أَمَرْتَ بِتَطْنِيبِهَا ... أُشْيِعَ بِأَنَّكَ لَا تَرْحَلُ

٤. فَمَا اعْتَمَدَ اللهُ تَقْوِيضَهَا ... وَلَكِنْ أَشَارَ بِمَا تَفْعَلُ

أَي أَشَارَ بِمَا تَفْعَلُهُ مِنَ الارْتِحَالِ.

وَكَمَا قَالَ ابنُ عُنَينٍ[4] لَمَّا كَانَ الإِمَامُ فَخرُ الدِّينِ الرَّازِيُّ يَجلِسُ لِلْوَعْظِ، وَأَقْبَلَتْ حَمَامَةٌ وَخَلْفَهَا صَقْرٌ، فَأَلْقَتْ نَفْسَهَا فِي حِجرِ الإِمَامِ:[5] [الكامل]

=مَعَ الرُّوم كَثيرةٌ. وَكَانَ كَثيرَ العَطَايَا، مُقَرِّبًا لِأَهلِ الأَدَبِ، يَقولُ الشِّعرَ الجَيدَ الرَّقِيقَ، وَقَد يُنسَبُ إِلَيهِ مَا لَيسَ لَهُ. له ترجمة في: يتيمة الدهر ١/ ٣٧، ووفيات الأعيان ٣/ ٤٠١، وتأريخ الإسلام ٨/ ١٠٢، وسير أعلام النُّبلاء ١٦/ ١٨٧، والوافي بالوفيات ٢١/ ١٢٦، وديوان الإسلام ٣/ ٢٩، والأعلام ٤/ ٣٠٣.

(١) ديوان المتنبِّي ٢٩٥.

(٢) في (الأصل): (يضيق لشخصك) في محل (تضيق بشخصك).

(٣) في (الأصل): (ولا تنكرنَّ) في محل (فلا تنكرنَّ).

(٤) ابن عُنَين الشَّاعرُ: أَبو المَحَاسِنِ مُحمَّدُ بنُ نَصر بنِ الحُسَين بنِ عُنينٍ الأَنصَارِيُّ، المُلقَّبُ شَرَفُ الدِّينِ، الكُوفيُّ الأَصلِ، الدِّمشقِيُّ المَولِدُ، الشَّاعِرُ المَشهورُ، كَانَ خَاتمَةَ الشُّعَرَاءِ لَم يَأتِ بَعدَهُ مِثلُهُ، وَلَا كَانَ فِي أَوَاخِرِ عَصرِهِ مَن يُقَاسُ بِهِ، وَلَم يَكن شِعرُهُ مَعَ جَودَتِهِ مَقْصورًا عَلَى أُسلُوبٍ وَاحِدٍ بَل تَفَنَّنَ فِيهِ، وَكَانَ غَزيرَ المَادَّةِ مِنَ الأَدبِ مُطَّلِعًا عَلَى مُعظَمِ أَشعَارِ العَربِ. توفِّي سنة (٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م). له ترجمة في: تأريخ بغداد ١٥/ ٨٧، إكمال الإكمال ٤/ ٢٠٧، وتأريخ إربل ٢/ ٦٤٧، ووفيات الأعيان ٥/ ١٤، وسير أعلام النُّبلاء ٢٢/ ٣٦٣، وتبصير المنتبه ٣/ ٩٧٥، والأعلام ٧/ ١٢٥، ومعجم المؤلِّفين ١٢/ ٧٩.

(٥) الخبر والشعر في معجم الأدباء ٦/ ٢٥٨٨، وتأريخ الإسلام- بشار ١٣/ ١٣٧، أعيان العصر ٥/ ١٢٣، والوافي بالوفيات ٤/ ١٧٨، روض الأخيار ١٦٦، والكشكول، البهائيّ ٢/ ٣٢، ومجاني الأدب ٣/ ١٦١.

١. جَاءَتْ سُلَيْمَانَ الزَّمَانِ حَمَامَةٌ وَالمَوتُ يَلمَعُ مِنْ جَنَاحَيْ خَاطِفِ
٢. مَنْ نَبَّأَ الوَرْقَاءَ أَنَّ مَحلَّكُمْ حَرَمٌ وَأَنَّكَ مَلْجَأٌ لِلْخَائِفِ

وَقَد وَقَعَ لِأَبِي تَمَّامٍ أَيضًا لَمَّا أَنْشَدَ المُعْتَصِم قَصِيدَتَهُ الَّتِي قَالَ فِيهَا:(١) [من الكامل]

إِقْدَامُ (عَمرٍو) فِي سَمَاحَةِ (حَاتِمٍ) فِي حِلْمِ (أَحْنَفَ) فِي ذَكَاءِ (إِيَاسِ)(٢)

وَقَالَ لَهُ يعقوبُ بن إِسْحَاق الكِنْدِيّ(٣): أَمِيرُ المُؤمِنِين أَكبَرُ مِن كُلِّ شَيءٍ وَمِمَّن شَبَّهْتَهُ بِهِ.

فَرَدَّ عَلَيهِ بَدِيهًا:(٤) [الكامل]

١. لَا تُنْكِرُوا ضَرِبِي لَهُ مَنْ دُونَهُ مَثَلًا شَرُوادًا فِي النَّدَى وَالبَاسِ
٢. فَاللهُ قَدْ ضَرَبَ الأَقَلَّ لِنُورِهِ مَثَلًا مِنَ المُشْكَاةِ وَالنِّبْرَاسِ

(١) ديوان أبي تمَّام ٢/ ٢٤٩.

(٢) عَمرو: هوَ عَمرو بنُ مَعدِ يكَرِب الفَارِسُ المَشهُورُ، وَحَاتِم: هُو حَاتِمُ الطَّائِيُّ أَشهَرُ مَن عُرِفَ بِالكَرمِ مِنَ العَربِ قَبلَ الإسلام، وَأَحنَفُ: هُوَ أَحنفُ بنُ قَيسٍ زَعِيمُ تَمِيمَ البَصرَةِ فِي العَصرِ الأَمويِّ، وَكَانَ يَشتَهِرُ بِحِلمِهِ، وَإِياسُ: هُو إِياسُ بنُ مُعاوِيةَ قَاضِي البَصرَةِ حِينَئِذٍ، وَكَانَ يَشتَهِرُ بِذَكَائِهِ.

(٣) في (الأصل): (إِسْحَاقُ الكِنْدِيّ) في موضع (يعقوب بن إسحاق الكنديّ).
- يَعقوبُ بنُ إِسحَاقَ بنِ الصَّبَاحِ الكِنْدِيُّ، أَبو يُوسُفَ: فَيلسُوفُ العَربِ وَعَصرِ الإسلام في وَقتِهِ، وَأَحدُ أَبنَاءِ المُلوكِ مِن كِندَةَ. نَشَأَ فِي البَصرَةِ، وَانْتَقَلَ إِلَى بَغدَادَ، فَتَعَلَّمَ وَاشْتَهَرَ بِالطِّبِ وَالفَلسَفَةِ وَالمُوسِيقَى وَالهَندَسَةِ وَالفَلَكِ. وَأَلَّفَ وَتَرجَمَ وَشَرَحَ كُتبًا كَثِيرةً، يَزيدُ عَدَدُهَا عَلَى ثَلَاثِمِئَةٍ. وَلَقِي فِي حَيَاتِهِ مَا يَلقَاهُ أَمثَالُهُ مِنَ فَلَاسِفَةِ الأُمَمِ، فَوُشِيَ بِهِ إِلَى المُتَوَكِّلِ العَبَّاسِيِّ، فَضُرِبَ وَأُخِذَت كُتُبُه، ثُمَّ رُدَّت إِلَيهِ. وَأَصَابَ عِندَ المَأمونِ وَالمُعتَصِمِ مِنزلَةً عَظِيمَةً وَإِكرَامًا. قِيلَ: لَم يَكُن فِي الإسلام غَيرُه احتَذَى فِي تَوالِيفِهِ حَذوَ أَرسطَاطَالِيسَ. تُوُفِّيَ (نحو ٢٦٠هـ/ نحو ٨٧٣م). مِن كتبه: (رسالة في التنجيم)، و(اختيارات الأيَّام)، و(تحاويل السنين)، وغيرها كثير.
له ترجمة في: أخبار العلماء ٢٧٣، وسير أعلام النُّبلاء ١٢/ ٣٣٧، وتأريخ الإسلام ٦/ ٥١٤، والأعلام ٨/ ١٩٥.

(٤) ديوان أبي تمَّام ٢/ ٢٥٠.

فَتَعَجَّبَ الحَاضِرُونَ مِنْ فِطنَتِهِ وَذَكَائِه.

وَثَانِيهِمَا: مَا يُبْتَدَعُ مِنْ غَيرِ شَاهِدِ حَالٍ، كَمَا قَالَ أَبو الطَّيبِ المُتَنَبِّي فِي كَافُور:(١) [من الطويل]

فَجَاءَت بِنَا إِنْسَانَ عَينِ زَمَانِهِ وَخَلَّتْ بَيَاضًا خَلْفَهَا وَمَآقِيَا

وَقَولُهُ أَيْضًا:(٢) [من البسيط]

١.صَدَمْتَهُمْ بِخَمِيسٍ أَنْتَ غُرَّتُهُ وَسَمْهَرِيَّتُهُ فِي وَجْهِهِ غَمَمُ
٢.فَكَأَنَّ أَثْبَتَ مَا فِيهِم جُسُومُهُم يَسْقُطْنَ حَولَكَ، وَالأَرْوَاحُ تَنْهَزِمُ

وَجَاءَ قَولُ بَعضِ المَغَارِبَةِ فِي الخَمْرِ أَبْدَعَ مَا يَكون:(٣) [من الكامل]

١.ثَقُلَتْ زُجَاجَاتٍ أَتَتْنَا فُرَّغًا حَتَّى إِذَا مُلِئَتْ بِصِرفِ الرَّاحِ
٢.خَفَّتْ فَكَادَتْ أَنْ تَطِيرَ بِمَا حَوَتْ وَكَذَا الجُسُومُ تَخِفُّ بِالأَرْوَاحِ

وَقَالَ الأَصْمَعِي: قَالَ لِي الرَّشِيدُ(٤) يَومًا: قَدْ أَحسَنَ الأَخْطَلُ فِي قَولِهِ:(٥) [من الطويل]

---

(١) ديوان المتنبِّي ٤٤١.

(٢) ديوان المتنبِّي ٤٢٠.

(٣) البيتان: في البديع في نقد الشعر ٢٢٧، نسبهما للشاعر ابن هانئ الأندلسيّ، وقد خلا منهما ديوانه، وفي: خزانة الحمويّ ١/ ٤٦٣، لإدريس بن السمّان، وفي ونفح الطيب ٤/ ٧٥، وزهر الأكم ٢/ ١٦٢، لأبي عليّ إدريس بن اليمانيّ، وفي حماسة القرشيّ ٤٧٦، نُسِبا لأبي نواس، وقد خلا منهما ديوانه.

(٤) هُوَ هَارونُ الرَّشِيدُ بنُ مُحمَّدٍ المَهدِيِّ بنِ أَبِي جَعفَرٍ المَنصورِ، خَامِسُ خُلفَاءِ بَنِي العَبَّاسِ، وَكَانَت خِلَافَتُهُ مِن سَنةِ سَبعينَ وَمِئَةٍ إِلَى سَنةِ ثَلاثٍ وَتِسعِينَ وَمِئَةٍ.
انظر: تاريخ بغداد ١٤/ ٦، وتأريخ دمشق ٧٣/ ٢٨٥، وفوات الوفيات ٤/ ٢٢٥، والأعلام ٨/ ٦٢.

(٥) ديوان الأخطل ٢٢٤.

تَـدُبُّ دَبِـيـبًـا فِي الـعِـظَـامِ كَـأَنَّـمـا دَبِـيـبَ نَـمَـالٍ فِي نَـقًـا يَـتَـهَـيَّـلُ[1]

فَقُلتُ: أَحسَنُ مِنهُ قَولُ أَبِي نُوَاسٍ:[2] [من الطويل]

إِذَا مَـا أَتَـتْ دُونَ الـلَّـهَـاةِ مِـنَ الفَتَى دَعَـا هَمُّـهُ مِـنْ صَـدْرِهِ بِـرَحِـيـلِ

[٣]- الشِّعرُ المُحَرَّمُ عَلَى المُسْلِمِ نَظْمُهُ. وَالحَرَامُ وَهوَ مَا يُحرَمُ عَلَى المَرءِ أَن يَرْتَكِبَهُ بِنَظمِهِ؛ لِئَلَّا يَكونَ مُطَوَّقًا بِإِثْمِهِ، كَالهِجَاءِ لِلمُؤْمِنِينَ، وَالاسْتِخْفَافِ بِهِم، وَكَشْفِ مَعَايِبِهِم، وَمَا شَاكَلَ ذَلِكَ مِنْ هَذِهِ المُحَرَّمَاتِ، كَالغَزَلِ، إِذَا قُصِدَ بِهِ نِسَاءٌ مَعلومَاتٌ، وَأَشَـدُّ مِنهُ حُرمَةً إِذَا كُنَّ مُحَصَّنَاتٍ، فَيَجِبُ عَلَى المُسْلِمِ أَنْ لَا يَرتَكِبَ ذَلِكَ فِيهِنَّ، وَلَو كُنَّ مُشْرِكَاتٍ، وَقَد وَقَعَ فِي ذَلِكَ كَثِيرٌ مِنَ شُعَرَاءِ الجَاهِلِيِّينَ، وَسَلَكَ فِي ذِلِكَ المَنهَجِ الجَمُّ الغَفِيرُ مِنْ شُعَرَاءِ المُسلِمِينَ، فَمِنْ جُملَةِ مَن اقْتَرَفَ هَذَا الذَّنبَ مِن شُعَرَاءِ الجَاهِلِيِّينَ النَّابِغَةُ الذُّبْيَانِيُّ؛ وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ[3] مختصًّا بِالنُّعْمَانِ بنِ المُنْذِرِ[4]،

(١) النَّقا: مِنْ كُثْبان الرَّمْلِ. (اللسان ١٥/ ٣٣٩)

(٢) ديوان أبي نواس ٣/ ٢٣٠.

-أَبُو نُوَاس: الحَسَنُ بنُ هَانِئِ بنِ عَبدِ الأَوَّلِ بنِ صَبَاحٍ الحَكَمِيُّ بِالوَلَاءِ، شَاعِرُ العِرَاقِ فِي عَصرِهِ. وُلِدَ فِي الأَهوَازِ (مِن بِلَادِ خُوزستَانَ)، وَنَشَأَ بِالبَصرَةِ، وَرَحَلَ إِلَى بَغدَادَ؛ فَاتَّصَلَ فِيهَا بِالخُلَفَاءِ مِن بَنِي العَبَّاسِ، وَمَدحَ بَعضَهم، وَخرجَ إِلَى دِمشقَ، وَمِنهَا إِلَى مِصرَ، فَمَدَح أَمِيرهَا الخَصيبَ، وَعَادَ إِلَى بَغدَادَ فَأَقَامَ إِلى أَن تُوفِّي فِيهَا سنة (١٩٨هـ/ ٨١٤م)، وقد نظم في جميع أنواع الشعر، وأجود شعره خمرياَّته. له (ديوان شعر)، وأخباره كثيرة. له ترجمة في: طبقات الشعراء ١٩٣، وتأريخ بغداد ٧/ ٤٤٩، وتأريخ دمشق ١٣/ ٤١٠، ونزهة الألباء ٦٥، ووفيات الأعيان ٢/ ٩٥، وتأريخ الإسلام ٤/ ١٢٧٠، وسير أعلام النُّبلاء ٩/ ٢٧٩، وميزان الاعتدال ٤/ ٥٨١، ولسان الميزان ٧/ ١١٥، والأعلام ٢/ ٢٢٤، ومعجم المؤلِّفين ٣/ ٣٠٠.

(٣) الخبر والشعر في: معاهد التنصيص ١/ ٣٣٤، والعقد المفصَّل ١/ ١٩٨.

(٤) النُّعمانُ بنُ المُنذِرِ: النُّعمانُ (الثَّالِثُ) ابنُ المُنذِرِ (الرَّابِعِ) ابنُ المُنذِرِ بنِ امرِئِ القَيسِ اللَّخْمِيُّ، أَبو قَابوس: مِن أَشهَرِ مُلوكِ الحِيرَةِ فِي الجَاهِلِيَّةِ. كَانَ دَاهيةً مِقدَامًا، وَهوَ مَمْدُوحُ النَّابِغَةِ الذُّبيَانِيِّ وَحَسَّانِ بنِ ثَابِتٍ وَحَاتِمِ الطَّائِيِّ، وَهوَ صَاحِبُ إِيفَادِ العَربِ عَلَى كِسرَى، وَبَانِي مَدينةِ (النعمانيَّة) عَلَى ضِفَّةِ دِجلَةِ اليُمنَى، وَصَاحِبُ يَومَي البُؤسِ وَالنَّعيمِ، كَانَ أَبرَشَ أَحمَرَ الشَّعرِ، قَصيرًا. مَلَكَ=

وَكَانَ مِنْ نُدَمَائِهِ[1].

كُثَيِّرٌ وَعَزَّةُ[2] وَأَعْجَبُ مَا كَانَ بَينه وَبَيْنَهَا

وَمِن جُملَةِ مَن وَقَعَ فِيهِ مِن شُعَرَاءِ الإِسلَامِيِّينَ كُثَيِّرٌ عَزَّةَ، حِينَ عَلِقَ قَلبُهُ حُبَّهَا وَاشْتَهَرَ بِهَا مَا بَينَ العَالَمِينَ وَقَد كَانَت أَيْضًا مُحَصَّنةً، وَلَهُ فِيهَا قَصَائِدُ وَمَقَاطِيعُ هِي فِي كُتُبِ المُؤَرِّخِينَ مُدَوَّنَةٌ، مِنهَا قَصِيدَتُهُ التَّائِيَّةُ، وَهيَ مِن نَفَائِسِ عُقُودِهِ وَبَدَائِعِ فَرِيدِهِ، قَدْ

=الحِيرةَ إِرثًا عَن أَبيهِ، نَحو سَنةِ (٥٩٢م)، وَكَانَت تَابعةً لِلفُرسِ، فَأَقَرَّهُ عَلَيهَا كِسرَى، فَاستَمَرَّ إِلَى أَن نَقَمَ عَلَيهِ كِسرى (أبرويز)، فَعَزَلَهُ وَنَفَاهُ إِلَى خَانِقِينَ، فَسُجِنَ فِيهَا إِلَى أَن مَاتَ. وَقيلَ: أَلقَاهُ تَحتَ أَرجُلِ الفِيَلَةِ، فَوَطِئَتهُ، فَهَلَكَ، وذلك (نحو ١٥ق.هـ/ نحو ٦٠٨م).

ينظر: البدء والتاريخ ٣/ ٢٠٤، والأعلام ٨/ ٤٣، والمفصَّل ٥/ ٢٠٢.

(١) تمَّ حذف فقرة تتعلَّق بالنابغة الذُّبيانيّ والنُّعمان بن المنذر والمتجرِّدة، وما ضمَّت من شعر النابغة، وحوارٍ بين النابغة وأبي نواس؛ لعدم ملاءمة ما جاء فيها مع منهج العتبة العبَّاسيَّة المقدَّسة في طرح الموضوعات المختلفة.

(٢) كُثَيِّر عَزَّة: كُثَيِّرُ بنُ عَبدِ الرَّحمنِ بنِ الأَسوَدِ بنِ عَامرٍ الخُزَاعِيُّ، أَبو صَخرٍ: شَاعِرٌ، مُتَيَّمٌ مَشهورٌ. مِن أَهلِ المَدينَةِ. أَكثرُ إِقَامَتِهِ في مِصر. وَفَدَ عَلَى عَبدِ المَلِكِ بنِ مَروَانَ، فَازْدَرَى مَنظَرَهُ، وَلَمَّا عَرفَ أَدَبهُ رَفَعَ مَجلِسَهُ، فَاختَصَّ بِهِ، وَكَانَ مُفْرِط القِصَرِ دَمِيمًا، فِي نَفْسِهِ شَمَمٌ وَتَرَفُّعٌ. يُقَالُ لَهُ: ابن أبي جمعة، وكُثَيِّرٌ عَزَّةَ، والملحيّ، نَسبَةً إِلَى بَنِي مَليحٍ، وَهُم قَبيلَتُهُ، قِيلَ: كَانَ شَاعِرَ أَهلِ الحِجَازِ فِي الإِسلام، لَا يُقَدِّمُونَ عَلَيهِ أَحَدًا. له (ديوان شعر) وأَخبَارُهُ كَثيرةٌ. توفِّي (١٠٥هـ/ ٧٢٣م). ينظر: معجم الشعراء ١/ ٣٠١، وتأريخ دمشق ٥٠/ ٧٦، ووفيات الأعيان ٤/ ١٠٦، ومختصر تأريخ دمشق ٢١/ ١٥٢، وتأريخ الإسلام ٣/ ١٤٤، والأعلام ٥/ ٢١٩، ومعجم المؤلِّفين ٨/ ١٤١.

- عَزَّةُ صَاحِبةُ كُثَيِّر: هِيَ عَزَّةُ بِنتُ جَميلِ بنِ حَفصِ بنِ إِيَاسِ بنِ عَبدِ العِزَّى، يَتَّصلُ نَسبُهَا إِلَى عَبدِ مَنَافٍ، عَلقَهَا كُثَيِّرٌ جَاريَةً قَد كَعَبت نُهُودُهَا. وَكَانَ سَببُ دُخولِ الهَوَى بَينَهُمَا أَنَّ كَثيرًا مَرَّ بِغَنَمٍ لَهُ تَردُ المَاءَ عَلَى نِسوَةٍ مِن ضَمرةٍ بِوَادِي الحَبتِ، فَأَرسَلنَ لَهُ عَزَّةَ بِدُرَيْهِمَاتٍ تَشْتَرِي بِهَا كَبشًا لَهُنَّ مِنهُ، فَنَظَرَهَا نَظرةَ تَأَمُّلٍ فَدَاخَلَهُ مِنهَا مَا كَان، فَرَدَّ الدَّرَاهِمَ وَأَعطَاهَا الكَبشَ وَقَالَ: إِن رَجَعتُ أَخَذتُ حَقِّي، فَلَمَّا عَادَ سَأَلنَهُ ذَلِكَ فَقَالَ: لَا أَقْتَضِي إِلَّا مِن عَزَّةَ فَقلنَ لَهُ: لَيسَ فِيهَا كَفَاءَة فَاخْتَر إِحْدَانَا فَأَبَى وَأَنشَدَ شِعرًا فَكَانَت البِدَايةُ. ينظر: تأريخ إربل ٢/ ٢٨٣، ووفيات الأعيان ٤/ ١٠٧، والدر المنثور ٣٤٣، والأعلام ٥/ ٢١٩، ومعجم المؤلِّفين ٨/ ١٤٢.

أَنْشَأَهَا لِقَضِيَّةٍ صَدَرَتْ لَهُ مَعَهَا، فَأَجَادَ نَظْمَهَا.

وَقَدْ قِيلَ لَه[1] مَا أَعجَبَ مَا مَرَّ بِكَ فِي حُبِّ عَزَّةَ، قَالَ: حَجَجْتُ فَكُنتُ فِي رَكبٍ هِيَ فِيهِ وَأَنَا لَا أَدرِي، وَأَرسَلَهَا زَوجُهَا تَبتَاعُ أَدمًا تُصْلِحُ بِهِ طَعَامًا، فَوَقَفَتْ عَلَيَّ أُبْرِي سِهَامًا، فَلَمَّا نَظرتُهَا بَهَتُّ إِلَيهَا وَجَعلتُ أُبرِي سَاعِدِي وَأَنَا لَا أَدرِي، فَلَمَّا رَأَتِ الدَّمَ دَخَلَت عَلَيَّ وَجَعَلَت تَمسَحُ الدَّمَ بِثِيَابِهَا، فَسَألتُهَا عَنْ شَأنِهَا فَأَخبَرتنِي، فَقُمتُ إِلَى أَكَاةِ سِمنٍ عِندِي فَجَعلتُ أُحَدِّثُهَا وَأَصُبُّ فِي الإِنَاءِ الَّذِي مَعَهَا حَتَّى امْتَلأَ وَفَاضَ مِن بَينِ أَرجُلِنَا وَلَا نَدري بِهِ، فَلَمَّا رَجَعَتْ إِلَى زَوجِهَا اسْتَبطَأَهَا وَرَأَى الدَّمَ عَلَى ثِيابِهَا فَأَنكَرَهُ، وَعَزَمَ عَلَيهَا إِلَّا أَن أَخْبَرتهُ فَحَلَفَ عَلَيهَا لَتَقِفَنَّ عَلَي وَتَشْتِمُنِي فِي وَجهِي، فَجَاءَ حَتَّى وَقَفَ بِهَا عَلَيَّ وَهِيَ تَبكِي، فَقَالَتْ: يَابنَ الزَّانِيةِ، وَذَلِكَ حَيثُ أَقولُ:[2] [من الطويل]

١. يُكَلِّفُهَا الـغَـيْرَانُ شَتْمِي وَمَـا بِهَا ... هَـوَانِي وَلَـكِـنْ لِلْمَلِيكِ اسْـتَـذَلَّـتِ

٢. هَـنِيـئًـا مَـرِيـئًـا غَـيرَ دَاءٍ مُـخَـامِرٍ ... لِـعَـزَّةَ مِـن أَعـرَاضِـنَـا مَـا اسْتَحَلَّتِ[3]

وَهَذَانِ البَيتَانِ مِنَ القَصِيدَةِ الَّتِي أَشَرنَا إِلَيهَا:[4]

١. خَلِيلَيَّ هَـذَا رَبْـعُ عَـزَّةَ فَـاعْـقِـلا ... قَلُوصَيْكُمَا ثُـمَّ ابْكِيَا حَيْثُ حَلَّتِ[5]

(١) الشعر والشعراء ١/ ٥٠٥، وأمالي القالي ٢/ ١٠٧، الأمالي للسيِّد المرتضى ٤/ هامش ص١٣٩، والتذكرة الحمدونيَّة ٦/ ١٧٢، والحماسة البصريَّة ٢/ ١٢٣، وخزانة البغداديّ ٥/ ٢١٧.

(٢) ديوان كثير ٩٩-١٠٠، وفيه: (الخنزير) في موضع (الغيران).

(٣) قِيلَ لِكُثَيِّرٍ: أَنتَ أَشْعَرُ أَم جَمِيلٌ؟.

فَقَالَ: بَلْ أَنَا، فَقِيلَ لَهُ: أَتقُولُ هَذَا وَأَنْتَ رَاوِيَتُه؟.

فَقَالَ: جَمِيلُ الَّذِي يَقولُ: (من الطويل)

رَمَـى اللهُ فِي عَـيْـنَـيْ بُـثَـيْـنَـةَ بِـالـقَـذَى ... وَفِي الـغُـرِّ مِـنْ أَنْـيَـابِـهَـا بِـالـقَـوَادِحِ

وَأَنَا أَقُولُ:

هَـنِـيـئًـا مَـرِيـئًـا غَـيْـرَ دَاءٍ مُخَـامِـرٍ ... لِـعَـزَّةَ مِـنْ أَعْـرَاضِـنَـا مَـا اسْـتَـحَـلَّـتِ

(٤) ديوان كثير عزة: ٩٥-١٠٣.

(٥) في الأصل: (احللا) في موضع (ابكيا).

٢.وَمَا كُنْتُ أَدرِي قَبلَ عَـزَّةَ مَا البُكَا وَلَا مُوجِعَاتِ القَلْبِ حَتَّى تَوَلَّتِ[١]
٣.وَكَانَتْ لِقَطْعِ الحَبْلِ بَيْنِي وَبَيْنِهَا كَـنَـاذِرَةٍ نَـذْرًا وَفَـتْ فَـاحَـلَّـتِ[٢]
٤.فَقُلْتُ لَهَا: يَا عَزُّ كُلُّ مُصِيبَةٍ إِذَا وُطِّنَتْ يَومًا لَهَا النَّفْسُ ذَلَّتِ
٥.فَإِنْ سَأَلَ الوَاشُونَ فِيمَ صَرَمْتَهَا؟! فَقُلْ: نَفْسُ حُرٍّ سُلِّيَتْ فَتَسَلَّتِ[٣]
٦.كَأَنِّي أُنَادِي صَخْرَةً حِينَ أَعْرَضَتْ مِنَ الصُّمِّ لَوْ تَمشِي بِهَا العُصْمُ زَلَّتِ[٤]
٧.صَفُوحٌ، فَمَا تَلقَاكَ إِلَّا بَخِيلَةً فَمَنْ مَلَّ مِنهَا ذَلِكَ الوَصلَ مَلَّتِ
٨.أَبَاحَتْ حِمًى لَمْ يَرعَهُ النَّاسُ قَبلَهَا وَحَلَّتْ تِلَاعًا لَمْ تَكُنْ قَبلُ حُلَّتِ
٩.وَكُنْتُ كَذِي رِجلَينِ رِجلٌ صَحِيحَةٌ وَرِجلٌ رَمَى فِيهَا الزَّمَانُ فَشَلَّتِ[٥]

(١) في بعض: (القلب) في موضع (البين).
(٢) في الأصل: (وَأَحَلَّتِ) في موضع (فَأَحَلَّتِ).
(٣) في الأصل: جاء صدر البيت برواية: (وإن سأل الواشون كيف صرمتها).
(٤) العُصمُ: جَمعُ الأَعصَمِ، والأَعْصَمُ مِنَ الظِّباءِ والوُعُولِ: مَا فِي ذِراعَيْهِ بَياضٌ شِبْهُ زَمَعَةِ الشَّاةِ فِي رجلِ الوَعِلِ.(التاج ٣٣/ ١٠٢).
(٥) قَالَ أَبو حيَّان التَّوحِيديّ (المتوفَّى نحو ٤٠٠هـ): الشَّيْن مَفتُوحَةٌ، وَلَقَد غَلَطَ فِيهَا مَرَّةً مَسكَويه وَكَابَرَ إِلَى أَن فَضَحَتهُ المِحنَةُ، وَسَوَّرتهُ المُواقَعَةُ وَالإِعجَابُ مَصرَعَهُ؛ وَقَلَّ مَنْ تَكَبَّرَ عَلَى النَّاسِ وَحَقَّرَ أَهلَ الفَضلِ إِلَّا عَاجَلَتهُ العُقوبَةُ، وَنَهَكَتهُ اللَّائِمَةُ، وَأَمكَنَ مِنهُ الدَّهرُ. (البصائر والذخائر ٢/ ٢٢١).
الشَّلَلُ: يُبْسُ اليَدِ وذَهابُها، وَقِيلَ: هُوَ فَساد فِي الْيَدِ، شَلَّتْ يَدُه تَشَلُّ بِالْفَتْحِ شَلًّا وشَلَلًا وأَشَلَّها اللهُ. (خزانة البغدادي ٥/ ٢١٢، واللسان ١١/ ٣٦٠). وَقَالَ الْفَرَّاءُ: لَا يُقَالُ شُلَّتْ يَدُه، وإِنَّما يُقَالُ أَشَلَّها اللهُ. (اللسان ١١/ ٣٦١).
قال النجاشيّ:
وَكُنتُ كَذِي رِجْلَينِ رِجْلٌ سَوِيَّةٌ وَرِجْلٌ بِهَا رَيْبٌ مِنَ الحَدَثَانِ
ديوان النجاشيّ ٦٤.
فَأَخَذَ كُثَيِّر القِسمَ الأَوَّلَ وَاهتَدَمَ بَاقِي البَيتِ فَجَاءَ بِالمَعنَى فِي غَيرِ اللَّفْظِ، فَقَالَ: وَرِجلٌ رَمَى فِيهَا الزَّمَانُ فَشَلَّتِ. ومفعول رمى مَحْذُوف تَقْدِيره: رمى فِيهَا الزَّمَان دَاء فشلت.
ذَكَرَ ذَلِكَ ابنُ رَشِيقٍ مِثَالًا عَلَى الاهتِدَامِ فِي البَيتِ الشِّعرِيِّ. (العمدة ٢/ ٢٧٨، وخزانة البغداديّ ٥/ ٢١٤).

١٠.وَوَاللهِ مَا قَارَبْتُ إِلَّا تَبَاعَدَتْ ... بِصَرمٍ، وَلَا أَكْثَرْتُ إِلَّا أَقَلَّتِ
١١.وَبِي زَفَرَاتٌ لَوْ يَدُمْنَ قَتَلْنَنِي ... تُوَالِي الَّتِي تَأْتِي الَّتِي قَدْ تَوَلَّتِ[١]
١٢.فَإِنْ تَكُنِ العُتْبَى فَأَهلًا وَمَرْحَبًا ... وَحُقَّتْ لَهَا العُتبَى لَدَينَا وَقَلَّتِ
١٣.وَإِن تَكُنِ الأُخرَى فَإِنَّ وَرَاءَنَا ... مَنَادحَ لَو سَارَتْ بِهَا العِيسُ كَلَّتِ[٢]
١٤.أَسِيئِي بِنَا، أَوْ أَحْسِنِي، لَا مَلُومَةٌ ... لَدَينَا، وَلَا مَقْلِيَّةٌ إِنْ تَقَلَّتِ[٣]
١٥.فَمَا أَنَا بِالدَّاعِي لِعَزَّةَ بِالجَوَى ... وَلَا شَامِتٌ إِنْ نَعلَ عَزَّةَ زَلَّتِ[٤]
١٦.فَلَا يَحسَبُ الوَاشُونَ أَنَّ صَبَابَتِي ... بِعَزَّةَ كَانَتْ غَمْرَةً فَتَجَلَّتِ[٥]
١٧.فَوَاللهِ، ثُمَّ اللهِ، مَا حَلَّ قَبْلَهَا ... وَلَا بَعدَهَا مِنْ خُلَّةٍ حَيثُ حَلَّتِ[٦]
١٨.وَكُنَّا سَلَكنَا فِي صُعودٍ مِنَ الهَوَى ... فَلَمَّا تَوَافَينَا ثَبِتُّ وَزَلَّتِ
١٩.وَكُنَّا عَقَدنَا عُقْدَةَ الوَصْلِ بَيْنَنَا ... فَلَمَّا تَوَاثَقْنَا شَدَدْتُ وَحَلَّتِ
٢٠.فَوَا عَجَبًا لِلْقَلْبِ كَيفَ اعْتِرَافُهُ ... وَلِلنَّفْسِ لَمَّا وُطِّنَتْ كَيفَ ذَلَّتِ
٢١.وَلِلعَينِ تِذْرَافٌ إِذَا مَا ذَكَرْتُهَا ... وَلِلْقَلْبِ وُسْوَاسٌ إِذَا العَينُ مَلَّتِ[٧]

(١) في (الديوان): (ولي) في موضع (وبي)، و(المنى) في موضع (التي).
(٢) في (الديوان): (بلادًا إذا كلفتها) في موضع (منادح لو سارت بها).
- مَنَادِحُ جَمعُ مَندوحَةٍ، وَمَنْدُوحة ومُنْتَدَحٌ أَي سَعَة، يقال: وإنك لَفِي نُدْحةٍ ومَنْدُوحةٍ مِنْ كَذَا أَي سَعَةٍ. (اللسان ٢/ ٦١٣).
(٣) يُقَالُ للرَّجلِ إِذا أَقْلَقَه أَمْرٌ مُهِمٌّ فباتَ لَيْلَه ساهِرًا: باتَ يَتَقَلَّى، أَي يَتَقَلَّبُ على فِراشِه كأَنَّه على المِقْلَى؛ وَمِنْه مَثَلُ العامَّة: العُصْفُور يَتَفَلَّى والصيَّادُ يَتَقَلَّى. (التاج ٣٣/ ١٠٢).
(٤) في (الديوان): (بالردى) في موضع (بالجوى).
(٥) في (الأصل): (ولا) في موضع (فلا).
- الغَمْرة: المَاءُ الْكَثِيرُ؛ وَهيَ كِنَايةٌ لِقُوَّةِ رأْيه عِنْدَ الشَّدَائِدِ. (اللسان ٥/ ٢٩).
(٦) في (الديوان): (لا حل بعدها ولا قبلها) في موضع (ما حل قبلها ولا بعدها).
- أَرْضٌ خُلَّة. وخُلَلُ الأَرضِ: الَّتِي لَا حَمْض بِهَا. (اللسان ١١/ ٢١٢).
(٧) هذا البيت خلا منه الديوان، وفي (الأصل): (تسراب) في موضع (تذراف).

٢٢. وَإِنِّي وَتِهْيَامِي بِعَزَّةَ بَعدَمَا تَخَلَّيْتُ عَمَّا بَينَنَا وَتَخَلَّتِ[١]
٢٣. لَكَا لْمُرْتَجِي ظِلَّ الغَمَامَةِ كُلَّمَا تَبَوَّأَ مِنهَا لِلمَقِيلِ اضْمَحَلَّتِ
٢٤. كَأَنِّي وَإِيَّاهَا سَحَابَةُ مُمْحِلٍ رَجَاهَا فَلَمَّا جَاوَزَتْهُ اسْتَهَلَّتِ[٢]
٢٥. تَمَنَّيْتُهَا حَتَّى إِذَا مَا رَأَيْتُهَا رَأَيتُ المَنَايَا شُرَّعًا قَدْ أَطَلَّتِ[٣]

قَالَ أَئِمَّةُ هَذَا الفَنِّ: هَذِهِ القَصِيدَةُ مِن مُنْتَخَبَاتِ قَصَائِدِ كُثَيِّرٍ، وَهِيَ لُزُومِيَّةُ التَزَمَ فِيهَا اللَّامَ المُشَدَّدَةَ قَبلَ حَرفِ الرَّوِيِّ[٤]، وَقَد اُختلِفَ فِي مَعنَى قَولِهِ: (وَكُنْتُ كَذِي رِجلَينِ.. البيت)، «فَقَالَ الأَعلَمُ: تَمَنَّى أَنْ تَشَلَّ إِحدَى رِجلَيْهِ وَهوَ عِندَهَا حَتَّى لَا يَرحَلَ عَنهَا[٥]، وَقَالَ ابنُ سِيدَه لَمَّا خَانَتْ عَزَّةُ العَهْدَ فَزَلَّتْ، وَثَبُتَ هُوَ عَلَى عَهْدِهَا، صَارَ كَذِي رِجْلَينِ رِجْلٌ صَحِيحَةٌ وَهوَ ثَبَاتُهُ، وَأُخْرَى مَرِيضَةٌ وَهوَ زَلَلُهَا[٦]، وَقَالَ عَبدُ الدَّائِمِ مَعنَى البَيتِ أَنَّهُ بَينَ خَوفٍ وَرَجَاءٍ وَقُربٍ وَتَنَاءٍ[٧]، وَقَالَ بَعْضُهُمْ تَمنَّى أَنْ يَضِيعَ

(١) في (الديوان): (ممَّا) في موضع (عَمَّا).
(٢) في (بعض النسخ): (ممطر) في موضع (ممحل).
(٣) هذا البيت خلا منه الديوان.
(٤) حرف الروي في قصيدته هو التاء، وقبله التزم باللاَّم المشدَّدة.
(٥) خزانة البغداديّ ٥/ ٢١٣.
– الأَعْلَمُ الشَّنْتَمَرِيّ: يُوسفُ بنُ سُلَيمانَ بنِ عِيسَى الشَّنْتَمرِيّ الأَندَلُسِيّ، أَبو الحَجَّاجِ المَعروفُ بِالأَعلَم: عَالِمٌ بالأَدبِ وَاللُّغَةِ. وُلِدَ فِي شَنْتَمْرِي الغَرب، وَرَحَلَ إِلَى قُرطُبَةَ. وَكُفَّ بَصَرُه فِي آخِرِ عُمْرِهِ، كَانَ مَشقوقَ الشَّفَةِ العُليَا، فَاشْتَهَرَ بِالأَعلَمْ، وَمَاتَ فِي إِشْبِيلية سَنَةَ (٤٧٦/ ١٠٨٤م). وَمِن آثَارِهِ: (تحصيل عين الذهب) في شرح شَواهِد سِيبويه، و(شرح الشعراء الستة)، وَغَيرُهَا كَثِيرٌ. لَه تَرجمَة في: الذخيرة ٣/ ٥٢٤، ومعجم الأدباء ٦/ ٢٨٤٨، وتأريخ إربل ٢/ ٦٨٥، وإنباه الرواة ٤/ ٦٥، ووفيات الأعيان ٧/ ٨١، وتأريخ الإسلام ١٠/ ٤٠٠، وسير أعلام النُّبلاء ١٨/ ٥٥٥، ونكت الهميان ٣٠٠، والبلغة ٣٢٢، وبغية الوعاة ٢/ ٣٥٦، والأعلام ٨/ ٢٣٣، ومعجم المؤلِّفين ١٣/ ٣٠٢.
(٦) خزانة البغداديّ ٥/ ٢١٣.
(٧) خزانة البغداديّ ٥/ ٢١٣.

قَلُوصُهُ؛ فَيَبقَى فِي حَيِّ عَزَّةَ، فَيكونَ بِبَقَائِهِ فِي حَيِّهَا كَذِي رِجْلٍ صَحِيحَةٍ، وَيَكونُ فِي فَقدِ قَلُوصِهِ كَذِي رِجلٍ عَلِيلَةٍ[1]، قَالَ اللَّخمِيُّ: وَهَذَا القَولُ هُوَ المُخْتَارُ المُعَوَّلُ عَلَيهِ، وَهوَ الَّذِي يَدُلُّ عَلَيهِ مَا قَبلَ البَيتِ»[2].

وَمِنْ تَشْبِيهِ بِعَزَّةَ وَإِبْدَاعِهِ فِيهَا هَذِهِ الأَبيَاتُ الَّتِي أَحْكَمَ صُدُورَهَا بِقَوَافِيهَا:[3] [من الطويل]

١. فَما رَوضَةٌ بِالْحَزْنِ طَيَّبَةُ الثَّرَى ... يَمُجُّ النَّدَى جَثْجَاثُهَا وَعَرَارُهَا[4]

٢. بِأَطْيَبَ مِنْ أَرْدَانِ عَزَّةَ مَوْهِنًا ... وَقَدْ أَوْقَدَتْ بِالمَنْدلِ الرطْبِ نارَها[5]

٣. كَأَنَّ عَلَى أَنْيَابِهَا بَعدَ هَجْعَةٍ ... إِذَا مَا نُجُومُ اللَّيلِ حَانْ انْحِدَارُهَا

٤. مُجَاجَةُ نَحْلٍ صَفَّقَتْ بِمُدَامَةٍ ... مُعَطَّرَةٍ صَهْبَاءَ طَابَ اعْتِصَارُهَا[6]

٥. أُدِيفَ عَلَيهَا المِسْكُ حَتَّى كَأَنَّهَا ... لَطِيمَةَ دَارِيٍّ تَفَتَّقَ فَارُهَا[7]

قَالَ الزُّبَيرُ بنُ بَكَّارٍ: أَخْبَرَنِي سَعيد بنُ يَحيَى بنِ سَعيدٍ الأَمَويُّ، حَدَّثَنِي أَبِي أَنَّ امرَأَةً

(١) خزانة البغداديّ ٥/ ٢١٣.

(٢) مجموعةُ نُصوصٍ مَنقولةٍ بِتصَرُّفٍ مِن خِزانة البغداديّ ٥/ ٢١٣.

(٣) ديوان كثير ٤٢٩-٤٣٠، وفيه الأبيات ١، ٢، ٥ وقد خلا الديوان من البيتَين ٣-٤.

(٤) الجَثْجاثُ مِنْ أَحرار الشَّجَرِ، طَيِّبُ الرِّيحِ تأْكله الإِبل. (اللسان ٢/ ١٢٨)، والعَرارُ بَهارُ الْبَرِّ. والبَهارُ: نَبْتٌ طَيِّبُ الرِّيحِ. (اللسان ٤/ ٨٤).

(٥) والوَهْنُ والمَوْهِنُ: نَحْوٌ مِنْ نِصْفِ اللَّيْلِ، وَقِيلَ: هُوَ بَعْدَ سَاعَةٍ مِنْهُ، وَقِيلَ: هُوَ حِينَ يُدْبِر الليلُ، وَقِيلَ: الوَهْنُ سَاعَةٌ تَمْضِي مِنَ اللَّيْلِ. وأَوْهَنَ الرجلُ: صَارَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ. (اللسان ١٣/ ٤٥٥). المَنْدَلُ: وَهُوَ العُودُ الَّذِي يُتَطَيَّبُ بِهِ. (اللسان ٣/ ٣٢٠).

(٦) المُجَاجَةُ: الرِّيقَةُ. وَيُسَمَّى العَسَلُ: مُجَاجُ النَّحْلِ. (التاج ٦/ ٢٠٠). التَّصْفيقُ: التَّقليبُ. يُقَال: صفَّقَت الرِّيحُ الشَّيءَ: إذا قلَبَتْهُ يَمِينًا وشِمالًا. (التاج ٢٦/ ٣١).

(٧) دافَ الشيءَ دَوْفًا، وأَدافَه: خلَطه، وأَكثر ذَلِكَ فِي الدَّوَاءِ والطِّيبِ.(اللسان ٩/ ١٠٨). واللَّطِيمةُ: وِعاءُ المِسْك. (السان ١٢/ ٥٤٣)، والدَّارِيُّ: العَطَّارُ، يُقَالُ: إنه نُسِبَ إِلى دَارِينَ فُرْضَةٍ بالبَحْرَيْنِ فِيهَا سُوق كَانَ يُحْمَلُ إِليها مِسْكٌ مِنْ نَاحِيَةِ الهِنْدِ. (اللسان ٤/ ٢٩٩)، والفَأْرة: نافِجَةُ المِسْكِ، فأَرْةِ المِسْكِ: لفَوَرانِ رائِحَتِهَا وانْتِشَارِهَا. (التاج ١٣/ ٢٩١).

لَقِيتَ كُثَيِّر عَزَّةَ فَأَنْشَدَهَا قَولَهُ فِي عَزَّةَ:[1]

(فَما رَوضَةٌ بِالحَزْنِ طَيِّبَة الثَّرَى) الأَبيَات.

فَقَالَت لَهُ: أَرَأَيتَ حِينَ تَذكُرُ طِيبَهَا، فَلَو أَنَّ زِنْجِيَّةً اسْتَجْمَرَتْ بِالمَنْدَلِ الرَّطبِ؛ لَطَابَ رِيحُهَا، هَلَّا قُلتَ كَمَا قَالَ امرُؤ القَيْسِ:[2] [من الطويل]

١. خَلِيلَيَّ مُرَّا بِي عَلَى أُمِّ جُنْدُبٍ ... لِنَقْضِيَ حَاجَاتِ الفُؤَادِ المُعَذَّبِ[3]

٢. أَلَمْ تَرَيَانِي كُلَّمَا جِئْتُ طَارِقًا ... وَجَدْتُ بِهَا طِيبًا وَإِنْ لَمْ تُطَيَّبِ

فَقَالَ: الحَقُّ وَاللهِ خَيْرٌ مَا قِيلَ، هُوَ وَاللهِ أَنْعَتُ لِصَاحِبَتِهِ مِنِّي.

أَقُولُ: قَولُهُ: (وَمَا رَوضَةٌ.. البَيتُ وَالبَيتُ الَّذِي بَعْدَهُ)، وَهوَ قَولُهُ: (بِأَطْيَبَ مِنْ أَردَانِ عَزَّةَ.. إلى آخره) يُسَمِّيه العَرَوضِيُّونَ: التَّعلِيقَ[4]، لِتَعَلُّقِ مَعنَى البَيتِ الأَوَّلِ بَالبيتِ الثَّانِي، وَسَنَذْكُرُهُ إِنْ شَاءَ الله، وَيُسَمِّيه عُلَمَاءُ المَعَانِي وَالبَيَانِ التَّفْرِيعُ[5]، وَسَمَّاهُ المُتَأَخِّرُونَ مِنهُم النَّفْيَ وَالجُحُودَ.

التَّفْرِيعُ أو النَّفْيُ وَالجُحُودُ

فَالتَّفْرِيعُ ضِدُّ التَّأصِيلِ، وَهوَ عِندَهُم أَنْ يُصَدِّرَ النَّاظِمُ أَو النَّاثِرُ كَلَامَهُ بِاسمٍ مَنْفِيٍّ بـ(مَا) خَاصَّةً، ثُمَّ يَصِفُ ذَلِكَ الاسمَ المَنفِيَّ بِأَحْسَنِ أَوْصَافِهِ المُنَاسِبَةِ لِلمَقَامِ، ثُمَّ يَجعلُهُ أَصْلًا يُفَرِّعُ مِنهُ جُمْلَةً مِن جَارٍّ وَمَجرورٍ مُتَعَلِّقَةً بِهِ، ثُمَّ يُخْبِرُ عَنْ ذَلِكَ الاسمِ بِأَفْعَلِ التَّفْضِيلِ،

(١) ينظر: الكامل في الأدب ٣/ ٨٦، والموشح في مآخذ العلماء ١٩٨، وسرُّ الفصاحة ٢٦٠، وربيع الأبرار ٢/ ٤٠٢، وثمرات الأوراق ٢/ ٢٣٤.

(٢) ديوان امرئ القيس ٢٩.

(٣) في (الديوان): (لِتَقْضِيَ لباناتِ) بدلًا من (لِنَقْضِيَ حَاجَاتِ).

(٤) التَّعليقُ: مُصْطَلَحٌ يَدُلُّ عَلَىَ تَعَلُّقِ مَدْحٍ بِمَدْح، أَو هَجْوٍ بِهَجْو، وَمَعنَى بِمَعنَى. البديع في نقد الشعر ٥٨

(٥) التَّفريعُ: هُوَ مِنَ الاسْتِطرَادِ كَالتَّدريجِ مِنَ التَّقْسِيمِ، وَذَلِكَ أَنْ يَقْصُدَ الشَّاعِرُ وَصفًا مَا، ثُمَّ يُفَرِّعُ مِنهُ وَصْفًا آخَرَ يَزِيدُ المَوصوفَ تَوكِيدًا. العمدة في محاسن الشعر ٢/ ٤٢.

ثُمَّ يُدْخِلُ (مِن) عَلَى المَقْصُودِ، وَيُعَلِّقُ الجَارَ وَالمَجرورَ بِأَفْعَلِ التَّفْضِيلِ، فَتَحْصَل المُسَاوَاة، وَأَكْثَرُ مَا يَقَعُ الأَصْلُ فِي بَيتٍ وَاحِدٍ أَو أَكْثَرَ، وَالتَّفْرِيعُ بَعدَ ذَلِكَ قَرِيبٌ مِنهُ أَوْ بَعِيد.

وَمِنْ أَمْثِلَتِهِ الشِّعْرِيَّةِ قَولُ عَاتِكَةَ المُرِّيَّةِ:(١) [من الطويل]

عَاتِكَةُ المريَّةُ وَابنُ عَمِّهَا

١. وَمَا طَعْمُ مَاءٍ أَيِّ مَاءٍ تَقُولُهُ ... تَحَدَّرَ مِنْ غُرٍّ طِوَالِ الذَّوَائِبِ

٢. بِمُنْعَرَجٍ مِنْ بَطْنِ وَادٍ تَقَابَلَتْ ... عَلَيْهِ رِيَاحُ الصَّيف مِنْ كُلِّ جَانِبِ

٣. نَفَتْ جَرِيَةُ المَاءِ القَذَى عَنْ مُتُونِهِ ... فَلَيسَ بِهِ عَيْبٌ تَرَاهُ لِعَائِبِ

٤. بِأَحْسِنَ مِمَّا يَقْصُرُ الطَّرْفُ دُونَهُ ... تُقَى اللهِ وَاسْتِحْيَاءُ بَعْضِ العَوَاقِبِ

وقال الأعشى:(٢) [من البسيط]

---

(١) قِيلَ إِنَّ عاتكةَ المرِّيَّة عَشِقَتِ ابْنَ عَمِّهَا، فَأَرَادَهَا عَن نَفْسِهَا، فَقَالَتْ الأَبيَات.

– الخبر والشعر في: الجليس الصالح ٧٢٨، وزهر الآداب ١/ ٢٢٨، ونهاية الأرب في فنون الأدب ٧/ ١٦٠، وفي الحيوان ٣/ ٢٤، وأنوار الربيع ٦/ ١١٤، لأمِّ فروة الغطفانيَّة، وفي الزهرة ١/ ٢٥، لزينب بنت فروة، وبينها اختلاف كثير.

(٢) ديوان الأعشى ٥٧

– الأَعْشَى: مَيمونُ بنُ قَيسِ بنِ جَندلٍ، مِن بَني قَيسِ بنِ ثَعلَبَةَ الوَائِلِيُّ، أَبو بَصير، المَعروفُ بِأَعشَى قَيس، وَيُقَالُ لَهُ أَعشَى بَكرِ بنِ وَائِل، وَالأَعشَى الكَبيرُ: مِن شُعَراءِ الطَّبقَةِ الأُولَى فِي الجَاهِلِيَّةِ، وَأَحدُ أَصحَابِ المُعَلَّقَاتِ. كَانَ كَثيرَ الوُفودِ عَلَى المُلوكِ مِنَ العَربِ وَالفُرسِ، غَزيرَ الشِّعرِ، يَسلُكُ فِيهِ كُلَّ مَسلَكٍ، وَكَانَ يُغَنَّى بِشعرِهِ، فَسُمِّيَ (صنَّاجَةُ العَربِ)، عَاشَ عُمرًا طَويلًا، وَأَدركَ الإسلام وَلَم يُسلِم. وَلُقِّبَ بِالأَعشَى؛ لِضُعفِ بَصرِه، وَعَمِيَ فِي أَوَاخِرِ عُمرِهِ. مَولِدُهُ وَوَفَاتُهُ فِي قَريةِ (مَنفوحة) بِاليَمامَةِ قُربَ مَدينةِ (الرِّيَاضِ) وَفِيهَا دَارَه، وَفيها قَبرُهُ. أخباره كثيرة، توفِّي سنة (٧هـ/ ٦٢٩م). جُمع بعض شعره في ديوان سمِّي (الصبح المنير في شعر أبي بصير)، وترجم المستشرق الألماني جاير بعض شعره إلى الألمانيَّة. له ترجمة: طبقات فحول الشعراء ١/ ٥٢، والاشتقاق ٣٥٥، والمؤتلف والمختلف ١٣، ومعجم الشعراء ١/ ٣٩٥، والأكمال ١/ ٣٢٠، وتأريخ دمشق ٦١/ ٣٢٧، ومختصر تأريخ دمشق ٢٦/ ٥٦، وتوضيح المشتبه ٣/ ٤١٩، وتبصير المنتبه ٤/ ١٤٢٠، والأعلام ٧/ ٣٤١، ومعجم المؤلِّفين ١٣/ ٦٥، ومعجم اعلام شعراء المدح النبويّ ٤٢٤.

١.مَا رَوضَةٌ مِن رِياضِ الْحَزن مُونِقَةٌ خَضْراءُ جادَ عَليها مُسْبِلٌ هَطِلُ
٢.يُضاحِكَ الشَّمْسَ فِيهَا كَوكَبٌ شَرِقٌ مُوَزَّرٌ بِعَميمِ النَّبتِ مُكتَهِلُ[١]
٣.يَومًا بِأطيَبَ مِنها نَشْرَ رائِحةٍ وَلَا بِأَحْسَنَ مِنهَا إِذْ دَنَا الأُصُلُ[٢]

[وَقَولُ] تميم بن المعزِّ العبيديّ:[٣] [من الطويل]

٤.وَمَا أُمُّ خِشْفٍ ظَلَّ يَومًا وَلَيْلَةً مُوَلَّهةً حَيْرَى تَجُوبُ الفَيَافِيَا[٤]
٥.أَضَرَّ بِهَا حَرُّ الهَجِيرِ فَلَمْ تَجِدْ لِغُلَّتِهَا مِنْ بَارِدِ المَاءِ شَافِيَا
٦.فَلَمَّا دَنَتْ مِنْ خِشْفِهَا انْعَطَفَتْ لَهُ فَالْفَتْهُ مَلْهُوفَ الجَوَانِحِ طَاوِيَا
٧.بَأَوجَعَ مِنِّي يَوْمَ شَدُّوا رِحَالَهُمْ وَنَادَى مُنَادِي الحَيِّ أَنْ لَا تَلَاقِيَا[٥]

وَقَولُ الآخَرِ:[٦] [من الطويل]

١.وَمَا حَائِمَاتٌ حُمْنَ يَومًا وَلَيْلَةً عَلَى المَاءِ يَغْشَيْنَ الحِيَاضَ حَوَانِي[٧]

---

(١) في (الأصل): (المزن) بدلًا من (الشمس).
(٢) في (الأصل): (طيب) بدلًا من (نَشْرَ).
(٣) ديوان تميم بن المعزِّ العبيديّ ٤٦٢.
– تَمِيمُ بنُ الْمُعزِّ بنِ الْمَنْصُورِ بنِ القَائِم بنِ المهْديِّ، هُوَ أَبُو عَليّ العُبَيديُّ ابْن الْمعزِّ صَاحِبِ الْقَاهِرَة، كَانَ تَمِيم الْمَذْكُور فَاضِلًا شَاعِرًا ماهِرًا لَطِيفًا ظَرِيفًا، وَلَمَ يَلِ الْمُلكَ؛ لِأَن ولَايَة الْعَهْد كَانَت لِأَخِيهِ الْعَزِيز، فَوَلِيهَا بَعدَ أَبِيه، وَلِلعَزِيز أَيْضًا أَشعَارُ، وَتُوفِّي أَبُو عَليّ تَمِيم الْمَذْكُور سنة أَربع وَسبعين وَثَلَاث مِئَةٍ في مصْر، وَدُفن فِي الْحُجْرَة الَّتِي فِيهَا قبر أَبِيه الْمُعِزِّ. له ترجمة في: تأريخ إربل ٢/ ٣٩٤، ووفيات الأعيان ١/ ٣٠١، وتأريخ الإسلام ٨/ ٣٩٨، والوافي بالوفيات ١٠/ ٢٥٤، وديوان الإسلام ٢/ ٥، والأعلام ٢/ ٨٨، ومعجم المؤلِّفين ٣/ ٩٣.
(٤) هذا البيت نتج عن صدر البيت الأوَّل وعجز البيت الثاني من القصيدة في الديوان:
وَمَا أُمُّ خِشْفٍ ظَلَّ يَومًا وَلَيْلَةً ببلقعة بيداء ظمآن صاديا
تهيم فلا تدري إلى أين تنتهي مُوَلَّهةً حَيْرَى تَجُوبُ الفَيَافِيَا
(٥) في (الأصل): (شدت حمولهم) بدلًا من (نَشْرَ).
(٦) هو: الأَقرَعُ بنُ مُعَاذٍ. ينظر: المحب والمحبوب والمشموم والمشروب ٢/ ٢١٣.
(٧) في (المصدر): (العصيَّ) بدلًا من (الحياض).

٢.لَـوَائِـبُ لَا يَـصْـدُرْنَ عَـنْهُ لِوِجْهَةٍ وَلَا هُـنَّ مِـن وِرْدِ الحِـيَـاضِ دَوَانِي[١]
٣.يَـرَيْـنَ حِـيَـاضَ المَـاءِ وَالمَـوْتُ دُونَـهُ وَهُـنَّ بِـأَبْـصَـارٍ إِلَـيْـهِ رَوَانِي[٢]
٤.بَـأَكْـثَـرَ مِـنِّـي فَـرْطَ شَـوْقٍ وَغُـلَّـةٍ إِلَـيْـكِ، وَلَـكِـنَّ الـعَـدُوَّ عَـدَانِي[٣]

وقول الآخر:[٤] [من الطويل]

٥.وَمَـا وَجـدُ مِلوَاحٍ مِـنَ الهِيمِ حُلِّئَتْ عَنِ الـوِردِ حَتَّى جَوفُهَا يَتَصَلْصَلُ[٥]
٦.تَـحُومُ وَتَغْشَاهَا العِصِيُّ وَحَولَهَا أَقَـاطِـيـعُ أَنـعَـامٍ تَـعِـلُّ وَتَـنْـهَـلُ
٧.بِـأَكْـثَـرَ مِـنِّـي لَـوْعَـةً وَتَـطَـلُّـعًـا إِلَى الـوِردِ إِلَّا أَنَّـنِـي أَتَجَـمَّـلُ[٦]

وَقَـد وَقَـعَ الأَصْـلُ وَالـفَـرعُ لِأَبِي تَمَّـامٍ فِي بَيْـتٍ وَاحِـدٍ، وَذَلِـكَ قَـولُـهُ:[٧] [من البسيط]

١.مَـا رَبـعُ مَـيَّـةَ مَـعْـمُـورًا يُـطِـيـفُ بِـهِ غَيْلَانُ أَبْهَى رُبًى مِنْ رَبْعِهَا الخَـرِبِ[٨]

(١) في (الأصل): (كواعب) بدلًا من (لوائب). وفي (المصدر): (برد) بدلًا من (ورد).
(٢) في (المصدر): (حباب) بدلًا من (حياض). وفي (الأصل): جاء العجز برواية: (فهن لأصوات السقاة رواني).
(٣) في (الأصل): (غلة وصبابة) بدلًا من (فرطَ شوقٍ وغُلَّةٍ). وفي (المصدر): (إليكم) بدلًا من (إليك).
(٤) زهر الآداب وثمر الألباب ١/ ٢٤٢، وربيع الأبرار ١/ ١٨٨، والزهرة ١/ ٤١٠.
(٥) في (الزهرة): (خُلِّيَتْ) بَدلًا من (حُلِّئَتْ)، و(متصلصل) في موضع (يتصلصل).
- المِلْواحُ: العطشانُ. وإبلٌ لَوْحَى أَي عَطْشَى. وَبَعِيرٌ مِلْوَحٌ ومِلْواحٌ. (اللسان ٢/ ٥٨٥). وحَلَّأَ الإِبلَ والماشِيةَ عَنِ الْمَاءِ تَحْلِيئًا وتَحْلِئةً: طَرَدها أَو حبَسَها عَنِ الوُرُود ومَنَعَها أَن تَرِده. (اللسان ١/ ٥٩).
(٦) في (نسخة): (تعطفًا)، وفي أخرى (صبابةً) بدلًا من (تطلعًا).
- تجمَّل الفقيرُ: ظهر بما يَجمُل، أي صبَر ولم يظهر على نفسه المسكنة والذُّلَّ. (المعاصرة ١/ ٣٩٧).
(٧) ديوان أبي تمَّام ١/ ٥٦-٥٧.
(٨) غَيلَانُ: هُوَ غَيلَانُ بنُ عُقبةَ وَهوَ ذُو الرُّمَّةِ.=

٢.وَلَا الخُـدُودُ وَقَـدْ أُدْمِـينَ مِنْ خَجَلٍ أَشْـهَى إِلَى نَـاظِرٍ مِـنْ خَـدِّهَـا الـتَّرِبِ

تَرْغِيبُ النَّبِيِّ ﷺ لِـمَنْ تَابَعَهُ وَآمَنَ بِهِ بِهِجَاءِ الكَفَرَةِ

وَأَمَّا عِلَّةُ تَرْغِيبِ النَّبِيِّ ﷺ لِـمَنْ تَابَعَهُ وَآمَنَ بِهِ بِهِجَاءِ الكَفَرَةِ؛ فَذَلِكَ لِأَنَّهُ ﷺ رَأَى لِلشِّعرِ عِنْدَهُمُ شَأنًا عَظِيمًا، وَأَمْرًا جَسِيمًا، وَلَهُم فِيهِ مِنَ العَجَائِبِ أَحْوَالٌ جَعَلَتهَا مَا بَينَ عَشَائِرِهَا شِعَارَهَا، وَاتَّبَعَتْ فِيهَا مِنْ سَالِفِ قُدَمَائِهَا آثَارَهَا، مِنهَا مَا جَعَلَتْ ضَرْبَ المَثَلِ فِيهِ مِن أَعْظَمِ المَفَاخِرِ وَأَظْهَرِ الدَّلَائِلِ فَإِذَا كَانَ بِهذِهِ الصِّفَةِ فَهوَ بِحَالَتِي المَدْحِ وَالـهِجَاءِ يَرْفَعُ وَيَضَعُ وَذَلِكَ كَمَا رَفَعَ مِنْ بَنِي أَنْفِ النَّاقَةِ قَولُ الحُطَيْئَةِ:(١) [من البسيط]

قَـوْمٌ هُـمُ الأَنْـفُ وَالأَذْنَـابُ غَيْرُهُمُ وَمَـنْ يُـسَـوِّي بِـأَنـفِ الـنَّـاقَـةِ الـذَّنَـبَـا

=- ذُو الرُّمَّة: غَيلَانُ بنُ عُقبَةَ بنِ نُـهَيْسِ بنِ مَسعودٍ العَدَوِيُّ، مِن مُضَرَ، شَاعِرٌ، مِن فُحولِ الطَّبَقَةِ الثَّانِيَةِ فِي عَصرِهِ، كَانَ شَديدَ القِصَرِ، دَمِيمًا، يَضرِبُ لَونُهُ إِلَى السَّوَادِ. أَكثَرُ شِعرِهِ تَشبِيبٌ وَبُكَاءُ أَطلَالٍ، يَذهَبُ فِي ذَلِكَ مَذهبَ الجَاهِلِيِّينَ. وَكَان مُقِيمًا فِي البَادِيَةِ، يَحضَرُ إِلَى اليَمَامَةِ وَالبَصرةِ كَثِيرًا.وَامتَازَ بِإِجَادَةِ التَّشبِيهِ. عَشِقَ (مَيَّةَ المِنقَرِيَّةَ)، وَاشْتَهَرَ بِهَا. لَهُ (دِيوَانُ شِعرٍ) تُوفِّيَ سَنةَ (١١٧هـ). ينظر: الشعر والشعراء ١/ ٥١٥، والموشَّح ٢٢٣، والتذكرة الحمدونيَّة ٧/ ٣٧٣، وتأريخ دمشق ٤٨/ ١٤٢، ووفيات الأعيان ٤/ ١١، ومختصر تأريخ دمشق ٢٠/ ٢٢٦، وتهذيب الكمال ٣٤/ ١٢٢، وسير أعلام النُّبلاء ٥/ ٢٦٧، والبلغة ١٢٠، والأعلام ٥/ ١٢٤، ومعجم المؤلِّفين ٨/ ٤٤.

(١) ديوان الحطيئة ٤٥.

- الـحُطَيْئَةُ: هُوَ الشَّاعِرُ جَـروَلُ بنُ أَوس بنِ مَالِك العَبَسِيُّ، أَبُـو مَلِيكَةَ: شَاعِرٌ مُـخَضـرِمٌ، أَدرَكَ الـجَاهِلِيَّةَ وَالإِسـلام، كَـانَ هَجَّاءً عَنِيفًا، لَـم يَكَدْ يَسلَمُ مِن لِسَانِهِ أَحَـدٌ، فَهَجَا أُمَّـهُ وَأَبَـاهُ وَخَـالَـهُ وَعَـمَّـهُ، وَنَفْسَهُ وَعِـرسُـهُ، تُوفِّـيَ (نَحو ٤٥هـ). له ترجمة في: طبقات فحول الشعراء ١/ ٩٧، الحيوان ٧/ ٤٥٠، وتأريخ دمشق ٧٢/ ٦٢، وتهذيب الأسماء ٢/ ٢٧٦، وفـوات الوفيات ١/ ٢٧٦، والإصـابـة ٢/ ١٥٠، والأعـلام ٢/ ١١٨، ومعجم المؤلِّفين ٣/ ١٢٩.

وَكَمَا وَضَعَ مِنْ بَنِي نُمَيرٍ قَولُ جَريرٍ:(١) [من الوافر]

فَغُضَّ الطَّرفَ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ فَلَا كَعْبًا بَلَغْتَ وَلَا كِلَابَا

فَلَقِيَتْ نُمَيْرٌ مِنْ هَذَا البَيتِ مَا لَقِيَتْ، وَجَعَلَهُم الشَّاعِرُ مَثلًا فِيمَنْ وَضَعَهُ الهِجَاءُ وَهوَ يَهجُو قَومًا مِنَ العَرَبِ:(٢) [من الوافر]

وَسَوفَ يَزِيدُكُم ضِعَةً هِجَاءٌ كَمَا وَضَعَ الهِجَاءُ بَنِي نُمَيْرِ

وَنُمَيْر قَبيلٌ شَريفٌ وَقَدْ ثَلَمَ شَرَفَهُم هَذَا البَيتُ.

وَقَالَ ابنُ غَزَالَةَ الكِنْدِيُّ وَهوَ يَمْدَحُ بَنِي شَيبَانَ، وَلَم يَكُنْ فِي مَوْضِعِ رَغْبَة فِي بَنِي مَخْزُوم، وَلَا فِي مَوضِعِ رَهْبَةٍ:(٣) [من الوافر]

كَأَنِّي إِذْ حَطَطْتُ الرَّحْلَ فِيهِم بِمَكَّةَ حِينَ حَلَّ بِهَا هِشَامُ

فَضَربَ بِهِشَام المَثَلَ(٤).

وَقَالَ عَبدُ الله بنُ ثُورٍ الخَفَاجِيُّ:(٥) [من الوافر]

(١) ديوان الحطيئة ٤٥.

(٢) البيت بلا عزو في: البيان والتبيين ٣/ ٢٦٨، والحيوان ١/ ٢٤٢، والتذكرة الحمدونيَّة ٥/ ٩٩ وفي زهر الآداب ١/ ٥٧ لمحمَّد بن منذر في هجاء ثقيف، وفي زهر الأكم ١/ ٢٦٧ لابن مناذر في هجاء ثقيف.

(٣) شرح نهج البلاغة ١٨/ ٢٨٦.

(٤) هُوَ هِشَامُ بنُ المُغِيرةِ المَخزُومِيُّ، كَانَت لَهُ مَكانَةٌ سَامِيةٌ فِي قُرَيش وَجَلَالَةُ قَدرٍ، لِذَلِكَ كَانوا يُؤَرِّخونَ بِعَامِ وَفَاتِهِ مِثلَمَا يُؤَرِّخُونَ بِعَامِ الفِيلِ وَعَامِ بِنَاءِ الكَعبَةِ.
ينظر: الفاضل ٤٩، وأدب الكاتب ١٧٩، والأزمنة والأمكنة ٤٦٦، وثمار القلوب ٢٩٨.

(٥) هذا البيت: لعبد الله بن ثور الخفاجيّ في ثمار القلوب ٢٩٨، ولعبد الله بن ثور بن معاوية البكائيّ في الإصابة ٤/ ٢٩، ومعجم الشعراء ٢/ ١٦٤، وللحارث في الاشتقاق ١٠١، وللحارث بن أسد الأصغر في معجم الشعراء ١/ ٥٧٤، وللحارث بن أميَّة في ربيع الأبرار ٣/ ٢٦٤،=

وَأَصْبَحَ بَطْنُ مَكَّةَ مُقْشَعِرًّا كَأَنَّ الأَرْضَ لَيْسَ بِهَا هِشَامُ

وَهَذَا مَثَلُه، وَفَوقَ المَثَلِ قَالُوا.

أَقولُ: أَرَى بِحَسَبِ مَا أَرَى مِنَ القَواعِدِ أَنَّ العَرَبَ، وَإِنْ رَفَعَتْ لِلْفَصَاحَةِ فِي الجَاهِلِيَّةِ رَايَتَهَا، إِلَّا أَنَّهم حِينَ صَدعَ النَّبِيُّ ﷺ بِالنُّبوَّةِ بَلَغُوا غَايَتَهَا، فَفَاقُوا بِهَا مَن كَانَ قَبلَهُم وَمَنْ قَدْ جَاءَ بَعدَهُم، وَسِرُّ ذَلِكَ مِنْ حَيْثُ اقْتَضَتْ حِكمَةُ اللهِ فِي إِرْسَالِهِ الرُّسُلَ أَنْ يَجعَلَ آيَةَ كُلِّ نَبِيٍّ مِنهُم خَارِقَةً لِعَادَةِ أُمَّتِهِ بِحَسَبِ مَا تَسَلَّطُوا عَلَيهِ عَلَى قَدرِ طَوْقِهِم كَمُوسَى عليه السلام لَمَّا كَانَتْ عَادَةُ أُمَّتِهِ السِّحرَ أَتَاهُم بِالعَصَا تَلقَفُ مَا أَفِكُوا، وَعِيسَى عليه السلام لَمَّا كَانَتْ عَادَةَ أُمَّتِهِ الطِّبُّ كَانَتْ آيَتُهُ أَنَّهُ يُبْرِئُ مِنَ الأَسْقَامِ مَا لَمْ يُبْرِئوا، وَزَادَ عَلَى ذَلِكَ بِإحيَاءِ المَوتَى بِإذنِ اللهِ الوَاحِدِ الأَحَدِ حتَّى صَدَّقَ بِنُبُوَّتِه ضَرُورَةَ الحَقِّ مَنْ كَانَ بِذَلِكَ يَجحَد، وَكَذَلِكَ نَبِيُّنَا مُحَمَّد ﷺ لَمَّا كَانَتْ عَادَةُ أُمَّتِهِ الفَصَاحَةَ فِي نَظمِ الشِّعرِ، وَالخُطَب، وَالغَزَوَات، وَالحَرب، الَّتِي تُؤَجِّجُ نِيرَانَهَا بِالعَوَاسِلِ وَالقُضُب، أَتَاهُمْ بِالفُرْقَانِ الَّذِي أَعْجَزَ بُلَغَاءَهَا وَحَيَّرَ فُصَحَاءَهَا، وَالسَّيفِ الَّذِي كَسَرَ بِهِ شَوْكَتَهَا، وَأَذَلَّ بِهِ نَخْوَتَهَا، حَتَّى أَجَابَتْ لِدَعْوَتِهِ، وَآمَنَتْ بِرِسَالَتِهِ.

فَانْظُرْ لِكِتَابِ اللهِ، فَهوَ أَعظَمُ الكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ، وَمَا نَزَلَ عَلَى الأَنْبِيَاءِ مِثلُهُ مِن رَبِّ البَرِيَّةِ، هَلْ السِّرُّ فِي ذَلِكَ إِلَّا إِعْجَازُ العَرَبِ فِي الفَصَاحَةِ؛ الَّتِي افْتَخَروا بِهَا بَينَ قَبَائِلِهِم

=وبلا عزو في المنمَّق في أخبار قريش ٣٧٣، والمعارف ٧٠، والفاضل ٤٩، والكامل في اللغة ٢/ ١٠٦، والأزمنة والأمكنة ٤٦٦، ولبحير بن عبد الله بن عامر بن سلمة بن قشير في المحبر ١٣٩، وفي المفصَّل ١٦/ ١٥٦، ويذكر البيت في الهامش وينسبه الى (بجير) بحير عن المحبر ١٣٩، وبلوغ الأرب ٣/ ٢١٥.

– بَحِير القُشَيريّ: بحير بنُ عَبدِ الله بنِ عَامِرِ بنِ سَلَمَة بنِ قُشَيرٍ، مِن بَنِي عَامِرِ بنِ صَعْصَعَة: شَاعرٌ جَاهِليٌّ مِن فُرسَانِ العَرَبِ المَشهورينَ. قَتلَه قَعنَب بنُ عَتَّاب فَارِس بَنِي تَمِيم. وَكَانَ يُقَالُ: مَا عَثَرَت عَامِريَّة فِي الجَاهِلِيَّةِ إِلَّا قَالَت: تَعُسَ قَاتِل بحير! لَه رِثَاءٌ فِي هِشَامِ بنِ المُغِيرَةِ، قُبَيلَ الإسلَام. الأعلام ٢/ ٤٤، والوحشيَّات ٢٥٧، والاشتقاق ١٠١، والمحبر ١٣٩.

وَعُظَمَاءِ عَشَائِرِهِم، عَلَى أَنَّهُ أَعْجَزَ العَرَبَ العُرَبَاءَ فِي فَصَاحَةِ كَلَامِهِ، وَحُسْنَ انْسِجَامِهِ، وَإِعْجَازِ آيَاتِهِ؛ الَّتِي تَعَالَى شَأْنُهَا عَنْ طَوقِ البَشَرِ، إِذْ رَامَ كُلٌّ مِن فُصَحَائِهَا وَبُلَغَائِهَا مُجَارَاتِ آيٍ مِنهُ فَمَا قَدَرَ.

وَقَدِ اشْتَهَرَ إِعْجَازُهُ عِندَ أَرْبَابِ كَمَالِهَا، بَلْ عِندَ نِسَائِهَا فَضلًا عَنْ رِجَالِهَا، وَهَذَا مَعلُومٌ.

قَالَ الأَصْمَعِيّ رَأَيتُ امْرَأَةً مِنَ العَرَبِ تَطُوفُ بِالكَعْبَةِ وَتُنْشِدُ بِلِسَانٍ طَلِقٍ ذَرِبٍ:[1] [من الرجز]

١. أَسْتَغْفِرُ اللهَ لِذَنْبِي كُلِّهْ
٢. قَبَّلْتُ إِنْسَانًا بِغَيْرِ حِلِّهْ
٣. لِحُسْنِ عَيْنَيْهِ وَحُسْنِ دَلِّهْ
٤. مِثْلَ غَزَالٍ كَانِسٍ فِي ظِلِّهْ
٥. وَانْتَصَفَ اللَّيْلُ وَلَمْ أُصَلِّهْ
٦. وَالخَمْرُ مِفْتَاحٌ لِهَذَا كُلِّهْ

فَقُلْتُ لَهَا: لله دَرُّكِ مَا أَحَدَّ جَنَانَكِ؟! وَأَفْصَحَ لِسَانَكِ؟!

فَقَالَتْ: إِلَيْكَ عَنِّي، مَا تَرَكَ كِتَابُ اللهِ لِأَحَدٍ فَصَاحَةً، وَلَقَدْ سَمِعْتُ عَنْهُ آيَةً جَمَعَتْ أَمْرَينِ، وَنَهيَينِ، وَخَبَرينِ، وَبِشَارَتَينِ، وَهِيَ قَولُهُ تَعَالَى: ﴿**وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ**﴾[2].

(١) تُنْسَبُ هَذِهِ الأَبيَاتُ لِدِيكِ الجِنِّ وَاسْمُهُ عَبدُ السَّلَامِ بنُ رَغبَانَ الحِمِّصِيّ فِي دِيوان المعاني ١/ ٣١٦. مع بعض الاختلافات. والحكاية مع الشعر يرويها عن الأصمعيّ القرطبيّ في تفسيره ١٣/ ٢٥٢.

(٢) سورة القصص/ ٧.

فَمُشْرِكُو العَرَبِ لَـمَّا رَأَوا القُرآنَ بَلَغَ غَايَةَ الإِعجَازِ فِي الفَصَاحَةِ تَجَلبَبُوا جِلبَابَ الوَقَاحَةِ، فَتَارَةً يَدَّعونَ أَنَّهُ شِعرٌ، وَأُخْرَى سِحرٌ، وَأَخَذُوا فِي هِجَاءِ النَّبِيِّ ﷺ بِالشِّعرِ؛ لِعِلْمِهِم أَنَّهُ لَايُنْشِؤُهُ، وَإِنْ كَانَ أَعْلَمَهُم بِدَقَائِقِ مَعَانِيهِ، وَقَصْدُهَا إِمَّا تُهيجُهُ بِهِجَائِهَا حَتَّى يَهجُوهَا؛ لِيَكونَ ذَلِكَ مُصَدِّقًا لِدَعْوَاهَا، أَو أَنَّ هِجَاءَهُم لَهُ عَلَى حَسَبِ عَادَتِهِم يُخْفِضُ رِفْعَتَهُ، وَيُبْطِلُ نُبُوَّتَهُ؛ لِأَنَّ عِندَهُم الشِّعرَ كَمَا عَرَفْتَ يَضَعُ الرَّفِيعَ، وَيَرفَعُ الوَضِيعَ، وَيُهيجُ الآسَادِ مِنْ غَابِهَا، وَيُسَعِّرُ لِلْحَرْبِ أُوَارَ التِهَابِهَا، وَيُقَرِّبُ مَا بَينَ البُعَدَاءِ، وَيُبْعِدُ مَا بَينَ القُربَاءِ، وَتُثَارُ بِهِ الفِتَنْ، وَيَدُكُّ مِن مَعَاقِلِ الرِّجَالِ عَالِيَاتِ القُنَن، وَيُخِيفُ الآمِن وَلَو كَانَ بَينَ أَظْهُرِ مُظَاهِريهِ قَاطِنٌ، وَلِذَا هِيَ خَافَتْ مِنْ أَعْشَى قَيْس لَـمَّا وَفَدَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ أَنْ يُظْهِرَ نُبُوَّتَهُ بِشِعْرِهِ وَفَرَائِدِ غُرَرِهِ، وَقَدْ مَدَحَهُ بِقَصِيدَةٍ غَرَّاءَ وَخَرِيدَةٍ عَصمَاءَ أَوَّلُهَا:(١)

[من الطويل]

١. أَلَمْ تَغْتَمِضْ عَيْنَاكَ لَيْلَةَ أَرْمَدَا ... وَعَادَكَ مَا عَادَ السَّلِيمَ المُسَهَّدَا(٢)

٢. وَمَا ذَاكَ مِنْ عِشقِ النِّسَاءِ وَإِنَّما ... تَنَاسَيْتَ قَبْلَ اليَومِ خُلَّةَ مَهْدَدَا(٣)

٣. وَلَكِنْ أَرَى الدَّهْرَ الَّذِي هُوَ خَائِنٌ ... إِذَا أَصْلَحَتْ كَفَّايَ عَادَ فَأَفْسَدَا

٤. شَبَابٌ وَشِيبٌ وَافْتِقَارٌ وَثَروَةٌ ... فَلِلهِ هَذَا الدَّهْرُ كَيفَ تَرَدَّدَا(٤)

٥. وَمَا زِلْتُ أَبْغِي المَالَ مُذْ أَنَا يَافِعٌ ... وَلِيدًا، وَكَهلًا حِينَ شِبْتُ، وَأَمْرَدَا

٦. وَأَبْتَذِلُ العِيسَ المَرَاقِيلَ تَغْتَلِي ... مَسَافَةَ مَا بَينَ النُّجَيرِ فَصَرْخَدَا(٥)

٧. فَإِنْ تَسْأَلِي عَنِّي فَيَا رُبَّ سَائِلٍ ... حَفِيٍّ عَنِ الأَعْشَى بِهِ حَيْثُ أَصْعَدَا

(١) ديوان الأعشى ١٣٥.

(٢) في (الأصل): جاء العجز برواية: (وبت كما بات السَّليم مسهَّدا).
-السَّلِيمُ: اللَّدِيغُ. يُقَالُ: سَلَمَتْه الْحَيَّةُ أَي لَدَغَتْه.(اللسان ١٢/ ٢٩٢).

(٣) الخُلَّة: كُلُّ نَبْت حُلْو. (اللسان ١١/ ٢١٢)، وَمَهدَد اسمُ امرأة.

(٤) في (الأصل): جاء صدر البيت برواية (كهولًا وشبانًا فقدتُ وثروةً).

(٥) في (الأصل): (في الضحى) في موضع (تغتلي). النُّجَير وصرخد أماكن.

٨. أَلَا أَيُّهَــذَا السَّـائِلِي أَيْــنَ يَـمَّـمَـتْ ... فَـإِنَّ لَـهَا فِـي أَهْـلِ يَـثْـرِبَ مَـوْعِـدَا[١]

٩. فَـأَمَّـا إِذَا مَـا أَدْلَــجَـتْ فَـتَـرَى لَـهَا ... رَقِـيـبَـيْنِ جَـديًا مَـا يَغِيبُ وَفَـرْقَـدَا[٢]

١٠. وَفِيهَا إِذَا مَـا هَـجَّـرَتْ عَجْرَفِيَّةٌ ... إِذَا خِلْتَ حِـربَـاءَ الظَّهِيرَةِ أَصْـيَـدَا[٣]

١١. أَجَدَّتْ بِرِجلَيْهَا نَجَاءً، وَرَاجَعَتْ ... يَـدَاهَـا خِـنَـافًـا لَـيِّـنًـا غَـيرَ أَحْــرَدَا[٤]

١٢. فَآلَيْتُ لَا أَرْثِـي لَـهَا مِـنْ كَلَالَةٍ، ... وَلَا مِنْ حَفًا، حَتَّى تَـزُورَ مُحَمَّدَا ﷺ[٥]

١٣. مَتَى مَا تُنَاخِي عِنْدَ بَابِ ابنِ هَاشِمٍ ﷺ ... تُرِيـحِي، وَتَلْقَيْ مِـنْ فَوَاضِلِهِ يَـدَا[٦]

---

(١) في (الأصل): (أصعدت) في موضع (يمَّمت).

(٢) في (الأصل): (لا يؤب) في موضع (ما يغيب).

- ادَّلَجُوا: سَارُوا اللَّيْلَ كُلَّهُ. (اللسان ٢/ ٢٧٢)، والجَدْيُ: نَجْمٌ إِلَى جنبِ القُطْبِ تُعْرَفُ بِهِ القِبْلَةُ. (التاج ٣٧/ ٣٣١)، والفَرْقَدَانِ: نَجْمَانِ فِي السَّمَاءِ، لَا يَغْرُبَانِ، ولاكَنَّهُمَا يَطُوفانِ بالجَدْيِ، وَقيل: هما كَوكبانِ قَرِيبانِ من القُطْب. (التاج ٨/ ٤٩١).

(٣) هَجَّرَت: سَارَت وَقتَ الهَجِير أو الهاجِرَة، وَهوَ الوَقْتُ الَّذي تَشْتَدُّ فِيهِ الحَرَارَةُ، مِنَ الزَّوَالِ إِلى الْعَصْرِ. (اللسان ٢/ ٢٩٥)، والعَجْرَفِيَّة: أَن تأْخذ الإِبل فِي السَّيْرِ بخُرق إِذَا كلَّت. (اللسان ٩/ ٢٣٤)، الصَّيَدُ وَهُوَ دَاءٌ يُصِيبُ الإِبل فِي رؤُوسها فَتَسِيلُ أُنوفها وترفَعُ رؤُوسَهَا وَلَا تَقْدِرُ أَن تَلْوِيَ مَعَهُ أَعناقها. يُقَالُ: بَعِيرٌ صادٌ أَي ذُو صادٍ. (اللسان ٣/ ٢٦٢).

(٤) في (الأصل): جاء صدر البيت برواية: (وأذرت برجليها النقي واتبعت).

- الجَدَدُ مِنَ الرَّمْلِ: مَا اسْتَرَقَّ مِنْهُ وَانْحَدَرَ. وأَجَدَّ القومُ: عَلَوْا جَديدَ الأَرض أَو رَكِبُوا جَدَدَ الرَّمْلِ. (اللسان ٣/ ١٠٩)، والنَّجْوَةُ والنَّجَاةُ: مَا ارتفَع مِنَ الأَرض فَلَمْ يَعْلُه السَّيلُ فَظَنَنْتُهُ نَجاءَك، وَالجَمْعُ نِجاءٌ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾ (يونس/ ٩٢)؛ أَي نَجْعَلُكَ فَوْقَ نَجْوةٍ مِنَ الأَرض فنُظْهِرك أَو نُلْقِيك عَلَيْهَا لتُعْرَفَ. (اللسان ١٥/ ٣٠٥)، والخِنافُ سُرْعةُ قَلْب يَدَيِ الْفَرَسِ، تَقُولُ: خَنَفَ الْبَعِيرُ يَخْنِفُ خِنافًا إِذَا سَارَ فقلَب خُفَّ يَدِهِ إِلَى وحْشِيِّه. (اللسان ٩/ ٩٧)، وَبَعِيرٌ أَحْرَدُ: يَخْبِطُ بِيَدَيْهِ إِذا مشى خَلْفَهُ؛ وَقِيلَ: الحَرَدُ أَن يَيْبَسَ عَصَبُ إِحدى الْيَدَيْنِ مِنَ العِقال وَهُوَ فَصِيلٌ، فإِذا مَشى ضَرَبَ بِهِمَا صدرَه؛ وَقِيلَ: الأَحْرَدُ الَّذِي إِذا مَشَى رَفَعَ قَوَائِمَهُ رَفْعًا شَدِيدًا وَوَضَعَهَا مَكَانَهَا مِنْ شَدَّةِ قَطافَتِه، يَكُونُ فِي الدَّوَابِّ وَغَيْرِهَا. (اللسان ٣/ ١٤٦).

(٥) كَلَّ يَكِلُّ كَلالةً: أَعْيا. (اللسان ١١/ ٥٩١)، والحَفا: رِقَّة القَدم والخُفِّ وَالْحَافِرِ، يقالُ: مَشَى حَتَّى حَفِيَ حَفًا شَدِيدًا. (اللسان ١/ ١٨٦).

(٦) في (الأصل): (ندا) في موضع (يدا).

١٤. نَبِيٌّ، يَرَى مَا لَا تَرَوْنَ وَذِكْرُهُ أَغَارَ لَعَمْرِي فِي البِلَادِ وَأَنْجَدَا
١٥. لَهُ صَدَقَاتٌ مَا تُغِبُّ، وَنَائِلٌ، وَلَيْسَ عَطَاءُ اليَومِ مَانِعُهُ غَدَا[1]

قَالَ صَاحِبُ (الفَتْحِ القَرِيبِ) فِي تَفْسِيرِ بَعضِ الفَاظِ هَذِه القَصِيدةِ: النُّجَيرُ: بِضَمِّ النُّونِ وَفَتْحِ الجِيمِ وَسُكونِ التَّحْتِيَّةِ، مَوضِعٌ بِحَضْرَمَوتَ، وَصَرخَد: بَلْدَةٌ بِالشَّامِ، وَالسَّائِلُ الخَفِيُّ: بِالحَاءِ المُهمَلَةِ، المُكْثِرِ أَو المُتَلَطِّفُ وَالجَدِيُّ وَالفَرقَدُ: كَوكَبَانِ لَا يَزُولَانِ مِنْ مَكَانَهمَا وَلَا يَغِيبَانِ، وَهَجَّرَتْ: سَارَتْ بِالهَاجِرَة نِصف النَّهَارِ، وَالعَجْرَفِيَّة: جَهَالَةٌ وَمَرحٌ لِفَضْلِ نَشَاطِهَا، وَالأَصْيَدُ: البَعيرُ الَّذِي بِهِ الصَّيْدُ وَهوَ دَاءٌ يَأْخُذُ الإبلَ فِي رُؤُوسِهَا، وَأَذْرَتْ: أَلْقَتْ، وَالنَّقِيُّ: مَا تَنَقَّى مِنَ الحَصَى وَالتُّرَابِ، والخِنَافُ بِالفَاءِ: أَنْ نَقلِبَ الخُفَّ إِلَى الجَانِبِ الأَيمَنِ، وَالأَحْرَدُ: بِالحَاءِ المُهْمَلَةِ، الَّذِي يَخبِطُ بِيَدَيهِ إِذَا سَارَ، وَأَغَارَ: أَتَى الغَورَ، وَأَنْجَدَ أَتَى نَجْدًا، وَإِنَّمَا يُقَالُ: غَارَ، وَلَا يُقَالُ: أَغَارَ، وَإِنَّمَا قَالَهُ مُؤَاخَاةً، لَأَنْجَدَ عَلَى حَدِّ «**مَأْزُورَاتٍ غَيرِ مَأْجُورَاتٍ**»[2].

قَالَ صَاحِبُ (المَعَاهِدِ) فِي المَعَاهِدِ: فَلَمَّا بَلَغَ خَبرُ الأَعشَى قُرَيْشًا رَصَدُوهُ عَلَى طَرِيقِهِ وَقَالوا هَذَا صَنَّاجَةُ العَرَبِ، مَا مَدَحَ أَحَدًا قَطُّ إِلَّا رَفَعَ مِنْ قَدرِهِ، فَلَمَّا وَرَدَ عَلَيْهِمْ قَالُوا: أَيْنَ أَرَدْتَ يَا أَبَا بَصِير؟!

قَالَ: أَرَدتُ صَاحِبَكُم هَذَا لِأُسْلِمَ عَلَى يَدِهِ.

فَقَالُوا: إِنَّهُ يَنْهَاكَ عَنْ خِلَالٍ وَيُحَرِّمُهَا عَلَيكَ، وَكُلُّهَا بِكَ رَافِقٌ وَلَكَ مُوَافِقٌ.

قَالَ: وَمَا هُنَّ؟!

قَالَ أَبُو سُفْيَانَ بنُ حَرْبٍ: الزِّنَا.

قَالَ: لَقَدْ تَرَكَنِي الزِّنَا وَمَا تَركتُهُ! وَمَاذَا؟!

(١) الغِبُّ: أَن يعطي يَوْمًا ويَدَعَ آخرَ. (اللسان ١/ ٦٣٥).
(٢) قالَ رَسولُ الله ﷺ: «**ارجِعنَ مَأزورَاتٍ غَيرَ مَأجورَات**».
مسند أبي يعلى ٧/ ١٠٩.

قال: القمار.

قال: لَعَلِّي إِنْ لَقِيتُهُ أَنْ أُصِيبَ مِنهُ عِوَضًا مِنَ القِمَارِ. وَمَاذَا؟!

قَالَ: الرِّبَا.

قَالَ: دِنتُ مَا أُدِنْتُ قَطُّ. وَمَاذَا؟!

قَالَ: الخَمْرُ.

قَالَ: أوه، أَرْجِعُ إِلَى صُبَابَةٍ بَقِيَتْ فِي المِهْرَاسِ فَأَشْرَبُهَا.

فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: فَهَل لَكَ فِي خَيرٍ مِمَّا هَمَمْتَ بِهِ؟!

قَالَ: وَمَا هُوَ؟!

قَالَ: نَحْنُ وَهوَ الآنَ فِي هُدْنَةٍ، فَتَأْخُذُ مِئةً مِنَ الإِبِلِ وَتَرجِع إِلَى بَلَدِكَ سَنَتَكَ هَذِهِ، فَتَنْظُر مَا يَصِيرُ إِلَيهِ أَمْرُنَا، فَإِنْ ظَهَرْنَا عَلَيهِ كُنْتَ أَخَذتَ خَلَفًا، وَإِنْ ظَهَرَ عَلَينَا أَتَيْتَهُ.

قَالَ: مَا أَكْرَهُ ذَلِكَ.

فَقَالَ لَهُ أَبو سُفيَانَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيش هَذَا الأَعْشَى وَوَالله لَئِنْ أَتَى مُحَمَّدًا وَاتَّبَعَهُ؛ لَيَضْرِمَنَّ عَلَيكُم نِيرَانَ العَرَبِ بِشِعْرِهِ، فَاجمَعُوا لَهُ مِئةً مِنَ الإِبِلِ، فَفَعَلُوا، فَأَخَذَهَا وَانْطَلَقَ إِلَى بَلَدِهِ، فَلَمَّا كَانَ بِقَاعٍ مَنفُوحَةٍ رَمَى بِهِ بَعِيرُهُ فَقَتَلَه.

أَقُولُ: انْظُرْ لِعَظِيمِ الشِّعرِ وَعُلُوِّ مَقَامِهِ كَيفَ عُتَاةُ العَرَبِ قَدْ أَرْعَبَهَا الأَعشَى فِي بَدِيعِ نِظَامِهِ وَبَذَلَت لَهُ مِئةً مِنَ الإِبِلِ، حَتَّى إِنَّهَا تَسْلَمُ مِنْ وَبَالِ شِعرِهِ وَتَدفَعُ عَنهَا نَائِرَةَ ضُرِّهِ، وَلَا غَروَ أَنْ فَزِعَتْ مِنْ لِسَانِهِ؛ لِأَنَّهُ فِي كَلَامِهِ إِذَا اطَّرَدَ وَقَامَ بَينَ العَربِ وَأَنْشَدَ بَدَائِعًا أَلفَاظُهَا رَقِيقَةٌ وَمَعَانِيهَا دَقِيقَةٌ تَأَلَفَ مَا تَخَالَفَ مِنهُم مِنَ الأَفئِدَةِ وَاجْتَمَعَ بِهَا مِنهُم أَجنَادٌ مُجَنَّدَةٌ وَأَلسِنَةُ البُلَغَاءِ تَجري فِي كُلِّ مَقَامٍ بِمَقَالٍ يُبْهِرُ فِي بَدَائِعِهِ أَرْبَابَ الكَمَالِ إِنْ أَرَادَتْ شَرًّا أَثَارَتهُ وَإِنْ خَمُدَتْ نِيرَانُهُ وَسَكَنَ دُخَانُهُ كَالأَسوَدِ بنُ المُنْذِرِ حِينَ حَرَّضَ

النُّعمَانَ[1] فِي قَصِيدَتِهِ البَائِيَّةِ عَلَى مُلُوكِ بَنِي غَسَّانَ، فَسَاقَ لَهُم الرَّدَى؛ فَقُتِلُوا فِي لَيلَةٍ وَاحِدَةٍ سَاعَةَ قَامَ مُنْشِدًا:[2] [من البسيط]

١.مَا كُلَّ يَومٍ يَنَالُ المَرءُ مَا طَلَبَا ... وَلَا يُبَلِّغُهُ المَقْدُورُ مَا وَهَبَا[3]

٢.وَأَنصَفُ النَّاسِ فِي كُلِّ المَواطِنِ مَن ... سَقَى الأَعَادِيَ بِالكَأْسِ الَّذِي شَرِبَا

٣.وَأَحزَمُ النَّاسِ مَنْ إِنْ نَالَ فِرصَتَهُ ... لَمْ يَجعَلِ السَّبَبَ المَوصُولَ مُقْتَضَبَا[4]

٤.وَلَيْسَ يَظْلِمُهُمْ مَنْ كَانَ يَضْرِبُهُم ... بِحَدِّ سَيْفٍ بِهِ مَنْ قَبْلَهُم ضَرَبَا

٥.فَالعَفْوُ إِلَّا عَنِ الأَكفَاءِ مَكرُمَةٌ ... مَنْ قَالَ غَيرَ الَّذِي قَدْ قُلْتُهُ كَذِبَا

٦.قَتَلْتَ عَمْرًا وَتَسْتَبقِي يَزِيدَ لَقَدْ ... رَأَيتَ رُؤيَا تَجُرُّ الوَيلَ وَالحَرَبَا

٧.لَا تَقْطَعَنْ ذَنَبَ الأَفْعَى وَتَترُكَهَا ... إِنْ كُنْتَ شَهمًا فَأَلحِقْ رَأْسَهَا الذَّنَبَا[5]

٨.وَاذْكُرْ لِمَنْجَاهُمُ مَثوَى أَبِي كَرَبٍ ... فِيهِم، وَحَبسَ عَدِيٍّ عِندَهُم حِقَبَا

---

(١) إِنَّمَا هُوَ أَبو أُذَينَةَ ابنُ عَمِّ مَلِكِ اللَّخْمِيِّين الأَسوَدُ بنُ المُنْذِر يُحَرِّضُهُ عَلَى قَتلِ الأُسَارَى الغَسَّانِيِّينَ، وَالقِصَّةُ مَعرُوفةٌ. ينظر: نهاية الأرب في فنون الأدب ١٥/ ٣٢٠، ومجاني الأدب ٦/ ٥٦، وجواهر الأدب ٢/ ٣٧٦، والذخائر والعبقريات ٢/ ١٣٢.

– الأَسْوَد اللَّخمي: الأَسودُ بنُ المُنذرِ الأَوَّلِ بنِ النُّعمَانِ بنِ امرئِ القَيسِ بنِ عَمرٍو اللَّخمِيُّ: مِن مُلوكِ العِرَاقِ فِي الجَاهِلِيَّةِ. تَولَّى بَعدَ أَبِيهِ، وَنَشَبَت حُروبٌ بَينَهُ وَبَينَ الغَسَّانِيِّينَ مُلوكِ الشَّامِ، فَقَهَرَهم، ثُم قُتِلَ فِي إِحدَى مَعَارِكِهِ مَعَهُم وذلك (نحو ١٦٤ق.هـ/ نحو ٤٩٣م).

ينظر: المناقب المزيديَّة ١/ ١١٩، والمختصر في أخبار البشر ١/ ٧٠، والمفصَّل في تأريخ العرب ٥/ ٣٠٧، ٦/ ١٨، والأعلام ١/ ٣٣٠.

(٢) لأبي أذينة في: المختصر في أخبار البشر ١/ ٧١، نهاية الأرب في فنون الأدب ١٥/ ٣٢٠، ومجاني الأدب ٦/ ٥٦، وجواهر الأدب ٢/ ٣٧٦، والذخائر والعبقريات ٢/ ١٣٢، وبلا عزو في: التذكرة الحمدونيَّة ٥/ ٤٤٧، والحماسة البصريَّة ١/ ٨٧، وغرر الخصائص ٤٩٦، ومجمع الحكم والأمثال ٢/ ٢٢١.

(٣) في (مصدر): (يسوغه) بَدلًا من (يبلِّغه).

(٤) في (مصدر): (منقضبا) بَدلًا من (مقتضبا).

(٥) في (مصدر): (وترسلها) بَدلًا من (وتتركها).

٩.أَضْحَتْ تُفَلَّقُ فِي البَيْدَاءِ هَامُهُم ... وَنَحنُ نَسْتَعْمِلُ اللَّذَاتِ وَالطَّرَبَا
١٠.لَا عَفْوَ عَنْ مِثلِهِمْ فِي مِثلِ مَا صَنَعُوا ... فَإِنْ يَكُنْ ذَاكَ كَانَ الهَلْكَ وَالعَطَبَا[1]
١١.إِنْ تَعْفُ عَنْهُم يَقُولِ النَّاسُ كُلُّهُمُ ... لَم يَعْفُ حِلْمًا وَلَكِنْ عَفْوَهُ رَهَبَا
١٢.وَكَانَ أَحْسَنَ مِنْ ذَا العَفْوِ لَو هَرَبُوا ... لَكِنَّهُم أَنِفُوا مِن مِثْلِكَ الهَرَبَا
١٣.لَمْ يَتْرُكُوا سَبَبًا لِلصُّلْحِ نَعْرِفُهُ ... فَلَا تَكُنْ أَنْتَ أَيضًا تَارِكًا سَبَبَا
١٤.هُمُ هُمُ آلُ غَسَّانٍ وَمَجْدُهُمُ ... عَالٍ، وَإِنْ حَاوَلُوا مُلْكًا فَلَا عَجَبَا
١٥.إِنْ حَاوَلوا المُلْكَ قَالَ النَّاسُ حَقَّهُمُ ... وَلَيْسَ طَالِبُ حَقٍّ مِثلَ مَنْ غَصَبَا
١٦.إِذَا وَتَرْتَ امْرَءًا فَاحْذَرْ عَدَاوَتَهُ ... مَن يَزْرَعِ الشَّوكَ لَمْ يَحصِدْ بِهِ عِنَبَا
١٧.إِنَّ الأَفَاعِي وَإِنْ لَانَتْ مَلَامِسُهَا ... عِندَ التَّقَلُّبِ فِي أَنيَابِهَا العَطَبَا
١٨.إِنَّ العَدُوَّ وَإِنْ أَبْدَى مُسَالَمَةً ... إِذَا رَأَى مِنْكَ يَوْمًا فِرْصَةً وَثَبَا
١٩.هُمْ جَرَّدوا السَّيفَ فَاجْعَلْهُمْ بِهِ جَزَرًا ... هُمْ أَوْقَدوا النَّارَ فَاجْعَلْهُمْ لَهَا حَطَبَا[2]
٢٠.وَأَعْرَضُوا بَعْدَ هَذَا وَاضِعِينَ لَنَا ... إِبِلًا وَخَيْلًا تَسُرُّ العُجْمَ وَالعَرَبَا
٢١.أَ يَحْلُبُونَ دَمًا مِنَّا وَنَحْلِبُهُمْ ... إِبِلًا، لَقَدْ أَنْشَبُونَا فِي الوَرَى حَرَبَا
٢٢.عَلَامَ تَقْبَلُ مِنْهُمْ فِديَةً وَهُمُ ... لَا فِضَّةً قَبِلُوا مِنَّا وَلَا ذَهَبَا
٢٣.فَاسْقِ الكِلَابَ دَمًا مِنْ عُصْبَةٍ دَمُهُمْ ... عِندَ البَرِيَّةِ تُسْتَشْفَى بِهِ الكَلَبَا
٢٤.فَالأُسدُ أُسدٌ وَإِنْ كَلَّتْ مَخَالِبُهَا ... وَالكَلْبُ كَلْبٌ وَإِنْ طَوَّقْتَهُ ذَهَبَا
٢٥.لَوْ لَمْ تسِرْ جَازَ أَنْ تَعْفُو مُحَاجَزَةً ... وَاللَّيْثُ لَا يُحْسِنُ البُقْيَا إِذَا قَرُبَا

طَسْمُ وَجُدَيسُ وَهَلَاكُهُما[3]

وَمِثلُ هَذَا اللَّخْمِيِّ، مِنْ جُدَيس امْرَأَتَانِ أَهْلَكَتَا بِشِعْرِهِمَا طَسمَ وَجُدَيسَ، وَلَمْ

(١) الهَلْكُ: الْهَلَاكُ. (اللسان ١٠/ ٥٠٣).
(٢) في(الأصل): (له) بدلًا من (لها).
(٣) جديس: جَديسُ بنُ لَاوذ بنِ إرم: جَدٌّ جَاهِلِيٌّ قَديمٌ، مِن العَربِ العَارِبةِ. كَانَت مَسَاكِنُ بَنيهِ=

يَنْجُ مِنهُمَا إِلَّا رَجُلَانِ، وَذَلِكَ أَنَّ مَلِكَ طَسم وَجُدَيس كَانَ جَبَّارًا عَاتِيًا يُسَمَّى عَملُوق، لَا يَنْهَاهُ نُـهَاهُ عَنْ الفُسُوقِ، وَإِنَّ إِحدَى الامْرَأَتَينِ كَانَتْ تُسَمَّى هَزيلَةٌ[1]، نَازَعَهَا زَوجُهَا جَهدَهَا، إِذْ طَلَّقَهَا وَأَرَادَ بَعدَ ذَلِكَ أَنْ يَأْخُذَ وَلَدَهَا، فَتَرَافَعَا عِندَ عَملُوق، فَقَالَت:

أَيُّهَا المَلِكُ، إِنَّ هَذَا وَلَدِي حَمَلْتُهُ تِسعَةَ أَشْهُرٍ، وَرَضَعْتُهُ سَبْعًا، وَلَمْ أَنَلْ مِنهُ نَفْعًا، وَحِينَ تَمَّ فِصَالُهُ، وَكَمُلَتْ خِصَالُهُ، أَرَادَ أَنْ يَأْخُذَهُ مِنِّي قَهْرًا، وَيَترُكَ يَدي مِنهُ صِفْرًا.

فَقَالَ زَوجُهَا: أَيُّهَا المَلِكُ، إِنَّهَا أَخَذَتْ المَهْرَ كَامِلًا، وَلَمْ أَنَلْ مِنهَا طَائِلًا، إِلَّا وَلَدًا خَامِلًا جَاهِل[2]، فَافْعَلْ بِنَا مَا أَنْتَ فَاعِل.

فَأَمَرَ المَلِكُ -فِي طُغْيَانِهِ- أَنْ يُؤخَذُ الوَلَدُ وَيُـجْعَلُ فِي غُلْمَانِهِ، وَقَالَ:

=بِاليَمَامَةِ أَو البَحرين، وَحَربهم مَعَ طَسَم مَشهورةٌ، قِيلَ إِنَّها انْتَهَت بِفَنَاءِ القَبِيلَتَينِ. وَقيل: كَانَ لِـجديس وَطَسْم (صَنمٌ) يُسَمُّونَهُ (كَثْرى) بَقِيَ إِلَى ظُهُورِ الإسلام، وَكَسَرَهُ نَهشلُ بنُ الرُّبَيْس.

الأعلام ٢/ ١١٣.

- طَسْم: طَسمُ بنُ لَاوذ بنِ إِرم: جَدٌّ جَاهِلِيٌّ قَديمٌ، مِن العَرب العَارِبة. كَانَت مَسَاكِنُ بَنيهِ (الأحقاف) بَينَ عُمَانٍ وَحَضرَمَوت. وَفِي الأخبَارِيِّينَ مَن يَقولُ: إِنَّ إِقَامَتَهُم، مَعَ جَديس، كَانَت فِي أَرَاضِي بَابِل، وَبعدَ غَزوِ الفُرسِ لِـهَا انْتَقَلوا إِلَى اليَمَامَةِ. وَفِي المُسْتَشْرِقِينَ مَن يَذهَب إِلَى أَنَّ هَلَاكَ طَسم وَجَديس كَانَ حَوالي سَنةَ (٢٥٠ بعد الميلاد)، وَلَا دَليلَ، فِي الآثَارِ أَو فِي الأَخبَارِ، يُؤَيِّدُ هَذَا، بَل الأَخبَارُ مُتَّفِقَةٌ عَلَى أَنَّهُم أَقدَمُ مِن هَذَا التَّاريخِ بِأَزمَانٍ، وَقِصَّتُهُم مَعَ جديس مَشهُورةٌ. وَفِي رِوَايةٍ عَن عُمرَ بنِ الخَطَّابِ أَنَّهُ قَالَ لِقُرَيش: «كَانَ وُلَاةُ هَذَا البَيتِ قَبلَكُم طَسَم، فَاسْتَخَفُّوا بِحَقِّهِ وَاسْتَحَلُّوا حُرمَتَهُ، فَأَهلَكَهُم اللهُ، ثُمَّ وَلِيتهُ بَعدَهُم جُرهُم، فَاسْتَخَفُّوا بِحَقِّهِ وَاسْتَحَلُّوا حُرمَتَهُ، فَأَهلَكَهُم اللهُ»، فَإِنْ صَحَّتْ الرِّوَايَةُ عَن عُمَرَ، عَرَفنَا أَنَّ العَرَبَ قُبَيلَ الإسلام كَانُوا يَتَنَاقَلونَ أَنَّ طَسمًا وَلِيت البَيتَ الحَرَامَ، وَأَنَّها كَانَت قَبلَ جُرهم. ينظر: الطبقات الكبرى ١/ ٣٨، الإكمال ٢/ ٤٣٩، ٦/ ١٠٠، وتأريخ دمشق ١/ ٨، ومختصر تأريخ دمشق ١/ ٤٠، والدرُّ المنثور ٥٣٠، وشاعرات العرب ٢٩، والأعلام ٣/ ٢٢٦.

(١) في(الأصل): (هذيلة)، وفي المصادر (هزيلة).

(٢) ترك الحركة من أجل السجع.

أَبْغِيهِ وَلَدًا ولَا وَلَد وَلَا تَنْكَحِي بَعدَ هَذَا أَحد[1].

فَقَالَت: أَمَّا النِّكَاحُ فَبِالمَهْرِ، وَأَمَّا السِّفَاحَ فَبِالقَهْرِ، وَلَيْسَ لِي فِيهِمَا مِنْ إِرَب، وَحَسْبِي مَا لَقِيتُ مِنْ هَذَا النَّصَب.

وَأَنْشَأَتْ بَعدَ ذَلِكَ تَقُولُ:[2]

١.أَتَيْنَا أَخَا طَسْمٍ لِيَحْكُمَ بَيْنَنَا فَأَبْرَمَ حُكْمًا فِي (هَزِيلَةِ) ظَالِما

٢.لَعَمْرِي لَقَدْ حَكَّمْتَ لَا مُتَوَرِّعًا وَلَا فَهِمًا عِنْدَ الْحُكُومَةِ عَالِما

٣.نَدِمْتُ فَلَمْ أَقْدِرْ عَلَى مُتَزَحْزِحٍ وَأَصْبَحَ زَوْجِي عَاثِرَ الرَّأْيِ نَادِمَا

فَلَمَّا وَصَلَ شِعرُهَا إِلَى (عَملُوق) غَضِبَ، وَعَلَى جُدَيسَ مِن غَيِّهِ وَخُيَلَائِهِ شَغَب، وَأَقْسَمَ مِنْ شِدَّةِ غَضَبِهِ وَنَبَّأَ أَن لَا تُزَفَّ عَرُوسٌ مِن جُدَيسَ إِلَّا هُوَ بِهَا قَبْلَ بَعْلِهَا يَبْدَأ، حَتَّى زُفَّت لِزَوجِهَا (عَفْرِيَّةُ بِنتُ عَفَار) الجُدَيْسِيَّةُ، فَحَمَلُوهَا إِلَى عَمْلُوقٍ عَلَى عَادَتِهِ الجَارِيَةِ، فَلَمَّا أَدْخَلُوهَا إِلَيْهِ، وَمُهْجَتُهَا بِنَارِ مُصِيبَتِهَا ذَاكِيةٌ، افْتَضَ بَكَارَتَهَا وَخَلَّى سَبِيلَهَا، فَخَرَجَتْ إِلَى قَوْمِهَا بِدَمِهَا حَامِلَةً مِن أَعْبَاءِ الفَضِيحَةِ ثَقِيلَهَا، مُسْتَصْرِخَةً بِهِم فِي أَلْفَاظٍ ذَكَى أُوَارُهَا، وَتَطَايَرَ شَرَارُهَا، قَدْ شَحَذَتْ فِيهَا صَوَارِمَ جُدَيْسَ لِهَلَاكِ طَسم، وَسَدَّدَتْ مِنهَا فِي قِسيَانِ المَنَايَا بِفُؤَادِ كُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ سَهْمًا، وَنَصَبَتْ لَهُم شَرَكًا مِنَ العَطَبِ لَا يَفْلِت مِنهُ أَحَدٌ، وَأَجَّجَتْ لَهُم نِيرَانَ رَدًى فِي أَسيَافِ قَوْمِهَا تَتَوَقَّدُ، وَلَعَمْرِي لَقَدْ أَبْدَعَتْ فِي شِعْرِهَا الَّذِي أَثَارَ قَومَهَا وَأَيْقَظَهَا، وَهيَ مُسْتَحلِيَةٌ عَلَى المَذَلَّةِ نَومُهَا، وَهوَ هَذَا الَّذِي يُثِيرُ الجَبَانَ عَلَى الأَسدِ الغَضْبَانِ:[3] [من الطويل]

١.أَ يَصْلَحُ أَنْ يَأْتِي عَلَى فَتَيَاتِكُمْ وَأَنْتُم رِجَالٌ فِيكُمُ عَدَدُ النَّمْلِ[4]

(١) وهنا أيضًا ترك الحركات من أجل السجع.

(٢) نهاية الأرب ١٥/ ٣٣٩، وخزانة البغداديّ ٢/ ٢٧٢، وشاعرات العرب ٢٩.

(٣) التذكرة الحمدونيَّة ٧/ ٣٦٣، وخزانة البغداديّ ٢/ ٢٧٣. وفيهما اختلاف كثير عن الأصل.

(٤) في (بعض المصادر): (أيجمل ما يؤتى إلى) بدلًا من (لها). و(أناس) بدلًا من (رجال).

٢.أَ يَصْلَحُ تَمشِي فِي الدِّمَا فَتَيَاتُكُم ... صَبِيحَةَ زُفِّتْ فِي النِّسَاءِ إِلَى البَعْلِ
٣.فَدُونَكُمُ ثَوبَ العَرُوسِ فَإِنَّما ... خُلِقْتُمْ لِأَثوَابِ العَرَائِسِ لِلْغُسْلِ
٤.فَلَوْ أَنَّنَا كُنَّا رِجَالًا وَكُنْتُمُ ... نِسَاءً لَكُنَّا لَا نَقَرُّ عَلَى الذُّلِّ
٥.فَقُبْحًا وَشِيكًا لِلَّذِي لَيْسَ دَافِعًا ... وَيَخْتَالُ يَمْشِي بَينَنَا مِشْيَةَ الفَحْلِ
٦.فَكُونُوا كِرَامًا وَاصْبِرُوا لِعَدِوِّكُمْ ... لِحَربٍ تَلَظَّى بِالضِّرَامِ إِلَى الجَزلِ
٧.وَإِلَّا فَخَلُّوا بَطْنَهَا وَتَحَمَّلُوا ... إِلَى بَلَدٍ قَفْرٍ وَهَزلٍ مِنَ الهَزلِ
٨.وَلَا تَجْزَعُوا يَا قَومُ لِلْحَربِ إِنَّهَا ... تَقُومُ بِأَقوَامٍ كِرَامٍ عَلَى الرِّجْلِ
٩.فَيَهْلَكُ فِيهَا كُلُّ نَكْسٍ مُوَاكِلٍ ... وَيَسلَمُ فِيهَا ذُو النَّجَابَةِ وَالفَضْلِ

فَلَمَّا سَمِعَ قَومُهَا اجْتَمَعوا غَضَبًا لِمَا نَالَهَا مِنَ الصَّغَارِ، وَقَامَ فِيهِم رَئِيسُهُم الأَسوَدُ ابنُ عَفَارٍ، وَتَواطَأَ مَعَهُم بَعدَ إِجَالَةِ النَّظَرِ أَنْ يَصْنعَ لِعَملُوقَ وَطَسَمَ طَعَامًا، وَأَن يَدفُنُوا سُيوفَهَم فِي الرَّغَامِ، فَإِذَا أَتُوهُم اسْتَثَارُوا سُيُوفَهَم مِنَ التُّرَابِ وَقَتَلُوهُم، فَقَالَتْ عَفْرِيَّةُ لَا تَفْعَلوا هَذَا إِنَّهُ لَغَدرٌ، وَيَكونُ عَلَيكُم عَارًا وَذُلًّا مَا لَكُم فِيهِ مِن عُذرٍ، وَلَكِنْ كَاثِرُوا القَومَ فِي دِيَارِهِم وَاضْرِمُوهَا عَلَيهِم ضِرَامًا، فَأَمَّا أَنْ تَظْفُرُوا بِهِم أَو تَموتُوا كِرَامًا، فَقَالَ كَبِيرُهُم المَكرُ لَنَا مِنهُم أَمْكَن مِنْ أَنْ نُحَارِبَهُم عَلَن[1]، ثُمَّ إِنَّهُ صَنعَ الطَّعَامَ وَدَعَا عَملوقَ وَطَسَمَ، فَلَمَّا أَتُوهُم قَتَلوهُم أَجْمع، وَلَمْ يَفْلِتْ مِنْهُم إِلَّا رَجلٌ وَاحِدٌ اسمُهُ مُرَّةٌ، قَصَدَ حَسَّانَ بنَ تُبَّعَ وَاسْتَغَاثَ بِهِ، فَأَغَاثَهُ وَوَعَدَهُ بِالنَّصْرِ وَالظَّفَرِ، وَنَادَى بِالمَسِيرِ فِي حِميَر، فَلَمَّا سَارَ قَالَ لَهُ رِيَاحُ الحِمْيَرِيُّ:

إِنَّ أُخْتِي الزَّرقَاءَ مُتَزَوِّجَةٌ فِي جُدَيْسَ، وَهيَ تُبْصِرُ الرَّاكِبَ مِنْ مَسِيرِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، فَأَخَافُ أَنْ تُنْذِرَ قَومَهَا فَتَسْتَعِدَّ لِلْحَربِ والاصْطِدَامِ، فَأَمَرَ كُلَّ إِنسَانٍ يَحمِلُ شَجَرَةً وَيَمْشِي وَرَاءَهَا إِذَا سِرنَا؛ لِيخْفَى أَمْرُنَا عَلَيهَا إِذَا نَحنُ إِلَيهِم وَرَدنَا، فَأَمَرَهم بِذَلِكَ، فَلَمَّا صَارُوا عَلَى ثَلَاثِ لَيالٍ مِنهُم، أَتَتْ الزَّرقَاءُ إِلَيهِم تُنْذِرهُم، وَقَالَتْ: يَا جُدَيْسُ أَرَى قَد

(١) هي (علنًا): وتركت الحركة من أجل السجع.

سَارَ إِلَيكُم شَجَرٌ مِنَ وَرَائِهِ بَشَرٌ، وَإِنِّي لَأَرَى مِنهُم رَجُلًا مِن وَرَاءِ شَجَرةٍ يَنْهَشُ كَتِفًا وَيَخصِفُ نَعلًا، فَكَذَّبُوهَا وَغَفَلُوا عَن الأُهْبَةِ لِلْكِفَاحِ، فَقَالَتْ عِندَ ذَلِكَ تُحَذِّرُهُم أُختُ رِيَاح:[1] [من البسيط]

١.خُذُوا لَهمْ حِذرَكُمْ يَا قَوْمُ يَنْفَعُكُم ... فَلَيْسَ مَا قَدْ أَرَى سَهلًا فَيُحْتَقَرُ[2]

٢.إِنِّي أَرَى شَجَرًا مِنْ خَلْفِهِ بَشَرٌ ... فَكَيفَ تَجْتَمِعُ الأَشْجَارُ وَالبَشَرُ؟![3]

٣.صُفُّوا الطَّوَائِفَ مِنكُمْ قَبْلَ دَاهِيَةٍ ... مِنَ الأُمُورِ الَّتِي تَخفَى وَتُنْتَظَرُ[4]

٤.إِنِّي أَرَى رَجُلًا فِي كَفِّهِ كَتِفٌ ... وَيَخْصِفُ النَّعْلَ خَصْفًا لَيْسَ يَعْتَسِرُ[5]

٥.ثُورُوا بِأَجْمَعِكُم فِي وَجْهِ أَوَّلِهِمْ ... فَإِنَّ ذَلِكَ مِنكُمْ -فَاعْلَمُوا- ظَفَرُ

٦.وَغَوِّروا كُلَّ مَاءٍ دُونَ نَزلِهُمُ ... فَلَيسَ مِنْ دُونِهِ نَحْسٌ وَلَا ضَرَرُ[6]

٧.وَعَاجِلُوا القَومَ عِندَ اللَّيلِ إِنْ رَقَدُوا ... وَلَا تَخَافُوا لَهَا حَرْبًا وَإِنْ كَثُرُوا[7]

وَمَا سَمِعوا كَلَامَهَا حَتَّى كَانَ حَسَّانُ مِنَ اليَمَامَةِ عَلَى مَسِيرِ لَيلَةٍ، فَهُنَاكَ عَبَأَ جَيشَهُ، ثُمَّ أَصْبَحَهُم صَبَاحًا وَأَهْجَمَ عَلَيهِم خَيلَهُ، وَاسْتَبَاحَهُم قَتلًا وَسَبيًا، وَهَرَبَ الأَسوَدُ حَتَّى نَزَلَ بِطَيِّئ، فَاسْتَجَارَ بِهِم فَأَجَارُوهُ، وَعَنهُ كُلَّ مَحذُورٍ دَفَعُوهُ، ثُمَّ إِنَّ (حَسَّانًا) لَمَّا فَرِغَ قَلَعَ عَيْنَي (الزَّرقَاء) وَفِي دَاخِلِهِمَا عُرُوقًا سُودًا وَجَدَ، فَسَأَلَهَا عَنْ ذَلِكَ فَقَالَتْ: حَجَر أَسوَدُ أَكْتَحِلُ بِهِ يُسَمَّى الإِثمِد فَيَشِبُّ عَلَيهِ بَصَري، وَيَقوَى عَلَيهِ نَظَرِي، وَقِيلَ إِنَّهَا قَبلَ كُلِّ أَحَدٍ بِهِ اكتَحَلَتْ، وَقَد أَمَرَ بِصَلْبِهَا عَلَى بَابِ جَوِّ

(١) نهاية الأرب ١٥/ ٣٤٢.

(٢) في (بعض المصادر): (فليس ما قد أراه اليوم) في موضع (فَلَيْسَ مَا قَدْ أَرَى سَهلًا).

(٣) في (الأصل): جاء العجز برواية: (وكيف) في موضع (فكيف).

(٤) في (بعض المصادر): (يخشى) في موضع (تخفى).

(٥) في (بعض المصادر): (أو يختصف النَّعل خصفًا ليس يعتذر)، وهو مكسور.

(٦) في (بعض المصادر): (منزلهم) في موضع (نزلهم).

(٧) في (بعض المصادر): (أو عاجلوا) في موضع (وعاجلوا).

اليَمَامَةِ[1]، فَصُلِبَتْ وَسُمِّيَت زَرقَاءُ اليَمامَةِ؛ إذ صُلِبَت عَلَى بَابِهَا عَلاَنِيةً بَيَن الأَنَامِ، وَاشْتَهَرَ أَمرُهَا بَينَ الخَاصِّ وَالعَام.

فَانْظُر لَو حَلَّ مَوتٌ ذَرِيعٌ فِي هَاتَينِ القَبِيلَتَينِ مَا فَعَلَ مِثلَهَا فَعَلَ شِعرُ هَاتَينِ الامرَأَتَينِ؛ لِأَنَّ شِعرَ هَذيلَة كَانَ سَبَبًا لِغَضَبِ عَملُوقَ عَلَى جُدَيْسَ حَتَّى ارْتَكَبَ مِنهَا مَا ارْتَكَبَ، وَشِعرُ عَفْرِيَّةَ أَثَارَ عَلَى عَملُوقَ وَطَسْمَ العَطَبَ وَجَرَّ لِسَببِ إهْلَاكِ طَسْم لِجُدَيْسَ الشَّجَب، فَكَانوا جَمِيعًا مَثلًا بَينَ العَرَب، وَإِذَا كَانَ بِالشِّعرِ يُثَارُ مِثلُ هَذَا البَلَاءُ الأَعظَمُ كَيفَ قُرَيشُ لَا تَفْزَعُ مِن الأَعْشَى إِذَا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ وَأَسْلَم، وَهُم يُسَمُّونَهُ صَنَّاجَةَ العَرَبِ مِنْ عُظْمِ انْطِلَاقِ لِسَانِهِ بِنَظْمِهِ وَحُسْنِ تَأَنُّقِهِ فِي كَلِمِه، وَهُم يُشَبِّهُونَ اللِّسَانَ مِن حِدَّةِ كَلَامِهِ بِالحُسَامِ وَالسِّنَانِ وَكَذَلِكَ الآرَاءُ إِذْ يَهْتَدِي بِهَا الإنسَانُ فِي كَلَامِهِ لِمَا طَلَب، وَالأَقلَامُ إِذ تَرسِمُ الكَلَامَ فِي الكُتُب، وَالكُتُبُ إِذ أُودِعَتْ غُرَرَهَ وَتَحمَّلَتْ زُبُرَه، بَلْ يُشَبِّهونَ الكُتُبَ بِالكَتَائِبِ، إِذ تُجَلِّي الوَغَى، وَتَفُلُّ مُجتَمَعَ المَقَانِب.

التَّشْبِيهَاتُ

وَقَدِ اسْتَفَاضَ مِنهُم هَذَا التَّشْبِيهُ حَتَّى اشْتَهَرَ فِي تَنَقُّلِ مَعنَاه فِي الشِّعرِ عَلَى كَثرَةِ قَوَافِيهِ وَالتَّشْبِيهِ لَهُ أَرْبَعَةُ أَرْكَانٍ عِندَ عُلَمَاءِ المَعَانِي وَالبَيَانِ، كَقَولِكَ لِسَانُ فُلَانٍ فِي حِدَّتِهِ كَالسِّنَانِ فَالأَوَّلُ المُشَبَّهُ وَهوَ اللِّسَانُ وَالثَّانِي المُشَبَّهُ بِهِ وَهوَ السِّنَانُ وَالثَّالِثُ المُشَبِّهُ وَهوَ الإنْسَانُ وَالرَّابِعُ التَّشْبِيهُ وَهوَ إِلحَاقُ المَذكورِ بِالشَّبِهِ عَلَى حَسَبِ مِثَالِهِ فِي هَذِهِ الكَلِمَاتِ.

وَلَهُ أَيْضًا خَمسُ أَدَواتٍ: (الكَافُ، وَكَأَنْ، وَشِبهُ، وَمِثْلُ، وَالمَصْدَر بِتَقْدِيرِ الأَدَاةِ. بِحَسَبِ مَا حَدَّهُ أولُو الفَضْلِ)[2].

(١) الجَوُّ: في اللغة ما اتَّسع من الأودية، قال بعضهم: خلا لك الجوّ فبيضي واصفري.
– جَوّ: اسمٌ لِنَاحِيةِ اليَمَامَةِ، وَإِنَّما سُمِّيَت اليَمامَةُ بَعدُ بِاليَمَامَةِ الزَّرقَاءِ فِي حَديثِ طَسَم وَجُدَيْس. ينظر: معجم البلدان ٢/ ١٩٠، الدرُّ المنثور ٥٣٠.

(٢) تحرير التحبير ١٦١.

فَأَمَّا الَّذِي أَدَاتُهُ (الكَافُ) عَلَى حَسَبِ مَا يُوافِقُ هَذَا المَقَامَ، وَيُنَاسِبُ قَولَ الشَّرِيفِ الرَّضِيِّ نَقِيبِ بَنِي غَالِبٍ:[1] [من الكامل]

١. بِنَوَافِذٍ لِلْقَوْلِ يَبْلُغُ وَقْعُهَا مَا لَيْسَ يَبلغُ بِالرِّمَاحِ الشُّرَّعِ

٢. شُهُبٌ تَشَعْشَعَ فِي النَّوائِبِ ضَوؤُهَا كَالشَّمْسِ تَنْغُضُ رَأْسَهَا لِلْمَطْلَعِ[2]

وَكَقَولِهِ أَيْضًا: [3] [من الرجز]

وَمِقْوَلِي كَالسَّيفِ يَحْتَمِي بِهِ أَشْوَسُ أَبَّاءٌ عَلَى المَقَاوِلِ[4]

وَقَولِ عَمْرِو بنِ العَاصِ: [5] [من المتقارب]

وَحَدٌّ لِسَانٍ كَوَخْزِ السِّنَانِ يَصُوغُ الخَلِيقَةَ مِنْ مِقْوَلِي

وَقَولِ البُحْتُرِيِّ وَقَد جَمعَ الَّذِي أَدَاتُهُ (الكَافُ)

---

(١) ديوان الشريف الرضيّ ١/ ٤٨٠.

(٢) يَنْغُضُ نَغْضًا وأَنْغَض: تحرَّك واضْطَرَبَ. (اللسان ٧/ ٢٣٨).

(٣) ديوان الشريف الرضيّ ٢/ ٦٤٦.

(٤) المَقَاوِلُ: جَمعُ مِقْوَل، وهو اللسان. (اللسان ١١/ ٧٥٧).

(٥) عَمرُو بنُ العَاصِ بنِ وَائِلٍ السَّهمِيُّ القَرَشِيُّ، فَاتِحُ مِصر، وَأَحدُ دُهاةِ العَربِ وَأُولِي الرَّأيِ وَالحَزمِ وَالمَكيدَةِ فِيهِم. كَانَ فِي الجَاهِلِيَّةِ مِنَ الأَشدَّاءِ عَلَى الإسلام، وَأَسلَمَ فِي هُدنَةِ الحُدَيبِيَّةِ. وَوَلَّاهُ النَّبِيُّ ﷺ إِمرَةَ جَيشِ (ذَاتِ السَّلَاسِلِ) وَأَمَدَّهُ بِأَبِي بَكرٍ وَعُمَرَ، ثُمَّ اسْتَعمَلَه عَلَى عُمَانَ، ثُمَّ كَانَ مِن أُمَرَاءِ الجُيوشِ فِي الجِهَادِ بِالشَّامِ فِي زَمَنِ عُمرَ، وَهوَ الَّذِي افْتَتَح قَنسرينَ، وَصَالَحَ أَهلَ حَلَبٍ وَمَنبَجٍ وَأَنطَاكِيَّةِ، وَوَلَّاهُ عُمرُ فِلسطِينَ، ثُمَّ مِصرَ فَافْتَتَحَهَا، وَعَزلَه عُثمَانَ. وَلَمَّا تَمَرَّدَ مُعَاوِيةُ عَلَى حُكمِ أَمِيرِ المُؤمِنِينَ عَلِيٍّ عليه السلام، وَقَامَت مَعرَكَةُ صِفِّينَ، كَانَ عَمرُو مَعَ مُعَاوِيةَ، وَكَانَ ثَمنُ ذَلِكَ أَن وَلَّاهُ مُعَاوِيةُ عَلَى مِصرَ وَأَطلَقَ لَهُ خَرَاجَهَا سِتَّ سِنِينَ، فَجَمَعَ أَموَالًا طَائِلَةً. وَتُوُفِّيَ بِالقَاهِرةِ سَنةَ (٤٣هـ/ ٦٦٤م). له ترجمة في: الطبقات الكبرى ٧/ ٣٤٢، ومعجم الصَّحابة ٢/ ٢١٣، الثِّقات لابن حبَّان ٣/ ٢٦٥، ورجال صحيح البخاريّ ٢/ ٥٣٥، ورجال صحيح مسلم ٢/ ٦٥، ومعرفة الصَّحابة ٤/ ١٩٨٧، والاستيعاب ٢/ ١١٨٤، وتأريخ دمشق ٤٦/ ١٠٨، وأسد الغابة ٤/ ٢٣٢، وتأريخ الإسلام ٢/ ٤٢٥، سير أعلام النُّبلاء ٣/ ٥٤، وغاية النهاية في طبقات القرَّاء ١/ ٦٠١، والإصابة ٤/ ٥٣٧، والأعلام ٥/ ٧٩.

وَ(كَأَن):[1] [من الكامل]

١. يَقْظَانَ يَنْتَخِبُ الكَلَامَ كَأَنَّهُ جَيْشٌ لَدَيهِ يُرِيدُ أَنْ يَلقَى بِهِ

٢. فَأَتَى بِهِ كَالسَّيْفِ رَقْرَقَ صَيْقَلٌ مَا بَينَ قَائِمِ سِنْخِهِ وَذُبَابِهِ[2]

وَأَمَّا الَّذِي أَدَاتُهُ (كَأَن) فَكَقَولِ أَبِي الطَّيِّبِ المُتَنَبِّي الَّذِي بَرَعَ فِي هَذَا الفَنِّ: [3]

كَأَنَّ أَلسُنَهُمْ فِي النُّطْقِ قَدْ جُعِلَتْ عَلَى رِمَاحِهِمُ فِي الطَّعْنِ خُرْصَانَا

وَكَقَولِ أَبِي عُبَادَةَ البُحْتَرِيِّ:[4] [من الطويل]

بِكُلِّ مُعَلَّاةِ القَوَافِي كَأَنَّهَا إِذَا أُنْشِدَتْ فِي فَيلَقِ القَوْمِ فَيلَقُ

وَقَولِ مِهيَارِ الدَّيْلَمِيِّ:[5] [من الرجز]

كَأَنَّمَا أَلسُنُكُمْ لَهَاذُمٌ عَلَى القَنَا تُشْرَعُ فِي صِعَادِهَا

وَقَولِهِ أَيْضًا: [6] [من السريع]

---

(١) ديوان البحتريّ ١/ ٣٠-٣١.

(٢) السِّنْخُ: الأَصل مِنْ كُلِّ شَيْءٍ. (اللسان ٣/ ٢٦)، وذُبابُ السَّيفِ: طَرَفُه المُتَطَرِّفُ الَّذِي يُضْرَبُ بِهِ، وَقِيلَ حَدُّه. (اللسان ١/ ٣٨٣).

(٣) ديوان المتنبِّي ١٦٩.

(٤) ديوان البحتريّ ٣/ ١٤٩٨.

(٥) ديوان مهيار الديلميّ ١/ ٣١٨.

-مِهْيَار الدَّيْلَميّ: مِهيَارُ بنُ مَرزَويه، أَبو الحَسَنِ الدَّيلَمِيُّ، شَاعِرٌ كَبيرٌ، فِي مَعَانِيهِ ابْتِكَارٌ، وَفِي أسلُوبِهِ قُوَّةٌ. قَيل عنه: جَمعَ مِهيارُ بينَ فَصَاحَةِ العَربِ وَمَعَانِي العَجَم. وَقيل: مِهيارُ شَاعِرُ زَمَانِه. فَارسيُّ الأَصلِ، مِن أَهلِ بَغدَادَ، فيها نشأ وفيها توفِّي سنة (٤٢٨هـ/ ١٠٣٧م)، وَقِيلَ عَنهُ أَنَّهُ أَسلَمَ سَنةَ (٣٩٤هـ) -مُعتَنِقًا مَذهَبَ أَهلَ البَيتِ صَلِبًا فِيهِ- عَلَى يَدِ الشَّرِيفِ الرَّضِيِّ، وَهوَ شَيخُهُ، وَعَلَيهِ تَخَرَّجَ فِي الشِّعرِ وَالأَدَبِ، لَهُ (ديوان شعر) أَربَعة أَجزَاءٍ، كَانَ يُقرَأ عَلَيهِ أَيَّامَ الجُمُعَاتِ فِي جَامِعِ المَنصورِ بِبَغدَادَ. وَلِلسَّيدِ عَليّ الفَلَّال كِتَابُ (مهيار الديلميّ وشعره).

له ترجمة في: تأريخ بغداد ١٣/ ٢٧٦، ودمية القصر ١/ ٣٠٣، تأريخ الإسلام ٩/ ٤٥٣، وسير أعلام النُّبلاء ١٧/ ٤٧٢، والأعلام ٧/ ٣١٧، ومعجم المؤلِّفين ١٣/ ٣٢.

(٦) ديوان مهيار الديلميّ ٤/ ١٤١.

١. أَلْسُنُهُمْ إِخْوَةٌ أَرْمَاحِهِمُ مُطَاعِنِينَ أَوْ مُكَاتِبِينَا[١]
٢. كَأَنَّهُمْ بِالسُّمْرِ يَكْتُبُونَنَا أَوْ قَصَبِ الأَقْلَامِ يَطْعُنُونَنَا[٢]

وَقَولِ الشَّيْخِ عَلِيّ بنِ مُحَمَّدٍ التِّهَامِيِّ:[٣] [من الكامل]

وَكَأَنَّ أَسْطُرَهُ خَمِيسُ عَرَمْرَمٍ وَهِلَالَ رَايَتِهِ اسْتِدَارَةُ رَائِهِ

وَقَولِ أَبِي سَعِيدٍ الرُّسْتُمِيِّ:[٤] [من الطويل]

سُطُورٌ إِذَا مَا صُفِّفَتْ فَكَأَنَّهَا كُمَاةٌ وُقُوفٌ هَمُّ أَكْثَرِهَا الحَرْبُ

وَأَمَّا الَّذِي أَدَاتُهُ (شِبه)، فَكَقَولِ بَعْضِهِم: [من الطويل]

١. فَأَلْسُنُهُم شِبْهُ الرِّمَاحِ مَقَالُهَا وَلَيْسَ لَهَا فِي القَولِ شِبْهٌ وَلَا مِثْلُ
٢. إِذَا جَرَّدُوهَا فِي العِدَى فَصَوَارِمٌ بِأَعْدَائِهِمْ مِنْ وَقْعِهَا يَكثُرُ القَتْلُ

(١) في الديوان: (ومخاطبينا) في موضع (أو مكاتبينا).

(٢) في الديوان: جاء البيت برواية:

كأنهم بالسمر يكتبون أو بقصب الأقلام يطعنوننا

(٣) ديوان أبي الحسن التهاميّ ٦٥.

-أَبُو الحَسَنِ التِّهَامِيُّ: عَلِيُّ بنُ مُحَمَّدِ بنِ فَهْدٍ شَاعِرُ وَقْتِهِ، وَكَانَ دَيِّنًا، وَرِعًا عَنِ الهجَاء. وُلِدَ: بِاليَمَنِ، وَقَدِمَ الشَّامَ وَالعِرَاقَ وَالجبل، وَامتدح ابْنَ عَبَّاد، وَصَارَ مُعتزليًّا، ثُمَّ وَلِي خطَابَةَ الرَّمْلَة، وَزعم أَنَّهُ علوِيٌّ. وَذَهَبَ إِلَى مِصْرَ بِخَبَرِ لحَسَّان بنِ مُفَرِّج، فَقُتِلَ سِرًّا سَنَة سِتَّ عَشْرَةَ وَأَرْبَع مِئَة. لَهُ (دِيْوَانٌ) صَغِيْرٌ، أَشهَرُ قَصَائِدِهِ رَائِيَّتُهُ فِي رِثَاءِ ابنِهِ، مطلعها:

حُكمُ المَنِيَّةِ فِي البَرِيَّةِ جَارِي مَا هَذِهِ الدُّنْيَا بِدَارِ قَرَارِ

له ترجمة في: تأريخ بغداد ١٩/ ٣٧، وتأريخ دمشق ٤٣/ ٢٢٠، ومختصر تأريخ دمشق ١٨/ ١٧١، وتأريخ الإسلام ٩/ ٢٧١، وسير أعلام النُّبلاء ١٣/ ١١٦، والوافي بالوفيات ٢٢/ ٧٤، وديوان الإسلام ٢/ ٢٣.

(٤) أَبو سَعِيدٍ الرُّسْتُمِيُّ: مُحمَّد بنُ مُحمَّد بنِ الحَسَنِ بنِ مُحمَّد بنِ الحَسَنِ بنِ عَلِيٍّ بنِ رُستُم، مِن أَبنَاءِ أَصبَهَانِ وَأَهلِ بُيوتَاتِهَا، وَمَن يَقولُ الشِّعرَ فِي الرُّتبَةِ العُليَا، وَمِن شُعَراءِ العَصرِ فِي الطَّبَقَةِ الكُبرَى. ينظر: الإعجاز والإيجاز ١٩٩، وخاص الخاص ١٧٣، ولباب الآداب ٢٠٦، ويتيمة الدهر ٣/ ٣٥٥.

وَأَمَّا الَّذِي أَدَاتُهُ (مِثلُ) فَكَقَولِ الخَنْسَاء:[1] [من المتقارب]

وَقَـافِـيَـةٍ مِـثـلُ حَـدِّ الـسِّـنَـانِ تَـبْـقَـى وَيَـذْهَـبُ مَـنْ قَـالَهَـا

وَقَولِ أَبِي الحَسَنِ التِّهَامِيِّ:[2] [من الكامل]

أَعْـدَى أَنَـابِـيـبَ الـيَـرَاعِ بِـفَـهْـمِـهِ وَنَـفَـاذِهِ، فَـمَـضَـيْنَ مِـثـلَ مَـضَـائِـهِ[3]

وَأَمَّا المُصَدَّرُ بِتَقْدِيرِ الأَدَاةِ فَكَقَولِ الشَّرِيفِ الرَّضِيِّ:[4] [من الكامل]

١. وَلَأَ لْـمَـعَـنَّ بِـكُـلِّ بَـيْـتٍ شَـارِدٍ لَـمْـعَ المُـهَـنَّـدِ فِي يَـمِـينِ المُـصْـلِـتِ

٢. مِـنْ كُـلِّ قَـافِـيَـةٍ تَخِـبُّ إِلَـيْـكُـمُ بِـشُـوَاظِـهَـا خَـبَـبُ الجَـوَادِ المُـفْـلِـتِ

وَقَولِهِ أَيْضًا:[5] [من البسيط]

مُـسَـوِّدٌ قَـصَـبَ الأَقْـلَامِ نَـالَ بِهَـا نَـيـلَ المُـحَـمِّـرِ أَطْـرَافَ القَـنَـا الـلُّـدُنِ

(١) ديوان الخنساء ١٠١.

-الْخَنْسَاء: تُماضرُ بِنتُ عَمرِو بنِ الحَارِثِ بنِ الشُّرِيِّد، الرِّيَاحِيَّةُ السُّلَمِيَّةُ، مِن بَنِي سُلَيم، مِن قَيس عَيلَان، مِن مُضَر: أَشهرُ شَوَاعِرِ العَربِ، وَأَشهَرُهُنَّ عَلَى الإِطلَاقِ. مِن أَهلِ نَجدٍ، عَاشَت أَكثرَ عُمرِهَا فِي العَهدِ الجَاهلِيِّ، وَأَدرَكَت الإسلام فَأَسلَمَت، وَوَفَدَت عَلَى رَسولِ اللهﷺ مَعَ قَومِهَا بَنِي سُلَيم، فَكَانَ رَسولُ الله يَستَنشِدُهَا وَيُعجِبُه شِعرُهَا، فَكَانَت تُنشِد وَهوَﷺ يَقولُ: «**هِيه يَا خَنسَاءُ**»! أَكثرُ شِعرِهَا وَأَجوَدُهُ رِثَاؤُهَا لِأَخَويهَا (صَخر وَمعاوية)، وَكَانَا قَد قُتِلَا فِي الجَاهِلِيَّةِ. لَهَا (ديوان شعر)، فِيهِ مَا بَقِيَ مَحفوظًا مِن شِعرِهَا، وَكَانَ لَهَا أَربَعةُ بَنِينَ شَهِدُوا حَربَ القَادِسِيَّةَ (سنة ١٦هـ)، فَجَعَلَت تُحَرِّضُهُم عَلَى الثَّباتِ حَتَّى قُتِلوا جَمِيعًا؛ فَقَالَت: الحَمدُ لله الَّذِي شَرَّفَنِي بِقَتلِهِم! توفِّيت سنة (٢٤هـ/ ٦٤٥هـ). لها ترجمة في: الشعر والشعراء ١/ ٣٣١، ويتيمة الدهر ٣/ ٣٥٥، وزهر الآداب ٤/ ٩٩٨، والاستيعاب ٤/ ١٧٩٨، ونهاية الأرب في فنون الأدب ١٨/ ٢٦، والوافي بالوفيات ١٠/ ٢٤٠، ومعاهد التنصيص ١/ ٣٤٨، ومجاني الأدب ٦/ ٢٩٥، والأعلام ٢/ ٨٦، ومعجم المؤلِّفين ٣/ ٩٢.

(٢) ديوان أبي الحسن التهاميّ ٦٥.

(٣) في الديوان: (ونفاده) في محل (ونفاذه).

(٤) ديوان الشريف الرضيّ ١/ ١٧٣.

(٥) ديوان الشريف الرضيّ ٢/ ٩٤٧.

وَقَولِ أَبِي تَمَّام:[1] [من الطويل]

وَمَا تَنْصُرُ الأَسْيَافُ نَصْرَ مَدِيحَةٍ ... لَهَا عِندَ أَبوَابِ الخَلَائِفِ مَحْضَرُ

وَقَولِ أَبِي سَعيدٍ الرُّسْتُمِيِّ: [من الطويل]

لَمَعْنَ لَنَا لَمْعَ الأَسِنَّةِ وَالضُّبَا ... وَأَشْكَالهَا مِن فَوْقِهَا الطَّعْنُ وَالضَّرْبُ

وَقَولِ مِهيَارَ الدَّيلَمِيِّ:[2] [من الطويل]

١. وَمَخْطُوبَةٍ بِالكَبْتِ وَالرُّسْلُ مَهْرُهَا ... غَرَائِبُ أَبْكَارِ الكَلَامِ البَدَائِعُ

٢. يَقُومُ الخِطَابُ الفَصْلُ وَالجَوُّ سَاكِنٌ ... لَدَيْهَا مَقَامُ النَّصْلِ وَالنَّقْعُ سَاطِعُ[3]

وَقَولِهِ أَيضًا:[4] [من المنسرح]

كُنْتَ لِسَانًا يَقْضِي إِذَا نَطَقُوا ... قَضَاءَ أَزْمَاحِهِم إِذَا شَرَعُوا

وَقَولِهِ أَيضًا:[5] [من الوافر]

مَضَتْ آرَاؤُهُ فِيهِمْ نَفَاذًا ... نَفَاذَ السَّمْهَرِيَّةِ فِي الطِّعَانِ[6]

وَقَولِهِ أَيضًا:[7] [من البسيط]

---

(١) خلا الديوان من هذا البيت.

- أَبو تَمَّام: حَبِيبُ بنُ أَوسِ بنِ الحَارِثِ الطَائِيُّ، الشَّاعِرُ، الأَديبُ. أَحدُ أُمَرَاءِ البَيَانِ. وُلِدَ فِي جَاسِم (مِن قُرَى حُورانَ بِسُوريَّة) وَرَحَلَ إِلَى مِصرَ، وَاستَقدَمَهُ المُعتَصِمُ إِلَى بَغدَادَ، فَأَجَازَه وَقَدَّمَهُ عَلَى شُعرَاءِ وَقْتِهِ فَأَقَامَ فِي العِرَاقِ، ثُمَّ وَلِيَ بَريدَ المُوصِلِ، فَلَم يُتِمَّ سَنتَينِ حَتَّى تُوفِّيَ فِيهَاسَنَةَ (٢٣١هـ/ ٨٤٦م). له ترجمة في: تأريخ بغداد ٨/ ٢٤٢، وتأريخ دمشق ١٢/ ١٨، ونزهة الألباء ١٢٣، ووفيات الأعيان ٢/ ١١، وسير أعلام النُّبلاء ١١/ ٦٣، والوافي بالوفيات ١١/ ٢٢٥، والبلغة ١٠٦، والأعلام ٢/ ١٦٥، ومعجم المؤلِّفين ٣/ ١٨٣.

(٢) ديوان مهيار الديلميّ ٢/ ١٩٥.

(٣) في (الأصل): (قائم) في موضع (ساكن).

(٤) ديوان مهيار الديلميّ ٢/ ١٧٤.

(٥) ديوان مهيار الديلميّ ٤/ ١٥٧.

(٦) في (الديوان): (فيه) في موضع (فيهم).

(٧) ديوان مهيار الديلميّ ١/ ٣٣٢.

مِـنْ نَـسْـجِ فِكري تَـرُدُّ الـعَـارَ دُونَـكُـمُ رَدَّ السِّهَامِ نَبَتْ عَـنْ نَسْجِ دَاوودِ

هَذَا مَا اقْتَصَرنَا عَلَيهِ مِن مَنظُومَاتِهِم، وَرَسَمنَاهُ مِن دَقَائِقِ كَلِمَاتِهِم، وَلَـهُـمْ فِي الآرَاءِ وَالأَقْلَامِ، وَالكُتُبِ وَاللِّسَانِ، شِعرٌ كَثِيرٌ فِي التَّشْبِيهِ وَغَيرِهِ، لَمْ يَكَدْ يُحْصِيهِ إِنْسَانٌ.

فَضلُ البُلَغَاءِ

وَمَا لَهَجُوا بِذِكرِ ذَلِكَ إِلَّا لِأَنَّ لِسَانَ البُلَغَاءِ لَهُ شَأْنٌ عَظِيمٌ، وَفَضلٌ جَسِيمٌ؛ لِأَنَّهُ يَتَصَرَّفُ فِي الأُمُورِ العِظَامِ تَصَرُّفَ مُقْتَدِرٍ، وَكَمَا أَنَّهُ يُسَعِّرُهَا، وَيُخْمِدُ لَـهَبَهَا وَإِنْ كَانَ مُسْتَعِرًا، فَكَمْ مِن مَلِكٍ دَهَمَهُ بَلَاءٌ عَظِيمٌ تَعْجَزُ عَنْ دَفْعِهِ الكَلِمَات، بِانْعِقَادِ البُنُودِ وَالرَّايَات، تَلْمَعُ تَحتَهَا الضُّبَا البَاتِرَات، بِأَكُفٍّ لُيُوثِ الغَارَات، فَتَلَافَاهُ مِنَ البُلَغَاءِ بَليغٌ بِرأيِه، فَسَدَّ فَتْقَه، بَعدَ أن استَوْسَع، وَجَلَا غَيَاهِبَهُ، وَلَيْلَهُ بِدُجَى النَّوَائِبِ قَدِ ادَّرَع، بِلَا ضَربَةِ سَيفٍ، وَلَا طَعْنَةِ رُمْحٍ أَسْمَر، وَلَا رَمْيَةِ سَهْمٍ أَرْسَلَهُ أَبوَاهُ، القَوسُ وَالوَتَر.

القَاضِي الفَاضِلُ وَالمَلِكُ العَزِيزُ[1]

كَالقَاضِي الفَاضِلِ لَـمَّا دَفَعَ بِرَأْيِهِ عَنِ المَلِكِ العَزِيزِ ابنِ صَلَاحِ الدِّينِ نَازِلَةً مِن أَعْظَمِ

(١) القَاضِي الفَاضِلُ: عَبدُ الرَّحِيمِ بنُ عَلِيِّ بنِ السَّعِيدِ اللَّخمِيُّ، وَزِيرٌ، مِن أَئِمَّةِ الكتَّابِ. وُلِدَ بِعَسقَلَانَ (بِفلسطِين) وَانْتَقَلَ إِلَى الإِسكندَرِيَّةِ، ثُمَّ إِلَى القَاهِرةِ وَتُوفِّيَ فِيهَا. كَانَ مِن وُزَرَاءِ السُّلطَانِ صَلَاحِ الدِّينِ، وَمِن مُقَرَّبِيهِ، وَلَم يَخدِم بَعدَه أَحدًا، قَالَ بَعضُ مُتَرجِميهِ: كَانَت الدَّولَةُ بِأَسرِهَا تَأتِي إِلَى خِدمَتِهِ، وَكَانَ السُّلطَانُ يَقولُ: لَا تَظُنُوا أَنِّي مَلَكتُ البِلَادَ بِسيُوفِكُم بِل بِقَلَمِ الفَاضِل! وَكَانَ سَرِيعَ الخَاطِرِ فِي الإِنشَاءِ، كَثِيرَ الرَّسَائِل، ومن مجاميع رسائله: (ترسل القاضي الفاضل)، و(رسائل إنشاء القاضي الفاضل)، و(الدرُّ النظيم في ترسل عبد الرحيم)، وغيرها. وله (ديوان شعر). توفِّي سنة (٥٩٦هـ/ ١٢٠٠م). له ترجمة في: إكمال الإكمال ١/ ٤٣٨، ووفيات الأعيان ٣/ ١٥٨، وسير أعلام النُّبلاء ٢١/ ٣٣٨، والوافي بالوفيات ١٨/ ٢١، وطبقات الشافعيَّة لابن قاضي شبهة ٢/ ٢٠، والتُّحفة اللَّطيفة ٢/ ١٦٩، والضوء اللامع ٤/ ١٨٥، وديوان الإسلام=

النَّوَازِلِ، وَهِيَ لَـمَّا أَتَى لِقِتَالِهِ عَمُّهُ العَادِلُ[1]، وَوَصَلَتْ عَسَاكِرُهُ إِلَى بَلْبِيسَ[2]، وَصَـرَّحَ خَطْبُهَا الهَائِلُ، فَضَاقَ الأَمْرُ بِالمَلِكِ العَزِيزِ، وَأَرَادَ نَفَقَةً لِلْجُيوشِ وَلَمْ يَكُنْ عِندَهُ شَيء، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّ القَاضِي الفَاضِلَ عِندَهُ مِنَ الأَموَالِ بِمَا يَقومُ بِتَجْهِيزِ هَذِهِ الجَحَافِلِ، فَقَالَ لَهُمْ: أَسْتَحِي أَنْ أَطْلُبَ مِنْهُ شيئًا، فَكَفَوهُ أَمْرَهُ، إِذ أَلزَمُوهُ بِطَلَبِهِ.

وَجَاءَ القَاضِي الفَاضِلُ، فَلَمَّا عَلِمَ بِوُصُولِهِ اسْتَحَى مِنهُ، وَدَخَلَ إِلَى حَرَمِهِ، وَتَوارَى فِي حُجُبِه، فَتَضَـرَّعَ الفَاضِلُ لَهُ حَتَّى خَرَجَ إِلَيهِ وَحَكَى لَهُ بالقَضِيَّةِ.

فَقَالَ لَهُ الفَاضِلُ: كُلُّ مَا فِي يَدِي فَهوَ مِنْ صَدَقَاتِكُم، وَفَوَاضِلِ هِمَمكُم العَلَيَّةِ، وَعِندِي مِنَ المَالِ مَا تَرُومُهُ لانْدِمَالِ هَذَا القَرحِ، وَلَكِنْ دَعْنِي أَتَوَجَّهُ إِلَى المَلِكِ العَادِلِ

=٣/ ٤٠٦، والأعلام ٣/ ٣٤٦.

– المَلِكُ العَزِيزُ: عُثمانُ بنُ مُحَمَّد بنِ أَيوبَ: مِن مُلوكِ الدَّولَةِ الأَيُّوبيَّةِ فِي الشَّام، وَهوَ شَقِيقُ المَلِكِ المُعَظَّم. كَانَ صَاحِبُ بَانياسَ وَمَا حَولَهَا مِنَ الحُصونِ، مِن آثَارِهِ المَدرسَةُ العَزيزيةُ بِسَفحِ قَاسيون، بِجِوارِ المُعَظَّميَّةِ بِدمَشقَ، وَهوَ الَّذِي بَنَى قَلعَةَ الصِّبيبَةِ بَينَ بَانيَاس وَتَبنين وَهونين. تُوفِّي فِي بُستَانِهِ بِالنَّاعِمَةِ فِي بَيتِ لَهيَا، سنة (٦٣٠هـ/ ١٢٣٣م) ودفن عنده. وَكَانَ عَاقِلًا، قَليلَ الكَلام، مُطيعًا لِأَخيهِ المُعَظَّم. له ترجمة في: وفيات الأعيان ٣/ ٢٥١، نهاية الأرب ٢٨/ ٤٤٢، وتأريخ الإسلام ١٢/ ٩٢٤، ومورد اللطافة ٢/ ٧، والأعلام ٤/ ٢١٣.

(١) المَلِكُ العَادِلُ: مُـحمَّد بنُ أَيوبَ بنِ شَادِي، أَبو بَكرٍ، أَخو السُّلطَانِ صَلاح الدِّينِ، مِن كِبَارِ سَلَاطِينِ الدَّولَةِ الأَيُّوبيَّةِ. كَانَ نَائِبَ السَّلطَنَةِ بِمِصرَ عَن أَخيهِ صَلَاحِ الدِّينِ فِي أَثنَاءِ غَيبَتِهِ فِي الشَّام، ثُمَّ وَلَّاهُ أَخوهُ مَدينةَ حَلَبٍ سنة (٥٧٩هـ)، فَرَحَلَ إِلَيهَا وَأَقَامَ قَليلًا، وَانْتَقَلَ إِلَى (الكَركِ) وَتَنَقَّلَ فِي الولَاياتِ إِلَى أَن استَقَلَّ بِمُلكِ الدِّيارِ المِصريَّةِ سنة (٥٩٦هـ)، وَضَمَّ إِلَيهَا الدِّيَارَ الشَّامِيَّةَ، ثُمَّ مَلَكَ أَرمينيةَ سنة (٦٠٤هـ) وَبِلاد اليَمنِ سنة (٦١٢هـ)، وَلَـمَّا صَفَا لَهُ جَوُّ المُلكِ قَسَّمَ البِلادَ بَينَ أَولَادِهِ، وُلِدَ فِي دِمشقَ وَقِيلَ فِي بَعلَبَكَّ، وَتُوفِّي فِي عَالقِين (مِن قُرى دِمشقَ) سنة (٦١٥هـ/ ١٢١٨م)، وَقَامَ ابنُه المَلِكُ المُعَظَّم بِتَنظِيمِ الأُمورِ، وَفِي أَيَّامِه زَالَ أَمرُ الإِسمَاعِيليَّةِ مِن دِيارِ مِصرَ، بَعدَ أَن قَبَضَ عَلَى كَثيرينَ مِنهُم سنة (٦٠٤هـ). له ترجمة في: الوافي بالوفيات ٢/ ١٦٨، وديوان الإسلام ٣/ ٢٨٧، والأعلام ٦/ ٤٧.

(٢) بِلبِيس: مَدينةٌ بَينهَا وَبَينَ فُسطَاطِ مِصرَ عَشرةُ فَرَاسِخٍ عَلَى طَرِيقِ الشَّامِ. معجم البلدان ١/ ٤٧٩.

وَأَطلُبُ مِنهُ الصُّلْحَ، فَإِنْ وَافَقَ فَبِهَا وَنِعمَتْ، وَإِلَّا فَالنَّفَقَةُ قُدَّامَنَا وَالْمُحَارَبَةُ أَمَامَنَا، فَلَمَّا رَضِيَ بِذَلِكَ تَوَجَّهَ الفَاضِلُ إِلَى المَلِكِ العَادِلِ، وَجَعَلَ يُسْحِرُهُ بِبَيَانِهِ، وَيَفْتِلُ فِي ذِروَتِهِ وَالغَارِبُ بِلِسَانِه، حَتَّى رَدَّ صَوَارِمَهُ وَهِيَ ظَامِيَةٌ إِلَى دِمَاءِ الطُّلَى، بَعدَ أَنْ كَادَتْ تَشرَبُ مِنهَا عَلًّا وَنَهَلَا، فِي سَلْسَلٍ كَلَامٍ جَرَى عَلَى فُؤَادِهِ مَجرَى الرُّوحِ وَالدَّمِ، فِي جَسَدِ الإِنسَانِ، وَخَمرةِ أَلفَاظٍ خَمَّرَهَا الرَّأيُ، فَفَاقَتْ فِي سُكْرِهَا خَمرَةَ الدِّنَان، وَأَرْجَعَهُ إِلَى أَوْطَانِهِ، وَكَفَاهُ بِرَأْيِهِ وَلَفْظِهِ سَطوَةَ سُلْطَانِهِ، وَحَفِظَ هُوَ أَيضًا أَموَالَهُ مِنَ العَزِيزِ فِي أَبْدَعِ كَلَامٍ وَجِيز.

تَمِيمُ بنُ جَمِيلٍ التَّغلُبِيُّ وَالْمُعتَصِمُ[1]

وَتَمِيمُ بنُ أَوسِ بنِ تَغْلُب، قَد دَفَعَ عَنْ نَفْسِهِ بِبَدِيعِ كَلَامِهِ مَا هُوَ عَلَيهَا مِنَ الحَوَادِثِ قَدْ جَلَب، وَذَلِكَ حِينَ ثَارَ بِالجَزِيرَةِ فِي زَمَنِ الْمُعْتَصِمِ وَصَيَّرَ لَظَى الفِتَنِ بِظُبَا المَوَاضِي تَضْطَرِم، فَعِنْدَ ذَلِكَ كَتَبَ الْمُعتَصِمُ إِلَى عَامِلِهِ بِالجَزِيرَةِ، مَالِكِ بنِ طَوق أَنْ يَجمَعَ العَسَاكِرَ عَلَيهِ وَيَأْخُذَهُ أَسِيرًا إِنْ قَدِرَ عَلَى ذَلِكَ وَيُكَبِّلَهُ بِالحَدِيدِ وَيُوجِّهَهُ إِلَيهِ، فَخَرَجَ إِلَيهِ مَالِكُ ابنُ طَوقٍ وَأَخَذَهُ أَسْيرًا، وَبِالحَدِيدِ كَبَّلَهُ، وَإِلَى الْمُعتَصِمِ أَرسَلَهُ، وَلَمَّا وَصَلَ إِلَيهِ جَلَسَ لَهُ مَجْلِسًا عَامًّا، وَأَمَرَ بِإِدْخَالِهِ وَقَد بَسَطَ لَهُ نُطْعًا، وَانْتَضَى لَهُ سَيْفًا، فَدَخَلَ وَهوَ مُثْقَلٌ بِأَغْلَالِهِ، وَقَدْ كَانَ جَمِيلًا كَـ(اسمِهِ)[2]، وَقَد بَلَغَ الْمُعتَصِمُ أَنَّهُ جَرِيءُ الجَنَانِ، حَدِيدُ اللِّسَانِ، فَأَرَادَ الْمُعْتَصِمُ أَنْ يَعْلَمَ جَنَانَهُ من لِسَانِهِ، وَمَنْظَرَهُ مِنْ مَـخْبَرِه، فَقَالَ لَهُ:

إِنْ كَانَ لَكَ عُذْرٌ أَو حُجَّةٌ فَأَدلِ بِهِمَا، وَبِكَلَامِكَ فَأَوْضِحهُمَا.

(١) في (الأصل): (جميل بن تميم) وفي المصادر (تميم بن جميل).
– اسمه وخبره في: العقد الفريد ٢/ ٣٢، والفرج بعد الشدَّة ٤/ ٨٩، وزهر الآداب ٣/ ٨٣٩، العمدة في محاسن الشعر ١/ ١٩٤، والمجموع اللفيف ٢٢٦، وبدائع البدائه ١٨٩، ونهاية الأرب ٦/ ٦٢، وثمرات الأوراق ٢/ ٢٩، ومجاني الأدب ٣/ ٢١٩، وجمهرة خطب العرب ٣/ ١٤٥.
(٢) لقد اختلف (الأصل) عن المصادر كلِّها.

فَقَالَ: أَمَّا إِذَا أَذِنْتَ لِي فِي الكَلَامِ فَإِنِّي أَقولُ: الحَمْدُ لله الَّذِي عَزَّ فَقَدَر، وَقَدَرَ فَغَفَر، وَأَثَابَ الجَنَّةَ مَنْ شَكَر، وَجَعَلَ النَّارَ لِمَنْ كَفَر.

وبعد:

فَإِنَّ الذُّنُوبَ تُخْرِسُ الأَلْسِنَةَ، وَتُحَيِّرُ الأَفْئِدَةَ، وَقَد عَظُمَتْ الجَرِيرةُ، مُنْذُ خَبُثَتِ السَّرِيرةُ، وَجَلَّ الخَطبُ، وَكَبرَ الذَّنْبُ، وَلَمْ يَبقَ إِلَّا عَفْوُكَ وَانْتِقَامُكَ، وَأَرْجُو أَنْ لَا تَفْعَلَ إِلَّا أَشْبَهَهُمَا بِأَخْلَاقِك، وَأَحسَنَهُمَا بِأَعْرَاقِكَ، ثُمَّ أَطْرَقَ مَلِيًّا وَرَفَعَ رَأْسَهُ وَهوَ يَقُولُ:(١)

[من الطويل]

١. أَرَى المَوتَ بَينَ النُّطْعِ وَالسَّيفِ كَامِنًا ... يُلَاحِظُنِي مِنْ حَيْثُ مَا أَتَلَفَّتُ

٢. وَأَغْلَبُ ظَنِّي أَنَّكَ اليَومَ قَاتِلِي ... وَأَيُّ امْرِئٍ مِمَّا قَضَى اللهُ يَفْلِتُ

٣. وَأَيُّ امْرِئٍ يُدلِي بِعُذْرٍ وَحُجَّةٍ ... وَسَيفُ المَنَايَا بَينَ عَيْنَيْهِ مُصْلَتُ

٤. يَعُزُّ عَلَى الأَوسِ ابنِ تَغْلُبَ مَوْقِفٌ ... يُهَزُّ عَلَيَّ السَّيفِ فِيهِ وَأَسْكُتُ

٥. وَمَا جَزَعِي مِنْ أَنْ أَمُوتَ وَإِنَّنِي ... لَأَعْلَمُ أَنَّ المَوتَ شَيءٌ مُؤَقَّتُ(٢)

٦. وَلَكِنَّ خَلْفِي صِبْيَةٌ قَدْ تَرَكْتُهُم ... وَأَكبَادُهُم مِنْ حَسْرَةٍ تَتَفَتَّتُ

٧. كَأَنِّي أَرَاهُمْ حِينَ أُنْعَى إِلَيهِمُ ... وَقَد خَمَشُوا تِلْكَ الوُجُوهَ، وَصَوَّتُوا

٨. فَإِنْ عِشْتُ عَاشُوا خَافِضِينَ بِنِعْمَةٍ ... أَذُودُ الرَّدَى عَنهُم، وَإِنْ مُتُّ مَوَّتُوا

٩. فَكَمْ قَائِلٍ لَا يَبعُدُ اللهُ دَارَهُ ... وَآخَرُ جَذلَانٌ يُسَرُّ، وَيَشْمُتُ

فَبَكَى المُعْتَصِمُ حَتَّى بَلَّ ثِيَابَهُ، وَقَالَ لَهُ:

---

(١) الشعر في: العقد الفريد ٢/ ٣٣، والفرج بعد الشدَّة ٤/ ٩٠، وزهر الآداب ٣/ ٨٤٠، العمدة في محاسن الشعر ١/ ١٩٤، والمجموع اللفيف ٢٢٧، وبدائع البدائه ١٨٩، ونهاية الأرب ٦/ ٦٢، وثمرات الأوراق ٢/ ٣٠، وزهر الأكم ١/ ٣٥٣، ومجاني الأدب ٣/ ٢١٩، وجمهرة خطب العرب ٣/ ١٤٦.

(٢) مُؤَقَّتُ: أَي مُحَدَّدٌ بِوَقتٍ مُعَينٍ، ذَلِكَ كَما يَشَاءُ اللهُ تَعَالى.

يَا جَميلُ[1]، قَدْ وَهَبْنَاكَ لِصِبْيَتِكَ، وَصَفَحْنَا عَنْ زَلَّتِكَ.

ثُمَّ إِنَّهُ أَحْسَنَ إِلَيهِ فِي جَائِزَتِه، وَوَلَّاهُ عَلَى جَزِيرَتِه.

يَزيدُ بنُ مَزيدٍ الشَّيبَانِيُّ[2]

وَكَذَلِكَ يَزيدُ بنُ مِزيدِ الشَّيْبَانِيُّ، فَعَلَ مَا لَمْ يَفْعَلْهُ أَحَدٌ، إِذْ بَذَلَ نَفْسَهُ وَمَالَهُ بِيوْمٍ فِي لَظَى المَنَايَا تُوقَدُ، وَذَلِكَ حِينَ غَزَا الرُّومَ هَارُونُ الرَّشِيدُ وَفَتحَ فُتُوحًا خَطِيرةً، وَسَبَا سَبَايَا كَثِيرةً، فَلَمَّا أَرَادَ الرُّجُوعَ إِلَى بَلَدِهِ بِتِلْكَ الغَنِيمَةِ سَبَقَهُ الرُّومُ إِلَى البَابِ الَّذِي يَخْرُجُ مِنهُ وَأَوْقَدُوا فِيهِ نَارًا عَظِيمَةً، وَجَعَلوا النَّهْرَ مِمَّا يَلِيهِمْ؛ لِئَلَّا يَصلُوا إِلَيهِم، فَلَمَّا رَأَى هَارُونُ ذَلِكَ عَظُمَ الأَمْرُ عَلَيهِ فَأَفْزَعَهُ، وَتَحَيَّرَ وَبَكَى هُوَ وَمَنْ مَعَهُ؛ فَقَالَ لَهُ يَزيدُ:

مَا يُبْكِيكَ؟! لَا أَبْكَى اللهُ لَكَ عَيْنًا.

فَقَالَ: أَمَا تَرَى مَا حَلَّ فِينَا؟!

فَانْصَرَفَ يَزيدُ مِنْ عِندِهِ وَقَالَ لِبَنِي عَمِّهِ:

يَا لُيوثَ المَغَارِ قَدْ عَزِمْتُ عَلَى دُخُولِ هَذِهِ النَّارِ، فَمَنْ يَدْخُلُهَا مِنْكُمْ مَعِي وَيَصنَعُ مِثلَ صُنْعِي؟!

قَالُوا: نُفْدِيكَ بِأَنْفُسِنَا وَمِنْ أَمْوَالِنَا بِالنَّفَائِسِ.

وَقَدْ أَجَابَهُ عَلَى ذَلِكَ مِنْهُم سِتُّمِئَةِ فَارِسٍ، فَأَلْبَسَ نَفْسَهُ وَفَرَسَهُ وَأَصْحَابَهُ وَخَيلَهُم

(١) هكذا جاء في الأصل، والصحيح أنَّه تميم.

(٢) يَزيد بن مَزْيَد بنِ زَائِدَة الشَّيبَانيُّ، أَبو خَالِدٍ: أَمِيرٌ، مِنَ القَادَةِ الشُّجعَانِ، كَانَ وَالِيًا بِأَرمِينيَةَ وَأَذرَبيجَانَ، وَانتَدَبَه هَارونُ الرَّشيدُ لِقِتَالِ الوَليدِ بنِ طَريفٍ الشَّيبَانيِّ، عَظيمِ الخَوَارجِ فِي عَهدِهِ، فَقَتلَ ابنَ طَريفٍ سَنةَ (١٧٩هـ) وَعَادَ إِلَى أَرمِينية، وَكَانَ فِيهَا وَلَيه اليَمَن، وَأَخبَارُ شَجَاعَتِهِ وَكَرَمِهِ كَثيرةٌ. تُوفِّي في (بَردَعَة) مِن بِلَادِ (أَذرَبِيجَانَ)، سَنَةَ (١٨٥هـ/ ٨٠١م)، وَرَثَاهُ شُعرَاءُ كَثيرونَ. وَهوَ ابنُ أَخِي مَعنِ بنِ زَائِدةَ. له ترجمة في: وفيات الأعيان ٦/ ٣٢٧، وتأريخ بغداد ١٤/ ٣٣٦، وتأريخ الإسلام ٤/ ١٠٠٧، وسير أعلام النُّبلاء ٩/ ٧١، والأعلام ٨/ ١٨٨.

اللِّبَادَ الأَحْمَرَ، وَلَفُّوا بِاللِّبَادِ حَتَّى سَنَابِكَ خَيلِهِم، وَانْغَمَسُوا جَمِيعًا فِي الأَنْهُرِ، ثُمَّ إِنَّ يَزِيدَ دَارَ فَرَسَهُ سَاعَةً وَدَفَعَهَا فِي النَّارِ، فَتبِعَهُ أَصْحَابُهُ بَاذِلِينَ نَفَائِسَ الأَعمَارِ، فَمَا شَعَرَتِ الرُّومُ إِلَّا وَمِنَ النَّارِ خَيلٌ حُمرٌ خَرَجَتْ عَلَيهِم عَادِيَةً؛ فَانْهَزَمُوا أَشَدَّ هَزِيمَةً، وَتَبِعَهُم يَزِيدُ فَأَرْكَبَهُم السُّيوفَ المَاضِيةَ، وَسَمِعَ هَارُونُ بِذَلِكَ، فَأَطْفَأَ النَّارَ، وَعَبرَ هُوَ وَمَن مَعَهُ، وَقَتلُوا كُلَّ مَن بَقِيَ مِنَ الرُّومِ فِي ذَلِكَ المَكَانِ، وَسَقُوهُ مِن سُمِّ المَنِيَّةِ مُنْقَعَه، وَسَقَطَ بَدَنُ يَزِيدَ مِنَ النَّارِ فَبَينَمَا هُوَ مُضْطَجِعٌ، إِذْ دَخَلَ هَارُونُ عَلَيهِ فَأَرَادَ أَنْ يَقُومَ، فَأَقْسَمَ عَلَيهِ أَن لَا يَقومَ، وَقَبَّلَ مَا بَينَ عَيْنَيهِ وَجَلَسَ بَينَ يَدَيهِ، فَدَعَا يَزِيدُ مِنْ سَاعَتِهِ بِجَمِيعِ مَالِهِ وَفَرَّقَهُ عَلَى بَنِي عَمِّهِ الَّذِينَ جَازُوا مَعَهُ سَعِيرَ النَّارِ وَكَابَدوا لَوافِحَ ضَرَمِه، وَلَمَّا بَذَلَ نَفْسَهُ وَمَالَهُ عَلَتْ رِفْعَتُهُ وَحَسُنَتْ أُحْدُوثَتُهُ، وَقَالَ أَهْلُ السِّيرِ: إِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ بِفَضْلِ الأَدَبِ، وَالنَّظَرِ فِي الكُتُبِ، وَرِوَايَةِ الأَشْعَارِ المُجْرِيَةِ عَلَى الشَّجَاعَةِ وَالثَّبَاتِ فِي زَلَازِلِ المُحَارَبَاتِ.

مُعَاويةُ بنُ أَبِي سُفيَانَ وَرَأْيُهُ فِي الشِّعرِ

وَقَد قَالَ مُعَاويَةُ بنُ أَبِي سُفْيَانَ اجعَلُوا الشِّعرَ أَكْبَرَ هَمِّكُم، وَأَعْظَمَ أَدَبِكُم؛ فَإِنَّ فِيهِ مَآثِرَ أَسْلَافِكُم، وَمَواضِعَ إِرْشَادِكُم، فَلَقَد رَأَيْتُنِي يَومَ (صِفِّينَ) وَقَدْ عَزِمْتُ عَلَى الفِرَارِ، وَوَضَعْتُ رِجْلِي فِي الرِّكَابِ ثَلَاثًا، حَتَّى تَذَكَّرتُ قَولَ عَمرِو بنِ الإِطنَابَةِ الأَنْصَارِيّ:(١)

[من الوافر]

١. أَبَتْ لِي هِمَّتِي وَحَيَاءُ وَجْهِي وَأَخْذِي الحَمْدَ بِالثَّمَنِ الرَّبِيحِ

(١) الخبر والشعر في: العمدة في محاسن الشعر ١/ ٢٩، والتذكرة الحمدونية ٢/ ٦٧، والذخائر والعبقريات ٢/ ٢١٩، وقصة الأدب في الحجاز ٤٥٠.

- ابن الإِطْنَابَة: عَمرُو بنُ عَامِرِ بنِ زَيدِ مَناة، الكَعبيُّ الخَزرجيُّ: شَاعِرٌ جَاهِلِيٌّ فَارِسٌ. كَانَ أَشرفَ الخَزرجِ، اشْتَهرَ بِنِسبَتِهِ إِلَى أُمِّهِ (الإطنابة) بِنتِ شِهَابٍ، مِن بَنِي القَينِ، وَفِي الرُّواةِ مَن يَعدُّهُ مِن مُلوكِ العَربِ فِي الجَاهِلِيَّةِ، كَانت إِقَامَتُهُ بِالمَدِينَةِ، وَكَانَ عَلَى رَأسِ الخَزرَجِ فِي حَربٍ لَها مَعَ الأَوسِ. ينظر: تأريخ دمشق ٢٨/ ٨١، والإصابة ٨/ ٢٩٥، والأعلام ٥/ ٨٠.

٢. وَإِقْدَامِي عَلَى المَكرُوهِ نَفْسِي ... وَضَربِي هَامَةَ البَطَلِ المُشِيحِ
٣. وَقَولِي كُلَّما جَشَأَتْ وَجَاشَتْ ... مَكَانَكَ تُحْمَدِي أَو تَسْتَرِيحِي
٤. فَأَمَّا رُحْتِ بِالشَّرَفِ المُعَلى ... وَأَمَّا رُحْتِ بِالمَوتِ المُرِيحِ
٥. لِأَدْفَعَ عَنْ مَآثِرَ صَالِحَاتٍ ... وَأَحْمِي بَعْدُ عَنْ نَسَبٍ صَرِيحِ
٦. بِذِي شُطَبٍ كَلَونِ المِلْحِ صَافٍ ... وَنَفْسٍ لَا تَقَرُّ عَلَى القَبِيحِ

فَأَخْرَجْتُ رِجلِي مِنَ الرِّكَابِ وَأَقَمْتُ وَنَظَرْتُ إِلَى عَمرِو بنِ العَاصِ، فَقُلتُ لَهُ: اليَومَ صَبرٌ، وَغَدًا فَخْرٌ.

فَقَالَ: صَدَقْتَ.

مُعَاويةُ وَالحَارثُ بنُ نَوفَل

وَدَخَلَ الحَارِثُ بنُ نَوفَل[1] بِابْنَيهِ عَلَى مُعَاويةَ بنِ أَبِي سُفْيَانَ؛ فَقَالَ لَهُ:

مَا عَلَّمتَ ابْنَكَ؟

قَالَ: الفَرَائِضَ وَالقُرْآنَ.

فَقَالَ: رَوِّهِ الشِّعرَ؛ فَإِنَّهُ يَفْتَحُ العَقْلَ، وَيُفْصِحُ المَنْطِقَ، وَيُطْلِقُ اللِّسَانَ، وَيُدِلُّ عَلَى المُروءَةِ وَالشَّجَاعَةِ، فَلَقَدْ رَأَيْتُنِي (لَيلَةَ صِفِّينَ) فَمَا رَبَطَنِي إِلَّا أَبْيَاتُ (عَمْرِو ابنِ الإِطْنَابَةِ).

(١) الخبر في إكمال تهذيب الكمال ٣/ ٣٢٣، والمصون في الأدب ١٣٦، وديوان المعاني ١/ ١١٤.
- الحَارثُ بنُ نَوْفَل بنِ الحَارِثِ بنِ عَبدِ المُطَّلِبِ بنِ هَاشِم، الهَاشِمِيُّ القَرشِيُّ: صَحَابِيٌّ، مِنَ الوُلَاةِ. وَلَّاهُ النَّبِيُّ ﷺ بَعضَ أَعمَالَ مَكَّةَ، وَأَقَرَّهُ أَبو بَكرٍ وَعُمرَ وَعُثمانَ، ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى البَصرَةِ فَماتَ فِيهَا. (نحو ٣٥هـ/ نحو ٦٥٥م). الأعلام ٢/ ١٥٨.
نَستَشِفُّ مِن كَلَامِ مُعَاويةَ وَنِيَّتُهُ الهَربَ أَنَّ كَلَامَهُ كَانَ بَعدَ سَنةِ (٣٨هـ)، وَالزِّركليّ يَقولُ إِنَّ الحَارِثَ تُوفِّي حَوَالي (٣٥هـ)، ولكي تنطبق هذه مع تلك، يجب أن يتأَخَّر موعد وفاته إلى (٤٠هـ)، أو بعدها بقليل.

أَقولُ: لَيْسَ الثَّبَاتُ عَلَى الأَهوَالِ وَتِلكَ الصِّفَاتُ الحَمِيدَةُ فِي الشِّعرِ خَافِيَةً فَنَبَّهَ عَلَيهَا مُعَاوِيَةُ، وَلَكِنَّهَا مَعلُومَةٌ عِندَ العَرَبِ، وَلِذَا جَعَلَتِ الشِّعرَ شِعَارَهَا، وَأَحْرَزَتْ بِهِ فِي مَيدَانِ الفَصَاحَةِ مِضْمَارَهَا، وَلَم تَزَلْ تَذْكرُ فِيهِ جَمِيعَ مَا ذُكِرَ، وَتَحفَظُ شِعرَ بُلَغَائِهَا، وَتُمعِنُ فِي مَعنَاهُ النَّظَرَ؛ لِتَهْتَدِيَ بِهِ إِلَى نَهجِ تِلكَ الصِّفَاتِ الحَمِيدَةِ، وَتَتَمَثَّلُ فِي المَوَاقِفِ الشَّدِيدَةِ، أَو تَرْتَجِلُ بِمَا يَقْتَضِي المَقَامُ فِي رَهَجِ القَسْطَلِ مِن إِرْهَابِ العَدُوِّ، أَوْ مِنَ التَّرغِيبِ لِأَنْفِسِهَا عَلَى الصَّبْرِ فِي شَدَائِدِ الوَهْلِ، وَلَهَا أَرَاجِيزُ فِي الكِفَاحِ وَبَدَائِعُ مِنَ النَّظمِ لَوْ تَعَقَّلَهَا صَافِرٌ لَأَنْظَمَتْ مِنهُ الاطِّلَاعَ عَلَى قَلْبِ عَنْتر، وَعَادَ مِن أَعْظَمِ المَحَاذِرِ لَا يَحذَر.

مِنهَا هَذِهِ الأَبيَاتُ الَّتِي تُعزَى لِبَعضِ شُعَرَاءِ الحَمَاسَةِ وَقَد شَابَهَتْ أَبيَاتَ (ابنِ الإِطنَابَةِ) فِي الرِّقَّةِ وَالسَّلَاسَةِ، وَبِالمَعْنَى الَّذِي تَسْتَأْنِسُ الأَنْفُسُ الأَبِيَّةُ فِي وَحْشَةِ ظُلمَةِ الهَبَوَاتِ، وَتَرتَاحُ بِهِ تَحتَ شَبَا المَوَاضِي لِمُفَارَقَةِ الحَيَاةِ، وَهِيَ:[1] [من الوافر]

١. أَقُولُ لَهَا وَقَدْ طَارَتْ شَعَاعًا ... مِنَ الأَبْطَالِ وَيْحَكِ لَا تُرَاعِي
٢. فَإِنَّكَ لَوْ سَأَلْتِ بَقَاءَ يَومٍ ... عَلَى الأَجَلِ الَّذِي لَكِ لَنْ تُطَاعِي
٣. فَصَبْرًا فِي مَجَالِ المَوتِ صَبْرًا ... فَمَا نَيْلُ الخُلُودِ بِمُسْتَطَاعِ
٤. سَبِيلُ المَوْتِ غَايَةُ كُلِّ حَيٍّ ... وَدَاعِيَةٌ لِأَهْلِ الأَرْضِ دَاعِي
٥. وَمَنْ لَا يَعْتَبِطْ يَسْأَمْ وَيَهْرَمْ ... وَتُسْلِمْهُ المَنُونَ إِلَى انْقِطَاعِ
٦. وَمَا لِلْمَرءِ حَظٌّ فِي حَيَاةٍ ... إِذَا مَا عُدَّ مِنْ سَقْطِ المَتَاعِ

وَسَلَكَ فِي أَثَرِ العَرَبِ عَلَى هَذَا النَّهجِ العَلَوي البَصرِيّ[2] صَاحِبُ الزِّنجِ[3]، وَذَلِكَ

(١) الأبيات لقطري بن الفجاءة في: شعر الخوارج ١٠٨-١٠٩.

(٢) في الأصل (المصريّ) في موضع (البصريّ)، وهو خطأ في النسخ.

(٣) صَاحِبُ الزِّنْجِ: عَلِيُّ بنُ مُحمَّد الوَرزَنِينيُّ العَلَويُّ، مِن كِبَارِ أَصحَابِ الفِتَنِ فِي العَهدِ العَبَّاسِيِّ. وَفِتنَتُهُ مَعروفَةٌ بِفتنَةِ الزِّنجِ؛ لِأَنَّ أَكثرَ أَنصَارِهِ مِنهُم، وُلِدَ وَنَشَأَ فِي (وَرزَنِين)، إِحدَى قُرَى الرَّيِّ، وَظَهرَ فِي أَيَّامِ المُهتَدِي بِالله العَبَّاسِيِّ سَنةَ (٢٥٥هـ)، وَكَانَ يَرَى رَأيَ الأَزَارِقَةِ، وَالتَفَّ حَولَهُ سُودَانُ أَهلِ البَصرَةِ وَرَعَاعُهَا، فَامتَلَكَهَا وَاستَولَى عَلَى (الأُبُلَّةِ)، وَتَتَابَعت لِقِتَالِهِ الجُيُوشُ،=

حَيثُ قَالَ:(١) [الكامل]

١.وَإِذَا تُنَازِعُنِي أَقُولُ لَهَا قَرِي مَوْتٌ يُرِيحُكِ أَوْ صُعُودُ المِنْبَرِ
٢.مَا قَدْ قُضِي سَيَكُونُ فَاصْطَبِرِي لَهُ وَلَكِ الأَمَانُ مِنَ الَّذِي لَمْ يَقْدر

أَقُولُ: فَقَولُهُ: مَوتٌ يُرِيحُكِ أَوْ صُعُودُ المِنْبَرِ.

وَقَولُ ابنِ الإِطْنَابَةِ مِنْ تِلْكَ الأَبيَاتِ:(٢) [من الوافر]

فَإِمَّا رُحْتِ بِالشَّرَفِ المُعَلى وَأَمَّا رُحْتِ بِالمَوْتِ المُرِيحِ

قَد لَهَجَتْ فِي مَعْنَاهُ فُحولُ الشُّعرَاءِ فِي نِظَامِهَا، وَأَكْثَرتْ مِنهُ فِي بَدَائِعِ كَلَامِهَا. قَالَ قَتَادَةُ بنُ مَسلَمَةَ الحَنَفِيُّ مِنْ قَصِيدَةٍ:(٣) [من الكامل]

فَلَئِنْ بَقِيتُ لِأَرْحَلَنَّ لِغَزْوَةٍ تَحوي الغَنَائِمَ، أَو يَمُوتُ كَرِيمُ

وَقَالَ غَيرُهُ مِنَ العَربِ:(٤) [من الطويل]

لَكُمْ خَصلَةٌ، إِمَّا فِدَاءٌ وَمِنَّةٌ وَإِمَّا دَمٌ، وَالقَتلُ بِالحُرِّ أَجْدَرُ(٥)

=فَكَانَ يَظهَرُ عَلَيهَا وَيُشَتِّتُهَا. وَنَزلَ البَطَائِحَ، وَامْتَلَكَ الأَهوَازَ، وَأَغَارَ عَلَى وَاسِط، وَجَعلَ مُقَامَه فِي قَصرٍ اتَّخَذَه بِالمختَارِ، وَعَجَزَ عَن قِتَالِهِ الخُلفَاءُ، حَتَّى ظَفِرَ بِهِ (الموفق) فِي أَيَّامِ المُعتَمَد، فَقَتَلَه سنة (٢٧٠هـ/ ٨٨٣م) وَبَعثَ بِرأسِهِ إِلَى بَغدَادَ. تُروَى لَهُ أَشعَارٌ كَثيرةٌ فِي البَسَالَةِ وَالفَتكِ، كَانَ يَقولُهَا وَيَنحَلُهَا لِغَيرِهِ. في نَسَبِهِ (العَلَوِيِّ) طَعنٌ وَخِلافٌ. ينظر: معجم الشعراء ١/ ١٩٥، تأريخ الإسلام ٦/ ٣٧٣، وسير أعلام النُّبلاء ١٣/ ١٢٩، والوافي بالوفيات ٢١/ ٢٦٨، والأعلام ٤/ ٣٢٤.

(١) ينظر: سير أعلام النُّبلاء ١٣/ ١٣٥، والوافي بالوفيات ٢١/ ٢٧٣، ونفح الطيب ٥/ ٢٩٥.

(٢) مرَّ البيت من ضمن أبيات لابن الإطنابة.

(٣) ينظر: شرح ديوان الحماسة، المرزوقيّ ٥٤٧، وشرح ديوان الحماسة، التبريزيّ ٣٢٢، ونهاية الأرب ٧/ ١٥٦، وبغية الإيضاح ٤/ ٦١٠.

(٤) البيت لتأبَّط شرًّا، ديوانه ٨٩.

(٥) وفي (الأصل): جاء الصدر برواية: (هُمْ حَظُّنَا، إِمَّا أُسَارَى وَمِنَّةٌ).
- الخَصْلة: الصفة تكون في الإنسان، وَجَمْعُهَا خِصَال، مثل: الفَضِيلة والرَّذيلة تَكُونُ فِي=

وَقَالَ عُروةُ بنُ الوَردِ:(١) [من الطويل]

فَـذَلِـكَ إِنْ يَـلْـقَ الـمَـنِـيَّـةَ يَـلْـقَـهَـا حَـمِيدًا، وَإِنْ يَسْتَغْنِ يَوْمًا، فَأَجْدَرِ

وَقَالَ أَبو النِّشْنَاش:(٢) [من الطويل]

فَعِشْ مُـعْـدَمًـا، أَوْ مُـتْ كَرِيمًا فَإِنَّنِي أَرَى المَوتَ لَا يَنْجُو عَنِ المَوْتِ هَارِبُهْ

وَقَالَ ابنُ الهَبَّارِيَّةَ:(٣) [من المنسرح]

=الإنسان، وَقَدْ غَلَبَ عَلَى الْفَضِيلَةِ، تَقُولُ: فِي فُلَانٍ خَصْلة حَسَنة وخَصْلة قَبِيحَةٌ، وخِصال وخَصَلات كَرِيمَةٌ. (اللسان ١١/ ٢٠٦).

(١) ديوان عروة بن الورد ٦٩.

(٢) ينظر: الأصمعيَّات ١١٩، شرح ديوان الحماسة للتبريزيّ ١١٦، والتذكرة الحمدونيَّة ١/ ٢٨٤، والحماسة البصريَّة ١/ ١١٢، وزهر الأكم ١/ ٢٤١.

- أَبُو النشناش النَّهْشَلِيّ: أَحدُ لُصوصِ بَني تَميم، وكَانَ مِن وُلدِ مَخربَة بنِ أبيرِ بنِ نَهشَلِ وَأُم أَبِي جَهلٍ وَالْحَارثُ ابْني هِشَام أَسمَاءُ بنتُ مَخربةَ، وَكَانَ أَبُو النّشَنَاش يُصِيبُ الطَّرِيقَ، فَطُلِبَ فَخَافَ وَأَنْشَأَ يَقُول: (من الطويل)

وسـائـلـةٍ أَيْـــنَ ارتحـــالي وسـائـلٍ وَمـن يـسْـأَل الصعلوك أَيْـن مذاهبه

إلى آخر الأبيات. ينظر الجليس الصالح ٥٢١، والتذكرة الحمدونيَّة ١/ ٢٨٤.

(٣) ابنُ الهَبَّارِيَّةِ: الشَّـريفُ أَبو يَعلَى مُحمَّد بنُ مُحمَّدِ بنِ صَالِحٍ، يُنمَى بِنَسَبِهِ إِلَى عَبدِ الله بنِ العَبَّاسِ الهَاشِمِيُّ العَبَّاسيُّ المَعروفُ بِابنِ الهَبَّارِيَّةِ، الـمُلَقَّبُ نَظَامُ الدِّينِ البَغدَادِيّ الشَّاعِرُ المَشهورُ؛ كَانَ شَاعرًا مُجيدًا حَسَن المَقاصِدِ، لَكِنَّهُ كَانَ خَبيثَ اللِّسَانِ كَثيرَ الهِجَاءِ وَالوُقُوعِ فِي النَّاسِ، لَا يَكادُ يَسلَمُ مِن لِسَانِهِ أَحَدٌ، غَلَبَ عَلَى شِعرِهِ الهِجاءُ وَالهَزلُ وَالسُّخفُ، وَسَبكَ فِي قَالَبِ ابنِ حَجَّاجٍ وَسَلَكَ أُسلُوبَهُ وَفَاقَهُ فِي الخَلَاعَةِ، وَالنَّظِيفُ مِن شِعرِهِ فِي غَايةِ الحُسنِ؛ وَكَانَ مُلَازِمًا لِخدمَةِ نِظَامِ المُلكِ وَزيرِ السُّلطَانِ أَلب أَرسِلان وَوَلَدِهِ مَلك شَاه. لَهُ مؤلَّفات منها: كِتَابُ (نَتَائِج الفِطنَةِ فِي نَظمِ كليلة ودمنة)، وَمِن غَرائِبِ نَظمِهِ كِتابُ (الصَّادِحُ وَالبَاغمُ) نَظَمَه عَلَى أُسلُوبِ (كليلة ودمنة)، وَهوَ أَراجِيزٌ، وَعَدَدُ بيوتِهِ أَلفَا بَيتٍ، نَظَمَهَا فِي عَشرِ سِنينَ، وَقَدَّمَهُ إِلَى الأَمِيرِ أَبِي الحَسَنِ صَدقةَ بنِ مَنصورِ بنِ دُبيسٍ الأَسَديِّ صَاحِبِ الحِلَّةِ، وَ(ديوان شعره) كَبيرٌ يَدخُلُ فِي أَربَعِ مُجَلَّداتٍ. تُوفِّي فِي كَرمَانَ سَنةَ أَربعٍ وَخَمسِمِئَةٍ. له ترجمة في: تأريخ إربل ٢/ ٩٤٤، ووفيات الأعيان ٤/ ٤٥٣، وتأريخ الإسلام ١١/ ٥٣، والوافي بالوفيات ١/ ١١٧، لسان الميزان ٧/ ٤٨٤، وديوان الإسلام ٤/ ٣٥٩، والأعلام ٧/ ٢٣، ومعجم المؤلِّفين ١٠/ ٨٢.

١. الـــهِـــمَـــمُ الـــعَـــلِـــيَّـــهْ وَالـــــمُـــهَـــجُ الأَبِـــيَّـــهْ
٢. تُـــقَـــرِّبُ الـــمَـــنِـــيَّـــهْ مِـــنْـــكَ أَوِ الأُمْـــنِـــيَّـــهْ

وَهَذاَ لِلْعَرَبِ مَسْلَكٌ حَسَنٌ، إِذَا تَعَاظَمَت فِي الكِفَاحِ عَلَيهَا المِحَنُ، تُصَمِّمُ إِمَّا فِي العَزِّ أَنْ تُقْتَل، أَو بِمَوَاضِيهَا تَبْلُغُ الأَمَل، وَمَا بَرِحَتْ تَرْبُطُ جَأْشَهَا فِي الفَزَعِ، بِمَا تَحفَظُ مِنَ الشِّعرِ المُرَغِّبِ فِي الثَّبَاتِ، بِزَلَازِلِ الغَارَاتِ، بَلْ تَركَبُ فِيهِ حَدَّ الظُّبَا المَشْرَفِيَّةِ، حَذَرًا مِنَ الدَّنِيَّةِ، كَمَا رَكِبَ حُدُودَ القَوَاضِبِ إِبْرَاهِيمُ بنُ عَبدِ الله بنِ الحَسَنِ بنِ الحَسَنِ بنِ عَلِيِّ ابنِ أَبي طَالِبٍ عليهم السلام[1]، وَلَقَدْ رَوَى خَبَرَ مَقْتَلِهِ أَبُو الفَرَجِ عَنْ المُفَضَّلِ الضَّبِّيِّ، وَهوَ مَا هَذَا مَضْمُونُهُ، قَالَ:[2]

(١) مُحَمَّد ذُو النَّفسِ الزَّكيَّةِ وإِبرَاهِيمُ قَتيلُ بَا خُمرَا ابنَا عَبدِ الله بنِ الحَسَنِ المُثَنَّى ابنَ الحَسَنِ السِّبطِ ابنِ الإِمَامِ عَلِيٍّ عليه السلام، كَانَا مُختَفَينِ أَيَّامَ المَنصورِ العَبَّاسي يَعِدَّانِ لِلثَّورَةِ عَلَيهِ، فَظَهَر مُحَمَّدٌ ذو النَّفسِ الزَّكيةِ فِي مَنطَقَةِ أَحجَارِ الزَّيتِ مِنَ المَدينَةِ المُنَوَّرةِ، وَأُخمِدَت ثَورَتُهُ وَقُتِلَ سَلَامُ الله عَلَيهِ فِي شَهرِ رَمضَانَ سَنَةَ خَمسٍ وَأَربعينَ وَمِئَةٍ (١٤٥هـ)، وَقِيلَ فِي الخَامِسِ وَالعِشرينَ مِن رَجَبٍ، وَهَذَا أَشهَرُ، وَظَهَرَ أَخوهُ إِبرَاهِيمُ بنُ عَبدِ الله بنِ الحَسَنِ المُثَنَّى فِي البَصرةِ، وَقَد أَقَامَ عِندَ المُفَضَّلِ ابنِ مُحَمَّدٍ الضَّبيِّ، فَطَلَبَ مِنهُ دَوَاوينَ العَربِ لِيُطَالِعَهَا، فَأَتَاهُ بِمَا قَدرَ عَلَيهِ فَأَعلَمَ إِبراهِيمُ عَلَى ثَمانِينَ قَصِيدةً، فَلَمَّا قُتِلَ إِبرَاهِيمُ اسْتَخرَجَهَا المُفَضَّلُ وَسَمَّاهَا (المُفَضَّلِيَّاتِ)، وَقُرِئت بَعدَهُ عَلَى الأَصمَعِيِّ، فَزَادَ فِيهَا، ظَهَرَ إِبرَاهِيمُ لَيلَةَ الاثنَينِ غُرَّةَ شَهرِ رَمضَانَ، سَنَةَ خَمسٍ وَأَربَعينَ وَمِئَةٍ (١٤٥هـ)، وَاكتَسَحَ المُدُنَ وَالمَناطِقَ التَّابِعَةَ لحكمِ المَنصورِ حَتَّى وَصلَ بَاخمرَى وَفِيهَا عَاصِمةُ بَني العَبَّاس الأُولَى، وَدَارَت مَعركَةٌ شَرسَةٌ فَرَّ منهَا جَيشُ المَنصورِ، لَكِنَّ مَعنَ بنَ زَائِدةَ الشَّيبَانِيَّ الَّذِي كَانَ مَطلُوبًا لِلمَنصُورِ بِسَببِ مُؤَازَرَتِهِ لِبَني أُمَيَّة، أَرَادَ التَّقَرُّبَ لِبني العَبَّاسِ وَمَسحَ مَاضِيهِ؛ فَضَرَب جَيشَ إِبرَاهِيمَ مِنَ الخَلفِ، مِمَّا سَبَّبَ إِربَاكَ جَيشِ إِبرَاهِيمَ، وَكَانَ إِبرَاهِيمُ فِي مُقَدِّمَةِ جَيشِهِ، فَجَاءَهُ سَهمٌ غَربٌ فِي حَلقِهِ فَقَتَلَهُ فِي وَقتٍ كَانَ المَنصورُ مُختَبِئًا فِي الكُوفَةِ يُهَيِّئُ مَطَايَاهُ لِلهُروبِ إِلَى الرَّيِّ؛ خَوفًا مِن غَلَبَةِ إِبرَاهِيمَ، قُتِلَ إِبرَاهِيمُ بنُ عَبد الله بنِ الحَسَنِ المُثَنَّى فِي بَاخمرَى لخمسٍ بَقينَ مِن ذِي القِعدَةِ، وَقِيلَ: فِي ذِي الحِجَّةِ سَنَةَ خَمسٍ وَأَربَعينَ وَمِئَةٍ (١٤٥هـ). ينظر: واقع التقيَّة ١٥٠، ١٥٤، ومقاتل الطالبيِّين ٢٣٣، و٢٣٧، ٢٣٩، عمدة الطالب ١٠٩، وفرج المهموم ٢١٠، وبحار الأنوار ٤٧/ ٢١١، ٣٠٣، ٤٩/ ٢٥٧، أعيان الشيعة ٥/ ١٧٦-١٨١.

(٢) الخبر والشعر في: شرح نهج البلاغة ٣/ ٣٠٨.=

كَانَ إِبرَاهِيمُ بنُ عَبدِ الله بنِ الحَسَنِ مُخْتَفِيًا بِالبَصْرَةِ عِنْدِي، وَلَمَّا خَرَجَ خَرَجْتُ مَعَهُ، فَلَمَّا صَارَ بِالمِرْبَدِ[1] مَرَّ بِدَارِ سُلَيْمانَ بنِ عَلِيٍّ[2] وَآمَنَهُم وَاسْتَسْقَى مَاءً فَأُتِيَ بِهِ فَشَرِبَ، فَأُخْرِجَ إِلَيهِ صَبِيَّانِ مِن صِبيَانِهِم فَضَمَّهُمَا وَقَالَ: هَؤُلَاءِ بَنو عَمِّنَا، هُمْ وَالله مِنَّا وَنَحْنُ مِنْهُم، وَلَكِنَّ آبَاءَهُم انْبَزُّوا عَلَى أَمْرِنَا، وَابْتَزُّوا حَقَّنَا، وَسَفَكوا دَمَنَا، ثُمَّ تَمَثَّلَ:[3] [من المنسرح]

=-المفضَّل الضَّبِّي: أَبو العَبَّاسِ المُفَضَّلُ بنُ مُحَمَّد بنِ يَعلَى بنِ عَامِرٍ الضَّبِّيُّ، رَاويةٌ، عَلَّامَةٌ بِالشِّعرِ وَالأَدبِ وَأَيَّامِ العَربِ، مِن أَهلِ الكُوفَةِ، قِيلَ عَنهُ: هُوَ أَوثَقُ مَن رَوى الشِّعرَ مِنَ الكُوفِيِّينَ، خَرجَ مَعَ إِبراهِيمَ بنِ عَبدِ الله بنِ الحَسَنِ المُثَنَّى، فَظَفَرَ بِه المَنصورُ وعَفَا عَنهُ، وَأَلزَمَهُ المَهدِيَّ، وِلِلمَهدِيِّ قَدَّمَ الأَشعَارَ المُختَارَةَ المُسَمَّاة (المُفَضَّلِيَّاتِ)، وَهِيَ مِئَةٌ وَثَمانِيةٌ وَعُشرونَ قَصيدَةً، وَقَد تَزيدُ وَتَنقُصُ وَتَتَقَدَّمُ القَصَائِدُ وَتَتَأَخَّرُ بِحَسَبِ الرِّوايَةِ عَنهُ، وَأَصلُهَا ثَمانُونَ قَصيدةً، كَانَ إِبرَاهِيمُ بنُ عَبدِ الله مُقيمًا عِندَ المُفَضَّلِ بنِ مُحَمَّدٍ الضَّبِّيِّ، فَطَلَبَ مِنهُ دَواوينَ العَربِ لِيُطَالِعَهَا، فَأَتَاهُ بِمَا قَدرَ عَلَيهِ، فَأَعلَم إِبراهيمُ عَلَى ثَمانِينَ قَصيدَةً، فَلَمَّا قُتِلَ إِبرَاهِيمُ استَخرَجَها المُفَضَّلُ وَسَمَّاهَا (المُفَضَّلِيَّاتِ)، وَقُرِئَت بَعدَهُ عَلَى الأَصمَعيِّ فَزَادَ فِيهَا، وَصَارَت مِئَةً وَعِشرينَ. تُوفِّي حَوالي سَنَةَ (١٦٨هـ). ينظر: أمثال العرب ١٤، ١٥، ونزهة الألباء ٥١، وسير أعلام النُّبلاء ١/ ٤٨١، وعمدة الطالب ١٠٩، والأعلام ٧/ ٢٨٠.

(١) المِرْبد كُلُّ شَيْءٍ حُبِسَتْ فيهِ الإِبل وَالْغَنَمُ، وَلِهَذَا قِيلَ مِرْبد النَّعَم الَّذِي بِالمَدِينَةِ، وَبِهِ سُمِّيَ مِرْبَد الْبَصْرَةِ، إِنَّما كَانَ مَوْضِعَ سُوقِ الإِبل. (معجم البلدان ٣/ ١٧١).

(٢) سُلَيمان بنُ عَليّ بنِ عَبدِ الله بنِ عَبَّاس: أَميرٌ عَبَّاسِيّ، مِنَ الأَجوَادِ المَمدُوحِين، وَلَّاهُ ابنُ أَخِيهِ (السَّفَّاح) إِمَارَةَ البَصرَةِ وَأَعمَالَها وَكُورَ دِجلَةَ وَالبَحرينِ وَعُمَان سنة (١٣٣هـ)، فَأَقَامَ فِيهَا إِلَى أَن عَزَلَهُ المَنصُورُ (سَنَةَ ١٣٩هـ)، فَلَم يَزَل فِي البَصرَةِ إِلَى أَن تُوفِّي سنة (١٤٢هـ/ ٧٥٩م). له ترجمة في: الطبقات الكبرى ٥/ ٣٨٣، والتأريخ الكبير ٤/ ٢٥، الثِّقات لابن حبَّان ٦/ ٣٨١، وتهذيب الكمال ١٢/ ٤٤، وتأريخ الإسلام ٣/ ٨٨٢، والوافي بالوفيات ١٥/ ٢٤٨، وفوات الوفيات ٢/ ٧٠، ونزهة الألباب ١/ ٢٤٥، والتُّحفة اللَّطيفة ١/ ٤٢١، والأعلام ٣/ ١٣٠.

(٣) ينظر: شرح نهج البلاغة ٣/ ٣٠٩، وتأريخ الكوفة ٣٩٤، ٥٣٥، وموسوعة كلمات الحسين عليه السلام ٦٠٣.

١. مَـهْـلًا بَـنِـي عَـمِّـنَـا ظُـلَامَـتَـنَـا ... إِنَّ بِـنَـا سَـوْرَةً مِـنَ الـغَـلَـقِ[١]
٢. لِـمِثْلِكُمْ نَحْمِلُ السُّيُوفَ وَلا ... تُـغْـمَـزُ أَحْـسَـابُـنَـا مِـنَ الـرَّقَـقِ[٢]
٣. إِنِّي لَأُنْـمَـى إِذَا انْـتَـمَـيْـتُ إِلى ... عِـزٍّ عَـزِيـزٍ وَمَـعْـشَـرٍ صُـدِقِ
٤. بِـيـضٍ سِـبَـاطٍ كَـأَنَّ أَعْـيُـنَـهُـم ... تُـكْـحَـلُ يَـوْمَ الـهِـيَـاجِ بِـالـعَـلَـقِ[٣]

فَقُلتُ لَهُ: مَا أَجْوَدَ هَذِه الأَبيَاتَ وَأَفْحَلَهَا؟! فَلِمَنْ هِيَ؟!

قَـالَ: قَـالَهَا ضِرَارُ بـنُ الخَـطَّـابِ[٤] يَـومَ جَـزَعَ الخَـنْـدَقَ[٥] مَـعَ عَـمـرِو بنِ عَبدِ وُدٍّ[٦] عَـلَى رَسُـولِ اللهﷺ، وَتَـمثَّلَ بِهَـا عَلِيُّ بـنُ أَبِـي طَـالِـبٍ عليه السلام يَـومَ

(١) الْغَلَقُ: الضجر، وضِيقُ الصَّدْرِ وَقِلَّةُ الصَّبْرِ. (اللسان ١٠/ ٢٩٣).
(٢) قال: لِـمِثْلِكُمْ نَحْمِلُ السُّيُوفَ، أَي أَنْتُم أَقرَانَنَا فلا بأس إن قابلناكم، والرَّقَقُ: الضَّعْفُ. (اللسان ١٠/ ١٢٢).
(٣) قَوْمٍ سِباطٍ إِذا كَانَ حَسَنَ القَدِّ وَالاِسْتِوَاءِ. (اللسان ٧/ ٣٠٩)، والعَلَقُ: الدَّمُ. (اللسان ١٠/ ٢٦٧).
(٤) ضِرار بنُ الْـخَطَّاب بنِ مِردَاسٍ القَرشِيُّ الفِهرِيُّ: فَارِسٌ شَاعِرٌ، صَحَابِيٌّ، مِنَ القَادَةِ. مِن سُكَّانِ الشَّراةِ، فَوقَ الطَّائِفِ. قَاتَلَ الْمُسلِمينَ يَومَ أُحُدٍ وَالخَنْدَقِ أَشدَّ قِتالٍ، وَأَسلَمَ يَومَ فَتحِ مَكَّةَ، وَلَمْ يَكُن فِي قُرَيشَ أَشعَرَ مِنهُ، لَهُ أَخبَارٌ فِي فَتحِ الشَّامِ، وَاسْتَشهَدَ فِي وَقْعَةِ أَجْنَادِينَ سنة (١٣هـ/ ٦٣٤م).
له ترجمة في: الطبقات الكبرى ٦/ ١٠، وطبقات فحول الشعراء ١/ ٢٥٠، والاشتقاق ١٠٣، والثِّقات لابن حبَّان ٣/ ٢٠٠، والاستيعاب ٢/ ٧٤٨، وتأريخ بغداد ١/ ٢١٤، وتأريخ دمشق ٢٤/ ٣٩٢، والوافي بالوفيات ١٦/ ٢٠٩، والإصابة ٣/ ٣٩٢، والأعلام ٣/ ٢١٥.
(٥) جَزَعَ الأَرْضَ والوَادِيَ، جَزْعًا: قَطَعَهُ، وكَذلِكَ المَفَازَة والمَوْضِعُ إِذا قَطَعْتَه عَرْضًا فقَدْ جَزَعْتَهُ. (التاج ٢٠/ ٤٣٣).
(٦) عَمْرُو بنُ عَبْدِ وَدٍّ العَامِرِيُّ، مِن بَني لُؤَيٍّ، مِن قُرَيشَ: فَارِسُ قُرَيشَ وَشُجَاعُهَا فِي الجَاهِلِيَّةِ. أَدرَكَ الإِسلام وَلَمْ يَسلِمْ، وَعَاشَ إِلَى أَنْ كَانَت وَقعةُ الخَندَقِ، فَحَضَرَهَا وَقَد تَجاوزَ الثَّمانِينَ، فَقَتَلَهُ الإِمَامُ عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ، وَذَلِكَ سَنةَ (٥هـ/ ٦٢٧م)، وَلَمْ يَشتَهِر عَمرُو اشتِهَارَ غَيرِهِ مِن فُرسَانِ الجَاهليَّةِ كَعامِرِ بنِ الطُّفَيلِ وَبَسطَامِ وَعُتبةِ بنِ الحَارِثِ؛ لِأَنَّ هَؤلَاءِ كَانوا أَصحَابَ غَارَاتٍ وَنَهبٍ وَأَهلَ بَادِيةٍ، وَعمرُو مِن قُرَيشَ، وَهم أَهلُ مَدينَةٍ وَسَاكنو مَدرٍ وَحَجرٍ لَا يَرونَ الغَارَات.
له ترجمة في: الاشتقاق ١١٠، والأعلام ٥/ ٨١.

صِفِّين[1]، وَالحُسَيْنعليه السلام يومَ الطَّفِّ، وَزَيدُ بنُ عَلِيٍّ يومَ السَّبخَةِ، وَيحَيَى بنُ زَيدٍ يومَ الجَوزَجَانِ، فَتَطَيَّرتُ لَهُ مِن تَمَثُّلِهِ بِأَبيَاتٍ لَمْ يَتَمَثَّلْ بِهَا أَحَدٌ إِلَّا قُتِلَ.

قَالَ: ثُمَّ سِرنَا وَظَهَرَتْ لِنَا جُيوشُ أَبِي جَعْفَرٍ مِثلَ الجَرَادِ، فَتَمَثَّلَ إِبرَاهِيمُ:[2] [من الكامل]

١. نُبِّئْتُ أَنَّ بَنِي جُذَيْمَةَ أَجْمَعَتْ ... أَمْرًا تُدَبِّرُهُ لِتَقْتُلَ خَالِدَا

٢. إِن يَقْتُلُونِي لَا تُصِبْ أَرْمَاحُهُم ... ثَأْرِي، وَيَسْعَى القَوْمُ سَعْيًا جَاهِدَا

٣. أَرْمِي الطَّرِيقَ وَإِنْ رُصِدْتُ بِضِيقِهِ ... وَأُنَازِلُ البَطَلَ الكَمِيَّ الجَارِدَا

فَقُلتُ لَهُ مَنْ يَقُولُ هَذَا الشِّعرَ يَا بنَ رَسُولِ الله صلى الله عليه وآله؟.

فَقَالَ: يَقُولُهُ خَالِدُ بنُ جَعْفَرِ بنِ كِلَابٍ[3] يومَ شِعْبِ جَبلَة[4]، وَهوَ اليَوْمُ الَّذِي

(١) صِفِّينُ: مَوْضِعٌ بِقُربِ الرِّقَّةِ، عَلَى شَاطِئِ الفُراتِ، مِنَ الجَانِبِ الغَربِيِّ، بَينَ الرِّقَّةِ وَبَالِس، وَكَانَت وَقْعَةُ صِفِّينِ بَينَ الإِمَامِ عَلِيٍّ، سَلَامُ الله عَلَيهِ، وَمُعَاوِيَةَ فِي سَنَةِ (٣٧ هـ)، فِي غُرَّةِ صَفَر، وَقُتِلَ فِي الحَربِ بَينَهُمَا سَبعونَ أَلفًا، مَنهُم مِنَ أَصْحَابِ الإِمَامِ عِلِيٍّعليه السلام خَمسةٌ وَعُشرُونَ أَلفًا، وَمِن أَصحَابِ مُعَاوِيةَ خَمسةٌ وَأَربَعُونَ أَلفًا، وَاستَشهَدَ مَعَ الإِمَامِ عَلِيٍّعليه السلام خَمسةٌ وَعُشرُونَ صَحَابِيًّا بَدرِيًّا، وَكَانَت مُدَّةُ المُقَامِ فِي صِفِّين مِئةً وَعَشرَةَ أَيَّامٍ، وَكَانَت الوَقَائِعُ تِسعِينَ وَقعَةً. ينظر: المناقب المزيديَّة ١/ ٢١١، والمنتظم في تأريخ الملوك والأمم ٥/ ١١٧، والمختصر في أخبار البشر ١/ ١٧٥، والعبر في خبر من غبر ١/ ٢٧.

(٢) شرح نهج البلاغة ٣/ ٣١٠.

(٣) خالِد بن جَعْفَر بن كِلَاب بن رَبِيعَة العامريُّ، مِن هَوازِن، مِن عَدنانَ، فَارسٌ شَاعِرٌ جَاهليٌّ، انتَهَت إِلَيهِ رِئَاسَةُ قَومِه (هَوازِن)، وَهوَ الَّذِي قَتَلَ زُهيرَ بنَ جُذَيمةَ العَبَسيَّ، وَقَتلَه الحَارثُ بنُ ظَالِمٍ المُرِّيُّ، فِي خَبَرٍ طَويلٍ، بِمَكانٍ يُسَمَّى (بَطن عَاقِل) عَلَى طَرِيقِ حَاجِّ البَصرةِ، بَينَ رَامَتينِ وَإِمرة، وَذَلِكَ (نحو ٣٠ق.هـ/ نحو ٥٩٥م)، وَلُقِّبَ بِالأَصبَغِ، وَمِن وُلدِه أَربدُ بنُ قَيسِ بنِ جُزء بن خَالِدٍ الأَصبَغُ، أَخو لَبِيدِ الشَّاعِرِ، لِأُمِّهِ، وَهوَ الَّذِي أَرَادَ قَتلَ رَسولِ اللهصلى الله عليه وآله مَعَ عَامِرِ ابنِ الطُّفَيلِ، وَقُتِلَ بِصَاعِقَةٍ. له ترجمة في: الإكمال ٢/ ٩٠، ونزهة الألباب ١/ ٧٩، والأعلام ٢/ ٢٩٥.

(٤) جَبَلَةُ: اسمٌ لِعِدَّةِ مَواضِعَ: مِنهَا جَبَلَة؛ وَيُقَالُ: شِعبُ جَبلَةَ، المَوضِعُ الَّذِي كَانَت فِيهِ الوَقعَةُ=

لَقِيَت فِيهِ قَيسُ تَميمَ.

قَالَ: وَأَقْبَلَتْ عَسَاكِرُ أَبِي جَعْفَرٍ[1]، فَطَعَنَ رَجُلاً وَطَعَنَ آخَرَ، فَقُلتُ لَهُ:

أَتُبَاشِرُ القِتَالَ بِنَفْسِكَ؟! وَإِنَّمَا العَسْكَرُ مَنوطٌ بِك!

فَقَالَ: إِلَيْكَ يَا أَخَا بَنِي ضَبَّةَ، فَإِنِّي لَكَمَا قَالَ عُوَيفُ القَوَافِي:[2] [من المتقارب]

١. أَلَـمَّـتْ سُـعَـادُ وَإِلـمَامُـهَـا ... أَحَـادِيـثُ نَـفْـسٍ وَأَحْـلَامُـهَـا

٢. مُحَجَّبَةٌ مِنْ بَنِي مَالِكٍ ... تُطَاوِلُ فِي المَجْدِ أَعْلَامَهَا[3]

٣. وَإِنَّ لَنَا أَصْلُ جُرْثُومَةٍ ... تَرُدُّ الحَوَادِثَ أَيَامَهَا

٤. تَرُدُّ الكَتِيبَةَ مَفْلُولَةً ... بِهَا أَفْنُهَا وَبِهَا ذَامُهَا[4]

وَالتَحَمَت الحَربُ وَاشْتَدَّتْ؛ فَقَالَ: يَا مُفَضَّلُ، حَرِّكْنِي بِشَيءٍ مِنَ الشِّعرِ، فَذَكَرتُ

=المَشهُورةُ بَينَ بَنِي عَامِرٍ وَتَميمَ وَعَبسَ وَذُبيَانَ وَفَزَارةَ، وَجَبلَة هَذِهِ: هَضبةٌ حَمرَاءُ بِنَجدٍ بَينَ الشَّرِيفِ وَالشَّرَفِ وَالشَّرِيفُ: مَاء لِبَنِي نُمَيرٍ، وَالشَّرفُ: مَاءٌ لِبَنِي كِلَابٍ.

– يَوم شِعبِ جَبلَة، وَهوَ يَومٌ بَينَ بَنِي تَميم وَبَينَ بَنِي عَامِرِ بنِ صَعْصَعة، فَانهزَمَت تَميمُ وَمَن ضَامَّهَا، وَهَذَا اليَومُ الَّذِي قُتِلَ فِيهِ لَقِيطُ بنُ زُرَارَةَ، وَهوَ المَشهورُ بِيَومِ تَعطِيشِ النُّوقِ بِرأي قَيسِ ابنِ زُهَيرٍ العَبَسيِّ، وَكَانَ قَد قَتَلَ لَقِيطًا جُعدةُ بنُ مِردَاس، وَجُعدةُ هُوَ فَارِسُ خَيبَر.

معجم البلدان ٢/ ١٠٤.

(١) عَبدُ الله بنُ مُحَمَّد بنِ عَليِّ بنِ العَبَّاسِ، ثَانِي مُلوكِ بَني العَبَّاسِ توفِّي سنة (١٥٨ هـ/ ٧٧٥ م).

(٢) شرح نهج البلاغة ٣/ ٣١٠.

– عُوَيْف القَوَافي: عَوفُ (وَيُقَالُ لَهُ عُويف) بنُ مُعَاوِيةَ بنِ عُقبةَ، مِن بَني حُذَيفةَ بنِ بَدرٍ، مِن فَزارةَ: شَاعِرٌ. كَانَ مِن أَشرَافِ قَومِهِ فِي الكُوفَةِ، اشْتَهرَ فِي الدَّولَةِ الأَمويَّةِ بِالشَّام، وَمَدَحَ الوَليدَ وَسُليمَانَ ابنَي عَبدِ المَلكِ، وَعُمرَ بنَ عَبدِ العَزيزِ. وَسُمِّيَ (عويف القوافي) ببيتٍ قَالَهُ، توفِّي (نحو ١٠٠هـ/ نحو ٧١٨م)، له ترجمة في: معجم الشعراء ١/ ١٧٤، والإكمال ٦/ ١٧٤، وتأريخ دمشق ٤٧/ ٩٠، والأعلام ٥/ ٩٧، والمؤتلف والمختلف ٣/ ١٦٩٢.

(٣) في (الأصل): جاء العجز برواية: (يطاول في المجد أعمامها).

(٤) الأَفْنُ: النقصُ، وَرَجُلٌ أَفينٌ ومأْفونٌ أَي ناقصُ العقلِ. (اللسان ١٣/ ١٩)، الذَّأْمُ، والذَّامُ: الْعَيْبُ. (اللسان ١٢/ ٢٢٠).

أَبيَاتًا لِعُويفِ القَوَافِي، لَـمَّا كَانَ هُوَ ذَكرَ مِنْ شِعرِهِ، فَأَنْشَدتُهُ: [من الطويل]

١. أَلَا أَيُّهَـا النَّـاهِي فَـزَارَةَ بَعـدَ مَا ... أَجَـدَّتْ لِـسَـيْرٍ، إِنَّـمَا أَنْـتَ ظَالِـمُ[١]

٢. أَبَـى كُـلُّ حُـرٍّ أَنْ تَـبِيـتَ بِـوِتْـرِهِ ... وَتَمْـنَـعُ مِـنهُ الـنَّـوْمَ إِذْ أَنْـتَ نَـائِـمُ[٢]

٣. أَقُـولُ لِـفِـتْـيَـانٍ كِـرَامٍ تَـرَوَّحُـوا ... عَـلَى الجُـرْدِ فِي أَفْـوَاهِـهِـنَّ الشَّكَائِمُ

٤. (قِفُوا وَقْفَةً مَن يُحْيِي لَا يُخْزَ بَعْدَهَا) ... وَمَـنْ يُحْـتَرَمْ لَا تَـتَّـبِـعْـهُ الـلَّـوَائِـمُ[٣]

٥. وَهَلْ أَنْتَ إِنْ بَاعَدْتَ نَفْسَكَ مِنهُمُ ... لِـتَـسْـلَـمَ فِـيـمَا بَـعـدَ ذَلِـكَ سَـالِـمُ

فَقَالَ: أَعِدْ، وَتَبَيَّنْتُ مِنْ وَجْهِهِ أَنَّهُ يستَقْتِل، فَانْتَبَهْتُ وَقُلْتُ:

أَوَ غَيرَ ذَلِكَ؟!

قَال: لَا بَلْ أَعَدِ الأَبيَاتَ.

فَأَعْدتُهَا فَتَمَطَّى فِي رِكَابَيهِ فَقَطَعَهُمَا، وَحَمَلَ، فَغَابَ عَنِّي، فَأَتَاهُ سَهمٌ عَائِرٌ فَقَتَلَهُ، وَكَانَ آخِرَ عَهدِي بِهِ عليه السلام.

وَلَا بَأسَ فِي بَيَانِ مَا لَعَلَّهُ يَحتَاجُ إِلَى البَيَانِ مِن أَلفَاظِ الشِّعرِ الَّذِي تَمَثَّلَ إِبرَاهِيمُ [بِهِ].

أَمَّا قَولُهُ: إِنَّ بِنَا سَورةً مِنَ الغَلَقِ، فَالغَلَقُ: الضَّجَرُ وَضِيقُ الصَّدرِ وَالحِدَّةُ، يُقالُ: احْتَدَّ فُلَانٌ فَنَشَبَ فِي حِدَّتِهِ وَغَلَقَ[٤].

وَالسَّورَةُ: الوُثُوبُ، يُقَالُ: إِنَّ لِغَضَبِهِ سَورَةً، وَإِنَّهُ لَسَوَّارٌ، أَي وَثَّابٌ، مُعَربِدٌ، وَسَورَةُ الشَّرَابِ: وُثُوبُهُ فِي الرَّأسِ، وَكَذَلِكَ سَورةُ السُّمِّ، وَسَورةُ السُّلطَانِ: سَطوَتُهُ وَاعْتِدَاؤُهُ[٥].

(١) في (الأصل): جاء العجز برواية: (أَخَذْتَ يَسِيرًا إِنَّمَا أَنْتَ حَاكِمُ).

(٢) في (الأصل): (تبوء) في موضع (تبيت) جاء العجز برواية: (أَخَذْتَ يَسِيرًا إِنَّمَا أَنْتَ حَاكِمُ).

(٣) صَدرُ البَيتِ مَكسُورٌ، وَقَد جَاءَ بِهذِهِ الرِّوَايَةِ فِي أَكثَرِ مِن مَصْدَر.

(٤) اللسان ١٠/ ٢٩٢.

(٥) اللسان ٤/ ٣٨٥.

وَأَمَّا قَولُهُ: لِـمِثْلِكُم نَحمِلُ السُّيوفَ، فَمعنَاهُ أَنْ غَيْرَكَمْ لَيْسَ بِكُفءٍ لَنَا لِنَحمِلَ لَهُ السُّيوفَ، وَإِنَّمَا نَحْمِلُهَا لَكُم؛ لِأَنَّكُم أَكْفَاؤُنَا، فَنَحنُ نُحَارِبُكُم عَلَى المُلكِ وَالرِّئَاسَةِ، وَإِنْ كَانَت أَحسَابُنَا وَاحِدةً، وَهيَ شَرِيفَةٌ لَا مَغْمَزَ فِيهَا.

وَالرَّقَقُ: الضَّعفُ، وَمِنهُ قَولُ الشَّاعِرِ: [من البسيط]

لَمْ تَلقَ فِي عَظمِهَا وَهنًا وَلَا رَقَقَا[1]

وَقَولُهُ: تُكْحَلُ يَوْمَ الهِيَاجِ بِالعَلَقِ، فَالعَلَقُ الدَّمُ، يُرِيدُ أَنَّ عُيونَهُم حُمرٌ؛ لِشِدَّةِ الغَيظِ وَالغَضَبِ، فَكَأَنَّهَا كُحِّلَتْ بِالدَّمِ.

وَأَمَّا قَولُهُ: إِن يَقتُلونِي لَا تُصِبْ أَرْمَاحُهُم، فَمَعنَاهُ:

أَنَّهم إِنْ قَتَلونِي ثُمَّ حَاوَلوا أَن يُصيبُوا رَجُلًا آخَرَ مِثلِي يَصلَحُ أَنْ يَكونَ لِي نَظِيرًا، وَأَنْ يُجعلَ دَمُهُ بُرَاءً لِدَمِي، وَسَعَوا فِي ذَلِكَ سَعيًا جَاهِدًا، فَإِنَّهم لَم يَجدوا وَلَم يَقدِرُوا عَلَيهِ.

وَقَولُهُ: أَرمِي الطَّرِيقَ... البيت.

يَقُولُ أَسْلُك الطَّرِيقَ الضَّيِّقَ، وَلَو جُعِلَ عَلَيَّ فِيهِ الرَّصَدُ لِقَتلِي. وَالحَارِدُ المُنفَرِدُ فِي شَجَاعَتِهِ، الَّذِي لَا مَثِيلَ لَه[2].

فَانْظُر إِلَى أَبيَاتِ عُويفِ القَوَافِي الَّتِي أَنْشَدَهَا المُفَضَّلُ لِإبرَاهِيمَ، كَيفَ إِبراهيمُ لَـمَّا سَمِعَهَا تَمطَّى بِرِكَابَيهِ فَقَطَعَهُمَا وَقَذَفَ نَفسَهُ فِي ذَلِكَ الخَطبِ العَظِيمِ، وَلَمْ تُهلْهُ كَثرَةُ الجَحَافِلِ حَتَّى شَقَّ عَجَاجَتَهَا وَقَضَى كَرِيمًا تَحتَ ظُبَا المَوَاضِي، وَلَهَاذِمِ الذَّوَابِلِ.

وَهَكذَا كُلُّ شِعرٍ شَبِيهٍ بِأَبيَاتِ عُوَيفِ القَوَافِي إِذَا وَقَعَ مَوقِعَهُ فِي النُّفُوسِ ثَبَتَتْ بِهَا هِمَمُنَا، وَلَم تَكتَرِث بِاليَومِ العَبوسِ، وَكَم لِلعَربِ مِن فَارسٍ بَطَلٍ، إِذَا يَجِد مَنْ يُحَرِّكُ

(١) اللسان ١٠/ ١٢٢.

(٢) اللسان ٣/ ١٤٥.

نَخوَتَهُ، فَهوَ لهَا يَتَمَثلُ لِيَشتَدَّ عَزمُهُ فِي دَيَاجِي القَسطَلِ، وَلَم يَثنِ عَذلُ عَاذِلٍ عَزمَهُ، وَلَا أَهَاويلُ المَلحَمَةِ حَتَّى يَطَأ صِمَاخَهَا بِأَخْمَصِيْهِ وَيُدْرِكَ مَا يَتَمَنَّى أَو تَنُوحَ النَّوائِحُ عَلَيهِ كَزَيدِ بنِ عَليِّ بنِ الحُسَينِ عليهم السلام[1]، فَإِنَّهُ قَد عَنَّفَهُ مُحَمَّدُ بنُ عُمرَ بنِ عَليِّ بنِ أَبِي طَالِبٍ[2] عَلَيهِ السَّلَامُ حِينَ خَرَجَ وَحَذَّرَهُ القَتلَ؛ وَقَالَ لَهُ:

إِنَّ أَهلَ العِرَاقِ خَذَلوا أَبَاكَ عَلِيًّا وَحَسَنًا وَحُسَيْنًا عليهم السلام، وَإِنَّكَ مَقتولٌ، وَإِنَّهم خَاذِلوكَ، فَلَم يَثنِ ذَلِكَ عَزمَهُ وَتَمَثَّلَ:[3] [من الكامل]

١. بَكَرَتْ تُخَوِّفُنِي الحُتُوفَ كَأَنَّنِي أَصْبَحْتُ عَنْ غَرَضِ الحُتُوفِ بِمَعْزِلِ

---

(١) زَيْدُ بنُ عَليِّ بنِ الحُسَينِ بنِ عَليِّ بنِ أَبِي طَالِبٍ عليهم السلام، يُكَنَّى أَبَا الحُسَين وَأُمُّهُ أُمُّ وَلَدٍ، وَمَنَاقِبُهُ أَجَلُّ مِن أَن تُحصَى، وَفَضلُهُ أَكثَرُ مِن أَنْ يُوصَف، وَقَد أَخبَرَ عَنهُ رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله؛ إِذ قَالَ: «**يُقتَلُ مِن ولديَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ زَيدٌ بِمَوضِعٍ يُعرفُ بِـ(الكُنَاسَةِ) يَدعُو إِلَى الحَقِّ**». وَالكُنَاسَةُ مَوضِعٌ فِي الكُوفَةِ. كَانَت ولَادَتُهُ سَنَةَ (٧٦ هـ)، وَبَلَغَ مِنَ العُمُرِ (٤٦) سَنَةً، خَرجَ أَيَّامِ هِشامِ بنِ عَبدِ المَلكِ بِالكُوفَةِ، وَبَايَعَهُ مِن أَهلِ الكُوفَةِ خَمسَةَ عَشَر أَلفَ رَجُلٍ، ثُمَّ تَفَرَّقوا عَنهُ لَيلَةَ خَرجَ سِوَى ثَلَاثِمِئَةِ رَجلٍ، وَقُتِلَ بِسَهمٍ لِخَمْسٍ بَقِينَ مِنَ المُحَرَّمِ سَنَةَ (١٢٢هـ)، وَلَمَّا قُتِلَ أُرسِلَ رَأسُهُ إِلَى الشَّامِ، ثُمَّ إِلَى المَدينَةِ، فَنُصِبَ عِندَ قَبرِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله، وَصُلِبَت جِثَّتُهُ عُريَانًا، فَنَسَجَت العَنكبوتُ عَلَى عَورَتِهِ لِيومِهِ، وَأَقَامَ أَربعَ سَنِينَ مَصلُوبًا، ثُمَّ أُنزِلَ وَأُحرِقَ، وَذُرَّ فِي مَاءِ الفُرَاتِ. قَتَلَهُ يُوسفُ بنُ مُحَمَّد بنِ يُوسفَ بنِ عُمرَ الثَّقَفِيُّ، وَلَهُ عَلَيهِ السَّلَامُ أَربعَةُ بَنِينَ، مِنهم يَحيَى قُتِلَ بِجوزَجَانِ عُمرُه ثَمان عَشرَة سَنةً. له ترجمة في: مشاهير علماء الأمصار ١٠٤، وفتح الباب ٢٤٣، وتأريخ دمشق ١٩/ ٤٥٠، ومختصر تأريخ دمشق ٩/ ١٤٩، وتهذيب الكمال ١٠/ ٩٥، وتأريخ الإسلام ٣/ ٤١٥، وسير أعلام النُّبلاء ٥/ ٣٨٩، والوافي بالوفيات ١٥/ ٢١، وفوات الوفيات ٢/ ٣٥، والتُّحفة اللَّطيفة ١/ ٣٧١، وخلاصة تذهيب تهذيب الكمال ١٢٩، والأعلام.

(٢) مُحَمَّدِ بْنِ عُمَرَ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ. أَبُو عبد الله، وَأُمُّهُ أَسمَاءُ بِنتُ عَقِيلِ بْنِ أَبِي طَالِبِ ابْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ. وَأَكْثر رِوَايَته عَن أَبِيه وَعَن عَلِيّ بن الْحُسَيْن. له ترجمة في: الطبقات الكبرى ٥/ ٢٥٣، الثِّقات لابن حبَّان ٥/ ٣٥٣، وفتح الباب ٤٩٢، وتأريخ دمشق ٥٤/ ٤١٣، وتأريخ الإسلام ٣/ ٧٣٠، والوافي بالوفيات ٤/ ١٦٨، والتُّحفة اللَّطيفة ٢/ ٥٥٤، وخلاصة تذهيب تهذيب الكمال ٣٥٣، ولسان الميزان ٩/ ٤١٣.

(٣) ديوان عنترة بن شدَّاد ٢٥١-٢٥٢.

٢.فَأَجَبْتُهَا: إِنَّ المَنِيَّةَ مِنْهَلٌ لَا بُدَّ أَنْ أُسْقَى بِكَأْسِ المَنْهَلِ
٣.فاقْنَيْ حَيَاءَكِ -لاَ أَبَالَكِ- وَاعْلَمي أَنِّي امْرُؤٌ سَأَمُوتُ إِنْ لَمْ أُقْتَلِ[1]
٤.إِنَّ المَنِيَّةَ لَوْ تُمَثَّلُ مُثِّلَتْ مِثْلي إِذَا نَزَلُوا بِضَنْكِ المَنْزِلِ

وَأَنَّهُ صَمَّمَ عَلَى مَا أَرَادَ، وَخَذَلَهُ أَهْلُ الكُوفَةِ بَعدَ بَيعَتِهِم لَهُ يومَ الجِلَادِ، وَتَخَلَّفَ مَعَه مِمَّن تَابَعَهُ نَفَرٌ يَسِيرٌ، وَأَبلَى بِنَفْسِهِ بَلَاءً حَسَنًا فِي ذَلِكَ الخَطبِ الكَبِيرِ، وَجَاهَدَ جِهَادًا عَظِيمًا، حَتَّى أَتَاهُ سَهمٌ غَربٌ فَأَصَابَ جَانِبَ جَبهَتَهُ اليُسرَى فَثَبُتَ فِي دِمَاغِهِ، فَحِينَ نُزِعَ مِنهُ سَلَامُ الله عَلَيهِ مَاتَ.

وَخُلَاصَةُ الأَمْرِ أَنتَ إِذَا اسْتَقرَيْتَ الشِّعرَ تَجدهُ مَبنِيًّا عَلَى الشَّجَاعَةِ، وَالكَرَمِ، وَالشَّرفِ، وَالفَخْرِ، بَلْ عَلَى كُلِّ صِفَةٍ حَسَنةٍ، وَمِن هَذِهِ الحَيْثِيَّةِ شَحَذَت العَربَ مِنهَا فِي نِظَامِهِ الأَلسِنَةُ، وَلَهَا فِي كُلِّ صِفَةٍ مِن تِلكَ الصِّفَاتِ بَدَائِعُ غُرَرٍ تَسْتَظْرِفُهَا الأَنْفُسُ المُشرفَاتُ.

وَمِن تِلكَ البَدَائِعِ مَا يَربُطُ الجَأشَ فِي كُلِّ خَطْبٍ رَائِعٍ، قَولُ أَعرَابِيٍّ عَرَضَ بِهِ فِي طَرِيقِهِ أَسَدٌ، فَعَذَلَهُ أَخُوهُ أَنْ لَا يُجَرِّدَ سَيفَهُ بَلْ يَدَعُهُ فِي جَفْنِهِ مُغْمَدًا، خَوْفًا عَلَيهِ أَنْ يَلْجَأَ الأسدُ إِلَى مُفَارَسَتِهِ، وَلَمْ يَسْلَمْ مِنْ وَثْبَتِهِ؛ فَقَالَ:[2] [من الطويل]

١.يَقُولُ أَخِي: لَا تَنْتَضِ السَّيفَ وَاغْتَنِمْ مِنَ اللَّيثِ عِنَّا بِالطَّرِيقِ تَعَرَّضَا
٢.فَقُلْتُ وَقَدْ سَدَّ الطَّرِيقَ بِوَجْهِهِ وَقَابَلَنِي وَجْهٌ مِنَ اللَّيْثِ أَعْرَضَا
٣.أَمُوتُ وَسَيْفِي مُغْمَدٌ فِي قِرَابِهِ لِيُوجَدُ بَعْدِي مُغْمَدًا غَيرَ مُنْتَضَى
٤.فَلِمْ طَالَ حَمِلِي نَصلَهُ وَقِرَابَهُ إِذَا أَنَا لَمْ أَضْرِبْ بِهِ مَنْ تَعَرَّضَا

فَتَأَمَّل فِي أَبيَاتِ هَذَا الرَّجُلِ، كَيفَ وَطَّنَ نَفْسَهُ بِهَا عَلَى مُفَارَسَةِ الأَسَدِ المُدِلِّ، وَلَمْ يَسْمَعْ مِن أَخِيهِ مَقَالَةَ مَذَلَّةٍ؛ مِن تَركِهِ انْتِضَاءَ مُنْصِلِهِ؛ حَذَرًا مِن أَنْ إِذَا افْتَرسَهُ الأَسَدُ

(١) فاقْنَيْ حَيَاءَكِ: أي التزمي بحيائك.
(٢) المجموع اللفيف ٧٥، البيتان ٣، ٤ الأبيات للعتَّابيّ.

يَرَى النَّاسُ سَيفَهُ فِي جَفْنِهِ مُغْمَدًا، وَهوَ مُقَلَّدٌ فِيهِ، لَمْ تَبدُ مِنهُ عَلَامَةٌ فِي مُصَاوَلَتِهِ، تَدُلُّ عَلَى جُرأَتِهِ وَعُظْمِ شَجَاعَتِهِ، وَشِدَّةِ شَرَاسَتِهِ، مِنْ تَفَلُّلِ شَبَاهُ، أَو اخْتِضَابِهِ مِنْ ضَربِهِ لِلأَسَدِ فِي دِمَاهُ؛ لِتَنفِي عَنهُ الجُبنَ إِذَا وَجَده الوَرَى فَرِيسَةً لِلَيثِ الشَّرَى.

وَأَشَدُّ مِنْ أَبيَاتِهِ رَصَانَةً أَبيَاتُ بِشْر بنِ عَوَانَةَ وَأَرَقُّ لَفْظًا، وَأَدَقُّ مَعنًى فِي مُخَاطَبَتِهِ لِلأَسَدِ وَجَوَادِهِ الأَرِنِ الوَرْدِ[1]، لَمَّا اعْتَرَضَهُ الأَسَدُ فِي طَرِيقِهِ، وَقَدْ اضْطَرَّهُ سَغَبُ أَشْبَالِهِ إِلَى لَحْمِهِ، وَهوَ ذَاهِبٌ يَطلُبُ مَهرًا لِابْنَةِ عَمِّهِ، وَذَلِكَ حَيْثُ قَالَ:[2] [من الوافر]

١. أَ فَاطِمُ لَوْ شَهِدْتِ بِبَطنِ خَبْتٍ ... وَقَدْ لَاقَى الهِزَبْرُ أَخَاكِ بِشْرَا[3]

٢. إِذًا لَرَأَيْتِ لَيثًا أَمَّ لَيثًا ... هِزَبرًا أَغْلَبًا يَغْشَى هِزَبْرَا

٣. تَبَهْنَسَ إِذْ تَقَاعَسَ عَنْهُ مُهْرِي ... مُحَاذَرَةً فَقُلْتُ عُقِرْتَ مُهْرَا[4]

٤. أَنِلْ قَدَمَيَّ ظَهْرَ الأَرْضِ إِني ... وَجَدْتُ الأَرْضَ أَثْبَتَ مِنْكَ ظَهْرَا

٥. وَقُلْتُ لَهُ وَقَدْ أَبْدَى نِصَالا ... مُحَدَّدَةً، وَوَجْهًا مُكْفَهِرًّا[5]

---

(١) الأَرِنُ فَرَسُ عُمَيْرِ بنِ جَبَلٍ البَجَلِيِّ. والأرن: النشيط. (التاج ٣٤/ ١٧٤)، الوَرْدُ من الخَيْلِ: بَيْنَ الكُمَيْتِ والأَشْقَرِ، والورد: الجريئ. (التاج ٩/ ٢٨٦).

(٢) مقامات بديع الزمان الهمذانيّ ٤٤٨، والحماسة البصريَّة ١/ ١٠٤، ونهاية الأرب ٩/ ٢٣٩، ومجاني الأدب ١/ ٣٩٨، وجواهر الأدب ١/ ٣٩٨. الاختلافات كثيرة بين المصادر المذكورة، تُنظر هناك.

- بِشرُ بنُ عَوانَةَ العَبديُّ: اسمٌ اخترَعَهُ البَديعُ الهَمذَانيُّ، لِشَاعِرٍ، وَضَعَ لَهُ قِصةً خُلَاصَتُهَا: أَنَّهُ عَرَضَ لَهُ أَسدٌ، وَهوَ ذَاهِبٌ يَبتَغِي مَهرًا لِابنَةِ عَمٍّ لَهُ، فَثَبَتَ لِلأَسَدِ، وَقَتَلَهُ، وَخَاطَبَ أُختًا لَهُ سَمَّاهَا البَديعُ (فَاطِمة) بِقَصيدةٍ هِي أَروعُ مَا قِيلَ فِي مَوضُوعِهَا، مَطلَعُهَا:

أَ فَاطِمُ لَوْ شَهِدْتِ بِبَطنِ خَبْتٍ ... وَقَدْ لَاقَى الهِزَبْرُ أَخَاكِ بِشْرَا

وَالقَصِيدةُ فِي مَقَامَاتِ البَدِيعِ. ينظر: الأعلام ٢/ ٥٥

(٣) خَبتٌ: صَحرَاء بَينَ مَكَّةَ وَالمَدينةِ، وَقِيلَ: خَبتٌ مَاء لِبَنِي كَلبٍ. (معجم البلدان ١/ ٣٦٥)، وَبَطنُ خَبتٍ: مِثلَمَا نَقولُ: بَطنُ الوَادِي وَهوَ تَوَسُّطُهُ. الهِزْبرُ: مِنْ أَسماء الأَسد. (اللسان ٥/ ٢٦٣).

(٤) يتبَهْنَسُ، أَي يتبخْتَرُ، والبَهْنَسُ: الأَسَدُ يُبَهْنِسُ فِي مَشيِه. (التاج ١٥/ ٤٧٤).

(٥) محدَّدة: أي حَادَّة، ووَجْهٌ مُكْفَهِر: أَي عَابِسٌ قَطوبٌ. (اللسان ٥/ ١٥١).

٦. يَـدُلُّ بِـمَـخْـلَـبٍ وَبِـحَـدِّ نَـابِ ... وَبِـالـعَـيْـنَـيْنِ تَحْـسِـبُـهُـنَّ جَمْـرَا

٧. وَفِي يُـمْـنَـايَ مَـاضِي الْـحَدِّ أَبْقَى ... بِـمَـضْـرَبِـهِ قِـرَاعَ الْـخَـطْـبِ أَثْـرَا[1]

٨. أَلَمْ يَـبْـلُـغْـكَ مَـا فَـعَـلَـتْ ظُـبَـانَـا ... بِـكَـاظِـمَـةٍ غَـدَاةَ قَـتَـلـتُ عَـمْـرَوا[2]

٩. وَقَلْبِي مِثْلُ قَلْبِكَ، لَسْتُ أَخْشَى ... مُـصَـاوَلَـةً، وَلَـسْـتُ أَخَـافُ ذُعْـرَا

١٠. وَأَنْـتَ تَـرُومُ لِـلأَشْـبَـالِ قُـوتًـا ... وَأَطْـلُـبُ لِابِـنَـةِ الْأَعْـمَامِ مَـهْـرَا

١١. فَـفِـيـمَ تَـسُـومُ مِـثْـلِي أَنْ يُـولِي ... وَيَـتْـرُكُ فِي يَـدَيـكَ النَّفسَ قَسْـرَا[3]

١٢. نَصَحْتُك فَالتَمِسْ يَا لَيْث غَيْرِي ... طَـعَـامًـا، إِنَّ لَـحْـمِـي كَـانَ مُـرَّا

١٣. فَـلَـمَّا ظَـنَّ أَنَّ الْـغِـشَّ نُـصْـحِـي ... فَـخَـالَـفَـنِـي كَـأَنِّي قُـلْـتُ هَـجْـرَا

١٤. مَشَى وَمَشِيتُ كَالأَسَدَينِ رَامَا ... مَـرَامًـا كَـانَ إِذْ طَـلَـبَـاهُ وَعْـرَا

١٥. يُـكَـفْـكِـفُ غِـيـلَـةً إِحْـدَى يَـدَيْـهِ ... وَيَـبْـسِـطُ لِـلْـوُثُـوبِ عَـلَيَّ أُخْـرَى

١٦. هَـزَزْتُ لَـهُ الـحُسَامَ فَـخَـالَ أَنِي ... شَـقَـقْـتُ لَـهُ مِـنَ الـظَّـلـمَاءِ فَـجْـرَا

١٧. وَجُـدْتُ لَـهُ بِـحَـاسِـمَـةٍ رَآهَـا ... لِـمَا كَـادَتْـهُ مِـمَّا فِـيـهِ عُـذْرَا[4]

١٨. بِـضَـرْبَـةِ فَـيْـصَـلٍ تَـرَكَـتْـهُ شِـفْـعًا ... وَكَـانَ كَـأَنَّـهُ الْـجُـلـمُـودُ وِتـرًا[5]

١٩. فَـخَـرَّ مُـضَـرَّجًـا بِـدَمٍ كَـأَنِي ... هَـدَمْـتُ بِـهِ بِـنَـاءً مُـشْـمَـخِـرًّا[6]

٢٠. وَقُـلـتُ لَـهُ يَـعِـزُّ عَـلَيَّ أَنِي ... قَـتَـلْـتُ مُـنَـاسِـبِـي جَـلَـدًا وَقَـهْـرَا

٢١. وَلَـكِـنْ رُمْـتَ أَمْـرًا لَمْ يَـرُمْـهُ ... سِـوَاكَ؛ فَـلَـمْ أَطِـقْ يَـا لَـيْـثُ صَـبْـرَا

---

(١) هِيَ: أَثَرًا، إِلَّا أَنَّ الشَّاعِرَ يَضْطَرُّ لِتَسكِينِ حَرفِ الثَّاءِ مِنْ أَجلِ القَافِية.

(٢) الظُّبَى: جَمْعُ ظُبَة السَّيْفِ، وَهُوَ طَرَفُه وحَدُّه. (اللسان ١٥/ ٢٢). وكَاظِمَةُ: جَوٌّ عَلَى سِيفِ الْبَحْرِ مِنَ الْبَصْرَةِ عَلَى مَرْحَلَتَيْنِ، وَفِيهَا رَكايا كَثِيرَةٌ وماؤُها شَرُوب. (اللسان ١٢/ ٥٢١).

(٣) سَامَ فُلانًا الأَمرَ، يَسُومُه سَوْمًا: كَلَّفَه إِيَّاه، وجَشَّمَه وأَلْزَمَه. (التاج ٣٢/ ٤٣٠).

(٤) الحاسمة: كناية عن الضربة القاضية التي حسمت الأمر.

(٥) تركته شفعًا بعد أن كان وترًا: أي قطعه، وصار جسده قطعتَين.

(٦) الْمُشْمَخِرُّ الطَّوِيلُ مِنَ الْجِبَالِ. والـمُشْمَخِرُّ: الجبَل الْعَالِي. (اللسان ٤/ ٤٢٩).

٢٢. تَحَـاوِلُ أَنْ تُعَلِّمُنِي فِـرَارًا لَعَمرُ أَبِي لَقَدْ حَاوَلْتَ نُكرَا
٢٣. فَلَا تَجْزَعْ لَقَدْ لَاقَيتَ حُرًّا يُحَاذِرُ أَنْ يُعَابَ فَمُتُّ حُرَّا

فَيَا عَجَبًا لِهَذَا الرَّجُلِ مِن لِسَانِه، فَإِنَّهُ فِي مَقَالِهِ أَمْضَى مِن حُسَامِه، وَأَنْفَذُ مِن سِنَانِه، وَفِي الحَقِيقَةِ أَنَّ العَرَبَ غَالِبُ أَلْسِنَتِهِم هِيَ فِي كَلَامِهَا كَالقُضُب، وَأَنْتَ إِذَا نَظَرتَ إِلَى أَحوَالِهِم وَأَجَلْتَ النَّظَرَ فِي أَقْوَالِهِم تَجِد صَغِيرَهُم فِي فَصَاحَتِهِ شَررًا مُلْتَهِب، وَكَبِيرَهُم أَكَلَ الدَّهرُ عَلَيهِ وَشَرِب، وَامْرَأَتَهم لِسَانُهَا مَضْرِبَ قِرضَاب[1]، فِي سُرْعَةِ الجَوَاب.

فَمِن قَضَايَا صِغَارِهِم الَّتِي أُعْجِبَتْ بِهَا العُلَمَاءُ، وانْبَهَرَت بِهَا الفُضَلَاءُ، ما رَوَاه أَثِيرُ الدِّينِ أَبو زَرْعَةَ العِرَاقِيُّ الشَّافِعِيُّ[2]، والمَيْدَانِيُّ[3] فِي كِتَابِ (الأَمْثَالِ)[4] عَنِ المُفَضَّلِ الضَّبِّيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللهﷺ لَـمَّا خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ يَعْرُضُ نَفْسَهُ عَلَى القَبَائِلِ، خَرَجَ إِلَى رَبِيعَةَ

(١) القِرْضابُ: السَّيْفُ القَطَّاعُ. (التاج ٤/ ٢٥).

(٢) الشَّيخُ وَلِيُّ الدِّينِ أَبو زَرعَةَ أَحمدُ بنُ الشَّيخِ زَينِ الدِّينِ عَبدِ الرَّحيمِ بنِ الحُسَينِ العِرَاقِيُّ الشَّافِعِيُّ، تَولَّى القَضَاءَ بِالدِّيارِ المِصريَّةِ بَعدَ وَفاةِ جَلالِ الدِّينِ عَبدِ الرَّحمَنِ البَلقِينيِّ، وَقَد امتَازَ بِكَفَاءَتِهِ، وَتَمكُّنِهِ مِن عُلومِ الحَدِيثِ وَالفِقهِ، وَغيرِ ذَلكَ، مَعَ جَميلِ طَريقَتِهِ، وَحُسنِ سِيرتِهِ، وَتَصَدِّيهِ لِلإِفتَاءِ وَالتَّدريسِ عِدَّةَ سِنينَ، وَتَنَزُّهِهِ عَنِ التَّردَادِ لِأَبوابِ الأُمَرَاءِ وَنَحْوِهِم، وَسِعةِ ذَاتِ يَدِه، وَغَيرِ هَذَا مِنَ الصِّفَاتِ المَحمُودَةِ. ينظر: سير أعلام النُّبلاء: ١٧/ ٤٠٥، وذيل تذكرة الحفَّاظ: ١/ ٥، والسلوك لمعرفة دول الملوك: ٧-٨/ ٢٢.

(٣) في (الأصل): (المَدَايِنِيُّ).
- أَبو الفَضلِ أَحمدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ أَحمدِ بنِ إِبرَاهِيمَ، المَيْدَانِيُّ، النِّيسَابُورِيُّ، الأَديبُ، كَانَ أَديبًا فَاضِلًا، عَارِفًا بِاللُّغَةِ، اخْتَصَّ بِصُحْبَةِ أَبِي الحَسَنِ الوَاحِدِيِّ صَاحِبِ التَّفسِيرِ، ثُمَّ قَرأَ عَلَى غَيرِهِ، وَأَتقَنَ فَنَّ العَرَبِيَّةِ خُصُوصًا اللُّغَةَ وَأَمثَالَ العَربِ، وَلَهُ فِيهَا التَّصَانِيفُ المُفِيدَةُ، مِنهَا كِتَابُ (الأَمثَال) المَنسوبُ إِلَيهِ، وَلَم يُعلَمْ مِثلُهُ فِي بَابِهِ، وَكِتابُ (السَّامِي فِي الأَسَامِي)، وَهوَ جَيِّدٌ فِي بَابِهِ، وَكَانَ قَد سَمِعَ الحَديثَ وَرَوَاه، تُوُفِّيَ سَنةَ (٥١٨هـ). له ترجمة في: المثل السائر ١/ ٥٤، ووفيات الأعيان ١/ ١٤٨، وسير أعلام النُّبلاء ١٩/ ٤٨٩، والوافي بالوفيات ٧/ ٢١٣، وبغية الوعاة ١/ ٣٥٦، والأعلام ١/ ٢١٤، ومعجم المؤلِّفين ٢/ ٦٣.

(٤) ينظر: مجمع الأمثال ١/ ١٧، وجمهرة الأمثال ٢/ ٤١٤.

وَمَعَهُ عَلِيٌّ عليه السلام وَأَبُو بَكْرٍ، فَدُفِعُوا إِلَى مَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِهِمْ، فَتَقَدَّمَ أَبُو بَكْرٍ، وَكَانَ نَسَّابَةً، فَسَلَّمَ فَرَدُّوا عَلَيْهِ السَّلَامَ، فَقَالَ:

مِمَّنِ القَوْمُ؟

قَالُوا: مِنْ رَبِيعَةَ.

قَالَ: أَفَمِنْ هَامَاتِهَا أَمْ مِنْ لَهَازِمِهَا؟.

قَالُوا: مِنْ هَامَاتِهَا العُظْمَى.

قَالَ: مِنْ أَيِّ هَامَاتِهَا أَنْتُمُ؟.

قَالُوا: ذُهَلُ الأَكْبَرُ.

قَالَ: أَ فَمِنْكُمْ (عَوْفُ)[1] الَّذِي يُقَالُ: (لاَ حُرَّ بِوَادِي عَوْف)؟.

قَالُوا: لَا.

قَالَ: أَ فَمِنْكُمُ (بَسْطَامُ بنُ قَيس)[2] ذُو اللِّوَاءِ وَمُنْتَهَى الأَحْيَاءِ؟.

قَالُوا: لَا.

قَالَ: أَ فَمِنْكُمُ (جَسَّاسُ[3]) حَامِي الذِّمَارِ وَمَانِعُ الجَارِ؟.

---

(١) عَوفُ بنُ مُحلِّم بنِ ذُهَل بنِ شَيبانَ: مِن أَشرَافِ العَربِ فِي الجَاهلِيَّةِ، كَانَ مُطَاعًا فِي قَومِهِ، قَويًّا فِي عَصَبِيَّتِهِ، طَلَبَ مِنهُ المَلكُ عَمرُو بنُ هِندٍ رَجُلًا كَانَ قَد أَجَارَهُ، فَمَنَعَهُ، فَقَالَ المَلِكُ: «لَا حُرَّ بَوادِي عَوف»، أَي لَا سَيِّدَ فِيهِ يُنَاوئُهُ، فَسَارَت مَثلًا، وَفِيهِ المَثَلُ: «أَوفَى مِن عَوفِ بنِ مُحَلِّم». وَكَانَت تُضرَبُ لَهُ قُبَّةٌ فِي عُكَاظَ، تُوفِّيَ (نَحوَ ٤٥ق.هـ). ينظر: المتّفق والمفترق ١/ ٤٨٣، وتأريخ دمشق ١٧/ ٣٠٠، والأعلام ٥/ ٩٦.

(٢) بَسطَامُ بنُ قَيسِ بنِ مَسعودٍ، مِن مُرَّةَ بنِ ذُهَل بنِ شَيبانَ بنِ ثَعلَبَةَ، ذُو الجَدَّينِ، صَاحِبُ اللُّوَاء، فَارسُ العَرَبِ، قُتِلَ يَومَ النَّقَا، قَتَلَتهُ بَنو ضَبَّة (نحو ١٠ق.هـ/ نحو ٦١٢م).
طبقات فحول الشعراء ١/ ١٨٤، والاشتقاق ٣٥٨، والمؤتلف والمختلف ٧٧، ونزهة الألباب ١/ ٣٠٧، والأعلام ٢/ ٥١.

(٣) جَسَّاسُ بنُ مُرَّةَ بنِ ذُهَل بنِ شَيبانَ، مِن بَني بَكرِ بنِ وَائِل، أَمِيرٌ مِن أُمَرَاءِ العَربِ، وَأَحَدُ=

قَالُوا: لَا.

قَالَ: أَ فَمِنْكُمُ (الحَوْفَزَانُ)[1] قَاتِلُ المُلُوكِ وَسَالِبُهَا أَنْعُمَهَا؟.

قَالُوا: لَا.

قَالَ: أَ فَمِنْكُمْ المزْدَلِفُ[2] صَاحِبُ العَمَامَةِ الفَرْدَة؟.

قَالُوا: لَا.

قَالَ: أَ فَمِنْكُمُ أَخْوَالُ[3] المُلُوكِ مِنْ كِنْدَة؟.

قَالُوا: لَا.

=فُرسَانِهِم الشُّجعَان فِي الجَاهِلِيَّةِ، وَشَاعِرٌ مُقِلٌّ، وَهوَ الَّذي قَتَلَ كُلَيبَ وَائِل، فَكَانَ سَببًا لِنُشوبِ حَربٍ طَاحِنةٍ بَينَ بَكرٍ وَتَغلِب، دَامَت أَربَعِينَ سَنةً، قُتِلَ جَسَّاسُ فِي أَوَاخِرِهَا، ذَلِكَ (نحو ٨٥ق.هـ/ نحو ٥٣٥ م). ينظر: الأعلام ٢/ ١١٩، ونشوة الطرب ٦٠٦، والمفصَّل في تأريخ العرب ٨/ ٨٦.

(١) الحَوفَزانُ بنُ شَريكٍ الشَّيبَانِيّ المَوصوفُ بِالكَرمِ وَالشَّجَاعَةِ، وَإِنَّما قِيلَ لَه الحَوفَزانُ؛ لِأَنَّ قَيسَ ابنَ عَاصِمٍ المنقَريّ حَفَزَه بِالرُّمحِ حِينِ خَافَ أَن يَفوتَه، وَمَعنَى حَفَزَه أَي دَفَعَهُ مِن خَلفِهِ، وَاسمُ الحَوفَزانِ: الحَارِثُ بنُ شَريك، وَقِيلَ إِنَّ الَّذِي حَفَزَهُ بَسطَامُ بنُ قَيسٍ الشَّيبَانِيّ، وَالأَوَّلُ أَصحُّ. له ترجمة في: الاشتقاق ٣٥٨، ووفيات الأعيان ٥/ ٢٥٤، ونزهة الألباب ١/ ٢٢٣، والأعلام ٢/ ١٥٥.

(٢) المزْدَلِفُ: عَمْرُو بنُ أَبِي رَبِيعَةَ بنِ ذُهلِ بنِ شَيبانَ، مِن بَكرِ بنِ وَائِلٍ، مِن عَدنَانَ: جَدٌّ جَاهِلِيٌّ، كَانَ يُعرفُ بِالمُزدَلِفِ، لُقِّبَ بِذَلِكَ لِقَولِهِ يُخَاطِبُ قَومَهُ يومَ التَّحَالِقِ: «يَا بَني بَكرٍ، ازْدَلِفُوا مِقدَارَ رَميَتِي بِرُمحِي هَذَا»، وَهوَ (أَبو حَارثَة) المُلَّقبُ بِذِي التَّاجِ، وَمِن وُلدِ حَارثَةَ هَانِئُ بنُ مَسعودٍ الشَّيبَانيُّ وَآخَرُون. ينظر: الإشتقاق ٣٥٨، وشعراء النصرانيَّة ٢/ ١٥٥، ٨/ ١٢٩، والأعلام ٥/ ٧٧.

(٣) في(الأصل): (أصهار الملوك).

- تَزَوَّجَ الحَارِثُ بنُ حِجرٍ الكِنديّ مِنَ الخَنسَاءِ ابنَةِ عَوفِ بنِ مُحَلِّمٍ الشَّيبَانِيّ، مِن ذُهَل، فَوَلَدَت لَهُ الأَملَاكَ الأَربَعَة: (حِجرًا، وَشَرحَبيلَ، وَسَلَمَة، وَمَعد يَكرِب)، فَكَان بَنو ذُهَلٍ أَخوَالَ هَؤلَاءِ المُلوكِ مِن كِندَة. العقد المفصَّل ١/ ١٩٥.

قَالَ: أَ فَمِنْكُمُ أَصْهَارُ المُلُوكِ مِنْ لَخْمٍ؟.

قَالُوا: لَا.

قَالَ: فَلَسْتُمُ إِذًا ذُهَلُ الأَكْبَرُ، بَل أَنْتُمُ (ذُهَلُ الأَصْغَرُ).

فَقَامَ إِلَيْهِ غُلَامٌ مِن شَيْبَانَ يُقَالُ لَهُ (دَغْفَلٌ) حِيْنَ بَقُلَ وَجْهُهُ فَقَالَ:(1) [من الرجز]

إِنَّ عَلَى سَائِلِنَا أَنْ نَسْأَلَهْ وَالعِبْءُ لَا يَعْرِفُهُ أَو يَحْمِلُهُ

يَا هَذَا إِنَّكَ قَدْ سَأَلْتَنَا فَأَجَبْنَاكَ، وَلَمْ نَكْتِمْكَ شَيْئًا، فَمَنِ الرَّجُلُ؟.

قَالَ: مِنْ قُرَيْشٍ.

قَالَ: بَخٍ بَخٍ أَهْلُ الشَّرَفِ وَالرِّئَاسَةِ.

فَمِنْ أَيِّ قُرَيْشٍ أَنْتَ؟.

قَالَ: مِنْ تَيْمِ بنِ مُرَّةَ.

قَالَ: أَمْكَنْتَ وَالله الرَّامِي مِنَ الثَّغْرَةِ.

أَ فَمِنْكُمْ قُصَيُّ بنُ كِلَابٍ(2) الَّذِي جَمَعَ القَبَائِلَ مِنْ فِهْرٍ فَصَارَ يُدْعَى مُجَمِّعًا؟.

---

(1) شرح الأخبار ٢/ ٣٨٤، والفائق ٣/ ٤٢٣، وتأريخ دمشق ١٧/ ٢٩٤، وشرح نهج البلاغة: ٤/ ١٢٦، والأنساب ٣٣، ٣٥، ونهاية الأرب ١/ ٩، وكنز العمّال ١٢/ ٥١٧.

(2) قُصَيُّ بنُ كِلَابِ بنِ مُرَّةَ بنِ كَعبِ بنِ لُؤَيٍّ، وَاسمُ قُصيٍّ (زَيدٌ)، وَإِنَّمَا سُمِّيَ قُصَيًّا؛ لِأَنَّهُ قَصَا عَن قَومِهِ، فَكَانَ فِي بَنِي عُذْرَةَ مَعَ أَخِيهِ لِأُمِّه. سَيِّدُ قُرَيشٍ فِي عَصرِهِ، وَرَئِيسِهِم، قِيلَ: هُوَ أَوَّلُ مَن كَانَ لَهُ مُلكٌ مِن بَنِي كِنانَةَ، وَهوَ الأَبُ الخَامِسُ فِي سِلسِلَةِ النَّسَبِ النَّبويِّ، مَاتَ أَبوهُ وَهوَ طِفلٌ، فَتَزَوَّجَت أُمُّهُ بِرَجلٍ مِن بَنِي عُذرةَ، فَانْتَقَلَ بِهَا إِلَى أَطرَافِ الشَّامِ، فَشَبَّ فِي حِجرِهِ، وَسُمِّيَ (قُصَيًّا)؛ لِبُعدِهِ عَنْ دَارِ قَومِهِ، وَلَمَّا كَبرَ عَادَ إِلَى الحِجَازِ، وَكَانَ مَوصُوفًا بِالدَّهَاءِ، وَوَلِيَ البَيتَ الحَرَامَ، فَهَدَمَ الكَعبةَ وَجَدَّدَ بُنيانَها، وَحَارَبَتهُ القَبائِلُ، فَجَمَع قَومَهُ مِنَ الشِّعَابِ وَالأَودِيَةِ وَأَسكَنَهُم مَكَّةَ؛ لِتقوَى بِهِم عَصَبِيَّتُهُ، فَلَقَّبوهُ (مُجَمِّعًا)، وَكَانَت لَه الحِجَابَةُ وَالسِّقَايَةُ وَالرِّفَادَةُ وَالنَّدوَةُ وَاللِّواءُ، وَكَانَت قُرَيشُ تَتَيَمَّنُ بِرأيِهِ، فَلَا تَبرمُ أَمرًا إِلَّا فِي دَارِهِ. ينظر: الاشتقاق ١٩، ومعرفة الصَّحابة لأبي نعيم ١/ ٧٦، وتأريخ دمشق ٤٢/ ١٥، والسلوك في طبقات العلماء=

قَالَ: لَا.

قَالَ: أَفَمِنْكُمُ (هَاشِمٌ)[1] الَّذِي هَشَمَ الثَّرِيدَ لِقَوْمِهِ؟.

قَالَ: لَا.

قَالَ: أَ فَمِنْكُمُ (شَيْبَةُ الحَمْدِ)[2] مُطْعِمُ طَيْرِ السَّمَاءِ؟.

قَالَ: لَا.

قَالَ: أَفَمِنْ أَهْلِ النَّدْوَةِ أَنْتَ؟.

قَالَ: لَا.

قَالَ أَفَمِنْ أَهْلِ الرِّفَادَةِ أَنْتَ؟.

قَالَ: لَا.

=والملوك ١/ ٦٩، والأعلام ٥/ ١٩٨.

(١) هَاشِمُ بْنُ عَبْدِ مَناف بنِ قُصَيّ بنِ كِلَابِ بنِ مُرَّة، أَبو عَبْدِ المُطَّلِبِ جَدِّ النَّبِيِّ ﷺ، كَانَ يُسمَّى عَمْرًا؛ وَغَلَبَ عَلَيهِ لَقَبُهُ (هَاشِم)؛ لِأَنَّه أَوَّلُ مَن هَشَمَ الثَّرِيدَ لِقَومِهِ بِمَكَّةَ فِي إِحدَى المَجَاعَات. فَقَالَتْ فِيهِ ابنتُه، وَقِيلَ بَل ابنُ الزَّبعَرَى:

عَـمـرُو الـعُـلا هَـشَـمَ الـثَّـريـدَ لِـقَـومـه، ورِجـــالُ مـكَّـةَ مُـسْـنِـتُـونَ عِـجـافُ

وَهوَ أَوَّلُ مَن سَنَّ الرِّحلَتَينِ لِقُرَيش، لِلتِّجَارَةِ: رِحلَةَ الشِّتَاءِ إِلَى اليَمَنِ وَالحَبَشَة، وَرِحلَةَ الصَّيفِ إِلَى غَزَّةَ وَبِلَادِ الشَّام، وَرُبَّمَا بَلَغَ أَنقَرة. توفِّي (نحو ١٠٢ق.هـ/ نحو ٥٢٤م). ينظر: التذكرة الحمدونيَّة ٧/ ٣٦٩، والحماسة البصريَّة ١/ ١٥٦، وغرر الخصائص ٣٠٩، ونهاية الأرب ٢/ ٣٥٨، والأعلام ٨/ ٦٦.

(٢) عَبْد المُطَّلِب بن هَاشِم بْنِ عَبْدِ مَناف بنِ قُصَيّ بنِ كِلَابِ بنِ مُرَّة، أَبو الحَارِثِ: جَدُّ النَّبِيِّ ﷺ، زَعِيمُ قُريش فِي الجَاهِلِيَّةِ، وَأَحدُ سَادَاتِ العَربِ وَمُقَدَّمِيهِم، مَولِدُهُ فِي المَدِينَةِ وَنَشَأ فِي مَكَّةَ، كَانَ فَصِيحَ اللِّسَانِ، حَاضِرَ القَلبِ، كَانَت لَه السِّقَايةُ وَالرِّفَادَة، وَكَانَ مَحبوبًا فِي قَومِهِ، قِيلَ اسمُهُ شَيبة، وَ(عَبدُ المُطَّلِب) لَقَبٌ غَلَبَ عَلَيهِ، هُوَ مَمَّن وَفَدَ عَلَى المَلِكِ (سَيف ابنِ ذِي يَزن) فِي وُجُوهِ قُرَيش يُهَنِّئونَه بِالنَّصرِ عَلَى الحَبَشَة، مَاتَ فِي مَكَّة عَن نَحوِ ثَمانِينَ عَامًا أَو أَكثَر وَذَلِكَ (نحو ٤٥ق.هـ/ نحو ٥٧٩م). ينظر: ثمار القلوب ٩٧/ ٤٢٩، وربيع الأبرار ٢/ ٤٦٧، والتذكرة الحمدونيَّة ٧/ ٣٦٩، ونهاية الأرب في فنون الأدب ٢/ ٣٦٠، والأعلام ٤/ ١٥٤.

قَالَ: أَفَمِنْ أَهْلِ الحِجَابَةِ أَنْتَ؟.

قَالَ: لَا.

قَالَ: أَفَمِنْ أَهْلِ السِّقَايَةِ أَنْتَ؟.

قَالَ: لَا.

فَاجْتَذَبَ أَبُو بَكْرٍ زِمَامَ نَاقَتِهِ وَرَجَعَ إِلَى رَسُولِ اللهﷺ هَارِبًا مِنَ الغُلَامِ، فَقَالَ الفَتَى:[1] [من الرجز]

صَادَفَ دَرْءَ السَّيْلِ دَرْءٌ يَدْفَعُهْ يَهِيضُهُ حِينًا وَحِينًا يَصْدَعُهْ

أَمَا وَاللهِ يَا أَخَا تَيْمٍ لَوْ ثَبَتَّ لأَخْبَرْتُكَ أَنَّكَ مِنْ زَمَعَاتِ قُرَيْشٍ، وَلَسْتَ مِنَ الذَّوَائِبِ. فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللهﷺ، وَقَالَ عَلِيٌّ عليه السلام لأَبِي بَكْرٍ: لَقَدْ وَقَعْتَ مِنَ الغُلَامِ الأَعْرَابِيِّ عَلَى بَاقِعَةٍ[2].

قَالَ: أَجَلْ يَا أَبَا الحَسَنِ، مَا مِنْ طَامَّةٍ إِلَّا وَلَهَا طَامَّةٌ، وَالبَلَاءُ مُوْكَّلٌ بِالمَنْطِقِ[3]، فَذَهَبَتْ مَثَلًا.

وَ(دَغْفَلٌ) هَذَا هُو ابْنُ (حَنْظَلَةَ) النَّسَّابَةِ[4]، يُضْرَبُ فِيهِ المَثَلُ بِالنَّسَبِ، وَقَدْ كَانَ

(١) التخريج: البيت بلا عزو في: الفاخر ٢٣٧، والثُّقات ١/ ٨٣، والجليس الصالح ٤٢١، وجمهرة الأمثال ٢/ ٤١٥، والمتَّفق والمفترق ١/ ٤٧٩، ومعجم الأدباء ٣/ ١٢٩٠، ومختصر تأريخ دمشق ٨/ ٢٠١، وتأريخ آداب العرب ١/ ٢٥٥.

(٢) الباقعة: الرجل الداهية. ينظر (تاج العروس: ١١/ ٢٥ مادة بقع).

(٣) ينظر: المحاسن والأضداد ١/ ١٣٢، والعقد الفريد ٣/ ٢٨٠، والثُّقات ١/ ٨٣، وجمهرة الأمثال ٢/ ٤١٥، وتأريخ دمشق ١٧/ ٢٩٣، ومعجم الأدباء ٣/ ١٢٨٩، والرياض النضرة ١/ ١٥٢، ونهاية الأرب ١٦/ ٣٠٧.

(٤) دَغْفَلُ بنُ حَنْظَلَةَ بنِ زَيدِ بنِ عَبدةَ الذُّهَليُّ الشَّيبَانِيُّ: نَسَّابةُ العَرَبِ، يُضرَبُ بِهِ المَثَلُ فِي مَعرفَةِ الأَنسَابِ، لَم يَدرك النَّاسُ مِثلَهُ لِسَانًا وَعِلمًا وَحِفظًا، قِيلَ: اسمُهُ حِجرٌ وَلَقَبُهُ دَغْفَل، غَرِقَ يَومَ دُولَاب (بِفَارِس) فِي وَقعَةٍ مَعَ الأَزَارِقَةِ سَنةَ (٦٥هـ). له ترجمة في: التأريخ الكبير ٣/ ٢٥٥،=

لَهُ مَعْرِفَةٌ بِعِلْمِ النُّجُومِ وَغَيْرِهِ مِنْ عُلُومِ العَرَبِ، وَقَدِمَ مَرَّةً عَلَى مُعَاوِيَةَ بنِ أَبِي سُفْيَانَ، فَاخْتَبَرَهُ فَوَجَدَهُ رَجُلًا كَامِلًا عَالِمًا، فَقَالَ: بِمَ نِلْتَ هَذَا العِلْمَ؟ قَالَ: بِلِسَانٍ سَؤُولٍ وَقَلْبٍ عَقُولٍ، وَ[إِنَّ] «آفَةَ العِلْمِ النِّسْيَانُ»[1].

وَمِنهَا:

الأَصْمَعِيُّ وَالصَّبِيَّانِ الفَصِيحَانِ

مَا رُوِيَ عَنِ الأَصْمَعِيِّ أَنَّهُ قَالَ:

كُنتُ أَدورُ فِي قَبَائِلِ العَرَبِ أُغَرِّبُ وَأُشَرِّقُ لِطَلَبِ غَرِيبِ الكَلَامِ وَفَصِيحِ المَنْطِقِ، فَخَرَجتُ ذَاتَ لَيلَةٍ أُرِيدُ دَارَ أَوسٍ فَضَلَلتُ وَسَأَلتُ عَنهَا صَبِيًّا فَقَالَ هَذَا الوَصفَ الَّذِي لَمْ تَحكِهِ الحُمَيَّا: يَمِينُكَ يَمِينُك، فَإِذَا ازْورَّ طَرِيقُك فَإِذًا أَنْتَ بِبَابِ مَسْجِدٍ مُتَقَنٍ بِالعَقِيقِ الأَحْمَرِ، فَهُنَاكَ دَارُ أَوسٍ.

فَسِرتُ وَإِذَا أَنَا بِصَبِيَّيْنِ يَخْتَصِمَانِ، فَلَمَّا نَظَرَا إِلَيَّ أَتَيَا يُسرِعَانِ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا:

يَا عَم احْكُم بَيْنَنَا.

قُلتُ: فِي مَاذَا؟

قَالَ: أَنَا وَأَخِي هَذَا نَلْعَبُ، فَضَرَبتُ وَضَرَب، فَتَعَالَقَ مِحْجَنُنَا[2]، فَترَادَفَ دُونِي فَوَقَعَ لِظَهرِهِ، وَوَقَعتُ لِذِروَتِهِ، فَهَلْ تَرَى لِيَ يَا عَم ذَنْبًا؟

فَقُلتُ لَهُ: لَو كَانَ لَكَ ذَنبُ إِبْلِيسَ؛ لَغَفَرَ اللهُ لَكَ لِهَذِهِ الفَصَاحَةِ.

=والمعارف ٥٣٤، وفهرس ابن النديم ١٠١، والأنساب ٥/ ٤٨٢، تأريخ دمشق ١٧/ ٢٨٦، وتأريخ الإسلام ٤/ ٢٠٣، والأعلام ٢/ ٣٤٠.

(١) الحديث وردَ عن الرسول الكريم ﷺ. مسند الدارميّ ١/ ٤٨٧، والمصنَّف ٦/ ١٩٠.

(٢) المِحْجَنُ: عَصًا مُعَقَّفة الرأس كالصَّوْلجان. (اللسان ١٣/ ١٠٨).

النَّظَّامُ وَالفَرَاهِيدِيُّ

وَأَغْرَبُ مِنْ هَذَا مَا حُكِيَ[1] عَنْ النَّظَّامِ[2] أَنَّهُ جَاءَ بِهِ أَبُوهُ وَهُوَ حَدَثٌ إِلَى الخَلِيلِ بنِ أَحْمَدَ[3] لِيُعَلِّمَهُ، فَقَالَ لَهُ الخَلِيلُ يَوْمًا لِيَمْتَحِنَهُ وَفي يَدِهِ قَدَحُ زُجَاجٍ:

يَا بُنَيَّ صِفْ لِيَ هَذِهِ الزُّجَاجَةَ.

فَقَالَ: بِمَدْحٍ أَمْ بِذَمٍّ؟.

قَالَ: بِمَدْحٍ.

قَالَ: نَعَم، تُرِيكَ القَذَى، وَتَقِيكَ الأَذَى[4]، وَلا تَسْتُرُ مَا وَرَا.

قَالَ: فَاذْمُمْهَا[5].

(١) الخبر في: التذكرة الحمدونيَّة ٤٥/ ٣٦٥.

(٢) أَبو إِسحَاقَ النَّظَّامُ: إِبرَاهِيمُ بنُ سَيَّار بنِ هَانِئٍ البَصريُّ، شَيخُ الجَاحِظِ، مِن أَئِمَّةِ المُعتَزِلَةِ، مَعَ عُلوِّ طَبَقَتِهِ فِي الكَلَام، وَتَمَكُّنِهِ فِي العِلمِ، وَتَحَكُّمِهِ فِي المَعرفَةِ، تَسبَّبَ إِلَى مَا حَرَّمَ اللهُ تَعَالَى عَلَيهِ مِن فَتَى نَصرَانِيٍّ عَشِقَهُ، بِأَن وَضَعَ لَهُ كِتَابًا فِي تَفْضِيلِ التَّثلِيثِ عَلَى التَّوحِيدِ. ذَكروا أَنَّ لَهُ كُتبًا كَثيرة فِي الفَلسَفَةِ وَالاعتِزَالِ، تُوفِّيَ سَنَةَ (٢٣١ هـ). له ترجمة في: الحيوان ٣/ ٢١٥، ٥/ ١٠٤، ٧/ ٤٣٥، والبرصان والعرجان ٣٩٧، وفهرست ابن النديم ٢٠٥، وطوق الحمامة ٢٧٨، وتأريخ بغداد ٦/ ٦٢٣، وتوضيح المشتبه ٩/ ٩٨.

(٣) الخَلِيلُ بنُ أَحمدَ بنِ عَمرِو بنِ تَميمٍ الفَرَاهِيديُّ الأَزدِيُّ اليَحمَديُّ، أَبو عَبدِ الرَّحمنِ: مِن أَئِمَّةِ اللُّغَةِ وَالأَدَبِ، وَوَاضِعُ عِلمِ العَروضِ، أَخَذَهُ مِنَ المُوسِيقَى وَكَانَ عَارِفًا بِهَا. وَهوَ أُستَاذُ سِيبَوَيهِ النَّحوِيِّ، وُلِدَ وَمَاتَ فِي البَصرَةِ، وَعَاشَ فَقِيرًا صَابِرًا، لَه كِتَابُ (العَين) فِي اللُّغَةِ، و(معاني الحُروفِ)، وَكِتابُ (العَروض)، وَغَيرهَا، تُوفِّي سَنَةَ (١٧٠هـ أو١٧٥هـ). لَهُ تَرجمةٌ في: معجم الأدباء ٣/ ١٢٦٠، وإنباه الرواة ١/ ٣٧٦، وتهذيب الأسماء ١/ ١٧٧، ووفيات الأعيان ٢/ ٢٤٤، وتهذيب الكمال ٨/ ٣٢٦، وسير أعلام النُّبلاء ٧/ ٤٢٩، والوافي بالوفيات ١٣/ ٢٤٠، والبلغة ١٣٣، وغاية النهاية ١/ ٢٧٥، وبغية الوعاة ١/ ٥٥٧، والأعلام ٢/ ٣١٤، ومعجم المؤلِّفين ٤/ ١١٢.

(٤) في (الأصل): (وَلا تَقْبَلُ الأَذَى) في موضع (وتقيك الأذى).

(٥) في (الأصل): (فذمها) في موضع (فاذممها).

قَالَ: سَرِيعٌ كَسْرُهَا، بَطِيءٌ جَبْرُهَا.

قَالَ: فَصِفْ لِيَ هَذِهِ النَّخْلَةَ.

قَالَ: أَ بِمَدْحٍ أَمْ بِذَمٍّ؟.

قَالَ: بِمَدْحٍ.

قَالَ: حُلْوٌ مُجْتَنَاهَا، بَاسِقٌ مُنْتَهَاهَا، نَاضِرٌ أَعْلاهَا.

قَالَ: فَاذْمُمْهَا[1].

قَالَ: هِيَ صَعْبَةُ المُرْتَقَى، بَعِيدَةُ المجْتَنَى، مَحْفُوفَةٌ بِالأَذَى.

فَقَالَ لَهُ الخَلِيلُ: يَا بُنَيَّ نَحْنُ إِلَى التَّعْلِيمِ مِنْكَ أَحْوَجُ.

نُبُوغُ لَبِيدٍ العَامِرِيِّ

وَمِنْ هَذَا المَنْهَجِ هِجَاءُ لَبِيدٍ البَقْلَةَ الَّتِي اُمْتُحِنَ بِهِجَائِهَا، وَاُخْتُبِرَ بِذَمِّهَا[2]، حِينَ وَفِدَ مَعَ قَوْمِهِ عَلَى النُّعْمَانِ بنِ المُنذِرِ، وَذَلِكَ مَا رَوَاهُ السَّيِّدُ المُرتَضَى فِي (الدُرَر)، أَنَّ عِمَارةً[3] وَأَنَسًا وَقَيْسًا وَالرَّبِيعَ بنَي زِيَادٍ العَبْسِيِّينَ[4]وَفِدُوا عَلَى النُّعْمَانِ بنِ المنْذِرِ، وَوَفِدَ عَلَيْهِ

(١) في (الأصل): (فذمها) في موضع (فاذمها).

(٢) في (الأصل): (امتحن بذمها واختبر) في موضع (اُمْتُحِنَ بِهِجَائِهَا، وَاُخْتُبِرَ بِذَمِّهَا).

(٣) الخبر في خزانة البغداديّ ٩/ ٥٤٩.

(٤) العَبَسيُّونَ: هُم إِخوةٌ وَأَبوهُم زِيَادُ العَبَسيُّ، وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنهُم قَد رَأَسَ فِي الجَاهِلِيَّةِ، وَقَادَ جَيشًا، وَأُمُّهُم فَاطِمةُ بِنتُ الخَرشَبِ الأَنمارِيَّةُ، إِحدَى المُنْجِبَاتِ، وَهِيَ الَّتِي سُئِلَت: أَيُّ بَنيكِ أَفضَلُ؟ فَقَالَت: الرَبيعُ، بَل عِمارَةُ، بَل قَيسٌ، بَل أَنَسٌ، ثُمَّ قَالَت: ثَكِلتُهُم إِن كُنْتُ أَعلَمُ أَيُّهُم أَفضَلُ، هُم كَالحَلَقَةِ المُفرَغَةِ لَا يُدرَى أَينَ طَرفُاهَا، وَسُئِلت عَنهُم أَيضًا، فَقَالَت فِي عِمَارَة: لَا يَنَامُ لَيلَةَ يَخافُ، وَلَا يَشبعُ لَيلَةَ يُضَافُ، وَقَالَت فِي الرَّبيعِ: لَا تُعدُّ مَآثرهُ وَلَا يُخشَى فِي الجَهلِ بَوادِرُه، وَقَالَت فِي أَنسٍ: إِذَا عَزَمَ أَمضَى، وَإِذَا سُئِلَ أَرضَى، وَإِذَا قَدِرَ أَغضَى، وَكَانَ لِكُلٍّ وَاحِدٍ مِنهُم لَقَبٌ، فَكَانَ عِمَارةُ يُقَالُ لَهُ: الوَهَّابُ، وَكَانَ الرَّبيعُ يُقَالُ لَهُ: الكَامِلُ، وَقَيسٌ يُقَالُ لَهُ: الجَوَادُ، وَأَنسٌ يُقَالُ لَهُ:=

(العَامِرِيُّونَ)، بَنُو أُمِّ البَنِينَ[1]، وَعَلَيْهِمْ أَبُو البَرَاءِ عَامِرُ بنُ مَالِكِ ابنِ جَعْفَرِ بنِ كِلَابٍ، وَهُوَ (مُلَاعِبُ الأَسِنَّةِ)، وَكَانَ العَامِرِيُّونَ ثَلاثِينَ رَجُلًا، وَفِيهِمْ لَبِيدُ بنُ رَبِيعَةَ بنِ مَالِكِ ابنِ جَعْفَرِ بنِ كِلَابٍ، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ غُلَامٌ لَهُ ذُؤَابَةٌ، وَكَانَ الرَّبِيعُ بنُ زِيَادٍ العَبْسِيِّ يُنَادِمُ[2] النُّعْمَانَ، [وَيُكْثِرُ عِنْدَهُ]، وَيَتَقَدَّمُ عَلَى مَنْ سِوَاه، وَكَانَ يُدْعَى (الكَامِلُ) لِشَطَاطِهِ[3]، وَبَيَاضِهِ وَكَمَالِهِ، فَضَرَبَ النُّعْمَانُ قُبَّةً عَلَى أَبِي البَرَاءِ، وَأَجْرَى عَلَيْهِ وَعَلَى مَنْ كَانَ مَعَهُ النُّزُلَ، فَكَانُوا يَحْضُرُونَ النُّعْمَانَ لِحَاجَتِهِمْ، فَافْتَخَرُوا يَوْمًا بِحَضْرَتِهِ، فَكَادَ العَبَسِيُّونَ يَغْلِبُونَ العَامِرِيِّينَ، وَكَانَ الرَّبِيعُ إِذَا خَلَا بِالنُّعْمَانِ طَعَنَ فِيهِمْ، وَذَكَرَ مَعَايِبَهُمْ، فَفَعَلَ ذَلِكَ مِرَارًا لِعَدَاوَتِهِ لِبَنِي جَعْفَرٍ؛ لأَنَّهُمْ كَانُوا أَسَرُوهُ، فَصَدَّ النُّعْمَانَ عَنْهُمْ، حَتَّى نَزَعَ القُبَّةَ عَنْ أَبِي البَرَاءِ، وَقَطَعَ النُّزُلَ، فَدَخَلُوا عَلَيْهِ يَوْمًا فَرَأَوا مِنْهُ جَفَاءً، وَقَدْ كَانَ قَبْلَ ذَلِكَ يُكْرِمُهُمْ وَيُقَدِّمُ مَجْلِسَهُمْ، فَخَرَجُوا مِنْ عِنْدِهِ غِضَابًا، وَهَمُّوا بِالإِنْصِرَافِ، وَلَبِيدٌ فِي رِحَالِهِمْ يَحْفَظُ أَمْتِعَتَهُمْ، وَيَعْذُوا بِإِبِلِهِمْ فَيَرْعَاهَا، فَإِذَا أَمْسَى انْصَرَفَ بِهَا، فَأَتَاهُمْ تِلْكَ اللَّيْلَةَ وَهُمْ يَتَذَاكَرُونَ أَمْرَ الرَّبِيعِ، فَقَالَ لَهُمْ:

=أَنسُ الحِفَاظِ، وَكَانَ عِمَارةُ آلَى عَلَى نَفسِهِ أَن لَا يَسمَعَ صَوتَ أَسِيرٍ يُنَادِي فِي اللَّيلِ إِلَّا افْتَكَّهُ. ينظر: أمالي المرتضى ١/ ١٣٤.

(١) أُمُّ البَنِيَن هِي بِنتُ عَمرِو بنِ عَامِرِ بنِ رَبِيعَةَ بنِ صَعصَعَةَ، وَكَانَت تَحتَ مَالِك بنِ جَعفَر بنِ كِلابٍ، وَلَدَت مِنهُ عَامِرَ بنَ مَالِكٍ مُلَاعِبَ الأَسِنَّةِ، وَطُفَيلَ بنَ مَالِكٍ فَارِسَ قَرزَل، وَهوَ أَبو عَامِرِ بنِ الطُّفَيلِ، وَقَرزَلُ فَرسٌ كَانَت لَهُ، وَرَبِيعَةَ بنَ مَالِكٍ أَبَا لَبِيدٍ، وَهوَ رَبِيعُ المُقْتِرِينَ، وَمُعَاوِيَةَ بنَ مَالِكٍ مُعَوِّدَ الحُكَّام، وَإِنَّمَا سُمِّي مُعَوِّدُ الحُكَّام بِقَولِهِ: «أُعَوِّدُ مِثلَهَا الحُكَّامَ بَعدِي...»، وَعُبيدَةَ الوَضَّاحِ، فَهَؤلَاءِ خَمسَةٌ، وَقَالَ لَبِيدٌ أَربَعةٌ؛ لِأَنَّ الشِّعرَ لَم يُمَكِّنهُ مِن ذَلِكَ. أمالي المرتضى ١/ ١٣٧.

(٢) الرَّبِيعُ بنُ زِيَادِ بنِ عَبدِ اللهِ بنِ سُفيَانَ بنِ نَاشِبٍ العَبَسِيِّ: أَحَدُ دُهَاةِ العَربِ وَشُجعَانِهِم وَرُؤَسَائِهِم فِي الجَاهِلِيَّةِ. يُروَى لَه شِعرٌ جَيدٌ. وَكَانَ يُقالُ لَه (الكَامِل)، اتَّصَلَ بِالنُّعمَانِ بنِ المُنذِرِ، وَنَادَمَه مُدَّةً، ثُمَّ أَفسَدَ لَبِيدٌ الشَّاعِرُ مَا بَينَهُمَا، فَارتَحَلَ الرَّبِيعُ وَأَقَامَ فِي دِيَارِ عَبسٍ إِلَى أَن كَانَت حَربُ دَاحِسٍ وَالغَبرَاءِ فَحَضرَهَا. وَأَخبَارُه كَثِيرةٌ، تُوُفِّيَ (نحو ٣٠ق.هـ). له ترجمة في: الإصابة ٢/ ٤٣٠، وشعراء النصرانيَّة ٦/ ٧٨٧، والأعلام: ٣/ ١٤

(٣) الشَّطاط: الطُّولُ وحُسْنُ القَوَامِ. (التاج ١٩/ ٤١٧).

مَا لَكُمْ تَتَنَاجَونَ؟!

فَكَتَمُوهُ، وَقَالُوا لَهُ: إِلَيْكَ عَنَّا.

فَقَالَ لَهُمْ: اخْبِرُونِي فَلَعَلَّ لَكُمْ عِنْدِي فَرَجًا، فَزَجَرُوهُ.

فَقَالَ: وَالله لَا أَحْفَظُ أَمْتِعَتَكُمْ، وَلَا أَسْرَحُ بِإِبِلِكُمْ[1] أَوْ تُخْبِرُونِي، وَكَانَتْ أُمُّ لَبِيد عَبَسِيَّةً فِي حِجْرِ الرَّبِيعِ.

فَقَالُوا لَهُ: خَالُكَ قَدْ غَلَبَنَا عَلَى المَلِكِ، وَصَدَّ عَنَّا وَجْهَهُ.

فَقَالَ: هَلْ تَقْدِرُونَ عَلَى أَنْ تَجْمَعُوا بَيْنِي وَبَيْنَهُ غَدًا حِينَ يَقْعُدُ المَلِكُ؟ فَأَرْجُزُ بِهِ رَجْزًا مُمِضًّا مُؤْلِمًا لَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ النُّعْمَانُ بَعْدَهُ أَبَدًا.

قَالُوا لَهُ: وَهَلْ عِنْدَكَ ذَاكَ؟!

قَالَ: نَعَمْ.

قَالُوا: فَإِنَّا نَبْلُوكَ بِشَتْمِ هَذِهِ البَقْلَةِ، وَقُدَّامَهُمْ بَقْلَةٌ، دَقِيقَةُ القُضْبَانِ، قَلِيلَةُ الوَرَقِ، لَاصِقَةٌ فُرُوعُهَا بِالأَرْضِ، تُدْعَى (التَّرْبَةُ)، فَاقْتَلَعَهَا مِنَ الأَرْضِ، فَأَخَذَهَا بِيَدِهِ وَقَالَ:

هَذِهِ البَقْلَةُ التَّفِلَةُ[2] الرَّذْلَةُ[3]، لَا تُذْكِي نَارًا، وَلَا تَأْهَلُ[4] دَارًا، وَلا تُسِرُّ جَارًا، عُودُهَا ضَئِيلٌ، وَفَرْعُهَا ذَلِيلٌ، وَخَيْرُهَا قَلِيلٌ، بَلَدُهَا شَاسِعٌ، وَنَبْتُهَا خَاشِعٌ، وَآكِلُهَا جَائِعٌ، وَالمُقِيمُ عَلَيْهَا قَانِعٌ، أَقْصَرُ البُقُولِ فَرْعًا، وَأَخْبَثُهَا مَرْعًى، وَأَشَدُّهَا قَلْعًا، فَحَرْبًا لِجَارِهَا وَجَدْعا، أَلْقُوا بِيَ أَخَا عَبْسٍ، أَرْجِعْهُ عَنْكُمْ بِتَعْسٍ وَنَكْسٍ، وَأَتْرُكُهُ مِنْ أَمْرِهِ فِي لَبْسٍ.

فَقَالُوا: نُصْبِحُ وَنَرَى فِيكَ رَأْيَنا.

---

(١) في (الأصل): (في إبلكم).

(٢) التَفِلَةُ: المنتنة. (التاج ٢٨/ ١٣٦).

(٣) الرذلة: الرديئة الخسيسة. (التاج ٢٩/ ٦٦).

(٤) في (الأصل): (توهل).

فَقَالَ لَـهُمْ عَامِرٌ: انْظُرُوا إِلَى غُلامِكُمْ هَذَا، فَإِنْ رَأَيْتُمُوهُ نَائِمًا، فَلَيْسَ أَمْرُهُ بِشَيءٍ، وَإِنَّمَا تَكَلَّمَ بِمَا جَرَى عَلَى لِسَانِهِ، وَإِنْ رَأَيْتُمُوهُ سَاهِرًا فَهُوَ صَاحِبُكُمْ، فَرَمَقُوهُ بِأَبْصَارِهِمْ، فَوَجَدُوهُ قَدْ رَكِبَ رَحْلًا، يَكْدِمُ وَاسِطَتَهُ حَتَّى أَصْبَحَ، فَلَـمَّا أَصْبَحُوا قَالُوا:

وَالله أَنْتَ صَاحِبُنَا، فَحَلَقُوا رَأْسَهُ وَتَرَكُوا لَهُ ذُوآبَتَيْنِ، وَأَلْبَسُوهُ حُلَّةً، وَغَدُوا بِهِ مَعَهُمْ، فَدَخَلُوا عَلَى النُّعْمَانِ، فَوَجَدُوهُ يَتَغَدَّى وَمَعَهُ الرَّبِيعُ، لَيْسَ مَعَهُ غَيْرُه، وَالدَّارُ وَالْمَجْلِسُ مَمْلُوءَةٌ بِالْوَفْدِ.

فَلَـمَّا فَرَغَ مِنَ الغَدَاءِ أَذِنَ لِلجَعْفَرِيِّينَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ، وَالرَّبِيعُ إِلَى جَانِبِهِ، فَذَكَرُوا لِلنُّعْمَانِ حَاجَتِهِمْ، فَاعْتَرَضَ الرَّبِيعُ فِي كَلَامِهِمْ، فَقَامَ لَبِيدٌ وَقَدْ دَهَنْ أَحَدَ شِقَّيْ رَأْسِهِ، وَأَرْخَى إِزَارَهُ، وَانْتَعَلَ نَعْلًا وَاحِدَةً، وَكَذَلِكَ العَرَبُ كَانَتْ تَفْعَلُ شُعَرَاؤُهَا فِي الجَاهِلِيَّةِ، إِذَا أَرَادَتِ الهِجَاءَ، فَمَثَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ، ثُمَّ قَالَ:[1] [من الرجز]

١. يَـا رُبَّ هَيْجَا هِـيَ خَيْرٌ مِـنْ دِعَـهْ
٢. إِذْ لَا تَـــزَالُ هَـامَتِـي مُـقَـزَّعَـهْ[2]
٣. نَـحْـنُ بَني أُمِّ البَـنِـينَ الأَرْبَـعَـهْ[3]
٤. وَنَـحْـنُ خَـيْرُ عَامِرِ بنِ صَعْصَعَهْ[4]
٥. الـمُطْعِمُونَ الـجَفْنَةَ المَدْعَدَعَهْ[5]
٦. وَالضَّارِبُونَ الـهَامَ تَـحْتَ الـخَيْضَعَهْ[6]

(١) ديوان لبيد بن ربيعة ٢٩٢.
(٢) رَجُلٌ مُقَزَّعٌ: رَقِيقُ شَعرِ الرَّأْسِ، مُتَفَرِّقُه. (التاج ٢٢/ ٩).
(٣) نصب بني على الاختصاص، وتقديره: أعني بني أم البنين.
(٤) في الديوان (نحنُ خيارُ عامر بن صعصعة).
(٥) دَعْدَعَ الـجَفْنَةَ: مَلَأَهَا مِن الثرِيد واللَّحْم. (التاج ١١/ ١١٤).
(٦) الخيضعة: قيل هي بيضة الحرب، وقيل هي أصوات الحرب، وقيل هي الحرب نفسها، وربَّما هي الخضعة من السيوف، فزادوا الياء هربًا من الطي. (التاج ٢٠/ ٥١٣).

٧.مَـهْـلًا أَبَـيْـتَ اللَّعْنَ لَا تَـأْكُـلْ مَعَهْ
٨.إِنَّ اسْـتَـهُ مِـنْ بَـرَصٍ مُـلَـمَّـعَـهْ
٩.وَإِنَّـــهُ يَـدْخُـلُ فِـيـهَـا اصْـبَـعَـهْ
١٠.يُدْخِلُهَا حَتَّى يُـوَارِي أَشْجَعَهْ[١]
١١.كَـأَنَّـهُ يَـطْـلُـبُ شَـيْـئًـا ضَـيَّـعَـهُ
١٢وَإِنَّـــهُ يَـدْخُـلُ فِـيـهَـا اصْـبَـعَـهْ

فَلَمَّا فَرَغَ لَبِيدٌ التَفَتَ النُّعْمَانُ، إِلَى الرَّبِيعِ يَرْمُقُهُ شَزْرًا، وَقَالَ: أَكَذَلِكَ أَنْتَ؟!

قَالَ: وَالله كَذِبَ ابْنُ الـحَمْقِ اللَّئِيمُ.

فَقَالَ: أُفٍّ لِـهَذَا الطَّعَامِ لَقَدْ خَبُثَ عَلَى نَفْسِي.

فَقَالَ الرَّبِيعُ: أَبَيْتَ اللَّعْنَ أَمَا إِنِّي فَعَلْتُ بِأُمِّهِ (لَا يُكَنِّي)[٢]، وَكَانَتْ فِي حِجْرِهِ.

فَقَالَ لَبِيدٌ: أَنْتَ لِـهَذَا الكَلامِ أَهْلٌ، أَمَا إِنَّهَا مِنْ نِسْـوَةٍ غَيْرِ فِعْـل، وَأَنْتَ المَرْءُ قَالَ هَذَا فِي بَيْتِمَتِهِ[٣]، أَو قَالَ: مِثْلُكَ فَعَلَ ذَلِكَ بِرَبِيبَةِ بَيْتِهِ، وَالقَرِيبَةِ مِنْ أَهْلِهِ، وَإِنَّ أُمِّي مِنْ نِسَاءٍ لَمْ يَكُنَّ فَوَاعِلَ مَا ذَكَرْتَ[٤].

وَفِي رُوَايَةٍ أُخْرَى: أَمَا إِنَّهَا مِنْ نِسْوَةٍ فِعْلٍ، قَالَ: ذَلِكَ لأَنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمِ الرَّبِيعِ، فَنَسَبَهَا إِلَى القَبِيحِ، وَصَدَّقَهُ عَلَيْهَا، تَـهْـجِينًا لَهُ وَلِقَوْمِهِ.

(١) الأَشاجع: أُصولُ الأصابعِ الَّتِي تتَّصِلُ بعَصَبِ ظاهرِ الكَفِّ (التاج ٢١/ ٢٥٥).
(٢) في شرح المعلَّقات السبع: ١/ ١٥٨ فعلت بأمه (كذا وكذا).
- (لا يُكَنِّي): عِبَارَةٌ وَضَعَهَا الكَاتِبُ بَدَلًا عَنِ الكَلَامِ البَذِيءِ الَّذِي نَطَقَ بِهِ الرَّبِيعُ وَلَمْ يُكَنِّ عَنهُ.
(٣) ينظر: أمالي المرتضى ١/ ١٣٦، وخزانة البغداديّ ٩/ ٥٥١.
(٤) شرح المعلَّقات السبع للزوزنيّ ١/ ١٥٨.

فَأَمَرَ المِلكُ بِهِمْ جَمِيعًا فَأُخْرِجُوا وَأَعَادَ عَلَى أَبِي البَرَاءِ القُبَّةَ، وَانْصَرَفَ الرَّبِيعُ إِلَى مَنْزِلِهِ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ النُّعْمَانُ بِضِعْفِ مَا كَانَ يَحْبُوهُ، وَأَمَرَهُ بِالإِنْصِرَافِ إِلَى أَهْلِهِ.

فَكَتَبَ: إِنِّي تَخَوَّفْتُ أَنْ يَكُونَ قَدْ وَقَعَ فِي صَدْرِكَ مَا قَالَ لَبِيدٌ، وَلَسْتُ بِرَائِمٍ[1] حَتَّى تَبْعَثَ إِلَيَّ مَنْ يُجَرِّدُنِي، لِيَعْلَمَ مَنْ حَضَرَكَ مِنَ النَّاسِ أَنِي لَسْتُ كَمَا قَالَ.

فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ: إِنَّكَ لَسْتَ صَانِعًا بِانْتِفَائِكَ مِمَّا قَالَ لَبِيدُ شَيْئًا، وَلَا قَادِرًا عَلَى رَدِّ مَا زَلَّتْ بِهِ الأَلْسُنُ، فَالحَقْ بِأَهْلِكَ، ثُمَّ كَتَبَ إِلَيْهِ النُّعْمَانُ فِي جُمْلَةِ أَبْيَاتٍ جَوَابًا عَنْ أَبْيَاتٍ كَتَبَهَا إِلَيْهِ الرَّبِيعُ:[2] [من البسيط]

قَدْ قِيلَ ذَلِكَ إِنْ حَقًّا وَإِنْ كَذِبًا فَمَا اعْتِذَارُكَ مِنْ قَوْلٍ إِذَا قِيلا؟![3]

أَقُولُ: مَا لِلرَّبِيعِ غَفَلَ عَن هَذَا الرَّأيِ السَّدِيدِ؟ حِينَ هَجَاهُ لَبيد، وَذَلِكَ لَو أَنَّهُ قَامَ سَاعَةَ أَنشَدَ الأَبيَات بِحَضْرَتِهِ، كَاشِفًا عَنْ سَوْءَتِه، لَكَذَّبَ لَبيدًا فِي ذَلِكَ المَحْضَر، وَلَكِنَّ ذَلِكَ عَلَى بَالِهِ مَا خَطَر، وَلَكَانَ شَهَادَةُ مَن جَلَسَ فِي ذَلِكَ النَّادِي مِن الأَمَاجِدِ؛ خَيرًا لَهُ مِنْ شَهَادَةِ رَجُلٍ وَاحِد، لَكِنَّ مَا تَأَتَّى هَذَا الرَّأيُ لَهُ حِينَ الصَّدْمَةِ، إِذْ غَشِيَتْ ظَلْمَةُ الفَشَلِ فَهْمَهْ.

---

(١) لست برائم: يقال أَرأَم الجُرحَ: دَاوَاه. (التاج ٣٢/ ٢١١).

(٢) البيت للنعمان، أو أنشده النعمان في: أمالي المرتضى ١/ ١٣٧، والعمدة ١/ ٥٢، وشرح المعلَّقات للزوزنيّ ١٥٩، وفصل المقال ٩٢، ومحاضرات الأدباء ٢/ ٣١٨ برواية (قد قيل ما قيل إن حقًّا)، ومصادر الشعر الجاهليّ ١٢٩، وذُكر البيت بلا عزو في: العقد الفريد ٢/ ٢٨٠، وبرواية (قد قيل ماقيل إن صدقًا) في: الذخيرة ٥/ ٢٣٥، وزهر الأكم ١/ ١٤٦، ٢/ ١٢٢، والبلاغة العربيَّة ١/ ٣٠٣ وأبيات مختارة ٦٠.

(٣) في (الأصل): (شيءٍ) بدلًا من (قَوْلٍ).

ينظر: البصائر والذخائر ٦/ ٢٣٧-٢٣٩، وأمالي المرتضى ١/ ١٣٤-١٣٧، وشرح المعلَّقات للزوزنيّ ١٥٧-١٥٨، وفصل المقال ٩٠-٩١، وخزانة البغداديّ ٩/ ٥٤٩-٥٥٢، وشعراء النصرانيَّة ٦/ ٧٨٩-٧٩٠.

الصَّبِيُّ المَوهُوبُ وَالحَجَّاجُ الثَّقَفِيُّ

وَأَعْجَبُ مِنْ قَولِ لَبِيدٍ، وَأَغْرَبُ، وَأَبْدَعُ فِي سُرْعَةِ الجَوَابِ، وَأَعْذَبُ، مُخَاطَبَةُ هَذَا الصَّبِيِّ مَعَ الحَجَّاجِ بنِ يُوسُفَ الثَّقَفِيِّ[1]، فَإِنَّهُ قَدِمَ إِلَيهِ وَعُمْرُهُ عَشرةُ سِنِينَ إِقدَامَ الأَسَدِ، وَجَرَّدَ مِنْ لِسَانِهِ مُهَنَّدًا، وَدَخَلَ عَلَيهِ وَهوَ فِي القُبَّةِ الخَضْرَاء، وَعِنْدَهُ وُجُوهُ أَهْلِ العِرَاقِ، وَقَدْ حَفَّتْ بِهِ الوُزَرَاء، إِذْ دَخَلَ عَلَيهِ غُلَامٌ لَهُ مِنَ العُمْرِ عَشْرُ سَنِينَ، فَقَالَ بَعْدَ أَنْ نَظَرَ فِي القُبَّةِ يَمِينًا وَشِمَالًا: ﴿**أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ * وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ * وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ**﴾[2]، وَكَانَ الحَجَّاجُ مُتَّكِئًا فَاسْتَوَى جَالِسًا، وَقَالَ:

يَا غُلَامُ إِنِّي لَأَرَى لَكَ عَقْلًا وَذِهْنًا، أَفَحَفِظْتَ القُرْآنَ؟!

قَالَ: أَوَ خِفْتَ عَلَى القُرْآنِ الضَّيَاعَ حَتَّى أَحْفَظَهُ؟!

قَالَ: أَفَجَمَعْتَ القُرآنَ؟

قَالَ: أَوَ كَانَ مُتَفَرِّقًا حَتَّى أَجْمَعَهُ؟!

قَالَ: أَفَأَحْكَمْتَ القُرْآنَ؟!

قَالَ: أَوَ لَيْسَ اللهُ أَنْزَلَهُ مُحْكَمًا؟!

قَالَ الحَجَّاجُ: أَوَاسْتَظْهَرْتَ القُرْآنَ؟!

قَالَ: مَعَاذَ اللهِ أَنْ أَجْعَلَ القُرْآنَ وَرَاءَ ظَهْرِي.

قَالَ: وَيْلَكَ مَاذَا أَقُولُ لَكَ؟!

قَالَ: بَلْ لَكَ الوَيْلُ، قُلْ: أَوَعَيْتَ القُرآنَ فِي صَدْرِكَ؟!

قَالَ الحَجَّاجُ: فَاقْرأ لِي شَيْئًا مِنَ القُرْآنِ.

فَاسْتَفْتَحَ الغُلَامُ بقَوْلِ: أَعُوذُ باللهِ مِنْكَ وَمِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ

(١) ينظر: العقد المفصَّل ١/ ١٨٥-١٨٧.

(٢) الشعراء/ ١٢٨-١٣٠.

وَالفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَخْرُجُونَ مِنْ دِينِ اللهِ أَفْوَاجًا).

فَقَالَ الحَجَّاجُ: وَيْلَكَ، إِنَّهُ (يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ).

فَقَالَ الغُلامُ: نَعَمْ كَانُوا يَدْخُلُونَ، وَأَمَّا اليَوْمَ فَيَخْرُجُونَ.

قَالَ: وَلِمَ ذَلِكَ؟!

قَالَ: لِسُوءِ رَأْيِكَ فِيهِمْ.

قَالَ: يَا وَيْلَكَ، هَلْ عَرِفْتَ المُخَاطِبَ لَكَ؟.

قَالَ: نَعَمْ شَيْطَانُ ثَقِيفٍ، الحَجَّاجُ.

قَالَ لَهُ: وَيْلَكَ، مَنْ أَبُوكَ؟!

قَالَ: الَّذِي زَرَعَنِي.

قَالَ: فَمَنْ أُمُّكَ؟!

قَالَ: الَّتِي وَلَدَتْنِي.

قَالَ: وَأَيْنَ وُلِدْتَ؟!

قَالَ: فِي بَعْضِ الفَلَوَاتِ.

قَالَ: فَأَيْنَ نَشَأْتَ؟!

قَالَ: فِي بَعْضِ البَرَارِي.

قَالَ: وَيْلَكَ أَ مَجْنُونٌ أَنْتَ فَأُعَالِجُكَ؟!

قَالَ: لَوْ كُنْتُ مَجْنُونًا مَا وَصَلْتُ إِلَيْكَ، وَوَقَفْتُ بَيْنَ يَدَيْكَ، كَأَنِّي فِيمَنْ يَرْجُو فَضْلَكَ، وَيَخَافُ عِقَابَكَ.

قَالَ الحَجَّاجُ: فَمَا تَقُولُ فِي أَمِيرِ المؤْمِنِينَ؟!

قَالَ: رَحِمَ اللهُ (أَبَا الحَسَنِ).

قَالَ: إِنَّمَا أَعْنِي عَبْدَ المَلِكِ بنَ مَرْوَانَ.

قَالَ: عَلَى الفَاسِقِ الفَاجِرِ لَعْنَة الله.

قَالَ: وَيْلَكَ، بِمَ اسْتَحَقَّ اللَّعْنَةَ؟.

قَالَ: والله مَا أَنْكُرُ حَقَّهُ غَيْرَ أَنَّهُ أَخْطأَ خَطِيئَةً مَلأَتِ السَّمَاءَ وَالأَرْضَ.

قَالَ: وَمَا هِيَ؟!

قَالَ: اسْتِعْمَالُكَ عَلَى رَعِيَّتِهِ، تَسْتَبِيحُ أَمَوالَهُمْ، وَتَسْتَحِلُّ دِمَاءَهُمْ.

فَالْتَفَتَ الحَجَّاجُ إِلَى أَصْحَابِهِ وَقَالَ: مَا تُشِيرُونَ عَلَيَّ فِي أَمْرِ هَذَا الغُلَامِ؟.

قَالُوا: اسْفِكْ دَمَهُ، فَإِنَّهُ خَلَعَ الطَّاعَةَ، وَفَارَقَ الجَمَاعَةَ.

فَقَالَ الغُلامُ: يَا حَجَّاجُ، جُلَسَاءُ أَخِيكَ خَيْرٌ مِنْ جُلَسَائِكَ.

قَالَ: أَخِي مُحَمَّدَ بنَ يُوسُفَ[1]؟!

قَالَ: عَلَى الفَاسِقِ الفَاجِرِ لَعْنَةُ الله، إِنَّمَا أَعْنِي أَخَاك فِرْعَوْنَ، حِيْنَ قَالَ لِجُلَسَائِهِ: مَاذَا تَأْمُرُونَ فِي مُوسَى؟ ﴿**قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ**﴾[2].

وَهَؤُلاءِ أَمَرُوكَ بِقَتْلِي، إِذًا تَقُومُ لله عَلَيْكَ الحُجَّةُ غَدًا بَيْنَ يَدَي اللهِ مَلِكِ الجَبَّارِينَ، وَمُذِلِّ المتكَبِّرِينَ.

(١) مُحمَّدُ بنُ يُوسفَ الثَّقَفِيُّ: أَخو الحَجَّاجِ، أَميرٌ، استَعمَلَه الحَجَّاجُ عَلَى صَنعَاءَ، ثُمَّ ضَمَّ إِلَيهِ الجُندَ فَلَم يَزَل وَاليًا عَلَيهِمَا إِلَى أَن تُوفِّيَ. قَالَ الخَزرجِيُّ: جَمعَ المَجذُومِينَ بِصَنعَاءَ وَجَمعَ لَهم الحَطَبَ؛ لِيُحرِقَهُم، فَماتَ قَبلَ ذَلكَ، وَمِن كَلَامِ عُمرَ بنِ عَبدِ العَزِيزِ، فِي خِلَافَةِ الوَلِيدِ: الوَلِيدُ بِالشَّامِ، وَالحَجَّاجُ بِالعِرَاقِ، وَأَخوهُ مُحَمَّد بنُ يُوسفَ بِاليَمنِ، وَعُثمانُ بنُ حيَّان بِالحِجَازِ، وَقُرَّةُ ابنُ شَرِيكٍ بِمِصرَ، امتَلأَت الأَرضُ وَاللهِ جَورًا!! توفِّيَ سَنةَ (٩١هـ). الوافي بالوفيات ٥/ ١٥٨، والأعلام ٧/ ١٤٧.

(٢) سورة الأعراف/ ١١١.

قَالَ الحَجَّاجُ: يَا غُلَامُ قَيِّدْ أَلْفَاظَكَ، وَقَصِّرْ لِسَانَكَ، فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكَ بَادِرَةَ الأُمَرَاءِ، وَقَدْ أَمَرْتُ لَكَ بِأَرْبَعَةِ آلافِ دِرْهَمٍ تَسْتَعِيْنُ بِهَا.

فَقَالَ الغُلامُ: لَا حَاجَةَ لِي فِيهَا، بَيَّضَ اللهُ وَجْهَكَ، وَأَعَلَا كَعْبَكَ.

فَالْتَفَتَ الحَجَّاجُ إِلَى أَصْحَابِهِ وَقَالَ: هَلْ عَلِمْتُمْ مَا أَرَادَ بِقَوْلِهِ بَيَّضَ اللهُ وَجْهَكَ وَأَعْلى كَعْبَكَ؟

قَالُوا: لَا.

قَالَ: أَمَّا قَوْلُهُ (بَيَّضَ اللهُ وَجْهَكَ) فَأَرَادَ بِهَا البَرَصَ، وَالعَمَى.

وَأَمَّا قَوْلُهُ (وَأَعْلى كَعْبَكَ)، فَأَرَادَ بِهَا الصَّلْبَ وَالتَّعْلِيقَ، ثُمَّ التَفَتَ إِلَى الغُلَامِ وَقَالَ:

مَا تَقُولُ فِيمَا قُلْتُهُ؟!

قَالَ: قَاتَلَكَ اللهُ مِنْ مُنَافِقٍ مَا أَفْهَمَكَ!.

فَقَالَ لِلْحَرَسِيِّ: اضْرِبْ عُنُقَهُ.

فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ يُقَالُ لَهُ الرَّقَاشِيُّ: هِبْهُ لِيَ أَصْلَحَ اللهُ الأَمِيْرَ.

قَالَ: هُوَ لَكَ لَا بَارَكَ اللهُ لَكَ فِيهِ.

فَقَالَ الغُلامُ: لا أَدْرِي أَيُّكُمَا أَحْمَقُ! الوَاهِبُ أَجَلًا قَدْ حَضَرَ، أَمِ الْمُسْتَوْهِبُ أَجَلًا لَمْ يَحْضُرْ؟

قَالَ: الرَّقَاشِيُّ اسْتَنْقَذْتُكَ مِنَ القَتْلِ وَتُكَافِئُنِي بِهَذَا الكَلامِ؟.

فَقَالَ الغُلامُ: هَنِيئًا لِيَ بِالشَّهَادَةِ إِنْ أَدْرَكَتْنِي السَّعَادَةُ، يَا عَجَبَاهُ! جِئْتُ مِنْ بِلادِ الضَّنَكِ وَالضِّيقِ، وَأَرْجِعُ إِلَى أَهْلِي صِفْرًا! يَا لَيْتَنِي أُقْتَلُ، أَحَبُّ إِلَيَّ.

قَالَ الحَجَّاجُ: قَدْ أَمَرْنَا لَكَ بِمِئَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ، وَعَفَوْنَا عَنْكَ لِحَدَاثَةِ سِنِّكَ، وَصَفَاءِ

ذِهْنِكَ، وَإِيَّاكَ وَالجُرْأَةَ عَلَى أَرْبَابِ المُلْكِ، فَتَقَعُ مَعَ مَنْ لَا يَعْفُو عَنْكَ، وَلَئِنْ رَأَيْتُكَ فِي شَيءٍ مِنْ عَمَلِي لأَضْرِبَنَّ عُنُقَكَ.

فَقَالَ الغُلامُ: العَفْوُ بِيَدِ الله لَا بِيَدِكَ، والشَّكْوَى إِلَيْهِ لَا إِلَيْكَ، لَا جَمَعَ اللهُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَو يَلْتَقِي السَّامِرِيُّ وَمُوسَى.

ثُمَّ خَرَجَ، فَابْتَدَرَ الخَادِمُ عَلَى أَثَرِهِ، فَقَالَ لَهُمْ: دَعُوهُ، فَمَا رَأَيْتُ أَشْجَعَ مِنْهُ قَلْبًا، وَلا أَفْصَحَ مِنْهُ لِسَانًا، وَلَا وَاللهِ مَا وَجَدْتُ مِثْلَهُ، وَعَسَى أَنْ لا يَجِدَ مِثْلِي قَطُّ.

أَقُولُ: إِذَا كَانَتْ هَذِهِ أَلْسِنَةُ صِغَارِهِم، فَكَيفَ تكونُ أَلْسِنَةُ كِبَارِهِم؟! وَهُم الَّذِينَ أَخَذَ بِطَرَفَيْ البَلَاغَةِ وَالفَصَاحَةِ كَلَامُهُم، وَحَيَّرَ عُقُولَ البُلَغَاءِ وَالفُصَحَاءِ نِظَامُهُم، وَمِن عَجَائِبِهِم الَّتِي تُنْسِي بِذِكرِهَا كُلَّ عَجِيبَةٍ، وَغَرائِبِهِم الَّتِي تَنْطَوي بِنَشرِهَا كُلُّ غَرِيبَةٍ، إِنْشَاءَاتُهُم القَصَائِدَ البَاهِرَاتِ، وَهُم يُعَالِجونَ سَكَرَاتِ المَمَاتِ، وَفِي الحَقِّ كَادَت أَنْ تَكونَ مِنَ المُعجِزَاتِ، لَدَى أَربَابِ الكَمَالَاتِ؛ لِأَنَّ المَوتَ إِذَا نَزَلَ بِالأُسُودِ الضَّارِيَةِ لَا تَسْتَطِيعُ أَن تُهَمْهِم، فَيَا عَجَبَاهُ كَيفَ اسْتَطَاعَت هِيَ لِرَائِقِ الشِّعرِ أَنْ تَنظِم، وَلِلُؤْلُؤِ الكَلَامِ أَنْ تَنْثُر، فِي أَلفَاظٍ مِنْ رِقَّتِهَا هِيَ كَالمُدَامَةِ تُسْكِر.

الحَارِثُ بنُ كَعْبٍ[1] وَفَصَاحَتُهُ وَبَرَاعَتُهُ سَاعَةَ احْتِضَارِهِ

فَمِن مَشَاهِيرِ العَرَبِ -الَّذينَ قَد نَزَلَ بِهِم الحِمَامُ، وَقَامُوا فِي تِلكَ الشِّدَّةِ العَظِيمَةِ يَنثُرونَ لُؤْلُؤَ الأَلفَاظِ، وَيَنْظِمونَ أَبْدَعَ النِّظَامِ- الحَارِثُ بنُ كَعْبٍ أَحَدُ المُعَمِّرينَ فِي العَرَبِ، وَأَبرَعُ المُتَكَلِّمِينَ فِي النِّظَامِ وَالخُطَب، فَإِنَّهُ لَـمَّا حَضَرَتهُ الوَفَاةُ جَمعَ بَنيهِ وَوَعَظَهُم

(١) الحَارثُ بنُ كَعبِ بنِ عَمرِو بنِ عُلَّة، مِن مُذحج، مِن كَهلَانَ: جَدٌّ جَاهِلِيٌّ، مِن نَسلِهِ بَنو الدَّيَّانَ (رُؤسَاءُ نَجرَان)، وَشُرَيحُ بنُ هَانِئ -مِن أَصحَابِ عَلِيٍّ عليه السلام- وَمِطرفُ بنُ طَرِيفٍ، وَآخَرونَ، كُلُّهُم حَارِثيونَ كَهلَانِيُّونَ، مِن قَحطَانَ.
ينظر: التأريخ الكبير- خيثمة ١/ ٩١، والمؤتلف والمختلف ١٦٧، وتأريخ دمشق ٧٣/ ١٥٧، والأعلام ٢/ ١٥٧.

بِهذِهِ الكَلِماتِ؛ فَقَالَ:

يَا بُنَي إِنَّهُ قَد أَتَتْ عَلَيَّ سُتُّونَ وَمِئَةُ سَنَةٍ، مَا صَافَحَتْ يَمِينِي يَمِينَ غَادِرٍ، وَلَا قَنَّعتُ نَفْسِي بِخَلَّةِ فَاجِرٍ، وَلَا صَبَوتُ بِابْنَةِ عَمٍّ، وَلَا كَنَّةٍ، وَلَا طَرَحَتْ عِنْدِي مُومَسَةٌ قَنَاعَهَا، وَلَا بُحْتُ لِصَدِيقٍ بِسِرٍّ، وَإِنِّي لَعَلَى دِينِ شُعَيبِ النَّبِيِّ عليه السلام، وَمَا عَلَيهِ أَحَدٌ مِنَ العَرَبِ غَيْرِي وَغَيْرِ أَسَدِ بنِ خُزَيمَةَ، وَتَمِيمِ بنِ مُرَّةَ، فَاحْفَظُوا وَصَيَّتِي وَمُوتُوا عَلَى شَرِيعَةِ إِلَـهِكُم فَاتَّقُوهُ، يَكفِكُم المُهِمَّ مِنْ أُمُورِكِم، وَيُصْلِحُ لَكُم أَعْمَالَكُم، وَإِيَّاكُم وَمَعْصَيَةَ الله، لَا يَحِلُّ بِكُمْ الدَّمَارُ، وَيُوحِشُ مِنْكُمْ الدِّيَار.

يَا بَنِيَّ كُونُوا جَمِيعًا وَلَا تَتَفَرَّقُوا فتكونُوا شِيَعًا، وَإِنَّ مَوْتًا فِي عِزٍّ خَيْرٌ مِنْ حَيَاةٍ فِي ذُلٍّ وَعَجْزٍ، وَكُلُّ مَا هُوَ كَائِنٌ كَائِنٌ، وَكُلُّ جَمعٍ إِلَى تَبَايُن، الدَّهْرُ ضَرْبَانِ فَضَربٌ رَخَاءٌ، وَضَربٌ بَلَاءٌ، وَاليَومُ يَومَانِ، فَيَومٌ حَبْرَة، وَيَومٌ عِبْرَة[1]، وَالنَّاسُ رَجُلَانِ، فَرَجُلٌ لَكَ، وَرَجُلٌ عَلَيكَ، تَزَوَّجُوا الأَكفَاءَ وَلْيَستَعمِلَنَّ فِي طِيبِهِنَّ المَاءَ، وَتَجَنَّبوا الحَمْقَاءَ، فَإِنَّ وَلَدَهَا إِلَى أَفَنٍ مَا يَكونُ[2]، أَلَا وَأَنَّهُ لَا رَاحَةَ لِقَاطِعِ القَرَابَةِ، وَإِذَا اخْتَلَفَ القَومُ أَمْكَنوا عَدُوَّهُم، وَآفَةُ العَدَدِ اخْتِلَافُ الكَلِمَةِ، وَالتَّفَضُّلِ بِالحَسَنَةِ تَقِي السَّيِّئَةَ، وَالمُكَافَآتُ بِالسَّيئَةِ الدُّخُولُ فِيهَا، وَالعَمَلُ بِالسُّوءِ يُزِيلُ النَّعمَاءَ، وَقَطِيعَةُ الرَّحِمِ تُورِثُ الهَمَّ، وَعُقُوقُ الوَالِدَينِ يُعْقِبُ النَّكَدَ وَيَمْحَقُ العَدَدَ وَيُخْرِبُ البَلَدَ، والإِسرَافُ فِي النَّصِيحَةِ هُوَ الفَضِيحَةُ[3]، وَالحِقْدُ يَمْنَعُ الرِّفْدَ، وَلُزُومُ الخَطِيئَةِ يُعقبُ البَلِيَّةَ، وَسُوءُ الرِّعَةِ يَقْطَعُ أَسبَابَ المَنْفَعَةِ، وَالضَّغَائِنُ تَدعُو إِلَى التَّبَايُن.

---

(١) الحَبْرَةِ: النَّعْمَةُ وسَعَةُ العَيشِ، وَمن سَجَعات الأَساسِ: وكلُّ حَبْرَة بعدهَا عَبْرَة. (التاج ١٠/ ٥٠٦).

(٢) أُفِنَ الرَّجُلُ: ضَعُفَ رأْيه، وأَفَنَهُ اللهُ، المأْفون، وَهُوَ الضَّعِيفُ الْعَقْلِ والرأْي. (اللسان ١٠/ ٣٩١).

(٣) في (الأصل): (والنصيحةُ تجرُّ الفضيحةَ) في موضع (والإسراف في النصيحة هو الفضيحة).

وَأَنشَأَ يَقولُ:[1] [من المتقارب]

١. أَكَلْتُ شَبَابِي فَأَفْنَيْتُهُ ... وَقَضَّيْتُ بَعْدَ دُهُورٍ دُهُورَا
٢. ثَلَاثَةُ أَهْلِينَ صَاحَبْتُهُمْ ... فَبَانُوا وَأَصْبَحْتُ شَيْخًا كَبِيرَا
٣. قَلِيلَ الطَّعَامِ، عَسِيرَ القِيَا ... مِ، قَدْ تَرَكَ القَيْدُ خَطْوِي قَصِيرَا
٤. أَبِيتُ أُرَاعِي نُجُومَ السَّمَاءِ ... أُقَلِّبُ أَمْرِي بُطُونًا ظُهُورَا

دوَيدُ بنُ زَيدٍ وَفَرَائِدُ كَلَامِهِ عِندَ احْتِضَارِهِ[2]

وَقَدْ شَابَهَ الحَارِثَ فِي بَدِيعِ الكَلَامِ دُوَيدُ بنُ زَيدٍ، حِينَ نَزَلَ بِهِ الحِمَامُ، وَكَانَ أَيضًا مِنَ المُعَمَّرِينَ، وَمِنَ الشُّعَرَاءِ المُفْلَقِينَ، وَقَد عَاشَ أَرْبَعَمِئَةٍ وَسِتًّا وَخَمسِينَ سَنةً، وَمَعَ هَذَا فَرَائِدُ كَلَامِهِ تَفوقُ الفَرَائِدَ، وَكَانَت العَربُ لَا تَعُدُّ مُعَمَّرًا إِلَّا مَنْ عَاشَ مِئَةً وَعِشْرِينَ سَنةً فَصَاعِدَ، وَأَنَّه لَمَّا حَضَرَتهُ الوَفَاةُ جَمَعَ بَنِيهِ وَهوَ يُكَابِدُ أَعظمَ الكُربَاتِ، فَقَال لَهُم[3]:

أُوصِيكُم بِالنَّاسِ شَرًّا، لَا تَرْحَموا لَهم عَبرةً، وَلَا تَقِيلُوا لَهُم عَثرةً، قَصِّروا

(١) الشعر والشعراء ١/ ١٠٦، والتذكرة الحمدونيَّة ٣/ ٣٤٢، وجمهرة خطب العرب ١/ ١٢٣.

(٢) دُوَيد بنُ زَيدِ بنِ نَهدِ بنِ لَيثِ بنِ أَسودَ بنِ أَسلَمَ بنِ الخَفَّافِ بنِ قُضَاعَةَ بنِ مَالِكِ بنِ مُرَّةَ بنِ مَالِكِ بنِ حِميَرٍ، أَحَدُ المُعَمَّرِينَ، قِيلَ عَاشَ أَربَعَمِئةٍ وَستةً وَخَمسِينَ سَنةٍ، قِيلَ لَا يَعُدُّ العَرَبُ مُعَمَّرًا إِلَّا مَنْ عَاشَ مِئةً وَعِشرِينَ سَنةً فَصَاعِدًا، وَلَمَّا حَضَرت دُوِيدَ بنَ زَيدٍ الوَفَاةُ، قَالَ لِبَنِيهِ: أُوصِيكُم بِالنَّاسِ شَرًّا... إلخ. الاشتقاق ٥٤٨، وأمالي الشريف المرتضى ١/ ١٧١، والتذكرة الحمدونيَّة ٦/ ٣٣.

– الخبر والشعر في: التعازي ٢٥٩، وجمهرة الأمثال ١/ ٨٣، والتذكرة الحمدونيَّة ٦/ ٣٣، وذكر الخبر والشعر باسم سعد بن زيد في: عيون الأخبار ٢/ ٧٢، ونثر الدرِّ في المحاضرات ٦/ ٢٥١، ومحاضرات الأدباء ٣/ ٥١٥.

(٣) الخبر في: التعازي والمراثي ٢٥٩، ونثر الدرِّ ٦/ ٢٥١، ومحاضرات الأدباء ٢/ ٥١٥، والتذكرة الحمدونيَّة ٦/ ٣٣.

الأَعِنَّةَ وَطَوِّلُوا الأَسِنَّةَ، وَاطْعَنُوا شَزْرًا، وَاضْرِبُوا هَبْرًا، وَإِذَا أَرَدتُم المُحَاجَزَةَ فَقَبلَ المُنَاجَزَةِ، وَالمَرءُ يَعْجَزُ لَا مَحَالَةَ، بِالجِدِّ لَا بِالكَدِّ، التَّجَلُّدُ وَلَا التَّبَلُّدُ، وَالمَنِيَّةُ وَلَا الدَّنِيَّةُ، وَلَا تَأسَوا عَلَى فَائِتٍ وَإِنْ عَزَّ فَقْدُهُ، وَلَا تَحِنُّوا إِلَى ظَاعِنٍ وَإِنْ أَلَفَ قُربُهُ، وَلَا تَطمَعُوا فَتُطِيعوا وَلَا تَهِنُوا فَتَجْزَعُوا، وَلَا يَكونُ لَكُمُ المَثَلُ السُّوء، إِذَا أَنَا مُتُّ فَارحَبُوا خَطَّ مَضْجَعِي، وَلَا تَضُنُّوا عَلَيَّ بِرَحْبِ الأَرْضِ، وَمَا ذَلِكَ بِمُؤَدٍّ إِلَيَّ رُوحًا، وَلَكنْ حَاجَةُ نَفْسٍ خَامَرَهَا الإِشْفَاقُ، ثُمَّ مَاتَ، وَفِي حَدِيثٍ أَنَّهُ قَالَ:(١) [من الرجز]

١. الْيَوْمُ يُبْنَى لِدِوَيْدٍ بَيْتُهُ
٢. يَارَبِّ نَهْبَ صَالِحٍ حَوَيْتُهُ
٣. وَرُبَّ قَرْنٍ بَطَلٍ أَرْدَيْتُهُ
٤. وَرُبَّ غِيلٍ حَسَنٍ لَوَيْتُهُ
٥. وَمِعْصَمٍ مُخَضَّبٍ ثَنَيْتُهُ
٦. لَوْ كَانَ لِلدَّهْرِ بِلَى أَبْلَيْتُهُ
٧. أَوْ كَانَ قَرْنِي وَاحِدًا كَفَيْتُهُ

ومَالِكُ بنُ الرَّيبِ(٢) لَمَّا نَزَلَ بِهِ المَوتُ أَنْشَأَ قَصِيدةً بَدِيعةً رَثَى بِهَا نَفْسَهُ

وَقَد حَاكَى دوَيدَ بنَ زَيدٍ مَالِكُ بنُ الرَّيبِ، فَإِنَّهُ لَمَّا نَزَلَ بِهِ المَوتُ أَنْشَأَ قَصِيدةً بَدِيعةً

(١) جمهرة الأمثال ١/ ٨٤، والتذكرة الحمدونيَّة ٦/ ٣٤، وجمهرة خطب العرب ١/ ١٢٥.

(٢) في (الأصل): (الريث) في موضع (الريب).

- مالِك بن الرَّيْب بنِ حَوطِ بنِ قُرطِ المَازِنِيُّ التَّمِيميُّ: شَاعِرٌ، مِنَ الظُّرفَاءِ الأُدبَاءِ الفُتَّاكِ. اشْتَهَرَ فِي أَوائِلِ العَصرِ الأَمَوِيِّ، وَرُوِيَت عَنهُ أَخبَارٌ فِي أَنَّهُ قَطَعَ الطَّرِيقَ مُدَّةً، وَرَآه سَعيدُ بنُ عُثمانَ بنِ عَفَّانَ بِالبَادِيةِ فِي طَرِيقِهِ بَينَ المَدينةِ وَالبَصرةِ، وَهوَ ذَاهِبٌ إِلَى خُرَاسَانَ، وَقَد وَلَّاهُ عَلَيهَا مُعَاوِيةُ (سَنةَ ٥٦)، فَأَنَّبهُ سَعيدٌ عَلَى مَا يُقالُ عَنهُ مِنَ العَبَثِ وَقطعِ الطَّرِيقِ، وَاسْتَصلَحَهُ وَاصْطَحَبهُ مَعهُ إِلَى خُرَاسَانَ، فَشَهِدَ فَتحَ سَمرقَندَ، وَتَنَسَّكَ، وَأَقَامَ بَعدَ عَزلِ سَعيدٍ، فَمَرِضَ فِي (مرو) وَأَحَسَّ بِالمَوتِ، فَقَالَ قَصيدَتَهُ المَشهورةِ، وهو على فراش الموت، وذلك (نحو ٦٠هـ/ نحو ٦٨٠م)،=

وَرَثَى بِهَا نَفْسَهُ وَوَصَفَ بِهَا رَمْسَهُ، وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّهُ خَرَجَ مَعَ سَعِيدِ بنِ عَفَّانَ أَخِي عُثْمَانَ بنَ عَفَّانَ لَمَّا وَلِيَ خُرَاسَانَ، فَلَمَّا جَلَسَ بِبَعْضِ الطَّرِيقِ وَقَامَ فَلَبِسَ خُفَّهُ؛ لِمُقْتَصٍّ عَرَضَ لَهُ، وَإِذَا بِأَفْعَى فِي دَاخِلِهِ، فَلَسَعَت رِجْلَهُ، فَلَمَّا أَحَسَّ بِالمَوتِ استَلْقَى عَلَى قَفَاهُ، وَجَعَلَ يَذْكُرُ تَوَجُّعَ أَهلِهِ عَلَيهِ وَأَقرِبَاهُ بِنَظْمٍ بَدِيعٍ يُبْهِرُ السَّامِعِينَ كَلَامُهُ، وَيَروقُ النَّاظِرِينَ نِظَامُهُ، وَذَلِكَ حَيثُ أَنْشَأَ:(١) [من الطويل]

١. أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبِيتَنَّ لَيْلَةً ... بِجَنْبِ الغَضَى أُزْجِي القِلَاصَ النَّوَاجِيَا(٢)

٢. فَلَيْتَ الغَضَى لَمْ يَقْطَعِ الرَّكبُ عَرْضَهُ ... وَلَيْتَ الغَضَى مَاشَى الرِّكَابَ لَيَالِيَا(٣)

٣. لَقَدْ كَانَ فِي أَهْلِ الغَضَى -لَو دَنَا الغَضَى- ... مَزَارٌ، وَلَكِنَّ الغَضَى لَيْسَ دَانِيَا

٤. أَلَمْ تَرَنِي بِعْتُ الضَّلَالَةَ بِالهُدَى ... وَأَصْبَحْتُ فِي جَيشِ ابنِ عَفَّانَ غَازِيَا(٤)

٥. لَعَمْرِي لَقَدْ غَالَتْ خُرَاسَانُ هَامَتِي ... وَقَدْ كُنْتُ عَنْ بَابَيْ خُرَاسَانِ نَائِيَا

٦. فَلِلَّهِ دَرِّي يَومَ أَتْرُكُ طَائِعًا ... بَنِيَّ بِأَعلَى الرَّقْمَتَينِ وَمَالِيَا(٥)

٧. وَدَرُّ الظِّبَاءِ السَّانِحَاتِ عَشِيَّةً ... يُخَبِّرنَ أَنِّي هَالِكٌ مِن وَرَائِيَا

=وَهِيَ مِن غُرَرِ الشِّعرِ، وَعُدَّتُهَا (٥٨) بَيتًا، مَطلَعُهَا:

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبِيتَنَّ لَيْلَةً ... بِجَنْبِ الغَضَى أُزْجِي القِلَاصَ النَّوَاجِيَا

ينظر: الشعر والشعراء ١/ ٣٤١، والاختيارين ٦٢٠، والأعلام ٥/ ٢٦١.

(١) جمهرة أشعار العرب ١/ ٦٠٧، والشعر والشعراء ١/ ٣٤٢، وأمالي اليزيديّ ٣٩، والأختيارين ٦٢٠، والحماسة البصريَّة ١/ ٢٧٨، وخزانة البغداديّ ٢/ ٢٠٣.

(٢) الغَضَى: مَوضعٌ يَكثُرُ فِيهِ شَجَرُ الغَضَى. والقِلاصُ جمعُ القَلوصِ، النَّاقَة الطَّويلَة القَوائم. (التاج ١٨/ ١٢٠)، والنواجي: جمع الناجية، وَنَاقَةٌ نَاجِيةٌ: سَرِيعَةٌ. (اللسان ١٥/ ٣٠٦). زجاها، ساقها، جعلها تمضي في رِفق. (المعاصرة ٢/ ٩٧٤).

(٣) مَاشَى: مِنَ المُمَاشَاةِ أَي سَايَرَهُ، مَشَى مَعَه بُرْهَةً مِنَ الوَقْتِ.

(٤) وذاك أَنَّ سَعيدَ بنَ عُثمانَ بنَ عَفَّانَ أَخَذَ عَلَى فَارِس إِلَى خُرَاسَان. ينظر: أمالي اليزيديّ ٣٩.

(٥) الرقمتان قريَتان بين البصرة والنباج بعد ماوية تلقاء البصرة، وبعد حفر أبي موسى تلقاء النباج، وهما على شفير الوادي، وهما منزل -شاعرنا- مالك بن الريب المازنيّ.

٨.تَـذَكَّـرتُ مَـنْ يَبْكِي عَـلَيَّ فَلَمْ أَجِـدْ ... سِوَى السَّيفِ وَالرُّمْحِ الرُّدَيْنِي بَاكِيَا
٩.وَأَشْـقَـرَ خِـنْـذِيـذٍ يَجُـرُّ عِـنَـانَـهُ ... إِلَى المَـاءِ، لَمْ يَـتْرُكْ لَـهُ الـدَّهْرُ سَاقِيَا[١]
١٠.وَلَـكِـنْ بِـأَطْـرَافِ السُّمَيْنَةِ نِسْوَةٌ ... عَـزِيـزٌ عَـلَـيْـهِـنَّ الـعَـشِـيَّـةَ مَـا بِـيَـا[٢]
١١.صَرِيعٌ عَلَى أَيْـدِي الرِّجَالِ بِقَفْرَةٍ ... يُـسَـوُّونَ قَـبْرِي حَيْثُ حُـمَّ قَضَائِيَا[٣]
١٢.وَلَـمَّا تَـرَاءَتْ عِندَ (مَـروٍ) مَنِيَّتِي ... وَحَـلَّ بِهَـا سَقْمِي وَحَـانَـتْ وَفَـاتِـيَـا[٤]
١٣.أَقُـولُ لِأَصْـحَـابِي ارْفَـعُـونِي فَإِنَّنِي ... يَـقَـرُّ بِـعَـيْـنِـي إِنْ سُـهَـيـلٌ بَـدَا لِـيَـا
١٤.وَيَا صَاحِبَيْ رَحْلِي دَنَا المَوتُ فَانْزِلا ... بِـرَابِـيَـةٍ إِنِّي مُـقِـيـمٌ لَـيَـالِـيَـا
١٥.أَقِـيـمَا عَـلَيَّ الـيَـومَ أَو بَـعـضَ لَيلَةٍ ... وَلَا تَـعْـجِـلَانِي قَـدْ تَـبَـيَّـنْـتُ مَـا بِيَا
١٦.وَقُومَا إِذَا مَا اسْتَلَّ رُوحِي فَهَيِّئَا ... لِي الـسِّـدرَ وَالأَكْـفَـانَ ثُـمَّ ابْكِيَا لِيَا
١٧.وَخُطَّا بِأَطرَافِ الأَسَنَّةِ مَضْجَعِي ... وَرُدَّا عَـلَى عَـيْـنَـيَّ فَـضـلَ رِدَائِـيَـا
١٨.وَلَا تَحْـسُـرَانِي بَـارَكَ اللهُ فِيكُما ... مِنَ الأَرْضِ ذَاتِ العَرضِ أَنْ تُوسِعَا لِيَا[٥]
١٩.خُـذَانِي فَـجُـرَّانِي بِـبُرْدِي إِلَـيكُـما ... فَـقَـدْ كُـنْـتُ قَـبْـلَ الـيَـومَ صَعْبًا قِيَادِيَا
٢٠.وَقَدْ كُنْتُ عَطَّافًا إِذَا الخَيلُ أَدْبَرَتْ ... سَرِيعًا لَـدَى الهَيجَا إِلَى مَـنْ دَعَانِيَا[٦]

(١) الخِنْذِيذُ: الجَيِّدُ مِنَ الخَيْلِ. (اللسان ١/ ٥٠٠).
(٢) السُّمَيْنَةُ: أَوَّلُ مَنزِلٍ مِن النِّباجِ لِلقَاصِدِ إِلَى البَصَرةِ: مَاءٌ لِبَنِي الهَجِيمِ فِيهَا آبارٌ عَذِبةٌ وَآبَارٌ مَلحةٌ بَينهُمَا رَملَةٌ صَعبَةُ المَسلَكِ. (معجم البلدان ٣/ ٢٥٨).
(٣) حُمَّ الشيءُ وأُحِمَّ أَي قُدِّرَ. (اللسان ١٢/ ١٥١).
(٤) مَرْوُ الشَّاهِجَان: وَهيَ (مَرو العُظمَى) أَشهَرُ مُدنِ (خُرَاسَانَ) وَقَصَبَتُهَا، نَصَّ عَلَيه الحَاكِمُ أَبو عَبدِ الله فِي (تَأريخ نِيسَابور)، أَمَّا لَفظُ (مَرو) فَإِنَّهُ بِالعَرِبِيَّةِ: (الحِجَارَة البِيض)، الَّتِي يُقتَدَحُ بِهَا، وَأَمَّا الشَّاهِجَانُ: فَهيَ فَارِسِيَّةٌ مَعنَاهَا نَفسُ السُّلطَانِ، سُمِّيَت بِذَلِكَ لِجَلَالَتِهَا عِندَهُم. (معجم البلدان ٥/ ١١٢).
(٥) حَسَرَ، حَسْرًا وحُسُورًا: أَعْيَا، وكَلَّ وتَعِبَ. (التاج ١١/ ١٣).يقول: لا يمنعكم التعب والإعياء من أن توسعوا لي لحدي.
(٦) في (الأصل): (إلى الهيجا) في موضع (لذى الهيجا).

٢١.وَقَدْ كُنْتُ مَحْمُودًا لَدَى الزَّادِ وَالقِرَى ... وَعَنْ شَتْمِ ابنِ العَمِّ وَالجَارِ وَانِيَا

٢٢.وَقَدْ كُنْتُ صَبَّارًا عَلَى القَرْنِ فِي الوَغَى ... ثَقِيلًا عَلَى الأَعْدَاءِ عَضْبًا لِسَانِيَا

٢٣.فَطَورًا تَرَانِي فِي رَحًى مُسْتَدِيرَةٍ ... تُخَرِّقُ أَطْرَافَ الرِّمَاحِ ثِيَابِيَا

٢٤.وَطَورًا تَرَانِي فِي ظِلَالٍ وَمَجْمَعٍ ... وَطَورًا تَرَانِي وَالعِتَاقُ رِكَابِيَا[1]

٢٥.وَقُومَا عَلَى بِئرِ السُّمَيْنَةِ فَاسمِعَا ... بِهَا الغُرَّ وَالبِيضَ الحِسَانَ الرَّوَانِيَا[2]

٢٦.بِأَنَّكُمَا خَلَّفْتُمَانِي بِقَفْرَةٍ ... تَهِيلُ عَلَيَّ الرِّيحُ فِيهَا السَّوَافِيَا

٢٧.وَلَا تَنْسَيَا عَهدِي خَلِيلَيَّ بَعْدَمَا ... تُقَطَّعُ أَوْصَالِي وَتَبلَى عِظَامِيَا

٢٨.فَلَنْ يَعدَمَ الوَلْدَانَ بَيْتًا يَجُنَّنِي ... وَلَنْ يَعدَمِ المِيرَاثَ مِنِّي المَوالِيَا

٢٩.يَقُولُونَ لَا تَبعُدْ وَهُمْ يَدْفُنُونَنِي ... وَأَيْنَ مَكَانُ البُعْدِ إِلَّا مَكَانِيَا؟![3]

٣٠.غَدَاةَ غَدٍ يَا لَهفَ نَفْسِي عَلَى غَدٍ ... إِذَا أَدلَجُوا عَنِّي وَخُلِّفْتُ ثَاوِيَا

٣١.وَأَصْبَحَ مَالِي مِنْ طَرِيفٍ وَتَالِدٍ ... لِغَيرِي، وَكَانَ المَالُ بِالأَمْسِ مَالِيَا

٣٢.وَيَا لَيتَ شِعْرِي هَلْ بَكَتْ أُمُّ مَالِكٍ ... كَمَا كُنْتُ -لَوْ عَالُوا بِنَعْيِكِ- بَاكِيَا

٣٣.إِذَا مُتُّ فَاعْتَادِي القُبُورَ وَسَلِّمِي ... عَلَى الرَّمْسِ أُسْقِيتَ السَّحَابَ الغَوَادِيَا[4]

٣٤.تَرَيْ جَدَثًا قَدْ جَرَّتِ الرِّيحُ فَوقَهُ ... غُبَارًا كَلَونِ القَسْطَلَانِيِّ هَابِيَا[5]

---

(١) ظلال ومجمع: كناية عن مكان الراحة والاستجمام. (اللسان ١٥/ ١١)، وَفَرَسٌ عَتِيقٌ: رَائِعٌ كَرِيمٌ بَيِّنُ العِتْقِ، وَالْجَمْعُ العِتاقُ. (اللسان ١٠/ ٢٣٦). وَعِندَمَا ذَكَرَ الراحة والدعة ذَكَرَ الخَيلَ وَسَاحَةَ الحَربِ، فَلَهُ يَومَانِ يَومٌ لِلرَّاحَةِ وَيَومٌ لِلقِتَالِ.

(٢) في (الأصل): (السبيل) في موضع (السُّمَيْنَة)، و(الوحش) في محل (الغُرّ).

- الروانيا: التي ترنو بنظرها.

(٣) في (الأصل): (وليس) في موضع (وأين).

(٤) في (الأصل): (فسلِّمي) في موضع (وسلِّمي)، و(الغمام) بدلًا من (السَّحاب).

(٥) قسطلانيّ نسبة إلى القسطل، والقَسْطَل: الغُبار الساطِع. (اللسان ١١/ ٥٥٧)، والتُّرابُ الْهَابِي: هُوَ التُّرَابُ الَّذِي يَطِيرُ مِنْ دِقَّتِهِ إِذا مُسَّ. (اللسان ٨/ ٤٢١).

٣٥.وَيَا رَاكِبًا إِمَّا عَرَضتَ فَبَلِّغَنْ ... بَنِي مَالِكٍ وَالرَّيْثَ أَنْ لَا تَلَاقِيَا[١]
٣٦.وَبَلِّغ أَخِي عِمرَانَ بُردِي وَمِئزَرِي ... وَبَلِّغْ عَجُوزي اليَومَ أَنْ لَا تَدَانِيَا
٣٧.وَسَلِّمْ عَلَى شَيْخِي فَقَدْ كَانَ مُشْفِقًا ... كَثِيرًا، وَعَمِّي وَابْنَ عَمِّي وَخَالِيَا
٣٨.وَعَطِّلْ قَلُوصِي فِي الرِّكَابِ فَإِنَّهَا ... سَتُفْلِقُ أَكْبَادًا وَتُبْكِي بَوَاكِيَا[٢]
٣٩.أُقَلِّبُ طَرْفِي فَوْقَ رَحْلِي فَلَا أَرَى ... بِهَا مِنْ عُيونِ المُؤْنِسَاتِ مُرَاعِيَا[٣]
٤٠.وَبِالرَّمْلِ مِنِّي نِسوَةٌ لَوْ شَهِدْنَنِي ... بَكَيْنَ وَفَدَّينَ الطَّبِيبَ المُدَاوِيَا
٤١.فَمِنْهُنَّ أُمِّي وَابْنَتَاهَا وَخَالَتِي ... وَبَاكِيَةٍ أُخْرَى تُهِيجُ البَوَاكِيَا
٤٢.وَمَا كَانَ عَهْدُ الرَّمْلِ عِندِي وَأَهلُهُ ... ذَمِيمًا، وَلَا وَدَّعْتُ بِالرَّمْلِ قَالِيَا[٤]

وَفَاةُ العَبَّاسِ بنِ الأَحنَفِ[٥]

وَقَد مَاثَلَ مَالِكَ بنَ الرَّيبِ فِي نَظمِهِ مِنَ الأَلفَاظِ دُرَرَ الصَّدَفِ عِندَ نُزُولِ المَوتِ بِهِ العَبَّاسُ بنُ الأَحنَف، وَإِنْ كَانَ أَقَلَّ مِنهُ كَلَامًا، وَأَخْصَرَ نِظَامًا، وَلَقَدْ حَدَّثَ عَنهُ أَبُو بَكرٍ الصُّولِيُّ[٦] عَن أَبِي زَكَرِيَّا

(١) رَيْثُ بنُ غَطَفَانَ بنِ قَيْسِ عَيْلَانَ (أَبو حَيٍّ) من قَيْسِ بنِ مُضَرَ. (التاج ٥/ ٢٧١).
(٢) في (الأصل): (ستبرد) في موضع (ستفلق).
(٣) في (مصار أخرى): (فِي الرِّكَابِ) في موضع (فوق رحلي).
(٤) في (الأصل): (مني) في موضع (عندي)، و(بالرمل ودعت) في موضع (ودعت بالرمل).
(٥) العَبَّاسُ بنُ الأَحنَفِ بنِ الأَسوَدِ بنِ طَلحَةَ، أَبو الفَضلِ الحَنَفِيُّ اليَمَامِيُّ: شَاعِرٌ مُجيدٌ، رَقيقُ الشِّعرِ، مِن شُعَرَاءِ الدَّولَةِ العَبَّاسِيَّةِ، إِلَّا أَنَّ كُل شِعرِهِ غَزل، لَا مَديحَ فِيهِ وَلَا هِجَاء، وَلَا شَيئًا مِن سَائِرِ ضُروبِ الشِّعرِ، تُوفِّيَ سَنةَ اثنَتَينِ وَتِسعِينَ وَمِئَةٍ فِي بَغدَادَ. له ترجمة في: طبقات الشعراء ٢٥٣، وتأريخ بغداد ١٢/ ١٢٧، والذخيرة ٧/ ٢٠٦، ومعجم الأدباء ٤/ ١٤٨١، ووفيات الأعيان ٣/ ٢٠، وسير أعلام النُّبلاء ٩/ ٨٩، والوافي بالوفيات ١٦/ ٣٦٤، والأعلام ١/ ٤٥.
(٦) أَبُو بَكْر الصُّولي: مُحمَّد بنُ يَحيَى بنِ عَبدِ الله، وَقَد يُعرفُ بِالشِّطرَنجِي: نَديمٌ، مِن أَكَابِرِ عُلَمَاءِ الأَدَبِ. نَادَمَ ثَلَاثَةً مِن خُلفَاءِ بَني العَبَّاسِ، هُم: الرَّاضِي وَالمُكتَفِي وَالمُقتَدِر. وَلَهُ تَصَانِيفُ، مِنهَا (الأوراق) في أخبار آل العبَّاس وأشعارهم، و(أدب الكتاب)، و(أخبار القرامطة)، وغيرها،=

البَصرِيِّ[1] قَالَ:[2]

حَدَّثَنِي رَجُلٌ مِن قُرَيْشٍ قَالَ: خَرَجتُ حَاجًّا فِي رُفْقَةٍ[3] لِي، فَعَرَّجْنَا عَنِ الطَّرِيقِ نُصَلِّي، فَجَاءَنَا غُلَامٌ فَقَالَ:

مَنْ كَانَ مِنكُمْ مِن أَهلِ البَصرَةِ فَإِنَّ مَولَايَ يَدعُوهُ.

فَقُلنَا: كُلُّنَا مِنْ أَهْلِهَا.

فَقَالَ: كُلُّكُم يُرِيدُكُم، فَأَتَوهُ، فَأَتَينَاهُ، فَإِذَا هُوَ نَازِلٌ عَلَى عَينِ مَاءٍ، فَلَمَّا أَحَسَّ بِنَا رَفَعَ طَرفَهُ وَهوَ لَا يَكَادُ يَرفَعُهُ؛ لِضَعْفِهِ، وَأَنْشَأَ يَقُولُ:[4] [من المديد]

١. يَا بَعِيدَ الدَّارِ عَنْ وَطَنِهْ ... مُفْرَدًا يَبْكِي عَلَى شَجَنِهْ

٢. كُلَّمَا جَدَّ الرَّحِيلُ بِهِ ... زَادَتِ الأَسْقَامُ فِي بَدَنِهْ

ثمَّ أُغمي عَلَيْهِ طَوِيلًا، وَإِذَا بِوَرقَاءَ وَقَعَت مِن أَعَالِي شَجَرَةٍ كَانَ تحتهَا وَجَعَلَتْ تُغَرِّدُ، فَفَتَحَ عَيْنَيْهِ وَجَعَلَ يَسْمَعُ صَوْتَهَا، فَأَنْشَأَ:

٣. وَلَقَدْ زَادَ الفُؤَادَ شَجًى ... طَائِرٌ يَبْكِي عَلَى فَنَنِهْ

=توفي سنة (٣٣٥ هـ/ ٩٤٦ م). له ترجمة في: نزهة الألباء ٢٠٤، ومعجم الأدباء ٦/ ٢٦٧٧، وإنباه الرواة ٣/ ٢٣٣، ووفيات الأعيان ٤/ ٣٥٦، والوافي بالوفيات ٥/ ١٢٥، والأعلام ٧/ ١٣٦.

(١) هُوَ مُحمَّد بنُ زَكرِيَّاءَ البَصرِيُّ: مُحَمَّدُ بْنُ زَكَرِيَّاءَ بنِ دِينَارٍ الْغَلَّابِي، مَولَى بَنِي غَلَاب -قَبِيلةٌ فِي البَصرةِ- أَبُو عَبدِ الله، وَكَانَ وَجهًا مِن وُجُوهِ البَصرةِ، وَاسعَ العِلمِ، ثِقةً صَادِقًا، وَصَنَّف كُتبًا كَثِيرةً، وَتوفِّيَ سَنةَ ثَمانٍ وَتِسعينَ وَمِئَتينِ. له ترجمة في: الثِّقات لابن حبَّان ٩/ ١٥٤، كفاية الأثر ٣٣٤، فهرست ابن النديم ١٢١، ورجال الحاكم في المستدرك ٢/ ٢٠٦.

(٢) الخبر والشعر في: الوافي بالوفيات ١٦/ ٣٦٦، والعقد الفريد ٦/ ٢٢٢، وسرور النفس ١٠٠، ومعاهد التنصيص ١/ ٥٦، ونثار الأزهار ٨٢.

(٣) والرُّفْقَةُ: القومُ ينهَضُونَ فِي سَفَر، ويسِيرونَ مَعًا، ويَنْزِلُون مَعًا، وَلَا يَفْتَرِقُون. (التاج ٢٥/ ٢٤٩).

(٤) ديوان العبَّاس بن الأحنف ٢٧٨.

٤. شَفَّهُ مَا شَفَّنِي فَبَكَى كُلُّنَا يَبْكِي عَلَى سَكَنِهْ

ثمَّ تَنَفَّسَ نَفَسًا كَانَ بِهِ حَتْفُ نَفْسِهِ، فَجَهْزنَاهُ وَدَفَنَّاهُ بِرَمْسِهِ، وَسَأَلنَا الْغُلَامَ مَنْ يَكونُ صَاحِبُ هَذَا الظَّرفِ، فَقَالَ هَذَا الْعَبَّاسُ بنُ الْأَحْنَف.

الصِّمَّةُ بنُ عبدِ الله القُشَيريّ(١)

وَنَظِيرُ العَبَّاسِ فِي تَكَلُّمِهِ عِندَ المَوتِ بِلِسَانٍ أَعْجَمِيٍّ الصِّمَّةُ بنُ عبدِ الله القُشَيْرِيّ، فَإِنَّهُ لَمَّا نَزَلَ المَوتُ بِهِ وَدَهَتْهُ طَوَارِقُ الحَدَثَانِ، رَآهُ رَجُلٌ مِن أَهلِ طَبَرستَانِ فِي ضَيْعَةٍ مِنَ الفَوَاكِهِ كَثيرةِ الأَلوَانِ، وَعَلَيهِ ثَوبَانِ خَلِقَانِ فَدَنَا مِنهُ فَإِذَا هُوَ يَتَحَرَّكُ وَيَتَكَلَّمُ إِلَّا أَنَّهُ مِن ضَعفِ صَوتِهِ كَلَامُهُ لَا يُفهَم، فَأَدنَى سَمْعَهُ مِن فَمِهِ لِكَلَامِهِ يُحَقِّقُهُ، فَإِذَا هُوَ بِهذِهِ الأَبيَاتِ يَنْطِقُ مَنطِقُهُ:(٢) [من الطويل]

١. تَعَزَّ بِصَبْرٍ لَا وَرَبِّكَ لَا تَرَى سَنَامَ الحِمَى أُخْرَى اللَّيَالِي الغَوَابِرِ
٢. كَأَنَّ فُؤَادِي مِنْ تَذَكُّرِهِ الحِمَى وَأَهلَ الحِمَى، يَهفُو بِهِ رِيشُ طَائِرِ

فَمَا زَالَ يُرَدِّدُ هَذينِ البَيتَينِ حَتَّى حَانَ مِنهُ الحَينُ.

مُطِيعُ بنُ إِيَاسٍ(٣)

وَشِبهُهُ القُشَيْرِيِّ مُطِيعُ بنُ إِيَاسٍ، لَمَّا نَزَلَ بِهِ المَوتُ، قَالُوا لَهُ: قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله،

(١) الصِّمَّة القُشَيْرِيّ: الصِّمَّة بنُ عَبدِ الله بنِ الطُّفَيلِ بنِ قُرَّةَ القُشَيريُّ، مِن بَني عَامِرِ بنِ صَعْصَعَةَ، مِن مُضرَ: شَاعرُ غَزلٍ بَدَويٌّ. مِن شُعرَاءِ العَصرِ الأَمَوِيِّ، وَمِن العُشَّاقِ المُتَيَّمِينَ. كَانَ يَسكُنُ بَادِيَةَ العِرَاقِ، وَانْتَقَلَ إِلَى الشَّامِ، ثُمَّ خَرجَ غَازيًا يُرِيدُ بِلَادَ الدَّيلَم، فَمَاتَ فِي طَبَرستَانَ، ذلك (نحو ٩٥هـ/ نحو ٧١٤م)، وَهوَ صَاحِبُ الأبياتِ الَّتِي مِنهَا: (من الطويل)

قِفَا وَدِّعَا نَجدًا وَمَن حَلَّ بِالحِمَى وَقَلَّ لِنَجدٍ عِندَنَا أَن يُوَدَّعَا

له ترجمة في: المؤتلف والمختلف ١٨٦، والوافي بالوفيات ١٦/ ١٩٣، والأعلام ٣/ ٢٠٩.

(٢) ديوانُ الصمَّةِ القشيريّ ٩٨.

(٣) في الأصل (إياس بن مطيع)، وهو من أخطاء النسخ.=

فَتَكَلَّمَ كَلَامًا ضَعِيفًا لَا يَسمَعونَ أَلفَاظَهُ فَيفهَمونَ مَعنَاهُ، فَأَدنَوا أَسمَاعَهُم مِن فَمِهِ لِاسْتِمَاعِ كَلِمِه، فَإِذَا هُوَ يَقُولُ:(١) [من الخفيف]

١.لَهفَ نَفسِي عَلَى الزَّمَانِ وَفِي أَيْـ ـــي زَمَـــانٍ دَهَـتـنِـيَ الأَزمـــانُ

٢.حِينَ جَاءَ الرَّبِيعُ وَاستُقبِلَ الصَّيْـ ـفُ وَطَـابَ الـطِّـلَاءُ وَالـرَّيْـحَـانُ

يَحيَى بنُ زِيَادٍ الحَارِثِيُّ(٢)

وَنَظِيرُ مُطِيعِ بنِ إِيَاسٍ الكِنَانِيِّ يَحيَى بنُ زِيَادٍ الحَارِثِيُّ، فَإِنَّهُ لَمَّا قَامَ يَجودُ بِنَفْسِهِ، وَيُقَاسِي مِنَ المَوتِ مَا عَانَاهُ، قَالُوا لَهُ: قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله.

فَقَالَ: [من الرجز]

=- مُطِيع بنُ إِياس الكِنَانِيُّ، أَبو سَلمَى: شَاعِرٌ، مِن مُخَضْرِمِي الدَّولَتَينِ الأَمَوِيَّةِ وَالعَبَّاسِيَّةِ، كَانَ ظَرِيفًا، مَلِيحَ النَّادِرةِ، مَاجِنًا، مُتَّهمًا بِالزَّنْدَقَةِ. مَولِدُهُ وَمَنشأُهُ فِي الكُوفَةِ، وَأَصلُ أَبِيهِ مِن فِلسطِين.مَدحَ الوَلِيدَ بنَ يَزِيدَ وَنَادَمَهُ، فِي العَصرِ الأَمَوِيِّ، وَانْقَطَعَ فِي الدَّولَةِ العَبَّاسِيَّةِ إِلَى جَعفَرِ ابنِ المَنصورِ، فَكَانَ مَعَه إِلَى أَن مَاتَ، وَكَانَ صَدِيقًا لِحَمَّادِ عَجرد الشَّاعِرِ، وَحَمَّادِ الرَّاوِيَةِ، أَقَامَ فِي بَغدَادَ زَمنًا، وَوَلَّاهُ المَهديُّ العَبَّاسِيُّ الصَّدَقَات فِي البَصرَةِ، فَتُوفِّيَ فِيهَا سَنَةَ (١٦٦هـ/ ٧٨٣م). وَأَخبَارُهُ كَثِيرةٌ، وَفِي شِعرِهِ مَا كَانَ يُغَنَّى بِهِ. له ترجمة في: طبقات الشعراء ٩٣، ومعجم الشعراء ١/ ٥٤٠، وتأريخ بغداد ١٣/ ٢٢٥، وتأريخ دمشق ٥٨/ ٣٦٧، وتأريخ الإسلام ٤/ ٥١٧، وفوات الوفيات ٤/ ١٤٥، ولسان الميزان ٦/ ٥١، وديوان الإسلام ٤/ ١٣٦، والأعلام ٧/ ٢٥٥، ومعجم المؤلِّفين ١٢/ ٢٩٦.

(١) صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال ٢/ ٣٥٥.

(٢) يَحيَى بنُ زِيادِ بنِ عُبَيدِ الله الحَارِثِيُّ، أَبو الفَضلِ: شَاعِرٌ مَاجِنٌ، يُرمَى بِالزَّندَقةِ. مِن أَهلِ الكُوفَةِ. لَهُ فِي السَّفَّاحِ وَالمَهدِيِّ العَبَّاسِيَّينِ مَدائِحُ، وَهوَ ابنُ خَالِ السَّفَّاحِ، أَقَامَ فِي بَغدادَ مُدَّةً وَلَم يُحمَد زَمَانُهُ فِيهَا، فَخَرجَ عَنهَا. وَفِي أَمَالِي المُرتَضَى: «كَانَ يُعرفُ بِالزِّندِيقِ، وَكَانوا إِذَا وَصَفوا إِنسَانًا بِالظَرفِ قَالوا هُوَ أَظرفُ مِنَ الزِّندِيقِ، يَعنونَ يَحيَى؛ لِأَنَّهُ كَانَ ظَرِيفًا». تُوفِّيَ فِي أَيَّامِ المَهدِيِّ (نحو ١٦٠هـ/ نحو ٧٧٦م). له ترجمة في: معجم الشعراء ١/ ٥٧٨، وتأريخ بغداد ١٤/ ١١١، وتأريخ دمشق ٦٤/ ٢٢١، ووفيات الأعيان ٣/ ٤٦٩، ومختصر تأريخ دمشق ٢٧/ ٢٥٧، والأعلام ٨/ ١٤٥.

لَـمْ يَبـقَ إلَّا الـغَـيـظُ وَالجَـلَاجِـلُ[1]

ثُمَّ أُغْمِيَ عَلَيهِ، فَلَمَّا أَفَاقَ أَعَادُوا القَولَ لَدَيهِ؛ فَقَالَ:

وَبَـازِلٌ تَـغـلي بِـهِ الـمَـرَاجِـلُ[2]

صَخْرُ بنُ عَمرِو بنِ الشَّرِيدِ

وَمثل يَحيَى[3] صَخْرُ بنُ عَمرٍو فَإِنَّهُ حِينَ نَزَلَ بِهِ المَوْتُ أَنْشَأَ أَبْيَاتًا غُرَرًا، وَكَانَ سَبَبُ مَوتِهِ مَا هَذَا مُلَخَّصُهُ، وَهوَ أَنَّهُ غَزَا مَع ابنِ عَبَّاسٍ الرَّعِلِّ بَنِي أَسَدِ ابنِ خُزَيْمَةَ، فَأَصَابُوا سَبْيًا وَغَنِموا أَفضَلَ الغَنِيمَةِ، وَأَخَذَ صَخرٌ (بَدِيلةَ) وَهيَ امرَأَةٌ مِن بَنِي أَسَد، وَأَصَابَتهُ يَومَئِذٍ طَعْنَةٌ مِن رَجُلٍ يُقَالُ لَهُ رَبِيعَةُ، وَدَخَلَ فِي جَوفِهِ مِن الدِّرعِ زَرَدٌ، وَانْدَمَلَ القُرَحَ عَلَيهَا، وَشُقَّ عَلَيهَا بَعدَ سَنَتَينِ؛ فَحَانَ بِسَبَبِهَا مِنهُ الحَينُ، وَيُقَالُ أَنَّهُ مَرِضَ مِنْ تِلكَ الطَّعنَةِ حَتَّى كَادَ أَنْ يَحولَ حَولُه، وَمَلَّ مِن خِدمَتِهِ أَهلُه، وَسَمِعَ صَخرٌ امرَأَةً تَسأَلُ امْرَأَتَهُ؛ تَقولُ لَـهَا: كَيفَ بَعْلُكِ؟أَمَا هَوَّنَ اللهُ عَلَيهِ؟!

فَقَالَت: لَا هُوَ حَيٌّ فَيُرجَى، وَلَا مَيِّتٌ فَيُسلى[4].

فَقَالَ:[5] [من الطويل]

---

(١) بيت من الرجز.

(٢) بيت من الرجز.

(٣) في (الأصل): (حكى يحيى) في موضع (ومثل يحي)، وأظنُّه خطأ من الناسخ.

(٤) وَزعم قوم أَن الَّتِي قَالَت هَذِه الْمقَالة بديلة الأَسدِيَّة الَّتِي كَانَ سباها من بني أَسد واتَّخذها لنَفسِهِ عِرسًا. (معاهد التنصيص ١/ ٣٥٠).

(٥) الأصمعيَّات ١٤٦، والشعر والشعراء ١/ ٣٣٣، وعيون الأخبار ٤/ ١١٦، والكامل في اللغة ٤/ ٥١، والمصون في الأدب ١٧٨، والجليس الصالح ٢٤٠، وجمهرة الأمثال ١/ ٣٧٢، وفصل المقال في شرح كتاب الأمثال ٧١، ومصارع العشَّاق ١٦١، ومحاضرات الأدباء ٢/ ٢٣٧، ومجمع الأمثال ٢/ ٩٦، وربيع الأبرار ٥/ ٢٥٤.

١.أَرَى أُمَّ صَخْرٍ لَا تَمَلُّ عِيَادَتِي ... وَمَلَّتْ سُلَيْمَى مَضْجَعِي وَمَكَانِي
٢.وَمَا كُنْتُ أَخْشَى أَنْ أَكُونَ جَنَازَةً ... عَلَيْكِ، وَمَنْ يَغْتَرُّ بِالحَدَثَانِ
٣.أَهِمُّ بِأَمْرِ الحَزْمِ لَا أَسْتَطِيعُهُ ... كَمَا حِيلَ بَيْنَ العَيرِ وَالنَّزَوَانِ
٤.لَعَمْرِي لَقَدْ نَبَّهْتِ مَنْ كَانَ نَائِمًا ... وَأَسْمَعْتِ مَنْ كَانَتْ لَهُ أُذُنَانِ
٥.وَلَلْمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ حَيَاةٍ كَأَنَّهَا ... مُعَرَّسُ يَعْسُوبٍ بِرَأْسِ سِنَانِ
٦.وأَيُّ امرِئٍ سَاوَى بِأُمٍّ حَلِيلَةً ... فَلَا عَاشَ إِلَّا فِي شَقًا وَهَوَانِ

وَزَعَمَ قَومٌ أَنَّ الَّتِي قَالَت هَذِه المْقَالة [هِيَ] بَدِيلَةُ الأَسدِية، الَّتِي سَبَاهَا لنَفسِهِ، وَإِنَّ هَذِه الأَبيَاتِ قَالَهَا فِيهَا لَـمَّا مَلَّتْ حَيَاتَهُ وَتَمَنَّت أَنْ يَنْطَوي بِرَمْسِهِ، وَأَنْشَدُوا مَكَانَ البَيتِ الأَوَّلِ:

أَلَا تِلْكُمُ عِرسِي بَدِيلَةُ أَوْجَسَتْ ... فِرَاقِي وَمَلَّتْ مَضْجَعِي وَمَكَانِي

وَيُقَالَ قَد نَتَأت مِن جَنبِهِ قِطْعَةٌ مِثلُ اليَدِ، وَاسْتَرْخَتْ مِنْ مَوْضِعِ الطَّعْنَةِ حَتَّى تَدَلَّت؛ فَقَالَ لَهُ بَعضُ النَّاسِ:

لَوْ قَطَعْتَهَا لَرَجَوْنَا أَنْ تَبرَأ. وَأَشفَقَ عَلَيهِ بَعْضُهُم؛ فَقَالَ: نَرَى هَذَا ضَرَرًا.

فَأَبَى وَقَالَ: المَوتُ أَهوَن عَلَيَّ مِمَّا أَنَا فِيهِ مُبْتَلَى.

فَأَحْمَوا لَهُ شَفْرَةً فَقَطَعُوهَا، فَلَـمَّا أَحَسَّ بِالمَوتِ فِيهِ نَزَل، وَسَمِعَ أُخْتَهُ الخَنْسَاءَ تَقولُ: كَيفَ وَجَدتُمُوهُ بِصَبْرِهِ؟.

فَأَنْشَأَ وَنَفْسُهُ تَتَرَدَّد فِي صَدْرِهِ:[1] [من الطويل]

١.أَجَارَتَنَا إِنَّ الخُطُوبَ تَنُوبُ ... عَلَى النَّاسِ كُلَّ الخَاطِئِينَ تُصِيبُ

(١) الخبر والأبيات في: فصل المقال في شرح كتاب الأمثال ٧٢، ومعاهد التنصيص ١/ ٣٥١، ويذكر بعضها في مصادر أخرى وتنسب إلى أمرئ القيس، منها: تأريخ دمشق ٩/ ٢٤٥، وبغية الطلب ٤/ ٢٠٢١، وأمالي الزجَّاجيّ ٢١١، كما جاء في ديوان امرئ القيس ٤٩.
أَجَارَتَنَا إِنَّ الخُطُوبَ تَنُوبُ ... وَإِنِّي مُقِيمٌ مَا أَقَامَ عَسِيبُ

٢. فَإِنْ تَسأَلِيني هَلْ صَبَرْتَ فَإِنَّنِي صَبُورٌ عَلَى رَيبِ الزَّمَانِ صَلِيبُ
٣. كَأَنِّي وَقَدْ أَدنَوا إِلَيَّ شَفَارَهُم مِنَ الصَّبْرِ دَامِي الصَّفْحَتَينِ رَكوبُ
٤. أَجَارَتَنَا لَسْتُ الغَدَاةَ بِظَاعِنٍ وَلَكِنْ مُقِيمٌ مَا أَقَامَ عَسِيبُ

فَمَاتَ فَدُفِنَ هُنَاكَ بِعَسيب، وَهوَ جَبَلٌ بِأَرضِ بَنِي سُلَيم إِلَى جَنْبِ المَدينَةِ.

فَهَكَذَا كَانَت فُصَحَاؤُهُم فِي مَعَاجِزِ أَقوَالِهِم الَّتِي مَا لَهُم الآنَ فِيهَا مِنْ عَديل، وَلَم تَجِد لَهُم مِن مَثِيل.

وَالشِّعرُ أَوَّلُ مَن أَرَقَّ أَلفَاظَهُ مِنَ العَربِ (مُهَلْهِلٌ)، وَنَظَمَ فِيهِ مَا لِعُقُودِ الجُمَانِ فِي حُسْنِهِ يُخْجِل، وَذَكرَ أَهلُ اللُّغَةِ وَالمُؤَرِّخونَ أَنَّهُ إِنَّما لُقِّبَ بِـ(مُهَلْهِلٍ) مِن هَذهِ العِلَّةِ، وَقَالَ صَاحِبُ (الفَتح القَريب): اسْمُهُ امرؤ القَيسِ بنُ رَبِيعَةَ بنِ مُرَّةٍ، يَنتَهِي نَسَبُهُ إِلَى نِزَارٍ؛ وَإِنَّمَا سُمِّيَ (مُهَلْهِلٌ)؛ لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَن أَرَقَّ المَرَاثِي، حَكَاهُ القَالِي فِي أَمَالِيهِ[1]؛ قَالَ: وَاسمُهُ عَديٌّ، وَهوَ أَوَّلُ مَن قَصَّد القَصَائِدَ، وَفِيهِ يَقولُ الفَرَزدَقُ: وَمُهَلْهِلُ الشُّعَرَاءِ ذَاكَ الأَوَّلُ[2].

وَلَمْ يَقُلْ أَحَدٌ قَبلَهُ عَشْرةُ أَبيَاتٍ غَيرُهُ.

وَقَالَ فِي الأَغَانِي: اسمُهُ عَديٌّ، وَلُقِّبَ مُهَلْهِلٌ؛ لِطِيبِ شِعرِهِ وَرِقَّتِهِ، وَقِيلَ إِنَّهُ أَوَّلُ مَنْ قَصَّدَ القَصَائِدَ، وَقَالَ الغَزَلَ، وَقِيلَ مُهَلْهِلُ الشُّعَراءِ أَرَقَّهُ، وَهوَ أَوَّلُ مَنْ كَذِبَ فِي شِعْرِهِ، وَهوَ خَالُ امْرِئ القَيْسِ بنِ حِجرٍ الكِندِيِّ، وَقَدِ اقْتَفَتْ أَثَرَهُ بُلَغَاءُ العَرَبِ فِي الشِّعرِ، فَأَجَالَت فِكرَهَا فِيهِ، فَلَطَّفَتْ مَعَانِيه، وَابْتَدَعَت لَهُ أَشيَاءَ مِنَ المُحَسِّنَاتِ، تَرْتَاحُ إِلَى سَمَاعِهَا أَرْبَابُ الكَمَالَات، وَأَوَّلُ مَنْ سَبَقَهُم إِلَى ذَلِكَ امرؤُ القَيسِ بنُ حِجرِ بنِ عَمرِو

(١) ينظر أمالي القالي ٢/ ١٢٩.

(٢) ينظر الخبر في: الشعر والشعراء ١/ ٢٨٨، والأوائل للعسكريّ ٤٣٥، والعمدة ١/ ٨٧، وخزانة البغداديّ ٢/ ١٦٤، وهذا شطر بيت الفرزدق:

وَأَخُو بَنِي قَيْسٍ، وَهُنَّ قَتَلْنَهُ وَمُهَلْهِلُ الشُّعَرَاءِ ذَاكَ الأَوَّلُ

ديوان الفرزدق ٢/ ٣٢٣

ابنِ مُعَاوِيةَ بنِ كِندَةَ، وَأَظُنُّه لِعِلَّةٍ كَانَ أَولَهُم لهَذَا الإِبدَاعِ قَدْ أَوْرَى زَنْدَهُ، وَهِيَ كَونُ أُمِّهُ بِنتَ رَبِيعَةَ أُخْتَ مُهَلْهِل، وَمِنْ هَذِهِ الحَيثِيَّةِ كَانَ لِعُقُودِهِ أَوَّلَ مُفَصِّلٍ.

قَالَ ابنُ سَلَّام[1] سَبقَ امرؤُ القَيسِ العَرَبَ إِلَىَ أَشيَاءَ ابْتَدَعَهَا وَاسْتَحْسَنَتْهَا العَرَبُ، وَاتَّبَعَتْهُ فِيهَا الشُّعَرَاءُ، مِنهَا اسْتِيقَافُ صَحْبِهِ، وَالبُكَاءُ فِي الدِّيَارِ، وَرِقَّةُ التَّشْبِيبِ، وَقُربِ المَأخَذِ، وَتَشْبِيهُ النِّسَاءِ بِالظِّبَاءِ البِيضِ، وَتَشْبِيهُ الخَيْلِ بِالعُقْبَانِ، وَالغَضَى، وَقَيدِ الأَوَابِدِ، وَأَجَادَ فِي التَّشْبِيهِ، وَفَصَلَ بَينَ التَّشْبِيهِ وَبَينَ مَا سِوَاهُ مِنَ القَصِيدِ، وَأَجَادَ الاسْتِعَارَةَ.

فَمِنْ عُقُودِهِ الَّتِي لَا يُجهَلُ مُفَصِّلُهَا، وَلَا يُنْكَرُ فَضْلُهَا، قَولُهُ:[2] [من الطويل]

١. خَلِيلَيَّ مُرَّا بِي عَلَى أُمِّ جُنْدُبِ ... لنقضي لُبَانَاتِ الفُؤَادِ المُعَذَّبِ[3]

٢. فَإِنَّكُمَا إِنْ تُنْظِرَانِي سَاعَةً ... مِنَ الدَّهْرِ تَنْفَعِنِي لَدَى أُمِّ جُنْدُبِ

٣. أَلَمْ تَرَيَاني كُلَّمَا جِئْتُ طَارِقًا ... وَجَدْتُ بِهَا طِيبًا وَإِنْ لَمْ تَطَيَّبِ

٤. وَقلتُ لِفتيانٍ كِرَامٍ أَلَا انْزِلوا ... فَعَالُوا عَلَينَا فَضْلَ بُرْدٍ مُطَنَّبِ[4]

٥. فَفِئْنا إِلَى بَيتٍ بِعَلْيَاءَ مُرْدَحٍ ... سَمَاوَتُهُ مِنْ أَتْحَمِيٍّ مُعَصَّبِ[5]

---

(١) ابْن سَلَّام: الْبَصْرِيُّ الأخبَارِيُّ مُحَمَّدُ بن سَلَّام بن عبدِ الله بنِ سَالِمِ الجُمَحِيّ، أَبُو عَبدِ الله الْبَصْرِيُّ، مولَى قُدَامَة بنِ مَظعون، صَنَّفَ كِتابَ (طَبَقَات الشُّعَرَاء)، وَكَانَ مِن أَهلِ الْفَضلِ وَالْأَدبِ، قَدمَ بَغْدَاد سَنةَ اثْنَتَيْنِ وَعشْرينَ ومئتين، وَمَات فِي سنة إِحْدَى وثلثين أَو اثْنَتَيْنِ وثلثين وماتين، كَانَ يرْمى بِالْقدرِ، وَله كتاب (الْفَاضِل فِي الْأَخْبَار)، و(نسب قُرَيْش)، و(طَبَقَات فحول الشُّعراء)، وغيرها. له ترجمة في: تأريخ بغداد ٢/ ٣٩٩، ونزهة الألباء ١٢٥، ومعجم الأدباء ٦/ ٢٥٤٠، وتأريخ إربل ٢/ ٥٤، وإنباه الرواة ٣/ ١٤٣، ميزان الاعتدال ٣/ ١٤٣، ميزان الاعتدال ٣/ ٥٦٧، والوافي بالوفيات ٣/ ٩٦، ولسان الميزان ٥/ ١٨٢.

(٢) ديوان امرئ القيس ٢٩.

(٣) في (الأصل): (حاجات) في موضع (لبانات).

(٤) في الديوان: (وقلنا) في موضع (فقلت).
– عالوا: رفعوا. (اللسان ١٥/ ٨٧).

(٥) في (الأصل): (مروح) في موضع (مُرْدَح).=

٦. وَأَوْتَـــادُهُ مَـــازِيَّـــةٌ وَعِـــمَادُهُ رُدَيْـنِـيَّـةٌ فِـيـهَـا أَسِـنَّـةُ قَـعْـضَـبِ[١]
٧. فَـلـمـا دَخـلـنـاه أضَـفـنـا ظُـهـورَنـا إلى كـلِّ حـاريٍّ جَـدِيـدٍ مُـشَـطَّـبِ[٢]
٨. فَـظَـلَّ لَـنَـا يَـوْمٌ لَـذِيـذٌ بِـنِـعْـمَـةٍ فَـقِـلْ فِي مَـقِـيـلٍ نَـحْـسُـهُ مُـتَـغَـيِّـبِ[٣]
٩. كَـأَنَّ عُيونَ الوَحْشِ حَـولَ خِبَائِنَا وَأَرْحُـلِـنَـا الجَـزْعُ الَّـذِي لَمْ يُـثَـقَّـبِ[٤]
١٠. نَـمُـشُّ بِـأَعـرَافِ الجِـيَـادِ أَكُـفَّـنَـا إِذَا نَحْنُ قُمْنَا عَنْ شِوَاءٍ مُضَهَّبِ[٥]

= -فِئنَا: رَجَعنَا، من فاءَ، أَي رَجَعَ. (اللسان ١/ ١٢٦)، ورَدَحَ البَيْتَ، يَرْدَحُه رَدْحًا وأَرْدَحه، إِذا أَدْخَلَ رُدْحَةً، أَي شُقَّةً فِي مُؤَخَّرِه. أَو كاثَفَ عَلَيْهِ الطِّينَ. (التاج ٦/ ٣٨٩). والأَثْحَمِيُّ: ضَرْبٌ من البُرُود. (التاج ٣١/ ٣٢٢)، مُعَصَّبٌ: مُحْمَرٌّ: مِن عَصَبَ الأُفُقُ يَعْصِبُ أَي احْمَرَّ. (اللسان ١/ ٦٠٥).

(١) مازية: أي شديدة متينة، يقال رجلٌ مَيْزٌ ومَيِّزٌ: شديدُ العَضَل. (التاج ١٥/ ٣٤١)، والرُّدَيْنِيُّ: رُمْحٌ، نسبةً إلى رُدَينة، وهي امرأة كانت تقوِّم الرماح. (المعاصرة ٢/ ٨٨١)، وقَعْضَبٌ: اسْمُ رَجُلٍ كَانَ يَعْمَلُ الأَسِنَّة فِي الْـجَاهِلِيَّةِ، إِليه تُنْسَبُ أَسِنَّةُ قَعْضَبٍ. (اللسان ١/ ٦٨٤).

(٢) في (الأصل): (جادي) في موضع (حاري).

- حَاريٌّ: نسبة إلى الحيرة، على ثلاثة أميال من الكوفة، وبالحيرة الخورنق، كانت مسكن ملوك العرب في الجاهليَّة من زمن نصر ثمَّ من لخم النعمان وآبائه، والنسبة إليها حاريّ. معجم البلدان ٢/ ٣٢٨). يقُولُ: إِنَّهم احْتَبَوْا بِالسُّيُوفِ، وَكَذَلِكَ الرِّحَالُ الحارِيَّاتُ. (اللسان ٤/ ٢٢٥).

(٣) قَالَ الفراءُ: الـمُتَغَيِّبُ مَرْفُوعٌ، وَالشِّعْرُ مُكْفَأٌ. وَلاَ يَـجُوزُ أَن يَرِدَ عَلَى المَقيل. (اللسان ١/ ٦٥٥). وَهوَ عِندَ العَروضِيِّينَ: إقواء، وهو اختِلَافُ إِعرَابِ القَوافِي إقواء، وإِنَّمَا يَكونُ فِي الضَّم وَالكَسرِ، القَيْلولَة: نَوْمُ نِصفِ النهارِ، وَهِي القائِلَة، والمَقيل: الاستِراحةُ نصفَ النهارِ عندَ العربِ، وإِنْ لم يكنْ مَعَ ذَلِك نَوْمٌ. (التاج ٣٠/ ٣٠٤).

(٤) الـجَزْعُ والـجِزْعُ: ضَـرْبٌ مِنَ الـخَرَز، وَقِيلَ: هُوَ الْـخَرَزُ الْيَمَـانِـيُّ، وَهُوَ الَّذِي فِيهِ بَيَاضٌ وَسَوَادٌ تشبَّه بِهِ الأَعين. (اللسان ٨/ ٤٨).

(٥) في (الأصـل): (مهضب) في موضع (مضهب)، وهـو خطأ في النسخ ناتج عن سبق قلم.

- الـمَشُّ: مَسْحُ اليَدِ بالشَّـيْءِ الـخَشِنِ لتَنْظِيفِهَا وقَطْعِ دَسَمِها. (التاج ١٧/ ٣٨٤). الـمُضَهَّبُ: الَّذِي لم يَكْمُل نُضْجُه، يُرِيد أَنَّـهم أَكَلُوا الشَّـرَائِحَ الَّتِي شَوَوْهَا على النَّارِ قَبْلَ نُضْجِهَا. (التاج ١٧/ ٣٨٤).

وَكَانَ امرؤُ القَيسِ مُعْجَبًا بِهذِهِ القَصِيدَةِ، مِنْ حَيثُ إِنَّهُ أَحْكَمَ مِن لُؤْلُؤِ نِظَامِهَا فَريده، وَيُؤَيِّدُ ذَلِكَ أَنَّهُ لَـمَّا نَزَلَ بِهِ عَلْقَمَةُ الفَحْلِ[1]، وَقَالَ كُلٌّ لِصَاحِبِهِ: أَنَا أَفْضَلُ مِنكَ فِي نِظَامِ الشِّعرِ، وَتَـحَاكَمَا إِلَى امرَأَةِ امْرِئِ القَيْسِ الطَّائِيَّةِ، مَا افْتَخَرَ عَلَى عَلقَمَة إِلَّا بِهَذِهِ القَصِيدَةِ البَائِيَّةِ، وَقَدْ أَنْشَدَهَا لِزَوْجِهِ حَتَّى أَتَى إِلَى قَولِهِ: [من الطويل]

فَـلِـلسَّـوْطِ أُلْـهُـوبٌ وَلِـلسَّـاقِ دَرَّةٌ وَلِـلزَّجْـرِ مِنهُ وَقْـعُ أَهْـوَجِ مُنْعَبِ[2]

وَأَنْشَدَهَا عَلْقَمَةُ قَولَهُ:

ذَهَبْتَ مِنَ الهِجْرَانِ فِي غَيْرِ مَذْهَبِ[3]

حَتَّى انْتَهَى إِلَى قَولِه: [من الطويل]

فَـأَدْرَكَـهُـنَّ ثَـانِـيًـا مِـنْ عِـنَـانِـهِ يَـمُـرُّ كَـغَـيْـثٍ رَائِـحٍ مُـتَـحَـلِّـبِ[4]

فَقَالَت لَهُ: عَلْقَمَةُ أَشْعَرُ مِنْكَ.

قَالَ: وَكَيفَ؟!

---

(١) عَلْقَمَةُ الفَحلُ: عَلقَمةُ بنُ عَبَدة بنِ نَاشِرةَ بنِ قَيسٍ، مِن بَني تَـميم: شَاعِرٌ جَاهِلِيٌّ، مِنَ الطَّبَقَةِ الأُولَى. كَانَ مُعَاصِرًا لِامرِئِ القَيسِ، وَلَه مَعهُ مُسَاجَلَات، وَأَسرَ الحَارثُ ابنُ أَبي شَمرٍ الغَسَّانيُّ أَخًا لَهُ اسمَهُ شَأس، فَشَفعَ بِهِ عَلقَمَةُ وَمَدَح الحَارثُ بِأَبيَاتٍ، فَأَطلَقَهُ. لَهُ (ديوان شعر) شَرَحَهُ الأَعلَمُ الشَّنتمري. تُوفِّيَ (نحو ٢٠ق.هـ/ نحو ٦٠٣م). له ترجمة في: المؤتلف والمختلف ١٩٨، والإكمال ٧/ ٤٣، وتأريخ دمشق ٤١/ ١٣٩، ومختصر تأريخ دمشق ١٧/ ١٥٨، والأعلام ٤/ ٢٤٧، ومعجم المؤلِّفين ٦/ ٢٩٤.

(٢) في (الديوان): جاء صدر البيت برواية: (فللساق ألهوب وللسوط درة).

- وَجَاءَ فِي الدِّيوانِ: الأَلـهُوبُ: زَجرٌ بِالسَّوطِ، وَالدَّرةُ: الدَّفْعَةُ، وَالزَّجرُ: الانتِهَارُ، وَالأَهوَجُ: الأَحـمَقُ، وَالـمُنْعَبُ: الـمُصَاحُ عَلَيهِ مِنَ النَّعيبِ وَهوَ التَّصويتُ.

(٣) مطلع قصيدة علقمة الفحل التي ناظر فيها أمرء القيس:

ذَهَبْتَ مِنَ الهِجْرَانِ فِي غَيْرِ مَذْهَبِ وَلَمْ يَكُ حَقًّا كُلُّ هَذَا التَّجَنُّبِ

ديوان علقمة الفحل ١٩.

(٤) في (الديوان): جاء العجز برواية: (يمرُّ كمرِّ الرائح المتحلِّب).

ديوان علقمة الفحل ٢٦.

قَالَت: لِأَنَّكَ زَجَرتَ فَرَسَكَ وَحَرَّكتَهُ بِسَاقَيكَ، وَضَرَبْتَهُ بِسَوْطِكَ، وَإِنَّه جَاءَ هَذَا لِلصَّيدِ ثَانِيًا مِن عِنَانِهِ.

فَغَضِبَ امرؤ القَيْسِ وَقَالَ:

لَيْسَ كَمَا قُلْتِ، وَلَكِنَّكَ هَوَيتِهِ، فَطَلَّقَهَا، فَتَزَوَّجَهَا بَعدَ ذَلِكَ عَلْقَمَةُ، فَسُمِّيَ عَلقَمَةُ الفَحْلِ لِذَلِكَ، وَمَا زَالَت العَربُ تُسِمِّيهِ بِذَلِكَ[1].

قَالَ الفَرَزْدَقُ:[2] [من الكامل]

وَالفَحْلُ عَلْقَمَةُ الَّذِي كَانَتْ لَهُ حُلَلُ المُلُوكِ كَلَامُهُ لَا يُنْحَلُ[3]

أَقُولُ: وَإِنْ كَانَ عَلْقَمَةُ تَأَنَّقَ فِي مَعنَى بَيتِهِ، إِذْ جَعَلَ جَوَادَهُ أَدْرَكَ صَيدَهُ مَعَ أَنَّهُ ثَانٍ فَضلَ شَكِيمَتِهِ، إِلَّا أَنَّهُ فِي سَبْكِ لَفْظِهِ وَنَظْمِهِ قَاصِرٌ عَنْ بَيْتِ امرئ القَيْسِ؛ لِأَنَّ امرَأَ القَيسِ أَحْكَمَ نِظَامَ أَلفَاظِ بَيتِهِ وَحَلَّاهُ بِهَذَا التَّقْسِيمِ الَّذِي بَرَعَ فِي صَنْعَتِهِ، وَفِي الحَقِّ بَيتُ امْرِئِ القَيسِ لَا تُقَابَلُ حَلَاوَةُ نِظَامِ جُمَانِهِ مِن بَيتِ عَلْقَمَةَ بِمَرَارَةِ قَولِهِ: فَأَدْرَكَهُنَّ ثَانِيًا مِن عِنَانِهِ.

وَإِنْ كَانَ هَذَا الزِّحَافُ سَائِغًا، إِلَّا أَنَّ الطَّبْعَ يَنْفُرُ مِنْ إِيقَاعِهِ[4]، وَالسَّمْعُ يَسْتَكُّ مِن سَمَاعِهِ، وَفِي مَعنَى بَيتِ عَلْقَمَةَ تَصَرَّفَت الشُّعَرَاءُ إِلَى مَعَانٍ جَلِيلَةٍ فِي شِدَّةِ عَدوِ الجَوَادِ، لَا تَكَادُ تَهتَدِي إِلَيهَا الآرَاءُ، وَتَعْجَبُ مِنْ دِقَّتِهَا الأَلِبَّاءُ.

مِنهَا مَا قَالَهُ جَمَالُ الدِّينِ يُوسُفُ بنُ سُلَيمَانَ الصُّوفِيُّ:[5] [من البسيط]

---

(١) الخبر والشعر في: الشعر والشعراء ١/ ٢١٢، والمعاني الكبير ١/ ٨١، ومعاهد التنصيص ١/ ١٧٦، خزانة البغداديّ ٣/ ٢٨٤.

(٢) ديوان الفرزدق ٢/ ٣٢٣.

(٣) في (الأصل): (يتخيَّل) في موضع (لا ينحل).

(٤) المؤلِّف يشير إلى (القبض) الذي أصاب التفعيلة الثانية (مفاعيلن) فحوَّلها إلى (مفاعلن).

(٥) فوات الوفيات: ٤/ ٣٤٥-٣٤٦ عدا الرابع، وأعيان العصر: ٥/ ٦٢٩ وفيه الثالث فيه:=

١. وَأَدْهَمِ اللَّوْنِ فَاتَ البَرْقَ وَانْتَظَرَهْ ... فَغَارَتِ الرِّيحُ حَتَّى غَيَّبَتْ أَثَرَهْ
٢. فَوَاضِعٌ رِجْلَهُ حَيْثُ انْتَهَتْ يَدُهُ ... وَوَاضِعٌ يَدَهُ أَنَّى رَمَى بَصَرَهْ
٣. سَهْمٌ تَرَاهُ، يُحَاكِي السَّهْمَ مُنْطَلِقًا ... وَمَا لَهُ غَرَضٌ مُسْتَوْقِفٌ خَبَرَهْ[1]
٤. يُعَقِّرُ الوَحْشَ فِي البَيْدَاءِ فَارِسُهُ ... وَيَنْثَنِي وَادِعًا لَمْ يَسْتَثِرْ غَبَرَهْ[2]

وَقَالَ ابنُ نُبَاتَةَ:[3] [من البسيط]

١. وَرْدٌ مَعَ العُرْبِ مَنْسُوبٌ فَلا قَطَعَتْ ... يَدُ الحَوَادِثِ مِنْ أَنْسَابِهِ شَجَرَهْ[4]
٢. إِذَا امْتَطَى ظَهْرَهُ رَامِي السِّهَامِ مَضَى ... وَالسَّهْمُ حَذْوًا فَلَوْلا سَبْقُهُ عَقَرَهْ[5]
٣. عَجِبْتُ حِيْنَ تَسَمَّى سَابِحًا وَلَهُ ... وَثْبٌ لَوِ البَحْرُ رَاسَى دُونَهُ طَفَرَهْ

=(شهم) بدل (سهم)، والوافي بالوفيات: ٢٩/ ٩١. مطالع البدور ومنازل السرور ٢/ ١٩٣، والعقد المفصَّل

- جمالُ الدِّينِ الشَّاعِرُ: يُوسفُ بنُ سُلَيمانَ بنِ أَبي الحُسَينِ بنِ إِبرَاهِيمَ، الفَقيهُ الأَديبُ الشَّاعِرُ الخَطيبُ الصُّوفيُّ الشَّافِعيُّ، جَمالُ الدِّينِ، وُلِدَ بِنَابلس، وَشَبَّ وَنَشَأَ فِي دِمشقَ، وَهُوَ شَاعرٌ مُجيدٌ فِي المَقاطِيعِ، يُجيدُ نَظمَهَا وَمَعنَاهَا، وَلَه بَديهةٌ مُطاوعَةٌ، وَارتِجالٌ مُسرعٌ، لَذيذُ المُفَاكَهةِ جَميلُ الوُدِّ حَسَن الملقى؛ تُوفِّي رَحمه الله تَعالَى فِي ثَامِن عَشر رَبيع الآخر سَنةَ خَمسينَ وَسَبعمئة.

ينظر: فوات الوفيات ٤/ ٣٤٥، أعيان العصر ٥/ ٦٢٩، والوافي بالوفيات ٢٩/ ٩١

(١) السُّهام والسَّهامُ: الضُّمْرُ وتَغَيُّر اللون وذُبولُ الشَّفَتين. سَهَمَ، يَسْهَمُ سُهامًا وسُهُومًا وسَهُمَ أَيضًا، يَسْهُمُ سُهومًا فِيهِمَا وسُهِمَ يُسْهَمُ، فَهُوَ مَسْهومٌ إِذا ضَمُرَ. (اللسان ١٢/ ٣٠٩).

(٢) الغَبَرُ: التُّرَابُ. (التاج ١٣/ ١٩٠).

(٣) ديوان ابن نُباتة: ٦١.

- ابنُ نُبَاتَةَ: الشَّاعرُ أَبو نَصرٍ عَبدُ العَزيزِ بنُ عُمرَ بنِ مُحَمَّد بنِ نُبَاتَةَ التَّمِيميُّ السَّعديُّ، كَانَ شَاعِرًا مُجيدًا، جَمعَ بَينَ حُسنِ السَّبكِ وَجَودةِ المَعنَى، طَافَ البِلادَ وَمَدحَ المُلوكَ وَالوُزَرَاءَ وَالرُّؤسَاءَ، وَلَه فِي سَيفِ الدَّولَةِ ابنِ حَمدانَ غُرُّ القَصَائِدِ وَنُخَبُ المَدَائِحِ. تُوفِّيَ سَنةَ (٤٠٥هـ).

ينظر: يتيمة الدهر ٢/ ٤٤٧، ووفيات الأعيان ٣/ ١٩٠، والوافي بالوفيات ١٨/ ٣٢٦.

(٤) في (الأصل): (أيدي) في موضع (يد).

(٥) في (الأصل): (فالسهم) في موضع (والسهم).

٤.فَتْخَاءُ فِي هَضَبَاتِ الْحُسْنِ صَاعِدَةً أَوْلَا فَصَاعِقَةٌ فِي السَّهْلِ مُنْحَدِرَهْ
٥.لَـمَّا تَـرَفَّـعَ عَـنْ نِـدٍّ يُسَابِقُهُ أَضْحَى يُسَابِقُ فِي مَيْدَانِهِ بَصَرَهْ[1]

وَقَالَ الْمُتَنَبِّي:[2] [من المنسرح]

١.يُقْبِلُهُمُ وَجْهَ كُلِّ سَابِحَةٍ أَرْبَعُهَا قَبْلَ طَرْفِهَا تَصِلُ
٢.إِنْ أَدْبَرَتْ، قُلْتَ: لا تَلِيلَ لَهَا أَوْ أَقْبَلَتْ، قُلْتَ: مَا لَهَا كَفَلُ[3]

وَقَالَ الطُّغْرَائِيُّ[4]: [من الكامل]

١.سَبَقَتْ حَوَافِرُهَا النَّوَاظِرَ فَاسْتَوَى سَبْقٌ إِلَى غَايَاتِهَا وَصَفُونُ
٢.لَوْلَا تَرَائِي الغَايَتَيْنِ لأَقْسَمَ الرْ رَاؤُونَ أَنَّ حِرَاكَهَا تَسْكِينُ[5]
٣.وَتَكَادُ تُشْبِهُهَا البُرُوقُ لَوَ انَّهَا لَمَ تَعْتَلِقْهَا أَعْيُنٌ وَظُنُونُ[6]

وَقَالَ بَعْضُهُم:[7] [من الكامل]

(١) في (الأصل): (نظره) في موضع (بصره).
(٢) ديوان المتنبي: ١٣١-١٣٢.
- البيت الثاني سقط من (الأصل).
(٣) التَّلِيلُ: العُنُقُ. (التليل ٢٨/ ١٤٠).
(٤) ديوان الطغرائيّ ٣٨٣-٣٨٤.
- الطُّغْرائي الحُسَينُ بنُ عَلِيِّ بنِ مُحَمَّد بنِ عَبدِ الصَّمَدِ، أَبو إِسمَاعِيلَ، الأَصبَهَانِيّ الطُّغْرَائِيّ: مِنَ الوُزَرَاءِ الكُتَّابِ، كَانَ شَاعِرًا وَيُنْعَتُ بِالأُستَاذِ. وُلِدَ بِأَصبَهَانَ، وَاتَّصلَ بِالسُّلطَانِ مَسعودِ بنِ مُحَمَّد السَّلجُوقِيّ (صَاحِبِ المُوصِل) فَوَلَّاهُ وُزَارَتَه، وَلـمَّا اسْتَولَى السُّلطَانُ مَحمُود عَلَى السُّلْطَةِ قَبَضَ عَلَى رِجَالِ مَسعودٍ، وَفِي جُملَتِهِم الطُّغرَائِيّ، فَقَتلَه، ذَلِكَ سَنةَ (٥١٣هـ/ ١١٢٠م)، وَنِسبةُ الطُّغرَائِيّ إِلَى كِتَابَةِ الطُّغرَاءِ، لَهُ (ديوان شعر ط)، وَأَشهَرُ شِعرِهِ (لَامِيَّةُ العَجَم)، وله كتب أخرى. له ترجمة في: تأريخ بغداد ٢١/ ٨٢، ومعجم الأدباء ٣/ ١١٠٦، وتأريخ إربل ٢/ ٦٤، وبغية الطلب ٦/ ٢٦٨٣، ووفيات الأعيان ٢/ ١٨٥، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٤٥٤، والوافي بالوفيات ١٢/ ٢٦٨، والأعلام ٢/ ٢٤٦.
(٥) في (الأصل): (ترامي).
(٦) الديوان: (الروق).
(٧) هُوَ حَيدرةُ بنُ عَبدِ الظَّاهِرِ بنِ الـحَسَنِ بنِ عَلِيٍّ الرِّبعِيُّ، ابنُ الضَّيْفِ: شَاعِرٌ مُكثِرٌ، مِن دُعَاةِ=

١. كَمْ سَابِحٍ أَعْدَدْتُهُ فَوَجَدْتُهُ عِنْدَ الكَرِيهَةِ وَهُوَ نَسْرٌ طَائِرُ
٢. لَمْ يَرْمِ قَطُّ بِطَرْفِهِ فِي غَايَةٍ إِلَّا وَسَابَقَهُ إِلَيْهَا الحَافِرُ

وَقَالَ ابنُ حَجَّاجٍ:(١) [من السريع]

١. قَالَ لَهُ البَرْقُ، وَقَالَتْ لَهُ الرْ رِيحُ جَمِيعًا وَهُمَا مَا هُمَا:
٢. أَ أَنْتَ تَجْرِي مَعَنَا؟! قَالَ: لا إِنْ شِئْتُ أَضْحَكْتُكُمَا مِنْكُما
٣. هَذَا ارْتِدَادُ الطَّرْفِ قَدْ فُتُّهُ إِلَى المَدَى سَبْقًا فَمَنْ أَنْتُمَا؟!

وَقَالَ أَبو العَلَاء المَعَرِّيّ:(٢) [من الوافر]

=الفَاطِمِيِّينَ، لَهُ مَدَائِحُ كَثيرةٌ فِي الآمِرِ (مَنصور بن أَحمَد)، قَالَ العِمادُ الأَصفَهَانِيُّ: عَلَى أَنَّهُ حَصَلَ عَلَى دِيوانِهِ بِخَطِّ يَدِهِ وَأَورَدَ لَه مُختَارَاتٍ، مِن ذَلِك أَبيات مِن قَصيدةٍ يُعارِضُ بِهَا ابنَ هَانِئِ الأندلُسِيَّ، تُوفِّي (نحو ٥٢٠هـ/ نحو ١١٢٥م).

ينظر: الخريدة ٢/ ٧١٤، الأعلام ٢/ ٢٩١، معجم المؤلِّفين ٤/ ٩٣.

– البيتان لابن الضيف في الخريدة، أقسام أخرى ٢/ ١٦، وبلا عزو في أنوار الربيع ٥١٩.

(١) الوافي بالوفيات: ٢٢/ ٢٢٧.

– ابنُ الحَجَّاج: أَبو عَبدِ الله الحُسَينُ بنُ أَحمَدَ بنِ الحَجَّاجِ، النِّيلِيُّ البَغدَادِيُّ الإِمَامِيُّ، الكَاتِبُ الفَاضِلُ، الأَديبُ الشَّاعِرُ، مِن كِبَارِ شُعرَاءِ أَهلِ البَيتِ عليهم السلام، كَانَ فَردَ زَمَانِهِ فِي وَقتِهِ، وَعَبقَرِيًّا مِن عَبَاقِرَةِ حَمَلَةِ العِلمِ وَالأَدَبِ، غَيرَ أَنَّ انْتِشَارَ أَدَبِهِ الفَائِق، أَخفَى صِيتَ عِلمِهِ الغَزِيرِ، وَغَطَّى ذِكرَهُ العِلمِيَّ، يُقَالُ إِنَّه فِي الشِّعرِ بِدَرَجَةِ امْرِئِ القَيسِ، وَلَه دِيوانُ شِعرٍ. تُوفِّيَ سَنَةَ (٣٩١هـ). له ترجمة في: معجم الأدباء ٣/ ١٠٤٠، ووفيات الأعيان ٢/ ١٦٨، والوافي بالوفيات ١٢/ ٢٠٤، والكنى والألقاب ١/ ٢٥٦، وأعيان الشيعة ٥/ ٤٣٣، والغدير ٤/ ٩١، ومعجم المؤلِّفين ٣/ ٣١٢.

(٢) سقط الزند ٤٨.

– أَبُو العَلاء المَعَرِّيّ: أَحمدُ بنُ عَبدِ الله بنِ سُليمانَ، التَّنوخِيُّ المَعرِيُّ: شَاعرٌ فَيلسوفٌ. وُلِدَ وَمَاتَ فِي مَعرَّةِ النُّعمَانِ، كَانَ نَحيفَ الجِسمِ، أُصيبَ بِالجدريِّ صَغيرًا؛ فَعَمِيَ فِي السَّنةِ الرَّابِعَةِ مِن عُمرِهِ. وَقَالَ الشِّعرَ وَهوَ ابنُ إِحدَى عَشرَةَ سَنةً، وَرَحَلَ إِلَى بَغدَادَ سَنة (٣٩٨هـ)، فَأَقَامَ بِهَا سَنةً وَسَبعةَ أَشهُرٍ، وَهوَ مِن بَيتِ عِلمٍ كَبيرٍ فِي بَلدِهِ، وَلَمَّا مَاتَ وَقَفَ عَلَى قَبرِهِ (٨٤) شَاعِرًا يَرثُونَهُ، كَانَ إِذَا أَرادَ التَّأليفَ أَملَى عَلَى كَاتِبِهِ عَلِيِّ بنِ عَبدِ الله بنِ أَبِي هَاشِم، وَكَانَ يُحَرِّمُ إِيلَامَ الحَيوانِ، وَلَمْ يَأكلِ اللَّحمَ خَمسًا وَأَربعينَ سَنةٍ، وَكَانَ يَلبَس خَشِنَ الثِّيابِ، أَمَّا شِعرُهُ، وَهوَ دِيوَانُ حِكمَتِهِ=

وَلَـــمَّا لَـــمْ يُـسَـابِـقْـهُـنَّ شَيءٌ مِـنَ الحَـيـوَانِ، سَـابَـقْـنَ الـظِّـلَالا

وَقَالَ ابنُ خَفَاجَةَ الأَنْدُلُسِيُّ:(١) [من الطويل]

١.وَأَبْـلَـقَ جَـرَّارِ الـعِـنَـانِ مُـطَـهَّـمٍ طَويلِ الشَّوَى، وَالسَّاقُ أَقْوَدَ أَتْلَعَا(٢)

٢.جَرَى، وَجَرَى البَرقُ اليَمَانِي عَشِيَّةً فَـأَبْـطَـأَ عَـنْـهُ الـبَرْقُ عَـجْـزًا وَأَسْرَعَـا

٣.وَحَسْبُ الأَعَادِي مِنْهُ أَنْ يَزْجُرُوا بِهِ مُـغِـيرًا، غُـرَابًـا صَـبَّـحَ الحَـيَّ أَبْـقَـعَـا(٣)

وَقَالَ صَفِيُّ الدِّينِ عَبدُ العَزِيزِ بنُ سَرَايَا الحِلِّيُّ:(٤) [من الكامل]

=وَفَلسَفَتِهِ، فَثلَاثَةُ أَقسَامٍ: (لزوم ما لا يلزم ط) وَيُعرفُ بِاللُّزُومِيَّاتُ، و(سَقطُ الزَّندِ ط)، و(ضَوءُ السَّقطِ خ)، وَقَدْ تُرجِمَ كَثيرٌ مِن شِعرِهِ إِلَى غَيرِ العَربيَّةِ، وَأَمَّا كُتُبُهُ فَكثيرةٌ، منها: كتاب (الأيك والغصون) في الأدب، يربى على مئة جزء، و(عبث الوليد ط) شرح به ونقد ديوان البحتريّ، وَغَيرها، تُوفِّيَ سَنةَ (٤٤٩هـ/ ١٠٥٧م)، له ترجمة في: تأريخ بغداد ٤/ ٤٦٣، ومعجم الأدباء ١/ ٢٩٥، وإنباه الرواة ١/ ٨١، ووفيات الأعيان ١/ ١١٣، والسلوك في طبقات العلماء ١/ ٢٥٦، وتأريخ الإسلام ٩/ ٧٢١، وسير أعلام النُّبلاء ١٨/ ٢٣، وميزان الاعتدال ١/ ١١٣، والوافي بالوفيات ٧/ ٦٢، والبلغة ٧٥، ولسان الميزان ٢٠٣، وديوان الإسلام ٤/ ١٨٧، والأعلام ١/ ١٥٧، ومعجم المؤلِّفين ١/ ٢٩٠.

(١) ديوان ابن خفاجة الأندلسّي ٥٧.

- ابنُ خَفَاجَةَ الأَندَلسيُّ: أَبو إِسحَاقَ إِبرَاهِيمُ بنُ أَبي الفَتح بنِ عَبدِ الله بنِ خَفَاجَة الهَوَاريُّ الأَندلسِيُّ الشَّاعِرُ، مِن جَزيرةِ شَقَر، كَانَ مُقِيمًا بِشرقِ الأَندُلس، وَلَم يَتَعَرَّض لِاستِبَاحَةِ مُلوكِ طَوائِفِهَا مَع تَهافُتِهِم عَلَى أَهلِ الأَدَبِ، وَلَهُ دِيوانُ شِعرٍ مَشهورٍ، تُوفِّيَ سَنةَ (٥٣٣هـ).

له ترجمة في: وفيات الأعيان ١/ ٥٦، وسير أعلام النُّبلاء ٢٠/ ٥١، والوافي بالوفيات ٦/ ٥٥، والأعلام ١/ ٥٧.

(٢) في (الديوان): (خوَّار) في موضع (جرَّار)، و(الشأو) في محل (الساق).

(٣) في (الأصل): (يزجرونه) في موضع (يَزْجُرُوا بِهِ).

(٤) ديوان صفيِّ الدين الحِلِّيّ ٢٣٤.

- صَفِيّ الدين الحِلِّيّ: عَبدُ العَزيزِ بنُ سَرَايَا بنِ عَليِّ بنِ أَبِي القَاسِمِ السُّنْبُسيُّ الطَّائِيُّ: شَاعِرُ عَصرِهِ، وُلِدَ وَنَشأَ فِي الحِلَّةِ، وَاشتَغَلَ بِالتِّجَارةِ، فَكانَ يَرحلُ إِلَى الشَّامِ وَمِصرَ وَمَاردين وَغَيرِهَا، فِي تِـجَارَتِهِ، وَيَعودُ إِلَى العِرَاقِ، وَانقَطعَ مُدَّةً إِلَى أَصحَابِ مَاردين، فَتَقَرَّبَ مِن مُلوكِ الدَّولَةِ=

١.وَأَغَــرَّ تِــبْرِيِّ الإِهَــابِ مُــوَرَّدٍ سَبْـطِ الأَدِيــمِ مُحَجَّـلٍ بِـبَـيَـاضِ[١]
٢.أَخْشَى عَلَيْهِ بِأَنْ يُصَابَ بِأَسْهُمِي مِمَّـا يُـسَـابِـقُـهَـا إِلَى الأَغْــــرَاضِ[٢]

وقال أيضا:[٣] [من البسيط]

٣.وَأَدْهَـمٍ يَقِقِ التَّحْجِيلِ ذِيْ مَرَحٍ يَمِيْسُ مِـنْ عُجْبِهِ كَـالشَّـارِبِ الثَّمِلِ
٤.مُطَهَّمٍ مُشْرِفِ الأُذْنَـيْنِ تَـحْسَبُهُ مُوَكَّلًا بِاسْتِرَاقِ السَّمْعِ عَنْ زُحَـلِ[٤]
٥.رَكِـبْـتُ مِـنْهُ مَطَا لَـيْـلٍ تَسِيرُ بِهِ كَوَاكِبٌ تُلْحِقُ الـمَحْمُولَ بِالـحَمَلِ[٥]
٦.إِذَا رَمَـيْـتُ سِهَامِي فَـوْقَ صَهْوَتِهِ مَـرَّتْ بِـهَادِيْهِ وَانْحَطَّتْ عَـلَى الكَفَلِ

وَقَالَ صَلَاحُ الدِّينِ الصَّفَدِيِّ:[٦] [من السريع]

=الأَرْتَقِيَّةِ، وَمَدَحَهم، وَأَجزلَوا لَهُ عَطَايَاهُم. وَرَحَلَ إِلَى القَاهِرةِ سَنةَ (٧٢٦هـ)، فَمَدحَ السُّلطانَ المَلكَ النَّاصِر، وَتُوفِّيَ في بَغدَادَ سَنَةَ (٧٥٠هـ/ ١٣٤٩م)، لَهُ (ديوان شعر)، و(العاطل الحالي)، وغيرها، وللشيخ عليّ الحزين المتوفَّى سنة (١١٨١هـ) كتاب (أخبار صفيِّ الدين الحِلِّيّ ونوادر أشعاره). له ترجمة في: فوات الوفيات ٢/ ٣٣٥، وأعيان العصر ٣/ ٦٨، والوافي في الوفيات ١٨/ ٢٩٢، والدرر الكامنة ٣/ ١٦٥، والمنهل الصافي ٧/ ٢٧٤، وديوان الإسلام ٢/ ١٦٢، والبدر الطالع ١/ ٣٥٨، والأعلام ٤/ ١٧، ومعجم المؤلِّفين ٥/ ٢٤٧، مجاني الأدب ٦/ ٣٠٨، ومعجم أعلام شعراء المدح النبويّ ٢٢٨.

(١) الديوان: (مردد).

(٢) الديوان: (يسابقني).

(٣) ديوان صفيِّ الدين الحِلِّيّ: ٢٣٣.

(٤) في (الأصل): (مضمر) في محل (مطهم).

(٥) المَطَا: الظَّهْرُ، لامتدادِه. (التاج ٣٩/ ٥٤١).

(٦) الروض الباسم: ٢٠٤، أنوار الربيع ٤/ ٢٤٤، عقد الأجياد ٤٧.

- صَلَاح الدِّين الصَّفَدي: خَليل بنُ أَيبَك بنِ عَبدِ الله الصَّفَدي، صَلاحُ الدِّينِ: أَديبٌ، مُؤَرِّخٌ، كَثيرُ التَّصَانِيفِ المُمتِعَةُ. وُلِدَ فِي صَفَد (بفلسطين) وَإِليهَا نِسبَتُهُ. وَتَعلَّمَ فِي دِمشقَ فَعَانَى صِنَاعَةَ الرَّسمِ فَمَهرَ بِهَا، ثُمَّ وَلعَ بِالأَدبِ وَتَراجِمِ الأَعيانِ. وَتَولَّى دِيوَانَ الإِنشَاءِ فِي صَفَد وَمِصر وَحَلَب، ثُمَّ وَكَالَة بَيتِ المَالِ فِي دِمشقَ، فَتوفِّيَ فِيهَا سنة (٧٦٤هـ/ ١٣٦٣م)، لَهُ زُهَاءَ مِئَتَي مُصَنَّف، مِنهَا: (الوافي بالوفيات) في التراجم، و(الشعور بالعور)، و(نكت الهميان) وغيرها كثير. له ترجمة=

١. يَا حُسْنَهُ مِنْ أَشْقَرٍ قَصَّرَتْ عَنْهُ بُرُوقُ الجَوِّ فِي الرَّكْضِ
٢. لا تَسْتَطِيْعُ الشَّمْسُ مِنْ جَرْيِهِ تَرْسُمُهُ ظِلًّا عَلَى الأَرْضِ

أَقُولُ: انْظُر إِلَى حُسنِ تَصَرُّفِ المُتَأَخِّرينَ فِي مَعنَى بَيتِ عَلقَمَةَ كَيفَ تَفَنَّنُوا فِيهِ بِأَفَانِينَ وَسَبَكوهَا فِي لَفْظٍ أَجَادوا نَظْمَهُ وَإِنْ كَانَتِ العَربُ لَمْ تَغْفَل عَنْ هَذَا الَّذِي تَصَرَّفُوا فِيهِ؛ إِذ لَهَا فِي شِدَّةِ جَرِيَانِ الخَيلِ مَا يُشَاكِلُ تَصَرُّفَهُم وَيُضَاهِيهِ.

فَمِنْ ذَلِكَ قَولُ بَعْضِهِم وَهوَ أُبَيْ بنُ سَلمَى بنِ رَبِيعةَ بن زبان الضَّبِّيّ:(١) [من المتقارب]

١. سَبُوحٌ إِذَا اعْتَرَمَتْ فِي العِنَانِ مَرُوحٌ مُلَمْلَمَةٌ كَالحَجَرْ(٢)
٢. وَلَوْ طَارَ ذُو حَافِرٍ قَبْلَهَا لَطَارَتْ وَلَكِنَّهُ لَمْ يَطِرْ(٣)

وَقَولُ أَبِي البَيْدَا الأَعرَابِيّ أَوْ خلف أو ابن جهم المازنيّ:(٤) [من المتقارب]

٣. أَلَم تَرَنِي أَغْتَدِي فِي الصَّبَاحِ بِأَجْرَدَ كَالسِّيدِ عَبْلِ الشَّوَى
٤. كَأَنَّ بِمَنْكَبِهِ إِذْ جَرَى جَنَاحًا يُقَلِّبُهُ فِي الهَوَى

لَكِنَّ المُتَأَخِّرينَ أَجَادُوا بِحُسْنِ تَغَلْغُلِ أَفْكَارِهِم فِيهِ بِهذِهِ الزِّيَادَاتِ الفَائِقَةِ، وَنَظمِهِم أَفَانِينَهَا بِهَذِهِ الأَلفَاظِ الرَّائِقَةِ.

أَقُولُ: إِنِّي تَصَرَّفْتُ فِي هَذِهِ المُقَدِّمَةِ بِهذِهِ التَّصَرُّفَاتِ، وَمَيَّزْتُ فِيهَا مِنَ الشِّعرِ مَا بَينَ

=في: معجم الشيوخ للسبكيّ ١٧٨، والوفيات لابن رافع ٢/ ٢٦٩، وطبقات الشافعيَّة ٣/ ٨٩، والدرر الكامنة ٢/ ٢٠٧، وديوان الإسلام ٣/ ١٩٨، والبدر الطالع ١/ ٢٤٣، وفهرس الفهارس ٢/ ٧١١، والأعلام ٢/ ٣١٥، ومعجم المؤلِّفين ٤/ ١١٤، ومعجم حفَّاظ القرآن ٢/ ١٤٦.

(١) الخبر والشعر في شرح ديوان الحماسة للتبريزيّ ٢١٤.

(٢) اعْتَرَمَتْ: مِنَ العُرامِ، هي الشَّرَاسَةُ، والشِّدَّةُ، والقُوَّةُ. (التاج ٣٣/ ٧٧)، ومَرُوحٌ ومَرِيحٌ: صَفَقَتْها الرِّيحُ. (التاج ٦/ ٤١٦).

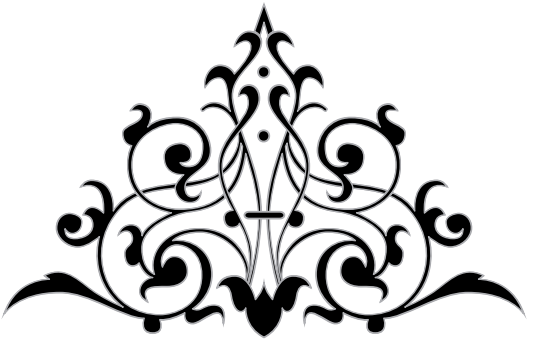
(٣) في المصدر: (فلو طار) في موضع (ولو طار).

(٤) البيتان من مقصورة أبي صفوان المازنيّ، ينظر: أمالي القالي ٢/ ٢٣٧-٢٣٩، والوسيط في تراجم أدباء شنقيط ٣٢٤-٣٢٩.

المُسْتَحَبَّاتِ، وَالمَكرُوهَاتِ، وَالمُبَاحَاتِ، وَالمُحَرَّمَاتِ؛ لِيُسْتَبَانَ لَكَ صَرِيحًا أَنَّ هَذَا الكِتابَ مِنَ المُسْتَحَبَّاتِ؛ لِأَنَّهُ تَضَمَّنَ مَدحَ زَعِيمَ المُؤْمِنينَ وَغِيَاثِهِم فِي شُهُبِ السِّنِينَ، وَالمُتَكَفِّلِ لَهم فِيمَا يَتكَأَدُهُم، وَالمُكَلَّفِ لَهُم فِي مَا يُجْهِدُهُم، وَلَا شَكَّ وَلَا شُبْهَةَ فِي أَنَّ التَّنْوِيهَ بِالمُؤمِنِ مِنَ المُسْتَحَبَّاتِ، فَكَيفَ إِذَا كَانَ التَّنْويهُ بِمَنْ هُوَ بَيضَةُ المُؤْمِنينَ فِي رَهَجِ المُعْضِلَاتِ؟! وَزَغَفُهَا إِذَا عَلَتهَا صَوَارِمُ الحَادِثَاتِ، وَحِصْنُهَا المَنيع، وَغَيثُهَا المَرِيع، عَلَى أَنَّ هَذَا مَفرُوغٌ مِنهُ؛ لِأَنَّ الكِتَابَ وَالسُّنَّةَ مَشحُونَانِ مِن مَدحِ المُؤْمِنينَ، وَالبَرَرَةِ المُتَّقِينَ.

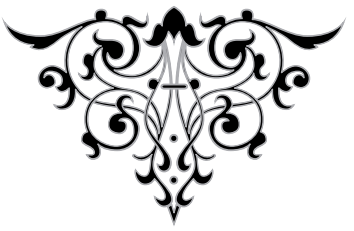
هَذَا آخِرُ مَا نَظَمْنَاهُ مِن عُقُودِ هَذِهِ المُقَدِّمَةُ، وَفَصَّلنَاهُ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ وَصَحْبِهِ الغُرِّ المَيامِينَ.





الباب الأول

نَقدُ قَصائدِ المديحِ في مديحِ شُعرَاءِ العَصرِ





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

البَابُ الأَوَّلُ فِي إِثْبَاتِ مَا ادَّعَينَا فِي أَوَّلِ الكِتَابِ مِن أَنَّ مَديحَ شُعَرَاءِ هَذَا العَصرِ لَا يَليقُ أَنْ يَكونَ فِي شَأنِ إِنسَانِ عَينِ الدَّهرِ عَلَمِ الجِحَاجِحِ الحَاجِّ مُحَمَّد صَالِح؛ لِأَنَّا لَـمَّا اعْرَضْنَا عَنهُ مِن هَذِهِ الحَيثِيَّةِ، فَلَا بُدَّ مِن إِثْبَاتِهِ بِهذِهِ الكَيْفِيَّةِ؛ لِئَلَّا يَظُنَّ الظَّانُّونَ أَنَّ مَا ادَّعَينَاهُ عَلَيهِم كَذِبٌ؛ لِأَنَّهُم يَرُونَ نِظَامَهُم كَاللُؤلُؤِ الرَّطْبِ، وَأَنَّهُم الفُصَحَاءُ المَشهُورُونَ فِي الفَصَاحَةِ، وَالبُلَغَاءُ المَعْلُومُونَ فِي البَلَاغَةِ، فَإِذَا كَانُوا بِهذِهِ الصِّفَةِ، فَمِنَ المُحَالِ تَصدِيقُ مَا ادَّعَينَاهُ إِلَّا بِإِقَامَةِ أَدِلَّةٍ أَوْضَحَ مِنَ الشَّمْسِ بِرَابِعَةِ النَّهَارِ، وَحُجَجٍ بَالِغَةٍ تَقْطَعُ لِسَانَ الخَصْمِ الأَلَدِّ وَلَو أَنَّهُ ضَبَّةُ صَارمٍ بَتَّارٍ، وَلَـمَّا كَانَ الأَمرُ كَذَلِكَ عَقَدنَا هَذَا البَابَ لِإِثبَاتِ مَا ادَّعَينَاهُ هُنالِكَ بِحُجَجٍ لَا تُقْطَعُ، وَأَدِلَّةٍ لَا تُدْفَعُ، وَسَتَقِفُ عَلَيهَا وَتَرَاهَا نَيِّرةَ البُرهَانِ، بَل تَرَى بِمُجَرَّدِ مَا نُنَبِّهُ عَلَيهِ مِن مَعَائِبِ شِعرِهِم أَنَّ شِعرَهُم كُلَّهُ هَذَيَانٌ، وَلَم يَحتَج إِلَى بَيانٍ.

وَلْنُشْرعَ أَوَّلًا فِي ذِكرِ شَيءٍ قَدَّمنَاهُ فِي هَذِهِ المُقَدِّمَةِ، يُريكَ إِذَا بَيَّنَاهُ أَنَّ شُعَرَاءَ عَصرِنَا لِلْشِّعرِ فِي نِظَامِهَا قَد أَوْهَت نَظْمَهُ.

فَأَقولُ: وَبِاللهِ المُستَعَانُ، إِنَّ غَالِبَ مَا رَسَمنَاهُ لِلشُّعَرَاءِ المُتَقَدِّمِينَ فِي هَذِهِ المُقَدِّمَةِ مِن إِنشَاءاتِهِم الَّتِي أَنْشَأوهَا ارْتِجَالًا فِي الخُطُوبِ المُستَعْظَمَةِ، مِثلَ كَلَامِ الحَارِثِ بنِ كَعْبٍ[1] لِولدِهِ لَـمَّا نَزَلَ بِهِ الحِمَام، وَمَنْ شَابَهَهُ مِمَّن ذَكَرنَا قَبلَهُ أَو بَعدَهُ فِي تِلكَ الحَوَادِثِ العِظَام، وَكَلَامِ أَطْفَالِهِم بَينَ يَدَي الجَبَابِرَةِ الَّتِي تَطِيرُ مِنهَا قُلُوبُ الآسَادِ بِالرَّهْب، وَقَدْ سُلَّتْ عَلَى

(١) مرَّت ترجمته في ٢٠٤.

رُؤُوسِهِم صَوَارِمُ العَطَبِ، وَجَمِيعُ مَا تَكَلَّمُوا بِهِ فِي تِلْكَ النَّوَائِبِ، هُوَ كَمَا تَرَاهُ مِن أَعْجَبِ العَجَائِب؛ لِأَنَّ أَنْفُسَهُم وَهِيَ مَشْتَغِلَةٌ بِالرَّهْبِ وَنُزُولِ الحِمَامِ، قَدْ أَبْدَعَت فِي ذَلِكَ النِّظَامِ، الَّذِي تَعْجَبُ مِنهُ الفُضَلَاءُ، وَتَبتَهِرُ مِنهُ النُّبَلَاءُ.

وَشُعَرَاءُ زَمَانِنَا وَهُم فِي أَمنٍ مِن جَمِيعِ هَذَا البَلَاءِ، إِذَا أَرَادَتْ أَنْ تَنظِمَ تُعَالِجُ مُعَالجَتَهُم سَكَرَاتِ المَوتِ فِي الإِنْشَاءِ، وَتَبقَى فِي نَظمِ البَيتِ الوَاحِدِ مُدَّةً مَدِيدَةً، فِي مِحنَةٍ شَدِيدَة، إِن أَصَابَتْ تَخَيَّلَتْ أَنَّهَا قَد أَخطَأَت بِنَظمِه، وَإِنْ أَخطَأَتْ ظَنَّتْ أَنَّهَا قَدْ أَصَابَتْ فِي نَظْمِ كَلِمِه.

وَسَيَتَّضِحُ لَكَ -إِذَا ذَكرتُ شَيئًا مِن نَظمِ شُعَرَاءِ هَذَا الزَّمَانِ- أَنَّ الشِّعرَ مَعَ أُولَئِكَ الَّذِينَ مَضَوا لُفَّ فِي الأَكفَانِ، وَلَم يَبقَ مِنهُ إِلَّا بَقَايَا رَوَائِحَ مِن أَورَادِه، فِي نُبَلَاءِ هَذَا الزَّمَانِ وَأَفْرَادِه، إِن نَظَمُوا لَم يَجِدُوا مَن يَفهَم دَقَائِقَ نَظْمِهِم، وَبَدَائِعَ كَلِمِهِم، وَإِنْ أَنْشَدَ عَلَيهِم شُعَرَاءُ زَمَانِهِم مَا نَظَموا؛ قَالوا: لَم يَفْهَمُوا مَا قُلنَا، وَإِنْ أَظهَرُوا مَا كَانَ مِنهُ مَعِيبًا؛ قَالُوا: اسْتَهزَأوا بِنَا، وَهَذِه الحَالَةُ مِنَ الجَهلِ الَّذِي يُعْيِي الأُسَاةَ طِبُّه[1]، وَيُضْحِكُ الحَزِينَ عَجَبُه.

فَانْظر بَعَينِ الاسْتِبصَارِ، فَإِنَّ الفَصَاحَةَ -كَمَا ذَكرتُ لَكَ سَابِقًا فِي المُقَدِّمَةِ- بَلَغَتْ عِندَ ظُهُورِ نَبِينَاﷺ غَايَتَهَا، وَرَفَعَتْ بُلَغَاءُ العَرَبِ رَايَتَهَا، وَقَد ذَكرنَا عِلَّةَ ذَلِكَ، ثُمَّ إِنَّهَا أَخَذَتْ بَعدَ ذَلِكَ فِي كُلِّ طَبَقَةٍ طَبَقَةً، فِي النُّزُولِ إِلَى أَنْ عَرَاهَا فِي طَبَقَتِنَا هَذَا الخَطبُ المَهُولُ، الَّذِي حَلَّأَهَا عَنِ البَدوِ وَالحَضَرِ، وَلَمْ يَدَعْ لَهَا اسْمًا يُذْكَر، سِوَى عِندَ أَفرَادٍ نُبَلَاءَ، مَا لَهُم فِي الأَرضِ مِن نُظَرَاءَ، تَرَاهُم إِنْ نَطَقُوا بِبَدَائِعِهَا لَمْ يَرَوا فِي الأَنَامِ لَهَا سَامِع، مَعَ أَنَّ أَغْلَبَهُم يَدَّعِي أَنَّهُ لِشَمْلِهَا جَامِع، وَهُوَ مَن بَلَادَتِهِ لَا يَفْهَمُ نُطْقَ لِسَانِه، وَلَا يُحَقِّقُ صَوْتَهُ وَلَو دَخَلَ فِي خُرُوقِ آذَانِه، إِلَّا أَنَّكَ تَعْجَبُ مِنْ رُؤْيَتِه، وَحُسْنِ هَيْئَتِه؛ لِأَنَّهُ لَا يَظْهَرُ

(١) الأساةُ: جَمعُ الآسِي: الطَّبِيب. (اللسان ١٤/ ٣٤).

لِلنَّاسِ إِلَّا بِهَيئَةِ الآحَادِ، الَّذِينَ مَا لَـهُم مِنْ أَنْدَاد، وَتَـحسَبُهُ إِنْ رَأَيْتَهُ لُفَّ فِي أَبْرَادِهِ الرِّقَاق، مِن فُضَلَاءِ الأَنَامِ عَلَى الإِطلَاقِ، إِن أَقْبلَ بِهذِهِ الهَيئَةِ عَلَى نَادِي العُلَمَاءِ قَامَت لَهُ إِجْلَالًا، وَأَحَلَّتهُ مِنهَا مَحَلًّا هُوَ كَالنَّجمِ قَد عَزَّ مَنَالًا، فَتُحَدِّث نَفْسَكَ وَتَقُول: اليَومَ قَدْ بَلَغَتُ مِنَ الفَصَاحَةِ المَأمُولَ، فَهَا أَنَا أَرَى مِن شَمَائِلِ هَذَا الأَلـمَعِيِّ الفَاضِلِ، النَّابِغَةَ الجَعْدِيّ[1]، وَسَحبَّانَ وَائِل[2]، وَتَـحتَ طَيلَسَانِهِ عَبدُ الشَّارِقِ بنُ عَبدِ العُزَّى[3]، وَجَرول[4]، وَفِي طَيِّ لِسَانِهِ حَطَّانُ بنُ المُعَلَّـى[5]، وَالسَّمَوْأَل[6]، بَل بُلَغَاءُ الجَاهِلِيِّين، وَفُصَحَاءُ الإِسلَامِيِّـينَ،

(١) مرَّت ترجمته في ٥٢.

(٢) سَحبَّان وَائِل: هُوَ سَحبَّان بنُ زُفَر بنِ إِياسٍ الوَائِلِيُّ، مِن بَاهِلَةَ: خَطيبٌ يُضـرَبُ بِهِ المَثَلُ فِي البَيانِ، يُقالُ (أَخطَبُ مِن سَحبَّان)، و(أَفصحُ مِن سَحبَّان)، اشْتَهَرَ فِي الجَاهِلِيَّةِ، وَعَاشَ زَمنًا فِي الإِسلام، وَكانَ إِذَا خَطَبَ يَسيلُ عَرَقًا، وَلَا يُعيدُ كَلمةً، وَلَا يَتَوَقَّفُ، وَلَا يَقعُدُ حَتَّى يَفرغَ، أَسلَمَ فِي زَمنِ النَّبِيِّ ﷺ وَلَمْ يَجتَمِع بِهِ، وَأَقَامَ فِي دِمشقَ أَيَّامَ مُعاويَةَ، وَلَه شِعرٌ قَليلٌ، وَأَخبَار. تُوُفِّيَ سَنةَ (٥٤هـ/ ٦٧٤م). له ترجمة في: الإكمال ٤/ ٢٦٧، وتأريخ دمشق ٢٠/ ١٤٣، الإصابة ٣/ ٢٠٦، الإعلام ٣/ ٧٩، والمؤتلف والمختلف ٣/ ١٣٤٢.

(٣) عَبْدُ الشَّارِقِ بْنُ عَبْدِ العُزَّى الـجُهَنيُّ: شاعر جاهليّ. ينظر: المبهج ١٢٦.

(٤) مرَّت ترجمته في ١٤٥.

(٥) حِطَّانُ بنُ المُعَلَّى الطَّائِيُّ: شَاعِرٌ إِسلَامِيٌّ، اشْتَهَرَ بِقَصيدَةٍ لَهُ، مِنهَا: (من السريع)

وَإِنَّـــمَا أَولَادُنَـــا حَـولَـنَـا ... أَكـبَـادُنَـا تَـمشِـي عَـلَى الأَرضِ

إِنْ هَـبَّـتِ الـرِّيـحُ عَـلَى بَعضِهِم ... تَمـتَـنِـعُ الـعَـينُ عَـنِ الـغَـمْـضِ

ينظر: العقد الفريد ٢/ ٢٧٤، وشرح ديوان الحماسة للتبريزيّ ١٠١، وجواهر الأدب ٢/ ٢٦٩، وجواهر البلاغة ١٧٧، وصيد الأفكار ٢/ ٣٧٨، والذخائر والعبقريَّات ١/ ٣٠.

(٦) السَّمَوْأَل بنُ غَريضِ بنِ عَادياءَ الأَزديُّ: شَاعرٌ جَاهليٌّ حَكيمٌ، مِن سُكَّانِ خَيبرَ (فِي شَمالِي المَدينَةِ) كَانَ يَتَنَقَّلُ بَينهَا وَبَينَ حِصنٍ لَهُ سَمَّاهُ (الأَبلَق)؛ وَيُقالُ مِن أَهلِ تَيماءَ، أَشهَرُ شِعرِه لَامِيَّتُهُ الَّتِي مَطلَعُهَا: (من الطويل)

إِذَا المَـرءُ لَم يُـدنَّـس مِـنَ الـلُّـؤمِ عِرضُهُ ... فَـكُـلُّ رِدَاءٍ يَـرتَـديـهِ جَمـيـلُ

وَهيَ مِن أَجودِ الشِّعرِ، وَفِي عُلماءِ الأَدَبِ مَن يَنسِبُهَا لِعَبدِ المَلكِ بنِ عَبدِ الرَّحيمِ الحَارثِيِّ، وَلَه (ديوان) صَغيرٌ، وَهُوَ الذى كَانَ امْرُؤ الْقَيْس اسْتَودَعَهُ سَلَاحَهُ، فَسَار إِلَيْهِ الْحَارِث بنُ أَبي شَمر=

فَتَخْبِطُ بَصَرَكَ بِرُؤيَتِهِ، وَتُوَجِّهُ جَمِيعَ حَوَاسِّكَ لِتُفَكِّهَا فِي ثِمَارِ بَلَاغَتِه، فَيَطولُ انْتِظَارُك، وَهوَ سَاكِتٌ لَمْ يَنطِقْ بِكَلِمَة، فَتَظُنُّ أَنَّ سُكُوتَهُ مِنْ وَقَارِه، وَحِلمِه، فَتُعَلِّلُ نَفْسَكَ بِأَنْ سَيَصِيرُ لَهُ لِـمُحَادَثَةِ هَؤلَاءِ الفُضَلَاءِ مَيل، فَيَنحَدِرُ عَلَينَا بِفَصَاحَةِ كَلَامِهِ انْحِدَارَ السَّيل، أَو يَكونُ لَهُ مُحَرِّكٌ مِنهُم لِلْكَلَامِ فَتَتَنَاثَرُ عَلَينَا لَآلِئُ أَلفَاظِهِ كَبَرَدِ الغَمَام، حَتَّى إِذَا ابْتُلِي لِيُحَاطَ بِفَصَاحَتِهِ خُبْرا، جَاءَ مِن رِدَائِهِ كَلَامُهُ بِالطَّامَّةِ الكُبْرَى، فَتَقولُ حِينَئِذٍ تَبًّا لـهَذَا المَنْظَرِ، إِذَ قَبُحَ بِهَذَا المَخْبَرِ:[1] [من السريع]

غَـطَّـى رِدَاءُ الـعِـزِّ عَـورَاتِـهِـمْ فَـافْـتَـضَـحـوا بِـالـذُّلِّ أَيَّ افْـتِـضَـاحْ

وَلَيْتَ شِعْرِي مَا ضَـرَّهُم لَو أَنَّهُم عَضُّوا عَلَى العِلْمِ بِضِـرسٍ قَاطِع، وَنَالوا فِيهِ مِنَ العِزِّ رِفْعَةً لَم تَنَلْهَا النُّجُومُ السَّوَاطِع، وَلَكِنْ تَعُسَ جِدُّهُم، إِذْ لَمْ يَبذُلوا فِيهِ جَهدَهُم، وَلَقَدْ نَظَرْتُ فِي شِعرِهِم فَوَجَدتُهُم عَلَى حَسَبِ مَا لِنِظَامِهِم نَقَدْتُ، وَبِعَينِ فِكرَتِي فِي أَلفَاظِهِ وَمَعَانِيهِ قَدْ تَفَكَّرتُ، مُعْتَمِدينَ عَلَى سَلَائِقِهِم[2]، فِي نَظمِ قَصَائِدِهِم، لاَ يَنْظُرونَ ضَوَابِطَ قَوَاعِدَ النَّظمِ مِنْ عِلمِ المَعَانِي وَالبَيَانِ -مَعَ أَنَّ كُلًّا مِنهُم يَزعُمُ أَنَّهُ انْطُوَى فِي عِلمِهِ (المُطَوَّلُ) وَ(التِّبيَان)[3]- وَلاَ إِلَى بُحُورِهِ وَأَعَارِيضِهَا، وَصِيغِ التَّفَاعِيل، مَعَ أَنَّ كُلاًّ مِنهُم يَـحسَبُ

=الغَسَّانِيّ فَطَلَبُهُ، فَأَغلَقَ الْـحِصنَ دُونَهُ، فَأَخَذَ ابْنًا لَهُ خَارِجًا مِنَ الْقَصرِ، وَقَالَ: إِمَّا أَن تُؤَدِّي إِلَى السِّلَاحَ، وَإِمَّا أَن أَقتُلَهُ، قَالَ: اقْتلهُ فَلَنْ أُؤدِّيهَا، تُوفِّيَ (نحو ٦٥ق.هـ/ ٥٦٠م).

ينظر: طبقات فحول الشعراء ١/ ٢٧٩، الإصابة ٣/ ٢١٣، الأعلام ٣/ ١٤٠

(١) ديوان الشريف الرضيّ ١/ ١٩٨.

(٢) السَّلَائِقُ: جَمعُ السَّلِيقَةِ، والسَّليقَةُ: الطَّبيعَةُ وَالسَّجِيَّةُ، والسَّلِيقِيَّة أَي اللُّغَةُ الَّتِي يَسْتَرْسِلُ فِيهَا الْـمُتَكَلِّمُ عَلَى سَلِيقته، أَي سَجِيَّتِهِ وَطَبِيعَتِهِ مِنْ غَيْرِ تَعَمُّدِ إِعراب وَلَا تَـجَنُّبِ لَـحْنٍ. (اللسان ١٠/ ١٦١).

(٣) الـمُطَوَّل لِسَعد الدِّين التَّفْتَازَانيّ (المتوفَّى ٧٩٢هـ)، فِي البَلَاغَةِ، هُوَ شَـرحٌ مُطَوَّلٌ لِكتَابِ (تَلخيص المفتاح). الذريعة ٦/ ٢٠٢، والأعلام ٧/ ٢١٩.

- التبيان في البيان للإمام الطيبيّ (المتوفَّى ٧٤٣هـ)، إعـداد عبد الستار حسين مبروك، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.

أَنَّهُ الخَلِيل[1]، وَلاَ عَنْ حُرُوفِ القَافِيةِ، وَحَرَكَاتِهَا، وَعُيوبِهَا، أَحَدٌ مِنهُم فَتَّش، مَعَ أَنَّ كُلًّا مِنهُم يَعُدُّ نَفْسَهُ أَنَّهُ فِي عِلمِهَا الأَخْفَش[2]، بَلْ كُلُّ فَنٍّ مِن عُلُومِهِ أَنْفُسُهُم مِنهُ خَلَتْ، وَعَنْهُ فِي نِظَامِهَا عَلَى سَلَائِقِهَا اتَّكَلَتْ، وَلَم تَكُنْ سَلَائِقُهَا حَسَنةً، فَتكونُ لِبدَيعِ النِّظَامِ بِحَسَبِ طَبعِهَا مُتقِنَةً، كَالخَبَّازِ البَلَدِيِّ[3]، إِنَّهُ قَد كَانَ أَديبًا أَلمعِيًّا -عَلَى مَا ذَكَرهُ الثَّعَالِبِيُّ- مَعَ أَنَّهُ أُميٌّ لَم يَقرَأِ الكِتَابَ، وَيَنْظِم بِحَسَبِ طَبْعِهِ الشِّعرَ الرَّقِيق، فِي المَعنَى الدَّقِيق، وَيُتْقِنُهُ أَحسَنَ الإِتقَانِ، وَأَكثَرُ مَا يَقْتَبِسُ فِيهِ مِنَ القُرآنِ، كَقَولِه:[4] [من الكامل]

١. سَارَ الحَبِيبُ وَخَلَّفَ القَلْبَا ... يُبْدِي العَزَاءَ وَيُظْهِرُ الكَربَا

٢. قَدْ قُلتُ إِذْ سَارَ السَّفِينُ بِهِ ... وَالشَّوقُ يَنْهَبُ مُهْجَتِي نَهبَا

٣. لَوْ أَنَّ لِي عِزًّا أَصُولُ بِهِ ... لَأَخَذْتُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصبَا[5]

---

(١) مرَّت ترجمته في ١٩٣.

(٢) الأَخْفَشُ الأَوْسَطُ: سَعيدُ بنُ مسعَدةَ المُجَاشِعيُّ ثُمَّ البَصريُّ، نَحويٌّ، عَالِمٌ بِاللُّغَةِ وَالأَدبِ، مِن أَهلِ بَلخٍ. سَكنَ البَصرةَ، وَأَخذَ العَربيةَ عَن سِيبويهِ. وَصَنَّفَ كُتبًا، مِنهَا: (تَفسيرُ مَعَاني القرآن)، و(شرح أبيات المعاني)، وزاد في العَروضِ بَحرَ (الخَبب)، وَكَانَ الخَليلُ قَد جَعلَ البُحورَ خَمسةَ عَشرَ، فَأَصبَحت سِتَّةَ عَشر. تُوفِّيَ سنة (٢١٥هـ/ ٨٣٠م). ترجمته في: نزهة الألباء ١/ ١٠٧، ومعجم الأدباء ٣/ ١٣٧٤، وإنباه الرواة ٢/ ٣٦، ووفيات الأعيان ٢/ ٣٨٠، وسير أعلام النُّبلاء ١٠/ ٢٠٦، والوافي بالوفيات ١٥/ ١٦٦، وبغية الوعاة ١/ ٥٩٠، والأعلام ٣/ ١٠١.

(٣) الخَبَّازُ البَلَدِيُّ مُحمَّدُ بنُ أَحمدَ بنِ حَمدَانَ المَعروفُ بِالخَبَّازِ البَلَدِيِّ، نِسبةً إِلَى بَلَدٍ، وَهِيَ مدينة بِالجَزيرةِ الَّتِي مِنهَا المُوصِل، هِي الآنَ مَركزُ قَضَاءِ بَلَد، مِن مُحَافَظَةِ صَلاحِ الدِّينِ، قَالَ صَاحِبُ اليَتيمَةِ: وَمن عَجِيب شَأْنه أَنَّه كَانَ أُمِيًّا وَشِعرُهُ كُلُّهُ مُلَحٌ، وَتُحَفٌ، وَغُرَرٌ، وَطُرَفٌ، وَلَا تَخْلُو مَقْطُوعَة لَهُ مِن مَعنًى حَسَن، اَوْ مَثلٍ سَائِرٍ، وَكَانَ حَافِظًا لِلقُرآنَ يَقتَبِسُ مِنهُ.
ينظر: يتيمة الدهر ٢/ ٢٤٤، والوافي بالوفيات ٢/ ٤٣.

(٤) يتيمة الدهر ٢/ ٢٤٥، والمحمدون من الشعراء ٤٢/ ٦٤٦، والوافي بالوفيات ٢/ ٤٣، والكشكول ١/ ٨٤.

(٥) الشَّاعِرُ يَقْتَبِسُ مِنْ قَولِهِ تَعَالَى: ﴿.. **وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا**﴾ (الكهف/ ٧٩).

وَكَقَولِهِ مِن هَذَا البَابِ، وَقَد أَعْجَبَ غَايَةَ الإعْجَابِ:(١) [من الطويل]

١.كَـأَنَّ يَمِيني حِـينَ حَـاوَلْـتُ بَسْطَهَا لِتَوديعِ إِلْفِي وَالهَـوَى يَـذْرِفُ الدَّمْعَا
٢.وَقَائِلَةٍ هَلْ تَمْلِكُ الصَّبْرَ بَعْدَهُمْ؟! فَقُلْتُ لَهَا: لَا وَالَّذِي أَخْرَجَ الْـمَرْعَى(٢)
٣.يَمِينُ ابْنِ عِمرَانَ وَقَدْ حَاوَلَ الْعَصَا وَقَدْ جُعِلَتْ تِلْكَ الْعَصَا حَيَّة تَسْعَى(٣)

وَلَيتَهُم كَانُوا مِثلَهُ، وَرُزقوا قَولَهُ، وَأَنَّى يَكونُونَ مِثلَهُ؟! وَالشِّعرُ رَفِيعٌ مَقَامُهُ، بَعيدٌ مَرَامُهُ، فَهوَ فِي شَأْوِهِ العَلِيِّ؛ كَمَا قَالَ مِهيَارُ الدَّيْلَمِيّ:(٤) [من الطويل]

وَمَـا الشِّعرُ إِلَّا الـنَّـسْرُ بُعدًا وَصُـورَةً فَلَو شَـاءَ لَـمْ يُطْمِعْ يَـدًا فِيهِ رَافِـعُ(٥)

وَالعَجَبُ مِنهُمْ حِينَ زَعَمُوا أَنَّ رِقَابَهُم قَامَتْ بِحَمْلِهِ، وَهيَ مَائِلَةٌ مِن عِبءِ ثِقلِهِ، وَحَسِبوا مُذْ قَعْقَعُوا دُونَهُ الأَبوَاب، أَنَّهُم وَصَلوا إِلَى مَا وَصَلَتْ إِلَيهِ مِن غَايةِ نَظْمِهِ أُولُو الأَلبَاب، بِنَظمِهِم الَّذِي أَخذَوهُ بِلَفظِهِ وَمَعَانِيه، مِن كُلِّ كَامِلٍ نَبيهٍ، وَأَبرَزُوهُ بِقَالَبٍ يَنْفُرُ مِنهُ الطَّبعُ، وَيَسْتَكُّ مِن اسْتِمَاعِهِ السَّمْعُ، وَحُقَّ لِـمَنْ سَمِعَ مِنهُم تِلكَ الأَشْعَارَ أَنْ يَتَمَثَّلَ بِقَولِ المِهْيَار:(٦) [من البسيط]

١.رَحِمْـتُ قَـوْمًـا وَقَـدْ مَـالَـتْ رِقَـابُهُـمُ تَحْـتَ القَريضِ فَظَنُّوا أَنَّهُـم حَمَلُـوا(٧)
٢.وَقَعْقَعُوا دُونَـهُ الأَبـوَابَ فَاعْتَقَدُوا بِـطُـولِ مَـا قَـرَعُـوهَـا أَنَّهُـمْ وَصَـلُـوا
٣.وَحَظُّهُم مِنهُ حَظُّ النَّاقِفَاتِ رَجَتْ أَنْ يُـجْتَنَى مِنْ هَبِيدِ الـحَنْظَلِ العَسَلُ(٨)

(١) يتيمة الدهر ٢/ ٢٤٤، والبديع في نقد الشعر ٢٥٥، والمحمدون من الشعراء ٤١، والوافي بالوفيات ٢/ ٤٣.

(٢) الشَّاعِرُ يستفيد مِنْ قَولِهِ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ الْـمَرْعَى﴾ (الأعلى/ ٤).

(٣) الشَّاعِرُ يقتبس مِنْ قَولِهِ تَعَالَى: ﴿فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى﴾ (سورة طه/ ٢٠).

(٤) ديوان مهيار الديلميّ ٢/ ١٩٦.

(٥) في (الديوان): (النشر) في موضع (النسر).

(٦) ديوان مهيار الديلميّ ٣/ ١١٦.

(٧) في (الديوان): (وما مالت) في موضع (وقد مالت).

(٨) النَّقْف كَسْر الهَامَّةِ عَنِ الدِّمَاغِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ، كَمَا يَنْقُف الظَّلِيمُ الحنْظل عَنْ حَبِّهِ. (اللسان=

٤.تَشَرَّعُوا فِي بُحُورٍ مِنهُ طَامِيَةٍ ... وَالمِنْبَعِ العَذْبُ فِيهَا بَينَهَا وَشَلُ[١]
٥.مَحَجَّةٌ سُبْلُهَا البَيْضَاءُ خَافِيَةٌ ... وَكُلُّهَا مِنْ مَرَايَا أَعْيُنٍ سُبُلُ[٢]
٦.وَالصُّحْفُ تُمْلَأُ، وَالأَقْلَامُ مُتْعَبَةٌ ... وَكُلَّمَا سَمِعوا مِنْ خَاطِبٍ نَقَلوا
٧.وَالقَولُ وَالنَّقلُ مَخْلُوقَانِ فِي عُدَدٍ ... قُلْ كُلَّمَا تَخْلُقُ الأَسْمَاعُ وَالمُقَلُ
٨.لَا يُكْسَبَانِ بِتَقْلِيدٍ وَلَا أَدَبٍ ... وَلَا يُفِيدُهُمَا عِلْمٌ وَلَا عَمَلُ[٣]

وَإِنِّي وَأَيمُ اللهِ لَأَعْجَبُ غَايَةَ العَجَبِ مِنْ مِهيَارَ الدَّيلَمِيِّ، أَيَّ قَومٍ رَحِمَهُم مِن شُعَرَاءِ عَصرِهِ؟! وَأَفرَادِ دَهرِهِ؟! وَكُلٌّ مِنهُم خَطِيبٌ مُصْقَعٌ وَبِنَظِمِ سِمْطِ فَرَائِدِهِ مُبْدِعٌ، وَأَوْضَعَهُم مِنْزِلَةً فِي نَظمِ الشِّعرِ هَذَا الخَبَّازُ البَلَدِيّ الَّذِي أَبْدَعَ فِي نَظْمِهِ هَذَا الإِبْدَاعَ وَهوَ كَمَا تَرَاهُ إِذَا أَنْشَدَ يَسْتَوقِفُ الأَسمَاعَ، عَلَى أَنَّ فُحولَ شُعَرَاءِ عَصرِهِ يُحَيِّرِ العُقُولَ شِعرُهُم، وَمَعَ هَذَا يَقولُ: رَحِمتُ مِنهُم! فَلَو رَأَى شُعَرَاءَ عَصرِنَا وَهُم يَنْظِمُونَ مِن غِلَظِ أَلفَاظِهِم آجُرًّا، وَيَحسِبُونَ أَنَّهُم يَنْظِمُونَ دُرًّا، وَيُودِعُونَهَا مَعَانِيَ أَثْقَلَ عَلَى قُلُوبِ الأَلِبَّاءِ مِنَ الجِبَالِ، وَيَقُولُونَ هَذَا هُوَ السِّحرُ الحَلَالُ، وَيُشَاهَدُ كُلًّا مِنهُم أَصْبَحَ بَاقِلا[٤]، وَهوَ يَزعَمُ أَنَّهُ سَحبَانُ، شَرَّفَ فِي فَصَاحَتِهِ وَائِلا[٥]، لَلَطَمَ حُزْنًا عَلَى الأَدَبِ، وَبَكَى بُكَاءَ الثَّاكِلاَتِ

=٩/ ٣٣٩)، الهَبيد: الْحَنْظَلُ يُكْسَرُ ويستخرجُ حَبُّهُ ويُنْقَع لِتَذْهَبَ مَرارته، ويُتَّخذ مِنْهُ طَبِيخٌ يُؤْكَلُ عِنْدَ الضَّرُورَةِ. (اللسان ٣/ ٤٣١).

(١) في (الأصل): (المنبض) في موضع (المنبع)، وشَرَعَتِ الدوابُّ فِي المَاءِ تَشْرَعُ شَرْعًا وشُرُوعًا أَي دخلت. (اللسان ٨/ ١٧٥)، وهؤلاء دخلوا في بحور الشعر المتلاطمة من غير علم ولا معرفة، والتشديد هنا للمبالغة.

(٢) المَحَجَّةُ: الطَّرِيقُ؛ وَقِيلَ: جادَّةُ الطَّرِيقِ. (اللسان ٢/ ٢٢٨).

(٣) قال: وَلاَ يُفِيدُهُمَا عِلْمٌ وَلَا عَمَلُ؛ لأَنَّ الشِّعرَ مَوهِبَةٌ أَصلًا.

(٤) بَاقِلُ الإِيَادِيّ: جَاءَ فِي الأمثَالِ: أَعْيَا مِنْ بَاقِل.
وَهوَ رَجلٌ جَاهِلِيٌّ، يُضرَبُ بِهِ المَثَلُ فِي العَيِّ، قِيلَ اشْتَرَى ظَبيًا بِأَحَدَ عَشرَ دِرهمًا فَمَرَّ بِقَوْمٍ، فَسَأَلوهُ بِكَم اشْتَرَيتَهُ، فَمَدَّ لِسَانَهُ وَمَدَّ يَدَيهِ يُرِيدُ (أَحَدَ عَشَرَ) فَشَرِدَ الظَّبْيُ، وَكَانَ تَحتَ إِبْطِهِ. الأعلام ٢/ ٤٢.

(٥) وَائِل: اسْمُ رَجُلٍ غَلَبَ عَلَى حَيٍّ، وَقَدْ يُجْعَلُ اسْمًا لِلْقَبِيْلَةِ فَلَا يُصْرَفُ، وَهُوَ (ابْنُ قَاسِط) بن=

عَلَى فَصَاحَةِ العَرَبِ، وَلَيْسَ العِرَاقُ وَحدَهُ مِن الأَدَبِ قَدْ خَلَا، لَكِنَّهُ مِن جَمِيعِ الأَرضِ قَوَّضَ مُتَرَحِّلَا، لَمْ تَبقَ مِنهُ إِلَّا بَقَيَّةٌ قَلِيلَةٌ، وَمَعَ هَذَا هِيَ عَلَى قُلُوبِ جَمِيعِ النَّاسِ ثَقِيلَةٌ، يَسْتَسْخِرُونَ مِن أَهلِهِ إِنْ أَنْشَدُوه، وَيَسْتَخِفُّونَ عُقُولَهُم إِن اسْتَحْسَنُوه، وَإِنْ صَارَ لِإِنشَائِهِ مُقْتَضًى مِنْ عُرسٍ أَو خِتَانٍ، أَو غَيرِ ذَلِكَ مِن تَهنِئَاتِ الإِخوَانِ -كَمَا هِيَ عَادَةُ السَّلَفِ المَاضِي مَا بَينَ الأَصْدِقَاءِ وَالخِلَّانِ، مِن ذَوِي الشَّرَفِ وَعُظَمَاءِ الشَّانِ[1]- قَالُوا هَذَا مُسْتَجَدٌّ قَد رَمَى نَفْسَهُ كَلًّا عَلَى النَّاسِ بِشِعْرِهِ، فَمَا أَثْقَلَه مِن جَمِيعِ أَبنَاءِ دَهرِه، وَإِنْ كَانَ مِنَ العُظَمَاءِ الَّذِينَ يَأنَفُونَ مِنَ الجِدَى، وَلَمْ يَسْتَرفِدُوا مِن عِفَّتِهِم فِي زَمَانِهِم مِنَ الكُرَمَاءِ أَحَدَا.

وَمِن هَذِهِ الحَيْثِيَّةِ أَهلُهُ تَرَكُوه، وَقَلَّتْ رَغْبَتُهُم فِيه فَلَم يُنْشِئُوه، حَتَّى كَادَ يُنْسَى اسْمُه، وَيَنْطَمِسُ رَسْمُه، وَقَد قِيلَ: إِنَّ لِكُلِّ إِنْسَانٍ عَيْنًا مِنَ الشِّعرِ، إِذَا استَعْمَلَهَا فَارَت، وَإِذَا تَرَكَهَا غَارَت، وَلَقَد تَحَقَّقَ فِي هَذَا الزَّمَنِ صِدقُ هَذِهِ الكِلِمَات، إِذْ غَاضَت فِيهِ مِنَ الأَنَامِ عُيونُهُ المُترَعَات، وَلَمْ يَبقَ مِنهَا إِلَّا رَشِيحُ ثِمَادٍ[2]، رَنَّقَ عَذبَهُ الجَهل[3]، فَغَدَا آجِنًا[4] إِذ كَدَّرَتهُ الأَغْبِيَاءُ بِالخَطَل، وَلَمْ يَكُن هَذَا العِلمُ وَحدَهُ فِي الدُّنيَا غَاضَ عُبَابُه، وَمَاتَت أَصْحَابُه، بَلْ فِيهَا كُلُّ العُلُوم، لَمْ يَبقَ مِن مَعَالِمِهَا إِلَّا الرُّسُوم، بَلْ أَكثَرُ العُلُومِ الجَلِيلَةِ لَا تَسمَعُ لَهَا اسْمًا، وَلَا تَعرِفُ لَهَا رَسْمًا، فَإِذَا كَانَ الأَمرُ بِهذِهِ الصِّفَة، فَلَا غَروَ إِذَا الشُّعَرَاءُ فَقَدَتْ فِي عِلمِ آدَابِهَا المَعرِفَة.

فَيَا أَسَفًا عَلَيهِم إِذ الزَّمَانُ مِنهُم قَدْ خَلَا، بَعدَ أَنْ كَانَ عِقْدُ جِيدِهِ فِي نِظَامِهِم مُفَصَّلَا، وَبِشَمْسِ عِلمِهِم أَيَّامُه مُنيرة، وَقَد سَمَا عَلَى الأَلسُنِ فِي فَصَاحَتِهِ شَاوًا عَلِيّا، إِذ أَنْزَلَ اللهُ

=هِنْبِ بْنِ أَفْصَى بنِ دُعْمِيٍّ بنِ جَدِيلَةَ (أَبُو قَبِيلَةٍ) مَعْرُوفَة. (التاج ٣١/ ٦٠).

(١) الشَّان: الشَّأْنُ بِالتَّخفِيفِ.

(٢) الثِّمادُ: الحُفَرُ يَكُونُ فِيهَا الماءُ الْقَلِيلُ.(اللسان ٣/ ١٠٥).

(٣) الرَّنْق: تُرَابٌ فِي المَاءِ مِنَ القَذى وَنَحْوِهِ. (اللسان ١٠/ ١٢٦).

(٤) الآجِنُ: الماءُ المتغيِّرُ الطعمِ واللونِ. (اللسان ١٣/ ٨).

عَلَى لُغَتِهِ أَعْظَمَ الكُتُبِ السَّمَاوِيَّة، فَجَعَلَهُ قُرآنًا عَرَبِيًّا، فَكَانَ مُعْجِزَةً لِنُبُوَّةِ خَاتِمِ الرُّسُلِ مُحَمَّدﷺ، وَلَم تَكُنْ لجَمِيعِ الأَنبِيَاءِ مِثلَهُ مُعْجِزَةٌ تُوجَد، وَلَا غَروَ لِذلكَ؛ لِأَنَّه إِذَا أَجلَت أَهلُهُ عَنِ الدُّنيَا فَلِمَن يَقْصُدُ فِيه؟ وَعَلَى مَن تُنْشَدُ مُحكَمَاتُ قَوَافِيه؟!

وَلْنَشرِعِ الآنَ فِي مَعَايِبِ شُعَرَاءِ هَذَا الزَّمَانِ.

فَأَقُولُ وَبِاللهِ الـمُستَعَانُ: إِنِّي لَـمَّا أَرَدْتُ أَنْ أَشْرِعَ فِي ذِكرِ نَظمِهِم، وَأُظْهِرُ مَا خَفِيَ فِيهِ عَلَيهِم مِن خَطَئِهِم، بَحَيثُ يَرَونَهُ عَيانًا لَا يُمْكِنُ إِنكَارُه، وَلَا يَتَغَطَّى بِزَخَارُفِ الأَقوَالِ إِظْهَارُه، فَرَأَيتُ إِنْ ذَكَرتُ مَا كَانَ مَعِيبًا مِن مُجمَلِ شِعرِهِم، لَم يَثْبُت مَا ادَّعَينَاهُ فِي نَظْمِهِم، مِن حَيثُ يُقَالُ انْتَقَدتَ مِن كُلِّ شَاعِرٍ بَيْتًا أَو بَيتَينِ وَهَذَا مِمَّا يُسَامَحُ بِهِ الشَّاعِرُ؛ لِأَنَّهُ لَم يَكنْ مُسَدَّدًا فِي جَمِيعِ مَا نَظَمَ، وَمُسْتَحِيلٌ مِن هَذَا أَن تَسلَمَ جَمِيعُ الشُّعَرَاءِ؛ لِأَنَّهم غَيرُ مَعصُومِينَ، وَلَا بُدَّ مِن أَنْ تَزِلَّ بِهِم القَدَم، فَكَيفَ يَكونُ مَقَالُ المَرءِ مِنهُم صَحِيحًا فِي كُلِّ مَا نَظَم؟! وَلَو عَقَدنَا لِـمَعَايِبِ شِعرِ كُلِّ شَاعِرٍ مِنهُم بَاب، يَطولُ الكَلامُ فَيَفُوتُ غَرَضُنَا فِي هَذَا الكِتَاب.

فَلَم أَجِد إِلَّا أَن أَذكُرَ قَصِيدَةً تَامَّةً لِأَغْزَرِهِم عِلْمًا، وَأَحْسَنِهِم فِي الشِّعرِ نَظْمًا، وَأُظْهِرُ فِيهَا مَعَايِبًا غَيرَ مُغْتَفَرةٍ، بِحَيثُ تُكونُ جَمَّةً كَثِيرَةً، حَتَّى تَشْهَدَ -إِذَا ذَكرنَا لِسَائِرِهِم عُيوبًا، وَلَو مِن قَصَائِدَ شَتَّى- أَنَّهُم كُلُّهُم عَلَى هَذِهِ الوَتِيرةِ، فَعَمَدتُ إِلَى قَصِيدَةٍ لَهَا عِندَهُم شَأنٌ عَلِيٌّ، لِسَيِّدٍ نَظَمَهَا فِي مَدحِ أَرفَعِ الأَمَاجِدِ قَدْرًا، وَأَعظَمِهِم فَخْرًا، دِيمَةِ الـمَنَائِحِ، الحَاجِّ مُحَمَّدٍ صَالِحٍ، لَـمَّا قَدِمَ النَّجَفَ الأَشْرَفَ فِي صَدَقَاتِ الهِنْدِ، وَهِيَ مَالٌ عَظِيمٌ قَدِ التَمَسُوا مِنهُ -عَلَى سَكَنَةِ المَشَاهِدِ- أَنْ يُفَرِّقَه، إِذْ لَمْ يَجِدوا فِي هَذَا الزَّمَانِ غَيرَه -فِي العِرَاقِ- مَن يُعْطِي كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّه، وَلَـمَّا حَلَّ بِالنَّجَفِ الأَشرَفِ، وَأَنْشَدَهَا السَّيِّدُ بِحَضرَتِهِ، ابْتَهَرَ بِهَا أَعَاظِمُ فُضَلَائِهِم، وَعَامَّةُ شُعَرَائِهِم، وَإِنَّمَا كَانُوا يُعَظِّمُونَ شِعرَهُ مِن حَيثُ إِنَّ نَادِيهِ مَجمَعٌ لِفِحُولِ أُدَبَائِهِم، وَكَانَ إِذَا أَنشَأَ شِعرًا تَلَاهُ عَلَيهِم فَيُمَخِضُونَهُ

بِآرَائِهِم[1]، فَيُثْبِت مَا كَانَ عِندَهُم حَسَنًا وَيُغَيِّرُ مَا كَانَ بِالـجُمْلَةِ مَعِيبًا، وَمَا كَانَ قَبِيحًا مُسْتَهْجَنًا، فَيُنَقِّحُونَهُ مِن كُلِّ عَيبٍ -عَلَى زَعْمِهِم إِذْ يَزِيدُونَهُ حُسْنًا فِي دِقَّةِ نَظَرِهِم- فَإِذَا كَانَ هَذَا دَأْبَهُ وَدَأْبَهُم فِي الشِّعرِ الهَزَلِيِّ، فَمَا ظَنُّكَ فِي هَذهِ القَصِيدَةِ، وَفِي شَأنِ مَن سَمَا غَايَةَ الشَّـرفِ العَلِيّ، كَيفَ يُـجِيلُونَ آرَاءَهُم فِي مَعِيبِهَا، وَيُبَالِغُونَ فِي تَهذِيبِهَا عَلَى أَنَّهُم مِن إِعْجَابِهِم فِيهَا بَالَغُوا فِي حُسْنِ نَظمِ قَوَافِيهَا، حَتَّى إِنَّ مِنهُم مَن تَصَدَّى لِتَشْطِيرِهَا، فَشَطَّرَهَا وَزَعَمَ أَنَّهُ بِتَشْطِيرِهِ زَادَ حُسْنًا مَنظَرَهَا، وَمِنهُم مَن خَـمَّسَهَا وَحَسِبَ أَنَّ مِن أَبهَى عُقُودِ الكَلَامِ مِن تَخمِيسِهِ أَلبَسَهَا، وَانْتَدَبَ إِلَى التَّقْرِيظِ عَلَيهَا نَثْرًا بَعدَ أَنْ شَطَّرَهَا شَيخٌ عَامِلِيٌّ هوَ عِندَهُم فِي النَّثرِ كَالـحَرِيرِيِّ[2]، فَقَالَ، بَعدَ أَنْ ذَكَرَ جُـملَةً مِن تَقْرِيظِهِ، وَبَعدَ أَنْ ذَكرَ القَصِيدَةَ بِتَمَامِهَا:

وَلَـمَّا بَـرَزَتْ عَلَى هَذَا الوَجْهِ، وَاكْتَمَلَتْ، وَعَلَى قُصَارَى كُلِّ مَعنًى بَدِيعٍ بَلِيغٍ اشْتَمَلَتْ، تَتَهَادَى كَذَاتِ النِّطَاقَينِ، سَاحِبَةَ الوِشَاح، يُؤَذِّنُ بِلَالُ خَالِهَا عَلَى مَنَارةِ جَمَالِهَا: حِيَّ عَلَى المِلَاح، حَيَّ عَلَى المِلَاح، أَخَذتُ أَقْتَطِفُ مِن وُرُودِ أَزْهَارِهَا وَأَجْتَلِي بِأَنوَارِهَا وَأَجْتَنِي مِن جَنيِ ثِمَارِهَا مَا هُوَ أَحلَى مِنَ الشَّهدَةِ فِي فَمِ مُشتَارِهَا، وَقُلْتُ مُقَرِّظًا عَلَيهَا فِي الحَالِ بِـهَذِينِ البَيْتَينِ عَلَى سَبِيلِ الارْتِـجَالِ: [من الطويل]

(١) مَـخَضَ اللَّبنَ يَمْخَضُه ويَمْخِضُه ويَمْخُضُه مَـخْضًا، فَهُوَ مَـمْخُوضٌ ومَـخِيضٌ: أَخذ زُبْده. (اللسان ٧/ ٢٢٩).

(٢) الحَريريّ: القَاسِمُ بنُ عَليِّ بنِ مُحَمَّدِ بنِ عُثمانَ، أَبو مُحَمَّدٍ الحَريريُّ البَصـريُّ، الأَديبُ الكَبيرُ، صَاحِبُ (المَقَامَات الحَريريَّة)، كَانَ دَمِيمَ الصُّورَةِ غَزيرَ العِلمِ، مَولِدُهُ بِالمِشَانَ (بُلَيدَة فَوقَ البَصرَةِ)، وَوَفَاتُهُ بِالبَصرَةِ، وَنِسبَتُهُ إِلَى عَمَلِ الحَرِيرِ أَو بَيعِهِ. تُوفِّي سَنةَ (٥١٦هـ).
ينظر: تأريخ بغداد ٢١/ ١٦٥، ونزهة الألباء ٢٧٨، وخريدة القصر: ١/ ٥٩٩، ومعجم الأدباء ٥/ ٢٢٠٢، وإكمال الإكمال ٢/ ١٢٧، وتأريخ إربل ٢/ ١٤٠، والمثل السائر ١/ ٣٨، وإنباه الرواة ٣/ ٢٣، ووفيات الأعيان ٤/ ٦٣، وسير أعلام النُّبلاء ١٤/ ٣٣٨، والوافي بالوفيات ٢٤/ ٩٧، وطبقات الشافعية الكبرى ٧/ ٢٦٦، والبلغة ٢٣٤، وبغية الوعاة ٢/ ٢٥٧، وخزانة البغداديّ ٦/ ٤٦٢، والأعلام ٥/ ١٧٧، ومعجم المؤلِّفين ٨/ ١٠٨.

١. فَـرَائِـدُ أَهْـدَاهَـا فَـرِيـدُ زَمَـانِـهِ لِأَكْـــرَمِ أَرْبَـــابِ الـعُـلَا وَأَجَـلِّـهَـا
٢. فَقُلْتُ: نَفِيسَاتُ الجَوَاهِرِ أُهْدِيَت إِلَى أَهْـلِـهَـا مِـنْ أَهْـلِـهَـا فِي مَـحَلِّهَا

ثُمَّ إِنِّي لَـمَّا وَجَدْتُ مَدحَ ذَلِكَ الجَنَابِ المُهَاب، وَالمَوردَ العَذبَ المُسْتَطَاب، مِنَ الغَرضِ الوَاجِبِ، وَالضَّربِ اللَّازِب، عَمَدتُ إِلَى تِلْكَ الخَرِيدَةِ المَقصُورَة، وَالغَانِيةِ الفَائِقَةِ عَلَى أَتْرَابِهَا بِأَكْمَلِ هَيئَةٍ، وَأَجملِ صُورَةٍ، فَأَضَفْتُ إِلَى شُطُورِهَا بَعضَ الشُّطُور، وَحَلَّيتُ أَعْجَازَهَا وَصُدُورَهَا بِأَحْسَنِ مَا تَحَلَّت بِهِ نُحُورُ الـخُرَّدِ الـحُور، فَـزَادَ وَالـحَمْدُ لله حُسْنُهَا بِالتَّشْطِيرِ المَذكُورِ نُورًا عَلَى نُور، وَالتَّشطِيرُ المُشَارُ إِلَيهِ هُوَ هَذَا بِلَا خِلَافٍ وَالـحُكْمُ فِيهِ لِذَوي الإِنصَاف.

أَقولُ: لَا بَأسَ بِالمُنَاقَشَةِ فِي عُيوبِ هَذَا التَّقرِيظِ الفَاحِشَةِ، ثُمَّ نَذْكُرُ مَا كَانَ فِي هَذِهِ القَصِيدَةِ مِنَ العُيوبِ الوَاضِحَةِ المُسْتَغْنِيَةِ بِنَفْسِهَا عَنِ الإِظْهَار، وَعَرضِ عَمَّا كَانَ عَلَيهِ حِجَابٌ مِن غَوَاشِي الاسْتِتَار، فَمِنْ عُيوبِ هَذَا التَّقْرِيظِ الَّذِي غَيَاهِبُ خَطَلِهِ دَجَتْ، قَولُهُ: «وَعَلى قُصَارَى كُلِّ مَعنًى بَدِيعٍ بَلِيغٍ اشْتَمَلَتْ».

فَلَفظَةُ (قُصَارَى) هُنَا مِنَ الحَشوِ الَّذِي لَا طَائِلَ فِيهِ، وَتَطويلُ الكَلَامِ بَلَا طَائِلٍ مَعِيبٌ؛ لِأَنَّ خَيرَهُ مَا قَلَّ وَدَلَّ، فَلَو أَنَّهُ حَذَفَهَا، بَل لَو حَذفَ مَعهَا: (بديع أَو بَلِيغ) وَقَالَ: وَعَلَى كُلِّ مَعنًى بَلِيغٍ اشْتَمَلَتْ. لَكَانَ هَذَا الاخْتِصَارُ أَحْسَنَ وَأَفْصَحَ مِن ذَلِكَ التَّطويلِ؛ لِأَنَّهُ بِتَتَابعِ إِضَافَاتِهِ تِلكَ يَبقَى سَمعُ السَّامِعِ مُنْتَظِرًا -بِتَعَدُّدِهَا عَلَيهِ إِضَافَةٌ بَعدَ إِضَافَةٍ- مَا تَكونُ نَتِيجَتُهَا مَعَ مَا فِي تَتَابُعِهَا مِنَ الإِفْضَاءِ بِاللَّفْظِ إِلَى النَّقلِ عَلَى اللِّسَانِ.

وَقَـد أَجـمَـعَ عُـلَـمَاءُ المَـعـانِي وَالـبَـيـانِ عَـلَى أَنَّ تَـتَـابُـعَ الإِضَـافَـاتِ يُـخِلُّ بِالفَصَاحَةِ إِن ثَقُلَ اللَّفْظُ بِسَبَبِهِ عَـلَى الـلِّـسَـانِ، وَعَـابُـوا عَـلَى ابـنِ بَـابِـكَ[1]

(١) ابنُ بَابك: عَبدُ الصَّمَدِ بنُ مَنْصُورِ بنِ الحسَنِ بنِ بَابك البغدَادِيُّ الشَّاعِر المَشْهُور، أَحَدُ الشُّعَرَاء المُجِيدينَ المُكثرينَ، وَلَه دِيوَانٌ كَبِيرٌ وَأُسلُوبٌ رَائِقٌ فِي نَظمِ الشِّعْرِ، طَافَ الْبِلَادَ وَمَدَحَ الأَكابرَ كَعَضدِ الدَّولَةِ وَالصَّاحِبِ بنِ عَبَّاد وَغَيرهمَا، وَأَجزلوا لَهُ الجَوائِزَ وَذكرَ صَاحِبُ الْيَتِيمَة أَنَّهُ كَانَ=

في قَولِهِ:(١) [من الطويل]

حَمَامَةَ جَرعَا حَوْمَةِ الجَنْدَلِ اسْجِعِي فَأَنْتِ بِمَرأَى مِنْ سُعَادٍ وَمَسْمَعِ(٢)

وَتَتَابُعُ إِضَافَاتِهِ ظَاهِرٌ وَذَلِكَ أَنَّهُ أَضَافَ حَمامَةَ إِلَى جَرعَا وَأَضَافَ جَرعَا إِلَى حَومَةَ، وَأَضَافَ حَومَةَ إِلَى الجَندَلِ.

وَقَد قَالَ أَيضًا الصَّاحِبُ ابنُ عَبَّادٍ: إِيَّاكَ وَتَتَابُعَ الإِضَافَاتِ المُتَدَاخِلَةِ، فَإِنَّهَا لَا تَحسُن(٣).

وَلَا شَكَّ فِي أَنَّ الإِضَافَاتِ إِذَا تَدَاخَلَت وَأَدَّت بِتَدَاخُلِهَا إِلَى ثَقلِ اللَّفْظِ عَلَى اللِّسَانِ يَخِلُّ بِالفَصَاحَةِ، وَإِذَا لَم يُؤَدِّ إِلَى الثَّقلِ فَلَا وَجهَ لِإِخْلَالِهَا بِالفَصَاحَةِ، وَأَنَّى تَخِلُّ وَقَد وَقَعَ فِي التَّنْزِيلِ مِثلُ بَابِ قَومِ نُوحٍ وَقَد قَالَ رَسُولُ اللهﷺ الكَرِيمُ ابنُ الكَرِيمِ ابنِ الكَرِيمِ يُوسُفُ ابنُ يَعقُوبَ ابنِ إِسْحَاقَ ابنِ إِبرَاهِيمَ عليهم السلام(٤).

=يَشتُو فِي حَضْرَة الصَاحِبِ بنِ عَبَّاد، وَيَصيفُ فِي وَطَنِهِ. توفِّي سنة (٤١٠هـ/ ١٠٢٠م). ينظر: يتيمة الدهر ٣/ ٤٣٦، والإعجاز والإيجاز ١٨١، ولباب الآداب ٢٠٧، ومعاهد التنصيص ١/ ٦٤، والأعلام ٤/ ١١، ومعجم المؤلِّفين ٥/ ٢٣٧.

(١) المثل السائر ١/ ٣١٣، والإيضاح في علوم البلاغة ١/ ٣٧، ومعاهد التنصيص ١/ ٥٩، ونشوة السكران ٨٦، وجواهر البلاغة ٣٦، وبغية الإيضاح ١/ ٢٢.

(٢) نُلَاحِظُ كَثرةَ الإِضَافَاتِ المُتَتَابِعةِ فِي البَيتِ، فَفِيهِ إِضَافَةُ حَمامَةٍ إِلى جَرعَا، وَجَرعَا إِلَى حَومَةَ، وَحَومَةَ إِلَى الجَندَلِ.

- الجرعاء: تأنيث الأجرع قصرها للضرورة، الأَرضُ ذاتُ الحُزُونة تُشاكل الرملَ، وَقِيلَ: هِيَ الرملةُ السَّهلة المُسْتَوِيَةُ، وَقِيلَ: هِيَ الدِّعْص لَا تُنبِت شَيْئًا. (اللسان ٨/ ٤٦)، والحومة: معظم الشيء.(التاج ٣٢/ ٣٨)، والجَنْدَل: الحِجَارة. (اللسان ١١/ ١٢٨)، السَّجْعُ: الكلامُ المُقَفَّى وسَجَعت الحَمامَةُ، إذا رَدَّدَت صوتَها، ونحو ذلك. (التاج ٢١/ ١٧٩). وَالمَعنَى: أَيَّتها الحَمامَةُ الَّتِي تَعيشُ أَو تُحلِّقُ فِي هَذَا المَكانِ غِنِّي وَاصْدَحِي فَأَنْتِ بَحيثُ تَرَاكِ سُعادُ المَحبُوبَةُ وَتَسمَعُ صَوتَكِ، يُقَالُ: فُلانٌ بِمَرأَى مِنِّي وَمَسمَعٍ، أَي بِحَيثُ أَرَاهُ وَأَسمَعُ قَولَهُ.

(٣) معاهد التنصيص ١/ ٩٦٣.

(٤) مسند أحمد بن حنبل ٩/ ٥٢٣، وصحيح ابن حبَّان ١٣/ ٩٢، وشرح السنة للبغويّ ١٣/ ١٢٦،=

وَقيلَ: لَا نُسَلِّمُ تَتَابُعَ الإِضَافَاتِ فِي الحَديثِ، إِذْ لَفْظَةُ (الابنِ) صِفَةٌ لِمَا قَبلِهَا وَلَيْسَتْ مُضَافًا إِلَيهَا مَا قَبلُهَا.

وَقَالَ الشَّيخُ عَبدُ القَاهِرِ[1]: لاَ شَكَّ فِي ثِقلِ تَتَابُعِ الإِضَافَاتِ فِي الأَكثَرِ، لَكِنَّهُ إِذَا سَلِمَ مِنَ الاسْتِكرَاهِ مَلُحَ وَظَرُفَ[2] كَقَولِ ابنِ المُعتَزِّ[3]:[4] [من الطويل]

فَظَلَّتْ تُدِيرُ الكَأْسَ أَيْدِي جَآذِرٍ عِتَاقِ دَنَانِيرَ الوُجُوهِ مِلَاحِ

فَانْظُر لِتَتَابُعِ إِضَافَاتِ ابنِ المُعتَزِّ وَإِلَى سَلَاسَةِ لَفْظِهَا، فَإِنَّهَا تُريكَ بِقَولِهِ: عِتَاقِ دَنَانِيرِ الوُجُوهِ مِلَاحِ كَيفَ قَبُحَ تَتَابُعُ إِضَافَاتِ العَامِلِيِّ وَثِقلِهَا عَلَى اللِّسَانِ إِذَا فُهْتَ بِهَا وَقُلتَ:

=وسنن الترمذيّ ٥/ ١٤٤.

(١) عَبْد القَاهِر الجُرْجَاني: عَبدُ القَاهِرِ بنُ عَبدِ الرَّحمَنِ بنِ مُحمَّدٍ الجُرجَانِيُّ، أَبو بَكرٍ: وَاضِعُ أُصُولِ البَلَاغَةِ. كَانَ مِن أَئِمَّةِ اللُّغَةِ. مِن أَهلِ جُرجَانَ (بَينَ طَبرستان وَخُرَاسَان) لَهُ شِعرٌ رَقِيقٌ. مِن كُتُبِهِ: (أسرار البلاغة)، و(دلائل الإعجاز)، و(المغني) في شرح الإيضاح، ثلاثون جزءًا، وغيرها كثير، توفِّي سنة (٤٧١هـ/ ١٠٧٨م). له ترجمة في: دمية القصر ١/ ٥٧٨، ونزهة الألباء ٢٦٤، وإنباه الرواة ٢/ ١٨٨، ووسير أعلام النُّبلاء ١٨/ ٤٣٢، وتأريخ الإسلام ١٠/ ٣٣٢، والوافي بالوفيات ١١/ ٥١، وفوات الوفيات ٢/ ٣٦٩، وطبقات الشافعيَّة الكبرى ٥/ ١٤٩، وطبقات الشافعيِّين ٤٦٥، والبلغة ١٨٥، وبغية الوعاة ٢/ ١٠٦، والأعلام ٤/ ٤٨، ومعجم المؤلِّفين ٥/ ٣١٠.

(٢) دلائل الإعجاز ١٠٤، والصناعتَين الكتابة والشعر ٢٦٣، والإيضاح ١/ ٣٨، ومعاهد التنصيص ١/ ٦٠، وبغية الإيضاح ١/ ٢٣.

(٣) ابن المُعْتَزّ: عَبدُ الله بنُ مُحمَّدِ المُعتَزِّ باللهِ بنِ المُتَوَكِّلِ بنِ المُعتَصِمِ بنِ الرَّشِيدِ العبَّاسِيُّ، أَبو العَبَّاسِ: الشَّاعِرُ المُبدِعُ، خَلِيفةُ يَومٍ وَلَيلَةٍ. وُلِدَ فِي بَغدَادَ، وَأُولِعَ بِالأَدبِ، فَكَانَ يَقصدُ فُصَحَاءِ الأَعرَابِ وَيَأخُذُ عَنهُم. وَصَنَّفَ كُتبًا، مِنهَا: (الزهر والرياض)، و(البديع)، و(طبقات الشعراء)، وغيرها، آلت الخِلَافَةُ فِي أَيَّامِهِ إِلَى المُقْتَدِرِ العَبَّاسِيِّ، وَاستَصغَرهُ القُوَّادُ فَخَلَعُوهُ، وَأَقبلُوا عَلَى ابن المُعتَزِّ، فَلَقَّبوهُ (المرتضى بالله) وَبَايعُوهُ بِالخِلَافَةِ، فَأَقَامَ يَومًا وَلَيلَةً، وَوَثَبَ عَلَيهِ غُلمَانُ المُقتَدِرِ فَخَلَعُوهُ. وَعَادَ المُقتَدرُ، فَقبَضَ عَلَيهِ وَسَلَّمَهُ إِلَى خَادِمٍ لَهُ اسمُهُ مُؤنِس، فَخَنَقَهُ، وذلك سنة (٢٩٦هـ/ ٩٠٩م). الأعلام ٤/ ١١٨.

(٤) ديوان ابن المعتزّ ٢/ ٢٣٥.

وَعَلَى قُصَارَى كُلِّ مَعنًى بَدِيعٍ بَلِيغٍ اشْتَمَلَتْ.

وَمِن عُيوبِ هَذَا التَّقْرِيضِ الَّذِي هُوَ فِي غَايَةِ الإِيضَاحِ قَولُهُ: تَتَهَادَى كَذَاتِ النِّطَاقَينِ سَاحِبَةً الوُشَاحَ.

فَذَاتُ النِّطَاقَينِ هِيَ أَسْمَاءُ بِنتُ أَبِي بَكرٍ زَوجَةُ الزُّبَيرِ بنِ العَوَّامِ، وَقَد غَلَبَت عَلَيهَا هَذِهِ الصِّفَةُ فَكَانَت عَلَمًا لَهَا تُدعَى بِهَا بَينَ الأَنَامِ، وَمَا وُصِفَتْ بِهَا امْرَأَةٌ سِوَاهَا، وَإِذَا ذُكِرَت هَذِهِ الصِّفَةُ لَا تَتَعَدَّاهَا، وَمَا رَأَيتُ أَحَدًا مِنَ اللُّغَوِيِّينَ وَالعُلَمَاءِ المُؤَرِّخِينَ، وَلَا أَحَدًا مِنَ الشُّعَرَاءِ وَصَفَ بِهَا غَيرَهَا مِنَ النِّسَاءِ.

قَالَ ابنُ الأَثِيرِ فِي (النِّهَايَةِ):

المِنْطِقُ: النِّطَاقُ، وَجَمعُهُ مَنَاطِقُ، وَهوَ أَن تَلبَسَ المَرأَةُ ثَوبَهَا، ثُمَّ تَشُدُّ وَسْطَهَا بِشَيءٍ، وَتَرفَعُ وَسطَ ثَوبِهَا وَتُرسِلُهُ عَلَى الأَسفَلِ، عِندَ مُعَانَاةِ الأَشْغَالِ، لِئَلَّا تَعثَرَ فِي ذَيلِهَا، وَبِهِ سُمِّيَت ذَاتُ النِّطَاقَينِ أَسمَاءُ بِنتُ أَبِي بَكرٍ؛ لِأَنَّهَا كَانَت تُطَارِقُ نِطَاقًا فَوقَ نِطَاقٍ.

وَقِيلَ كَانَ لَهَا نِطَاقَانِ، تَلْبَسُ أَحَدَهُمَا وَتَحمِلُ فِي الآخَرِ الزَّادَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَأَبِي بَكرٍ وَهُمَا فِي الغَارِ، وَقِيلَ شَقَّتْ نِطَاقَهَا نِصفَينِ، فَاسْتَعْمَلَتْ أَحَدَهُمَا، وَجَعَلَت الآخَرَ شِدَادًا لِزَادِهِمَا[1].

وَقَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ فِي (رَبِيعِ الأَبرَارِ)[2] أَتَى عَبدُ الله بنُ أَبِي بَكرٍ الغَارَ لَيلًا بِسُفْرَةٍ وَمَعهُ

(١) النهاية ٥/ ٧٥.

(٢) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار: جار الله الزمخشريّ (المتوفَّى ٥٣٨هـ).
- الزَّمخشَريُّ: مَحمُودُ بنُ عُمرَ بنِ مُحَمَّد بنِ أَحمدَ الخَوَارزميُّ الزَّمخشَريُّ، مِن أَئِمَّةِ العِلمِ بِالدِّينِ وَالتَّفسِيرِ وَاللُّغَةِ وَالآدَابِ، وُلِدَ فِي زَمَخشَر (مِن قُرَى خَوَارِزم)، وَسَافَرَ إِلَى مَكَّةَ فَجَاوَرَ بِهَا زَمَنًا، وَتَنَقَّلَ فِي البُلدَانِ، ثُمَّ عَادَ إِلَى الجِرجَانِيَّةِ (مِن قُرَى خَوارزم) فَتُوفِّيَ فِيهَا سَنةَ (٥٣٨هـ)، وَمِن أَشهَرِ كُتُبِهِ (الكشَّاف). له ترجمة في: تأريخ بغداد ٢١/ ١٧٢، ونزهة الألباء ٢٩٠، ومعجم الأدباء ٦/ ٢٦٨٧، وإنباه الرواة ٣/ ٢٦٥، وسير أعلام النُّبلاء ٢٠/ ١٥١، وميزان الإعتدال=

أَسمَاءُ، وَمَا كَانَ لِلسُّفْرَةِ شِنَاقٌ، فَشَقَّت مِن نِطَاقِهَا شُقَّةً فَشَنَقَتهَا بِهَا؛ فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللهﷺ: «**قَدْ أَبْدَلَكِ اللهُ بِنِطَاقِكِ هَذَا نِطَاقَينِ مِن الجَنَّةِ**»، وَقِيلَ كَانَ لَهَا نِطَاقَانِ تَحمِلُ فِي أَحَدِهِمَا الزَّادَ إِلَى الغَارِ، وَقِيلَ كَانَت تَظَاهَرُ بَينَ نِطَاقَينِ لِزِيَادَةِ التَّسَتُّرِ؛ فَسُمِّيَت ذَاتَ النِّطَاقَينِ[1].

ثُمَّ قَالَ عُقَيبَ ذَلِكَ: وَكُلَّمَا كَانَ الاسْمُ غَرِيبًا كَانَ أَشْهَرَ لِصَاحِبِهِ وَأَمْنَعَ مِن تَعَلُّقِ النَّبْزِ بِهِ، وَهوَ كَمَا قَالَ وَلَا شَكَّ فِي أَنَّ أَسمَاءَ سُمِّيَت ذَاتَ النِّطَاقَينِ، كَمَا سُمِّيَتْ هُنَيْدَةُ بِنْتُ صَعْصَعَة (عَمَّةُ الفَرَزْدَقِ): (ذَاتَ الخِمَارِ)، وَكَانَتْ تَقُولُ: مَنْ جَاءَت بِأَرْبَعَةٍ كَأَرْبَعَتِي مِنْ نِسَاءِ العَرَبِ، يَحِلُّ لَهَا أَنْ تَضَعَ خِمَارَهَا عِنْدَهُمْ، فَصِرْمَتِي[2] لَهَا: أَبِي صَعْصَعَة، وَأَخِي غَالِب[3]، وَخَالِي الأَقْرَعُ ابنُ حَابِس[4]، وَزَوْجِي الزِّبْرِقَانُ بنُ بَدْرٍ[5]، فَسُمِّيَتْ ذَاتُ الخِمَارِ[6].

=٤/ ٧٨، والوافي بالوفيات ١٤/ ١٤٣، والأعلام ٧/ ١٧٨.

(١) ربيع الأبرار ٢/ ٤٥٧.

(٢) الصِّرمة: القطعة من الإبل. (التاج ٣٢/ ٥٠١).

(٣) غالِبُ بنُ صَعْصَعَةَ بنِ نَاجِيةَ التَّمِيميُّ الدَّارِميُّ المُجَاشِعِيُّ: جَوادٌ، مِن وُجُوهِ تَميم، يُلَقَّبُ بِابنِ لَيلَى، وَهوَ وَالِدُ الفَرزدَقِ الشَّاعِرِ، أَدرَكَ النَّبِيَّﷺ، وَوَفَدَ عَلَى عَلِيٍّ، وَلَهُ أَخبَارٌ. قَالَ المُبَرِّدُ: كَانَ الفرزدق يُجِيرُ مَن اسْتَجَارَ بِقَبرِ أَبِيهِ، وَكَانَ أَبوهُ جَوَادًا شَرِيفًا. له ترجمة في: الطبقات الكبرى ١/ ٤٥٢، ومعجم الشعراء ١/ ٥٥٣، وتأريخ دمشق ٧٤/ ٥٠، ٥٤، ومعجم الأدباء ٧/ ٣٢١٥، وأسد الغابة ٥/ ٨٧، والإصابة ٥/ ٢٦٠، والأعلام ٥/ ١١٤.

(٤) الأَقرَعُ بنُ حَابِس: مرَّت ترجمته في ٧٢.

(٥) الزِّبْرِقان بنُ بَدرٍ التَّمِيميُّ السَّعدِيُّ: صَحَابِيٌّ، مِن رُؤسَاءِ قَومِهِ. قِيلَ اسمُهُ الحُصَينُ، وَلُقِّبَ بِالزِّبرقَانِ (وَهوَ مِن أَسماءِ القَمَرِ)؛ لحُسْنِ وَجْهِهِ، وَلَّاهُ رَسولُ اللهﷺ صَدَقَاتِ قَومِهِ، فَثَبُتَ إِلَى زَمَنِ عُمرَ، وَكُفَّ بَصرُهُ فِي آخِرِ عُمرِهِ، وَكَانَ فَصِيحًا شَاعِرًا، فِيهِ جَفَاءُ الأَعرَابِ، تُوفِّي فِي أَيَّامِ مُعَاوِيَةَ (نَحوَ ٤٥هـ). أسد الغابة ٢/ ٣٠٣، وتهذيب الأسماء ١/ ١٩٣، والوافي بالوفيات ١٤/ ١١٧، والإصابة ٢/ ٤٥٤، والأعلام ٣/ ٤١، ومعجم أعلام المدح النبويّ ١٤٩.

(٦) ربيع الأبرار ٢/ ٤٥٦.

وَكَمَا سُمِّيَ الإِسْكَنْدَرُ (ذَا القَرْنَيْنِ)[1] مِنْ حَيْثُ مَلَكَ الشَّرْقَ وَالغَرْبَ، وَقِيلَ: لِكَوْنِهِ رَأَى فِي النَّوْمِ أَنَّهُ أَخَذَ بِقَرْنَي الشَّمْسِ[2].

وَخُزَيْمَةُ (ذَا الشَّهَادَتَيْنِ)[3]، وَسَبَبُ تَسْمِيَتِهِ بِذَلِكَ أَنَّ رَسُولَ اللهﷺ اسْتَقْضَاهُ يَهُودِيٌّ دِينَارًا؛ فَقَالَﷺ لَهُ:

أَوَ لَمْ أَقْضِكَ؟! فَطَلَبَ البَيِّنَةَ.

فَقَالَﷺ لأَصْحَابِهِ: **أَيُّكُمْ يَشْهَدُ لِي؟**.

فَقَالَ خُزَيْمَةُ: أَنَا يَارَسُولَ الله.

فَقَالَﷺ: **وَكَيْفَ تَشْهَدُ بِذَلِكَ وَلَمْ تَحْضَرْهُ وَلَمْ تَعْلَمْهُ؟**.

فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، إِنَّا نُصَدِّقُكَ عَلَى الوَحْيِ مِنَ السَّمَاءِ، فَكَيْفَ لا نُصَدِّقُكَ عَلَى أَنَّكَ قَضَيْتَهُ؟!

---

(١) ذُو القَرنَيْنِ: أَحدُ التَّبَابِعَةِ وَهُم مُلوكُ اليَمَنِ، هُمْ سَبعونَ تبَّعًا، مَلَكوا جَميعَ الأَرضِ وَمَن فِيهَا مِنَ العَرَبِ وَالعَجَمِ، وَمِنهُم ذُو القَرنَيْنِ، وَهوَ تُبَّعُ الأَقرَن الَّذِي قَالَ اللهُ تَعَالَى فِيهِ: ﴿**أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ..**﴾ (الدخان/ ٣٧)، وَكَانَ مِن أَعظَمِ التَّبَابِعَةِ، وَأَفصَحَ شُعَرَاءِ العَرَبِ، وَيُقَالُ: إِنَّهُ نَبِيٌّ مُرسَلٌ إِلَى نَفْسِهِ، لَـمَّا تَـمكَّنَ مِن مُلكِ الأَرْضِ، وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ أَنَّ اللهَ تَعَالَى ذَكَرَه عِندَ ذِكرِ الأَنبِيَاءِ، فَقَالَ عَزَّ مَن قَائِل: ﴿.. **وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَـذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ**﴾ (ق/ ١٤)، وَلَمْ يُعْلَمْ أَنَّهُ أَرسَلَ إِلَى قَوْمِ تُبَّعَ رَسُولٌ غَيرُه، وَهوَ الَّذِي نَهَى النَّبِيُّﷺ عَنْ سَبِّهِ، وَتُبَّعُ أَوَّلُ مَن كَسَا البَيْتَ الأَنطَاعَ بَعدَ آدَمَ، وَقَبلَ إِبرَاهِيمَ عليهما السلام. ينظر: مجمع البحرين ٢٨٠، والحدائق الناضرة ١٧/ ٣٧٣.

(٢) النهاية ٤/ ٥٢.

(٣) خُزَيمَةُ بنُ ثَابِتٍ الأَوسِيُّ الأَنصَارِيُّ ذُو الشَّهَادَتَين: شَهِدَ بَدرًا، أَو أُحِدًا وَمَا بَعدَهَا مِن غَزَواتِ النَّبِيِّﷺ، وَلَقَّبَهُ النَّبِيُّﷺ بِذِي الشَّهَادَتَين، فَأَصْبَحَتْ شَهَادَتُهُ تَعْدِلُ شَهَادَةَ اثنَين، وَكَانَ ذَلِكَ مَدعَاةُ فَخرٍ لِقَبِيلَتِهِ، وَاسْتَشْهَدَ تَحتَ رَايَةِ عَلِيٍّ بِصِفِّين سَنَةَ (٣٧هـ)، وَكَانَ فِي اسْتِشْهَادِهِ مَعَ الإِمَامِ مَثلَبَةً عَلَى بَنِي أُمَيَّةَ. له ترجمة في: مشاهير علماء الأمصار ٧٧، ومعرفة الصَّحابة ٢/ ٩١٣، وأسد الغابة ٢/ ١٧٠، الغدير ١/ ٢٩، وعبد الله بن سبأ ٢/ ١٦٢.

فَأَنْفَذَ شَهَادَتَهُ، وَسَمَّاهُ بِذَلِكَ؛ لأَنَّهُ صَيَّرَ شَهَادَتَهُ شَهَادَتَي رَجُلَيْنِ[1].

وَقَتَادَةُ بنُ النُّعْمَانِ[2] (ذَا العَيْنَيْنِ)، وَسَبَبَ ذَلِكَ أَنَّهُ أُصِيبَتْ عَيْنُهُ يَوْمَ أُحُدٍ؛ فَسَقَطَتْ عَلَى خَدِّهِ، فَرَدَّهَا رَسُولُ اللهﷺ، فَكَانَتْ أَحْسَنَ وأَصَحَّ مِنَ الأُخْرَى، وَكَانَتْ تَعْتَلُّ البَاقِيَةُ وَلا تَعْتَلُّ المَرْدُودَةُ، فَقِيْلَ لَهُ: ذَو العَيْنيْنِ، أَي لَهُ عَيْنَانِ مَكَانَ الوَاحِدَةِ[3].

والجَارِحُ مِنَ الطَّيْرِ (ذَا النَّظْرَتَيْنِ)؛ لأَنَّهُ يَنْظُرُ ثُمَّ يُطَأطِئُ، فَإِذَا أَثْبَتَ الصَّيْدَ مَكَانَهُ قَصَدَهُ.

وَالجَاسُوسُ مِنَ الطَّيْرِ (ذَا العَيْنَيْنِ).

وَطَاهِرُ بنُ الحُسَيْنِ (ذَا اليَمِينَيْنِ)[4] سُمِّيَ بِذَلِكَ؛ لأَنَّ المَأْمُونَ قَالَ لَهُ: يَا أَبَا الطَّيِّبِ،

---

(١) المجموع للنوويّ ٢٠/ ٢٢٣.

(٢) قَتَادَة بنُ النُّعمَانَ بنِ زَيدِ بنِ عَامِرٍ الأَنْصَارِيُّ الظَّفَرِيُّ الأَوْسِيُّ، صَحَابِيٌّ بَدرِيٌّ، مِنْ شُجعَانِهِم، كَانَ مِنَ الرُّمَاةِ المَشهُورينَ، شَهِدَ المَشَاهِدَ كُلَّهَا مَعَ رَسولِ اللهﷺ، وَكَانَت مَعَه يَومَ الفَتحِ رَايةُ بَنِي ظَفَر، تُوفِّيَ في المَدينةِ المُنَوَرَة سَنَةَ (٢٣هـ) وَهوَ ابنُ (٦٥) سَنَة، وَهوَ أَخو أَبِي سَعيدٍ الخُدرِيِّ لِأُمِّهِ. له ترجمة في: الطبقات الكبرى ٣/ ٣٤٥، ومعجم الصَّحابة ٥/ ٤٦، والثِّقات ٣/ ٣٤٤، ومشاهير علماء الأمصار ٥٠، ورجال صحيح البخاريّ ٢/ ٦١٩، ومعرفة الصَّحابة ٤/ ٢٣٣٨، والاستيعاب ٣/ ١٢٧٤، والتعديل والتجريح ٣/ ١٠٦٤، وتأريخ دمشق ٤٩/ ٢٦٩، وأسد الغابة ٤/ ٣٧٠، وتهذيب الأسماء ٢/ ٥٨، ومختصرتأريخ دمشق ٢١/ ٦٧، وتهذيب الكمال ٢٣/ ٥٢١، وسير أعلام النُّبلاء ٢/ ٣٣١ والإصابة ٥/ ٣١٧، وتهذيب التهذيب ٨/ ٣٥٧، والتُّحفة ٢/ ٣٨٣، وخلاصة تذهيب تهذيب الكمال ٣١٥، والأعلام ٥/ ١٨٩.

(٣) مفيد العلوم لأبي بكر الخوارزميّ ٤٦، وبحار الأنوار ١٨/ ٤٠.

(٤) ذُو اليَمِينَيْنِ: طَاهِرُ بنُ الحُسَينِ بنِ مِصعَبَ الخُزَاعِيُّ، مِن كِبَارِ الوُزَراءِ وَالقُوَّادِ، وَهوَ الَّذِي وَطَّدَ المُلكَ لِلمأمُونِ العَبَّاسِيِّ، وُلِدَ فِي بُوشَنج (مِن أَعمالِ خُرَاسَانَ) وَسَكنَ بَغدَادَ، فَاتَّصَلَ بِالمَأمونِ فِي صِبَاهُ، وَكانَت لأبيهِ مِنزلَةٌ عِندَ الرَّشيدِ. وَلَمَّا مَاتَ الرَّشيدُ وَوَلِيَ الأَمِينُ، كَانَ المَأمونُ فِي مَرو، فَانتَدَبَ طَاهِرًا لِلزَّحفِ إِلَى بَغدَادَ، فَهَاجَمَهَا وَظَفَرَ بِالأَمِينِ وَقَتَلَهُ (سَنَةَ ١٩٨هـ)، وَعَقَدَ البَيعَةَ لِلمَأمونِ، وَلُقِّبَ بِذِي اليَمِينَينِ؛ لِأَنَّهُ ضَرَبَ رَجُلًا بِشِمَالِهِ، فَقَدَّهُ نِصفَينِ، أَو لِأَنَّهُ وَلِي العِرَاقَ وَخُرَاسَانَ، لَقَّبَهُ بِذَلِكَ المَأمونُ، تُوفِّي سَنَةَ (٢٠٧هـ). له ترجمة في: تأريخ نيسابور ٢٣،=

يَمِينُكَ يَمِينُ أَمِيرِ المؤمِنِينَ وَشِمَالُكَ يَمِينٌ، فَبَايِعْ بِيَمِينِكَ يَمِينَ أَمِيرِ المؤمِنِينَ[1].

وَكَتَبَ إِلَيْهِ بَعْضُ أَصْحَابِهِ كِتَابًا عَنْوَنَهُ بِقَوْلِهِ: للأَمِيرِ المهَذَّبِ المُكَنَّى بِأَبِي الطَّيِّبِ ذِي اليَمِينَيْنِ طَاهِرِ بنِ الحُسَيْنِ[2].

وَالفَضْلُ بنُ سَهْلٍ (ذَا الرِّئَاسَتَيْنِ)[3]؛ لأَنَّهُ دَبَّرَ أَمْرَ السَّيْفِ وَالقَلَمِ، وَوُلِيَ رِئَاسَةَ الجيُوشِ وَالدَّوَاوِينِ[4].

وَدَخَلَ عَلَيهِ شَاعِرٌ يَومَ المَهْرَجَانِ وَبَينَ يَدَيهِ الهدَايَا، فَقَالَ:[5] [من مجزوء الكامل المرفَّل]

١. اليَوْمُ، يَوْمَ المَهْرَجَانِ ... وَهَدِيَّتِي فِيهِ لِسَانِي

٢. لَكَ دَوْلَتَانِ، قَدِيمَةٌ ... وَحَدِيثَةٌ، وَرِئَاسَتَانِ[6]

٣. لَكَ فِي الذُّرَا مِنْ (هَاشِمٍ) ... بَيْتٌ، وَبَيْتٌ خُسْرَوَانِي[7]

=وتأريخ بغداد ٩/ ٣٥٨، ووفيات الأعيان ٢/ ٥١٧، وسير أعلام النُّبلاء ٩/ ٣٣٥، والوافي بالوفيات ١٦/ ٢٢٦، والأعلام ٣/ ٢٢١.

(١) ثمار القلوب ٢٩١، التذكرة الحمدونيَّة ٨/ ٣٠١، وربيع الأبرار ٢/ ٤٦٤.

(٢) ربيع الأبرار ٢/ ٤٦٤.

(٣) الفَضلُ بنُ سَهلٍ السَّرْخَسِيُّ: وَزيرُ المَأمونِ وَصَاحِبُ تَدبيرِهِ. اتَّصَلَ بِهِ فِي صِباهُ وَأَسلَمَ عَلَى يَدِهِ (سَنةَ ١٩٠هـ)، وَكَانَ مَجوسِيًّا، وَصَحِبَه قَبلَ أَن يَلِي الخِلَافَةَ، فَلَمَّا وَلِيَهَا جَعَلَ لَه الوُزَارَةَ وَقِيَادَةَ الجَيشِ مَعًا، فَكَانَ يُلَقَّبُ بِذِي الرِّئَاسَتَينِ (الحَرب وَالسِّيَاسَة)، مَولِدُهُ وَوَفَاتُهُ فِي سَرْخَس (بِخُرَاسَان)، قَتَلَهُ جَماعَةٌ بَينَما كَانَ فِي الحَمَّامِ سَنةَ (٢٠٢هـ)، قِيلَ: إِنَّ المَأمونَ دَسَّهُم لَهُ، وَقَد ثَقُلَ عَلَيهِ أَمرُهُ، وَكَانَ حَازمًا، عاقلًا، فَصِيحًا، مِنَ الأكفَاءِ. سير أعلام النُّبلاء ٨/ ٢٨٠، ووفيات الأعيان ٤/ ٤١، والأعلام ٥/ ١٤٩.

(٤) ثمار القلوب ٢٩٣، التذكرة الحمدونيَّة ٨/ ٣٠١، وربيع الأبرار ٢/ ٤٦٤، والمستطرف ١/ ٢٨٤.

(٥) ربيع الأبرار ٢/ ٤٦٥ من غير عزو. وفيه (نَبْتٌ) بدل (بيت).

(٦) في (الأصل): (حديثة وقديمة) في موضع (قديمة وحيثة).

(٧) خُسْرَوَانِيٌّ: مَنْسُوبٌ إِلَى خُسْرو، مَلِكٌ مِنْ مُلُوكِ الْعَجَمِ.=

٤. عَـلِـمَ الخَـلِـيـفَـةُ حَـيْـثُ أَنْـتَ فَـصِـرْتَ فِي هَـذَا المـكَـانِ[1]

فَأَمَرَ لَهُ بِجَمِيعِ الهَدَايَا.

وَنَظَائِرُ ذَاتِ النِّطَاقَينِ مِن هَذِهِ الأَسمَاءِ لَا تُحصَى، وَلَا تَكَادُ تُستَقْصَى، وَلَقَدْ كَانَت عَلَى مَا وَصَفَهَا المُؤَرِّخُونَ امرَأَةً عَجُوزًا مَكفُوفَةَ البَصرِ، إِلَّا أَنَّهَا رَشِيدَةٌ فِي كُلِّ نَازِلَةٍ، وَإِنْ لَيلهَا اعْتَكَرَ فَمِن صَبرِهَا فِي الخُطُوبِ وَشَدَّةِ حَزمِهَا مَا هُوَ مَشهورٌ فِي كُتُبِ المُؤَرِّخِينَ عَنهَا.

قَالَ ابنُ أَبِي الحَدِيدِ فِي شَرحِ النَّهجِ وَغَيرِهِ:[2] إِنَّ ابنَهَا عَبدُ الله بنُ الزُّبَيرِ لَـمَّا حَارَبَهُ الحَجَّاجُ، وَحَصَرَهُ بِمَكَّةَ فِي الحَرَمِ، وَتَرَكَهُ عَامَّةُ أَصْحَابِهِ، وَخَرَجَ كَثِيرٌ مِنهُم إِلَى الحَجَّاجِ فِي الأَمَانِ حَتَّى حَمزة وَحَبيب ابنَاهُ، فَدَخَلَ عَبدُ الله عَلَى أُمِّهِ أَسمَاءَ بِنتِ أَبِي بَكرٍ، وَكَانَت قَد كُفَّ بَصرُهَا، وَهِيَ عَجُوزٌ كَبِيرةٌ، فَقَالَ لَهَا:

خَذَلَنِي النَّاسُ حَتَّى وَلَدَيَّ وَأَهلِي، وَلَم يَبقَ مَعِي إِلَّا مَنْ لَيْسَ عِندَهُ مِنَ الدَّفْعِ أَكثَرَ مِن سَاعَةٍ، وَالقَومُ يَعْطُونَنِي مِنَ الدُّنيَا مَا سَأَلتُ فَمَا رَأْيُكِ؟.

فَقَالَت: يَا بُنَي، أَنتَ أَعلَمُ بِنَفْسِكَ، إِنْ كُنتَ تَعلَمُ أَنَّكَ عَلَى حَقٍّ وَإِلَيهِ تَدعُو، فَامضِ لَهُ قُدُمًا، وَقَد قُتِلَ أَكثَرُ أَصْحَابِكَ فَلَا تُمَكِّنْ مِن رَقَبَتِكَ تَتَلَاعَبُ بِهَا غُلمَانُ بَنِي أُمَيَّةَ، وَإِنْ كُنْتَ إِنَّمَا أَرَدتَ الدُّنيَا، فَبِئسَ العَبدُ أَنْتَ، أَهلَكْتَ نَفْسَكَ وَأَهْلَكتَ مَن قُتِلَ مَعَكَ، وَإِنْ كُنْتَ قَاتَلْتَ عَلَى الحَقِّ، فَلَمَّا زَهَقَ أَصْحَابُكَ ضَعَفْتَ؟! فَلَيسَ هَذَا فِعلَ الأَحرَارِ، وَلَا أَهلِ الدِّينِ، وَكَم خُلُودُكَ فِي الدُّنيَا؟! القَتلُ أَحسَنُ.

فَدَنَا عَبدُ الله مِنهَا فَقَبَّلَ رَأْسَهَا وَقَالَ: هَذَا وَالله رَأيِي، وَالله مَا رَكنتُ إِلَى الدُّنيَا

=المغرب في ترتيب المعرب ١٤٤.

(١) في (الأصل): (كيف) في موضع (حيث).

(٢) شرح نهج البلاغة ٢٠/ ١٢٠.

- ابنُ أَبِي الحَدِيدِ: مرَّت ترجمته في ٥٩.

وَلَا أَحبَبتُ الحَيَاةَ فِيهَا، وَمَا دَعَانِي إِلَى الخُرُوجِ إِلَّا الغَضَبُ للهِ ﷻ، أَنْ تُسْتَحَلَّ مَحَارِمُه، وَلَكِنِّي أَحْبَبتُ أَنْ أَعْلَمَ رَأيَكِ، فَقَد زِدتِينِي بَصِيرةً، فَانظُرِي يَا أُمَّاهُ أَنِّي مَقتولٌ يَومِي هَذَا، فَلَا يَشتَدُّ جَزَعُكِ، وَسَلِّمِي لِأَمرِ الله، فَإِنَّ ابْنَكِ لَم يَتَعَمَّد إِتيَانَ مُنكَرٍ وَلَا عَمَلًا بِفَاحِشَةٍ، وَلَم يَجُرْ فِي حُكْمِ الله، وَلَم يَظْلِمْ مُسْلِمًا، وَلَا مُعَاهِدًا، وَلَا بَلَغَنِي ظُلمٌ عَن عَامِلٍ مِن عُمَّالِي فَرَضِيتُ بِذَلِكَ، بَل أَنكَرتُهُ، وَلَم يَكُن أَثَرَ عِندِي مِن رِضَا الله، اللَّهُمَّ أَنِّي لَا أَقولُ هَذَا تَزكِيةً لِنَفْسِي، أَنتَ أَعلَمُ بِيَ، وَلَكِن أَقولُهُ تَعزِيةً لِأُمِّي؛ لِتَسلُو عَنِّي[1].

وَقَالَ ابنُ أَبِي الحَدِيدِ أَيضًا:[2] وَقَد رُوِيَ فِي قِصَّةِ عَبدِ الله مَعَ أُمِّهِ أَسمَاءَ رِوَايةٌ أُخرَى، وَهِيَ أَنَّه لَمَّا دَخَلَ عَلَيهَا وَعَلَيهِ المِغْفَرُ وَالدِّرعُ وَهِيَ عَمِيَاءُ لَا تُبْصِرُ شِيئًا، وَقَفَ ثُمَّ سَلَّمَ عَلَيهَا، ثُمَّ دَنَا فَتَنَاوَلَ يَدَهَا وَقَبَّلَهَا، فَقَالَت: هَذَا وَدَاعٌ؟!

قَالَ: نَعَم، جِئتُ مُوَدِّعًا، وَإِنِّي لَأَرَى هَذَا اليَومَ آخِرَ أَيَّامِي مِنَ الدُّنيَا، وَاعْلَمِي يَا أُمَّاهُ إِذَا أَنَا قُتِلتُ، فَإِنَّمَا أَنَا لَحمٌ لَا يَضُرَّنِي مَا يُصْنَعُ بِي.

قَالَت: صَدَقْتَ يَا بُنَيَّ، أَقِم عَلَى بَصِيرتِكَ، أُدنُ مِنِّي لِأُوَدِّعَكَ، فَدَنَا مِنهَا، فَوَدَّعَتْهُ وَعَانَقَتْهُ، فَوَجَدَت مَسَّ الدِّرعِ فَقَالَت:

مَا هَذَا صُنعُ مَنْ يُرِيدُ مَا تُرِيدُ!

فَقَالَ: إِنَّمَا لَبِستُهُ لِأَشُدَّ مِنكِ.

قَالَت: إِنَّهُ لَا يَشُدُّ مِنِّي.

ثُمَّ وَدَّعَهَا وَانْصَرَفَ وَهوَ يَقولُ:[3] [من الرجز]

(١) تأريخ الطبريّ ٥/ ٣١، وشرح نهج البلاغة ٣/ ٢٨٢، ٢٠/ ١١٩، وتأريخ دمشق ٢٨/ ٢٣٥، ووفيات الأعيان ٣/ ٧٣.

(٢) شرح نهج البلاغة ٣/ ٢٨٢.

(٣) تأريخ الطبريّ ٥/ ٣١، وشرح نهج البلاغة ٣/ ٢٨٣، ٢٠/ ١٢٠، وتأريخ دمشق ٢٨/ ٢٣٥، والكامل في التأريخ ٤/ ٣٥٤، والبداية والنهاية ٨/ ٣٦٥،

إِنِّي إِذَا أَعْـرِفُ يَـومِـي أَصْبِـرُ إِذ بَـعْـضُـهُـم يَـعْـرِفُ ثُـمَّ يُـنْـكِـرُ

وَرُوِيَ غَيرُ ذَلِكَ، وَهوَ إِنَّهُ لَـمَّا شَاوَرَهَا ابْنَهَا عَبدُ الله بنُ الزُّبَيرِ فِي أَخذِ الأَمَانِ، وَقَد بُذِلَ لَهُ لَـمَّا حُصِرَ بِمَكَّةَ ؛ فَقَالَت لَهُ: إِنْ كُنتَ عَلَى بَصيرةٍ مِن أَمرِكَ فَامضِ قُدُمًا.

قَالَ: إِنِّي لَا أَخَافُ القَتلَ، وَلَكِنِّي أَخَافُ المُثْلَةَ.

فَقَالَت: إِنَّ الشَّاةَ لَا يُؤلِـمُهَا السَّلخَ بَعدَ الذَّبحِ.

فَثَبَتَ حَتَّى قُتِلَ[1].

وَعَادَةُ الشُّعَرَاءِ تَضرِبُ بِـهَا مَثَلًا لِلنِّسَاءِ؛ لِتَتَأَسَّى بِهَا إِذَا تَفَاقَمَ الخَطبُ وَعَظُمَ الكَربُ.

قَالَ أَبو فِرَاس[2]: لَـمَّـا ثَقُلَ بِالجِرَاحِ وَيَئِسَ مِن نَفْسِهِ وَهوَ فِـي أَسرِ الرُّومِ، وَقَد كَتَبَ إِلَى وَالِدَتِهِ يُعَزِّيَها عَن نَفْسِهِ، إِذَا قُضِيَ عَلَيهِ وَ انْطَوَى فِي رَمْسِهِ:[3] [من الطويل]

(١) شرح نهج البلاغة ٣/ ٢٨٢.

(٢) أَبُو فِرَاس الحَمْدَانِيُّ: الحَارثُ بنُ سَعيدِ بنِ حَمدَانَ التَّغلُبِيُّ الرِّبعيُّ: أَميرٌ، شَاعِرٌ، فَارسٌ. وَهوَ ابنُ عَمِّ سَيفِ الدَّولَةِ. كَانَ الصَّاحبُ بنُ عَبَّاد يَقولُ: بُدِئَ الشِّعرُ بِمَلِكٍ وَخُتِمَ بِمَلِكٍ، يَعنِي امرأ القَيسِ وَأَبَا فِرَاس، وَلَه وَقَائعُ كَثيرةٌ، قَاتَلَ بِهَا بَينَ يَدَي سَيفِ الدَّولَةِ. وَكَانَ سَيفُ الدَّولَةِ يُـحِبُّهُ وَيُجِلُّهُ وَيَستَصْحِبُهُ فِي غَزَواتِهِ وَيُقَدِّمُهُ عَلَى سَائِرِ قَومِهِ، وَقَلَّدَهُ مَنبجًا وَحَرَّانَ وَأَعمَالَها، فَكَانَ يَسكُنُ في مَنبَج (بَينَ حَلَبٍ وَالفُرات)، وَيَتَنَقَّلُ فِي بِلَادِ الشَّام. وَجُرِحَ فِي مَعرَكَةٍ مَعَ الرُّومِ، فَأَسَروهُ (سَنَةَ ٣٥١هـ)، فَامتَازَ شُهرةً فِي الأَسرِ بِرومِيَّاتِهِ، وَبَقِيَ فِي القَسْطَنْطِينِيَّةِ أَعوَامًا، ثُمَّ فَدَاهُ سَيفُ الدَّولَةِ بِأَموَالٍ عَظِيمةٍ. قَالَ الذَّهَبِيُّ: كَانَت لَهُ مَنبَجُ. وَتَملَّكَ حِمصَ، وَسَارَ لِيتَمَلَّكَ حَلَبَ، فَقُتِلَ فِي تَدمُر. وَقِيلَ فِي صَدد (عَلَى مَقرَبَةٍ مِن حِمص)، (٣٥٧هـ/ ٩٦٨م). له (ديوان شعر)، كتب عنه جماعة منهم: محسن الأمير، وسامي الكيّاليّ، وفؤاد أفرام البستانيّ، وحنا نمر، وعليّ الجارم، ونعمان ماهر الكنعانيّ. له ترجمة في: يتيمة الدهر ١/ ٥٧، وتأريخ دمشق ١١/ ٤٢١، ومختصر تأريخ دمشق ٦/ ١٥٠، ووفيات الأعيان ٢/ ٥٨، وسير أعيان النُّبلاء ١٦/ ١٩٦، وتأريخ الإسلام ٨/ ١١٣، والوافي بالوفيات ١١/ ٢٠١، والأعلام ٢/ ١٥٥.

(٣) ديوان أبي فراس الحمدانيّ ٢٥٣-٢٥٤

١. وَيَا أُمَّتَا، صَبْرًا، فَكُلُّ مُلِمَّةٍ ... تَجَلَّى عَلَى عِلَّاتِهَا وَتَزُولُ[1]

٢. أَمَا لَكِ فِي (ذَاتِ النِّطَاقَينِ) أُسْوَةٌ، ... بِمَكَّةَ، وَالحَربُ العَوَانُ تَجُولُ؟!

٣. أَرَادَ ابْنُهَا أَخْذَ الأَمَانِ فَلَمْ تُجِبْ ... وَتَعَلَّمَ عِلْمًا أَنَّهُ لَقَتِيلُ

٤. تَأَسِّي، كَفَاكِ اللهُ مَا تَحْذَرِينَهُ ... فَقَدْ غَالَ هَذَا النَّاسَ قَبلَكِ غُولُ

فَانْظُرْ إِذَا كَانَ هَكذَا يُصَبِّرونَ فِي صَبْرِهَا النِّسَاءَ فِي كُلِّ نَازِلَةٍ دَهيَاء، وَهيَ -كَمَا ذَكرَ المُؤَرِّخُونَ- امْرأَةٌ عَجوزٌ مَكفُوفَةُ العَيْنَينِ، فَمَا مَعنَى قَولِ العَامِلِيِّ فِي وَصفِ القَصيدَةِ المُشَارِ إِلَيهَا: تَتَهَادَى كَذَاتِ النِّطَاقَينِ؟! وَمَا الَّذِي اسْتَحْسَنَهُ مِن تَهَادِيهَا؟! وَهيَ امرَأةٌ عَمياءُ تَلْمَسُ فِي مَشْيَتِهَا الجُدرَانَ بَاليَدَينِ، وَتُقَارِبُ خَوفَ العَثرَةِ خُطَا القَدَمَينِ، مَعَ كِبرِ السِّنِّ الَّذِي يَمْنَعُهَا مِن اعْتِدَالِ قَامَتِهَا، فَهَل رَأَى شَيئًا رَاقَهُ غَيرَ هَذَا فِي مَشيَتِهَا؟! كَلَّا، وَلَكِنْ مَا لَهُ عِلمٌ فِي مَعرِفَةِ لُغَاتِ العَربِ، وَلَا فِي سَيرِهَا، وَإِنَّمَا يَحفظُ أَلفَاظًا مِن لُغَاتِهَا، وَلَا يَفهَمُ مَعنَى كَلِمَاتِهَا، وَلَا غَروَ لِذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ فَاقَ بِذَكَائِهِ كَيسَانَ[2]، وَمَا يُدريكَ مَا كَيسَانَ، فَإِنَّهُ قَد حَيَّرَ بِمَعرفَتِهِ الأَذهَانَ، وَلَقَدْ ذَكَرَ لَهُ الزَّمَخْشَرِيُّ فِي رَبِيعِ الأَبرَارِ مَنقَبةً، هِيَ لِكُلِّ أَلمَعِيٍّ مُطْربة.

قَالَ: سَأَلَ رَجلٌ أَبَا عُبَيدَةَ عَنْ اسمِ رَجُلٍ فَمَا عَرَفَهُ.

فَقَالَ كَيسَانُ: أَنَا أَعرَفُ النَّاسِ بِهِ، هُوَ خَرَّاشُ أَو خَدَّاشُ أَو رَبَّاشُ أَو شَيء آخَر.

فَقَالَ أَبو عُبَيدَةَ: مَا أَحسَنَ مَعرفَتَكَ بِهِ؟![3].

---

(١) في (الأصل): (أيا) في موضع (ويا).

(٢) كيسانُ مستمِلي ابْن الْأَنْبَارِي، وكانَ أعْمى القلبِ فَسُمع ابنُ الْأَنْبَارِي وَهُوَ يَقُول: كيسانُ يسمعُ غيرَ مَا أقولُ، ويكتبُ غير مَا يسمعُ، وَيقْرَأ غيرَ مَا يكتُبُ، ويحفظُ غيرَ مَا يَقْرَؤُهُ. وَحكى عَنهُ أَنَّه كَانَ يكتبُ مَا يسمعُ فِي الخزف، ويجمعهُ فِي حُبٍّ، فَاشْترى راويةَ ماءٍ فغلطَ السَّقَّاءُ بيْنَ حُبِّ المَاء وحُبِّ الخَزف، فصبَّ الماءَ فِي حبِّ العِلْم فرأيْنا كيسانَ وَقَدْ وضع يدَه على رَأسه، وَذهب علمه كلُّه. (نثر الدر في المحاضرات ٥/ ١٦٠).

(٣) ينظر الخبر في: البصائر والذخائر ٣/ ٤٢، وربيع الأبرار ٢/ ٤٥١.

فَقَالَ اي وَاللهِ، وَهوَ قَرَشِيٌّ أَيْضًا.

قَالَ وَمَا يُدريكَ؟!

قَالَ: أَمَا تَرَى الشِّينَاتُ كَيفَ احْتَوَشَتْهُ؟![1]

وَيُنَاظِرُ كَيسَانَ فِي هَذِهِ الفِطنَةِ العَجِيبَةِ وَالنَّبَاهَةِ الغَرِيبَةِ، مَا رَوَاهُ صَاحِبُ (مَعَاهِدِ التَّنْصِيصِ) عَن بَعضِ أَهلِ الأَدَبِ، قَالَ:

رَأَيتُ بَعضَ مجَانِينِ أَهلِ مَكَّةَ؛ يَقولُ: مَا سَمِعتُ بِأَكذَبَ مِن بَنِي تَمِيمٍ بِأَنَّ قَولَ القَائِلِ:[2] [من الكامل]

١. بَيْتًا زُرَارَةُ مُحْتَبٍ بِفِنَائِهِ وَمُجَاشِعٌ وَأَبُو الفَوَارِسِ نَهْشَلُ

إنَّ هَذِهِ أَسمَاءُ رِجَالٍ مِنهُم. قُلتُ لَهُ: وَمَا عِندَكَ أَنْتَ فِيهِ؟!

قَالَ البَيتُ بَيتُ الله، وَالزُّرَارَةُ وَالحَجَرُ زُرَّتْ حَولَ البَيتِ، وَمُجَاشِعٌ زَمْزَمُ جَشَعَت بِالمَاءِ، وَأَبو الفَوَارِسِ هُوَ أَبو قُبَيسٍ، جَبَلُ مَكَّةَ.

قُلتُ لَهُ: فَنَهشَلُ؟!

قَالَ: نَهشَلُ -وَفَكَّرَ فِيهِ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: قَد أَصبتُهُ- هُوَ مِصبَاحُ الكَعبَةِ، طَوِيلٌ أَسوَدُ، فَذَلِكَ النَّهْشَلُ[3].

وَيُمَاثِلُ هَذَا فِي ذَكَائِهِ الَّذِي يَتَوَقَّدُ تَوَقُّدَ أُوارِ النَّارِ، مَا رَوَاهُ الزَّمَخْشَرِيُّ فِي رَبِيعِ الأَبرَارِ، قَالَ: سَمِعَ رَجلٌ مَن يُنْشِدُ:[4] [من الطويل]

وَكَانَ أَخِلَّائِي يَقُولُونَ مَرْحَبًا فَلَمَّا رَأَونِي مُعْدَمًا مَاتَ مَرْحَبُ

(١) ربيع الأبرار ٢/ ٤٥١.

(٢) ديوان الفرزدق ٢/ ٤٥٦.

(٣) ربيع الأبرار ١/ ١٠٥.

(٤) الخبر والشعر في: رسائل الجاحظ ٢/ ٢٣٥، وربيع الأبرار ٢/ ٢٥، والتذكرة الحمدونيَّة ٣/ ٢٩٣، وثمرات الأوراق ١/ ١٧١.

فَقَالَ: مَرحَبٌ لَمْ يَمُتْ، بَل قَتَلَهُ عَليٌّ عليه السلام فِي وَقْعَةِ الجَمَلِ.

وَلَقَد شَابَهَ هَذَا أَهلَ حِمصٍ بِنَبَاهَتِهِ وَحِدَّةِ فِطْنَتِهِ، وَإِنْ كَانَت نَوَادِر دَرَّاكَتِهِم[1] غَرِيبةً، وَغَرَائِبُ نَبَاهَتِهِم عَجِيبَةً.

قَالَ بَعضُ الأَفَاضِلِ: حِمصُ أَحَدُ أَجنَادِ الشَّامِ[2] وَأَهلُهَا مَوصُوفُونَ (بِال...)[3]، حَتَّى إِنَّ البَغدَادِيينَ إِذَا أَرَادُوا أَن يُعَبِّروا عَنِ الأَحمقِ قَالوا حِمْصيٌّ، وَنَوَادِرُهُم كَثِيرةٌ، مِنهَا:

مَا أَورَدَه أَبو العَبَّاسِ السِّنْجَرِيُّ فِي كِتَابِهِ؛ قَال:

قَالَ وَاحِدٌ مِن أَهلِ حِمصَ لِصَاحِبِهِ: عَلَيكَ بِالسُّنَّةِ تَدخُلُ الجَنَّة!

قَالَ: وَمَا السُّنَّة؟!

قَالَ: حُبُّ أَبِي بَكرٍ بنِ عَفَّان، وَعُمَر بنِ الصِّدِيقِ، وَعثمَانَ بنِ الفَارُوق، وَعَلِيّ بنِ أَبِي سُفيَانَ، وَمُعَاوية بن أَبِي طَالِب.

قَالَ صَاحِبُهُ: وَمَن مُعَاوِيَةُ بنُ أَبِي طَالِبٍ؟!

قَالَ: كَانَ صلى الله عليه وآله رَجُلًا زَاهِدًا عَابِدًا، مِن حَمَلَةِ العَرشِ، وَكَاتِبَ المُؤمِنينَ، وَخَالَ الوَحي، وَخَتنِ النَّبِيِّ عَلَى ابْنَتِهِ عَائِشَةَ؛ جَدَّةِ فَاطِمَةَ[4].

وَقَرِيبٌ مِنهُ مَا ذَكَرَهُ فِي هَذَا الكِتَابِ عَنهُم، قَالَ:

جَاءَ رَجُلٌ منهُم إِلَى بَعضِ القُضَاةِ آخِذًا بِتَلابِيبِ رَجُلٍ؛ فَقَالَ:

أَعَزَّ اللهُ القَاضِي، إِنَّ هَذَا رَافِضِيٌّ نَاصِبِيٌّ مُجْبِرِيٌّ مُشْبِهِيٌّ جَهَمِيٌّ حَروريٌّ مُبتَدِعِيٌّ،

(١) رَجُلٌ دَرَّاك: مُدْرِك كثير الإِدْراك. (اللسان ١٠/ ٤١٩).

(٢) الجُنْد: الْعَسْكَرُ، وَالْجَمْعُ أَجناد. (اللسان ٣/ ١٣٢)، ويقال: دِمَشْق اسْمُ جُند من أَجْناد الشَّامِ. (اللسان ١٠/ ١٠٤-١٠٥). وَمِثلُهَا حِمصُ مِن أَجنَادِ الشَّامِ.

(٣) بين الهلالَين كلمة مطموسة.

(٤) لم أستطع الوصول لمصدر هذا الكلام.

يَشتِمُ عَليَّ بنَ أَبِي طَالِبٍ، وَيُحِبُّ عُمرَ بنَ أَبِي قَحَافَةَ وَأَبَا بَكر ابنِ عَفَّانَ.

فَقَالَ القَاضِي: مَا أَدري أَيَّ شَيءٍ مِنكَ أَحسُدُ، مَعرِفَتَكَ بِالمَذَاهِبِ أَم عِلمُكَ بِأَنسَابِ العَربِ[1].

فَأَجِلْ فِكْرَكَ فِي قَولِ العَامِلِيِّ تَجِدهُ مُطَابِقًا لِقَولِ هَذَا الحِمصي، وَسَأُوضِحَهُ لَكَ غَايَةَ الإِيضَاحِ.

فَانْظُر إِلَى قَولِهِ: كَذَاتِ النِّطَاقَينِ سَاحِبَةَ الوشَاحِ.

فَالوُشَاحُ عَلَى مَا ذَكَرهُ صَاحِبُ القَامُوسِ وَغَيرُهُ، هُوَ مِن لُؤلُؤٍ وَجَوهَرٍ مَنظومَانِ يُخَالِفُ بَينَهُمَا مَعطُوفٌ أَحَدُهُمَا عَلَى الآخَرِ، أَو أَدِيمٌ عَرِيضٌ مُرَصَّعٌ بِالجَوهَرِ، فَتَشُدَّهُ المَرأَةُ بَينَ عَاتِقَيهَا وَكَشْحَيهَا[2]، وَالعَاتِقُ المَنكِبُ كَمَا عَلِمتَ، وَالكَشحُ مَا بَينَ الخَاصَرةِ إِلَى الضِّلعِ الخَلفِ، فَإِذَا كَانَ الوُشَاحُ يُوضَعُ مِنَ المِنكَبِ وَيَنتَهِي إِلَى الخَاصِرةِ، فَكَيفَ يُسحَبُ عَلَى الأَرضِ؟!

فَهَل تَرَى أَسخَفَ مِن هَذَا الكَلَامِ؟! وَهَل فَاهَ بِمِثْلِهِ إِلَّا مَن ذَكَرنَا مِنَ الحِمْصِيِّينَ، وَمَن نَاظَرَهُم مِنَ الأَنَامِ؟! وَهَل يُعقَلُ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ مَنْ لَهُ أَدنَى مَعرِفَةٍ بِلُغَةِ العَربِ؟! أَو نِظَامُ الظُّرَفَاءِ مِن ذَوي الأَدَبِ؟! وَلَو أَنَّه كَلَامُ مَن لَمِحَتْ عَينُهُ كُتُبَ اللُّغَوِيِّينَ؛ لَلَزِمَ مَنهَجَهُم أَو دَوَاوينَ الشُّعَرَاءِ لَاقْتَفَى أَثَرَهُم، وَلَكِنَّهُ بِحَسَبِ مَا أَرَاهُ مِن كَلَامِهِ مَا شَمَّ رَائِحَتِيهِمَا وَلَا ذَاقَ حَلَاوَتَيهِمَا، وَسَأُرِيكَ هَذَا عَيَانًا فِي كَلَامِهِ، وَزَخَارُفِ نِظَامِهِ، عَلَى أَنَّهُ قَد لَمِحَتْ لَكَ لَوَامِحُ عَلَى صِدقِ ذَلِكَ فِيمَا بَيَّنَّاهُ مِن خَطَأِ كَلَامِهِ الَّذِي لَم يَحتَج إِلَى بَيَانٍ، وَأَنَا وَأَيمُ الله مُستَحٍ أَنْ أُقِيمَ عَلَى كُلِّ عَيبٍ مِن هَذِهِ العُيوبِ بُرهَانًا، مِن حَيثُ أَنَّهَا مُسْتَغْنِيَةٌ بِنَفْسِهَا عَنِ الإِظهَارِ، وَلَكِنِّي لَـمَّا رَأَيتُ الجَهلَ فِي أَهلِ الزَّمَانِ فَاشِيًا، أَسْهَبْتُ فِي

(١) أخبار الحمقى والمجانين ١٦٠.

(٢) القاموس ٢٤٦.

إِيضَاحِ مَا كَانَ عَلَيهِم مِن تِلكَ المَعَايِب خَافِيًا.

فَانْظُر إِلَى تَشْبِيهِهِ القَصِيدَةَ بِالفَتَاةِ العَذرَاءِ، وَيُرِيدونَ بِهَذَا التَّشْبِيهِ أَنَّ القَصِيدَةَ شَابَهَت بِحُسنِهَا الفَتَاةَ العَذرَاءَ، أَو أَنَّ مَعَانِيهَا كَالفَتَاةِ العَذرَاءِ كَانَت بِكرًا، أَو أَنَّ بِهَا هَاتَينِ الصِّفَتَينِ اجْتَمَعَتَا، وَهَذَا مَعلُومٌ أَشْهَرُ مِنْ أَنْ يُذْكَر فِي بَدَائِعِ الأَلِبَّاءِ مِن ذَوي النَّظر.

قَالَ مِهيَارُ الدَّيلَمِيُّ فِي وَصفِ قَصِيدَةٍ يَمدَحُ بِهَا كَمَالَ المُلكِ أَبَا المَعَالِي ابنَ عَبدِ الرَّحِيمِ:[1] [من البسيط]

١. وَاسْمَعْ لَهَا - أَنْتَ خَيرُ السَّامِعِينَ لَهَا - عَــذْرَاءَ مَـا طُـرَّ مَـعْـنَـاهَـا وَلَا لُقِطَا

٢. مَـزْفُـوفَـةً لَـمْ يُضَيِّعْهَا حَوَاضِنُهَا زُورًا وَلَـم تَعرفِ المِدْرَى وَلَا الـمُشُطَا

وَقَد جَرَوا عَلَى هَذَا النَّهجِ فِي وَصفِ بَنَاتِ أَفْكَارِهِم وَبَدَائِعِ نِظَامِهِم، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ فَقَدْ ظَهَرَ صَرِيحًا أَنَّ لَو اجْتَمَعَتْ جَمِيعُ عُلَمَاءِ المَعَانِي وَالبَيَانِ، وَالبُلَغَاءُ وَالفُصَحَاءُ، عَلَى أَن تُصَحِّحَ غَلَطَ تَشبِيهِ هَذَا، بِحَيثُ يَكونُ مُطَابِقًا لِـمَا تَقصُدُهُ فِي تَشبِيهِ قَصَائِدِهَا الأَدبَاءُ، لَعَجَزَت عَن ذَلِكَ، وَلَو كَانَت حَدِيدَةَ أَنْظَارُهَا، وَنَافِذَةً فِي كُلِّ مُشْكِلَةٍ أَفْكَارُهَا، إِذْ لَمْ يُعقَل أَن يُوافِقَ بَينَ تَشبِيهِهِم وَتَشبِيهِ القَصِيدَةِ بِذَاتِ النِّطَاقَينِ، وَهيَ امرَأَةٌ عَجوزٌ عَمياءُ مِن حَيثُ لَم تَبقَ فِيهَا بَقِيَّةٌ مِن المعَانِي الَّتِي تَقصُدُهَا فِي تَشبِيهِ قَصَائِدِهَا الشُّعرَاءُ، فَكَيفَ يُوَافِقُ بَينَ كَلَامِهِ وَكَلَامِهِم مَعَ هَذِهِ المُغَايَرةِ البَعِيدَةِ، وَأَنَّى يُمكِنُ حَملُهُ عَلَى مَا قَصَدَه مِن تِلكَ القَصِيدَةِ، وَهوَ كَمَا تَرَاهُ، لَا يَتَوَجَّهُ إِلَّا عَلَى ثَلْبِهَا بِحَسَبِ قَوَاعِدِ التَّشْبِيهِ

(١) ديوان المهيار ٢/ ١٧٠.

- الوَزِيرُ كَمَالُ المُلكِ: هِبَةُ الله بنُ الحُسينِ بنِ عَلِيِّ بن عبد الرَّحِيم ابو الْـمَعَالِي كَمَالُ المُلكِ، أَخُو الوَزِيرِ عَمِيدِ المُلكِ مُحَمَّد. كَانَ كَاتبًا سَدِيدًا عَارِفًا بِأَحوَالِ الْـجُندِ وَسِيَاسَتِهِم، وَلِيَ الوُزَارَةَ لِلْمَلِكِ جَلالِ الدَّولَةِ أَبِي طَاهِرِ بنِ أَبِي نَصر بنِ بُوَيْه مَرَّتَينِ الأَخِيرَةُ سَبع سَنِين، وَوَزَرَ لأبي كَالَيْجَار وَلِوَلَدِهِ، وَفَتَحَ لَهُ مَمَالِكَ. تُوفِّيَ فِي الأَهوَازِ، سَنةَ (٤٤٣هـ). الوافي بالوفيات ٢٧/ ١٥٩، وتأريخ الإسلام ٩/ ٦٥١.

الَّتِي ضَرَبَتهَا عُلَمَاءُ المَعَانِي وَالبَيَانِ فِي كُتُبِهَا؛ لِأَنَّهُ يُفْهَمُ مِن تَشبِيهِ القَصِيدَةِ بِذَاتِ النِّطَاقَينِ أَمَّا أَنَّهَا شَابَهتهَا فِي العُمْرِ، وَيَكونُ المُرَادُ مِنْ هَذَا التَّشْبِيهِ قِدَمُ القَصِيدَةِ، لَا أَنَّهَا حَادِثَةٌ كَمَا يَدَّعِي صَاحِبُهَا، أَو أَنَّ القَصِيدَةَ فَقَدَت المَحَاسِنَ الشِّعريَّةَ كَمَا فَقَدَت مَحاسِنَ الشَّبَابِ ذَاتُ النِّطَاقَينِ، أَو أَنَّ بِهَا هَاتَينِ الصِّفَتَينِ اجْتَمَعَتَا، إِذْ لَمْ يَكُنْ غَيرُ هَذَا صَالِحًا لِلتَّشبِيهِ، وَلَقَد هَجَّنَ فِيهَا مِن حَيثُ لَا يَشعُرُ تَهجِينًا فَاحِشًا، وَذَلِكَ حِينَ شُروعِهِ بِهذَا التَّشْبِيهِ، وَهوَ قَولُهُ:

بَـرَزَت تَـتَـهَـادَى كَـذَاتِ الـنِّـطَـاقَينِ

فَالتَّهَادِي: التَّمَايُلِ، قَالَ ابنُ الأَثِيرِ فِي النِّهَايَةِ: تَهَادَت المَرأَةُ فِي مِشْيَتِهَا تَمَايَلَت[1]، وَالتَّمَايُلُ فِي المَشي مِن صِفَةِ الفَتَيَاتِ لَا العَجَائِزِ النَّحِيفَاتِ وَإِنَّ مِن شَأنِ العَجَائِزِ الارْتِعَاشِ وَلَو قَالَ تَرْتَعِشُ كَذَاتِ النِّطَاقَينِ لَكَانَ تَهْجِينُهُ أَخَفَّ؛ لِأَنَّ الارتِعَاشَ يَكونُ مِن كِبرِ السِّنِّ أَيضًا، وَمَا يُستَفَادُ مِنهُ إِلَّا المَعنَى الأَوَّل[2]، وَهوَ قِدَمُ القَصِيدَةِ، أَو فَقْدُ تِلكَ المَحَاسِنِ.

وَقَولُهُ: (بَرَزَت تَتَهَادَى كَذَاتِ النِّطَاقَينِ) أَعظَمُ تَهجِينًا، وَلَا يَصُحُّ أَنَّهَا تَتَهَادَى كَتَهَادِي ذَاتِ النِّطَاقَينِ، كَمَا يُفْهَمُ مِن ظَاهِرِ اللَّفْظِ؛ لِأَنَّ هَذَا التَّشْبِيهَ لَا يَصُحُّ مِن حَيثُ إِنَّهَا مِن كِبَرِهَا فَقَدَت التَّمَايُلَ وَالاخْتِيَالَ، وَلَكِنْ كَأَنَّهُ رَأَى القَصِيدَةَ قَدِيمَةً بَرَزَت بِصُورةٍ حَدِيثَةٍ، فَأَشَارَ إِلَى ذَلِكَ بِقَولِهِ: بَرَزَت تَتَهَادَى، أَي ظَهَرَت بِصِفَةِ فَتَاةٍ تَتَمَايَلُ، وَهِيَ كَذَاتِ النِّطَاقَينِ فِي السِّنِّ، وَكَنَّى عَنِ التَّشْطِيرِ والتَّخْمِيسِ بِالوِشَاحِ، مِن حَيثُ إِنَّهُمَا لِلْقَصِيدَةِ بِمَنْزِلَةِ الوِشَاحِ لِلمَرأَةِ؛ فَقَالَ:

سَاحِبَةَ الوِشَاحِ، أَي الوِشَاحُ الَّذِي وُشِّحَت بِهِ انْحَطَّ عَنهَا جِدًّا، وَإِنْ كَانَت بِمَنزِلَةِ

(١) النهاية ٥/ ٢٥٥.

(٢) أي ذات النطاقَين باعتبار التسمية في أصلها، لا على ما صارت عليه في كِبرِ السِّنِّ.

المَرأَةِ المُسِنَّةِ، فَهوَ مِن انْحِطَاطِهِ عَنهَا بِمَنْزِلَةِ الشَّيءِ الَّذِي تَتَنَاوَلَهُ المَرأَةُ بِيَدِهَا وَتَحرُشُ بِهِ[1] عَلَى وَجهِ الأَرضِ.

وَلَعَمْرِي إِذَا كَانَت الفَصَاحَةُ هَكَذَا، فَيَنبَغِي لِكُلِّ أَدِيبٍ أَلمَعِيٍّ أَن يَقفُو أَثَرَ العَامِلِيِّ، وَيَسيرُ سِيرتَهُ، إِذَا مَدَحَ شَيئًا صَرَّحَ بِلَا شُعُورٍ بِذَمِّه، وَلَا يَفْهَمُ مَا انْطَوَت عَلَيهِ أَلفَاظُ كَلِمِه، وَيَحسَبُ أَنَّ ذَمَّهُ الشَّنِيعَ قَد بَلَغَ مِنَ المَدحِ شَأوَهُ الرَّفِيع.

وَأَعجَبُ مِن قَولِهِ: (كَذَاتِ النِّطَاقَينِ سَاحَبَةَ الوِشَاحِ)، قَولُهُ عُقَيبَ ذَلِكَ: (يُؤَذِّنُ بِلَالُ خَالِهَا فِي مَنَارَةِ جَمَالِهَا حَيَّ عَلَى المِلَاحِ حَيَّ عَلَى المِلَاحِ).

أَقُولُ: انْظُرْ لِخَطَلِ كَلَامِهِ، فَإِنَّ أَقْبَحَ مِنْ تَشبِيهِهِ القَصِيدَةَ بِذَاتِ النِّطَاقَينِ استِعَارَتُهُ لِلقَصِيدَةِ خَالًا وَجَمَالِهَا مَنَارَةً، فَهَب أَنَّ تَشْبِيهَهُ لِلقَصِيدَةِ بِذَاتِ النِّطَاقَينِ كَانَ صَحِيحًا، وَأَنَّهَا كَمَا زَعَمَ امرَأَةٌ عَذرَاءُ حَسَنَةٌ، وَلَم تَكُنْ مُسِنَّةً، وَأَنَّ القَصِيدَةَ شَابَهَتهَا بِالحُسنِ وَالعَذرَةِ، فَهَل يَسوغُ لَهُ، لِكَونِهَا شَابَهَتهَا بِالحُسنِ وَالعذرَةِ فَقَط، أَنْ يَستَعِيرَ لَهَا خَالًا، يَكُونُ فِي وَجنَةِ ذَاتِ النِّطَاقَينِ خَالًا، وَلِكَونِ الخَالِ مِن مُحَسِّنَاتِ ذَوَاتِ الحِجَالِ، يَكونُ مُحَسِّنًا لِلْقَصِيدَةِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهَا شُبهَةٌ، فَمِن أَينَ زَعَمَ تَصُحُّ هَذِهِ الاستِعَارَةُ لِكَونِهَا شَابَهَت ذَاتَ النِّطَاقَينِ فِي مَا ذَكَرَ؟! أَلَيسَ التَّشْبِيهُ هُوَ الدَّلَالَةُ عَلَى اشْتِرَاكِ شَيئَينِ فِي وَصْفٍ هُوَ مِن أَوْصَافِ الشَّيءِ فِي نَفْسِهِ كَالشَّجَاعَةِ فِي الأَسَدِ؟! أَلَيْسَ زَيدٌ وَالأَسَدُ اشْتَرَكَا فِي الشَّجَاعَةِ؟! وَهيَ صِفةُ الأَسدِ فِي نَفسِهِ، وَحَيثُ شَابَهَهُ زَيدٌ بِتِلكَ الصِّفَةِ سَاغَ تَشبِيهُهُ فِيهِ؟! فَهَل يَسوغُ عُقَيبَ أَن تُشَبِّهُهُ فِيهِ أَنْ تَستَعِيرَ لِزَيدٍ ذَيلًا، لِكَونِ عِندَ الأَسَدِ ذَيلٌ؟! وَإِنْ لَمْ يَكُنْ بِزَيدٍ شُبهَةٌ، فَإِنْ لَمْ يَسُغْ، فَكَيفَ سَاغَ لَهُ أَنْ يَستَعِيرَ لِلقَصِيدَةِ خَالًا وَمَنَارَةً؟! وَالقَصِيدَةُ عِبَارَةٌ عَن أَلفَاظٍ مَنظُومَةٍ مُنْطَوِيَةٍ عَلَى مَعَانٍ قَصَدَهَا نَاظِمُهَا، وَلَمْ يَكُنْ فِي أَلفَاظِهَا وَمَعَانِيهَا شَبَهٌ لَهُمَا، فَلَا تَصُحُّ اسْتِعَارَتِهِمَا لِلْقَصِيدَةِ أَصْلًا؛ لِأَنَّ الاستِعَارَةَ

(١) تحرَّش به: أي تمسَّح به. (مجمل اللغة ١/ ٢٢٥).

هِيَ أَنْ تَزيدَ تَشبِيهَ شَيءٍ بِشَيءٍ، فَتَدَع أَنْ تُظْهِرَهُ وَتُفْصِحَ بِهِ، وَتَجِيءَ إِلَى الاسمِ المُشَبَّهِ بِهِ فَتُعِيرُهُ المُشَبَّهَ، فَتُجْرِيهِ عَلَيهِ مَعَ طَرحِ ذِكرِهِ لَفْظًا وَتَقْدِيرًا، مِثَالُهُ أَنْ تَقُولَ: رَأَيتُ رَجُلًا كَالأَسَدِ فِي شَجَاعَتِهِ وَشِدَّةِ بَطْشِهِ سَوَاء، فَتَدَعُ ذَلِكَ، وَتَقولُ: رَأَيتُ أَسَدًا.

وَقَالوا: إِنَّ الاستِعَارَةَ إِدِّعَاءُ مَعنَى الحَقِيقَةِ فِي الشَّيءِ[1]، وَقَالَ ابنُ أَبِي الإصبعِ[2]: هِيَ الرَّاجِحُ الجَلِيُّ لِلمَرجُوحِ الخَفِيِّ[3]، كَقَولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿.. **وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا**..﴾[4]، وَلَا بُدَّ فِي الاستِعَارَةِ مِن اعْتِبَارِ ثَلَاثَةِ أُصُولٍ:

مُستَعَارٌ، وَمُستَعَارٌ مِنهُ، وَمُستَعَارٌ لَهُ، وَجَامِعٌ بَينَ المُستَعَارِ لَهُ وَالمُستَعَارِ مِنهُ.

فَالمُستَعَارِ فِي هَذِهِ الآيةِ الاشْتِعَالُ وَالمُستَعَارُ مِنهُ النَّارُ، وَالمُستَعَارُ لَهُ الشَّيبُ، وَالجَامِعُ بَينَ المُستَعَارِ لَهُ وَالمُستَعَارِ مِنهُ مُشَابَهَةُ ضَوءِ النَّارِ لِبَيَاضِ الشَّيبِ، وَفَائِدَةُ ذَلِكَ وَصفُ مَا هُوَ أَخفَى بِالتَّشْبِيهِ إِلَى مَا هُوَ أَظهَرُ، وَقَد جَاءَ الكَلَامُ فِي هَذِهِ الآيَةِ عَلَى غَيرِ وَجهِهِ، فَإِنَّ وَجهَ الكَلَامِ أَنْ يُقَالَ اشْتَعَلَ شَيبُ الرَّأسِ، وَإِنَّمَا قُلِبَ لِيَحْصَلَ فِي قَلْبِهِ مِن المُبَالَغَةِ؛ لِأَنَّهُ يُسْتَفَادُ مِنهُ عُمومُ الشَّيبِ لِجَمِيعِ الرَّأسِ، فَلَو جَاءَ الكَلَامُ عَلَى وَجهِ لَم يَفِد هَذَا العُمُومَ، وَذَلِكَ أَنَّكَ لَو قُلتَ اشْتَعَلَتِ النَّارُ فِي البَيتِ؛ لَصَدَقَ هُنَا القَولُ عَلَى اشْتِعَالِ النَّارِ فِي جَانِبٍ وَاحِدٍ مِنَ البَيتِ، وَإِذَا قُلتَ: اشتَعَلَ البَيتُ نَارًا، عُلِمَ مِن فَحوَى هَذَا الكَلَامِ أَنَّ النَّارَ اشْتَمَلَت عَلَى جَمِيعِ نَوَاحِي البَيتِ وَجِهَاتِهِ.

---

(١) نهاية الأرب ٧/ ٤٩، وخزانة الحمويّ ١/ ١١٠، ٢٥٤.

(٢) ابنُ أَبِي الإصبعِ: عَبدُ العَظِيمِ بنُ عَبدِ الوَاحِدِ بنِ ظَافِرِ بنِ عَبدِ الله بنِ مُحمَّدِ بنِ جَعفرِ بنِ الحَسَنِ المُصريُّ، المَعروفُ بِابنِ أَبِي الإِصْبعِ (زَكيُّ الدِّينِ، أَبو مُحمَّد) أَديبٌ، شَاعِرٌ، وُلِدَ بِمِصرَ، وَتُوفِّيَ فِيهَا سَنةَ (٦٥٤هـ). وَمِن آثَارِهِ: (بدائع القرآن)، و(الكواكب الدريَّةُ في نظم القواعد الدينيَّة)، و(تحرير التحبير في البديع)، وغيرها. له ترجمة في: السلوك في طبقات العلماء ١/ ٤٩١، تبصير المنتبه ١/ ٢١، ومعجم المؤلِّفين ٥/ ٢٦٥.

(٣) تحرير التحبير ٩٧.

(٤) سورة مريم/ ٤.

وَتَنقَسِم الاسْتِعَارَةُ بِاعْتِبَارِ الطَّرَفَينِ وَالجَامِعِ إِلَى سِتَّةِ أَقْسَامٍ:

أَوَّلُهَا: استْعِارَةُ مَحسُوسٍ لِـمَحسُوسٍ بِوَجه حِسِّي، وَذَلِكَ نَحوُ قَولِهِ تَعَالَى: ﴿**وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ...**﴾[1]، فَإِنَّ الْمُستَعَارَ مِنهُ حَرَكَةُ المَاءِ عَلَى وَجهٍ مَحسُوسٍ، وَالْمُستَعَارُ لَهُ حَرَكَةُ القَومِ، وَالجَامِعُ مَا يُشَاهَدُ مِنْ شِدَّةِ الاضْطِرَابِ.

وَثَانِيهَا: اسْتِعَارَةُ مَحسُوسٍ لِـمَحْسُوسٍ بِوَجْهٍ عَقلِيٍّ، وَذَلِكَ نَحوُ قَولِهِ تَعَالَى: ﴿**وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ...**﴾[2]، فَالـمُسْتَعَارُ مِنهُ كَشطُ الـجِلدِ عَن الشَّاةِ، وَالـمُستَعَارُ لَهُ إِزَالَةُ الضَّوءِ عَن مَكَانِ اللَّيلِ، وَالـجَامِعُ مَا يُعقَلُ مِن تَرَتُّبِ أَمرٍ عَلَى الآخَرِ.

وَثَالِثُهَا: اسْتِعَارَةُ مَعقولٍ لِـمَعْقُولٍ، وَذَلِكَ نَحوُ قَولِهِ تَعَالَى: ﴿**وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ...**﴾[3]، فَالْمُسْتَعَارُ مِنهُ: امْسَاكُ اللِّسَانِ، وَالْمُستَعَارُ لَهُ: تَقَارُبُ الغَضَبِ عَن اشْتِدَادِهِ إِلَى السُّكُونِ، وَالجَامِعُ: الإِمْسَاكُ عَنِ الإِغرَاءِ.

وَرَابِعُهَا: اسْتِعَارَةُ مَحسُوسٍ لِـمَعْقُولٍ، وَذَلِكَ نَحوُ قَولِهِ تَعَالَى: ﴿**بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ...**﴾[4]، اسْتَعَارَ القَذفَ لِإِيرَادِ الحَقِّ عَلَى البَاطِلِ، وَالدَّمْغَ لِإِذهَابِ البَاطِلِ، وَالجَامِعُ إِيرَادُ الشَّيءِ وَإِزَالَتُهُ عَنهُ.

وَخَامِسُهَا: اسْتِعَارَةُ مَعقُولٍ لِـمَحْسُوسٍ، كَقَولِهِ تَعَالَى: ﴿**.. لَمَّا طَغَى الْمَاءُ...**﴾[5]، فَالْمُسْتَعَارُ مِنهُ: التَّكَبُّرُ، وَالْمُستَعَارُ لَهُ: كَثرةُ المَاءِ، وَالجَامِعُ: الاسْتِعلَاءُ الْمُفْرِطُ.

وَسَادِسُهَا: اسْتِعَارَةُ مَحسُوسٍ لِـمَحْسُوسٍ بِمَا بَعْضُهُ حِسِّيٌّ وَبَعضُهُ عَقلِيٌّ، وَذَلِكَ نَحوُ

(١) سورة الكهف/ ٩٩.
(٢) سورة يس/ ٣٧.
(٣) سورة الأعراف/ ١٥٤.
(٤) سورة الأنبياء/ ١٨.
(٥) سورة الحاقَّة/ ١١.

قَولِكَ: رَأَيتُ شَمْسًا، وَتُريدُ إِنسَانًا، وَالجَامِعُ حُسنُ الطَّلعَةِ، وَنَبَاهَةُ الشَّأنِ.

فَانْظُر إِلَى الأُصُولِ الثَّلَاثَةِ وَالجَامِعُ اللَّذَينِ لَا بُدَّ مِن اعْتِبَارِهِمَا فِي الاسْتِعَارَةِ، وَالحَظْ هَذِهِ الأَقْسَامَ، وَانْظُرْ مِن أَيِّ قِسمٍ مِنهَا تَكونُ اسْتِعَارَةِ العَامِلِيِّ لِلْقَصِيدَةِ خَالًا وَمَنَارَةً، فَإِنَّهُ لَا يَخلو مِن أَحَدِ أَمْرَينِ: أَمَّا أَنْ يَكونَ اسْتَعَارَ مَحسُوسًا لِـمَحْسُوسٍ، أَو مَحسُوسًا لِـمَعقُولٍ، وَذَلِكَ مِن حَيثُ إِنَّ الخَالَ وَالـمَنَارَةَ حِسِّيَانِ مُدرَكَانِ بَحَاسَّةِ البَصَرِ، فَإِنْ كَانَ استَعَارَهُمَا لِـمَحسُوسٍ مِنَ القَصِيدَةِ، فَمَا فِيهَا مَحسُوسٌ إِلَّا اللَّفْظِ؛ لِأَنَّهُ مُدرَكٌ بِحَاسَّةِ السَّمْعِ، أَو المَعقُولُ، فِمَا فِيهَا مَعقُولٌ إِلَّا المَعَانِي، وَعَلَى كِلَا الوَجْهَينِ، لَا تَصُحُّ استِعَارَتُهُ أَصْلًا عَلَى حَسَبِ اعْتِبَارِ هَذِه الأُصُولِ الثَّلَاثَةِ وَالجَامِعِ، وَذَلِكَ مِن حَيثُ لَمْ يَكُنْ فِي أَلفَاظِ القَصِيدَةِ وَمَعنَاهَا شَبَهٌ لِلْخَالِ وَالمَنَارَةِ حَتَّى يَكونَ الشَّبَهُ جَامِعًا بَينَهُمَا، وَبِهذِهِ القَاعِدَةِ استَبَانَ صَرِيحًا لَا يُمْكِنُ صِحَّةُ اسْتِعَارَتِهِمَا أَصْلًا، بَلَى إِذَا تَكَلَّفنَا تَطبِيقَ استِعَارَتِهِمَا عَلَى هَذِهِ الأُصُولِ وَالجَامِعِ، فَلَا يَكونُ كَلَامُهُ الَّذِي اسْتَعَارَهُمَا فِيهِ إِلَّا هِجَاءً لِلقَصِيدَةِ لَا مَدْحًا كَمَا زَعَمَ، وَذَلِكَ مِن حَيثُ لَم يَكُنْ لَهُما شَبَهٌ إِلَّا فِي نَقْشِ أَحرُفِهَا فِي القِرطَاسِ، وَهَذَا ظَاهِرٌ؛ لِأَنَّ نَقْشَ النُّقْطَةِ مِن أَحْرُفِهَا المُعْجَمَةِ يَشبَهُ الخَالَ بِهَيكَلِهَا وَسَوَادِهَا، حَتَّى أَنَّهَا مِن قُربِ شَبَهِهَا بِهِ كَأَنَّهَا هُوَ، وَنَقشُ الأَلفِ مِن أَحرُفِهَا يَشْبَهُ الـمَنَارَةِ فِي الانْتِصَابِ وَالارْتِفَاعِ، فَعَلَى هَذَا فَقَدِ اسْتَعَارَ مِنهُ هَيئَةَ الخَالِ خَالًا لِنُقْطَةِ حَرفِ مُعْجَمِهَا، وَاسْتَعَارَ مِن هَيئَةِ الـمَنَارَةِ مَنَارَةً لِلأَلِفِ مِن أَحْرُفِهَا، فَعَبَّرَ أَيضًا بِالـمَنَارَةِ عَنهُ، وَأَضَافَهَا إِلَى جَمَالِـهَا، فَعَبَّرَ بِجَمَالِـهَا عَن أَحْرُفِهَا، فَعَلَى هَذَا فَيَكُونُ حِينَئِذٍ المُستَعَارُ مِنهُ هَيئَةَ الخَالِ، وَالمُستَعَارُ الخَالَ، وَالمُستَعَارَ لَهُ نُقْطَةُ حَرفِ مُعْجَمِهَا، وَالجَامِعُ مَا يُشَاهَدُ مِن السَّوَادِ وَالهَيكَلِ، وَكَذَلِكَ تَطبِيقُ اسْتِعَارَةِ الـمَنَارَةِ عَلَى هَذِهِ القَاعِدَةِ فَاعْتَبرهَا.

وَإِذَا صَحَّت اسْتِعَارَتَـهُما عَلَى هَذَا الوَجْهِ، فَقَد بَانَ صَرِيحًا بِقَولِهِ: يُؤَذِّنُ بِلَالُ خَالِـهَا فِي مَنَارَةِ جَمَالِهَا، أَنَّ جَمالَـهَا نَقشُ أَحْرُفِهَا فِي القِرطَاسِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ اسْتَعَارَ لَهَا خَالًا،

وَالخَالُ مِن شَأنِهِ يُزِينُ وَيُحسِنُ خَدَّ الفَتَاةِ، وَكَمَا أَنَّهُ يُزينُ وَيُحسِنُ خَدَّ الفَتَاةِ، كَذَلِكَ يَكونُ خَالُ القَصِيدَةِ الَّذِي هُوَ عِبَارةٌ عَن نَقشِ النُّقْطَةِ مِن أَحْرُفِهَا المُعْجَمَةِ يُزينُهَا وَيُحسِنُهَا، وَهَذَا ظَاهِرٌ، إِلَّا أَنَّهُ دَلَّ عَلَى بَعضِ نُقُوشِ كِتَابَتِهَا بِذَلكَ، وَلَكِنِ انْحَصَرَت جَمِيعُ أَحرُفِ كِتَابَتِهَا بِقَولِهِ: يُؤَذِّنُ بِلَالُ خَالِهَا فِي مَنَارَةِ جَمالِهَا؛ لِأَنَّهُ قَدْ ظَهَرَ مِنْ دَلَالَةِ لَفْظِهِ أَنَّ جَمَالَهَا نَقْشُ أَحْرُفِهَا فِي القِرطَاسِ، وَذَلِكَ مِن حَيثُ إِنَّهُ أَضَافَ المَنَارَةَ إِلَيهِ، وَالمَنَارَةُ هُنَا عِبَارَةٌ عَن نَقْشِ الأَلِفِ مِن أَحْرُفِهَا، وَنَقشُ الأَلِفِ هُوَ مَنَارَةُ جَمالِهَا، فَتَلَخَّصَ أَنَّ جَمالَهَا نَقشُ أَحْرُفِهَا، وَمَدحُهُ نَقشُ أَحْرُفِهَا وَاعرَاضُهُ عَنهَا مِن أَعْظَمِ التَّهْجِينِ، سِيَّمَا وَقَد جَعَلَ آذَانَ بِلَالٍ خَالَهَا بِـ(حَيَّ عَلَى المِلَاحِ حَيَّ عَلَى المِلَاحِ)؛ لِأَنَّهُ يُسْتَفَادُ مِن تَأكِيدِهِ التَّنْبِيهُ وَالحَثُّ عَلَى الإِقبَالِ عَلَى نُقُوشِ كِتَابَتِهَا لَا غَيرِ.

وَيُحتَمَلُ وَجهٌ آخَرُ، وَهوَ أَيْضًا يُشْعِرُ بِثَلْبِهَا لَا بِمَدْحِهَا، وَذَلِكَ يُفْهَمُ مِن اصْطِلَاحِ الشُّعَرَاءِ؛ لِأَنَّهُم يُسَمُّونَ الخَالَ عَبْدًا، وَالعَبدَ خَالًا، وَذَلِكَ لِمُشَابَهتِهِمَا فِي السَّوَادِ، فَتَسْمِيَتُهُم لَهُ بِالعَبْدِ كَقَولِ ابنِ نُبَاتَةَ:(١) [من البسيط]

١. عَرِّجْ عَلَى حَرَمِ المَحْبُوبِ مُنْتَصِبًا ... لِقُبْلَةِ الحُسنِ وَاعْذُرنِي عَلَى السَّهَرِ
٢. وَانْظُرْ إِلَى الخَالِ فَوقَ الخَدِّ دُونَ لُمَى ... تَجِدْ بِلَالًا يُرَاعِي الصُّبْحَ فِي السَّحَرِ

وَقَالَ الآخَر:(٢) [من السريع]

أَسْفَرَ ضَوءُ الصُّبْحِ مِنْ وَجْهِهِ ... فَقَامَ خَالُ الخَدِّ فِيهِ بِلَال

وَتَسمِيَتُهُم لَهُ بِالخَالِ(٣) كَقَولِ بَعْضِهِم: [من البسيط]

النَّاسُ قَدْ وَلَعُوا بِالخَالِ قَاطِبَةً ... فَكَيفَ أَصْنَعُ فِيمَنْ كُلُّهُ خَالُ

فَلَمَّا نَظَرنَا إِلَى اصْطِلَاحِهِم احْتَمَلنَا قَولَهُ: يُؤَذِّنُ بِلَالُ خَالِهَا. أَنَّهُ كِنَايَةٌ عَن

(١) ديوان ابن نُباتة ٢/ ٦١٦.

(٢) خزانة الحمويّ ١/ ٤٠٢ بلا عزو.

(٣) في الأصل (بالعبد) في موضع (بالخال)، وهو سبق قلم من الناسخ.

مُنْشِدِهَا الَّذِي نَشَدَهَا أَنَّهُ كَانَ عَبْدًا إِذْ لَمْ نَجِدْ فِي أَلفَاظِهَا وَمَعَانِيهَا شَبَهًا لِلخَالِ، وَلَـمَّا اسْتَقْرَأنَا ذَلِكَ وَلَمْ نَجِدْ شَبهًا بِهَا وَرَأَينَاهُ قَدْ أَضَافَهُ إِلَيهَا نَظَرنَا إِلَى مُقْتَضَيَاتِهَا الخَارِجِيَّةِ فَرَأَينَا قَرَائِنَ لَفظَةٍ تَدُلُّ عَلَى مَا قُلنَاهُ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ سَمَّى خَالَهَا بِلَالًا؛ وَبِلَالٌ يَشبَهُ الخَالَ بِسَوَادِهِ، وَنَظَرنَا إِلَى عِلَّةِ تَسمِيَتِهِ بِبِلَالٍ فَرَأَينَاهَا مُنَاسِبَةً لِلأَذَانِ، وَنَظَرنَا لِلأَذَانِ فَرَأَينَا لَمْ يَكُنْ حَمْلُهُ عَلَى الحَقِيقَةِ، فَعَلِمنَا أَنَّهُ كِنَايَةٌ عَن قِرَاءتِهَا، وَقَولُهُ مَنَارَةٌ جَمَالُهَا كِنَايَةٌ عَن المُرتَفَعِ الَّذِي وَقَفَ عَلَيهِ مُنْشِدُهَا، وَقَد وَقَعَ فِي قَولِهِ: وَلَـمَّا بَرَزَتْ عَلَى هَذَا الوَجْهِ إِلَى قَولِهِ يُؤَذِّنُ بِلَالُ خَالِهَا التَّلمِيحُ، وَهوَ بِتَقْدِيمِ اللَّامِ عَلَى المِيمِ، أَنْ يُشَارَ فِي فَحوَى الكَلَامِ إِلَى قِصَّةٍ، أَو شِعرٍ، أَومَثَلٍ سَائِرٍ، مِن غَيرِ ذِكرِ تِلكَ القِصَّةِ وَالشِّعرِ وَالمَثَلِ[1]، وَسَمَّاهُ ابنُ المُعتَزِّ مُختَرِعُهُ الأَوَّلُ: (حُسنُ التَّضمِينِ)[2]، وَوَافَقَهُ قُدَامَةُ بنُ جَعفَرٍ[3] وَمَن تَبِعَهُمَا، وَقَالَ هُوَ أَنْ يُضَمِّنَ المُتَكَلِّمُ كَلَامَهُ كَلِمَةً أَو كَلِمَتَينِ مِن آيَةٍ، أَو بَيتٍ مِنَ الشِّعرِ، أَو فِقرَةٍ مِن خَبَرٍ، أَو مَثَلٍ سَائِرٍ، أَو مَعنًى مُجَرَّدًا مِن حِكمَةٍ أَو كَلَامٍ، وَسَمَّاهُ المُطَرِّزِي[4] وَصَاحِبُ

(١) نهاية الأرب ٧/ ١٢٧.

(٢) البديع في البديع ٣٨.

(٣) قُدَامَة بنُ جَعْفَر بنِ قُدَامَةَ بنِ زِيَادٍ البَغدَادِيُّ، أَبو الفَرجِ: كَاتِبٌ، مِنَ البُلغَاءِ الفُصَحَاءِ المُتَقَدِّمِينَ فِي عِلمِ المَنطِقِ وَالفَلْسَفَةِ. كَانَ فِي أَيَّامِ المُكتَفِي بِاللهِ العَبَّاسِيِّ، وَأَسلَمَ عَلَى يَدِهِ، وَتُوُفِّيَ فِي بَغدادَ. يُضرَبُ بِهِ المَثَلُ فِي البَلاغَةِ. توفِّي سنة (٣٣٧هـ/ ٩٤٨م)، ومن آثاره: (نقد الشعر)، و(جواهر الألفاظ)، و(زهر الربيع)، وغيرها. له ترجمة في: معجم الأدباء ٥/ ٢٢٣٥، وتأريخ الإسلام ٧/ ١٩٠، والوافي بالوفيات ٢٤/ ١٥٣، وديوان الإسلام ٤/ ٤، والأعلام ٥/ ١٩١، ومعجم المؤلِّفين ٨/ ١٢٨.

(٤) المُطَرِّزي: نَاصُر بنُ عَبدِ السَّيِّد أَبِي المَكَارِمِ بنِ عَلِيٍّ، أَبو الفَتحِ، بُرهَانُ الدِّينِ الخَوَارزمِيُّ المُطَرزِيُّ: أَديبٌ، عَالِمٌ بِاللُّغَةِ، مِن فُقَهَاءِ الحَنَفِيَّةِ. وُلِدَ فِي (جَرجَانِية خَوارِزم)، وَدَخلَ بَغدادَ حَاجًّا سنةَ (٦٠١هـ)، كَانَ رَأسًا فِي الاعتِزالِ. وَتُوُفِّي فِي خَوَارزِمَ (٦١٠ هـ/ ١٢١٣م)، وَرَثَاهُ كَثِيرٌ مِنَ الشُّعَراء، من آثاره: كتاب (الإيضاح) في شرح مقامات الحريريّ، و(المعرب) في اللغة، شرحه ورتَّبه في كتابه (المغرب في ترتيب المعرب)، وَغَيرهَا، وَلَهُ شِعرٌ. له ترجمة في: تأريخ بغداد ١٥/ ٣٥٨، ومعجم الأدباء ٦/ ٢٧٤١، وإنباه الرواة ٣/ ٣٣٩، وتأريخ الإسلام ١٣/ ٢٥٣،=

التَّلخِيصِ[1]: (التَّمْلِيحِ)، بِتَقدِيمِ المِيمِ عَلَى اللَّامِ، كَأَنَّ النَّاظِمُ أَتَى فِي بَيتِهِ بِنُكتَةٍ زَادَتهُ مَلَاحَةً، وَسَمَّاهُ الإِمَامُ فَخرُ الدِّينِ الرَّازِيُّ: (التَّلويحُ)، وَقَالوا جَمِيعًا: هُوَ أَنْ يُشَارُ فِي فَحوَى الكَلَامِ إِلَى مَثلٍ سَائِرٍ، أَو شِعرٍ نَادِرٍ، أَو قِصَّةٍ مَشهُورَةٍ، مِن غَيرِ أَنْ يُذكَرُ جَمِيعُهَا، وَلَم يَختَلِفُوا بِالشَّوَاهِدِ كَقَولِ ابنِ المُعتَزِّ:[2] [من الخفيف]

١. أَتَرَى الجِيرَةَ الَّذِينَ تَدَاعَوا عِنْدَ سَيرِ الحَبِيبِ وَقتَ الزَّوَالِ

٢. عَلِمُوا أَنَّنِي مُقِيمٌ وَقَلْبِي رَاحِلٌ فِيهِمُ أَمَامَ الجِمَالِ

٣. مِثلُ صَاعِ العَزِيزِ فِي أَرْحُلِ القَوْ مِ وَلَا يَعلَمُونَ مَا فِي الرِّحَالِ

وَهَذَا التَّلمِيحُ فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى قِصَّةِ يُوسُف الصِّدِّيقِ عليه السلام، حَيثُ جَعَلَ الصَّاعَ فِي رَحلِ إِخْوَتِهِ، وَإِخوَتُهُ لَم يَشْعُرُوا بِذَلِكَ، وَتَلْمِيحُ العَامِلِيِّ فِي قَولِهِ وَلَمَّا بَرَزَت إِلَى قَولِهِ: يُؤَذِّنُ بَلَالُ خَالِهَا، فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى هَذِه القِصَّةِ أَيضًا لِقَولِهِ عَزَّ مَن قَائِلٌ فِيهَا: ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ

=وسير أعلام النُّبلاء ٢٢/ ٢٨، وفوات الوفيات ٤/ ١٨٢، والبلغة ٣٠٣، وبغية الوعاة ٢/ ٣١١، وديوان الإسلام ٤/ ١٨٥، والأعلام ٧/ ٣٤٨، ومعجم المؤلِّفين ١٣/ ٧١.

(١) محمَّد بن عبد الرَّحمَن بن عمر القَزْوِينيّ الشافعيّ، أبو المعالي، جلال الدين، المعروف بخطيب دمشق. من أحفاد أبي دلف العجليّ: قاضٍ، من أدباء الفقهاء. أصله من قزوين، ومولده في الموصل. ولي القضاء في دمشق سنة (٧٣٨هـ) واستمر إلى أن توفِّي سنة (٧٣٩هـ/ ١٣٣٨م). من آثاره: (تلخيص المفتاح) في المعاني والبيان، و(الإيضاح) في شرح التلخيص، و(السور المرجانيّ من شعر الأرجانيّ). قيل عنه: كان أديبًا بالعربيَّة والتركيَّة والفارسيَّة، حلو العبارة، سمحًا، كثيرَ الفَضَائل. له ترجمة في: أعيان العصر ٤/ ٤٩٢، والوافي بالوفيات ٣/ ١٩٩، وطبقات الشافعيَّة الكبرى ٩/ ١٥٨، والوفيات لابن رافع ١/ ٤٠٣، والسلوك لمعرفة دول الملوك ٣/ ٢٦٢، وطبقات الشافعيَّة لابن قاضي شهبة ٢/ ٢٨٦، والدرر الكامنة ٥/ ٢٤٩، ورفع الإصر ٣٦٦، وبغية الوعاة ١/ ١٥٦، والبدر الطالع ٢/ ١٨٣، والأعلام ٦/ ١٩٢، ومعجم المؤلِّفين ١٠/ ١٤٥.

(٢) للخبَّاز البلديّ في المنتحل ٢٤١، البيتان الأوَّلان فقط، والأبيات الثلاثة، لابن المعتزِّ في: خزانة الحمويّ ١/ ٤٠٦، والكشكول البهائيّ ٢/ ٣٣، وعلوم البلاغة ٣١٥، وبغية الإيضاح ٤/ ٧٠٠، وفي البديع في نقد الشعر البيت الأوَّل فقط.

بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾[1]، فَأَشَارَ العَامِليُّ إِلَى هَذِهِ بِـ(لَـمَّا وَالأَذَانِ)، ولحظَ بِكَلَامِهِ سِيَاقَ الآيَةِ، وَذَلِكَ لِنكتَةٍ فِي قَصيدَةِ السَّيِّد، أَرَادَ التَّنْبِيهَ عَلَيهَا، وَهيَ أَنَّ السَّيِّدَ حَرَّفَ بَيتًا مِن ابنِ رَشِيقٍ[2]، وَتخَلَّصَ بِهِ مِنَ الغَزَلِ إِلَى المَديحِ، وَسَرَقَ مِنَ الشُعَرَاءِ غَيرِهِ، مَعَانِيَ وَأَبيَاتًا، وَضَمَّنَهَا فِي قَصِيدَتِهِ، وَسَنَذكُرُهَا إِذَا انْتَهَى الكَلَامُ بِنَا إِلَيهَا.

فَمُلَاحَظَةُ العَامِليِّ سِيَاقَ الآيَةِ وَإِشَارَتُهُ إِلَيهَا بِـ(لَـمَّا وَالأَذَانِ)؛ لِيَتَنَبَّهَ السَّامِعُ لِذَلِكَ.

وَسِيَاقُ الآيَةِ: هُوَ أَنَّ يُوسُفَ الصِّديقَ عليه السلام لَـمَّا جَهَّزَ إِخْوَتَهُ بِجَهَازِهِم، وَجَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحلِ أَخِيهِ، أَذَّنَ المُؤَذِّنُ بِأَنَّهُم سَارِقُونَ، وَالعَامِليُّ لَاحَظَ سِيَاقَهَا بِتَلمِيحِهِ، فَقَالَ: وَلَـمَّا بَرَزَت هَذَا الوَجْهَ أَي الوَجهُ المَعهُودُ مِن سَرقَةِ البَيتِ بِلَفْظِهِ وَاكتَمَلَت أَي اكتَمَلَت بِهِ؛ لِأَنَّ السَّيِّدَ تَخَلَّصَ بِهِ مِنَ الغَزَلِ إِلَى المَديحِ، وَبِدُونِهِ تَبقَى نَاقِصَةً، وَعَلَى قُصَارَى كُلِّ مَعنًى بَديعٍ بَلِيغٍ اشْتَمَلَت أَي عَلَى سَرِقَةِ كُلِّ مَعنًى بِديعٍ بَلِيغٍ اشْتَمَلَت: أَذَّنَ بِلَالُ خَالِهَا حَيَّ عَلَى المِلَاحِ، مُشِيرًا إِلَى تِلكَ السَّرِقَاتِ بِأَنَّهَا مِلَاحٌ، وَمُلَاحظًا بِتَكريرِهِ التَّنْبِيهَ؛ لِيَفْطِنَ

(١) سورة يوسف/ ٧٠.

(٢) الحَسَنُ بنُ رَشِيقٍ القَيرَوانِيُّ: كَانَ شَاعِرًا، أَدِيبًا، نَحْوِيًّا، لُغَوِيًّا، حَاذِقًا، عَروضِيًّا، كَثِيرَ التَّصنِيفِ، حَسَنُ التَّأليفِ، وَكَانَ بَينَهُ وَبَيْن ابنِ شَرفٍ الأَديبِ مُنَاقَضَاتٌ وَمُحَاقَدَاتٌ، وَصَنَّفَ فِي الرَّدِّ عَلَيهِ عِدَّةَ تَصَانِيفَ، كَانَ أَبوهُ رَشِيقٌ رُومِيًّا، تَأَدَّبَ ابنُ رَشِيقٍ عَلَى أَبِي عَبدِ الله ابنِ جَعفَرٍ القَزَّازِ، القَيروانِيِّ، النَّحوِيِّ اللُّغَوِيِّ، وَغَيرِهِ مِن أَهلِ القَيرَوانِ، وُلِدَ فِي المُحَمَّدِيَّةِ سَنَةَ تِسعينَ وَثَلاثِمِئَةٍ، وَمَاتَ فِي القَيروَانِ سَنَةَ (٤٦٣هـ)، وَقِيلَ سَنَةَ (٤٥٦هـ)، تَركَ لَنَا مَجموعَةَ مُؤَلَّفَاتٍ مِنها: (العُمدةُ فِي صِناعَةِ الشِّعرِ وَنَقدِهِ)، و(قراضة الذهب)، و(التاج)، وَدِيوَان شِعرٍ، وَغَيرهَا.
له ترجمة في: معجم الأدباء ٢/ ٨٦١، وإنباه الرواة ١/ ٣٣٣، ووفيات الأعيان ٢/ ٨٥، وتأريخ الإسلام ١٠/ ١٩٢، وسير أعلام النُّبلاء ١٨/ ٣٢٤، والوافي بالوفيات ١٢/ ٩، والبلغة ١١٢، وبغية الوعاة ١/ ٥٠٤، وديوان الإسلام ٢/ ٣٥٨، والأعلام ٢/ ١٩١، ومعجم المؤلِّفين ٣/ ٢٢٥.

السَّامِعُ لَهَا، فَإِنْ قُلتَ أَنَّ أَبيَاتَ ابنِ المُعتَزِّ وَاضِحَةُ الإِشَارَةِ إِلَى قِصَّةِ يُوسُفَ الصِّدِّيقِ عليه السلام، وَذَلِكَ لِقَولِهِ: مِثلُ صَاعِ العَزِيزِ البيت، وَالعَامِلِيُّ إِشَارَةُ كَلَامِهِ خَفِيَّةٌ جِدًّا، وَبِدُونِ بَيَانِكَ لَهَا لَا يَتَنَبَّهُ السَّامِعُ لِكَلَامِهِ أَنَّهُ إِشَارَةٌ إِلَى تِلكَ القَضِيَّةِ فَكيفَ يَكونُ تَلمِيحًا؟! وَالتَّلمِيحُ يَقْتَضِي أَن يَكونَ كَقَولِ ابنِ المُعتَزِّ، وَاضِحَ الإِشَارَةِ، مِن حَيثُ أَنَّ عُلَمَاءَ المَعَانِي وَالبَيَانِ اسْتَشهَدُوا فِيهِ.

فَأَقولُ: إِنَّ التَّلمِيحَ مِنهُ مَا هُوَ وَاضِحُ الإِشَارَةِ كَقَولِ ابنِ المُعتَزِّ، وَمِنهُ ضَربٌ يَشبَهُ اللُّغْزَ، وَهَذَا الضَّربُ بِالنِّسبَةِ إِلَى كَلَامِ العَامِلِيِّ أَخْفَى إِشَارَةً وَأَدَقُّ، وَقَد ضَرَبَ لَهُ أَربَابُ هَذَا الفَنِّ أَمْثِلَةً مِن قَضَايَا عَجِيبَةٍ، لَو لَمْ يُوضِّحُوهَا فِي بَيَانِهِم، لَمَا تَنَبَّهَ لَهَا إِلَّا الحَاذِقُ الفَطِنُ.

مِنْهَا مَا رُوِيَ أَنَّ تَمِيمِيًّا قَالَ لِشَرِيكِ النُّمَيْرِيِّ: مَا فِي الجَوَارِحِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ البَازِيِّ؟. فَقَالَ النُّمَيْرِيُّ: وَخَاصَّةً إِذَا يَصِيدُ القَطَا[1].

فَأَشَارَ التَّمِيمِيُّ إِلَى قَوْلِ جَرِيرٍ:[2] [من الوافر]

أَنَا البَازِي المُدِلُّ عَلَى نُمَيْرٍ أُتِحْتُ مِنَ السَّمَاءِ لَهَا انْصِبَابَا[3]

وَأَشَارَ شَرِيكٌ إِلَى قَوْلِ الطِّرِمَّاحِ، وَهُوَ:[4] [من الطويل]

تَمِيمٌ بِطُرْقِ اللُّؤْمِ أَهْدَى مِنَ القَطَا ولَو سَلَكَتْ طُرْقَ الهِدَايَةِ ضَلَّتِ[5]

وَمِنْ ذَلِكَ مَا رُوِيَ:[6] أَنَّ رَجُلًا مِنْ بَنِي مُحَارِبٍ دَخَلَ عَلَى عَبْدِ الله بنِ يَزِيْدَ

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة ٥/ ٢٣، الذخيرة ١/ ٤٦٣.

(٢) ديوان جرير: ٨١٩.

(٣) في (الأصل): (المطل) في موضع (المدل)، و(أتيح) في محل (أُتِحْتُ).

(٤) ديوان الطرماح ٧٤.

(٥) في (الديوان): (المكارم) في موضع (الهداية).

(٦) الخبر والشعر في: البيان والتبيين ٢/ ١٢٦، والعقد الفريد ٢/ ٣٠٠، ونثر الدر ٧/ ١١٢، الذخيرة ١/ ٤٦٢-٤٦٣، والتذكرة الحمدونيَّة ٨/ ٣٠٣، ومفاتح العلوم ١/ ٥٨٢، وزهر=

الهِلالِيّ[1]، فَقَالَ عَبْدُ الله:

مَاذَا لَقِينَا البَارِحَةَ مِنْ شُيُوخِ مُحَارِبٍ، مَا تَرَكُوْنَا نَنَامُ.

أَرَادَ قَوْلَ الأَخْطَلِ:[2] [من الطويل]

١. تَنِقُّ بِلا شَيءٍ شُيُوخُ مُحَارِبٍ وَمَا خِلْتُهَا كَانَتْ تَرِيشُ وَلا تَبْرِي[3]

٢. ضَفَادِعُ فِي ظَلْمَاءِ لَيْلٍ تَجَاوَبَتْ فَدَلَّ عَلَيْهَا صَوْتُهَا حَيَّةَ البَحْرِ

فَقَالَ [المُحَارِبِيُّ]: أَصْلَحَكَ اللهُ أَضَلُّوا البَارِحَةَ بُرْقُعًا فَكَانُوا فِي طَلَبِهِ؟!

وَأَرَادَ قَوْلَ الآخَرَ:[4] [من الطويل]

لِكُلِّ هِلالِيٍّ مِنَ اللُّؤْمِ بُرْقُعٌ وَلابْنِ يَزِيدٍ بُرْقُعٌ وَجَلالُ

وَمِنها قِصَّةُ الهُذَلِيّ مَعَ المَنْصُورِ العَبَّاسِيِّ، فَقَدْ رُوِيَ أَنَّهُ وَعَدَ الهُذَلِيّ بِجَائِزَةٍ [فَنَسِيَ]، وَمَرَّا فِي المَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ بِبَيْتِ عَاتِكَةَ[5]، فَقَالَ الهُذَلِيُّ:

يَا أَمِيْرَ المُؤْمِنِيْنَ هَذَا بَيْتُ عَاتِكَةَ الَّذي يَقُولُ فِيهِ الأَحْوَصُ[6]: [من الكامل]

=الأكم ١/ ١١٧، وتأريخ آداب العرب ٢/ ٢٦٣.

(١) عبد الله بن يزيد الهلاليّ، كان واليًا على أرمينية. ينظر: العقد الفريد ٢/ ٣٠٠.

(٢) ديوان الأخطل: ١١٣.

(٣) في (الأصل): (تكش) في موضع (تنق).

- النقيق: صوت الضفادع. (التاج ٢٦/ ٤٣٧). لا تريش ولا تبري: أي إنَّ ضَوضَاؤها فارغة، وليست استعدادًا لحربٍ أو معركة، فالبري: بري السهام أو النبل. (التاج ٣٧/ ١٦٣)، ورَاشَ السَّهْمَ: أَلْزَقَ عَلَيْهِ الرِّيشَ، ورَكَّبَه عَلَيْه. (التاج ١٧/ ٢٣١)، ومِنْ أَمْثَالِهِم: (فُلانٌ لا يَرِيشُ وَلا يَبْرِي، أَيْ لا يَنْفَعُ وَلا يَضُرُّ. (التاج ١٧/ ٢٣٣).

(٤) البيت للقشيريّ في ربيع الأبرار ٢/ ٨٠.

(٥) هَيَ عَاتِكَةُ بِنتُ عَبدِ الله بنِ مُعَاوِيَةَ بنِ أَبِي سُفيَانَ، كَانَت عِندَ يَزيدَ بنِ عَبدِ المَلِكِ بنِ مَروانَ. وَأُمُّ يَزيدَ هَذَا عَاتِكَةُ بِنتُ يَزيدَ بنَ مُعاوِيَةَ بنِ أَبِي سُفيَانَ.

سمط اللآلي ١/ ٢٥٩، ووفيات الأعيان ٢/ ٢٩٧.

(٦) في (الأصل): (الأخوص) في محل (الأحوص)، وهو غيره.=

يَا بَيْتَ عَاتِكَةَ الَّذي أَتَعَزَّلُ[1] .....

فَأَنْكَرَ عَلَيهِ المَنْصُورُ؛ لِأَنَّهُ تَكَلَّمَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَسْأَلَهُ، فَلَمَّا رَجَعَ الخَلِيفَةُ نَظَرَ إِلَى القَصِيدَةِ؛ لِيَعْلَمَ مَا أَرَادَ الهُذَلِيّ بِإِنْشَادِ ذَلِكَ البَيتِ مِنْ غَيرِ اسْتِدعَاءٍ، فَإِذَا فِيهَا: [من الكامل]

وَأَرَاكَ تَفْعَلُ مَا تَقُولُ وَغَيْرُكُمْ مَذِقُ اللِّسَانِ يَقُولُ مَا لَا يَفْعَلُ

فَعَلِمَ أَنَّهُ أَشَارَ إِلَى هَذَا البَيْتِ بِتَلْمِيحِهِ، فَتَذَكَّرَ مَا وَعَدَهُ بِهِ وَأَنْجَزَهُ[2]، وَاعْتَذَرَ إِلَيهِ مِنَ النِّسيَانِ.

وَمِنهَا مَا حُكِيَ أَنَّ أَبَا العَلَاء المَعَرِّي كَانَ يَتَعَصَّبُ لِلْمُتَنَبِّي، فَحَضَرَ يَوْمًا مَجْلِسَ [الشَّرِيفِ] المُرْتَضَى عَلَمِ الهُدَى، فَجَرَى ذِكْرُ أَبِي الطَّيِّبِ، فَهَضَمَ المُرْتَضَى مِنْ جَانِبِهِ. فَقَالَ أَبو العَلَاء المَعَرِّي: لَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنَ الشِّعرِ إِلَّا قَوْلُهُ:[3] [من الكامل]

=- الأَحْوَصُ: عَبدُ الله بنُ مُحَمَّدِ بنِ عَبدِ الله بنِ عَاصِمِ الأَنصَارِيُّ، مِن بَنِي ضَبيعَةَ: شَاعِرٌ هَجَّاءٌ، صَافِي الدِّيبَاجَةِ، مِن طَبَقَةِ جَمِيلِ بنِ مُعَمَّرٍ وَنُصَيبٍ، كَانَ مُعَاصِرًا لجَرِيرٍ وَالفَرزْدَقِ، وَهوَ مِن سُكَّانِ المَدينَةِ، وَفَدَ عَلَى الوَلِيدِ بنِ عَبدِ المَلكِ (فِي الشَّامِ) فَأَكرَمَهُ الوَلِيدُ، ثُمَّ بَلَغَه عَنهُ مَا سَاءَه مِن سِيرتِهِ، فَرَدَّه إِلى المَدينَةِ وَأَمَرَ بِجَلدِهِ، فَجُلِدَ، وَنُفِيَ إِلَى (دَهلَك) وَهِيَ جَزِيرةٌ بينَ اليَمَنِ وَالحَبَشَةِ، كَانَ بَنو أُميَّةَ يَنفونَ إِلَيهَا مَن يَسخَطُونَ عَلَيهِ، فَبَقِيَ فِيهَا إِلَى مَا بَعدَ وَفَاةِ عُمرَ بنِ عَبدِ العَزِيزِ، وَأُطلِقَ سَرَاحَهُ، توفِّي سنة (١٠٥ هـ). ينظر: بغية الطلب ٣/ ١٣٢٢، وتأريخ دمشق ٣٢/ ١٩٧، وفوات الوفيات ٢/ ٢١٧، وشذرات الذهب ٢/ ٢٩، والأعلام ٤/ ١١٦.

(١) قال الأحوص الأنصاري: (من الكامل)

يَا بَيْتَ عَاتِكَةَ الَّذي أَتَعَزَّلُ حَذَرَ العِدَى وَبِهِ الفُؤَادُ مُوَكَّلُ

شعر الأحوص الأنصاريّ ١٥٢.

(٢) الخبر والشعر في: ثمار القلوب ٣١٧، المنتحل ١٩٤، وزهر الآداب ١/ ٢٤٥-٢٤٦، وسمط اللآلي ١/ ٢٦٠، والتذكرة الحمدونيَّة ٨/ ٣١٠-٣١١، وتأريخ دمشق٥٠/ ٩٩، وربيع الأبرار ٣/ ٢٨٥-٢٨٦، ووفيات الأعيان ٢/ ٢٩٦-٢٩٧، ومرآة الجنان ٢٦١، ونهاية الأرب ٣/ ١٦١، وثمرات الأوراق ١/ ١٣٩، وخزانة الحمويّ ١/ ٤٠٨، والمستطرف ٢٠٧، وتأريخ الخلفاء ٢٠٠، وخزانة البغدادي ٢/ ٥١، محاضرات الأدباء٢/ ٨٠.

(٣) ديوان المتنبِّي ١٦٣.

لَـكِ يَـا مَـنَـازِلُ فِي الـقُـلُـوبِ مَـنَـازِلُ أَقْـفَـرْتِ أَنْـتِ وَهُـنَّ مِـنْـكِ أَوَاهِـلُ

لَكَفَاهُ.

فَغَضِبَ الْمُرْتَضَى وَأَمَرَ بِسَحْبِهِ وَإِخْرَاجِهِ، وَقَالَ لِلْحَاضِرِينَ:

أَتَدْرُونَ مَا عَنَى بِذِكْرِ هَذَا البَيْتِ؟

قَالُوا: لَا.

قَالَ: عَنَى قَوْلَ الْمُتَنَبِّي فِيهَا:(١) [من الكامل]

وَإِذَا أَتَـتْـكَ مَـذَمَّـتِـي مِـنْ نَـاقِـصٍ فَـهْـيَ الـشَّـهَـادَةُ لِـي بِـأَنِّي كَـامِـلُ

وَمِنْها قِصَّةُ السِّرِّي الرَّفَاءِ، كان من مُدَّاحِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ، وَجَرَى يَوْمًا فِي مَجْلِسِهِ ذِكْرُ أَبِي الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّي، فَأَطْنَبَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ فِي الثَّنَاءِ عَلَيْهِ؛ فَقَالَ لَهُ السِّرِّي: أَشْتَهِي أَنَّ الأَمِيْرَ يَنْتَخِبُ لِيَ قَصِيْدَةً مِنْ غُرَرِ قَصَائِدِهِ لأُعَارِضَهَا، وَيَتَحَقَّقُ بِذَلِكَ أَنَّهُ أَرْكَبَ الْمُتَنَبِّيَ فِي غَيْرِ سَرْجِهِ.

فَقَالَ عَلَى الفَوْرِ: عَارِضْ لَنَا قَصِيدَتَهُ القَافِيَّةَ الَّتِي مَطْلَعُهَا:(٢) [من الطويل]

لِعَيْنَيْكِ مَا يَلْقَى الـفُـؤَادُ وَمَـا لَقِي وَلِـلْـحُـبِّ مَـا لَمْ يَـبْـقَ مِـنِّـي وَمَـا بَقِي

قَالَ السِّرِّي: فَكَتَبْتُ القَصِيدَةَ وَاعْتَبَرْتُهَا فِي تِلكَ اللَّيلَةِ، فَلَمْ أَجِدْهَا مِنْ اخْتِيَارَاتِ أَبِي الطَّيِّبِ، لَكِنْ رَأَيْتُهُ يَقُولُ فِي آخِرِهَا: [من الطويل]

(١) البيت والخبر في: معجم الأدباء ١/ ٣٠٢-٣٠٣، ونكت الهميان ٧٩-٨٠، بغية الوعاة ١/ ٣١٦، وحياة الحيوان الكبرى ٢/ ٣٨٧، وثمرات الأوراق ١/ ١٣٩، وخزانة الحمويّ ١/ ٤٠٩، والصبح المنبي ٢/ ٦١، وشذرات الذهب ٥/ ٢١١، وابنُ كَثيرٍ يَذكرُ الخَبَرَ وَيُؤَكِّدُ أَنَّه مَعَ الخَليفَةِ، وَلَيسَ مَعَ الشَّريفِ المُرتَضَى. البداية والنهاية ١٢/ ٩١.

- تَتَناوَلُ كُتبُ الأَدَبِ وَالتَّأريخِ الأَدَبِيِّ هَذهِ القَضِيَّةَ باستِمرَارٍ، وَقَد نَاقَشنَاهَا فِي مُقَدِّمَةِ دِيوَانِ الشَّريفِ المُرتَضى ﷺ بِتَحقِيقِنَا، وَنَشرِ مُؤَسَّسَةِ دَارِ الحَديثِ فِي قُمٍّ المُقَدَّسَةِ، وَتَوَصَّلنَا إِلَى قَنَاعَةٍ أَنَّهَا قَضيَّةٌ مُلَفَّقَةٌ، وَلَا أَسَاسَ لَهَا مِنَ الصِّحَّةِ.

(٢) ديوان المتنبي ٣٣٥.

إِذَا شَاءَ أَنْ يَلْهُو بِلِحْيَةِ أَحْمَقٍ أَرَاهُ غُبَارِي، ثُمَّ قَالَ لَهُ الْحَقِ

فَقُلْتُ: وَاللهِ مَا أَشَارَ سَيفُ الدَّولَةِ إِلَّا إِلَى هَذَا البَيْتِ؛ فَاحْجَمْتُ عَنْ مُعَارَضَة القصيدة[1].

وَمِنْها مَا حَكَاهُ ابنُ الجُوزيِّ فِي كِتَابِ (الأَذكِيَاء)[2]، قَالَ:[3]

جَلَسَ رَجُلٌ عَلَى جِسْرِ بَغْدَادَ، فَأَقْبَلَتْ امْرَأَةٌ بَارِعَةُ الجَمَالِ مِنْ نَاحِيَةِ الرُّصَافَةِ إِلَى الجَانِبِ الغَرْبِيِّ، فَاسْتَقْبَلَهَا شَابٌ؛ فَقَالَ لَهَا: رَحِمَ اللهُ عَلِيَّ بنَ الجَهْمِ[4].

فَقَالَتِ المَرأَةُ: رَحِمَ اللهُ أَبَا العَلاءِ المَعَرِّيّ، وَمَا وَقَفَا، بَلْ سَارَا مَشْرِقًا وَمَغْرِبًا، قَالَ الرَّجُلُ: فَتَبِعْتُ المَرْأَةَ، وَقُلْتُ لها: واللهِ لَئِنْ لَمْ تَقولِي مَا أَرَادَ بِابْنِ الجَهْمِ، وَمَا أَرَدْتِ بِأَبِي العَلاءِ فَضَحْتُكُمَا؟ فَضَحِكَتْ وَقَالَتْ: أَرَادَ بِهِ قَوْلَهُ:[5] [من الطويل]

عُيُونُ المَهَا بَيْنَ الرُّصَافَةِ وَالجِسْرِ جَلَبْنَ الهَوَى مِنْ حَيْثُ نَدْرِي وَلا نَدْرِي

(١) الخبروالشعر في: ثمرات الأوراق ١/ ١٣٩-١٤٠، وخزانة الحمويّ ١/ ٤٠٩، والصبح المنبي ٢/ ٦٥.وفي تأريخ الأدب الأندلسي ١١٠، قِصَّةٌ مُشَابِهةٌ حَصَلَت مَعَ ابنِ شَرفٍ فِي مَجلسِ المَأمُونِ وَيَذكرُ الشِّعرَ.

(٢) كتاب الأذكياء: لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن عليّ بن محمَّد الجوزيّ (المتوفَّى ٥٩٧هـ).

(٣) الخبر والشعر في: الأذكياء ٢٢٣، معجم الأدباء ١/ ٣٢٤، وتوضيح المشتبه ٤/ ١٩٧، وأخبار الظراف والمتماجنين ١٤٨، وحياة الحيوان الكبرى ٢/ ٤٤٩، وثمرات الأوراق ١/ ١٤٠، وخزانة الحمويّ ١/ ٤٠٩، وزهر الأكم ١/ ١١٧.

(٤) عَليّ بنُ الجَهْمِ بنِ بَدرٍ، مِن بَني سَامَة، مِن لُؤَيِّ بنِ غَالِبٍ: شَاعِرٌ، رَقيقُ الشِّعرِ، أَديبٌ، مِن أَهلِ بَغدادَ كَانَ مُعَاصِرًا لأبي تمَّام، وَاختَصَّ بِالْمُتَوَكِّلِ العَبَّاسِيّ. ثُمَّ غَضِبَ عَلَيهِ فَنَفَاهُ إِلَى خُرَاسَانَ، فَأَقَامَ مُدَّةً، وَانتَقَلَ إِلَى حَلَب، ثُمَّ خرجَ مِنهَا بِجَماعَةٍ يُريدُ الغَزوَ، فَاعتَرَضَهُ فُرسَانٌ مِن بَنِي كَلبٍ، فَقَاتَلَهُم، وَجُرِحَ وَمَاتَ مِن جِرَاحَةٍ سَنَةَ (٢٤٩هـ/ ٨٦٣م). لَه (ديوان شعر). لَه تَرجمَةٌ فِي: معجم الشعراء١/ ١٨٧، وتأريخ بغداد ١١/ ٣٦٧، والذخيرة ٧/ ٢٠٦، ووفيات الأعيان ٣٥/ ٣٥٥، والوافي بالوفيات ٢٠/ ١٧٨، والأعلام ٤/ ٢٦٩، ومعجم المؤلِّفين ٧/ ٥٤.

(٥) ديوان عليّ بن الجهم ١٤١.

وَأَرَدْتُ بِأَبِي العَلاءَ قَوْلَهُ:[1] [من الطويل]

فَيَا دَارَهَا بِالخَيْفِ إِنَّ مَزَارَهَا قَرِيبٌ وَلَكِنْ دُونَ ذَلِكَ أَهْوَالُ[2]

وَأَشْنَعُ مِن هَذَا كُلِّهِ قَولُهُ فِي ذِكرِ تَشْطِيرِهِ القَصيدَةَ، وَالتَّشْطِيرُ المُشَارُ إِلَيهِ هُو هَذَا بِلَا خِلَاف، وَالحُكْمُ فِيهِ لِذَوي الإِنصَاف.

أَقولُ: لَيتَ شِعري مَا شَعرَ أَنَّهُ أَوَّلُ خُروجٍ تَشطِيرِه لِلنَّاسِ هَذَا الَّذِي رَسَمَهُ وَلَم يَكُن قَديمًا عِندَ النَّاسِ مُتَدَاوَلًا فَيُحتَمَلُ وُقُوعُ الاخْتِلَافِ فِيهِ مِنَ الرُّواةِ أَفَهَل ظَنَّ ذَلِكَ فِيهِ وَأَرَادَ أَن يُزيلَ الاحْتِمَالَ بِقَولِهِ هُوَ هَذَا بِلَا خِلَاف، أَو أَنَّهُ سَمِعَ العُلَمَاءَ فِي البَحثِ تَقولُ لِتَلَامِذَتِهَا: (هَذَا القَولُ بِلَا خِلَاف)؟! أَي مُجمَعٌ عَلَيهِ، وَهوَ لَم يَعلَم مَا مَعنَى الخِلَاف، وَتَخَيَّلَ أَنَّ هَذِهِ لِكَثرَةِ مَا يَسْمَعُهَا مِنهُم فِي البَحثِ أَنَّهَا تُحَسِّنُ الكَلَام؟! وَإِن لَم تَقَع مِنهُ مَوقِعَهَا وَأَنَّهَا مِنَ الفَوَائِدِ وَهوَ أَوْدَعَهَا فِي كَلَامِهِ لِعُظمِ فَصَاحَتِهِ وَحُسْنِ نَبَاهَتِهِ؛ لِأَنَّ الفَرَائِدَ نَوعٌ يَختَصُّ بِالفَصَاحَةِ دُونَ البَلَاغَةِ، وَهِيَ أَنْ يَأتِي الشَّاعِرُ بِلَفظَةٍ فَصِيحَةٍ مِن كَلَامِ العَرَبِ العُرَبَاءِ فَتكونُ مِن كَلَامِهِ بِمَنْزِلَةِ الفَرِيدَةِ مِنَ العِقْدِ، تَدُلُّ عَلَى فَصَاحَةِ المُتَكَلِّمِ حَتَّى أَنَّ تِلكَ اللَّفْظَةَ تَكَادُ لَو سَقَطَت مِنَ الكَلَامِ لَم يَسُد غَيرُهَا مَسَدَّهَا، كَقَولِهِ ﷻ: ﴿**أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ...**﴾[3]

فَقَولُهُ تَعَالَى: (الرَّفَثُ) فَرِيدَةٌ لَا يَقُومُ غَيرُهَا مَقَامَهَا. وَقَولُهُ تَعَالَى: ﴿.. **هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي...**﴾[4]

فَقَولُهُ تَعَالَى: (أَهُشُّ) فَرِيدَةٌ يَعُزُّ عَلَى الفُصَحَاءِ الإِتيَانُ بِمِثلِهَا فِي مَكَانِهَا. وكقول الحماسيّ:[5] [من الكامل]

(١) سقط الزند ٢٢٩.

(٢) الديوان: (بالحزن).

(٣) سورة البقرة: ١٨٧.

(٤) سورة طه: ١٨.

(٥) لأبي كبير الهذلي، ينظر: أشعار الهذليين ٣/ ١٠٧٣

وَمُـــبَرَّأً مِـن كُـلِّ غُـبَّرِ حَـيْـضَـةٍ وَفَـسَـادِ مُـرْضِـعَـةٍ، وَدَاءٍ مُـغَـيِّـلِ[1]

فَقَولُهُ: (غُبَّر) هِي فَرِيدَةٌ، وَهِي أَفصَحُ لَفْظَةٍ فِي هَذَا المَكَانِ، فَأَجِلْ فِكرَكَ فِي لَفظَةِ العَامِلِيِّ، فَإِنَّكَ تَرَاهَا مِنَ الأَلفَاظِ المَبذُولَةِ المُتَدَاوَلَةِ بَينَ النَّاسِ وَعَوَامِّ النَّاسِ إِذَا تَكَلَّموا بِهَا وَضَعُوهَا فِي مَحلِّهَا؛ لِأَنَّ دَائِمًا مَا نَرَى الرَّجُلَ مِنهُم يَقولُ: خَالَفَنَا فُلَانٌ فِي الطَّرِيقِ، وَفُلَانٌ مَا يُخَالِفُنِي، وَوَقَعَ بَينَ بَنِي فُلَانٍ خِلَافٌ، وَلَم يَقُلْ تَكَلَّمتُ بِكَذَا بِلَا خِلَافٍ، أَفَلَا تَعْجَبُ مِن عَوَامِّ النَّاسِ كَيفَ أَصَابُوا، وَنَابِغَةُ دَهرِهِ عَلَى جَلَالَةِ قَدرِهِ كَيفَ أَخْطَأَ؟!

هَذَا آخِرُ مَا أَوردَنَاهُ مِنْ مَعَايِبِ تَقْرِيظِهِ الوَاضِحَةِ، وَسَنَذكُرُ -إِنْ شَاءَ اللهُ- مِن مَعَايِبِ تَشْطِيرِهِ مَا هُوَ أَوضَحُ حِينَ الخَوضِ فِي ذِكرِ مَعَايِبَ القَصِيدَةِ المُشَارِ إِلَيهَا وَالقَصِيدَةُ هَذِهِ:

قَالَ السَّيِّدُ سَلَّمَهُ الله: [من الطويل]

تَـجَلَّى بِـآفَـاقِ الـعُـلَا كَـوكَـبُ السَّعْدِ فَجَلَّى نُـحُـوسَ المُجْتَلَى ثَـاقِـبُ الوَقْدِ

أَقُولُ: رَأَيتُ فِي نُسْخَةِ نَاظِمِهَا بَرَاعَةَ هَذَا المَطلَعِ، وَنُسْخَةَ التَّشْطِيرِ وَالتَّخْمِيسِ أَيْضًا، وَسَمِعتُ نَاظِمَهَا قَرأَ: (ثَاقِبُ الوَقْدِ) بِالرَّفْعِ، وَهوَ لَا يَصُحُّ أَصْلًا؛ لِأَنَّهُ لَا يَخلُو مِن أَنَّهُ أَرَادَ بِثَاقِبِ الوَقْدِ صِفَةً لِكَوكَبِ السَّعْدِ، فَإِنْ كَانَ هَذَا مُرَادَهُ فَهوَ غَلَطٌ مَحْضٌ؛ لِأَنَّ (كَوكَبَ السَّعدِ) مُعَرَّفٌ بِالإِضَافَةِ، وَ(ثَاقِبُ الوَقْدِ) بَاقٍ عَلَى تَنكِيرِهِ، وَلَم يَكتَسِبْ بِإِضَافَةِ التَّعرِيفِ حَتَّى إِنَّهُ يَكونُ صِفَةً لَهُ، وَوَجهُ بَقَائِهِ عَلَى تَنكِيرِهِ، وَإِنَّهُ لَم يَكتَسِب بِإِضَافَةِ

(١) في (الأصل): (معضِّل) في موضع (مغيِّل).
- غُبْرُ كُلِّ شَيْءٍ: بقيَّته، وَالْجَمْعُ أَغبارٌ، وَهُوَ الغُبَّرُ أَيضًا. (اللسان ٥/ ٣)، وَفَسَادِ مُرْضِعَةٍ: أَي لَم تَحمل عَلَيهِ قَبلَ الفِطَامِ، فَتَسقِيهِ مِن لَبنِ الغِيلِ. الغَيْلُ: اللبَنُ الَّذِي تُرضِعُه المرأَةُ وَلَدَها وَهِي حاملٌ أَي على حَبَلٍ. واسمُ ذَلِك اللبنِ الغَيْلُ أَيضا، وَإِذا شَرِبَه الولَدُ ضَوِيَ واعْتَلَّ عَنهُ. (التاج ٣٠/ ١٣٤).

التَّعريفِ ظَاهِر؛ لِأَنَّ الإِضَافَةَ تَنقَسِمُ إِلَى قِسمَينِ لَفْظِيَّةً وَمَعنَوِيَّةً، فَالمَعنَوِيَّةُ هِيَ الَّتِي لَا يُنوَى بِهَا الانفِصَالُ، وَتَحْدُثُ بَينَ المُضَافِ وَالمُضَافِ إِلَيهِ تَعَلُّقًا لَم يَكُنْ قَبلَهَا، وَتُفِيدُ الأَوَّلَ تَعْرِيفًا كَـ(غُلَامِ زَيدٍ)، أَو تَخْصِيصًا كَـ(غُلَامِ رَجُلٍ)، وَاللَّفْظِيَّةُ هِيَ الَّتِي فِي تَقْدِيرِ الانْفِصَالِ، وَيَكونُ بَينَ المُضَافِ وَالمُضَافِ إِلَيهِ تَعَلُّقٍ مِنْ غَيرِ جِهَةِ الإِضَافَةِ، وَلَا تُفِيدُ تَعْرِيفًا وَلَا تَخْصِيصًا، وَتَكونُ فَائِدَتُها التَّخْفِيفَ.

فَعَلَى هَذَا يَكونُ: (ثَاقِبُ الوَقْدِ) مِن إِضَافَةِ اسمِ الفَاعِلِ إِلَى فَاعِلِهِ، وَتَكونُ إِضَافَتُهُ هَذِهِ لَفْظِيَّةً؛ لِأَنَّهَا فِي تَقدِيرِ الانْفِصَالِ، إِذ الأَصْلُ ثَاقِبٌ وَقْدُهُ، وَبِقَولِكَ ثَاقِبُ وَقْدِهِ، يَكونُ التَّعَلُّقِ حَاصِلًا مِنْ غَيرِ جِهَةِ الإِضَافَةِ، وَإِذَا أَضِفْتَ (ثَاقِبَ) إِلَى (الوَقْدِ) فَلَا تُفِيدُ الإِضَافَةُ تَعرِيفًا وَلَا تَخْصِيصًا، وَإِنَّمَا تُفِيدُ التَّخْفِيفَ فِي اللَّفْظِ، وَهوَ حَذْفُ التَّنوينِ، أَو أَنَّهُ أَرَادَ فَاعِلَ (تَجَلَّى كَوكَبُ السَّعدِ)، وَفَاعِلُ فَجَلَّى ثَاقِبُ الوَقْدِ، فَهوَ أَيْضًا مِن أَفْحَشِ الغَلَطِ؛ لِأَنَّ (كَوكَبَ السَّعْدِ) مَا أَفَادَ إِلَّا أَنَّهُ تَجَلَّى بِآفَاقِ العُلَا فَقَط، وَتَجَلِّيهِ مَا اسْتَفَادَ مِنهُ شَيئًا، وَإِنَّمَا إِفَادَتُهُ حَصَلَتْ مِن ثَاقِبِ الوَقْدِ؛ لِأَنَّهُ هُو الَّذِي جَلَا نُحُوسَتَهُ، وَهوَ مَا أَتَى بِكَوكَبِ السَّعْدِ فِي صَدْرِ البَيتِ إِلَّا لِيُقَابِلَ بِهِ نُحوسَ المُجْتَلِي الَّتِي فِي عَجْزِهِ، وَمَا أَشْغَلَ فِكرَهُ فِي هَذِهِ المُقَابَلَةِ إِلَّا لِأَنَّهُ أَرَادَ بِكَوكَبِ السَّعدِ هُوَ الَّذِي بِتَجَلِّيهِ جَلَّى نُحُوسَ مُجْتَلِيهِ، فَكَيفَ يُهمِلُهُ وَيَعْدِلُ عَنهُ إِلَى ثَاقِبِ الوَقْدِ؟! وَيُفسِدُ بِعُدُولِهِ البَيتَ؛ لِأَنَّهُ حِينَئِذٍ يَكونُ مَعنَاهُ:

تَجَلَّى كَوكَبُ السَّعدِ بِآفَاقِ العُلَا فَجَلَا ثَاقِبَ الوَقْدِ نُحوسَ المُجْتَلَى.

وَيَكونُ مَعنَاهُ عَلَى الوَجهِ الَّذِي بَيَّنَّاهُ مِن أَنَّ ثَاقِبَ الوَقدِ لَا يَكونُ صِفةً لِكَوكَبِ السَّعدِ أَحسَنَ مِن هَذَا، إِلَّا أَنَّهُ يَتُمُّ فِي أَثْنَاءِ العُجزِ، وَيَبقَى ثَاقِبُ الوَقْدِ مُلغًى مَا لَهُ دَخْلٌ فِي المَعنَى، وَهَذَا وَإِنْ كَانَ غَلَطًا فَاحِشًا، إِلَّا أَنَّ مَعنَى البَيتِ يَكونُ صَحِيحًا بِالأَلفَاظِ الَّتِي تَظَمَّنَتهُ فَقَط، فَيَصيرُ مَعنَاهُ عَلَى حَسَبِ مَا بَيَّنَّاهُ: تَجَلَّى كَوكَبُ السَّعْدِ بِآفَاقِ العُلَا فَجَلَّى

نُحُوسَ المُجْتَلِي، وَهَذَا كَمَا تَرَاهُ مَعنًى صَحِيحًا تَمَّ بِالأَلفَاظِ الَّتِي تَظَمَّنَتهُ، وَمَا لَهُ دَخَلٌ (بِثَاقِبِ الوَقْدِ)، وَفَائِدَةُ (ثَاقِبِ الوَقدِ) هُنَا تَتِمَّةُ وَزنِ البَيتِ فَقَط.

وَأَظُنُّه لَـمَّا تَمَّ مَعنَى بَيتِهِ، وَبَقِيَ وَزنُهُ نَاقِصًا، وَأَتَـمَّهُ بِقَولِهِ: (ثَاقِبُ الوَقدِ)، حَاوَلَ الإيغَالَ[1]، وَتَـخَيَّلَ أَنَّهُ أَصَابَ مِن حَيْثُ أَخْطَأَ، وَلَمْ يَتَنَبَّه لِـخَطَئِهِ فَأَبقَاهُ عَلَى غَلَطِهِ بَانِيًا، عَلَى أَنَّهُ أَوغَلَ فِيهِ، فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَهوَ عَجَبٌ، فَمِثلُهُ لَا يَخفَى عَلَيهِ الإيغَالُ؛ لِأَنَّ الإيغَالَ هُوَ خَتمُ البَيتِ بِمَا يُفِيدُ نُكْتَةً يَتِمُّ المَعنَى بِدُونِهَا، كَزِيَادَةِ المُبَالَغَةِ فِي قَولِ الخَنسَاءِ فِي مَرثِيَّةِ أَخِيهَا صَخر:[2] [من البسيط]

وَإِنَّ صَـخْـرًا لَـتَـأْتَـمُّ الـهُـدَاةُ بِـهِ كَـأَنَّـهُ عَـلَـمٌ فِي رَأْسِـهِ نَـارُ[3]

فَإِنَّ قَولَهَا: (عَلَمٌ) كَافٍ فِي المَقصُودِ، وَهوَ تَشْبِيهٌ بِمَا هُوَ مَعرُوفٌ بِالهِدَايَةِ، لَكِنَّهَا أَتَت بِقَولِهَا: (فِي رَأسِهِ نَارُ) إِيغَالًا وَزِيَادَةً لِلْمُبَالَغَةِ، وَفَسَّرَهُ قُدَامَةُ، فَقَالَ:

هُوَ أَنْ يَسْتَكْمِلُ الشَّاعِرُ مَعنَى بَيتِهِ بِتَمَـامِهِ قَبلَ أَنْ يَأتِي بِقَافِيَتِـهِ، فَـإِذَا أَرَادَ الاتْيَانَ بِـهَا لِيَكونَ الكَلامُ شِعْرًا زَائِدًا عَلَى مَعنَى البَيتِ[4]، كَقَولِ ذِي الرُّمَّةِ:[5] [من الطويل]

١. قِـفِ العِيسَ فِي أَطْـلَالِ مَيَّةَ فَاسْأَلِ رُسُومًا كَـأَخْـلَاقِ الـرِّدَاءِ الْمُسَلْسَلِ[6]

(١) الإيغالُ: وهوَ أَن يَأتِي الشَّاعرُ بِالمعنَى فِي البَيتِ تَامًّا مِن غَيرِ أَن يَكونَ لِلقَافِيةِ فِيهَا ذَكَره صُنع، ثُمَّ يَأتِي بِهَا لِحاجَةِ الشِّعرِ -فِي أَن يَكونَ شِعْرًا- إِلَيهَا، فَيزِيدُ بِمَعنَاهَا فِي تَجوِيدِ مَا ذَكَرَهُ فِي البَيتِ. نقد الشعر ٦٣.

(٢) ديوان الخنساء ٣٨٦.

(٣) في (الديوان): (أغرُّ أَبلجُ تَأتمُّ) في موضع (وَإِنَّ صَخرًا لَتَأتَمُّ).

(٤) نقد الشعر ٦٣.

(٥) ديوان ذي الرُّمَّة ٣/ ١١٥١.

(٦) في (الديوان): (العنس) في موضع (العيس).
- العَنْس البازِل الصُّلبة مِنَ النُّوق لَا يُقَالُ لِغَيْرِهَا، وَجَـمْعُهَا عِناس. (اللسان ٦/ ١٥٠).

٢. أَظُنُّ الَّذِي يُجْدِي عَلَيكَ سُؤَالُها دُمُوعًا كَتَبدِيدِ الجُمَانِ المُفَصَّلِ[١]

فَالبَيتُ الأَوَّلُ تَمَّ كَلَامُهُ قَبلَ القَافِيَةِ؛ بِقَولِهِ: رُسُومًا كَأَخْلَاقِ الرِّدَاءِ، وَلَمَّا احْتَاجَ إِلَيهَا وَأَتَى بِهَا بِقَولِهِ: المُسَلْسَلِ، أَفَادَ مَعنًى زَائِدًا.

وَكَذَلِكَ صَنَعَ فِي البَيتِ الثَّانِي، فَإِنَّهُ لَمَّا تَمَّ كَلَامُهُ قَبلَ القَافِيَةِ؛ بِقَولِهِ:

كَتَبدِيدِ الجُمَانِ، وَاحْتَاجَ إِلَيهَا وَأَتَى بِهَا بِقَولِهِ: المُفَصَّلِ، أَفَادَ مَعنًى زَائِدًا، لَو لَم يَأتِ بِهَا لَم يَحصَلْ ذَلِكَ المَعنَى.

وَحُكِيَ عَنِ الأَصمَعِيِّ أَنَّهُ سُئِلَ عَن أَشعَرِ النَّاسِ، فَقَالَ: الَّذِي يَأتِي إِلَى المَعنَى الخَسِيسِ فَيَجعَلَهُ بِلَفْظِهِ كَبِيرًا، أَو يَنْقَضِي كَلَامُهُ قَبلَ القَافِيَةِ، فَإِنْ احتَاجَ إِلَيهَا أَفَادَ مَعنًى[٢].

فَقِيلَ لَهُ: نَحوُ مَنْ؟

قَالَ: نَحوُ الفَاتِحِ لِأَبوَابِ المَعَانِي، امرُؤُ القَيسِ حَيثُ قَالَ:[٣] [من الطويل]

كَأَنَّ عُيُونَ الوَحْشِ حَولَ خِبَائِنَا وَأَرْحُلِنَا الجَزعُ الَّذِي لَمْ يُثَقَّبِ

وَنَحوُ قَولِ زُهَيرٍ[٤]: [من الطويل]

---

(١) في (الديوان): (كتبذير) في موضع (كتبديد).

(٢) الصناعَتَين ٣٨٠.

(٣) ديوان أمرئ القيس ٣٧.

(٤) زُهَيرُ بنُ أَبِي سُلمَى رَبيعةَ بنِ رِيَاحٍ المُزُنِيُّ، مِن مُضَر: حَكيمُ الشُّعَرَاءِ فِي الجَاهِلِيَّةِ، وَفِي أَئِمَّةِ الأَدَبِ مَن يُفَضِّلُهُ عَلَى شُعَراءِ العَربِ كَافَّةً، وَكَانَ لَهُ فِي الشِّعرِ مَا لَم يَكُن لِغَيرِهِ، كَانَ أَبوهُ شَاعِرًا، وَخَالُه شَاعِرًا، وَأُختُهُ سُلمَى شَاعِرةً، وَابنَاهُ كَعبٌ وَبُجَيرٌ شَاعِرَينِ، وَأُختُهُ الخَنسَاءُ شَاعِرةً، وُلِدَ فِي بِلَادِ (مُزينةَ) بِنَواحِي المَدينَةِ، وَكَانَ يُقِيمُ فِي الحَاجِرِ (مِن دِيارِ نَجدٍ)، قِيلَ: كَانَ يَنظِمُ القَصيدةَ فِي شَهرٍ وَيُنَقِّحُهَا وَيُهَذِّبُهَا فِي سَنةٍ، فَكَانَت قَصائِدُه تُسمَّى (الحَولِيَّاتُ)، أَشهَرُ شِعرِهِ مُعَلَّقَتُهُ الَّتِي مَطلعُهَا: (أَمِن أُمِّ أَوفَى دِمنةٌ لَم تكلم)، وَقِيلَ: إِنَّ أَبيَاتَهُ الَّتِي فِي آخِرِ هَذِه القَصيدَةِ تُشبِهُ كَلَامَ الأَنبيَاءِ. له (ديوان) تُرجِمَ كَثيرٌ مِنهُ إِلَى الأَلمَانِيَّةِ، كتب عنه المستشرق الألمانيّ ديروف،=

كَـأَنَّ فُـتَـاتَ العِـهـنِ -فِي كُـلِّ مَـنـزِلٍ نَـزَلْـنَ بِـهِ- حَـبُّ الفَـنَـا لَمْ يُحَـطَّـمِ[1]

فَكَلَامُ امرِئِ القَيسِ انْتَهَى إِلَى قَولِهِ: الجَزع، فَأَفَادَ مَعنًى زَائِدًا بِقَولِهِ: لَمْ يُثَقَّبِ.

وَمَعنَى قَولِ زُهَيرٍ انْتَهَى فِي الكَلَامِ إِلَى قَولِهِ: حَبّ الفَنَا، فَأَفَادَ[2] مَعنًى زَائِدًا بِقَولِهِ: لَمْ يُحَطَّمِ، وَزُهَيرٌ شَبَّهَ مَا تَفَتَّتَ مِنَ العِهنِ بِحَبِّ الفَنَا، وَالفَنَا شَجَرٌ ثَمَرُهُ أَحْمَرُ وَفِيهِ نُقَطٌ سُودٌ، وَقَالَ الفَرَّاء[3]: هُوَ عِنَبُ الثَّعلَبِ. فَلَمَّا قَالَ زُهَيرٌ بَعدَ تَمَامِ مَعنَى بَيتِهِ: لَـم يُـحَطَّمِ، أَرَادَ أَنْ يَكونَ حَبُّ الفَنَا صَحِيحًا؛ لِأَنَّهُ إِذَا كُسِرَ ظَهَرَ لَهُ لَونٌ غَيرُ الحُمرَةِ.

وَامرُؤُ القَيسِ شَبَّهَ عُيونَ الوَحْشِ بِالجَزَعِ، وَهوَ الـخَرَزُ اليَـمَانِي الَّذِي فِيهِ سَوَادٌ وَبَيَاضٌ، لَكِنَّهُ أَتَى بِقَولِهِ: لَمْ يُثَقَّبِ، إِيغَالًا وَتَـحقِيقًا لِلتَّشْبِيهِ؛ لِأَنَّ الجَزَعَ إِذَا كَانَ غَيرَ مَثقُوبٍ كَانَ أَشبَهَ بِالعُيونِ[4].

=وفؤاد البستانيّ، وحنَّا نمر، وغيرهم. توفِّي سنة (١٣ق.هـ/ ٦٠٩م). له ترجمة في: طبقات فحول الشعراء ١/ ٤٠، والاشتقاق ١٨٢، والمؤتلف والمختلف ٢١٣، والأعلام ٣/ ٥٢، ومعجم المؤلِّفين ٤/ ١٨٦.

- ديوان زهير بن أبي سلمى المازنيّ ١٠٥.

(١) الفُتاتُ: اسمٌ لِمَا انْفَتَّ مِنَ الشَّيءِ أَي: تَقَطَّعَ وَتَفَرَّقَ. (اللسان ٢/ ٦٥)، الفَنا، مَقْصُورٌ، عِنَبُ الثَّعْلَبِ. (اللسان ١/ ٥٧٤)، العِهْنُ: الصُّوفُ المَصْبُوغُ أَلوانًا. (اللسان ١٣/ ٢٩٧).

يَقولُ: كَأَنَّ قِطعَ الصُّوفِ المَصبوغِ الَّذِي زُيِّنَت بِهِ الهَوادِجُ فِي كُلِّ مَنزِلٍ نَزَلَتهُ هَؤلَاءِ النِّسوَةِ حَبُّ عِنبِ الثَّعلَبِ فِي كُلِّ حَالٍ غَيرِ مُـحَطَّمٍ؛ لِأَنَّهُ إِذَا حُطِّم زَايَلَه لَونُهُ، شَبَّهَ الصُّوفَ الأَحـمَرَ بِحَبِّ عِنَبِ الثَّعلَبِ قَبلَ حَطمِهِ. ينظر: شرح المعلَّقات للزوزنيّ ١٣٨.

(٢) في (الأصل): (فإذا أفاد) في موضع (فأفاد)، وهو سبق قلم من الناسخ.

(٣) الفَرَّاءُ: يَـحيَى بنُ زِيادِ بنِ عَبدِ الله بنِ مَنظورٍ الدَّيلَمِيُّ، مَولَى بَنِي أَسَدٍ، إِمَامُ الكُوفِيِّين، وَأَعلَمَهُم بِالنَّحوِ وَاللُّغَةِ وَفُنونِ الأَدَبِ. وَقَد قِيلَ: لَولَا الفَرَّاءُ مَا كَانَتِ اللُّغَةُ، وُلِدَ فِي الكُوفَةِ، وَانْتَقَلَ إِلَى بَغدادَ، وَعَهِدَ إِلَيهِ الـمَأمونُ بِتَربِيةِ ابْنَيهِ، تُوفِّيَ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ سَنَةَ (٢٠٧هـ/ ٨٢٢م).

ينظر: تأريخ بغداد ١٤/ ١٥٤، ومعجم الأدباء ٦/ ٢٨١٢، وإنباه الرواة ٤/ ٧، ووفيات الأعيان ٦/ ١٧٦، وسير أعلام النُّبلاء ١٠/ ١١٨، والبلغة ٣١٣، وبغية الوعاة ٢/ ٣٣٣، والأعلام ٨/ ١٤٥.

(٤) معاهد التنصيص ١/ ٣٥٦.

قَالَ الأَصمَعِيُّ: الظَّبيُ وَالبَقَرةُ إِذَا كَانَا حَيَّينِ فَعُيُونُهَا كُلُّهَا سُودٌ، فَإِذَا مَاتَا بَدَا بَيَاضُهُما[1]؛ وَإِنَّمَا شَبَّهَهَا بِالجَزَعِ وَفِيهِ بَياضٌ وَسَوَادٌ بَعدَ مَا مَوَّتَت، وَالمُرَادُ كَثرَةُ الصَّيدِ، يَعنِي مِمَّا أَكلنَا كَثُرَت العُيونُ عِندَنَا.

وَقِيلَ كَانَ الرَّشِيدُ يُعجَبُ بِقَولِ مُسلِمِ بنِ الوَلِيدِ[2] وَهوَ:[3]

إِذَا مَا عَلَتْ مِنَّا ذُؤَابَةَ شَارِبٍ تَمَشَّتْ بِهِ مَشيَ المُقَيَّدِ فِي الوَحْلِ

وَكَانَ يَقُولُ: قَاتَلَهُ اللهُ مَا كَفَاهُ أَنْ يَجعَلَهُ مُقَيَّدًا حَتَّى جَعَلَهُ مُقَيَّدًا فِي وَحْلٍ.

وَحُكِيَ أَنَّ بَعضَ الشُّعَرَاءِ قَالَ لِأَبِي بَكر بنِ مُجِيرٍ[4]:

إِنِّي نَظَمْتُ قَصِيدَةً وَأَعجَزَنِي رَويُّ بَيتٍ وَاحِدٍ، فَمَا أَدرِي كَيفَ أُتَمِّمُهُ!.

قَالَ لَهُ أَبو بَكرٍ: أَنْشِدنيهِ، فَأَنْشَدَهُ، قَولَهُ:

سَلِيلُ الإِمَامِ وَصِنوُ الإِمَامِ وَعَمُّ الإِمَامِ.

فَقَالَ لَهُ مِن غَيرِ تَفَكُّرٍ وَلَا رَوِيَّةٍ: قُلْ: وَلَا مُنْتَهَى، فَوَضَعَهُ فِي قَصِيدَتِهِ عَلَى مَا تَمَّمَهُ، وَكَانَ أَمْكَنَ قَوَافِيهِ وَأَقْوَاهَا.

---

(١) المعاني الكبير ٢/ ٦٩٦، والإيضاح ٣/ ٢٠٣، ومعاهد التنصيص ١/ ٣٥٦.

(٢) مُسلِمُ بنُ الوَلِيدِ الأَنصَارِيُّ: مَولَى آلِ أَسعَدِ بنِ زُرَارَةَ الخَزْرَجِيُّ، يُكَنَّى أَبَا الوَلِيدِ، وَيُلَقَّبُ (صَرِيعُ الغَوَانِي)، وَهوَ شَاعِرٌ مُفلِقٌ مُسْتَخْرِجٌ لِلَطِيفِ المَعَانِي بِحُلوِ الأَلفَاظِ، وَهوَ أَوَّلُ مَن طَلَبَ البَدِيعَ وَأَكثَرَ مِنهُ، وَتَبِعَهُ الشُّعَرَاءُ فِيهِ، وَمَدَحَ الرَّشِيدَ وَرُؤَسَاءَ دَولَتِهِ، ثُمَّ اتَّصَلَ بِذِي الرِّئَاسَتَينِ الفَضلِ بنِ سَهلٍ، فَوَلَّاهُ بَرِيدَ جُرجَانَ، وَبِهَا مَاتَ سَنَةَ (٢٠٨هـ).
ينظر: الحيوان ٧/ ٤٦٢، والرسائل الأدبيَّة ٣٩٣، والشعر والشعراء ٢/ ٧٩٥، ٨٢٢، وطبقات الشعراء ٢٣٤، الموشَّح٣٦١، ومعجم الشعراء ٣٧٢، وتأريخ بغداد ١٣/ ٩٧، وسير أعلام النُّبلاء ٨/ ٣٦٥، وفوات الوفيات ٤/ ١٣٦، وديوان الإسلام ٤/ ١١٧، والأعلام ٧/ ٢٢٣.

(٣) ديوان مسلم بن الوليد ٤٢.

(٤) معاهد التنصيص ١/ ٣٥٨.
- أبو بكر بن مجير الأندلسيّ شاعر المغرب المتوفَّى سنة (٥٨٧هـ). ينظر: تأريخ آداب العرب ٣/ ١٩٢.

فَهَكذَا فُحُولُ الشُّعرَاءِ، إِذَا تَمَّ مَعنَى البَيتِ مَا دُونَ القَافِيةِ، وَبَقِيَ البَيتُ مُفْتَقِرًا إِلَيهَا، وَأَرَادوا الإِتيَانَ بِهَا؛ لِيكُونَ الكَلَامُ شِعْرًا أَتَوا بِهَا بِهَذِهِ الكَيْفِيَّةِ، وَأَفَادُوا بِهَا مَعنًى زَائِدًا عَلَى مَعنَى البَيتِ، لَا أَنَّهُم يَهمِلُونَهَا، كَمَا أَهمَلَهَا السَّيِّدُ وَاقْتَطَعَهَا مِن مَعنَى بَيتِهِ وَجَعَلَهَا مَا لَهَا تَعَلُّقٌ فِيهِ، وَلَا لَهَا فَائِدَةٌ سِوَى أَنَّهُ تَمَّمَ بِهَا وَزنَ البَيتِ فَقَط، وَهَذَا شَأنُ مَن لَم يَقِف عَلَى مَا حَرَّرَهُ أَهلُ المَعَانِي وَالبَيَانِ مِن غَامِضِ نَهجِ الشُّعَرَاءِ فِي القَافِيَةِ وَحُسنِ تَصَرُّفِهِم فِيهَا مِن قَوَاعِدَ أَسَّسَهَا فُصَحَاءُ أَوَائِلِهِم، وَتَبِعَهُم فِيهَا أَذكِيَاءُ أَوَاخِرِهِم، مِنهَا:

التَّمكِينُ[1]: وَهَذَا النَّوعُ مِنهم مَن سَمَّاهُ بِالتَّمكِينِ، وَمِنهُم مَن سَمَّاهُ ائتِلَافَ القَافِيَةِ، وَهوَ أَن يُمَهِّدَ النَّاثِرُ لِسَجْعِهِ فِقْرة، أَو النَّاظِمُ لِبَيتِهِ قَافِية، حَتَّى تَأتِي مُتَمَكِّنَةً فِي مَكَانِهَا، مُطمَئِنَّةً فِيهِ، مُسْتَقِرَّةً فِي قَرَارِهَا غَيرَ نَافِرَةٍ، وَلَا قَلِقَةٍ، وَلَا مُستَدعَاةٍ بِمَا لَيسَ لَهُ تَعَلُّقٌ بِلَفظِ البَيتِ وَمَعنَاهُ، بِحَيثُ لَو طَرَحتَ مِنَ البَيتِ نَقَصَ مَعنَاهُ وَاضْطَرَبَ مَفهُومُهُ، بَل تكونُ بِحَيثُ أَنَّ مُنْشِدَ البَيتِ إِذَا سَكَتَ دُونَ القَافِيَةِ كَمَّلَهَا السَّامِعُ بِطَبعِهِ بِدَلَالَةٍ مِنَ اللَّفظِ عَلَيهَا، وَلَا يَكونُ تَمَكُّنُهَا بِحَيثُ تُقَدِّمُ لَفْظَهَا بِعَينِهِ فِي أَوَّلِ الصَّدرِ وَلَا فِي أَثنَائِهِ، وَلَا أَنَّهَا تَأتِي مُفِيدَةً مَعنًى زَائِدًا بَعدَ تَمَامِ البَيتِ؛ فَإِنَّ **الأَوَّلَ**: **التَّصدِيرُ**، وَسَنذكُرُهُ إِن شَاءَ اللهُ.

والثَّانِي: **الإِيغَالُ**، وَقَد مَرَّ ذِكرُهُ.

وَلَا يُقَالُ لِشَيءٍ مِن ذَينِكَ تَمكِينٌ، وَقَدْ جَاءَ مِن ذَلِكَ فِي فَوَاصِلِ القُرآنِ كُلٌّ عَجِيبَةٍ بَاهِرَةٍ، فَمِنهُ قَولُهُ تَعَالَى: ﴿**قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ**﴾[2]، فَإِنَّ هَذِه الآيَةَ لَمَّا تَقَدَّمَ فِيهَا ذِكرُ العِبَادَةِ وَالتَّصَرُّفُ فِي الأَموَالِ، كَانَ ذَلِكَ تَمهِيدًا تَامًّا لِذِكرِ الحِلمِ وَالرُّشدِ؛ لِأَنَّ

(١) نقد الشعر ٦٢، وتحرير التحبير ٩٣.

(٢) سورة هود/ ٨٧.

الحِلْمَ العَقلُ الَّذِي يَصُحُّ بِهِ التَّكلِيفُ، وَالرُّشدُ حُسنُ التَّصَرُّفِ فِي الأَموَالِ، وَمِن أَمثِلَتِهِ الشِّعريَّةِ قَولُ أَبِي تَمَّام:(١) [من الوافر]

وَمَنْ يَأْذَنْ إِلَى الوَاشِينَ تُسْلَقْ ... مَسَامِعُهُ بِأَلسِنَةٍ حِدَادِ

وَلَم يُسمَعْ لِمُتَقَدِّمٍ شِعرًا أَشَدُّ تَمكِينًا مِن قَولِ النَّابِغَةِ الذُّبيَانِيِّ وَهوَ:(٢) [من الكامل]

١. كَالأَقْحوَانِ، غَدَاةَ غِبِّ سَمَائِهِ ... جَفَّتْ أَعَالِيهِ، وَأَسْفَلُهُ نَدِي

٢. زَعَمَ الهُمَامُ، وَلَم أَذُقْهُ، بِأَنَّهُ ... يُشْفَى بِرَيَّا رِيقِهَا، العَطِشُ الصَّدِي(٣)

وَمِنهَا: التَّخْيِير، وَهُوَ أَنْ يَأْتِي الشَّاعِرُ بِبَيْتٍ يَسُوغُ فِيهِ أَنْ يُقَفَّى بِقَوَافٍ شَتَّى فَيَتَخَيَّر مِنهَا قَافِيةً مُرَجَّحَةً عَلَى سَائِرِهَا يَستَدِلُّ بِهَا عَلَى حُسنِ اخْتِيَارِهِ(٤)، وَذَلِكَ كَقَولِ الحَرِيرِيِّ:(٥) [من البسيط]

إِنَّ الغَرِيبَ الطَّوِيلَ الذَّيلِ مُمْتَهَنٌ ... فَكَيفَ حَالُ غَرِيبٍ مَا لَهُ قُوتُ

فَإِنَّهُ يَسوغُ لَهُ أَنْ يَقولَ: فَكَيفَ حَالُ غَرِيبٍ مَا لَهُ مَالٌ، مَا لَهُ حَالٌ، مَا لَهُ سَبَبٌ، مَا لَهُ أَحَدٌ.

فَإِذَا تَأَمَّلتَ: (مَا لَهُ قُوتُ) وَجَدتَهَا أَبلَغَ مِنَ الجَمِيعِ، وَأَدَلَّ عَلَى القَافِيةِ، وَأَمَسَّ بِذِكرِ الحَاجَةِ، وَأَبيَنَ لِلضَّرُورَةِ، وَأَشْجَى لِلقُلُوبِ، وَأَدعَى لِلاسْتِعطَافِ، فَلِذَلِكَ رَجَحَت عَلَى مَا ذَكَرنَا.

---

(١) ديوان أبي تمّام ١/ ٣٨٢.

(٢) ديوان النابغة الذبيانّي ٤٠.

(٣) في (الأصل): (الغمام) في محل (الهمام)، وفيه جاء عجز البيت برواية: (يروي بريقته من العطش الصدي).

(٤) تحرير التحبير ٥٢٧.

(٥) البيت ذكره الحريريّ في مقاماته بلا عزو. ينظر: مقامات الحريريّ ٥١٣، وفي تحرير التحبير ٥٢٧، وخزانة الحمويّ ١/ ١٧٥، وفي زهر الأكم ١/ ٣٣٦، لمحمود الورَّاق المتوفَّى بحدود (٢٣٠هـ).

وَمِن ذَلِكَ قَولُ دِيكِ الجِنِّ[1]: [2] [من مجزوء الكامل المرفَّل]

قُـــولِي لِـطَـيْـفِـكِ يَـنْـثَـنِـي عَــنْ مَـضْـجَـعِـي عِـنْـدَ الـمَـنَـامِ

فَإِنَّهُ يُسَوَّغُ لَهُ أَنْ يَقولَ عِندَ الرُّقَادِ، الهُجُودِ، الهُجُوعِ، الوَسَنِ.

فَـعَـسَـى أَنَـــامُ فَـتَـنْـطَـفِـي نَـــارٌ تَـــأَجَّـــجُ فِي عِـظَـامِـي

فَإِنَّهُ يَسُوغُ لَهُ أَنْ يَقُولَ: نَارٌ تَأَجَّجُ فِي فُؤَادِي، ظُلُوعِي، كَبُودِي، البَدَن.

وَلَـهُـم فِي القَافِيةِ أَشيَاءُ يَطولُ الخَوضُ فِي ذِكرِهَا، وَالَّذِي ذَكرنَاهُ كَافٍ لِلتَّنْبِيهِ عَلَى أَنَّ السَّيِّدَ لَو لَاحَظَ هَذَا وَأَمثَالَهُ الَّتِي ذَكَرهَا العُلَمَاءُ فِي القَافِيةِ لَـمَا تَوَرَّطَ فِي قَافِيةِ بَيْتِهِ بِهذِهِ الوُرطَةِ الَّتِي يَعسُرُ رَتقُهَا، وَوَجْهُ تَعَسُّرِهِ هُوَ أَنَّا إِذَا تَكَلَّفنَا لِإِصلَاحِ بَيتِهِ فَسَدَ مِنْ جِهَةٍ أُخرَى، وَذَلِكَ إِذَا أَرَدنَا إِصلَاحَهُ لَم نَقُلْ: ثَاقِبُ الوَقْدِ، بِالرَّفعِ، فَيَحتَاج فِي تَطبِيقِ مَعنَاهُ إِلَى مَا لَا يَصُحُّ فِي الإِعرَابِ مِن جَعلِهِ صِفةً لِكَوكَبِ السَّعدِ أَو جَعلِهِ فَاعِلَ: تَجَلَّى، وَلَكِنْ نَقُولُ: ثَاقِبَ الوَقْدِ، بِالنَّصبِ بِنَاءً عَلَى أَنَّه حَالٌ مِنَ الضَّمِيرِ، فَيَكونُ مَعنَاهُ: تَجَلَّى كَوكبُ السَّعدِ بِآفَاقِ العُلَا فَجَلَا حَالَ كَونِهِ ثَاقِبَ الوَقْدِ نُحوسَ المُجتَلِي، فَهَذَا وَإِنْ صَحَّ مَعنَاهُ وَإِعرَابُهُ لَكِنَّهُ فَسَدَ؛ لِكَونِهِ بَرَاعَةُ مَطلَعٍ مِن هَذَا الحَشوِ الَّذِي وَقَعَ فِيهِ مِن هَذِه الجُملَةِ الحَالِيَّةِ؛ لِأَنَّ بَرَاعَةَ المَطلعِ يُشتَرطُ فِيهَا أَشيَاءُ مِن جُملَتِهَا:

أَنْ يَكونَ سَالِـمًا مِنَ الحَشوِ: وَقَد أَجمَعَ أَهلُ النَّظَرِ مِن عُلَمَاءِ هَذَا الفَنِّ عَلَى أَنَّهُ يَنْبَغِي

---

(١) دِيكُ الجِنِّ: عَبدُ السَّلَام بنُ رَغبَانَ بنِ عَبدِ السَّلَام بنِ حَبيبٍ الكَلبِيُّ، المَعرُوفُ بِدِيكِ الجِنِّ: شَاعِرٌ مُجِيدٌ، فِيهِ مُجُونٌ، مِن شُعَرَاءِ العَصرِ العَبَّاسِيِّ. سُمِّيَ بِديكِ الجِنِّ؛ لِأَنَّ عَينَيهِ كَانَتَا خَضرَاوَينِ. أَصلُهُ مِن سِلمِيَّةَ (قُربَ حَماةَ) وَمَولِدُهُ وَوَفَاتُهُ فِي حِمص (فِي سُوريَّة) لَم يُفَارِق بِلَادَ الشَّامِ، وَلَم يَنتَجِع بِشعرِه. تُوفِّيَ سَنةَ (٢٣٥هـ/ ٨٥٠م) لَهُ (ديوان شعر). له ترجمة في: تأريخ دمشق ٣٦/ ٢٠١، ووفيات الأعيان ١٥/ ١١١، ومختصر تأريخ دمشق ١٥/ ١١١، وتأريخ الإسلام ٦/ ٣٥٨، وسير أعلام النُّبلاء ١١/ ١٦٣، والوافي بالوفيات ١٨/ ٢٥٧، وتبصير المنتبه ١/ ٢٧٠، ونزهة الألباب ١/ ٢٧١، وكنوز الذهب ١/ ٥٨، والأعلام ٤/ ٥، ومعجم المؤلِّفين ٥/ ٢٢٤.

(٢) ديوان ديك الجنِّ ٢١٦.

لِلْمُتَكَلِّمِ أَنْ يَتَأَنَّقَ فِي كَلَامِهِ نَثْرًا كَانَ أَو نَظْمًا فِي ثَلَاثَةِ مَوَاضِعَ:

الأَوَّلُ: فِي بَرَاعَةِ المَطلَعِ؛ لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَا يَقْرَعُ السَّمعَ، وَيُصَافِحُ الذِّهنَ، فَإِذَا كَانَ مُستَوفِيًا صِفَاتِهِ الحَسَنَةَ أَقبلَ السَّامِعُ عَلَيهِ فَوَعَى جَمِيعَ مَا يَأتِي بَعدَهُ، وَإِنْ كَانَ بِخِلَافِ ذَلِكَ زَجَرَ طَبعَهُ، وَأَعرضَ عَنهُ، وَرَفَضَ جَمِيعَ مَا يَأتِي بَعدَهُ، وإِنْ كَانَ فِي غَايَةِ الحُسنِ.

الثَّانِي: التَّخَلُّصُ، وَهُوَ الانْتِقَالُ مِن نَسيبٍ أَو غَيرِهِ إِلَى المَقصُودِ، مَعَ رِعَايَةِ المُلَاءَمَةِ بَينَهُمَا؛ لِأَنَّ السَّامِعَ يَكونُ مُتَرَقِّبًا لِلانْتِقَالِ مِنَ النَّسِيبِ إِلَى المَقصُودِ كَيفَ يَكونُ، فَإِذَا كَانَ حَسَنًا، مُتَلَائِمَ الطَّرَفَينِ، حَرَّكَ نَشَاطَ السَّامِعِ، وَأَعَانَ عَلَى الإِصغَاءِ إِلَى مَا بَعدَهُ، وَإِنْ كَانَ بِخِلَافِ ذَلِكَ كَانَ الأَمرُ عَكسَ ذَلِكَ.

الثَّالِثُ: الانْتِهَاءُ؛ لِأَنَّهُ آخِرُ مَا يَعِيهِ السَّمعُ، وَيَرتَسِمُ فِي الذِّهنِ، فَإِنْ كَانَ حَسَنًا جَبَرَ مَا عَسَى وَقَعَ فِيمَا قَبلَهُ مِنَ التَّقْصِيرِ، وَإِنْ كَانَ غَيرَ حَسَنٍ كَانَ بِخِلَافِ ذَلِكَ، وَلِكُلٍّ مِن هَذِهِ المَوَاضِعِ فَوَائِدُ غَيرُ هَذَا، وَسَنَذكُرُ إِنْ شَاءَ اللهُ مِنهَا مَا يَقْتَضِي ذِكرُهُ فِي مَوَاضِعِهَا.

فَأَمَّا بَرَاعَةُ المَطْلَعِ: فَهوَ عِبَارَةٌ عَن عُذُوبَةِ اللَّفْظِ، وَسُهولَتِهِ، وَحُسنِ سَبكِهِ، وَأَنْ يَكونَ لَفظُهُ مُنَاسِبًا لِـمَعنَاهُ، وَمَعنَاهُ مُنَاسِبًا لِلَفْظِهِ، مِنْ غَيرِ أَنْ يَكْتَسِي اللَّفْظُ الشَّرِيفُ؛ المَعْنَى الضَّعِيفَ، وَلَا المَعنَى الشَّرِيفُ؛ اللَّفظَ السَّخِيفَ، وأَنْ يَكونَ لَفْظُهُ فِي أَبعَدِ غَايَةٍ مِنَ الثِّقلِ وَالتَّنَافُرِ، وَسَبكِ نِظَامِهِ سَالِـمًا مِنَ الحَشوِ، وَالتَّعقِيدِ، وَالتَّقدِيمِ وَالتَّأخِيرِ، المُلْبِسِ الأَوَّلَ بِالآخِرِ، وَأَنْ تَكونَ أَلفَاظُهُ مُتَقَارِبَةً فِي الجَزَالَةِ وَالمَتَانَةِ، وَالرِّقَّةِ وَالسَّلَاسَةِ، وَأَنْ يَكونَ فِي صِحَّةِ نَظمِهِ وَاضِحًا مَعنَاه، وَلَا يَكونُ مُتَعَلِّقًا بِالبَيتِ الَّذِي وَرَاه[1]، وَأَن يُصَاغَ صِيَاغَةً تُنَاسِبُ وَتُلَائِمُ فِي أَصَحِّ مَعنًى، بِأَنْ يَسلَمَ مِنَ التَّنَاقُضِ، وَالامْتِنَاعِ، وَمُخَالَفَةِ العُرفِ، وَالابْتِذَالِ، وَنَحو ذَلِكَ.

وَمِـمَّا يَجِبُ المُحَافَظَةُ عَلَيهِ: أَنْ يَستَعْمِلَ الأَلفَاظَ الرَّقِيقَةَ فِي ذِكرِ الأَشوَاقِ، وَوَصْفِ

(١) وراه: وراءه، بالتخفيف.

أَيَّامِ البِعَادِ وَفِي اسْتِجلَابِ المَوَدَّاتِ ومُلَايَنَاتِ الاسْتِعْطَافِ، وَأَمثَالِ ذَلِكَ[1].

وَأَنْ يَكونَ دَالًا عَلَى مَا بُنِيَتْ عَلَيهِ الخُطْبَةُ، أَو الرِّسَالَةُ، أَو القَصِيدَةُ، كَقَولِ أَبِي تَمَّام لَـمَّا هَنَّأَ المُعْتَصِمَ بالله فِي فَتحِ عَمُوريَّةَ، وَكَانَ المُنَجِّمُونَ قَد أَشَارُوا عَلَيهِ أَنْ لَا يَغزو الرُّومَ فِي اليَومِ الَّذِي غَزَاهُمْ فِيهِ؛ لِأَنَّهُ كَانَ يَومَ نَحْسٍ عِندَهُم، فَمَا قَبِلَ مِنهُم وَغَزَاهُم فِيهِ وَفَتَحَ عَمُوريَّةَ؛ فَقَالَ أَبُو تَـمَّام مُهَنِّئًا لَهُ، وَمُشِيرًا فِي بَرَاعَةٍ مُطلَقَةٍ إِلَى ذَلِكَ:[2] [من البسيط]

السَّيْفُ أَصْدَقُ إِنْبَاءً مِنَ الكُتُبِ ... فِي حَدِّهِ الحَدُّ بَينَ الجِدِّ وَاللَّعِبِ

وَكَقولِ البَاخَرزِيّ[3] فِي التَّهْنِئَةِ بِالنَّصْرِ، وَهوَ:[4] [من الكامل]

١. وَفَتِ السُّعُودُ بِوَعْدِهَا المَضْمُونِ ... وَتَبَاشَرَتْ بِالطَّائِرِ المَيمُونِ

٢. وَعَلَا لُوَاءُ المُسْلِمِينَ وَشَافَهُوا ... تَحقِيقَ آمَالٍ لَهُم وَظُنُونِ

وَفِي الرِّسَالَةِ كَقَولِنَا فِي افْتِتَاحِ هَذَا الكِتَابِ: الحَمدُ لله الَّذِي جَعَلَ مُحَمَّدًا صَالِحًا لِلثَّنَاءِ، فَإِنَّ بِه تَوريَةً حَسَنةً دَالَّةً عَلَى مَا قَصَدنَاهُ، وَمُشِيرةً إِلَى مَا أَرَدنَاهُ، فَانْظُرْ، فَقَد اتَّضَحَ لَكَ أَنَّ الحَشوَ عَيبٌ فِي بَرَاعَةِ المَطلَعِ؛ لِأَنَّ بَعضَ شَرَائِطِهِ هَذِهِ المَرسُومَة: أَنْ يَكونَ فِي سَبكِ نَظمِهِ سَالِـمًا مِنَ الحَشوِ.

وَيُؤَيِّدُ ذَلِكَ أَنَّهُم عَابُوا عَلَى امْرِئِ القَيسِ فِيمَا هُوَ لَو حَصَلَ فِي بَيتِ السَّيِّدِ مَكَانَ

(١) ينظر: المثل السائر ١/ ١٨٥.

(٢) ديوان أبي تـمَّام ١/ ٤٠.

(٣) البَاخَرْزِيُّ: أَبُو الحَسَنِ عَلِيُّ بنُ الحَسَنِ بنِ عَلِيِّ بنِ أَبِي الطَّيِّبِ العَلَّامَةُ، الأَدِيْبُ، صَاحِبُ (دُمْيَة الْقصر)، وهُوَ ذيلٌ لـ(يَتيمَة الدَّهْر) لِلثعَالِبِيّ الشَّاعِرُ، الفَقِيْهُ الشَّافِعِيُّ. برعَ فِي الإِنشَاء وَالآدَاب، وَسَافَرَ الكَثِيْر، وَسَمِعَ الحَدِيثَ. تُوفِّيَ (٤٣٥هـ/ ١٠٤٤م). نَظْمُه رَائِق، لَهُ ديوَانٌ كَبِيْر. له ترجمة في: يتيمة الدهر ٥/ ٢٢٠، تأريخ بغداد ١٨/ ١٩٢، معجم الأدباء ٤/ ١٦٨٢، وإنباه الرواة ١/ ٤٠٩، ووفيات الأعيان ٣/ ٣٨٧، وتأريخ الإسلام ١٠/ ٢٥٢، وسيرأعلام النُّبلاء ١٨/ ٣٦٣، والوافي بالوفيات ١٢/ ٩٣، والأعلام ٤/ ٢٧٢، ومعجم المؤلِّفين ٧/ ٦٥.

(٤) دمية القصر ١/ ٢٦٢.

هَذَا الحَشوِ الَّذِي أَعْيَى الأُسَاةَ طِبُّهُ لَغَطَّى جَمِيعَ مَسَاوِئَ قَصِيدَتِهِ، وَذَلِكَ فِي قَولِهِ:[1] [من الطويل]

قِفَا نَبكِ مِن ذِكرَى حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ بِسِقْطِ اللِّوَى بَينَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ

فَإِنَّهُم عَابوا عَلَيهِ فِي عَدَمِ التَّنَاسُبِ؛ لِأَنَّهُ وَقَفَ وَاسْتَوقَفَ، وَبَكَى وَاسْتَبكَى، وَذَكَرَ الحَبِيبَ وَالمَنزِلَ فِي نِصفِ بَيتٍ عَذبِ اللَّفْظِ، سَهلِ السَّبكِ، وَلَمْ يَتَّفِقْ لَهُ ذَلِكَ فِي النِّصفِ الثَّانِي، بَل أَتَى فِيهِ بِمَعَانٍ قَلِيلَةٍ فِي أَلفَاظٍ غَرِيبَةٍ، فَبَايَنَ الأَوَّلَ.

وَقَالوا أَحسَنُ مِنهُ فِي التَّنَاسُبِ قَولُ النَّابِغَةِ وَهوَ:[2] [من الطويل]

كِلِيني لِهَمٍّ يَا أُمَيمَةُ نَاصِبِ وَلَيلٍ أُقَاسِيهِ بِطِيءِ الكَوَاكِبِ

فَإِذَا عَابُوا عَلَى امرِئِ القَيسِ فِي عَدَمِ المُنَاسَبَةِ فِي قِسمَيْهِ، وَهوَ كَمَا تَرَاهُ فِي هَذَا النِّظَامِ الحَسَنِ، فَمَا ظَنُّكَ فِي الطَّامَّةِ الكُبرَى مِنَ المَعَايِبِ الَّتِي وَقَعَت فِي بَيتِ السَّيِّدِ مِن هَذَا الحَشوِ؟! عَلَى أَنَّ بَيتَهُ -مِن سَبَبِهِ- يَشمَلُهُ مَا شَمِلَ بَيتَ امْرِئِ القَيْسِ؛ لِأَنَّ صَدرَ بَيتِ السَّيِّد سَالِمٌ مِنَ الحَشوِ، وَعُجْزُهُ لَم يَسلَم، فَقَدْ فَقَدَ التَّنَاسُبَ بَينَ قِسمَيهِ، عَلَى أَنَّنَا لَو فَرَضنَا أَنَّهُ سَالِمٌ مِن ذَلِكَ، فَمَا يَسلَمُ مِن عَدَمِ المُنَاسَبَةِ مِن طَرِيقٍ آخَر غَيرُ هَذَا؛ لِأَنَّهُ قَصَدَ فِي بَرَاعَةِ مَطلَعِهِ هَذَا الغَزَلَ، فَقَالَ:

تَجَلَّى بِآفَاقِ العُلَا... البيت

فَإِذَا قَصَدَ الغَزَلَ، وَكَنَّى عَنْ مَحبُوبِهِ بِكَوكَبِ السَّعدِ، فَالْمُنَاسِبُ لَهُ أَنْ يَجعَلَهُ يَتَجَلَّى فِي الخِيَامِ، أَو فِي الرُّبَوعِ، أَو فِي الهَوَادِجِ، أَوْ غَيرِ ذَلِكَ مِمَّا يُنَاسِبُ النِّسَاءَ الكَوَاعِبَ؛ لِتَكونَ قَرِينَةُ كَلَامِهِ دَالَّةً عَلَى مَحبوبِهِ؛ لَا أَنَّهُ يَجعَلَهُ يَتَجَلَّى فِي آفَاقِ العُلَا؛ لِأَنَّ العُلَا، وَالمَجدَ، وَالفَخرَ، وَغَيرَ ذَلِكَ، مِمَّا يُنَاسِبُ مَدحَ الأَمَاجِدِ الكِرَامِ، فَتَكونُ قَرِينَةُ كَلَامِهِ دَالَّةً عَلَى مَدحِ رَجُلٍ مَاجِدٍ.

(١) ديوان امرئ القيس ١١٠.

(٢) ديوان النابغة ١٣.

وَلَقَد اقْتَفَى العَامِلِيُّ بِتَشطِيرِهِ أَثَرَهُ، وَزَادَ قُبحَ بَرَاعَةِ مَطلَعِهِ، فِي عَدَمِ رِعَايَةِ هَذِهِ المُنَاسَبَةِ، حَتَّى صَارَت قَرَائِنُ كَلَامِهِ مُؤَكَّدَةً لِانْحِصَارِهَا فِي مَدحِ مَاجِدٍ كَرِيمٍ، وَذَلِكَ حَيثُ قَالَ: [من الطويل]

١. (تَجَلَّى بِآفَاقِ العُلَا كَوكَبُ السَّعْدِ) وَأَشْرَقَ بَدرُ التَّمِّ فِي فَلَكِ المَجْدِ

٢. وَلَاحَ بِأَبرَاجِ العُلَا مُتَوَقِّدًا (فَجَلَّى نُحُوسَ المُجْتَلَى ثَاقِبُ الوَقْدِ)

وَبِعَدَمِ رِعَايَةِ هَذِهِ المُنَاسَبَةِ مَا تَوَرَّطَ غَيرُهُمَا أَديبٌ، وَلَا زَلَّت بِمِثلِهِمَا القَدَمُ بِلَبِيب، وَالفُصَحَاءُ يُحَافِظُونَ فِي الكَلَامِ عَلَى قَرَائِنِهِ الدَّالَّةِ عَلَى المَقصودِ، وَلَولَا ذَلِكَ مَا عُرِفَ مَقْصَدُ البَلِيغِ، مَا الَّذِي أَرَادَهُ بِكَلَامِهِ.

فَمِنَ القَرَائِنِ الدَّالَّةِ هُنَا عَلَى المَقصودِ كَذِكرِ الحِمَى، وَالرَّبعِ، وَالكُورِ، وَمَا أَشبَهَ ذَلِكَ، فِي مَا يُكَنُّونَ بِالشَّمْسِ، أَو القَمَرِ، أَوِ الكَواكِبِ عَنهُ، مَا نَصَبَهُ أَبو الطَّيِّبِ المُتَنَبِّي فِي قَولِهِ:(١) [من الطويل]

فَدَنيَاكَ مِن رَبعٍ، وَإِنْ زِدتَنَا كَربَا فَإِنَّكَ كُنْتَ الشَّرقَ لِلشَّمْسِ وَالغَربَا

وَأَبو تَمَّام فِي قَولِهِ:(٢) [من الطويل]

١. لَحِقْنَا بِأُخْرَاهُمْ وَقَدْ حَوَّمَ الهَوَى قُلُوبًا عَهِدنَا طَيْرَهَا وَهيَ وُقَّعُ

٢. فَرَدَّت عَلَيْنَا الشَّمْسُ وَاللَّيلُ رَاغِمٌ بِشَمْسٍ لَهُم مِنْ جَانِبِ الخِدرِ تَطْلَعُ

٣. نَضَا ضَوءُهَا صِبغَ الدُّجُنَّةِ فَانْطَوَى لِبَهْجَتِهَا ثَوْبُ السَّمَاءِ المُجَزَّعُ(٣)

٤. فَوَاللهِ مَا أَدْرِي أَ أَحْلَامُ نَائِمٍ أَلَمَّتْ بِنَا، أَمْ كَانَ فِي الرَّكبِ يُوشَعُ عليه السلام(٤)

(١) ديوان المتنبِّي ٣١٨.

(٢) ديوان أبي تمَّام ٢/ ٣١٩.

(٣) نَضَا الضوءُ صِبْغَ الدُّجُنَّةِ: أَزَالَهُ. (١٥/ ٣٢٩)، الدُّجُنَّةُ: الظَّلَمَاءُ، وَالضَّوءُ يُزيلُهَا، يَكشِفُهَا، جَزَّعٌ، أَيْ مُقَطَّعٌ بِأَلْوَانٍ مُخْتَلِفَةٍ. (التاج ٢٠/ ٤٣٤).

(٤) في (الأصل): (القوم) بدلًا من (القوم).=

وَالآخَرُ فِي قَولِهِ: [من الكامل]

أَمَـرُوا الضُّحَى أَنْ يَسْتَحِيلَ لِأَنَّهُـم قَـالُـوا لِشَمْسِ خُـدُورِهِـم لَا تَطْلَعِي

وَأَبو الحَسَنِ المِهيَارُ فِي قَولِهِ:(١) [من البسيط]

هَلْ فِي الشُّمُوسِ الَّتِي تُحْدَى بِهَا العِيرُ قَلْبٌ إِلَى غَيرِ هَـذَا الدِّيـنِ مَفْطُورُ(٢)

وَفِي قَولِهِ أَيضًا:(٣) [من الرجز]

وَفِي الـحُـدُوجِ غَـارِبُـونَ أَقْسَـمُـوا لَا تَـركُـوا شَمْسًا تُضِـيءُ مَطْلِعَا(٤)

وَأَبو عُبَادَةَ البُحْتُرِيُّ فِي قَولِهِ:(٥) [من البسيط]

شَمْسٌ أَضَـاءَت أَمَـامَ الـحَيِّ إِذْ بَرَزَتْ تَسيـرُ فِي ظُـعُـنٍ مِـنْـهُـم وَأَحْـدَاجِ

وَابنُ الزَّقَّاقِ البَلَنْسِي(٦) فِي قَولِهِ:(٧) [من السريع]

=- يُوشَعُ بنُ نُونٍ عليه السلام وَصِيُّ نَبِيِّ الله مُوسَى عليه السلام، وَيُقَالُ هُوَ (ذُو الكفل)، وَهوَ الَّذِي رُدَّت عَلَيهِ الشَّمْسُ. ينظر: منهاج الفقاهة ١/ ٣٣١.

(١) ديوان المهيار ١/ ١٠٣.

(٢) في الأصل(تـخدي) بدلًا من (تـحدى)، وجاء العجز برواية (قلب على غيـر دين الغدر مفطور).

(٣) ديوان المهيار ٢/ ٢١٢.

(٤) المَطْلِعُ: المَوْضِعُ الَّذِي تَطْلُعُ عَلَيْهِ الشَّمْسُ. (اللسان ٨/ ٢٣٥).

- قال تعالى: ﴿**حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ...**﴾ (الكهف/ ٩٠).

(٥) ديوان البحتريّ ١/ ١٦٦.

(٦) ابنُ الزَّقَّاقِ البَلَنسِيُّ عَليّ بنُ عَطيَّةَ بنِ مَطرفٍ، أَبو الحَسَن اللَّخمِيُّ البَّلنسِيُّ الشَّاعِرُ المَشهُورُ، المَعروفُ بِابنِ الزَّقَّاقِ؛ أَخذَ عَن ابنِ السَّيِّد، وَاشتَهَرَ وَمَدحَ الأَكَابِرَ، وَجَوَّدَ النَّظمَ، وَتُوفِّيَ وَلَه دُونَ الأَربعينَ فِي سَنةِ ثَمانٍ وَعِشرينَ وَخَـمَسِمِئَةٍ. ينظر: السفر الخامس من كتاب الذيل ٢٦٥، وتأريخ الإسلام ١١/ ٤٧٨، والوافي بالوفيات ٢١/ ٢١٢، وفوات الوفيات ٣/ ٤٧، وديوان الإسلام ٢/ ٣٩٤، والأعلام ٤/ ٣١٢، ومعجم المؤلِّفين ٧/ ١٥١.

- في الأصل(الرقاق) بدلًا من (الزقاق).

(٧) ديوان ابن الزقاق البلنسيّ ٨٠.

- في الأصل(الرقاق) بدلًا من (الزقاق).

١. يَا شَمْسَ خِدْرٍ مَا لَهَا مَغْرِبُ أَرَامَةٌ دَارُكِ أَمْ غُرَّبُ[١]
٢. ذَهَبتِ فَاسْتَعْبَرَ طَرفِي دَمًا مُفَضَّضُ الدَّمعِ بِهِ مُذهَبُ[٢]
٣. نَاشَدتُكَ اللهَ نَسِيمَ الصَّبَا أَينَ اسْتَقَرَّتْ بَعدَنَا زَيْنَبُ؟!
٤. لَمْ نَسرِ إِلَّا بِشَذَا عَرفِهَا أَو لَا فَمَاذَا النَّفَسُ الطَّيِّبُ
٥. إِيهٍ وَإِنْ عَذَّبَنِي ذِكرُهَا فَمِن عَذَابِ النَّفْسِ مَا يَعْذُبُ[٣]

وَأَبُو الحَسَنِ المِهيَارُ فِي قَولِهِ:[٤] [من الكامل]

مَا ذَاكَ إِلَّا أَنَّ أَقْمَارَ الحِمَى أَفْلَاكُهُنَّ إِذَا طَلَعْنَ البِيدُ

وَأَبو مُحَمَّدٍ الخَازِنُ فِي قَولِهِ:[٥] [من الطويل]

بُدُورُ خُدُورٍ أَمْ بُدُورُ حَنَادِسٍ وَأَغْصَانُ بَانٍ أَمْ قُدُودُ أَوَانِسِ؟!

وَالأَرَّجَانِيُّ فِي قَولِهِ:[٦] [من الطويل]

غَوَارِبُ أَقْمَارٍ جَوَانِحُ لِلنَّوَى وَقَدْ حَمَلَتْهَا العِيسُ فَوْقَ غَوَارِبِ

وَأَحْمَدُ ابنُ المُغَلِّسِ فِي قَولِهِ:[٧] [من الخفيف]

---

(١) في الأصل(غربب) بدلًا من (غُرَّبُ).
- غُرَّبٌ: جَبَلٌ بالشَّام دونهَا فِي بِلاد بَنِي كَلْب، وَهُوَ اسمُ مَوضِعٍ عَلَى العُمُومِ. (التاج ٣/ ٤٧٤).
(٢) في الأصل(تفيض) بدلًا من (مفضض).
(٣) في الأصل(حبُّها) بدلًا من (ذكرها).
(٤) ديوان مهيار الديلميّ ١/ ٣٢٧.
(٥) أَبو مُحمَّد عَبدُ الله بنُ أَحمدَ الخَازِنُ: مِن حَسَنَاتِ أَصبَهَانَ، وَأَعيَانِ أَهلِهَا فِي الفَضلِ، وَنُجُومِ أَرضِهَا وَأَفرَادِهَا فِي الشِّعرِ، كَانَ مِن خَوَاصِّ الصَّاحِبِ بنِ عَبَّاد، وَكَانَ عَلَى خِزَانَةِ كُتُبِهِ فِي رَيعَانِ شَبَابِهِ، هَرَبَ مِن حَضْرَتِهِ مُدَّةً ثُمَّ عَادَ إِلَيهِ. ينظر: يتيمة الدهر ٣/ ٣٧٩، ووفيات الأعيان ٧/ ٣٤٢.
(٦) ديوان الأرجانيّ ٢/ ١٢٧.
(٧) يتيمة الدهر ٣/ ١٥٢.

طَالِعَاتٌ مِنَ السُّجُوفِ عَلَى الرَّكْـ ـبِ، بُدُورٌ تَزِفُّهُنَّ الخُدُورُ

وَالأَرَّجَانِيُّ فِي قَولِهِ:[1] [من مجزوء الكامل المرفل]

١. فِي الجِيرَةِ الغَادِينَ بَدْرُ وَجْهُ الظَّلَامِ بِهِ أَغَرُّ
٢. بَدرٌ يُدِيرُ عُيونَنَا عَنهُ، إِذَا مَا سَارَ، خِدْرُ
٣. يُمْسِي وَيُصْبِحُ وَهوَ فِي أَحَدِ الهَوَادِجِ مُسْتَسِرُّ
٤. وَإِذَا أُتِيحَ لَهُ الطُّلُو عُ لِنَاظِرٍ، فَاللَّيلُ شَعْرُ

وَالبُحْتُرِيُّ فِي قَولِهِ:[2] [من الطويل]

بِبِيضٍ أَضَاءَتْ فِي الخُدُورِ كَأَنَّهَا نُجُومُ دُجًى جَلَّتْ سَوَادَ الحَنَادِسِ

فَانْظُرْ إِلَى بَيْتِ أَبِي الطَّيِّبِ المُتَنَبِّي، فَإِنَّهُ إِنَّمَا فَدَّى الرَّبعَ لِعِلَّةٍ حَكَّمَهَا فِيهِ، لِتَدُلَّ عَلَى مَقصُودِهِ، وَتِلكَ العِلَّةُ هِيَ كَونُ الرَّبعِ كَانَ لِلشَّمْسِ شَرْقًا وَغَرْبًا وَبِهذِهِ العِلَّةِ قَرِينَةٌ وَاضِحَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ أَرَادَ بِالشَّمْسِ امرَأَةً حَسنَاءَ خَفِرَةً، وَيُفْهَمُ أَنَّهَا خَفِرَةٌ مِن جَعلِهِ الرَّبعَ لَهَا شَرقًا وَغَربًا؛ لِأَنَّ الشَّرقَ فِيهِ يَكونُ مَطلِعَ الشَّمْسِ، وَالغَربُ فِيهِ يَكونُ غُرُوبَهَا، وَالرَّبعُ كَانَ لِهَذِهِ الخَفِرَةِ بِمَنزِلَةِ الشَّرقِ وَالغَربِ لِلشَّمْسِ؛ مِن حَيثُ إِنَّهَا تَطلعُ فِيهِ وَتَغْرُبُ، فَطُلُوعُهَا وَغُرُوبُهَا مُنْحَصِرٌ فِيهِ، فَتَعَيَّنَ مِن هَذِهِ القَرِينَةِ أَنَّهَا خَفِرَةٌ، وَيَكونُ فِي قَولِهِ: وَإِنْ زِدْتَنَا كَرْبًا، دَلَالَةً عَلَى أَنَّهَا نَأَتْ عَنهُ، فَلَو أَنَّ أَبَا الطَّيِّبِ سَلَكَ مَا سَلَكَهُ السَّيِّدُ فِي بَيتِهِ، وَعَدَلَ عَنِ الرَّبعِ، وَأَتَى بِالفَخْرِ، أَوِ المَجْدِ، أَو غَيرَ ذَلِكَ مِمَّا يُنَاسِبُ أَهلَ الشَّرَفِ؛

(١) ديوان الأرجانيّ ٢/ ٧٣٣.
- الأَرَّجَانِيّ: أَحمَدُ بنُ مُحَمَّد بنِ الحُسَينِ، أَبو بَكرٍ، نَاصِحُ الدِّينِ، الأَرَّجَانِيّ: شَاعِرٌ، فِي شِعرِهِ رِقَّةٌ وَحِكمَةٌ. قِيلَ عَنهُ: إِنَّهُ عَربِيُّ المَحتِدِ، سَلَفُهُ القَدِيمُ مِنَ الأَنصَارِ، وَلِيَ القَضَاءَ بِتُسْتَر وَعَسكَر مَكرَم وَكَانَ فِي صِبَاهُ فِي المَدرسَةِ النِّظَامِيَّةِ فِي أَصبهَانَ. تُوُفِّيَ فِي تَستُرَ سَنَةَ (٥٤٤هـ). له ترجمة في: تأريخ بغداد ٢١/ ٤٩، ووفيات الأعيان ١/ ١٥١، والوافي بالوفيات ٧/ ٢٤٣، وديوان الإسلام ١/ ١٠٢، والأعلام ١/ ٢١٥، ومعجم المؤلّفين ٢/ ٩٤.

(٢) ديوان البحتريّ ٢/ ١١٢٣.

وَقَالَ: [من الطويل]

فَدَيـنَـاكِ مِـن مَجـدٍ وَإِنْ زِدْتِـنَـا كَـرْبَـا فَإِنَّكِ كُنْتِ الـشَّرقَ لِلشَّمْسِ وَالغَرْبَا

لَكَانَت قَرِينَتُهُ دَالَّةً عَلَى أَنَّهُ أَرَادَ بِالشَّمْسِ رَجُلًا مِنَ الأَشْرَافِ؛ لِأَنَّ المَجدَ مُنَاسِبٌ لِأَهلِ الشَّرَفِ، وَيَكونُ فِي قَولِهِ: وَإِنْ زِدْتِنَا كَرْبَا، دَلَالَةً عَلَى أَنَّهُ فَارَقَ مَجدَهُ بِالمَوتِ أَو فِي أَحَدِ نَوَائِبِ الدَّهْرِ وَيَكونُ البَيتُ بِحَسَبِ هَذِهِ القَرَائِنِ رِثَاءً لَا غَزَلًا.

وَكَذَلِكَ قَولُ أَبِي الحَسَنِ مِهيارَ الدَّيلَمِيِّ: [من الكامل]

مَـا ذَاكَ إِلَّا أَنَّ أَقْـــمَارَ الحِـمَـى أَفْـلَاكُـهُـنَّ إِذَا طَـلَـعْـنَ الـبِـيـدُ

فَإِنَّ قَرَائِنَهُ دَالَّةٌ عَلَى أَنَّهُ وَصَفَ فِيهِ: مُخَدَّرَاتِ كَوَاعِبِ نِسَاءِ العَرَبِ؛ لِأَنَّهُ كَنَّى عَنهَا بِالأَقمَارِ، وَأَضَافَ الأَقمَارَ إِلَى الحِمَى، وَجَعَلَ أَفْلَاكَهَا البَيدَ إِذَا طَلَعَت مِنَ الحِمَى، وَبِهَذَا الشَّرطِ تَعَيَّنَ أَنَّهَا مُلَازِمَةٌ لِلحِمَى، وَطُلُوعُهَا مِنَ الحِمَى قَلِيلٌ، وَإِذَا طَلَعَت مِنهُ تَكونُ البِيدُ أَفلَاكَهَا؛ لِأَنَّ الحِمَى مَا دَامَت هِيَ فِيهِ قَاطِنَةً فَهوَ يَكونُ فَلَكَهَا؛ وَلِهَذَا أَضَافَهَا إِلَيهِ، وَإِذَا لَازَمَتِ الحِمَى وَقَلَّ طُلُوعُهَا مِنهُ دَلَّ عَلَى أَنَّهُ أَرَادَ بِأَقمَارِهِ: مُخَدَّرَاتِ كَوَاعِبِ نِسَاءِ العَرَبِ؛ لِـمُلَازَمَتِهَا لِلحِمَى؛ لِأَنَّ مِن شَأنِ مُخَدَّرَاتِ العَرَبِ مُلَازَمَتَهَا لِلحِمَى الَّذِي تَحمِيهِ رِجَالُهَا، وَالمُرَادُ بِالحِمَى هُنَا البُيوتُ، وَلَو أَنَّ مِهيارَ الدَّيلَمِيَ نَهجَ مَا نَهجَهُ السَّيِّدُ فِي بَيتِهِ هَذَا، وَعَدَلَ عَنِ الحِمَى، وَأَتَى بَدَلَهُ بِالعُلَا، وَعَدَلَ عَنِ البِيدِ، وَأَتَى بِالقَسْطَلِ مَكَانَهَا، وَجَعلَ أَفلَاكَ تِلكَ الأَقمَارِ وَقَالَ:

مَـا ذَاكَ إِلَّا أَنَّ أَقْـــمَارَ الـعُـلَا أَفْـلَاكُـهُـنَّ إِذَا طَـلَـعْـنَ القَسْطَلُ

لَكَانَت قَرَائِنُهُ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ أَرَادَ بِأَقمَارِ العُلَا مَدحَ أَمَاجِدَ شُجَعَانٍ، مِن حَيثُ أَضَافَ الأَقمَارَ إِلَى العُلَا، وَجَعَلَ أَفلَاكَهَا القَسطَلَ، وَيَكونُ حِينَئِذٍ بَيتُهُ مَدْحًا لَا غَزَلًا، وَبِحَسَبِ هَذِهِ الأَدِلَّةِ الوَاضِحَةِ استبَانَ صَرِيحًا أَنَّ بَيتَ السَّيِّدِ مَدحٌ مَحضٌ، مَا فِيهِ مَا يُوهِمُ أَنَّهُ غَزلٌ، وَبَنَى عَلَيهِ غَزَلَهُ، وَأَخَذَ يَنْظِمُ عَلَيهِ غَزَلًا مَحْضًا، مَا فِيهِ مَا يُوهِمُ أَنَّهُ مَدحٌ، وَعَطَفَ المَدحَ

عَلَى الغَزَلِ؛ بِنَاءً عَلَى أَنَّهُ مِنهُ، فَهوَ مِن أَفْحَشِ العُيوبِ الَّتِي تَقعُ فِي بَرَاعَةِ المَطلَعِ، وَلَو أَنَّهُ أَتَى بِالحِمَى بَدَلِ العُلَا لَكَانَ بَيتُهُ غَزَلًا، لَكِنَّهُ -سَلَّمَهُ الله- بِحَسَبِ طَبعِهِ المَعرُوفِ مِنهُ، لَا يَتَنَبَّهُ لِهَذِهِ الأُمُورِ الظَّاهِرَةِ؛ الَّتِي بِوُقُوعِهَا تُخْرِجُ الكَلَامَ عَمَّا قَصَدَهُ المُتَكَلِّمُ، وَلِهَذَا تَرَاهُ فِي نِظَامِهِ مَا زَالَ مُتَنكِّبًا جَادَّةَ النَّظمِ، سَالِكًا مَا لَا يَتَعَقَّلَهُ أُولُو الفَهمِ، وَيَكفِيكَ شَاهِدًا بِذَلِكَ هَذِهِ المَعَايِبُ الَّتِي ذَكرنَاهَا فِي بَرَاعَةِ مَطلَعِهِ هَذَا؛ لِأَنَّهَا مِنْ سَقَطَاتِ العُيوبِ الَّتِي لِوُضُوحِهَا تَعَرَّضَ أَربَابُ هَذَا الفَنِّ عَن التَّكَلُّمِ فِيهَا؛ لِأَنَّهُم يَتَتَبَّعُونَ المَعَايِبَ الخَفِيَّةَ الَّتِي لَا يَتَنَبَّهُ لَهَا إِلَّا الأَلمَعِيُّ؛ لِأَنَّ فُحولَ الشُّعَرَاءِ مُستَحِيلٌ أَن يَقَعَ فِي شِعرِهَا نَظِيرُ هَذِهِ المَعايِبِ وَكَيفَ لَا يَستَحِيلُ وَقَد ذَكَرَ الجَاحِظُ فِي (البَيَانِ)[1] أَنَّه كَانَ الشَّاعِرُ مِنَ العَرَبِ يَمكُثُ فِي القَصِيدَةِ الحَولَ، وَيُسَمُّونَ تِلكَ القَصَائِدَ الحَولِيَّاتِ، وَالمُنَقَّحَاتِ، وَالمُحكَمَاتِ، لِيَصِيرَ قَائِلُهَا فَحْلًا خِنْذِيذًا، وَشَاعِرًا مُفلِقًا[2].

وَالشُّعَرَاءُ عِندَهُم أَربَعُ طَبَقَاتٍ، أَوَّلُهُم: الفَحْلُ الخِنذِيذُ، وَهوَ التَّامُّ، وَدُونَ الخِنذِيذِ: الشَّاعِرُ المُفلقُ، وَدُونَ ذَلِكَ: الشَّاعِرُ فَقَط، وَالرَّابِعُ: الشَّعرُورُ[3].

وَذَكَرَ شَارِحُ (الكَامِلِ)[4]، أَنَّ الحُطَيْئَةَ دَخَلَ عَلَى سَعْيدِ بنِ العَاصِ وَهُوَ يُغَدِّي النَّاسَ، فَأَكَلَ أَكْلَ جَائِعٍ[5]، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ طَعَامِهِ وَخَرَجَ النَّاسُ، أَقَامَ مَكَانَهُ فَأَتَاهُ الحَاجِبُ لِيُخْرِجَهُ فَامْتَنَعَ؛ وَقَالَ: أَتَرْغَبُ عَنْ مُجَالَسَتِي؟ فَلَمَّا سَمِعَهُ سَعِيْدٌ وَكَانَ لَا يَعْرِفُهُ؛ قَالَ لِلْحَاجِبِ: دَعْهُ، ثُمَّ تَذَاكَرُوا الشِّعْرَ، فَقَالَ الحُطَيْئَةُ: مَا أَصَبْتُمْ جَيِّدَ الشِّعْرِ، وَلَوْ أَعْطَيْتُمُ القَوْسَ بَارِيهَا، بَلَغْتُمُ مَا تُرِيدُونَ.

(١) البيان والتبيين: لعمرو بن بحر بن محبوب الكنانيّ بالولاء، الليثيّ، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (المتوفَّى ٢٥٥هـ).

(٢) البيان والتبيين ٢/ ٨.

(٣) البيان والتبيين ٢/ ٨.

(٤) الكلام المذكور هنا لم أجده في الكامل ولا في شرحه.

(٥) الخبر في: الفاخر ١/ ٣٠٤، وفصل المقال في شرح كتاب الأمثال ١/ ٢٩٨.

وَقِيلَ: إِنَّهُ أَوَّلُ مَنْ قَالَ: أَعْطِ القَوْسَ بَارِيهَا، فَانْتَسَبُوهُ فَانْتَسَبَ لَهُمْ، فَأَكرَمُوهُ وَذَاكَرُوهُ؛ فَقَالَ لِسَعِيد: اسْمَعْ ثُمَّ أَنْشَدَ:(١)

١. الشَّعَرَاءُ فَاعْلَمَنَّ أَرْبَعَهْ
٢. فَشَاعِرٌ لَا يُرْتَجَى لِمَنْفَعَهْ
٣. وَشَاعِرٌ يُنْشِدُ وَسْطَ المَجْمَعَهْ
٤. وَشَاعِرٌ آخَرُ لَا يُجْرَى مَعَهْ
٥. وَشَاعِرٌ يُقَالُ: خَمِّرْ فِي دِعَهْ

وَمَعْنَى قَوْلِهِ: «خَمِّرْ فِي دِعَهْ»، غَطِّ وَجْهَكَ، حَيَاءً مِنْ قُبْحِ مَا أَتَى بِهِ.

ثُمَّ أَنْشَدَ:(٢) [من الرجز]

١. الشِّعْرُ صَعْبٌ وَطَوِيلٌ سُلَّمُهْ
٢. إِذَا ارْتَقَى فِيهِ الَّذِي لَا يَعْلَمُهْ
٣. زَلَّتْ بِهِ إِلَى الحَضِيضِ قَدَمُهْ
٤. يُرِيدُ أَنْ يُعْرِبَهُ فَيُعْجِمُهْ

وَكَانَ شُعرَاءُ الجَاهِلِيِّينَ يَنتَقِدُ بَعضُهُم عَلَى بَعضٍ، كَانْتِقَادِ امرَأَةِ امرئِ القَيسِ الطَّائِيَّةِ عَلَيهِ حِينَ تَحَاكَمَا عِندَهَا هُوَ وَعَلقَمَةُ الفَحلُ فِيمَا قَالَا، وَقَد تَقَدَّمَ سَابِقًا، وَكَانْتِقَادِ الخَنسَاءِ؛ لِأَنَّهَا كَانَت جَاهِلِيَّةً وَأَدرَكَتِ الإِسلَامَ عَلَى حَسَّانَ بنِ ثَابِتٍ، كَمَا نَقَلَ السِّيوطِيُّ عَنِ الآمُدِيِّ، قَالَ: إِنَّهُ لَمَّا أَجمَعَتِ العَربُ عَلَى فَضلِ النَّابِغَةِ الذُّبيَانِيِّ، وَسَأَلَتهُ أَن يَضرِبَ قُبَّةً بِسُوقِ عُكَاظَ؛ فَيَقضِي بَينَ النَّاسِ فِي أَشعَارِهِم؛ لِتَبَصُّرِهِ بِمَعَانِي الشِّعرِ، فَضَرَبَ القُبَّةَ

(١) بلا عزو في: الأمثال المولدة ١٣٧، والموشَّح ٤٤٦، والعمدة ١/ ١١٤، وشرح ديوان المتنبِّي للكعبريّ ٣/ ١٧٦، والوافي بالوفيات ١٩/ ١٣٢، والمزهر ٢/ ٤١٦، وفي تأريخ الأدب الجاهليّ ٢٨٧.

(٢) ديوان الحطيئة ١٨٥

وَأَتَتهُ وُفُودُ الشُّعَرَاءِ مِن كُلِّ أَوبٍ، فَكَانَ يَسْتَجِيدُ الجَيِّدَ مِن أَشعَارِهِمْ وَيُرِذِلُ الرَّدِيءَ، فَيكونَ مَسمُوعًا فِيهِمَا جَمِيعًا، وَمَأْخُوذًا بِهِ، فَكَانَ فِي مَن دَخَلَ عَلَيهِ الأَعشَى، وَحَسَّانُ بنُ ثَابِتٍ، وَالخَنسَاءُ، فَأَنْشَدَهُ الأَعشَى:

مَا بُكَاءُ الكَبِيرِ بِالأَطْلَالِ[1]

فَقَالَ: أَحْسَنتَ وَأَجَدْتَ. وَأَنشَدَهُ حَسَّانُ قَصيدَتَه:

أَلَمْ تَسأَلِ الرَّبعَ الجَدِيدَ التَّكَلُّما[2]

فَقَالَ: إِنَّكَ لَشَاعِرٌ.

ثُمَّ أَنْشَدَتهُ الخَنسَاءُ قَولَهَا:

قَذًى بِعَيْنَيْكَ أَمْ بِالعَينِ عُوَّارُ[3]

فَأَقبَلَ عَلَيهَا كَالْمُسْتَجِيدِ لِقَولِهَا، فَلَمَّا فَرَغَتْ مِن إِنشَادِهَا، قَالَ لَهَا: أَنْتِ أَشعَرُ ذَاتِ مَثَانَةٍ.

فَقَالَتْ: وَذِي خُصْيَةٍ يَا أَبَا أُمَامَةَ.

فَقَالَ: وَذِي خُصْيَةٍ، فَغَضِبَ حَسَّانُ؛ وَقَالَ:

أَنَا أَشْعَرُ مَنكَ وَمِنهَا.

---

(١) صدر مطلع قصيدة الأعشى، وتمامه: (من الخفيف)

مَا بُكَاءُ الكَبِيرِ بِالأَطْلَالِ وَسُؤَالِي فَهَل تَرُدُّ سُؤَالِي

ديوان الأعشى، القصيدة (١).

(٢) صدر مطلع قصيدة حسان، وتمامه: (من الطويل)

أَلَمْ تَسأَلِ الرَّبعَ الجَدِيدَ التَّكَلُّما بِمَدفَعِ أَشدَاخٍ فَبُرقَةِ أَظْلَما

ديوان حسَّان ٢١٦.

(٣) صدر مطلع قصيدة الخنساء، وتمامه: (من البسيط)

قَذًى بِعَيْنَيْكَ أَمْ بِالعَينِ عُوَّارُ أَمْ ذَرَّفَتْ إِذْ خَلَتْ مِن أَهلِهَا الدَّارُ

ديوان الخنساء ٤٥.

فَقَالَ: لَيْسَ الأَمرُ كَمَا ظَنَنْتَ، ثُمَّ التَفَتَ إِلَى الخَنسَاءِ؛ فَقَالَ لَهَا:

يَا خُنَاسُ خَاطِبِيهِ. فَالتَفَتَتْ إِلَيهِ؛ فَقَالَت:

مَا أَجْوَدُ بَيتٍ فِي قَصِيدَتُكَ هَذِهِ؟.

فَقَالَ قَولِي:[1] [من الطويل]

لَنَا الجَفَنَاتُ الغُرُّ يَلْمَعْنَ فِي الضُّحَى وَأَسْيَافُنَا يَقْطُرْنَ مِن نَجْدَةٍ دَمَا

فَقَالَتْ: ضَعَّفْتَ افْتِخَارَكَ وَأَنْزَرْتَهُ فِي ثَمانِيَةِ مَوَاضِعَ فِي بَيتِكَ هَذَا.

قَالَ: وَكَيفَ؟!

قَالَتْ: قُلْتَ: لَنَا الجَفَنَاتُ، وَالجَفَنَاتُ مَا دُونَ العَشرِ، وَلَو قُلْتَ: الجِفَان لَكَانَ أَكثَر.

وَقُلْتَ: الغُرُّ، وَالغُرَّةُ: بَيَاضٌ يَكونُ فِي الجَبهَةِ، وَلَو قُلْتَ: البِيض، لَكَانَ أَكثَرَ اتِّبَاعًا.

وَقُلتَ: يَلمَعْنَ، وَاللَّمْعُ: شَيءٌ يَأتِي بَعدَ شَيءٍ، وَلَو قُلتَ: يُشرِقْنَ، لَكَانَ أَكثَرَ؛ لِأَنَّ الإشرَاقَ أَدوَم مِنَ اللَّمَعَانِ.

وَقُلتَ: فِي الضُّحَى، وَلَو قُلْتَ: فِي الدُّجَى، لَكَانَ أَكثَرَ طرَّاقًا.

وَقُلتَ: وَأَسيَافُنَا، وَالأَسيَافُ: مَا دُونَ العَشرَةِ، وَلَو قُلتَ: سُيُوفُنَا، لَكَانَ أَكثَرَ.

وَقُلتَ: يَقْطُرنَ، وَلَو قُلتَ: يَسِلنَ، لَكَانَ أَكثَر.

وَقُلتَ: مِن نَجْدَةٍ، وَالنَّجْدَاتُ أَكثَرُ مِن نَجدَةٍ.

وَقُلتَ: دَمًا وَالدِّمَا أَكثَرُ مِنَ الدَّمِ.

فَلَمْ يُحِرْ حَسَّانُ جَوَابًا[2].

---

(١) ديوان حسَّان ٢١٩.

(٢) الخبر والشعر في: خزانة البغداديّ ٨/ ١١٢-١١٣، وزهر الأكم ١/ ٢١٩-٢٢٠.

وَفِيهِ فِي رِوَايَةٍ أُخْرَى عَنِ الأَصْمَعِيِّ، أَنَّ النَّابِغَةَ كَانَ تُضْرَبُ لَهُ قُبَّةٌ فِي سُوقِ عُكَاظٍ، فَتَأتِيهِ الشُّعَرَاءُ؛ فَتعرضُ أَشْعَارَهَا عَلَيهِ، فَأَتَاهُ الأَعشَى فَأَنشَدَهُ، ثُمَّ أَتَاهُ حَسَّانُ ابنُ ثَابِتٍ فَأَنشَدَهُ:

١.لَنَا الجَفَنَاتُ الغُرُّ يَلْمَعْنَ فِي الضُّحَى وَأَسْيَافُنَا يَقْطُرْنَ مِن نَجْدَةٍ دَمَا

٢.وَلَدنَا بَنِي العَنْقَاءِ وَابْنَيْ مُحَرِّقٍ فَأَكْرِمْ بِنَا خَالًا وَأَكْرِمْ بِنَا ابْنُمَا[1]

فَقَالَ لَهُ النَّابِغَةُ: أَنتَ شَاعِرٌ، لَكِنَّكَ أَقْلَلْتَ جِفَانَكَ وَأَسْيَافَكَ، وَفَخَرتَ بِمَن وَلَدتَ، وَلَم تَفْتَخِر بِمَنْ وَلَدَكَ.

وَتَوَاتَرَتِ الشُّعَرَاءُ، ثُمَّ جَاءَتِ الخَنسَاءُ، فَأَنْشَدَتهُ:[2] [من البسيط]

وَإِنَّ صَخْرًا لَتَأْتَمُّ الهُدَاةُ بِهِ كَأَنَّهُ عَلَمٌ فِي رَأْسِهِ نَارُ

فَقَالَ لَهَا النَّابِغَةُ: لَولَا أَنَّ أَبَا بَصيرَ -يَعنِي الأَعشَى- أَنْشَدَنِي اليَومَ، لَقُلتُ أَنَّكِ أَشعَرُ الإِنسِ وَالجِنِّ.

فَقَالَ حَسَّانُ: أَنَا أَشْعَرُ مِنكَ وَمِن أَبِيكَ.

فَقَالَ النَّابِغَةُ: إِنَّكَ لَا تُحْسِنُ أَنْ تَقولَ:[3] [من الطويل]

فَإِنَّكَ كَاللَّيلِ الَّذِي هُوَ مُدرِكِي وَإِنْ خِلتُ أَنَّ المُنْتَأَى عَنْكَ وَاسِعُ[4]

وَفِي الكِتَابِ المَذكُورِ ذَكَرَ ابنُ قُتَيبَةَ قَوْلَ النَّابِغَةِ لِحَسَّان: أَقلَلتَ جِفَانَكَ وَأَسيَافَكَ،

(١) ثعلبة العنقاء بن عمرو بن عامر. جدُّ الأنصار الأوس والخَزْرج، ابنا حارثة بن ثعلبة العنقاء. (نسب عدنان وقحطان ٢١). والحَارِثَ، وهو مُحَرِّقٌ، أَوَّلُ من عَاقَب بالنَّار، ابن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة. (نسب معد واليمن الكبير ١/ ٣٦٣).

(٢) ديوان الخنساء ٤٦.

(٣) ديوان النابغة الذبيانيّ ٧٨.

(٤) الخبر والشعر في: الشعر والشعراء ١/ ٣٣٢، المصون في الأدب ٣، والموشح في مآخذ العلماء ٦٩، وخزانة البغداديّ ٨/ ١١٠.

وَقُلتَ: يَقْطُرنَ، وَلَم تَقُلْ: جِفَانٌ، وَسُيوفٌ، وَيَجرَينَ؛ وَقُلتَ: يَلمَعنَ فِي الضُّحَى، وَلَو قُلتَ: يَشرقنَ فِي الدُّجَى، لَكَانَ أَمْدَحَ؛ لِأَنَّ الضَّيفَ بِاللَّيلِ أَكثَرُ، وَقُلتَ: الغُرُّ وَلَم تَقُلْ: البِيضُ، وَالغُرَّةُ يَسِيرةٌ.

وَفِي الكِتَابِ [1] المَذكورِ أَنَّ ابنَ يَسعُونٍ تَعَصَّبَ لِحَسَّانَ فَأَجَابَ عَنهُ؛ فَقَالَ: الجَمعُ فِي الجَفَنَاتِ نَظِيرُ قَولِهِ تَعَالَى: ﴿..**وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ**﴾[2]، وَأَمَّا الغُرُّ: فَلَيْسَ جَمعُ غُرَّةٍ، بَل جَمعُ غَرَّاء وَهِيَ البِيضُ المُشْرِقَاتُ مِنْ كَثْرَةِ اللُّحُومِ وَبَيَاضِ الشُّحُومِ؛ وَقَولُهُ: يَلمَعْنَ هُوَ المُستَعْمَلُ فِي هَذَا النَّحْوِ؛ يُقَالُ: لَمَعَ السَّحَابُ وَلَمَعَ البَرقُ؛ وَقَولُهُ: فِي الضُّحَى؛ لِأَنَّهُ أَرَادَ أَنَّ طَعَامَهُم وَقِرَاهُم مَوصُولٌ، فِي كُلِّ وَقْتٍ مَبذُولٌ، وَقَد وَصَفَ قَبلَ هَذَا قِرَاهُم بِاللَّيلِ حَيثُ قَالَ:[3] [من الطويل]

وَإِنَّا لَنَقْرِي الضَّيفَ مَا جَاءَ طَارِقًا مِنَ الشَّحمِ مَا أَضحَى صَحِيحًا مُسَلَّما

وَأَمَّا قَولُهُ: يَقْطُرنَ فَهوَ المُستَعمَلُ فِي مِثلِ هَذَا؛ يُقَالُ: سَيفُهُ يَقطُرُ دَمًا، وَلَم تَجرِ العَادَةُ بِأَن يُقَالَ: سَيفُهُ يَسِيلُ أَو يَجرِي دَمًا، مَعَ أَنَّ يَقطُرُ أَمدَحُ؛ لِأَنَّهُ يَدُلُّ عَلَى مَضَاءِ السَّيفِ وَسُرعَةِ خُرُوجِهِ عَنِ الضَّرِيبَةِ حَتَّى لَا يَكَادُ يَعلَقُ بِهِ دَمٌ[4].

فَهَكذَا كَانَ شُعرَاءُ الجَاهِلِيِّينَ وَمَنْ قَارَبَهم مِنَ الإِسلَامِيِّينَ يَنْتَقِدُ بَعضُهُم عَلَى بَعضٍ، وَأَمَّا شُعرَاءُ الإِسلَامِيِّينَ، خُصُوصًا المُتَأَخِّرونَ مِنهُم، اجْتَنَبوا كَثِيرًا مِمَّا هُوَ جَائِزٌ وُقُوعُهُ عِندَ شُعرَاءِ الجَاهِلِيِّينَ كَالتَّنَافُرِ، وَالغَرَابَةِ، وَمُخَالَفَةِ القِيَاسِ اللُّغَوِيِّ، وَمَا يَكرَهُهُ السَّمْعُ، وَالتَّعقِيدِ وَمَا شَاكَل ذَلِكَ، فَإِنَّهُ مَعيبٌ عِندَهُم فِي الفَصَاحَةِ.

(١) ينظر: خزانة البغداديّ ٨/ ١١٥.

(٢) سورة سبأ/ ٣٧.

(٣) ديوان حسَّان ٢١٩.

(٤) الخبر في: خزانة البغداديّ ٨/ ١١٥-١١٦.

وَمِن جُملَةِ مَا انْتَقَدوا عَلَى امْرِئ القَيْسِ فِي قَولِهِ:[1] [من الطويل]

غَـدَائِـرُهُ مُـسْـتَـشْـزِرَاتٌ إِلَى الـعُـلا تَـضِـلُّ الـمَـدَارَى فِي مُثَنًّى وَمُـرْسَـلِ[2]

فَإِنَّهُم عَابُوا عَلَيهِ فِي لَفْظَةِ مُسْتَشْزِرَاتٌ؛ لِتَنَافُرِهَا وَثِقْلِهَا عَلَى اللِّسَانِ، وَعُسْرِ النُّطقِ بِهَا.

وَعَلَى قَولِ مَنْ قَالَ:[3] [من الرجز]

وَقَـبْرُ حَـرْبٍ بِـمَـكَـانٍ قَـفْـرِ وَلَـيْـسَ قُـربَ قَـبْرِ حَـرْبٍ قَـبْرُ

قَالُوا: إِنَّ أَلفَاظَهُ مُتَنَافِرةٌ؛ لِمَا فِيهَا مِن ثِقلِ النُّطقِ بِهَا.

وَرُؤْبَةَ بنِ العَجَّاجِ فِي قَوْلِهِ:[4] [من الرجز]

وَفَـاحِـمًا وَمَـرْسِـنًـا مُـسَـرَّجـا وَكَـفَـلًا وَعْـثًـا إِذَا تَـرَجْـرَجَـا

قَالُوا: لَفْظَةُ (مُسَرَّج) فِيهَا الغَرَابَةُ.

وَأَبِي النَّجْمِ (الفَضْلِ بنِ قُدَامَةَ بنِ عُبَيْدِ اللهِ العِجْلِيِّ[5]) فِي قَوْلِهِ:

---

(١) ديوان امرئ القيس ١١٥.

(٢) في (الأصل): (يظل العقاص) بدلًا من (تضلُّ المدارى).

- الغَدَائِرُ: جَمعُ الغَدِيرَةِ: وَهيَ الذُّؤَابَةُ، والغَديرَتانِ: الذُّؤابَتانِ اللَّتَان تَسْقُطَان على الصَّدْرِ. (التاج ١٣/ ٢٠٧)، ومُسْتَشْزِرَاتٌ: من شزر: أي غير مستو، يقالُ: غَزْلٌ شَزْرٌ عَلَى غيرِ اسْتِواءٍ، والشَّزْرُ مِنَ الْفَتْلِ مَا كَانَ إِلى فَوْقٍ خلافَ دَوْرِ المِغْزَل. يُقَالُ: حَبْلٌ مَشْزُورٌ وَغَدَائِرُ مُسْتَشْزَرات، والشَّزَرُ الشِّدَّةُ والصُّعوبةُ في الأمْرِ. (اللسان ٤/ ٤٠٥)، المَدَارَي الأمْشاط واحدُها مِدْرًى. (المخصَّص ١/ ٣٧٨)، مُثَنًّى: مُعَقَّدٌ بِعُدَّةِ عُقَدٍ، مُجَعَّد. (اللسان ١٤/ ١٢٢).

(٣) البيان والتبيين ١/ ١٦، والعمدة في محاسن الشعر ١/ ٢١٦، ومحاضرات الأدباء ٢/ ٦٦٣.

(٤) معاهد التنصيص: ١/ ١٤.

(٥) أبو النَّجم: هوَ الفضل بن قدامَة بن عبيد الله العجلِيّ، وهو من رجَّاز الإسلام والفحول المتقدِّمين فِي الطبقة الأولى منهم، وفد على هِشام بن عبد الملك وقد طعن فِي السنِّ. ينظر: الكامل ٣/ ٧١-٧٢، ومعاهد التنصيص ١/ ١٨-١٩، وخزانة البغداديّ ١/ ١٠٣.

الحَمْدُ للهِ العَلِيِّ الأَجْلَلِ[1]

قَالُوا: لَفْظَةُ (أَجْلَل) مُخَالِفَةٌ لِلْقِيَاسِ اللُّغَوِيّ؛ إِذِ القِيَاسُ (الأَجَلّ) بِالإِدْغَامِ.

وَأَبِي الطَّيِّبِ فِي قَولِهِ:[2] [من المتقارب]

مُبَارَكُ الاسْمِ أَغَرُّ اللَّقَبْ كَرِيمُ الجِرِشَّى شَرِيفُ النَّسَبْ[3]

قَالوا: لَفظَةُ جِرِشَّى فِيهَا كَرَاهَةُ السَّمْعِ.

وَالفَرَزْدَقِ فِي قَوْلِهِ:[4] [من الطويل]

وَمَا مِثْلُهُ فِي النَّاسِ إِلَّا مُمَلَّكًا أَبُو أُمِّهِ حَيٌّ أَبُوهُ يُقَارِبُهْ

عَابُوا عَلَيْهِ التَّعْقِيدَ؛ لأَنَّ بَيْتَهُ لَمْ يَكُنْ ظَاهِرَ الدَّلالَةِ عَلَى المُرَادِ لِهَذَا الخَلَلِ الَّذِي فِي نَظْمِهِ، فَلَا يُتَوَصَّلُ مِنهُ إِلَى مَعنَاهُ.

لِأَنَّ مَعنَاهُ: (وَمَا مِثلُهُ) أَي المَمدُوحُ، (فِي النَّاسِ): حَيٌّ يُقَارِبُهُ: أَيُ أَحَدٍ يَشْبَهُهُ فِي الفَضَائِلِ، إِلَّا مُمَلَّكًا، يَعنِي هِشَامًا، أَبُو أُمِّهِ أَي أَبو أُمِّ هِشَام أَبوهُ، أَي أَبو المَمْدُوحِ، وَالضَّمِيرُ فِي أُمِّهِ لِلْمُمَلَّكِ، وَفِي أَبوهُ لِلْمَمْدُوحِ، فَفَصَلَ بَينَ (أَبُو أُمِّهِ)، وَهوَ (مُبْتَدأ)، وَأَبُوهُ وَهُوَ خَبَرُهُ بِأَجْنَبِيٍّ، وَهُوَ حَيٌّ.

وَكَذَا فَصَلَ بَينَ (حَيٍّ) وَ(يُقَارِبُهُ)، وَهوَ نَعْتُهُ بِأَجْنَبِيٍّ وَهوَ أَبُوهُ، وَقَدَّمَ المُسْتَثنَى عَلَى المُسْتَثنَى مِنهُ، فَهُوَ كَمَا تَرَاهُ فِي غَايةِ التَّعقِيدِ، وَكَانَ حَقُّهُ أَنْ يَقولَ: وَمَا مِثلُهُ فِي النَّاسِ أَحدٌ يُقَارِبُهُ إِلَّا مَلِكٌ أَبُو أُمِّه أَبُوهُ.

(١) الكامل ٣/ ٧١، والموشَّح ٥٠٠، ومعاهد التنصيص ١/ ١٨، ١٩، ٢١، وخزانة البغداديّ ٢/ ٣٩٠، ٣٩٢، وأهدى سبيل ١٠٨، وبغية الإيضاح ١/ ١٥، والمنهاج الواضح ٣/ ٢٥، وبلا عزو في: الموشَّح ١٢٥، والإيضاح ١/ ٢٦، والطراز ٣/ ١٣٦، وصبح الأعشى ٢/ ٢٧٨، والمنهاج الواضح ١/ ١١.

(٢) ديوان المتنبِّي ٤٣٢.

(٣) الجِرشَّى: النفسُ. (اللسان ٦/ ٢٧٢).

(٤) طبقات فحول الشعراء ٢/ ٣٦٥، وفيه جاء صدر البيت برواية (وَأَصْبح مَا فِي النَّاس إِلاَّ مملكًا).

وَزَادوا عَلَى ذَلِكَ فِي الْمُحَافَظَةِ عَن وُقُوعِ مَا يُتَطَيَّرُ مِنهُ، وَمَا لَا يُلِيقُ أَن يُخَاطَبَ بِهِ الْمُلُوكَ وَمَا يَكونُ مُسْتَثْقَلًا بِسَبَبِ تَكرَارِ اللَّفْظِ الوَاحِدِ فِي البَيتِ وَمَا يَتَضَمَّنُ مَعْنَيينِ حَسَنًا وَقَبِيحًا فِي سَائِرِ أَبيَاتِ القَصيدَةِ، خُصُوصًا فِي بَرَاعَةِ المَطلَعِ وَالتَّخَلُّصِ وَفِي الانْتِهَاءِ، فَإِنَّهم تَشْتَدُّ مُحَافَظَتُهُم فِي هَذِهِ المَوَاضِعِ الثَّلَاثَةِ؛ لِعِظَمِ فَائِدَةِ شَرَائِطِهَا الَّتِي ذَكَرنَاهَا سَابِقًا.

فَأَمَّا بَرَاعَةُ المَطلَعِ فَتَجِبُ الْمُحَافَظةُ عَلَيهِ مِمَّا ذُكِرَ ؛ لِأَنَّهُ كَم مِن شَاعِرٍ بَليغٍ زَلَّت بِهِ القَدمُ؟! فَعِيبَ عَلَيهِ، وَمِنهُم مَنْ أُهِينَ بِسَبَبِ ذَلِكَ.

وَلَقَد رُوِيَ عَنْ ذِي الرُّمَّةِ أَنَّهُ أَنْشَدَ عَبْدَ المَلِكِ بنَ مَروانَ قَصِيدَتَهُ الَّتِي مَطلَعُهَا:

مَا بَالُ عَيْنَيْكَ مِنْهَا المَاءُ يَنْسَكِبُ[1]

وَكَانَتْ عَيْنُ عَبْدِ المَلِكِ تَدْمَعُ دَائِمًا، فَتَوَهَّمَ أَنَّهُ خَاطَبَهُ وَعَرَّضَ بِهِ، فَقَالَ لَهُ: وَمَا سَؤَالُكَ عَنْ هَذَا يَا ابنَ الفَاعِلَةِ؟ وَأَمَرَ بِإِخْرَاجِهِ.

وَجَرِيرِ الخَطَفَيّ، لَمَّا أَنْشَدَ عَبْدَ المَلِكِ:[2] [من الوافر]

أَ تَصْحُو؟ أَمْ فُؤَادُكَ غَيْرُ صَاحِي عَشِيَّةَ هَمَّ صَحْبُكَ بِالرَّوَاحِ؟[3]

فَقَالَ لَهُ عَبْدُ المَلِكِ: بَلْ فُؤَادُكَ يَا ابنَ الفَاعِلَةِ.

وَالأَخْطَلِ، لَمَّا دَخَلَ عَلَى عَبْدِ المَلِكِ وَانْشَدَهُ:

خَفَّ القَطِينُ فَرَاحُوا مِنْكَ أَوْ بَكَرُوا[4] **فَقَالَ لَهُ: بَلْ مِنْكَ يَا بنَ الفَاعِلَةِ**

(١) ديوان ذي الرمة: ١١ وتكملة البيت: (من البسيط)

مَا بَالُ عَيْنَيْكَ مِنْهَا المَاءُ يَنْسَكِبُ كَأَنَّهُ مِنْ كُلًى مَفْرِيَّةٍ سَرِبُ

(٢) ديوان جرير ١/ ٨٧.

(٣) الديوان: (بل) في موضع (أم).

(٤) ديوان الأخطل ١٠٠.

وتمام البيت: (من البسيط)

خَفَّ القَطِيْنُ فَرَاحُوا مِنْكَ أَوْ بْكَرُوا وَأَزْعَجَتْهُمْ نَوًى فِي صَرْفِهَا غِيَرُ

وَكَذَلِكَ أَبُو النَّجْمِ، لـمَّا أَنْشَدَ هِشَامًا وَكَانَ أَحْوَلَ:[1] [من الرجز]

صَـغْـوَاءُ قَـدْ كَـادَتْ وَلَـمَّا تَـفْـعَـلِ كَـأَنَّـهَـا فِي الأُفْـقِ عَـيْنُ الأَحْـوَلِ[2]

ظَنَّ هِشَامُ أَنَّهُ عَرَّضَ بِهِ، فَأَمَرَ بِضَرْبِهِ فَـضُرِبَ[3] وَقَالَ: إِصْلاحُ أَدَبِهِ خَيْرٌ مِنْ جَائِزَتِهِ.

وَأَبُو عُبَادَةَ البُحْتُرِيُّ، لَـمَّا أَنْشَدَ يُوسُفَ بنَ مُحَمَّدٍ قَوْلَهُ:[4]

لَـكَ الوَيلُ مِـنْ لَيْلٍ بَطَاءٌ أَوَاخِـرُهْ[5]

فَقَالَ: بَلْ لَكَ الوَيلُ وَالحَرْبُ.

وَأَبُو مُقَاتِلِ الضَّرِيرُ[6]، لَـمَّـا أَنْشَدَ الدَّاعِيَ العَلَوِيَّ[7]:

---

(١) الشعر والشعراء ٢/ ٥٨٩، وعيون الأخبار ٤/ ٥٨، وسرور النفس ١٩٨، وخزانة الحمويّ ١/ ٢١، وخزانة البغدادي٢/ ٣٩٢ وفيها (فهي على) بدل (كأنَّها في).

(٢) صغواء: مائلة نحو الغروب. (التاج ٣٨/ ٤٢٤). وفي (الأصل): (صعواء) وهو تصحيف.

(٣) في (الأصل): (فضربه) بدلًا من (فأمر به فضرب).

(٤) يُوسُفُ بنُ مُحَمَّد بنِ يُوسُفَ الثَّقَفِيُّ: ابنُ أَخِي الحَجَّاجِ بنِ يُوسُفَ، كَانَ خَالَ الوَلِيدِ بنِ يَزِيدِ، فَلَمَّا أَفضَى الأَمرُ إِلَيهِ وَلَّاهُ مَكَّةَ، وَالمَدِينَةَ وَالطَّائِفَ سَنَةَ خَمسٍ وَعِشرِينَ وَمِئَةٍ، وَاستَمَرَّ هَذَا الأَمرُ حَتَّى قُتِلَ الوَلِيدُ. له ترجمة في: تأريخ بغداد ١٤/ ١٠٧، تأريخ دمشق ٧٤/ ٢٥٦، ومختصر تأريخ دمشق ٢٨/ ٩١، ونهاية الأرب ٢١/ ٤٦٧، وصبح الأعشى ٤/ ٣٠٠، والأعلام ٨/ ٢٤٦.

(٥) ديوان البحتريّ ٢/ ٨٧٦.

- البيت في الديوان برواية: (من الطويل)

لَـهُ الـوَيْـلُ مِـنْ لَـيْـلٍ تَـطَـاوَلَ آخِـرُهْ وَوَشْـكِ نَـوًى حَـتَّـى تُـزَمَّ أَبَـاعِـرُهْ!

(٦) في (الأصل): (ابن مقاتل) في موضع (أبو مقاتل).

- أبو مُقَاتِلِ الضَّرِيرُ وَاسمُهُ نَصرُ بنُ نَصرٍ الحَلَوَانِيُّ الشَّاعِرُ.

(٧) الدَّاعي العَلَويُّ: الحَسَنُ بنُ قَاسِمٍ العَلَويُّ، آخِرُ رِجَالِ الدَّولَةِ العَلَوِيَّةِ فِي طَبَرستَانَ. وَلَّاهُ النَّاصِرِ العَلَويُّ قِيَادَةَ جَيشِهِ، وَزَوَّجَه ابْنَتَهُ. وَلَـمَّا قُتِلَ النَّاصِرُ سَنَةَ (٣٠٤ هـ) قَامَ (الدَّاعِي) بِالأَمرِ بَعدَهُ، فَاستَولَى عَلَى الرَّيِّ، وَقَزوِينَ، وَزَنْجَانَ، وَأَبهَرَ، وَقُمٍّ، وَاسْتَتَبَّ لَهُ الأَمرُ. وَكَانَ عَادِلًا مِقدَامًا، أَكثرُ جَيشِهِ مِن مُسلِمِي الدَّيلَم، وَظَهَرَ فِي أَيَّامِهِ خَارِجٌ مِنَ الدَّيلَمِ اسمُهُ (أَسفَارُ بنُ شِيرَوَيه)=

مَـوْعِـدُ أَحْـبَـابِـكَ بِـالـفُـرْقَـةِ غَـد[1]

قَالَ: بَلْ مَوْعِدُ أَحْبَابِكَ، وَلَكَ المَثَلُ السَّوْءُ.

وَأَنْشَدَهُ أَيْضًا يَوْمَ المَهْرَجَانِ:[2] [من الرمل]

لَا تَـقُـلْ بُـشْـرَى وَلَـكِـنْ بُـشْـرَيَـانِ غُـرَّةُ الـدَّاعِـي وَيَـوْمَ الـمَـهْـرَجَـانِ

فَبَطَحَهُ وَضَرَبَهُ خَمْسِينَ سَوْطًا، وَقَالَ: إِصْلاحُ أَدَبِهِ خَيْرٌ مِنْ ثَوَابِهِ. وَأَمَرَ بِتَغْيِيرِ الإِبْتِدَاءِ بِأَنْ يُقَالُ: (إِنْ تَقُلْ بُشْرَى فَهَذِي بُشْرَيَان)، وَيُقَالُ: إِنَّهُ اعْتَرَضَ عَلَيْهِ الدَّاعِي بَعْدَ ضَرْبِهِ وَقَالَ: كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يُؤَخَّرَ المِصْرَاعُ الأَوَّلُ وَيُفْتَتَحُ بِالثَّانِي، لِئَلَّا يَكونُ الإِبتِدَاءُ بِلَا النَّاهِيةِ، فَقَالَ أَبُو مُقَاتِل[3]: أَيُّهَا الفَاضِلُ أَفْضَلُ الذِّكْرِ (لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ) فَقَالَ: أَحْسَنْتَ، أَحْسَنْتَ، وَأَمَرَ لَهُ بِصِلَةٍ[4].

وَأَبُو تَـمَّامٍ لَـمَّا أَنْشَدَ أَبَا دُلَفٍ العِجْلِي قَصِيْدَتَهُ البَائِيَّةَ الَّتِي ابْتِدَاؤُهَا:

عَـلَى مِثْلِهَا مِـنْ أَرْبُـعٍ وَمَـلَاعِـبِ[5]

وَكَانَ فِي المَجْلِسِ رَجُلٌ يَشْنَأُهُ، فَقَالَ: لَعْنَةُ اللهِ وَالمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِين، وَكَانَ فِي

=فَامتَلَكَ طَبرستَانَ، وَحَارَبَه الدَّاعِي بِالقُربِ مِن سَارِيةَ (بِطَبرستَانَ) فَانحَازَ فَرِيقٌ مِـمَّنْ كَانَ مَعَهُ مِنَ الدَّيلَم، إِلَى أَسفَارَ، وَضَعفَ أَمرُ الدَّاعِي فَقُتِلَ سَنةَ (٣١٦ هـ). الأعلام: ٢/ ٢١٠.

(١) مختصر المعاني ٣١٥، والصبح المنبي ٢/ ٢٠، أعيان الشيعة ٥/ ٨٤، ٥٤٢، وبغية الإيضاح ٤/ ٧٠٧، والمنهاج الواضح للبلاغة ١/ ١٧٧.

(٢) يَومُ المَهرجَان: عِيدٌ مِن أَعيَادِ الفُرسِ، وَمَعناهُ: (مَحبَّةُ الرُّوح)، وَكَانَ يُحتَفَلُ بِهِ فِي دَولَةِ بَنِي العَبَّاسِ حتَّى مِن غَيرِ الفُرسِ، وَيُقالُ: هُوَ أَوَّلُ يَومٍ مِن فَصلِ الخَرِيفِ، وَهُوَ عِندَهُم يَومُ فَرَحٍ وَسُرُورٍ. ينظر: البداية والنهاية ١١/ ٥٥، المنهاج الواضح للبلاغة ١/ ١٧٧.

(٣) في (الأصل): (ابن مقاتل) بدلًا من (أَبُو مُقَاتِل).

(٤) البداية والنهاية ١١/ ٥٥.

(٥) ديوان أبي تمَّام ١/ ١٩٨.

- صدر مطلع قصيدة أبي تمَّام، وتمام البيت: (من الطويل)

عَـلَى مِـثْـلِـهَـا مِـنْ أَرْبُـعٍ وَمَـلَاعِـبِ أُذِيـلَـتْ مَصُونَاتُ الـدُّمُـوعِ السَّوَاكِبِ

أَبِي تمَّامٍ حَبْسَةٌ شَدِيدَةٌ فَانْقَطَعَ خَجَلًا.

وَنَقَلَ صَلَاحُ الدِّينِ الصَّفَدِي[1] أَنَّ شَاعِرًا أَنْشَدَ الشَّرِيفَ فَخْرَ الدَّوْلَةِ ابنَ أَبِي الحَسَنِ نَقِيبَ الطَّالِبِيِّينَ[2] قَصِيدَةً يَهُنِّئُهُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، وَكَانَ الشَّرِيفُ يَتَأَذَّى بِالصَّوْمِ لِمَرَضٍ يَجِدُهُ فَكَانَ ابْتِدَاءُ قَصِيدَتِهِ:

أَيَّامُنَا بِكَ كُلُّهَا رَمَضَانُ[3]

فَقَالَ الشَّرِيفُ: طِوالٌ وَاللهِ مَشْؤُومَةٌ لَدَيَّ، مَكْرُوهَةٌ عِنْدِي، مُبَغَّضَةٌ إِلَيَّ، وَحَرَمَهُ وَلَمْ يُعْطِهِ شَيْئًا.

وَدَخَلَ أَبُو إِسْحَاقَ المَوْصِلِيّ[4] عَلَى المُعْتَصِمِ، وَقَدْ فَرَغَ مِنْ بِنَاءِ قَصْرِهِ،

---

(١) صَلَاحُ الدِّينِ الصَّفَدِيُّ: مرَّت ترجمته في ٢٢٦.

(٢) الشَّرِيفُ فَخرُ الدَّولَةِ نَقيبُ الطَّالِبِيِّين أَبو يَعلىَ حَمزَةُ بنُ الحُسَينِ بنِ العَبَّاسِ بنِ الحَسَنِ بنِ الحُسَينِ ابنِ أَبي الجِنِّ بنِ عَلِيِّ بنِ مُحَمَّد بنِ عَلِيِّ بنِ إِسمَاعيلَ بنِ جَعفَرِ الصَّادِقِ عَلَيهِ السَّلامُ، كَانَ مَولِدُهُ فِي المُحَرَّمِ سَنَةَ تِسعٍ وَسِتِّينَ وَثَلاثمئَةٍ، وَكَانَت وَفَاتُهُ فِي شَهرِ رَبيعٍ الأَوَّلِ سَنَةَ أَربَعٍ وَثَلاثِينَ وَأَربعِمِئَةٍ. له ترجمة في: كتاب الولاة ٣٥٩، وتأريخ دمشق لابن القلانسيّ ١٣٤، وتأريخ دمشق لابن عساكر ١٥/ ١٩٨، وفوات الوفيات ٢/ ٢٨٢، والوافي بالوفيات ١٨/ ١٣٠، والبداية والنهاية ١٢/ ٦٠٠، واتعاظ الحنفاء ٢/ ١٥٦.

(٣) رياض السالكين ١٦٦.

(٤) ينظر: الموشح ٣٧٤، والصناعَتَين ٤٣٢، وتأريخ دمشق ٧٣/ ٢٤٤، والبديع في نقد الشعر ٢٨٥، وأخبار الحمقى والمغفلين ٧٠، والمثل السائر ٣/ ١٠٠، وغرر الخصائص ١٤٩، والطراز ٢/ ١٤٦، وفيه: إبراهيم بن إسحق، وثمرات الأوراق ١/ ١٦٧، وخزانة الحمويّ ١/ ٢٢.
- إِسحَاقُ بنُ إِبرَاهِيمَ بنِ مَيمون التَّمِيميُّ المَوْصِلِيُّ، أَبو مُحَمَّد، ابن النَّدِيم المَوْصِلِيّ: مِن أَشهَرِ نُدَمَاءِ مُلُوكِ بَني العَبَّاسِ. تَفَرَّدَ بِصنَاعَةِ الغِنَاءِ، وَكَانَ عَالِمًا بِاللُّغَةِ وَالمُوسِيقَى وَالتَّأريخِ وَعُلومِ الدِّينِ وَعِلمِ الكَلَامِ، رَاوِيًا لِلشِّعرِ حَافِظًا لِلأَخبَارِ، شَاعِرًا، لَهُ تَصانِيفُ، مِن أَفرَادِ الدَّهرِ أَدبًا وَظَرفًا وَعِلمًا. فَارسِيُّ الأَصلِ، مَولِدُهُ وَوَفَاتُهُ فِي بَغدَادَ، وَعَمِيَ قَبلَ مَوتِهِ بِسَنَتَينِ، نَادَمَ الرَّشِيدَ وَالمَأمونَ وَالوَاثِقَ العَبَّاسِيِّينَ. تُوفِّيَ سَنَةَ (٢٣٥هـ/ ٨٥٠م)، من تصانيفه (كتاب أغانيه) التي غنَّى بها، و(أخبار عزة الميلاء)، و(أغاني معبد)، و(أخبار حمَّاد عجرد)، و(أخبار ذي الرُّمة)، وغيرها كثير، ولابن بسَّام الشاعر كتاب (أخبار إسحاق النديم) ومثله للصوليّ. وفي مجلَّة المورد=

فَأَنْشَدَهُ:(١) [من الكامل]

يَـا دَارُ غَـيَّرَكِ الـبِـلَى وَمَحَـاكِ يَـا لَـيْـتَ شِـعْـرِي مَـا الَّـذِي أَبْـلَاكِ

فَتَطَيَّرَ المُعْتَصِمُ مِنْ هَذَا الابْتِدَاءِ، وَأَمَرَ بِهَدْمِ القَصْرِ عَلَى الفَوْرِ.

وَأَبُو نُوَاسٍ لَمَّا مَدَحَ الفَضْلَ بنَ يَحيَى فِي قَوْلِهِ:(٢) [من الطويل]

أَ رَبْـعَ البِلَى! إِنَّ الخُشُـوْعَ لَبَادِي عَـلَـيْـكَ، وَإِنِّي لَمْ أَخُـنْـكَ وِدَادِي

فَتَطَيَّرَ الفَضْلُ مِنْ هَذَا الابْتِدَاءِ، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى قَوْلِهِ فِيهَا: [من الطويل]

سَـلامٌ عَـلَى الـدُّنْـيَـا إِذَا مَـا فُـقِـدْتُـمُ بَـنِـي بَـرْمَـكٍ مِـنْ رَائِـحِـينَ وَغَـادِي

اسْتَحْكَمَ تَطَيُّرُهُ، وَلَمْ يَمْضِ أُسْبُوعٌ إِلَّا وَنَزَلَتْ بِهِمْ النَّازِلَةُ(٣).

وَجَمِيلٌ(٤) فِي قَولِهِ:(٥) [من الطويل]

=(٣/ ٢ ص٢٢٦) أنَّ ماجد بن أحمد السامرَّائيّ البغداديّ، صنَّف (إسحاق الموصلِّيّ، ديوان ودراسة وتحقيق). له ترجمة في: طبقات الشعراء ٣٥٩، وتأريخ دمشق ٨/ ١٤٥، ومعجم الأدباء ٢/ ٥٩٤، وبغية الطلب ٣/ ١٤١٢، ووفيات الأعيان ١/ ٢٠٢، وسير أعلام النُّبلاء ١١/ ١١٨، والوافي بالوفيات ٨/ ٢٥٣، والأعلام ١/ ٢٩٢، ومعجم المؤلِّفين ٢/ ٣٢٧.

(١) ينظر: الموشح ١/ ٣٧٤، وكتاب الصناعَتَين ١/ ٤٣٢، وتأريخ دمشق ٧٣/ ٢٤٤، وتأريخ الخلفاء ١/ ٢٤٦، والأنباء في تأريخ الخلفاء ١/ ١٠٤، والبديع في نقد الشعر ١/ ٢٨٥، وأخبار الحمقى ١/ ٧٠، والمثل السائر ٢/ ٢٢٦، ٣/ ١٠٠، وغرر الخصائص ١/ ١٤٩، والطراز ٢/ ١٤٦ وثمرات الأوراق ١/ ١٦٨، وخزانة الحمويّ ١/ ٢٢، وروض الأخيار ١/ ٤٢١، وعلوم البلاغة ١/ ٣٧٩، وبغية الإيضاح ٤/ ٧٠٧، والبلاغة العربيَّة ٢/ ٥٦٠.

(٢) ديوان أبي نواس ١/ ١٦٣.

(٣) عيار الشعر ٢٠٥، والعمدة في محاسن الشعر ١/ ٢٢٤، والجامع الكبير ١٨٨.

(٤) جَمِيلُ بُثَينَةَ: أَبو عُمرَ، جَمِيلُ بنُ عَبدِ الله بنِ مَعمَرٍ الشَّاعِرُ المَشهُورُ، صَاحِبُ بُثَينَةَ، أَحدُ عُشَّاقِ العَربِ، عَشِقَهَا وَهوَ غُلَامٌ، وَلَمَّا كَبُرَ خَطَبَهَا فَرُدَّ عَنهَا؛ فَقَالَ الشِّعرَ فِيهَا، وَكَانَ يَأتِيهَا سِرًّا، وَمَنزِلُهُمَا وَادِي القُرَى، وَدِيوَانُ شِعرِهِ مَشهورٌ. له ترجمة في: مصارع العشاق ١/ ٣١١، ووفيات الأعيان ١/ ٣٦٦، والأعلام ٢/ ١٣٨.

(٥) ديوان جميل بثينة ٦٢.

أَلَا أَيُّهَا النُّوَّامُ، وَيْحَكُمُ هُبُّوا أُنَاشِدُكُمْ: هَلْ يَقْتُلُ الرَّجُلَ الحُبُّ؟!

قَالَ صَاحِبُ (المَعَاهِدِ)[1] مَا سُمِعَ أَشَدُّ مُبَايَنَةً مِن بَيتِ جَمِيلٍ هَذَا[2]؛ وَلَقَد قَالَ فِيهِ الرَّشِيدُ يَومًا لِلمُفَضَّلِ الضَّبِّيِّ: هَل تَعرِفُ بَيْتًا نِصفُهُ بَدَوِيٌّ فِي شَمْلَةٍ وَبَاقِيهِ مُخَنَّثٌ بِذُلِّهِ فَأَنْشَدَهُ إِيَّاهُ فَاسْتَحْسَنَ فِكرَهُ[3].

وَأَبو الطَّيِّبِ المُتَنَبِّي، وَقَالَ الثَّعَالِبِي فِي (يَتِيمَتِه)[4]: لَهُ ابْتِدَاءَاتٌ لَيْسَتْ لَعَمْرِي مِنْ أَحْرَارِ الكَلامِ وَغُرَرِهِ، بَلْ هِيَ -كَمَا نَعَاهَا عَلَيْهِ العَائِبُونَ- مُسْتَشْنَعَةٌ لا يَرْفَعُ السَّمْعُ لَهَا حِجَابَهُ، وَلا يَفْتَحُ القَلْبُ لَهَا بَابَهُ[5]، كَقَوْلِهِ فِي اسْتِفْتَاحِ قَصِيدَةٍ فِي مَدْحِ مَلِكٍ يُرِيدُ أَنْ يَلْقَاهُ بِهَا أَوَّلَ لُقْيَةٍ[6]: [من الطويل]

كَفَى بِكَ دَاءً أَنْ تَرَى المَوْتَ شَافِيًا وَحَسْبُ المَنَايَا أَنْ يَكُنَّ أَمَانِيَا

وَفِي الابْتِدَاءِ، بِذِكْرِ الدَّاءِ وَالمَوْتِ وَالمَنَايَا، مَا فِيهِ مِنَ الطِّيَرَةِ الَّتِي تَنْفُرُ مِنْهَا السَّوَقَةُ فَضْلًا عَنْ المُلُوكِ[7].

وَقَوْلِهِ أَيْضًا:

---

(١) معاهد التنصيص على شواهد التلخيص: لعبد الرحيم بن عبد الرحمن بن أحمد، أبو الفتح العبَّاسيّ (المتوفَّى ٩٦٣هـ).
- الخبر والشعر موجود في: العقد الفريد ٦/ ٢٢٧، الشعر والشعراء ١/ ٧٤-٧٥، والموشح ٢٥٥، وأمالي القالي ٢/ ٢٩٨، وتحرير التحبير ١٧٠-١٧١، ولم أجده في معاهد التنصيص.

(٢) تحرير التحبير ١٧١.

(٣) المصدر نفسه ١٧١-١٧٢.

(٤) يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر: عبد الملك بن محمَّد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبيّ (المتوفَّى ٤٢٩هـ)

(٥) يتيمة الدهر ١/ ١٨١.

(٦) ديوان المتنبِّي ٤٣٩.

(٧) أبو الطيِّب المتنبِّي وما له وما عليه ٦٦، والصبح المنبي ٢/ ١٧-١٨.

أُوهِ بَـدِيـلٌ مِـنْ قَـوْلَـتِـي آهَـا[1]

وَهُوَ بِحُمَّةِ [2] العَقْرَبِ أَشْبَهُ، فِي افْتِتَاحِ الكَلامِ، فِي مُخَاطَبَتِهِ مَلِكًا[3].

وَقَوْلِهِ أَيْضًا:[4] [من الوافر]

أُحَـادٌ أَمْ سُـدَاسٌ فِي أُحَـادِ؟ لُـيَـيْـلَـتُـنَـا المَـنُـوطَـةُ بِـالـتَّـنَـادِ[5]

وَهَذَا كَلامُ الخَطِلِ، وَرَطَانَةُ الرَّطِنِ، وَمَا ظَنُّكَ بِمَمْدُوحٍ شَمَّرَ لِلسَّمَاعِ مِنْ مَادِحِهِ فَسَكَّ سَمْعَهُ بِهذِهِ الأَلْفَاظِ المَلْفُوظَةِ؟! وَالمعَانِي المَنْبُوذَةِ؟! وَأَيُّ هِزَّةٍ تَبْقَى لِذَاكَ، وَأَيُّ أَرْيَحِيَّةٍ تَبْقَى لِهَذَا؟![6].

وَمِن ابْتِدَاءَاتِهِ المُسْتَبْشَعَةِ الَّتِي تُنْكِرُهَا بَدِيهَةُ السَّمَاعِ قَوْلُهُ:[7] [من الوافر]

مُـلِـثَّ الـقَـطْـرِ أَعْـطِـشْـهَـا رُبُـوعـا وَإِلَّا فَـاسْـقِـهَـا الـسُّـمَّ الـنَّـقِـيـعَـا

وَقَوْلُهُ أَيْضًا:[8] [من الكامل]

هَـذِي بَـرَزْتِ لَـنَـا فَـهِـجْـتِ رَسِيسَا ثُـمَّ انْثَنَيْتِ وَمَـا شَفَيْتِ نَسِيسَا![9]

---

(١) أبو الطيِّب المتنبِّي وما له وما عليه ٥٥٢.

- صدر مطلع قصيدة للمتنبِّي، وتمام البيت:

أُوْهِ بَـدِيـلٌ مِـنْ قَـوْلَـتِـي وَاهَـا لِـمَـنْ نَـأَتْ وَالـبَـدِيْـلُ ذِكْـرَاهَـا

(٢) حُـمَّـةُ العَقْرب: (لُغَة فِي الـحُمة الـمُخَفَّفَة)، أَصله الـحُمْوَة، وَهِيَ سَمُّها. (التاج٣٢/ ١٧).

(٣) أبو الطيِّب المتنبِّي وما له وما عليه ٦٦، والصبح المنبي ٢/ ١٦.

(٤) ديوان المتنبِّي ٧٦.

(٥) في (الأصل): (في سداس) في موضع (أم سداس).

- (لُيَيْلَتُنَا): تصغير لَيْلَتِنَا.

(٦) أبو الطيِّب المتنبِّي وما له وما عليه ٦٧، والصبح المنبي ٢/ ٣٤-٣٥.

(٧) ديوان المتنبِّي ٨١.

(٨) المصدر نفسه ٥٢.

(٩) الديوان: (انصرفت) بدلًا من (انثنيت).=

فَإِنَّهُ لَمْ يَرْضَ بِحَذْفِ النِّدَاءِ مِنْ (هَذِي)وَهُوَ غَيْرُ جَائِزٍ عِنْدَ النَّحْوِيِّينَ حَتَّى ذَكَرَ الرَّسِيسَ وَالنَّسِيسَ فَأَخَذَ بِطَرَفَيْ الثِّقْلِ وَالبُرُودَةِ(١).

قَالَ الصَّاحِبُ بنُ عَبَّادٍ:(٢) ذَكَرَ الأُسْتَاذُ الرَّئِيسُ(٣) يَوْمًا الشِّعْرَ؛ فَقَالَ: أَوَّلُ مَا يَحْتَاجُ فِيهِ حُسْنَ المَطْلَعِ، فَإِنَّ ابنَ أَبِي الثِّيَابِ(٤) أَنْشَدَنِي يَوْمَ نَوْرُوزَ قَصِيدَةً ابْتِدَاؤُهَا:

أَقَبْرُ وَمَا طَلَّتْ ثَرَاكَ يَدُ الطَّلِّ(٥)

فَتَطَيَّرْتُ مِنْ افْتِتَاحِهِ بِالقَبْرِ، وَتَنَغَّصْتُ بِاليَوْمِ وَالشِّعْرِ(٦).

قُلْتُ: كَذَا كَانَتْ حَالُ أَبِي مُقَاتِلٍ(٧) لَمَّا مَدَحَ الدَّاعِي العَلَوِيّ بِقَوْلِهِ:(٨)

= - الرَّسِيسُ: ابْتِداءُ الحُبِّ، وَقيل: بَقِيَّتُه وآخِره. (التاج ١٦/ ١٢٣)، وَالنَّسِيسُ والنَّسِيسَةُ: بَقِيَّةُ النَّفْسِ. (التاج ١٦/ ٥٥٠).

(١) أبو الطيِّب المتنبِّي وما له وما عليه ٦٥-٦٦، والصبح المنبي ٢/ ١٥-١٦.

(٢) الخبر والشعر في: الصبح المنبي ٢/ ١٨-١٩.

(٣) هو أبو الفضل ابن العميد.

(٤) ابنُ أَبِي الثِّيابِ: عَبدُ الرَّزَّاقِ بنُ الحَسَنِ بنِ أَبِي الثِّيابِ أَبُو مُحمَّد الشَّاعِرُ، سَافَرَ إِلَى العِرَاقِ، وَمَدحَ المُلوكَ وَالوُزراءَ وَالأكَابِرَ، وَاتَّصَلَ بِالوزيرِ أَبِي الفَتحِ بنِ العَمِيدِ، وَسَافَر بَعدَ مَوتِهِ إِلَى خُرَاسَانَ، وَدَخَلَ مَا وَرَاءَ النَّهرِ، وَصَادَفَ قَبولًا مِن فُضَلَائِهَا، وَكَانَ لَهُ يَدٌ فِي المَنطِقِ وَالهَندَسَةِ، وَعِندَهُ فَلسَفَةٌ، وَفَضلُهُ مَشهُورٌ. له ترجمة في: يتيمة الدهر ٤/ ١٤٤، وفيات الأعيان ٥/ ١٠٨، والوافي ١٨/ ٢٤٩.

(٥) في (الأصل): (أَقْبرُ فَمَا طَلَبُ النَّوَالِ بِطَائِلِ).

- صدر مطلع قصيدة ابن أبي الثياب، وتمام البيت: (من الطويل)

أَقَبْرٌ وَمَا طَلَّتْ ثَرَاكَ يَدُ الطَّلِّ وَحَيَّا الحَيَا المَسْكُوبُ ذَلِكَ مِنْ ثَلِّ

يتيمة الدهر ١/ ١٨٢، ٣/ ١٨٩، والصبح المنبي ٢/ ١٨.

(٦) أبو الطيِّب المتنبِّي وما له وما عليه ٦٦، والصبح المنبي ٢/ ١٨-١٩.

(٧) في (الأصل): (ابنِ مُقَاتِلٍ).

(٨) صدر مطلع قصيدة أبي مقاتل الضرير وتمامه: (من الرمل)

لَا تَقُلْ بُشْرَى وَلَكِنْ بُشْرَيَانِ غُرَّةُ الدَّاعِي وَيَوْمُ المِهْرَجَانِ

- لأبي مقاتل الضرير في: يتيمة الدهر١/ ١٨٣، وكتاب الصناعَتَين ١/ ٤٣٢، والبصائر=

لا تَـقُـلْ بُـشْـــرَى وَلَـكِـنْ بُـشْـــرَيَـانِ

فَإِنَّهُ نَفَرَ مِنْ قَوْلِهِ: (لَا تَقُلْ بُشْرَى)؛ وَقَـالَ: أَعْمَى وَتَبْتَدِئ[1] بِهَـذَا فِي يَوْمِ المَهْرَجَانِ؟![2].

قَالَ الصَّاحِبُ: وَهِيَ مِنْ عُيُونِ قَصَائِدِهِ الَّتِي تُـحَيِّرُ الأَفْهَامَ.

وَقَالَ ابنُ ظَافِرٍ[3]: صَنَعْتُ قَصِيدَةً فِي الشَّامِ سَنَةَ تِسْعٍ وَثَمَانِينَ وَخمسمائَةٍ[4] فِي المَلِكِ الأَفْضَلِ[5] أَبِي الحَسَنِ عَلِيّ بنِ المَلِكِ النَّاصِرِ نُورِ الدِّينِ، أَوَّلُـهَا: [من الرجز]

دَعْـهَـا وَلا تَـحْبِسْ زِمَـامَ المِـقْـوَدِ تَـطْـوِي بِـأَيْـدِيـهَـا بِـسَـاطَ الـفَـدْفَـدِ

=والذخائر ٣/ ٩٢، وسرُّ الفصاحة ١٨٣، ومحاضرات الأدباء ١/ ٤٨٩، وربيع الأبرار ٢/ ٥٥، والبديع في نقد الشعر ٢٨٦، ونهاية الأرب ٢٥/ ٨٧، وروض الأخيار ١٩٥، والصبح المنبي ٢/ ٢١، بغية الإيضاح ٤/ ٧٠٧، والمنهاج الواضح للبلاغة ١/ ١٧٧.

(١) في (الأصل): (وابتدأ) بدلًا من (وتبتدئ).

(٢) الصناعَتَين ٤٣٢، وسرُّ الفصاحة ١٨٣، ومحاضرات الأدباء ١/ ٤٨٩، وربيع الأبرار ٢/ ٥٤-٥٥، والبديع في نقد الشعر ٢٨٦، ونهاية الأرب ٢٥/ ٨٧، والصبح المنبي ٢/ ٢٠-٢١.

(٣) ابنُ ظَافِر: أَبُو الحَسَنِ عَلِيُّ بنُ العَلَّامَةِ أَبِي المَنصورِ ظَافِرِ بنِ الحُسَينِ الأزديُّ، المِصريُّ، المَالِكيُّ، الأُصوليُّ، المُتَكَلِّمُ، الأَخبَاريُّ، أَخذَ الفِقهَ وَالكَلَامَ عَن أَبيهِ، وَجَوَّدَ العَربيةَ، وَشَارَكَ فِي الفَضائِلِ، وَكَانَ فَطِنًا، طَلِقَ العِبَارَةِ، سَيَّالَ الذِّهنِ، دَرَّسَ بِمَدرسَةِ المَالِكيَّةِ بِمِصرَ بعدَ وَالِدِهِ، وَتَرسَّلَ إِلَى الخَليفَةِ، وَوَزرَ لِلمَلِكِ الأَشرَفِ مُدَّةً، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى مِصرَ، وَوَلِي وَكَالَةَ السُّلطَانِ، وَمِن مُؤَلَّفَاتِه: (الدُّول المنقطعة)، وكتاب (بدائع البدائه)، وغيرهما، وله نظمٌ حسنٌ، تُوفِّيَ سَنَةَ ثَلَاثَ عَشرةَ وَستِّ مِئَةٍ. له ترجمة في: معجم الأدباء ٤/ ١٧٧٧، وسير أعلام النُّبلاء ٢٢/ ٦٠، وفوات الوفيات ٣/ ٢٦، والوافي بالوفيات ٢١/ ١٠٦، وديوان الإسلام ٣/ ٢٥٧، الأعلام ٤/ ٢٩٦، ومعجم المؤلِّفين ٧/ ١١٣.

(٤) في (الأصل): (سَنَةَ تِسْعٍ وَثَمَانِيْنَ وَمَائَةٍ)، وهو من أخطاء النسخ.

(٥) المَلِكُ الأَفضلُ نُورُ الدِّينِ أَبو الحَسَنِ عَلِيٌّ بنُ صَلَاحِ الدِّينِ: مَولِدُهُ بِمِصرَ عِيدَ الفِطرِ سَنَةَ خَمسٍ وَستِّينَ وَخَمسِ مِئَةٍ، وَتُوفِّيَ فُجأَةً بِقَلْعَةِ سِمِيسَاطَ، وَكَانَ عُمرُهُ نَحوَ سَبعٍ وَخَمسِينَ سَنةً.

ينظر: وفيات الأعيان ٣/ ٤١٩، والوافي بالوفيات ٢٢/ ٢١٣، الأعلام ٥/ ٣٣.

وَأَنْشَدْتُهَا لِـمَن كَانَ بِالعَسْكَرِ مِن أَصْحَابِنَا المنْتَسِبِينَ إِلَى الأَدَبِ، فَمَا مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ بَذَلَ جَهْدَهُ فِي نَقْدِهَا، وَرَمَى بِأَفْلاذِ كَبِدِهِ فِيهَا فِكْرُهُ، ثُمَّ حَمَلْتُهَا إِلَى حَضْرَتِهِ فَصَادَفَتْ قَبُوْلًا، وَاتَّفَقَ بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ أَنْشَدْتُهَا لِابنِ الأَجَلِّ التِكْرِيتِيّ، فَلَمَّا أَنْشَدْتُهُ البَيْتَ الأَوَّلَ قَالَ: مَا يُؤْمِنُكَ -إِذَا أَخَذَ مَدْرَجَهَا فِي يَدِهِ وَفَتَحَهُ فَوَجَدَ أَوَّلَ مَا فِيهَا (دَعْهَا)- أَنْ يُلْقِيهَا مِنْ يَدِهِ وَيَقُولُ: قَدْ فَعَلْتُ.

أَلَسْتَ كُنْتَ تُفْتَضَحُ؟!

قُلْتُ: بَلَى وَاللهِ وَلَكِنْ قَدْ وَقَى اللهُ.

قَالَ: وَهَذَا مِنْ غَرِيبِ النَّقْدِ[1].

وَأَمَّا مَا يَنبَغِي المُحَافَظَةُ مِن وُقُوعِهِ فِي أَثْنَاءِ القَصِيدَةِ فَمنهُ:

تَكرِيرُ اللَّفظِ الوَاحِدِ فِي البَيتِ لِغَيرِ تَجنِيسٍ، بِحيثُ يَصيرُ مُستَقَلًا.

وَذَلِكَ كَقولِ الأَعشَى:[2] [من البسيط]

وَقَد غَدَوتُ عَلَى الحَانُوتِ يَتْبَعُنِي شَاوٍ مُشِلٌّ شَلولٌ شَلْشَلٌ شَوِلُ

وَقَالَ الصَّاحِبُ بنُ عَبَّادٍ: مَا زَالَ النَّاسُ يَسْتَبْشِعُونَ قَوْلَ مُسْلِمِ بنِ الوَلَيدِ:[3] [من الكامل]

سُلَّتْ فَسُلَّتْ ثُمَّ سُلَّ سَلِيلُهَا فَأَتَى سَلِيلُ سَلِيلِهَا مَسْلُولا[4]

حَتَّى جَاءَ هَذَا المُبْدِعُ، يَعْنِي أَبَا الطَّيِّبِ المتَنَبِّي، فَقَالَ:[5] [من الوافر]

(١) أنوار الربيع ١/ ٧٤.

(٢) ديوان الأعشى قصيدة (٦).

(٣) شرح ديوان صريع الغواني ٥٧.

(٤) في (الأصل): (وسُلَّت) بدلًا مِن (فسلَّت).

(٥) ديوان المتنبِّي ٢٥٧.

وَأَفْجَعُ مَنْ فَقَدْنَا مَنْ وَجَدْنَا قُبَيْلَ الفَقْدِ مَفْقُودَ المِثَالِ[1]

قَالَ: وَالمُصِيبةُ فِي الرَّاثِي أَعْظَمُ مِنْهَا فِي المَرْثِي[2].

وَقَوْلُهُ أَيْضًا:[3] [من الطويل]

عَظُمْتَ فَلَمَّا لَمْ تُكَلَّمْ مَهَابَةً تَوَاضَعْتَ فَهُوَ العُظْمُ عُظْمًا عَلَى عُظْمِ

قَالَ صَلاحُ الدِّينِ الصَّفَدِيُّ: لَوْ سُمِّيَ هَذَا البَيْتُ جَبَّانَةً لَكَانَ لائِقًا بِهِ[4].

قَالَ الصَّاحِبُ بنُ عَبَّادٍ: مَا أَحْسَنَ مَا قَالَهُ الأَصْمَعِيُّ لِمَنْ أَنْشَدَهُ:[5] [من الطويل]

فَمَا لِلنَّوَى جَدَّ النَّوَى قُطِعَ النَّوَى كَذَاكَ النَّوَى قَطَّاعَةٌ لِوِصَالِ

سَلَّطَ اللهُ عَلَى هَذَا البَيْتِ شَاةً تَأْكُلُ هَذَا النَّوَى كُلَّهُ[6].

وَقَوْلُ أَبِي الطَّيِّبِ المُتَنَبِّي أَيْضًا: [7] [من الكامل]

أُسْدٌ فَرَائِسُهَا الأُسُودُ يَقُودُهَا أَسَدٌ تَصِيرُ لَهُ الأُسُودُ ثَعَالِبَا[8]

قَالَ ابنُ رَشِيقٍ[9]: لا أَدْرِي مِنْ أَيْنَ تَخَلَّصَ مِنْ هَذِهِ الغَابَةِ المَمْلوءَةِ أُسُودًا؟[10].

---

(١) في (الأصل): (وَأَفْقَدُ) بدلًا مِن (وأفجع).

(٢) الكشف عن مساوئ شعر المتنبِّي ٤٨، وأبو الطيِّب المتنبِّي وما له وما عليه ٨٥، ويتيمة الدهر: ١/ ٢٠٥.

(٣) ديوان المتنبِّي ٧٥.

(٤) البديع في نقد الشعر ١٤٤.

(٥) يتيمة الدهر ١/ ٢٠٦.

(٦) الكشف عن مساوئ شعر المتنبِّي ٥٢، وأبو الطيِّب المتنبِّي وما له وما عليه ٨٥، ويتيمة الدهر ١/ ٢٠٦.

(٧) ديوان المتنبِّي ١٠١.

(٨) الديوان: (يصير) بدلًا من (تَصِيرُ).

(٩) الحَسَنُ بنُ رَشيقٍ القَيَروانِيُّ: مرَّت ترجمته.

(١٠) العمدة ١/ ٣٣٥.

وَقَوْلُهُ أَيْضًا:(١) [من البسيط]

العَارِضُ الـهَتِنُ ابنُ العَارِضِ الـهَتِنِ ابْـ ـنِ العَارِضِ الـهَتْنِ ابنِ العَارِضِ الـهَتِنِ(٢)

قَالَ ابنُ وَكِيعٍ(٣): لَوْلاَ انْتِهَاءُ القَافِيَةِ لَـمَضَى فِي العَارِضِ الَـهتنِ إِلَى آدَمَ عليه السلام(٤).

وَبِانْتِهَاءِ القَافِيَةِ عَلِمْنَا نِهَايَةَ عَدَدِ آبَائِهِ الْمُسْتَحِقِّيْنَ لِلْمَدْحِ، وَهُمْ(٥) ثَلاثَةٌ وَيَقِفُ هَذَا الأَمْرُ، وَقَوْلُهُ أَيْضًا:(٦) [من الوافر]

جَـــوَابُ مُـسَـائِـلِي: أَلَـــهُ نَـظِـيرٌ؟ وَلَا لَـكَ فِـي سُـؤَالِـكَ لَا، أَلَا، لا

قَالَ الصَّاحِبُ: مَا قَدَّرْتُ أَنَّ مِثْلَ هَذَا البَيْتِ يَلِجُ سَمْعًا، وَقَدْ سَمِعْتُ بِالفَأفَاءِ وَمَا سَـمِعْتُ بِاللأْلَاءِ حَتَّى رَأَيْتُ قَائِلَ هَـذَا البَيْتِ الْمُتَكَلِّفَ الْمُتَعَسِّفَ الضَّعِيْفَ الَّذِي لا يَقِفُ حَيْثُ يَعْرِف(٧).

وَقَوْلَهُ أَيْضًا:(٨) [من الطويل]

وَمِـنْ جَاهِلٍ بِي وَهُـوَ يَـجْهَلُ جَهْلَهُ وَيَجْـهَـلُ عِـلْـمِي أَنَّـــهُ بِيَ جَـاهِـلُ

(١) ديوان المتنبِّي ١٥٥.

(٢) هو سَحَابٌ هَتُون إذا صَبَّ المطر، والجمع هُتُن. (التاج ٣٦/ ٢٧٢).

(٣) ابن وَكِيع التِّنِّيسِيُّ: الحَسَنُ بنُ عَلِيٍّ الضَّبِّيُّ التِّنيسيُّ أَبو مُحمَّدٍ، المَعروفُ بِابنِ وَكيعٍ، شَاعِرٌ مُجِيدٌ، أَصلُهُ مِن بَغدَادَ، وَمَولِدُهُ وَوَفَاتُهُ فِي تَنيسَ (بِمِصرَ)، لَه (ديوان شعر)، وكتاب (المنصف للسارق والمسروق منه)، وَكَانَت فِي لِسَانِهِ عُجْمَةٌ، مَاتَ سَنَةَ (٣٩٣ هـ). له ترجمة: يتيمة الدهر ١/ ٤٣٤، ومعجم الأدباء ٣/ ٩٩٣، وبغية الطلب ٥/ ٢٤٧٥، ووفيات الأعيان ٢/ ١٠٤، وسير أعلام النُّبلاء ١٧/ ٦٤، والوافي بالوفيات ١٢/ ٧١، والأعلام ٢/ ٢٠١.

(٤) المنصف للسارق ٦٩٤.

(٥) في (الأصل): (وهم) محذوفة.

(٦) ديوان المتنبِّي ١٣١.

(٧) الكشف عن مساوئ شعر المتنبِّي ٥٨، وأبو الطيب المتنبِّي وما له وما عليه ٨٧، ويتيمة الدهر ١/ ٢٠٨.

(٨) ديوان المتنبِّي ٢٧.

وَقَوْلَهُ أَيْضًا:[1] [من الطويل]

وَلَا الضِّعْفَ حَتَّى يَتْبَعَ الضِّعْفَ ضِعْفُهُ ... وَلَا ضِعْفَ ضِعْفِ الضِّعْفِ بَلْ مِثْلَهُ أَلْفُ[2]

وَقَوْلَهُ أَيْضًا:[3] [من الوافر]

وَلَمْ أَرَ مِثْلَ جِيرَانِي وَمِثْلِي ... لِمِثْلِي عِنْدَ مِثْلِهِمُ مَقَامُ

وَقَوْلُهُ أَيضًا:[4] [من الطويل]

فَقَلْقَلْتُ بِالْهَمِّ الَّذِي قَلْقَلَ الحَشَا ... قَلَاقِلَ عِيسٍ كُلُّهُنَّ قَلَاقِلُ[5]

وَقَولُ الثَّعَالِبِيِّ:[6] [من الكامل]

وَإِذَا البَلَابِلُ أَفْصَحَتْ بِلُغَاتِهَا ... فَإِنْفِ البَلَابِلَ بِاحْتِسَاءِ بَلَابِلِ

قَالَ الثَّعَالِبِيُّ: قَالَ لِي سَهْلُ بنُ مَرْزُبَانَ[7] يَوْمًا: إِنَّ مِنَ الشُّعَرَاءِ مَنْ شَلْشَلَ، وَمِنْهُمْ مَنْ سَلْسَلَ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَلْقَلَ، وَمِنْهُمْ مَنْ بَلْبَلَ، فَقُلْتُ: أَخَافُ أَنْ أَكُونَ رَابِعَ الشُّعَرَاءِ، وَأَرَدْتُ قَوْلَ الشَّاعِرِ:[8]

١. الشُّعَرَاءُ فَاعْلَمَنَّ أَرْبَعَهْ
٢. فَشَاعِرٌ يَجري وَلَا يُجرَى مَعَهْ

---

(١) ديوان المتنبِّي ٩٩.

(٢) في (الأصل): (ضعف) بدلًا من (الضعف).

(٣) ديوان المتنبِّي ٩٣.

(٤) المصدر نفسه ٢٨.

(٥) في (الأصل): (وقلقلت) في موضع (فقلقلت).

(٦) شرح ديوان المتنبِّي للعكبريّ ٣/ ١٧٦، ونهاية الأرب ٧/ ١١٠، وروض الأخيار ٣١٢، وعلوم البلاغة ٣٥٩، والبلاغة العربيَّة ٢/ ٥١٦، وبلا عزو في: خاص الخاص ١٠٠، وبغية الإيضاح ٤/ ٦٥١.

(٧) سَهلُ بنُ مَرزبَانَ الفَارِسيُّ : لَمْ يَذْكرُوه، رَوَى الصَّدوقُ وَالشَّيخُ بِإسنَادِهِمَا عَنِ البَرقِيِّ، عَنهُ حَديثًا شَريفًا يَدُلُّ عَلَى حُسْنِهِ وَكَمَالِهِ. مستدركات علم رجال الحديث ٤/ ١٨٣.

(٨) شرح ديوان المتنبِّي للعكبريّ ٣/ ١٧٦.

٣.وَشَـاعِـرٌ مِـنْ حَـقِّـهِ أَن تَـرفَـعَـهْ

٤.وَشَـاعِـرٌ مِـنْ حَـقِّـهِ أَنْ تَسمَعَهْ

٥.وَشَـاعِـرٍ مِـنْ حَـقِّـهِ أَنْ تَـصْـفَـعَـهْ

وَمِنهَا وُقُوعُ مَا يُتَطَيَّرُ مِنهُ أَيْضًا، وِإِسَاءَةُ الأَدَبِ فِي مُخَاطَبَةِ المُلُوكِ، وَمَا يَتَضَمَّنُ مَعْنَيَينِ حَسَنًا وَقَبِيحًا.

وَذَكَرَ صَلاحُ الدِّيْنِ الصَّفَدِي: قَالَ: أَنْشَدَ الصَّاحِبُ أَبُو القَاسِمِ بنُ عبَّادٍ عَضُدَ الدَّوْلَةِ قَصِيْدَتَهُ المُلَقَّبَةَ بِالْلاكِنِيَّةِ لِكَثْرَةِ مَا كَرَّرَ فِيْهَا (لَكِنْ) وَأَوَّلُهَا:[1] [من الطويل]

١.أُشَـبِّـبُ لَـكِـنْ بِـالمَـعَـالِي أُشَـبِّـبُ وَأَنْـسِـبُ لَـكِـنْ بِـالمَـفَـاخِـرِ أَنْـسِـبُ

٢.وَبِي صَبْوَةٌ لَكِنْ إِلَى حَضْرَةِ العُلا وَبِي ظَـمَـأٌ لَـكِـنْ مِـنَ الـعِـزِّ أَشْرَبُ

فَلَمَّا بَلَغَ إِلَى قَوْلِهِ فِيهَا:[2]

ضَـمَـمْـتُ عَـلَى أَبْـنَـاءِ تَـغْـلِـبَ تَائَهَا فَـتَـغْـلِـبُ مَـا كَـرَّ الجَـدِيـدَانِ تُـغْـلَـبُ

قَالَ عَضْدُ الدَّوْلَةِ: يَكْفِي الله تَطَيُّرًا مِنْ قَوْلِهِ (تُغْلَب) [3].

وَرَوَى صَاحِبُ (مَعَاهِدُ التَّنْصِيصِ)[4]؛ قَالَ: حَدَّثَ أَبُو دُعَامَةٍ[5] أَنَّ سَلْمَ الخَاسِرِ[6]

(١) ديوان الصاحب بن عبَّاد ١٩١.

(٢) أخبار الحمقى والمغفَّلين ٧١.

(٣) سرُّ الفصاحة ١٨٢، وأخبار الحمقى والمغفَّلين ٧٠-٧١.

(٤) لم أجدها في معاهد التنصيص.

(٥) عَلِيُّ بنُ بُرَيْدٍ، أَبو دَعَامَةَ القَيسِيُّ، صَاحِبُ أَدَبٍ وَرِوَايَةٍ لِلشِّعْرِ عَنْ أَبِي نُواسٍ، وَأَبِي العَتَاهِيَةِ، وَغَيرِهِمَا، وَهوَ مَعروفٌ، وَالغَالِبُ عَلَيهِ كُنيَتُهُ، وَأَخبَارُهُ كَثِيرةٌ، رَوَى عَنهُ أَحمَدُ بنُ أَبِي طَاهِرٍ، وَيَزِيدُ ابْنُ مُحَمَّدٍ المَهَلَّبِيُّ، وَآخَرُونَ. له ترجمة في: تأريخ بغداد ١١/ ٣٥٣، ومعجم الأدباء ٤/ ١٦٦٦، والوافي بالوفيات ٢٠/ ١٦٢.

(٦) سَلْمُ الخَاسِرُ: هو: سَلْمُ بنُ عمرو بن حمَّاد، من فحولِ الشُّعراء، تلميذ بشَّارِ بن برد، بصريّ قدم بغداد، مدح المهدِيّ، والرَّشِيد، وعكفَ على المخازِي، ثمَّ نسكَ، ثمَّ مرق، وباعَ مُصحفَهُ، واشترى بِثَمنِهِ دِيوانًا، فَلُقِّب: بِالخَاسِرِ، وقيل بل سمِّي سلمًا الخاسر؛ لأنَّه ملك مالًا كثيرًا=

دَخَلَ عَلَى الرَّشِيدِ فَأَنْشَدَهُ قَوْلَهُ:

حَيِّ الأَحِبَّةَ بِالسَّلامِ[1]

فَقَالَ الرَّشِيدُ: حَيَّاهُمُ اللهُ، فَقَالَ:

أَعَلَى وَدَاعٍ أَمْ مَقَامِ؟

فَقَالَ الرَّشِيدُ: حَيَّاهُمُ اللهُ عَلَى أَيِّ ذَلِكَ كَانَ، فَأَنْشَدَهُ:[2] [مجزوء الكامل المرفَّل]

لَمْ يَبْقَ مِنْكَ وَمِنْهُمُ إِلَّا الجُلُودُ عَلَى العِظَامِ

فَقَالَ الرَّشِيْدُ: بَلْ مِنْكَ وَمِنْ أَحْبَابِكَ، وَأَمَرَ بِإِخْرَاجِهِ وَتَطَيَّرَ مِنْهُ وَمِنْ قَوْلِهِ، فَلَمْ يَسْمَعْ بَاقِي قَصِيدَتِهِ وَلَا أَثَابَهُ بِشَيءٍ.

وَمِثْلُهُ فِي إِسَاءَةِ الأَدَبِ قَوْلُ أَبِي الطَّيِّبِ المتَنَبِّي:[3] [من الكامل]

فَغَدَا أَسِيرًا قَدْ بَلَلْتَ ثِيَابَهُ بِدَمٍ وَبَلَّ بِبَوْلِهِ الأَفْخَاذَا

وَقَوْلُهُ أَيْضًا:[4] [من الطويل]

خَفِ اللهَ وَاسْتُرْ ذَا الجَمَالَ بِبُرْقُعٍ فَإِنْ لُحْتَ حَاضَتْ فِي الخُدُورِ العَوَاتِقُ[5]

=فأَتلفه في معاشرة الأدباء والفتيان، وكان من الشعراء المطبوعين المحبَّبين. له ترجمة في: الحيوان ٧/ ٤٥٩، وطبقات الشعراء ٩٩، وتأريخ بغداد ٩/ ١٣٨، والتذكرة الحمدونيَّة ٨/ ٢٩٩، وربيع الأبرار ٢/ ٤٧٤، وسير أعلام النُّبلاء ٨/ ١٩٣، الأعلام ٣/ ١١٠.

(١) صدر مطلع قصيدة سلم الخاسر، وتمام البيت:

حَيِّ المَنَابِرَ بِالسَّلامِ عَلَى وَدَاعٍ أَوْ لَمَامِ

ديوان سلم الخاسر ٨٦.

(٢) طبقات الشعراء ١/ ١٠٢.

(٣) ديوان المتنبِّي ٦٣. ويلاحظ: أبو الطيب المتنبِّي ما له وما عليه ٨٧، ويتيمة الدهر ١/ ٢٠٨، والوساطة ٩٢، والمنصف للسارق ٧٥٧.

(٤) ديوان المتنبِّي ٧٠.

(٥) الديوان: (ذابت) في موضع (حاضت).=

قَالَ الثَّعَالِبِيّ: وَذِكْرُ البَوْلِ وَالحَيْضِ مِمَّا لا يَحْسُنُ ذِكْرُهُ فِي مُخَاطَبَةِ المُلُوكِ[1].

وَقَوْلُ أَبِي عَامِرِ بنِ شُهَيْدٍ:[2] [من مجزوء الكامل]

ذَكَـــرٌ عَـــلَى ذَكَـــرٍ يَـصُـــوْ لُ وَصَـــارِمٌ يَـسْـطُـوْ بِـصَـارِمْ

قَالَ ابنُ ظَافِرٍ: قَدْ غَفَلَ عَنْ نَفْسِهِ غَفْلَةً شَدِيدَةً وَأَسَاء مِنْ حَيْثُ ظَنَّ أَنَّهُ أَحْسَنَ فِي قَوْلِهِ لِـمَمْدُوحِهِ: (ذَكَرٌ عَلَى ذَكَرٍ).

وَقَوْلُ أَبِي الفُتُوحِ بنِ قَلاقِسٍ[3] عَلَى أَنَّهُ شَمْسُ عَلاءٍ وَعُطَارِدُ ذَكَاءٍ:[4] [من الكامل]

= - الوساطة ٩٠، وأبو الطيب المتنبِّي وما له وما عليه ٨٧، و يتيمة الدهر ١/ ٢٠٨، وَيُقَال لما أُنْكرت عَلَيْهِ حَاضَت غَيره فَجعله ذَابَتْ. والعواتق: جمع العتيقة، امْرَأَة عَتِيقَةٌ: جميلَةٌ كَرِيمَةٌ. (التاج ٢٦/ ١٢٥).

(١) يتيمة الدهر ١/ ٢٠٨.

(٢) الذخيرة ١/ ٢٠٣

- في (الأصل): (عامر بن شهيد).

- ابنُ شُهَيد: أَبو عَامِرٍ أَحمدُ بنُ أَبي مَروَان عَبدِ المَلِكِ بنِ مَروانَ بنِ شُهَيدٍ الأَشجَعيُّ، القُرطُبِيُّ، الشَّاعِر، كَانَ حَامِلَ لِواءِ النَّظْمِ وَالنَّثْرِ بِالأَندُلُسِ، ولهُ تَرسلٌ فَائِق، ولهُ تواليفُ أَنيقةُ الجِدِّ، مَطبوعَةُ الهزَلِ، مِنهَا: كِتاب (جُوْنَة عطَّار)، مَاتَ سَنةَ سِتٍّ وَعِشرينَ وَأَربعمِئَةٍ. له ترجمة في: يتيمة الدهر ٢/ ٤١-٥٨، والإكمال ١/ ٣٤٢، وجذوة المقتبس ١٣٣، الذخيرة ١/ ١٩١-٢٠٣، وسير أعلام النُّبلاء ١٧/ ٥٠١، والوافي بالوفيات ١٦/ ١١٦.

(٣) ابنُ قَلَاقِسٍ: نَصرُ الله بنُ عَبدِ الله بنِ مخلُوفِ بنِ قَلَاقِسٍ الإسْكَندَريُّ: كَانَ أَدِيبًا فَاضِلًا وَشَاعِرًا مُجِيدًا، وُلِدَ فِي الإسْكَندَريَّةِ وَنَشَأَ فيهَا، وَرَحَلَ إِلَى اليَمَنِ وَامْتَدحَ فيهَا الوَزيرَ أَبَا الفَرجِ يَاسرَ بنَ بِلالٍ، وَسَافَرَ إِلَى صَقليةٍ وَامتَدَحَ بِهَا القَائِدَ أَبَا القَاسِمِ ابنَ الحَجَرِ، فَأكرَمَ نُزلَهُ وَأَحسَنَ إِلَيهِ، فَصنَّفَ بِاسمِهِ كِتَابًا سَمَّاهُ (الزهر الباسم في أوصاف أبي القاسم)، ثُمَّ فَارَقَ صِقليةَ رَاجِعًا إِلَى مِصرَ فَتُوفِّيَ فِي عَيذابَ سَنةَ سَبعٍ وَسِتينَ وَخمسمِئَةٍ. ترجمته في: معجم الأدباء ٦/ ٢٧٥١، ووفيات الأعيان ٥/ ٣٨٥، وتأريخ الإسلام ٣٩/ ٣٠٠، والوافي بالوفيات ٢٧/ ٧، وشذرات الذهب ٦/ ٢٧٥١، ومعجم المؤلِّفين ١٣/ ٩٧.

(٤) ديوان ابن قلاقس ٥٥٩.

بِـطَـلاقَـةٍ أَبْـــدَتْ بِـصَـفْـحَـةِ وَجْـهِـهِ وَضَـــحَ الـصَّـبَـاحِ لِـــمَـنْ لَـهُ عَـيْـنَـانِ

قَالُوا: مَا عَلِمْنَا أَنَّهُ يَـجْعَلُ فِي وَجْهِهِ وَضَحًا حَتَّى جَاءَ هَذَا الفَاضِحُ ابنُ شُهَيْدٍ فَجَعَلَهُ عَلَى ذَكْر.

وَقَوْلُ الصَّاحِبِ بنِ عَبَّادٍ حِيْنَ أَنْشَدَ عَضْدَ الدَّوْلَةِ ابنَ بُوَيْهِ الدَّيْلَمِيَّ:[1] [من المتقارب]

١. وَلَـوْ كُـنْـتَ تَـــأْذَنُ لِـــي بِـالمَسِـيْرِ إِذَا سِرْتُ فِي جُـــمْـلَـةِ الحَـاشِـيَـهْ

٢. سَـبَـقْـتُ جَـــوَادَكَ مَـدَّ الـطَّـرِيـقِ وَسُـــــرْتُ وَفِي يَـــدِيَ الـغَـاشِـيَـهْ

فَعَتَبَ عَلَيْهِ فِي قَوْلِهِ: (فِي يَدِيَ الغَاشِيَة).

وَقَوْلُ مِهْيَارَ الدَّيْلَمِيِّ:[2] [من الطويل]

وَأَنَّـــكَ مَـذْخُـورٌ لِإِحْـيَـاءِ دَوْلَـــةٍ إِذَا هِـيَ مَـاتَـتْ كَـانَ فِي يَـدِكَ النَّشْرُ

قَالَ صَلاحُ الدِّينِ الصَّفَدِيُّ: إِنِّي لأَعْجَبُ مِنْ مِهْيَارٍ الدَّيْلَمِيِّ عَلَى جَلَالَةِ قَدْرِهِ وَاتِّقَادِ خَاطِرِهِ وَحُسْنِ تَـخَيُّلِهِ كَيْفَ يَقُولُ لِمَمْدُوحِهِ: فِي يَدِكَ النَّشْرُ؟!

وَقَـوْلُ أَبِي بَـكْـرٍ الخَـالِـدِيِّ[3] حِـيْنَ أَنْـشَـدَ سَـيْـفَ الـدَّوْلَـةِ قَـصِـيـدَةً تَـأَنَّـقَ فِيهَا وَأَحْـكَـمَ أَلْـفَـاظَـهَـا بِـقَـوَافِـيـهَـا، وَكَـانَ مُـخَـنَّـثٌ[4] حَـاضِـرًا، فَلَمَّا انْتَهَى

(١) ديوان الصاحب بن عبَّاد ٣٠٣.
- في (الأصل) والمطبوع: (إذَا نهضت) بدلًا من (إذًا سرت في).

(٢) ديوان مهيار الديلميّ ٢/ ١٢٣.

(٣) أَبو بَكرٍ الـخَالِدِيُّ: مُـحمَّدُ بنُ هَاشِمِ بنِ وَعلَةَ، شَاعِرٌ أَديبٌ، مِن أَهلِ البَصرةِ، اشْتَهرَ هُوَ وَأَخوهُ (سَعيد) بِالخَالِدِيَّينِ، وَكَانَا مِن خَواصِّ سَيْفِ الدَّوْلَةِ ابنِ حَمدانَ، وَوَلَّاهُمَا خِزانَةَ كُتُبِهِ. لَـهما تَآليفُ فِي الأَدَبِ، وَكَانَا يَشتَرِكَانِ فِي نَظمِ الأبياتِ أَوِ القَصيدَةِ فَتُنسَبُ إِلَيهِمَا مَعًا، تُوُفِّيَ (نحو ٣٨٠هـ). ينظر: فوات الوفيات ٤/ ٥٢، والوافي بالوفيات ٥/ ١٠٠، والأعلام ٧/ ١٢٩ ومعجم المؤلِّفين ١٢/ ٨٨.

(٤) في(الأصل): (المخنَّث) في موضع (مخنَّث).=

فِيهَا إِلَى قَوْلِهِ:[1] [من البسيط]

وَأَنْكَرَتْ شَيْبَةً فِي الرَّأسِ وَاحِدَةً فَعَادَ يُسْخِطُهَا مَا كَانَ يُرْضِيهَا[2]

فَقَالَ المُخَنَّثُ: أَمَا تَسْتَحِي تُخَاطِبُ الأَمِيرَ بِقَوْلِكَ (وَاحِدَةً)؟!

فَجُنَّ الخَالِدِيُّ تَعَجُّبًا مِنْهُ؛ فَقَالَ لَهُ: مَا أَقُوْلُ؟!

قَالَ: قُلْ: لَائِحَةً أَوْ وَاضِحَةً.

وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ وَأَبُو عُثْمَانٍ الخَالِدِيَّانِ مِنْ خَوَاصِّ سَيْفِ الدَّوْلَةِ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمَا وَصِيفًا وَوَصِيفَةً، وَمَعَ كُلٍّ مِنْهُمَا بَدْرَةٌ وَتَخْتُ ثِيَابٍ مِصْرِيٌّ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا قَصِيدَةً طَوِيلَةً يَشْكُرُهُ عَلَى صَنِيعِهِ فِيهَا:[3] [من الكامل]

١. لَمْ يَغْدُ شُكْرُكَ فِي الخَلائِقِ مُطْلَقًا إِلَّا وَمَالُكَ فِي النَّوَالِ حَبِيسُ

٢. خَوَّلْتَنَا شَمْسًا وَبَدْرًا أَشْرَقَتْ بِهِمَا لَدَيْنَا الظُّلْمَةُ الحِنْدِيسُ

٣. رَشَأٌ أَتَانَا وَهُوَ حُسْنًا (يُوسُفٌ)ﷺ وَغَزَالَةٌ هِيَ بَهْجَةٌ (بِلْقِيسُ)

٤. هَذَا وَلَمْ تَقْنَعْ بِذَاكَ وَهَذِهِ حَتَّى بَعَثْتَ المَالَ وَهُوَ نَفِيسُ

٥. أَتَتِ الوَصِيفَةُ وَهِيَ تَحْمِلُ بَدْرَةً وَأَتَى عَلَى ظَهْرِ الوَصِيفِ الكِيسُ

= - قَالَ أَبو عُثمانَ الخَالِديُّ: عَمِلتُ قَصيدًا أَمدحُ سَيفَ الدَّولَةِ أَبا الحُسَينِ ابنِ حَمدَانَ، وَعَرضتُهَا عَلَى جَماعَةٍ، أَتَعرَّفُ مَا عِندَهُم فِيهَا، فَاتَّفقَ أَنْ حَضرَ مُخَنَّثٌ وَأَنَا أَقرَأهَا، فَلَمَّا انتَهيتُ إِلَى قَولي:

وَأَنكَرَت شَيبةً فِي الرَّأسِ وَاحِدةً فَعادَ يُسخِطُهَا مَا كَانَ يُرضِيهَا

قَالَ: هَذَا غَلطٌ، تَقولُ لِلأَمِيرِ: فِي الرَّأسِ وَاحِدةً، أَلَا قُلتَ: فِي الرَّأسِ طَالِعةً أَو لَائِحَةً؟ فَعَجِبتُ مِن فِطنَتِهِ وَجَودَةِ خَاطِرِهِ وَحُسنِ عَرافَتِهِ. الظرَّاف والمتماجنين: ١/ ١٣٤

- المُخَنَّثُ: هُوَ الَّذِي يُشبِه النِّسَاء فِي أخلاقه، وَكَلَامِهِ، وَحَرَكَاتِهِ، سَوَاء كَانَ طَبعًا، أَو بِتكَلُّفٍ. توضيح المشتبه ٨/ ٧٠.

(١) أخبار الظرَّاف والمتماجنين ١٣٤.

(٢) في (الأصل): (من) بدلًا من (ما).

(٣) يتيمة الدهر ١/ ٤٤-٤٥، ووفيات الأعيان ٣/ ٤٠٥، ومرآة الجنان ٢/ ٢٧٣.

٦. وَحَبَوْتَنَا مِمَّا أَجَادَتْ حَوْكَهُ (مِصْرٌ) وَزَادَتْ حُسْنَهُ (تَنِّيسُ)[١]
٧. فَغَدَا لَنَا مِنْ جُودِكَ المَأْكُولُ وَالْـ ـمَشْرُوبُ وَالمَنْكُوحُ وَالمَلْبُوسُ

فَقَالَ لَهُ سَيْفُ الدَّوْلَةِ: أَحْسَنْتَ إِلَّا فِي لَفْظَةِ (المَنْكُوحِ)، فَلَيْسَ هُوَ مِمَّا يُخَاطَبُ بِهِ المُلُوكُ[٢].

وَ[قَولُ] أَبِي الطَّيِّبِ المُتَنَبِّي:[٣] [من الطويل]

عَلَّ الأَمِيْرَ يَرَى ذُلِّي فَيَشْفَعَ لِي إِلَى الَّتِي تَرَكَتْنِي فِي الهَوَى مَثَلا

عَابُوا عَلَيْهِ ذَلِكَ حَيْثُ جَعَلَ مَمْدُوحَهُ سَاعِيًا بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَحْبُوبَتِهِ فِي الوَصْلِ، وَلا خَفَاءَ فِي دُنُوِّ هَذِهِ الرُّتْبَةِ.

وَقَدْ سَبَقَهُ إِلَى ذَلِكَ أَبُو نُوَاسٍ مَعَ أَنَّهُ أَقَلُّ شَنَاعَةً، وَإِنْ كَانَ الكُلُّ شَنِيْعًا، وَذَلِكَ حَيْثُ يَقُولُ:[٤] [من الطويل]

سَأَشْكُو إِلَى الفَضْلِ بنِ يَحْيَى بنِ خَالِدٍ هَوَاكِ لَعَلَّ الفَضْلَ يَجْمَعُ بَيْنَنَا

وَقَدْ سَبَقَهُمَا إِلَى ذَلِكَ قَيْسُ بنُ ذُرَيْحٍ[٥] حَيْثُ طَلَّقَ زَوْجَتَهُ (لُبْنَى) وَتَزَوَّجَتْ غَيْرَهُ؛ فَنَدِمَ عَلَى ذَلِكَ، وَشَبَّبَ بِهَا فِي كُلِّ مَعْنَى، فَرَحِمَهُ ابنُ أَبِي عَتِيقٍ[٦]،

(١) في (الأصل): (تنبيس) في محل (تنيس)، وهو من أخطاء النسخ.
(٢) ينظر: يتيمة الدهر ١/ ٤٤، ووفيات الأعيان ٣/ ٤٠٥، ومرآة الجنان ٢/ ٢٧٣.
(٣) ديوان المتنبِّي ١٠.
(٤) ديوان أبي نواس ١/ ١٦٩.
(٥) قَيسُ بنُ ذُرَيحِ بنِ سنةَ بنِ حُذَافةَ الكِنانيُّ: شَاعِرٌ، مِنَ العُشَّاقِ المُتَيَّمِينَ. اشْتَهَرَ بِحُبِّ (لُبنَى) بِنتِ الحُبابِ الكَعْبِيَّةِ، وَهوَ مِن شُعراءَ العَصرِ الأَمويِّ، وَمِن سُكَّانِ المَدينَةِ، أَخبَارُهُ مَعَ (لُبنَى) كَثيرةٌ جِدًّا، وَشِعرُهُ عَالِي الطَّبَقَةِ فِي التَّشْبِيبِ وَوَصفِ الشَّوقِ وَالحَنينِ، بَعضُهُ مَجموعٌ فِي (ديوان)، تُوفِّيَ سَنةَ (٦٨هـ). له ترجمة في تأريخ دمشق ١٢/ ١٣، ومختصر تأريخ دمشق ٢١/ ٩٦، وسير أعلام النُّبلاء ٣/ ٥٣٤، وفوات الوفيات ٣/ ٢٠٤، والوافي بالوفيات ٢٤/ ٢٢٠، والأعلام ٥/ ٢٠٥.
(٦) ابنُ أَبِي عَتيقٍ: هُوَ عَبدُ الله بنُ مُحمَّدِ بنِ عَبدِ الرَّحمنِ بنِ أَبِي بَكرٍ، التَّيميُّ القَرشِيُّ المَدَنِيُّ.=

فَسَعَى فِي طَلاقِهَا مِنْ زَوْجِهَا وَأَعَادَهَا إِلَيْهِ، فَقَالَ يَمْدَحُهُ:(١) [من الوافر]

١. جَزَى الرَّحْمَنُ أَفْضَلَ مَا يُجَازِي ... عَلَى الإِحْسَانِ خَيْرًا مِنْ صَدِيقِ
٢. وَقَدْ جَرَّبْتُ إِخْوَانِي جَمِيعًا ... فَمَا أَلْفَيْتُ كَابنِ أَبِي عَتِيقِ
٣. سَعَى فِي جَمْعِ شَمْلِي بَعْدَ صَدْعٍ ... وَرَأْيٍ حِدْتُ فِيهِ عَنْ الطَّرِيقِ
٤. وَأَطْفَأَ لَوْعَةً كَانَتْ بِقَلْبِي ... أَغَصَّتْنِي حَرَارَتُهَا بِرِيقِي

فَلَمَّا سَمِعَهَا ابنُ أَبِي عَتِيقٍ قَالَ لِقَيْسٍ: أَمْسِكْ يَا حَبِيبِي عَنْ هَذَا المَدْحِ فَمَا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إِلَّا وَيَظُنُّنِي قَوَّادًا(٢).

وَقَوْلُ أَبِي الطَّيِّبِ المُتَنَبِّي مِنْ قَصِيدَةٍ يَرْثِي أُخْتَ سَيْفِ الدَّوْلَةِ وَيُعَزِّيهِ عَنْهَا:(٣) [من البسيط]

وَهَلْ سَمِعْتَ سَلامًا لِي أَلَمَّ بِهَا؟ ... فَقَدْ أَطَلْتُ وَمَا سَلَّمْتُ عَنْ كَثَبِ

عَابُوا عَلَيْهِ وَقَالُوا: مَا بَالُهُ يُسَلِّمُ عَلَى حَرَمِ المُلُوكِ وَيَذْكُرُ مِنْهِنَّ مَا يَذْكُرُهُ المتَغَزِّلُ.

وَقَوْلُهُ أَيْضًا مِنْ هَذِهِ القَصِيدَةِ:(٤) [من البسيط]

يَعْلَمْنَ حِيْنَ تُحَيَّا(٥) حُسْنَ مَبْسَمِهَا ... وَلَيْسَ يَعْلَمُ إِلَّا اللهُ بِالشَّنَبِ(٦)

قَالَ أَبُو بَكْرٍ الخَوَارِزْمِيُّ: لَوْ عَزَّانِي إِنْسَانٌ فِي حَرَمٍ لِيَ بِمِثْلِ هَذَا لأَلْحَقْتُهُ بِهَا وَضَرَبْتُ

=ينظر: الطبقات الكبرى ٥/ ١٤٩، والتأريخ الكبير ٥/ ١٨٤، الجرح والتعديل ٥/ ١٥٤، والثِّقات لابن حبَّان ٥/ ٤١، رجال صحيح مسلم ١/ ٣٨٠.

(١) ديوان قيس لبنى ١٠٠.

(٢) المثل السائر ٢/ ٢٥٨-٢٥٩، ٣/ ١٣٨-١٣٩، خزانة الحمويّ ١/ ٣٣١-٣٣٢.

(٣) ديوان المتنبِّي ٤٢٥.

(٤) ديوان المتنبِّي ٤٢٤.

(٥) في (الأصل): (يحيي).

(٦) في (الأصل): (في الشنب).

عُنُقَهُ عَلَى قَبْرِها.

وَقَالَ الصَّاحِبُ بنُ عَبَّادٍ: مَرَرْتُ لأَبِي الطَّيِّبِ عَلَى مَرْثِيَّةٍ فِي أُمِّ سَيْفِ الدَّوْلَةِ، تَدُلُّ عَلَى فَسَادِ الحِسِّ فِي سُوْءِ أَدَبِ النَّفْسِ، وَمَا ظَنُّكَ فِي مَنْ يُخَاطِبُ مَلِكًا فِي أُمِّهِ فَيَقُوْلُ:[1] [من الوافر]

بِعَيْشِكِ هَلْ سَلَوْتِ فَإِنَّ قَلْبِي وَإِنْ جَانَبْتُ أَرْضَكِ غَيْرُ سَالِي

فَيَتَشَوَّقُ إِلَيْهَا وَيُخْطِئ[2] خَطَأً لَمْ يُسْبَقْ إِلَيْهِ، وَإِنَّمَا يَقُولُ هَذَا مَنْ يَرْثِي بَعْضَ أَهْلِهِ، فَأَمَّا اسْتِعْمَالُهُ إِيَّاهُ فِي هَذِهِ المَوَاضِعِ فَدَالٌّ عَلَى ضَعْفِ البَصَرِ بِمَوَاقِعِ الكَلَامِ، وَفِي هَذِهِ القَصِيدَةِ يَقُولُ:[3] [من الوافر]

صَلاةُ اللهِ خَالِقِنَا حُنُوطٌ عَلَى الوَجْهِ المُكَفَّنِ بِالجَمَالِ

قَالَ الصَّاحِبُ: لَا أَدْرِي هَذِهِ الاسْتِعَارَةُ أَحْسَنُ، أَمْ وَجْهُ وَالِدَةِ المَلِكِ يَرْثِيهَا بِالجَمَالِ؟! أَمْ قَوْلُهُ فِي وَصْفِ قَرَابَاتِهَا وَجَوَارِيهَا؟![4] [من الوافر]

أَتَتْهُنَّ المُصِيبَةُ غَافِلَاتٍ فَدَمْعُ الحُزْنِ فِي كُحْلِ الدَّلَالِ[5]

وَفِيمَا يَتَضَمَّنُ مَعْنَيَيْنِ حَسَنًا وَقَبيحًا قَولُ [أبي] عَامِرِ ابنِ شُهَيدٍ:[6] [من مجزوء الكامل المرفل]

١. طَارَدْتُهُنَّ بِفِتْيَةٍ صُبُرٍ عَلَى حَرْبِ المُسَالِمْ

(١) ديوان المتنبِّي ٢٥٦.

- يُحكَى عَن أَبِي الطَّيِّبِ أَنَّهُ أَنكَرَ هَذَا البَيتَ؛ وَقَالَ: زِيدَ فِي القَصِيدَةِ لِيُفسَدَ بِهِ حَالِي عِندَ سَيفِ الدَّولَةِ. يُنظَر تَعليق المَعرِّي عَلَى هَذَا البَيتِ: هَامش الصفحة: ٣/ ٤٧ من الديوان.

(٢) في (الأصل): (ويخطي).

(٣) ديوان المتنبِّي ٢٥٤.

(٤) ديوان المتنبِّي ٢٥٦.

(٥) الديوان: (في دمع) في موضع (في كحل).

(٦) الوافي بالوفيات ٧/ ٩٨.

٢. فَكَأَنَّنِي فِيهِم لَقِيـ ـطٌ قَادَ فِي أَبنَاءِ دَارِمْ

قَالَ عَلِيُّ بنُ ظَافِرٍ: قَد غَفَلَ ابنُ شُهَيدٍ عَنْ نَفسِهِ، إِذْ شَبَّهَهَا بِوَلَدٍ قَوَّادٍ، وَإِنْ كَانَ مُرَادَهُ لَقِيطُ ابنُ زُرَارَةَ، وَقُوَّادَ الفُرسَانِ.

وَقَوْلُ مِهْيَارٍ الدَّيلَمِيِّ:[1] [من الكامل]

فِي صَدْرِهَا حَجَرٌ وَتَحْتَ صِدَارِهَا مَاءٌ يَشِفُّ وَبَانَةٌ تَتَعَطَّفُ

عَابُوا عَلَيهِ وقَالُوا: انْظُرْ إِلَى قَوْلِهِ: فِي صَدْرِهَا حَجَرٌ، مَا أَبْشَعَهُ لِمَا فِيهِ مِنْ إِيهَامِ الدُّعَاء.

وَقَوْلُ الحَاجِرِيِّ:[2] [من الطويل]

وَمَا اخْضَرَّ ذَاكَ الخَدُّ نَبْتًا وَإِنَّمَا لِكَثْرَةِ مَا شُقَّتْ عَلَيْهِ المَرَائِرُ

فَلَمَّا سَمِعَهُ النَّاصِرُ بنُ العَزِيزِ[3] قَالَ: عَسَى أَنْ يَكُونَ الخَدُّ مَسْلَخًا[4].

---

(١) ديوان مهيار الديلمي ٢/ ٢٦٩.

(٢) الحَاجِرِيُّ: عِيسَى بنُ سِنجرَ بنِ بَهرَامَ الحَاجِرِيُّ، حُسَامُ الدِّينِ: شَاعِرٌ، رَقِيقُ الأَلفَاظِ حَسَن المَعَانِي، تُركِيُّ الأَصلِ، مِن أَهلِ إربل، يُنسَبُ إِلَى حَاجِر (مِن بِلَادِ الحِجَازِ) وَلَم يَكنْ مِنهَا، وَإِنَّمَا أَكثَرَ مِن ذِكرِهَا فِي شِعرِهِ؛ فَنُسِبَ إِلَيهَا، لَهُ (ديوان شعر)، قُتِلَ غَدْرًا بِإربل سَنَةَ (٦٣٢هـ). له ترجمة في: وفيات الأعيان ٣/ ٥٠١، وسير أعلام النُّبلاء ٢٢/ ٣٤٣، والأعلام ٥/ ١٠٣، ومعجم المؤلِّفين ٨/ ٢.

(٣) النَّاصِرُ بنُ العَزِيْز: هُوَ سُلطانُ الشَّامِ النَّاصِرُ بنُ العَزِيزِ بنِ الظَّاهِرِ غَازِي بنِ النَّاصِرِ صَاحِب حَلَب، وَقَد مَلَكَ بَعدَهَا دِمشقَ، وَلَمَّا بَلَغَهُ اسْتِيلَاءُ هُلَاكو عَلَى بَغدَادَ؛ بَعثَ إِلَيهِ ابنَهُ بِالهَدَايَا وَالْمُصَانَعَةَ وَالعُذرَ عَنِ الوُصُولِ بِنفسِهِ لِمَكَانِ الإِفرَنجِ مِن سَواحِلِ الشَّامِ، فَقَبِلَ هَديتَهُ وَعُذرَهُ، ثُمَّ سَارَ هُولَاكو إِلَى حَلَبٍ فَحَاصَرَهَا، وَهَربَ النَّاصِرُ إِلَى مِصرَ، تُوُفِّيَ سَنَةَ (٦٥٨هـ).
ينظر: فوات الوفيات ٢/ ٧٧، وتأريخ بن خلدون ٥/ ٦١٣.

(٤) في (الأصل): العبارة (فَلَمَّا سَمِعَهُ النَّاصِرُ بنُ العَزِيزِ قَالَ: عَسَى أَنْ يَكونَ الخَدُّ مُسَلَّخًا) لم تثبت هنا، إِنَّما أثبتها الناسخ بعد عبارة: (مِنْ إِيْهَامِ الدُّعَاءِ).

وَقَوْلُ أبي الطيب المتنبِّي:[1] [من المنسرح]

تَبُلُّ خَدِّيَ كُلَّمَا ابْتَسَمَتْ ... مِنْ مَطَرٍ بَرْقُهُ ثَنَايَاهَا

قَالُوا: هَذِهِ كَانَتْ تَبْصُقُ فِي وَجِهِهِ.

وَقَوْلُهُ أَيْضًا:[2] [من المنسرح]

يُقْبِلُهُمْ وَجْهَ كُلِّ سَابِحَةٍ ... أَرْبَعُهَا قَبْلَ طَرْفِهَا تَصِلُ[3]

قِيْلَ: إنَّ الجَزَّارَ التَّغْلُبِيَّ قَالَ عِنْدَمَا سَمِعَ هَذَا البَيْتَ، قال: هَذِهِ كَانَتْ عَيْنُهَا فِي اسْتِهَا.

وَقَوْلُهُ أَيْضًا:[4] [من البسيط]

كَفَى بِجِسْمِي نُحُولًا أَنَّنِي رَجُلٌ ... لَوْلَا مُخَاطَبَتِي إِيَّاكَ لَمْ تَرَنِي

قَالُوا: فَهُوَ إِذًا ضَرْطَةٌ تُسْمَعُ، وَلا تُرَى[5].

أَقولُ: وَغَالِبُ هَذِهِ المَعَايِبِ الَّتِي ذَكَرتُ لَمْ يَكُنْ فِي الحَقِيقَةِ مَعِيبًا، وَإِنْ عَدَّهُ أَهلُ هَذَا الفَنِّ مِن المَعَايبِ؛ لِأَنَّهُ لَا يَخِلُّ بِالفَصَاحَةِ، وَلَا يَشِينُ محَاسِنَ البَلَاغَةِ، وَإِنَّمَا هُوَ تَفَكُّهٌ فِي الكَلَامِ، وَتَأَنُّقٌ فِي النِّظَامِ، وَاسْتِنكَارُهُم لَهُ مِن حَيثُ إِنَّهُ يُتَطَيَّرُ مِنهُ، أَوْ لا يَلِيقُ أَنْ يُخَاطَبُ بِهِ المُلوكُ، فَلَا وَجهَ لَهُ؛ لِأَنَّهُ لَم يَجلِبْ لَهُم البَلَاءَ بِتَطَيُّرِهِم، إِذ كُلُّ شَيءٍ مِمَّا يَسرُّ الإِنسَانَ أَو يُحزِنُهُ لَا يَكونُ إِلَّا بِقَضَاءٍ وَقَدَرٍ لَا بِمَا يَسترُّ بِهِ الإِنسَانُ أَو يَتَطَيَّرُ، وَهَذَا ظَاهِرٌ لَا يَخفَى عَلَى ذَوي البَصَائِرِ، وَمَعَ أَنَّهُ ظَاهِرٌ تَأَنَّقوا فِي الشِّعرِ وَعَدُّوا هَذَا، وَمَا شَاكَلَه مِمَّا ذَكرنَا سَابِقًا، أَنَّهُ مِنَ المَعَايبِ الَّتِي يَنبَغِي تَجَنُّبهَا، وَلَا يَسوغُ لِلشَّاعِرِ المُفلِقِ أَن

(١) ديوان المتنبِّي ٥٥٣.

(٢) المصدر نفسه ١٢٦.

(٣) في (الأصل): (يُقْلِبُهُمْ).

(٤) ديوان المتنبِّي ٢.

(٥) وهل هذا مناسب أن يطلق على المتنبِّي فضلًا عن غيره.

يَلُمَّ بِهَا؛ فَتَحَامُوهَا كَمَا يَتَحَامُونَ المَعَايبَ الضَّـرُورِيَّةَ كَالإِلحَانَ فِي العَرَبِيَّةِ، وَمَا شَاكَلَ ذَلِكَ.

فَهَكذَا كَانوا يَعيبُ بَعضُهُم عَلَى بَعضٍ فِي مِثلِ هَذَا الَّذِي ذَكرنَاهُ وَنَظَائِرِهِ؛ لِأَنَّ الشَّاعِرَ مِنهُم لَا يَعرفُ قَرَائِنَ اللَّفْظِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى مَا يَقصُدُهُ فِي نَظمِهِ، وَلَا أَدوَاتِ العَربيةِ الظَّاهِرةَ الَّتِي يُعرَفُ بِهَا الفَاعِلُ مِنَ المَفعولِ، وَالمَعرفَةُ مِنَ النَّكِرَةِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِن ضَرُورِيَّاتِ العَربِيَّةِ؛ فَيُفسِدَ شِعرَهُ كَمَا أَفسَدَ السَّيِّدُ -سَلَّمَهُ اللهُ- بَرَاعَةَ مَطلعِ قَصيدَتِهِ مِن عَدَمِ مَعرفَةٍ بِذَلِكَ، فِي تِلكَ المَعَايبِ الشَّنِيعَةِ الَّتِي جَعَلَهَا دَيدَنَهُ فِي شِعرِهِ، وَسَيظَهرُ لَكَ صَريحًا أَنَّهُ صَيَّرَهَا دَيدَنَهُ فِي النَّظمِ مِن كَثرَةِ مَا نُورِدُ لِكَ مِنهَا، عَلَى أَنَّهُ قَد لَـمَحَت لَكَ لَوَامِحُ مِنهَا فِي بَرَاعَةِ مَطلَعِهِ هَذَا؛ لِأَنَّكَ رَأَيتَ كَيفَ تُـحَافِظُ الشُّعَرَاءُ فِي بَرَاعَةِ المَطلَعِ، وَالتَّخَلُّصِ، وَالمَقطَعِ، وَكَيفَ هُوَ قَدْ أَهمَلَ مِن عَدَمِ تَنَبُّهِهِ بَرَاعَةَ مَطلَعِهِ هَذَا الإِهمَالَ الَّذِي مَا وَقَعَ فِيهِ شَاعِرٌ مُفلقٌ مُنذُ كَانَ الشِّعرُ، فَانْظُر بِعَينِ الاسْتِبصَارِ، وَهَب أَنَّهُ غَفَلَ عَن بَرَاعَةِ مَطلَعِهِ هَذَا، وَوَقَعَ فِيمَا وَقَعَ فِيهِ، أَيُمكِنُ أَنْ يَغْفِلَ الشَّاعِرُ المُفلقُ عُقَيبَهُ فِي غَالِبِ قَصِيدَتِهِ، فَإِنْ كَانَ لَا يُمكِنُ، فَقَد قَالَ عُقَيبِهِ بِلَا فَصلٍ: [من الطويل]

وَقَـامَ عَـلَى سَـاقِ الـهَنَا سَـاقِـيًـا طِلَّا قَدِ اتَّقَدَت فِي الكَأْسِ مِنْ خَدِّهِ الوَردِي

أَقُولُ: قَولُهُ: (وَقَامَ عَلَى سَاقِ الهَنَا)، غَلَطٌ مَحْضٌ؛ لِأَنَّ السَّاقَ لَا يُستَعَارُ لِلْهَنَا أَصلًا، وَلَا لِلسُّرورِ، وَلَا لِغَيرِ ذَلِكَ مِن أَنوَاعِ الفَرَحِ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ السَّاقَ فِي الحَقِيقَةِ هُوَ مَا بَينَ الكَعْبِ وَالرُّكبَةِ، وَنُقِلَ مَجَازًا لِلأَمْرِ إِذَا اشْتَدَّ فَقَط، وَذَلِكَ كَقَولِهِم: قَامَتِ الحَربُ عَلَى سَاقٍ، أَي اشْتَدَّ الأَمرُ وَصَعُبَ الخَلَاصُ، كَذَا فِي (المَجْمَعُ)[1]، وَكَقولِهِ تَعَالَى: ﴿**يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ..**﴾[2]، وكقوله تعالى: ﴿**وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ**﴾[3].

(١) مجمع البحرين: الشيخ الطريحيّ (المتوفَّى ١٠٨٥هـ).

(٢) سورة القلم/ ٤٢.

(٣) سورة القيامة/ ٢٩.

قَالَ ابنُ الأَثِيرِ فِي (النِّهَايَة)[1]: السَّاقُ فِي اللُّغَةِ: الأَمرُ الشَّدِيدُ، وَكَشَفَ السَّاقَ[2] مَثَلٌ فِي شِدَّةِ الأَمرِ، كَمَا يُقَالُ لِلأَقْطَعِ الشَّحِيحِ: يَدُهُ مَغلُولَةٌ، وَلَا يَدَ ثَمَّ وَلَا غُلَّ، وإِنَّمَا هُوَ مَثَلٌ فِي شِدَّةِ البُخْلِ، وَكَذَلِكَ هَذَا لَا سَاقَ هُنَاكَ وَلَا كَشفَ، وَأَصلُهُ أَنَّ الإنسَانَ إِذَا وَقَعَ فِي أَمرٍ شَدِيدٍ يُقَالُ شَمَّرَ عَنْ سَاعِدِهِ، وَكَشَفَ عَنْ سَاقِهِ؛ لِلاهْتِمَامِ بِذَلِكَ الأَمرِ العَظِيمِ[3].

وَكَذَلِكَ قَالَ صَاحِبُ (القَامُوس)[4]: يَومَ يُكشَفُ عَن سَاقٍ، أَي عَنْ شِدَّةٍ، وَالتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ: أَي آخِرُ شِدَّةِ الدُّنيَا بِأَوَّلِ شِدَّةِ الآخِرَةِ، ثُمَّ قَالَ: يَذكُرونَ السَّاقَ إِذَا أَرَادُوا شِدَّةَ الأَمرِ، وَالإِخبَارِ عَنْ هَولِهِ[5].

فَإِذَا كَانَ السَّاقُ يُرَادُ بِهِ شِدَّةُ الأَمرِ، فَمَا مَعنَى قَولِ السَّيِّدِ -سَلَّمَهُ اللهُ- وَقَامَ عَلَى سَاقِ الـهَنَا؟! وَلَيسَ فِي الـهَنَا شِدَّةٌ؛ حَتَّى أَنَّهُ يَستَعِيرُ لَهُ سَاقًا؛ لِيُخْبِرَ عَنْ هَولِ شِدَّتِهِ، وَلَا المَقَامُ الَّذِي هُوَ فِيهِ مَقَامُ هَولٍ وَشِدَّةٍ، وَإِنَّمَا هُوَ مَقَامُ سُرورٍ، وَفَرَحٍ مِن تَعَاطِي سَاقِيهِ أَكؤُسَ المُدَامِ.

فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ؛ فَاسْتِعَارَته السَّاقَ لِلهَنَا قَبِيحَةٌ جِدًّا، وَأَقْبَحُ مِنهَا بَعدَ قَولِهِ: وَقَامَ عَلَى سَاقِ الـهَنَا؛ قَولُهُ: قَدِ اتَّقَدَت فِي الكَأسِ مِنْ خَدِّهِ الوَردِي؛ فَقَولُهُ اتَّقَدَت الطِّلا مِن خَدِّهِ الوَردِي، غَلَطٌ صِرفٌ؛ لِأَنَّ المَقَامَ لِنِسبَةِ خَدِّهِ لِلوَردِ يَقتَضِي أَنْ يَقولَ: اكتَسَبَتْ الطِّلا طِيبًا مِنهُ، لَا أَنَّهُ يَقُولُ اتَّقَدَت مِنهُ لِعِلَّةِ انْتِسَابِهِ لِلوَردِ، فَإِنَّ ذَلِكَ سَعةٌ؛ لِأَنَّ الاتِّقَادَ يَكونُ مِنَ النَّارِ لَا مَنَ الوَردِ، وَهَذَا ظَاهِرٌ يَعرِفُهُ حَتَّى الأَطفالُ؛ أَنَّهُ يَكونُ بِهذِهِ الصِّفَةِ إِذا

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، لمجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمَّد بن محمَّد بن محمَّد ابن عبد الكريم الشيبانيّ الجزريّ، ابن الأثير (المتوفَّى ٦٠٦هـ).

(٢) كشف الساق: كناية عن اشتداد الأمر. (التذكرة الحمدونيَّة ٧/ ١١).

(٣) النهاية في غريب الحديث ٢/ ٤٢٢.

(٤) القاموس المحيط: لمجد الدين أبو طاهر محمَّد بن يعقوب الفيروزآباديّ (المتوفَّى ٨١٧هـ).

(٥) القاموس المحيط ٨٩٥.

لَاحَظَ نِسبَةَ خَدِّهِ لِلوَردِ، وَإِذَا لَاحَظَ اتِّقَادَ الطِّلَا فَالْمُنَاسِبُ لَهُ أَنْ يَترُكَ نِسبَةَ خَدِّهِ لِلوَردِ، وَيَستَعِيرَ بَدَلَهَا نَارًا لِلخَدِّ ؛ فَيَقُولُ: قَدِ اتَّقَدَت فِي الكَأسِ مِن نَارِ خَدِّهِ ؛ لِتَحْصَلَ مُنَاسَبَةُ اتِّقَادِ الطِّلَا مِن نَارِهِ، وَأَظُنُّهُ مَا اسْتَعَارَ سَاقًا لِلهَنَا فِي قَولِهِ: وَقَامَ عَلَى سَاقِ الهَنَا سَاقِيًا طِلًا؛ إِلَّا لِأَنَّهُ مُلَاحَظَة لِلجِنَاسِ النَّاقِصِ، وَلَكِنَّهُ لَـمَّا أَتَى بِلَفظَةِ سَاقٍ وَقَابَلَهُ بِقَولِهِ: سَاقِيًا طِلًا، وَحَصَلَ لَهُ فِي هَذِهِ الْمُقَابَلَةِ الجنَاسُ النَّاقِصُ، وَقَعَت الطَّامَّةُ الكُبرَى مِنَ المَعَايِبِ عَلَى مَعنَاهُ مِن حَيثُ لَم يَشعُر، وَلَو شَعَرَ بِهِ لَغَيَّرَهُ لَكِنَّهُ تَخَيَّلَ أَنَّهُ أَتَى بِهِ عَلَى حَسَبِ الْمُرَادِ، وَحَسَّنَ بِهِ نِظَامَ بَيتِهِ؛ لِأَنَّ هَذَا الجِنَاسَ مِن مُحَسَّنَاتِ النَّظمِ، وَهوَ عِندَ البَدِيعِيِّينَ يُسَمَّى: الجِنَاسُ الْمُذَيَّلُ، وَالزَّائِدُ وَالنَّاقِصُ أَيْضًا[1]، وَلَمْ يَتَقَرَّر لَهُ أَحسَنَ مِن تَسمِيَتِهِ بِالْمُذَيَّلِ؛ لِأَنَّ فِيهِ مُطَابَقَةً لِلْمُسَمَّى، وَهوَ مَا زَادَ أَحَدُ رُكنَيهِ عَلَى الآخَرِ أَمَّا حَرفًا وَاحِدًا فِي الآخِرِ، أَو حَرفَينِ؛ فَصَارَا لَهُ كَالذَّيلِ، فَأَمَّا مِثالُ مَا زَادَ عَلَيهِ حَرفًا وَاحِدًا فِي النَّثرِ، فَكَقولِهِم: فُلَانٌ حَامٍ حَامِلٌ لِأَعبَاءِ الأُمُورِ، كَافٍ كَافِلٌ لِـمَصَالِحِ الجمهُورِ، وَمِثالُهُ مِنَ النَّظمِ قَولُ كَعبِ ابنِ زُهَيرٍ:[2] [من الكامل]

وَلَـقَـد عَـلِـمْـتِ وَأَنْـتِ خَـيرُ عَلِيمَةٍ ... أَنْ لَا يُـقَـرِّبَـنِـي الهَـوَى الهَـوَّانُ

وَقَولُ مَن قَالَ:[3] [من الكامل]

١. وَسَـأَلْـتُـهَـا بِـإِشَـارَةٍ عَـنْ حَالِهَا ... وَعَـلَـيَّ فِـيـهَـا لِـلـوُشَـاةِ عُـيـونُ

٢. فَتَنَفَّسَتْ صُعُدًا وَقَالَتْ: مَا الهَوَى ... إِلَّا الـهَـوَانُ وَزَالَ عَـنـهُ الـنُّـونُ

(١) الجناس المذيَّل: هو أن تجيء الكلمَتان متجانسَتَي اللفظ، متَّفقَتَي الحركات والزِّنة، خلا أنَّه وقع بينهما مخالفة، وهي أن تختصَّ إحدى الكلمَتَين بزيادة حرف يخالف الأخرى من عجزها، ومثاله قولهم: فلان سال من أحزانه، سالم من زمانه، حام لعرضه، حامل لغرضه. (الطراز ٢/ ١٨٨). وأمَّا ما زاد أحد ركنَيه على الآخر حرفًا في طرفه الأوَّل؛ فهو الجناس المطرف. (خزانة الحمويّ ١/ ٨٤). وقد يلقَّب ما ذكرناه بالتجنيس الزائد والناقص. (الطراز ٢/ ١٨٨).

(٢) ديوان كعب بن زهير ٩٩.

(٣) من غير عزو في: البديع في نقد الشعر ٣٠، وخزانة الحمويّ ١/ ٧٠، ونشوة السَّكران ٤٩.

وَقَولُ أَبِي تَمَّام:[1] [من الطويل]

يَـمُـدُّونَ مِـن أَيـدٍ عَـوَاصٍ عَـوَاصِـمٍ تَـصُـولُ بِـأَسـيَـافٍ قَـوَاضٍ قَـوَاضِـبِ

وَقَولُ أَبِي عُبَادَةَ البُحتُرِيِّ:[2] [من الطويل]

لَئِنْ صَدَفَتْ عَنَّا فَرُبَّتَ أَنْفُسٍ صَوَادٍ إِلَى تِلكَ النُّفُوسِ الصَّوَادِفِ

وَأَمَّا ما زَادَ عَلَيهِ حَرفَينِ، فَكَقولِ حَسَّانَ بنِ ثَابِتٍ:[3] [من الطويل]

وَكُـنَّـا مَـتَـى يَـغْـزُ الـنَّـبِـيُّ قَـبـيـلَـةً نَـصِـلْ جَـانِـبَـيـهَـا بِـالـقَـنَـا وَالـقَـنَـابِـلِ

وَكَقَولِ النَّابِغَةِ:[4] [من الطويل]

لَـهَـا نَـارُ جِـنٍّ بَـعـدَ إِنْـسٍ تَـحَـوَّلـوا وَزَالَ بِهِـم صَرفُ الـنَّـوَى وَالـنَّـوَائِـبِ

وَكَقَولِ البُحْتُرِيِّ فِي الرِّثَاءِ:[5] [من الطويل]

فَـيَـا لَـكَ مِـنْ حَـزْمٍ وَعَـزمٍ طَـوَاهُمَـا جَدِيدُ الـرَّدَى تَحتَ الصَّفَا والصَّفَائِحُ

وَقَولُ نَاصِرِ الدِّينِ ابنِ النَّقِيبِ:[6] [من الطويل]

١. وَلَـمَّـا تَـرَامَـيـنَـا الـفُـرَاتَ بِخَيلِنَا سَـكَـرنَـاهُ مِـنَّـا بِـالـقُـوَى وَالـقَـوَائِـمِ

٢. فَـأَوقَـفـتِ الـتَّـيَّـارَ عَـنْ جَـرَيَـانِـهِ إِلَى حَـيـثُ عُـدنَـا بِالغِنَى وَالـغَـنَـائِـمِ

وَانْظُرِ الآنَ وَتَعَجَّبْ، فَلَئِنْ كَانَ السَّيِّدُ بِمُحَاوَلَتِهِ هَذَا الجِنَاسَ وَقَعَ فِيهِ مِن تِلكَ المَعَايِبِ الشَّنِيعَةِ، فَلَقَد أَتَى العَامِلِيُّ بِتَشْطِيرِهِ لِبَيتِ السَّيِّدِ بِمَا هُوَ أَفْظَعُ وَأَشنَعُ، وَذَلِكَ حَيثُ قَالَ: [من الطويل]

(١) ديوان أبي تمَّام ١/ ٢٠٦.

(٢) ديوان البحتريّ ٣/ ١٣٩١.

(٣) ديوان حسَّان بن ثابت ١٨٧.

(٤) خلا منه الديوان.

(٥) ديوان البحتريّ ١/ ٤٤٧.

- في الديوان: (الثرى) في موضع (الصفا).

(٦) ديوان ابن النقيب ١٨٠.

وَقَـامَ عَـلَى سَـاقِ الهَـنَـا سَـاقِـيًـا طِـلا يَـمِـيـسُ مِـنَ الحُـسـنِ الإِلَهِـيِّ فِي بُـرْدِ

فَإِنَّ قَولَهُ: (يَمِيسُ مِنَ الحُسنِ الإِلَهِيِّ فِي بُرْدِ).

مَا أَبْشَعَهُ وَأَعظَمَ مَا ارْتَكَبَ فِيهِ؟! لِأَنَّ البُرْدَ هُنَا كِنَايَةٌ عَن حُسْنِ الله أَنَّهُ شَمِلَ جِسمَ مَن تَغَزَّلَ بِهِ كَمَا يَشْمَلُ البُرْدُ جَمِيعَ بَدَنِ الإِنسَانِ، فَيُرِيدُ بِهذِهِ الكِنَايَةِ أَنَّ حُسنَ جِسمِ مَنْ تَغَزَّلَ بِهِ بِحَذَافِيرِهِ مُمَاثِلٌ لِحُسنِ الله، وَلَيسَ بَينَهُمَا فَرقٌ؛ لِأَنَّ مَحَاسِنَ جِسمِهِ لَيْسَتْ بَشَرِيَّةً، وَإِنَّمَا هِيَ بِرُمَّتِهَا إِلَهِيَّةٌ، وَهَذَا مِمَّا قَد تَعَالَى الله عَنهُ عُلوًّا كَبِيرًا، فَلَا يُنْسَبُ إِلَيهِ، وَأَنَّى يُنْسَبُ إِلَيهِ بِهَذِهِ الكَيفِيَّةِ، وَالحُسنُ فِي مُطْلَقِ مَعنَاهُ لَا يَقَعُ إِلَّا صِفةً لِفِعلِهِ وَذَلِكَ كَقَولِكَ: يَا حَسَنَ التَّجَاوزِ، يَا حَسَنَ العَفوِ، وَمَا أَشبَهَ ذَلِكَ، وَالعَامِلِيُّ نَسَبَ غَيرَ مُتَأَثِّمٍ حُسنَ مَن تَغَزَّلَ بِهِ أَنَّهُ مِن حُسنِ الله، وَيُرِيدُ بِذَلِكَ أَنَّهُ مُمَاثِلٌ لَهُ فِي تِلكَ الصِّفَةِ؛ لِكَمَالِهِ فِيهَا، وَهوَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقسَامٍ: مِنهَا مَا نَحنُ بِصَدَدِهِ، وَهوَ أَنْ يَأتِي بِـ(مَنْ) التَّجْرِيدِيَّةِ كَقَولِهِم: لِي مِن فُلَانٍ صَدِيقٌ حَمِيمٌ، أَي بَلَغَ فُلَانٌ مِنَ الصَّدَاقَةِ حَدًّا صَحَّ مَعَهُ -أَي مَعَ ذَلِكَ الحَدِّ- أَن يَستَخْلِصَ مِنهُ -أَي مِن فُلَانٍ- صَدِيقًا آخَرَ مِثلَهُ فِيهَا، أَي الصَّدَاقَةِ.

فَقَولُ العَامِلِيِّ: (يَمِيسُ فِي بُردٍ منَ الحُسنِ الإِلَهِيِّ) أَي إِنَّ مَن تَغَزَّلَ بِهِ يَمِيسُ فِي حُسنٍ مِثلِ حُسنِ الله؛ لِأَنَّ البُردَ الَّذِي يَمِيسُ فِيهِ مُجَرَّدٌ مِن حُسنِ الله، وَهُوَ كِنَايَةٌ عَن حُسنِ مَنْ تَغَزَّلَ فِيهِ، فَمَن تَغَزَّلَ بِهِ يَمِيسُ فِي حُسنٍ مِثلِ حُسنِ الله، وَمَا وَقَعَ بِهذِهِ الوَاقِعَةِ العَظِيمَةِ إِلَّا مِن حَيثُ إِنَّهُ رَأَى الشُّعَرَاءَ تَنْسِبُ حُسنَ مَنْ تَتَغَزَّلَ بِهِ إِلَى يُوسفَ الصِّدِّيقِ؛ لِأَنَّهُ كَانَ فَرِيدًا فِي الحُسْنِ، وَقَدْ أَكثَرَت النَّظمَ فِي ذَلِكَ وَاسْتَظْرَفتَهُ، وَمِنْ جُملَةِ مَن نَظَمَ فِي ذَلِكَ الصَّفِيُّ الحِلِّيُّ، وَذَلِكَ حَيثُ قَالَ:[1] [من الخفيف]

يُـوسُـفِـيُّ الـجَـمَالِ كَـمْ تَـاهَ صَـبٌّ فِي مَـعَـانِي جَـمَالِـهِ الـيُـوسُـفِـيِّ

فَتَرَقَّى عَنْ نِسبَةِ الحُسنِ لِيُوسُفَ، وَنَسَبَهُ لله؛ لِيَفوقَ الشُّعَرَاءَ بِذَلِكَ، وَلَم يَشْعُر بِنَفسِهِ أَنَّهُ فَاهَ بِمَا لَمْ يَفُهْ بِهِ مُوَحِّدٌ، وَخَالَفَ عَادَةَ الشُّعَرَاءِ فِي نِسبَةِ حُسنِ مَن تَتَغَزَّلُ فِيهِ،

(١) ديوان صفيِّ الدين ٧٦٠.

وَمَا اقْتَفَى أَثَرَهُم بِذَلِكَ، وَاستَبَدَّ بِرأيِهِ، وَتَرَكَ طَرِيقَتَهُم، وَتَرَقَّى إِلَى مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنهَا، ظَانًّا أَنَّ آرَاءَهُم لَم تَصِلْ إِلَى مَا وَصَلَ إِلَيهِ، وَلَم يَشعُر بِهِم أَنَّهم إِذَا انْتَهَى الكَلَامُ بِهِم إِلَى وَاجِبِ الوُجُودِ يُحَاذِرونَ أَشَدَّ المُحَاذَرةِ، خَوفًا مِن أَنْ تَزِلَّ بِهِم القَدَمُ، وَإِنْ أَرَادَتْ تَعظِيمَ حُسنَ مَن تَتَغَزَّلُ فِيهِ لَم تَنْسِبهُ مِثلَهُ بِهذِه النِّسبَةِ الَّتِي تَفزَعُ مِنهَا أَفئِدَةُ المُوحِّدِينَ، وَلَكِن تُظْهِرُ العَجَبَ لِخَالِقِهِ فِي إِنْشَاءِ صُورَتِهِ بِهَذَا الجَمَالِ وَتُسَبِّحُهُ، إِذْ بَهَرَ عُقُولَهُم فِي بَدَائِعَ حُسْنِهِ الَّذِي لَمْ يَروا لَهُ فِي صُوَرِ الخَلقِ مِنْ مِثَالٍ، وَقَد جَرَوْا عَلَى هَذِهِ الطَّرِيقَةِ المُستَقِيمَةِ فِي بَدَائِعَ لآلِئِهِم المَنثُورَةِ وَالمَنظُومَةِ.

وَمِن جُملَةِ مَن سَلَكَهَا مِنهُم أَبو الحَسَنِ مُحَمَّد بنُ عَبدِ الله بنِ مُحَمَّدٍ السَّلَامِيُّ[1]، قَالَ ابنُ خِلِّكَانَ: وَهوَ أَوَّلُ شِعرٍ قَالَهُ فِي المَكْتَب:[2] [من المنسرح]

١. بَدَائِعِ الحُسنِ فِيهِ مُفْتَرِقَهْ ... وَأَعْيُنُ النَّاسِ فِيهِ مُتَّفِقَهْ

٢. سِهَامُ أَلحَاظِهِ مُفَوَّقَةٌ ... فَكُلُّمَنْ رَامَ لَحْظَهُ رَشَقَهْ

٣. قَدْ كَتَبَ الحُسنُ فَوقَ جَبْهَتِهِ ... هَذَا مِلحُ سُبْحَانَ مَنْ خَلَقَهْ

وَكَذلِكَ أَبو الحَسَنِ مِهيَارُ الدَّيْلَمِيُّ فِي قَولِهِ:[3] [من الرجز]

مَشَى فَيَا سُبحَانَ مَنْ عَدَّلَهُ ... غُصْنًا وَيَا سُبحَانَ مَن أَمَالَهُ

(١) أَبو الحَسَن مُحَمَّد بنُ عَبدِ الله السَّلَامِي: الشَّاعِرُ المَشهورُ؛ بَلْ هُوَ أَشعَرُ أَهلِ الْعِرَاق في زمانه، كان حسن الشعر جيده، ولد فِي كرخ بَغْدَاد سنة سِتٍّ وَثَلَاثِينَ وثلاثمئة ونسبته فِي بني مَخْزُوم ابن يقظة بن مرَّة بن كَعْب ابْن لؤَي بن غَالب، هُو مِن ولدِ الوَليدِ بنِ الوَليدِ بنِ الْمُغِيرةِ المَخزُومِيِّ، أَخِي خَالِدِ بنِ الوَليدِ، وَأُمُّهُ شَاعِرَة، وَقَالَ الشِّعْر وَهُوَ ابْنُ عَشرِ سِنِين، فَمن أَوَّلِ شِعرٍ قَالَه فِي الْمكتب قَوْلُه مِنَ الْمُنْسَرح: بَدَائِعِ الحُسنِ فِيهِ مُفْتَرِقَهْ... الأبيات.
له ترجمة في: يتيمة الدهر ٢/ ٤٦٦، وتأريخ بغداد ٣/ ١٣٧، ووفيات الأعيان ٤/ ٤٠٣، وسير أعلام النُّبلاء ١٧/ ٧٣.

(٢) يتيمة الدهر ٢/ ٤٦٧، وتأريخ بغداد ٣/ ١٣٧، ووفيات الأعيان ٤/ ٤٠٤، ومصارع العشَّاق ٢/ ٢٤٧، وعلوم البلاغة البيان، والمعاني، البديع ٣٥٢.

(٣) ديوان مهيار الديلميّ ٣/ ٢٢٨.

وَأَبو بَكرٍ يَموتُ بنُ المُزَرَّعِ بنِ يَموتَ فِي قَولِهِ:(١) [من البسيط]

١.جَلَّتْ مَحَاسِنُهُ عَنْ كُلِّ تَشْبِيهِ وَجَلَّ عَنْ وَاصِفٍ فِي النَّاسِ يَحكِيهِ

٢.انْظُرْ إِلَى حُسنِهِ وَاسْتَغْنِ عَنْ صِفَتِي سُبْحَانَ خَالِقِهِ سُبْحَانَ بَارِيهِ

وَإِنْ غَالَتْ بِحُسنِهِ لَمْ تَنْسِبْهُ كَمَا نَسَبَهُ أَنَّهُ إِلَهِيٌّ، وَأَرَادَ أَنَّهُ إِذَا كَانَ حُسنُهُ إِلَهِيًّا تَعكِفُ خَاضِعَةً لَهُ مُحْتَووهُ كَمَا تَخضَعُ الخَلقُ لِخَالِقِهَا، وَلَكِنَّهَا تَجعلُهُ صَنمًا فَتكُونُ عَاكِفَةً عَلَيهِ كَمَا تَعكِفُ المُشرِكونَ عَلَى أَصنَامِهَا، وَعَلَى هَذَا فَتَشْبِيهُهُم لَهُ بِالصَّنَمِ حَسَنٌ جِدًا؛ لِأَنَّ ذَلِكَ يَكونُ اعْتِرَافًا مِنهُم بِأَنَّ العُكُوفَ عَلَيهِ هُوَ مِثْلُ العُكُوفِ عَلَى الأَصنَامِ ضَلَالَةً، فَهيَ بِهَذَا التَّعبِيرِ لَاحَظَت مَا لَاحَظَهُ العَامِلِيُّ مِن تَعظِيمِ حُسنِهِ، وَخَلُصَت مِمَّا وَقَعَ فِيهِ.

وَمِنْ جُملَةِ مَن نَظَمَ فِي ذَلِكَ أَبو عَبدِ الله مُحَمَّدُ البَغدَادِيُّ:(٢) [من المديد]

يَا لَهُ فِي الحُسنِ مِنْ صَنَمٍ كُلُّنَا فِي جَاهِلِيَّتِهِ

وَكَذَلِكَ مِهيَارُ الدَّيلَمِيُّ فِي قَولِهِ:(٣) [من الرجز]

١.كُلُّ فَتَاةٍ لَحْظُهَا عَلَى القَنَاةِ لُهْذَمُ

٢.لَوْ لَمْ تَكُنْ تُدْمَى بِهِ مَا مَازَجَ الدَّمْعَ دَمُ

٣.عَادَتْ بِقَلْبِي مُشْرِكًا وَهْوَ حَنِيفٌ مُسْلِمُ

(١) حياة الحيوان الكبرى ٢/ ٢٨١ نسبها إلى مهلهل بن يموت، وفي زهر الأكم ٢/ ١٩٢ بلا عزو.

(٢) وفيات الأعيان ٤/ ٤٦٣، والمحمدون من الشعراء ١٦٧.

- أَبُو عَبْدِ الله مُحَمَّدُ بنُ بختيَارَ الجَوْهَرِيُّ البغداديّ: عُرِفَ بِالأَبْلَه؛ لِغَفْلَةٍ فِيْه، شَاعِرُ العِرَاقِ، مدح الخُلَفَاء وَالوُزَرَاء.وَكَانَ شَابًّا ظرِيفًا، مُتَهَجِّدًا، رَائِق النَّظم، و(دِيوَانُه) مَشْهُوْر. مَاتَ فِي جُمَادَى الآخِرَةِ، سَنَة تِسْعٍ وَسَبْعِينَ وَخَمْسِ مِئَةٍ، لَمْ يَبلغ السِّتِّيْنَ. له ترجمة في: تأريخ بغداد ١٥/ ١٧، وتأريخ إربل ١/ ١٩٠، ووفيات الأعيان ٤/ ٤٦٣، وتأريخ الإسلام ١٢/ ٦٣١، وسير أعلام النُّبلاء ٢١/ ١٣٢، وديوان الإسلام ١/ ٥٩، والأعلام ٦/ ٥٠، ومعجم المؤلِّفين ٩/ ٨٩، والمحمدون من الشعراء ١٦٦.

(٣) ديوان المهيار ٣/ ٣٢٣.

٤. لِأَنَّـــــــهُ يَـــعْـــبُـــدُهَـــا بِـــالْحُـــبِّ وَهـــــيَ صَـــنَـــمُ

وَأَبو عُبَادَةَ البُحْتُرِيُّ فِي قَولِهِ:[١] [من الكامل]

١. يَـا سَـائِـلِي عَـنْ عَـاشِـقٍ دَنِـفٍ مَـا حَـالُ مَـنْ نُـدمَـانُـهُ الهَـجْـرُ
٢. لِـمَ لَا يَـمُـوتُ فَـتًى يُـعَـذِّبُـهُ صَـنَـمٌ لَـهُ مِـنْ فِـضَّـةٍ نَـحْـرُ

وَأَبو تمَّام فِي قَولِهِ:[٢] [من البسيط]

١. بَيضَاءُ كَـانَ لَـهَا مِـن غَـيْرِنَـا حَـرَمُ فَلَمْ نَكُنْ نَسْتَحِلُّ الصَّيْدَ فِي الحَـرَمِ
٢. كَـانَـتْ لَـنَا صَنَمًا نَحنُوا عَلَيهِ وَلَمْ نَسْجُدْ كَـمَا سَـجَـدَ الأَفْـشِـينُ لِلصَّنَمِ

وَقَولُ مِهيَارَ أَيضًا:[٣] [من المنسرح]

١. يَـا قَلبُ صَـبْرًا عَـسَـاكَ حِـينَ حُرِمْـ ـتَ الـوَصْـلَ تُعطَى مَثُوبَـةَ الصَّابِرْ
٢. وَلَا تُـسَـمِّ الهَـجْـرَ المَـلَالَ وَعِـشْ بِـالـفَـرقِ بَـينَ المَـلـولِ وَالـهَـاجِـرْ
٣. حَـجْـرٌ عَـلَـيكَ الإِطـرابُ بَـعـدَ لَيَا لِيكَ الـلَّـوَاتِي انْـطَـوَتْ عَـلَى (حَاجِر)
٤. ذَلِـكَ عَـهْـدٌ نَـاسِي بَـشَـاشَـتِـهِ أَسْـعَـدُ حَـظًّا بِـهِ مِـنَ الـذَّاكِـرْ
٥. كَـمْ عَـثْـرَةٍ بَـينَ (زَمـزَمَ) لَـكَ و(المـ ـمَـشْـعَـرِ) لَا يَسْتَقِيلُهَا الـعَـاثِـرْ[٤]
٦. أَفْـسَـدْتَ فِيهَا فَرِيضَةَ الحَـجِّ بالذ ذُلِّ لِـغَـيْرِ المُـهَـيْـمِـنِ الـقَـاهِـرْ
٧. قَـلْـبُـكَ فِـيـهَـا عَـلَـى الـتَّـنَـسُّـكِ مَعْـ ـقُـودٌ وَلِـلْـفَـتْـكِ فِـعْـلُـكَ الـظَّـاهِـرْ
٨. فَـأَنْـتَ بَـينَ الإِحْـرَامِ وَالحُـبِّ لِلْـ أَصْـنَـامِ لَا مُـؤْمِـنٌ وَلَا كَـافِـرْ
٩. تَخْـضَـعُ مِـنْـهَـا لِـصُـورَةٍ فُـطِـرَتْ وَيَخْـضَـعُ المُـخْـبِـتُـونَ لِـلْـفَـاطِـرْ

وقوله أيضًا:[٥] [من المنسرح]

(١) ديوان البحتريّ ٢/ ٤٠٤.
(٢) ديوان أبي تمَّام ٣/ ١٨٥.
(٣) ديوان المهيار الديلميّ ٢/ ٩٤-٩٥.
(٤) المَشعَرُ الحَرَام، وَتُسمَّى: جمع، أَو المُزْدَلِفَة.
(٥) ديوان المهيار الديلميّ ٣/ ٢٥٨-٢٥٩.

١. وَطَـارِقٍ زَارَ يَـركَـبُ الشُّقَّةَ الطْـ ـطَوْلَى وَلَـيلِي بِـ(حَاجِرٍ) فَحَمُ[١]
٢. يَسْتَكْتِمُ اللَّيلَ وَجهَهُ، وَسُرَى الـ أَقْـمَارِ مِمَّـا لَا تَـكْـتُـمُ الـظُّـلَـمُ
٣. فَـكَـانَ مِـنِّـي مَـكَـانَ يَـرْتَـقِـبُ الـ ـخَلِيعُ تَحْـتَ الـدُّجَى وَيَحْـتَـشِـمُ[٢]
٤. بِـتْـنَـا وَأَطْـوَاقُـنَـا يَـدٌ وَيَـدٌ وَرُسْـلُ أَشْـوَاقِـنَـا فَـمٌ وَفَـمُ
٥. يَلُفُّنِي الغُصْنُ أَوْ تُضَاجِعُنِي الدْ دُمْـيَـةَ أَجْـنِـي طَـوْرًا وَأَلْـتَـزِمُ
٦. حَتَّى إِذَا الفَجْرُ كَانَ خَيْطَيْنِ أَوْ كَا دَتْ عُـقُـودُ الجَـوزَاءِ تَـنْـفَـصِـمُ
٧. غَـارَتْ عَـلَى أُخْتِهَا الغَـزَالَةُ فَاسـ ـتَـيْـقَـظْـتُ لَا بَـانَـةٌ وَلَا صَـنَـمُ

وَأَمَّا قَولُ العَامِلِيِّ أَيضًا فِي تَصدِيرِ الشَّطْرِ الثَّانِي مِنْ بَيتِ السَّيِّدِ:

يُـدِيـرُ عَـلَـيـنَـا خَمْـرَةً عَـسْـجَـدِيَّـةً قَدِ اتَّقَدَتْ فِي الكَأْسِ مِنْ خَدِّهِ الوَرْدِي

فَقَدْ أَخَذَهُ بِلَفْظِهِ مِن سِينِيَّةِ أَبِي نُواسٍ المَشهورَةِ وَذَلِكَ حَيثُ يَقولُ:[٣] [من الطويل]

تَـدُورُ عَـلَـيـنَـا الـرَّاحُ فِي عَـسْـجَـدِيَّـةٍ حَبَتْهَا بِـأَنـوَاعِ التَّصَاوِيرِ فَـارِسُ[٤]

وَإِنِّي لَأَعْجَبُ مِنهُ غَايَةَ العَجَبِ مِنْ حَيثُ بَلَغَتْ مَلَكَتُهُ فِي النَّظمِ هَذَا المَبلَغَ الَّذِي لَا يَهتَدِي بِهِ لِقَوَاعِدِ النَّظمِ، كَيفَ اهتَدَى وَحَرَّفَ مِن صَدرِ هَذَا البَيتِ لَفْظَةَ (تُدَار) وَقَالَ (يُديرُ)؛ لِيُعَوِّمَ الضَّمِيرَ المُستَتِرَ فِي (يُدير) للسَّاقِي الَّذِي ذَكَرَهُ السَّيِّدُ فِي بَيتِهِ، وَجَعَلَ (خَمرَة) بَدَلَ (الرَّاح) وَصَيَّرَهَا نَكِرَة؛ لِتَكونَ لَفظَةُ (عَسجَدِيَّة) صِفَةً لَهَا حَتَّى أَنَّ صَدرَ بَيتِ أَبِي نُوَاسٍ يَكونُ مُرتَبِطًا بِعُجزِ بَيتِ السَّيِّدِ فِي هَذَا التَّغْيِيرِ، وَلَيْتَ شِعرِي كَيفَ اهْتَدَى لِـهَذَا التَّغْيِيرِ؛ وَمَا اهْتَدَى إِلَى أَنَّ هَذِهِ سَرِقَةٌ مَعِيبَةٌ عِندَ كَافَّةِ الشُّعَرَاءِ؟! وَمَا يُقَالُ لَهَا تَضْمِينٌ؛ لِأَنَّ التَّشْطِيرَ لَا يَجوزُ فِيهِ لِلشَّاعِرِ أَنْ يَتَضَمَّنَ شِعرَ غَيرِهِ وَيُشَطِّرَ بِهِ شِعرَ مَن

(١) في (الأصل): (جاء) بدلًا من (زار).
(٢) في (الأصل): (بِحَيْثُ) بدلًا من (مَكَانَ).
(٣) ديوان أبي نواس ٣/ ١٨٤.
(٤) في (الأصل): (تدار) بدلًا من (تدور).

يَتَصَدَّى لِـمُقَابَلَتِهِ فِي كُلِّ مَا يَقولُ، إِذِ المَقَامُ الَّذِي هُوَ فِيهِ مَقَامُ مُفَاخَرَةٍ فِي مُجَارَاةِ مَن جَارَاهُ شَطرًا فَشَطرًا، فَإِذَا كَانَ المَقَامُ مُفَاخَرةً فَأَيُّ فَخْرٍ لَهُ فِي شِعرِ غَيرِهِ إِذَا شَطَّرَ فِيهِ شِعرَ مَنْ تَصَدَّى لِتَشطِيرِ شِعرِهِ؟! فَإِنْ تَخَيَّلَ أَنَّ هَذِهِ السِّينيَّةَ غَيرُ مَشهورةٍ، وَإِذَا أَخَذَ مِنهَا شَطْرًا لَا يَنْتَقِلُ السَّامِعُ إِلَيهِ فَقَدْ وَهِمَ؛ لِأَنَّهَا مِن حُسنِهَا صَارَت لَهَا شُهرةٌ عَظِيمةٌ عِندَ كَافَّةِ الأُدَبَاءِ حَتَّى كَادَ لَا يَخلو مِنهَا كِتَابٌ مِن كُتُبِ الأُدبَاءِ وَالمُؤَرِّخِينَ.

وَمِن جُملَةِ مَن ذَكَرَهَا مِنهُم الجَاحِظُ، فَقَالَ: «إِنَّا نَظَرنَا فِي الشِّعرِ القَدِيمِ وَالـمُحدَثِ؛ فَوَجدنَا الـمَعَانِي تُقلَبُ وَيَأْخُذُ بَعضُهَا مِنْ بَعْضٍ غَيرَ قَولِ عَنْتَر فِي الأَوَائِلِ:[1] [من الكامل]

١. فَـتَرَى الـذُّبَـابَ بِهَـا يُغَنِّي وَحْـدَهُ هَـزَجًـا كَـفِعـلِ الـشَّـارِبِ الْـمُـتَرَنِّـمِ[2]

٢. غَـــرِدًا يَـسِـنُّ ذِرَاعَـــهُ بِـذِرَاعِـهِ فِعلَ الْمُكِبِّ عَـلَى الـزِّنَـادِ الأَجْـذَمِ[3]

فَإِنَّهُ أَبْـدَعَ فِي التَّشْبِيهِ، حَيْثُ شَبَّهَ حَكَّ الـذُّبَـابِ ذِرَاعَـيـهِ بِقَدحِ الأَجـذَمِ الـمُكبِّ عَلَى الـزِّنَـادِ»[4] وَغَـيـرَ قَـولِ أَبِـي نُـوَاسٍ فِي الْـمُـحـدَثِـين:[5] [من الطويل]

تَـدُورُ عَـلَـيـنَـا الـرَّاحُ فِي عَـسْـجَـدِيَّـةٍ حَبَتْـهَـا بِـأَنـوَاعِ الـتَّـصَـاوِيـرِ فَـارِسُ

فَإِنَّهُ أَرَادَ بِالعَسْجَدِيَّةِ كُؤُوسًا مُذَهَّبَةً فِيهَا صُوَرٌ مَنقُوشَةٌ، وَهِيَ صُورَةُ كِسرَى وَصورةُ المَهَا وَالفَوَارِسِ، فيكون معنى البيتِ الأخيرِ مِنهَا، وَهوَ قَولُهَ:

فَـلِـلـرَّاحِ مَـا زَرَّتْ عَـلَـيْـهِ جُـيُـوبَـهَـا وَلِـلـمَاءِ مَـا دَارَتْ عَـلَـيـهِ الـقَـلَانِـسُ

(١) ديوان أبي نواس ٣/ ١٨٤.

(٢) في (الأصل): جاء صدر البيت برواية: (وخلا الذباب بها فليس يبارح)، وفي العجز: (غردًا) بدلًا من (هزجا).

(٣) في (الأصل): (هزجًا يحك) بدلًا من (غَرِدًا يَسِنُّ). و(قدح) في موضع (فعل).

(٤) زهر الآداب ٣/ ٧٩٥.

(٥) ديوان أبي نواس ٣/ ١٨٤.

إِنَّ الخَمرَةَ أَخَذَتْ مِن صُورةِ هَذهِ الفَوَارسِ الَّتِي فِي الكُؤُوسِ الأَبدَانَ إِلَى التَّرَاقِي وَالنُّحُورِ، وَمَزَجَت بِالمَاءِ فَانْتَهَى المِزَاجُ فِيهَا إِلَى مَا فَوقَ رُؤُوسِهَا، وَهَذَا التَّشبِيهُ بَدِيعٌ وَيَجوزُ أَن يَكُونَ المُرَادُ أَنَّ الحُبَابَ الَّذِي انْتَهَى إِلَى ذَلِكَ المَوضِعِ لَمَّا مُزِجَتْ وَأَزْبَدَتْ، وَيَكونُ فَائِدَةُ هَذَا مَعرِفَةَ حَدِّهَا صِرْفًا مِنْ حَدِّهَا مَمْزُوجَةً، وَذَكَرَهَا السَّيِّدُ المُرتَضَى فِي (الدُّرَرِ)[1]، فَإِنَّهُ أَخبَرَ عَن يَموتَ بنِ المُزَرِّعِ أَنَّهُ قَالَ: سَمِعتُ خَالِي الجَاحِظُ يَقولُ: لَا أَعرفُ شِعرًا يَفُضُلُ قَولَ أَبِي نُواسٍ، وَأَنْشَدَ:[2] [من الطويل]

١. وَدَارٍ نَدَامَى عَطَّلُوهَا وَأَدْلجُوا ... بِهَا أَثَرٌ مِنهُمْ جَدِيدٌ وَدَارِسُ[3]

٢. مَسَاحِبُ مِن جَرِّ الزِّقَاقِ عَلَى الثَّرَى ... وَأَضْغَاثُ رَيحَانٍ جَنِيٌّ وَيَابِسُ[4]

١. حَبِسْتُ بِهَا صَحْبِي فَجَدَّدتُ عَهدَهُم ... وَإِنِّي عَلَى أَمثَالِ تِلكَ لَحَابِسُ

٢. وَلَمْ أَدْرِ مَنْ هُمْ غَيْرَ مَا شَهِدَتْ بِهِ ... بِشَرقِيِّ (سَابَاطَ) الدِّيَارُ البَسَابِسُ[5]

٣. أَقِمْنَا بِهَا يَوْمًا وَيَوْمًا وَثَالِثًا ... وَيَومًا لَهُ يَومُ التَّرَحُّلِ خَامِسُ

٤. تَدُورُ عَلَينَا الرَّاحُ فِي عَسْجَدِيَّةٍ ... حَبَتهَا بِأَنْوَاعِ التَّصَاوِيرِ فَارِسُ

---

(١) (غرر الفرائد ودرر القلائد)، وهو المعروف بأمالي المرتضى.

(٢) ديوان أبي نواس ٣/ ١٨٣.

– الخبر والشعر في: أمالي المرتضى ١/ ١٤١، الكامل في اللغة ٣/ ١٠٧، وأمالي الزجَّاجيّ ١٤٦، وزهر الآداب ٣/ ٧٩٤، والمثل السائر ٢/ ١٥٩، ٣/ ٢٤، والكشكول ١/ ٣٢١، وخزانة البغداديّ ٧/ ٤٦٢.

(٣) أَدْلَجُوا: سَارُوا مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ. وادَّلَجُوا: سَارُوا اللَّيْلَ كُلَّهُ. (اللسان ٢/ ٢٧٢).

(٤) المَسَاحِبُ: أَثرُ السَّحبِ عَلَى وَجهِ الأَرضِ، الزِّقّ: السِّقاءُ، كلُّ وَعَاءٍ اتُّخِذَ لِشَرَابٍ وَنَحْوِهِ. وَجَمْعُ الْقِلَّةِ أَزْقاق، وَالْكَثِيرُ زِقاقٌ. (اللسان ١٠/ ١٤٣). الضِّغْثُ: كلُّ مَا مَلأَ الكَفَّ مِنَ النَّبَاتِ. (اللسان ٢/ ١٦٤).

وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ..﴾ (سورة ص/ ٤٤).

(٥) سَاباطُ كِسْرَى: في المدائن موضع معروف، قيل: إنَّما سمِّي ساباط الذي بالمدائن بساباط بن باطا كان ينزله؛ فسمِّي به. (معجم البلدان ٣/ ١٦٦).

٥.قَـرَارَتُهَـا كِسْـرَى وَفِي جَنَبَاتِهَا مَهًا تَـدَّرِيـهِ بِالقِسيِّ الـفَـوَارِسُ[١]

٦.فَلِلخَمْرِ مَا زَرَّتْ عَلَيهِ جُيوبُهُم وَلِـلـمَاءِ مَا حَـازَتْ عَلَيهِ القَلَانِسُ[٢]

قَالَ الجَاحِظُ: فَأَنْشَدتُهَا أَبَا شُعَيبٍ القَلَّالَ؛ فَقَالَ: يَا أَبَا عُثمَانَ لَو نُقِرَ هَذَا الشِّعرَ لَطَنَّ؛ فَقُلتُ لَهُ: وَيلَكَ مَا تُفَارِق الجِرَارَ وَالخَزَفَ حَيثُ كُنتَ![٣].

قَالَ السَّيِّدُ المُرتَضَى (قَدَّسَ اللهُ رُوحَهُ): أَخَذَ أَبو نُواسٍ قَولَهُ:[٤]

وَلَم أَدرِ مَن هُمْ غَيرَ مَا شَهِدَتْ بِهِ... البيت

مِنْ أَبِي خِرَاشٍ الـهُذَلِـيِّ فِي قَولِهِ:[٥] [من الطويل]

وَلَم أَدْرِ مَـنْ أَلـقَـى عَـلَـيـهِ رِدَاءَهُ عَـلَى أَنَّـهُ قَـدْ سُـلَّ عَـنْ مَـاجِـدٍ مَحضِ

وَيُقَالُ أَنَّ أَبَا خَرَّاشٍ أَوَّلُ مَنْ مَدَحَ مَن لَا يَعرِفُهُ، وَذَلِكَ أَنَّ خَرَّاشَ ابنَ أَبِي خَرَّاشٍ أُسِرَ هُوَ وَعُرْوَةُ بنُ مُرَّةَ، فَطَرَحَ رَجلٌ مِنَ القَومِ رِدَاءَهُ عَلَى خَرَّاشَ حَتَّى شُغِلَ القَوْمُ بِقَتلِ عُروةَ وَنَجَّاهُ، وَلَـمَّا تَفَرَّغُوا لَهُ قَالَ: إِنَّهُ أَفْلَتَ مِنِّي، وَيُقَالُ بَلْ قَدْ رَآهُ فِي الأَسرِ رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَمِّهِ، فَأَلقَى عَلَيهِ رِدَاءَهُ؛ لِيُجِيرَهُ بِهِ، وَقَالَ لَهُ: النَّجَاءَ وَيلَكَ؛ فَقَالَ أَبو خَرَّاشٍ: [من الطويل]

١.حَمَـدْتُ إِلَـهِي بَعدَ عُـروَةَ إِذْ نَجَى خِرَاشٌ وَبَعْضُ الشَّـرِّ أَهوَنُ مِن بَعْضِ

٢.فَـأَقْسَـمْـتُ لَا أَنْـسَـى قَتِيلًا رُزِيـتُـهُ بِجَانِبِ قَوسِي مَا حَييتُ عَلَى الأَرضِ

(١) تَدَّريهِ: تَتَّخِذُهُ دَرِيَّةً.

(٢) الزَّرُّ، وَهُوَ العَضُّ. (اللسان ٤/ ٣٢٣)، وَهَذَا مَعنَاهُ أَنَّ الكُؤوسَ تُـملأُ بِالـخَمرِ لِـحُلُوقِ الصِّوَرِ، وَيُسكَبُ عَلَيهِ المَاءُ حَتَّى يُغَطِّي الرُّؤُوسَ، وَهيَ مَوضِعُ القَلَانِسِ.

(٣) المثل السائر ٢/ ٢٧٢، والطراز ٢/ ٦٧.

(٤) أمالي المرتضى ١/ ١٤١.

(٥) ينظر: الشعر والخبر في: أمالي القالي ١/ ٢٧١، وحماسة الخالديين ٥١، والاستيعاب ٤/ ١٦٣٨، وزهر الآداب ٣/ ٧٩٦، والذخيرة ١/ ٧٦-٧٧، والتذكرة الحمدونيَّة ٢/ ١٤٨، وسمط اللآلي ١/ ٦٠١، ومعجم البلدان ٤/ ٤١٣، و خزانة البغداديّ ٥/ ٤٠٦، وزهر الأكم ١/ ١٩٨.

٣. عَـلَى أَنَّهَـا تَـعفُـو الـكُـلُـومُ وَإِنَّـمـا نُـوَكِّـلُ بِـالأَدنَـى وَإِنْ جَـلَّ مَا يَمْضِي

٤. وَلَمْ أَدْرِ مَـنْ أَلـقَـى عَـلَـيـهِ رِدَاءَهُ عَـلَى أَنَّـهُ قَـدْ سُـلَّ عَـنْ مَـاجِـدٍ مَحضِ

وَذَكَرَهَا ابنُ الأَثِيرِ الجَزري فِي المَثَلِ السَّائِرِ[1] وَبَدرُ الدِّينِ الدَّمَامِيني فِي شرَحِ المُغنِي، وَقَالَ ابنُ هِشَامٍ فِي المُغني فِي تَفْسِيرِ البَيتِ الَّذِي مَا زَالَ أَهلُ الأَدَبِ يَتَسَاءَلونَ عَنهُ وَهوَ:

أَقَمْنَا بِهَا يَوْمًا وَيَوْمًا... البيت

فَيَقولونَ: كَم كَانَت أَيَّامُ الإِقَامَةِ؟!

فَأَجَابَ ابنُ هِشَامٍ بِأَنَّهَا كَانَت ثَمانِيةً؛ لِأَنَّ اليَومَ الأَخِيرَ رَابِعٌ، وَقَد وَصَفَ بِأَنَّ يَومَ التَّرَحُّلِ خَامِسٌ لَهُ، فَيكونُ يَومَ التَّرَحُّلِ هُوَ الثَّامِنُ بِالنِّسبَةِ إِلَى أَوَّلِ يَوْمٍ[2].

وَقَالَ الدَّمَامِينيُّ فِي شَرحِهِ: الصَّوَابُ، الإِقَامَةُ سَبعَةً؛ لِأَنَّ الثَّامِنَ وَهوَ خَامِسُ اليَومِ الرَّابِعِ يَوْمُ التَّرَحُّلِ لَا يَومَ إِقَامَةٍ.

وَقِيلَ: بَل كَانَت خَمسَةً.

وَرَوَى القَائِلُ أَنَّ سَبَبَ إِنشَاءِ هَذِهِ الأَبيَاتِ أَنَّ أَبَا نُوَاسٍ مَرَّ بِالمَدَائِنِ مَعَ صَحبٍ لَهُ، فَعَدلَ إِلَى سَابَاطَ، وَدَخَلَ إِيوَانَ كِسرَى، فَرَأَوا آثَارًا فِي مَكَانٍ حَسَنٍ يَدُلُّ عَلَى اجْتِمَاعِ لِقَومٍ كَانُوا قَبلَهُم، فَأَقَامُوا خَمسَةَ أَيَّامٍ يَشْرَبونَ هُنَالِكَ، فَسَأَلَهُ بَعضُ أَصْحَابِهِ صِفَةَ الحَالِ؛ فَقَالَ هَذِهِ الأَبيَاتِ، وَعَلَى هَذَا فَأَيَّامُ الإِقَامَةِ خَمسَةٌ كَمَا تَرَى، وَيَجوزُ أَنْ تَكونَ أَيَّامُ الإِقَامَةِ أَرْبَعًا؛ لِأَنَّ يَوْمَ التَّرَحُّلِ يَومَ ظَعنٍ لَا يَومَ إِقَامَةٍ، فَتَأَمَّل.

وَإِقْحَامُ العَامِلِيِّ عَلَيهَا مَعَ شُهْرَتِهَا هَذِهِ، وَأَخْذُهُ مِنهَا ذَلِكَ الشَّطرَ عَجِيبٌ، وَأَعْجَبُ مِنهُ صُنعُهُ فِي بَرَاعَةِ مَطلَعِ القَصِيدَةِ الَّتِي شَطَّرَهَا، فَإِنَّهُ أَخَذَ مَعنَاهُ وَشَطَّرَهُ فِيهِ، وَلَا شَكَّ أَنَّهُ أَعْظَمُ مِن أَخْذِهِ مِنهَا؛ لِأَنَّهُ مُلَازِمٌ لِصُحْبَةِ بَرَاعَةِ ذَلِكَ المَطلَعِ فِي الإِنْشَادِ وَالارْتِسَامِ فِي

(١) المثل السائر ٣/ ٢٤.

(٢) مغني اللبيب ٢/ ٣٥٦.

القَرَاطِيسِ وَفِي غَيرِ مُصَاحَبَةٍ لَهُ فِي ذَلِكَ، وَلَقَد عَدَا عَلَيهِ وَأَخَذَ مَعنَاهُ وَشَطَّرَهُ فِيهِ وَقَابَلَ صَاحِبَهُ وَفَاخَرَهُ بِسَرِقَتِهِ لِذَلِكَ المَعنَى؛ فَقَالَ:

١.تَجَلَّى بِآفَاقِ العُلَا كَوكَبُ السَّعْدِ وَأَشْرَقَ بَدرُ التَّمِّ فِي فَلَكِ المَجْدِ

٢.وَلَاحَ بِأَبْرَاجِ العُلَا مُتَوَقِّدًا فَجَلَّى نُحُوسَ المُجْتَلِي ثَاقِبَ الوَقْدِ

فَانْظُرْ فَإِنَّ مَعنَى شَطرَيْ العَامِلِيِّ مَأْخُوذٌ مِن صَدرِ بَيتِ السَّيِّدِ بِعَيْنِهِ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ السَّيِّدَ أَرَادَ أَنَّ مَن تَغَزَّلَ فِيهِ ظَهَرَ بِهَيئَةٍ حَسِبَ بِهَا أَنَّ كَوكَبَ السَّعْدِ تَجَلَّى بِآفَاقِ العُلَا، فَكَنَّى عَنهُ بِكَوْكَبِ السَّعْدِ؛ لِيُقَابِلَ بِالسَّعْدِ النُّحُوسَ الَّتِي فِي عُجزِ البَيتِ، وَالعَامِلِيُّ بِحَسَبِ مَا أَرَادَ فِي النَّظْمِ أَنَّهُ لَـمَّا عَزَمَ عَلَى تَشْطِيرِ هَذَا البَيتِ أَرَادَ شَيْئًا يُقَابِلُ بِهِ السَّعْدَ الَّذِي فِي صَدرِ بَيتِ السَّيِّدِ، فَلَمْ يَجِدْ إِلَّا النُّحُوسَ الَّتِي ذَكَرَهَا السَّيِّدُ فِي عَجُزِ بَيتِهِ، فَتَرَكَ المُقَابَلَةَ، وَلَاحَظَ عَجُزًا يَقُومُ مَقَامَ عَجُزِهِ، وَلَو مِن دُونِ الصَّدرِ، وَعَجَزَ عَنْ أَنْ يَسْتَحْدِثَ مَعنًى غَيرَ المَعنَى الَّذِي ذَكَرَهُ السَّيِّدُ فِي صَدرِ بَيتِهِ، فَلَمَحَ مَعنَاهُ وَقَالَ:

وَأَشْرَقَ بَدرُ التَّمِّ فِي فَلَكِ المَجدِ

لِأَنَّ الفَلَكَ فِي عُلُوِّهِ يُضَاهِي بِالمَعنَى العُلَا الَّذِي قَصَدَهُ السَّيِّدُ ثُمَّ ارتَجَّ عَلَيهِ، وَلَمْ يَدرِ كَيفَ يَصنَعُ بِعُجزِ البَيتِ؛ لِأَنَّهُ بَقِيَ بِلَا صَدرٍ؛ فَرَأَى مِن قِلَّةِ بِضَاعَتِهِ بِالنَّظْمِ أَيضًا مَا لَهُ بُدٌّ إِلَّا أَنْ يَرجِعَ مَرَّةً أُخرَى لِـمَعنَى صَدرِ بَيتِ السَّيِّدِ؛ فَرَجَعَ إِلَيهِ وَأَخَذَهُ، وَقَالَ:

وَلَاحَ بِأَبْرَاجِ العُلَا مُتَوَقِّدًا

أَي (لَاحَ بِأَبْرَاجِ العُلَا) البَدرُ الَّذِي جَعَلَهُ بَدلَ (كَوكَبِ السَّعْدِ) الَّذِي تَجلَّى بِآفَاقِ العُلَا، وَأَتَى بِـ(أَبرَاجٍ) بَدَلَ(آفَاقٍ)؛ لِيَخفَى أَمْرُهُ، وَهَذَا كَمَا تَرَاهُ لَا يَخفَى عَلَى الأَطفَالِ، فَكَيفَ يَخفَى عَلَى أَهلِ النَّظَرِ؛ لِأَنَّ الشَّاعِرَ إِذَا جَرَى فِي مِضمَارِ شَاعِرٍ، وَطَاوَلَهُ فِي النَّظْمِ، يَنْبَغِي لَهُ إِذَا لَمْ يَزِدْ عَلَيهِ أَنْ لَا يُقَصِّرَ عَنهُ، لَا أَنْ يَكونَ كَلًّا عَلَيهِ فَيَتَتَبَّعُ مَعَانِيهِ، خُصُوصًا فِي التَّشْطِيرِ؛ لِأَنَّهُ يُقَابِلُهُ فِي النَّظْمِ شَطرًا فَشَطرًا، فَإِذَا قَابَلَهُ بِمَا هُوَ دُونَهُ أَوْ لَـمَحَ مَعنَاهُ بِأَنْ

ضَعَّفَهُ وَأَزْرَى عَلَيهِ، وَالتَّشْطِيرُ هُوَ فِي الحَقِيقَةِ مِيزَانٌ لِفَضلِ الشُّعَرَاءِ؛ لِأَنَّهُ بِهِ يُستَبَانُ فَضْلُهُم كَزُهَيرِ بنِ أَبِي سُلمَى، فَإِنَّهُ قَالَ بَيتًا وَنِصفَ البَيتِ الثَّانِي، ثُمَّ أَكْدَى، فَمَرَّ بِهِ النَّابِغَةُ الذُّبيَانِيُّ، فَقَالَ لَهُ: يَا أَبَا أُمَامَةَ أَجِزْ.

قَالَ: مَاذَا؟!

قَالَ: [من الوافر]

١. تَـرَاكَ الأَرضَ إِمَّـا مُـتَّ خَفًّـا وَتَحْـيَـى مَـا حَـيَـيـتَ بِهَـا ثَقِـيلا

٢. نَـزَلْـتَ بِـمُـسْـتَـقَـرِّ الـعِـزِّ مِـنهَـا

قَالَ: فَمَاذَا؟!

قَالَ: فَاكدَى وَاللهِ النَّابِغَةُ.

وَأَقْبَلَ كَعبُ بنُ زُهَيرٍ وَهوَ غُلَامٌ، فَقَالَ أَبُوهُ: أَخبِرنَا يَا بُنَيْ، فَقَالَ: مَاذَا؟!

فَأَنْشَدَهُ البَيتَ الأَوَّلَ، وَمِنَ البَيتِ الثَّانِي قَولَهُ:

نَـزَلْـتَ بِـمُـسْـتَـقَـرِّ الـعِـزِّ مِـنهَـا

فَقَالَ كَعبٌ:

فَـتَـمْـنَـع جَـانِـبَـيـهَـا أَنْ يَـزُولا

فَقَالَ زُهَيرٌ: أَنْتَ وَاللهِ ابْنِي.

امْرؤُ القَيسِ وَالتَّوأَمُ اليَشْكُرِيُّ

وَامرِؤُ القَيسِ، فَإِنَّهُ كَانَ إِذَا نَازَعَ مَن يَدَّعِي الشِّعرَ يَبلُوهُ بِشَيءٍ مِنَ الشِّعرِ يَشبَهُ التَّشطِيرَ.

وَقَد نَازَع يَومًا التَّوأَمَ اليَشْكُرِيَّ؛ فَقَالَ: إِذَا كُنْتَ شَاعِرًا فَأَجِز:

قَالَ: نَعَم.

فَأَنْشَأَ لَهُ امرُؤُ القَيسِ صَدرَ بَيتٍ، فَعَجَزَهُ التَّوأَمُ[1]، وَأَنْشَأَ لَهُ صَدْرًا آخَرَ، فَعَجَزَهُ أَيضًا، وَلَمْ يَحضُرنِي مَا قَالَاهُ وَهوَ مَذكورٌ فِي (الفَتح القَريب)[2].

وَقَالَ أَبو حَيَّانَ فِي قِصَّتِهِمَا هَذِهِ، رَدٌّ عَلَى مَن شَرطَ فِي الكَلَامِ صُدُورَهُ مِن نَاطِقٍ وَاحِدٍ[3].

أَقُولُ: قَدْ تَنَبَّهَ -مِن هَذَا وَأَمثَالِهِ- المُتَأَخِّرونَ مِنَ الشُّعَرَاءِ، فَاخْتَرَعُوا التَّشطِيرَ؛ لِأَنَّهُ سَابِقٌ مَا كَانوا يَتَعَاطُونَهُ، وَأَوَّلُ مَن تَعَاطَى ذَلِكَ عَلَى مَا أَظُنُّ مُعَاصِرو صَلَاحِ الدِّينِ الصَّفَدِيِّ[4]، وَقَد ذَكَر فِي مُقَدِّمَةِ شَرحِهِ لِلاَمِيَّةِ العَجَمِ تَشطِيرَ نُبذَةٍ مِنهَا، وَعَزَاهُ إِلَى المَولَى نُورِ الدِّينِ عَلِيّ بنِ فَرحُونَ المَالِكِيِّ[5]، وَذَلِكَ حَيثُ قَالَ:

(١) التوأَمُ اليَشكريُّ: هوَ الحَارثُ بنُ قَتادةَ، أَبو شُريحٍ، الَّذي كَانَ يُنادِمُ المَلكَ عَمرُو بنُ هِندٍ، وَيُناقِضُ امرءَ القَيسِ بنَ حُجرٍ. ينظر: الإشتقاق ٣٤٢، والعمدة ١/ ٢٠٢، وفصل المقال ١٤٩، وتأريخ دمشق ٩/ ٢٣٩، وربيع الأبرار ٥/ ٢٢٣، وبدائع البدائه ٩٣، ومختصر تأريخ دمشق ٥/ ٣٨.

(٢) لَيسَ الأَمرُ كَمَا قَالَ المُصَنِّفُ، فَقَد كَانَ امرءُ القَيسِ وَاثقًا بِقُدَرتِهِ، وَلَقِيَ التَّوأَمَ اليَشكريَّ، وَاسمُهُ الحَارثُ بنُ قَتادَةَ، فَقَالَ لَهُ: إِنْ كُنْتَ شَاعِرًا كَمَا تَقولُ فَأَجِز، قَالَ: نَعَم، فَقالَ امرؤُ القَيسِ: (أَحَارُ تَرَى بَريقًا هَبَّ وَهْنًا)، فَقَالَ التَّوأَمُ: (كَنَارِ مَجوسٍ تَسْتَعِرُ اسْتِعَارا).. إِلَى آخِرِه. فَلَمَّا رَآه امرؤُ القَيس قَد قَاوَمَه، وَلَم يَكن فِي ذَلكَ العَصرِ مَن يُقَاومهُ وَيُطَاولهُ، آلَى أَلَّا يُنَازِعَ الشِّعرَ أَحَدًا آخرَ الدَّهرِ. ينظر: العمدة ١/ ٢٠٢-٢٠٣، وربيع الأبرار ٥/ ٢٢٣، والتذكرة الحمدونيَّة ٩/ ٢٩٥-٢٩٦، وتأريخ آداب العرب ٣/ ١٤٣-١٤٤، وتأريخ دمشق ٩/ ٢٤٠-٢٤١، ومختصر تأريخ دمشق ٥/ ٢٣٨-٢٣٩.

(٣) لَم أَجد لِهَذَا الكَلَامِ أَصلًا فِي مَا عِندي مِن مَصَادِر.

(٤) مرَّت ترجمته في ٢٢٦.

(٥) عَليّ بن مُحَمَّد بنِ أَبِي الْقَاسِمِ بنِ مُحَمَّد بنِ فَرحُونَ الْمدنِي نُورُ الدِّينِ المَالِكِيُّ، وُلِدَ سَنَةَ (٦٩٨هـ) وَتَفَقَّهَ، وَسَمِعَ الحَدِيثَ، وَبَرعَ فِي الفُنُونِ، وَشَارَكَ فِي الْعُلُومِ، وَصَنَّفَ التَّصَانِيفَ، وَلَه دِيوَانُ شِعرٍ، وَدَخَلَ دِمشقَ وَالقَاهِرةَ غَيرَ مَرَّةٍ، تُوفِّيَ سَنةَ (٧٤٦هـ)، وَجَمعَ لَهُ أَخُوهُ بَدرُ الدِّينِ عَبدُ الله تَرْجَمَةً طَوِيلَة. له ترجمة في: أعيان العصر ٢/ ٥٠٧، والوافي بالوفيات ٢٢/ ٧٢، والدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة ٤/ ١٣٧، ومعجم المؤلِّفين ٧/ ٢٢٦.

أَنْشَدَنِي مِن لَفْظِهِ لِنَفْسِهِ المَولَى نُورُ الدِّينِ بِدِمَشقَ، سَنَةَ إحدَى وَأَربَعِينَ وَسَبعِمِئَةٍ، هَذِهِ اللَّامِيَّةَ، وَقَد رَكَّبَ عَلَى كُلِّ صَدرٍ عُجْزًا، وَعَلَى كُلِّ عُجزٍ صَدْرًا، فَنَاسَبَهَا، ثُمَّ قَالَ:

وَهَذَا قَصْدٌ ظَرِيفٌ، وَسَطَّرَ مِن تَشْطِيرِهَا هَذِهِ النُّبذَةَ وَهِيَ:(١) [من البسيط]

١. أَصَالَةُ الرَّأيِ صَانَتنِي عَنِ الخَطَلِ ... وَشُرعَةُ الحَزمِ ذَادَتْنِي عَنِ المَذَلِ(٢)

٢. وَحُلَّةُ العِلْمِ أَغْنَتْنِي مَلَابِسُهَا ... وَحُلْيَةُ الفَضْلِ زَانَتْنِي لَدَى عَطَلِي

٣. مَجْدِي أَخِيرًا وَمَجدِي أَوَّلًا شِرَعٌ ... وَسُؤدُدِي ذَاعَ فِي حِلِّي وَمُرْتَحَلِي(٣)

٤. وَهِمَّتِي فِي الغِنَى وَالفَقْرِ وَاحِدَةٌ ... وَالشَّمْسُ رَأْدَ الضُّحَى كَالشَّمْسِ فِي الطَّفَلِ(٤)

٥. فِيمَ الإِقَامَةُ فِي (الزَّورَاءِ) لَا سَكَنِي ... دَانٍ وَلَا أَنَا فِي عَيْشٍ بِهَا خَضِلِ(٥)

٦. وَلَيسَ لِي إِرَبٌ فِيهَا وَلَا خِوَلِي ... بِهَا وَلَا نَاقَتِي فِيهَا وَلَا جَمَلِي(٦)

فَقَولُهُ: (وَهَذَا قَصدٌ ظَرِيفٌ)، فِيهِ إِشَارَةٌ وَاضِحَةٌ إِلَى أَنَّ المَولَى هُوَ مُخْتَرِعُهُ الأَوَّلُ؛ لِأَنَّهُ لَو كَانَ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ يَتَعَاطُونَهُ لَسَمَّاهُ كَمَا نَحنُ نُسَمِّيهِ الآنَ: (التَّشطِير)، أَو(التَّصْدِير)، أَو(التَّعْجِيز).

وَلَمَّا قَال: وَهَذَا قَصدٌ ظَرِيفٌ، وَعَرَّفَهُ بِقَصدِ مُنشِئِهِ، عَلَى أَنَّكَ إِذَا تَتَبَّعتَ الزَّمَنَ الَّذِي هُوَ سَابِقٌ عَلَى زَمَنِهِم بِشيءٍ يَسِيرٍ، كَزَمَنِ الصَّاحِبِ ابنِ عَبَّادٍ، لَمْ تَجِدْ لِشُعَرَائِهِ تَشْطِيرًا مَعَ أَنَّ زَمَنَ الصَّاحِبِ فِيهِ رُفِعَتْ رَايَةُ الشِّعرِ.

(١) ديوان الطغرائيّ ٥٤.

(٢) المَذَلُ: الضَّجَرُ وَالقَلَقُ. (اللسان ١١/ ٦٢١).

(٣) الشِّرْعَةُ: مِثلُ الشيءِ، يُقَال: هَذَا شِرْعُ هَذَا، وهما شِرْعانِ، أَي مِثلانِ. (التاج ٢١/ ٢٦١).

(٤) والطَّفَلُ بعدَ العَصْرِ إِذا طَفَلَتِ الشَّمْسُ للغُرُوبِ، يُقالُ: أَتَيْتُهُ طَفَلًا. (التاج ٢٩/ ٣٧٣).

(٥) خَضِلُ: مِنَ الخُضُلَّةِ: وَهِيَ الخِصْب ونَضَارة الْعَيْشِ. (اللسان ١١/ ٢٠٨).

(٦) الْقَوْمُ خَوَل فُلَانٍ، مَعْنَاهُ أَتباعه، وَقَالَ: خَوَل الرَّجُلِ الَّذِي يَمْلِكُ أُمورهم. (اللسان ١١/ ٢٢٥).

وَقَد جَمعَ الثَّعَالِبِيُّ[1] فِي (اليَتِيمَةِ) شُعَرَاءَ ذَلِكَ الزَّمَنِ أَجْمع، وَمَا ذَكرَ لِأَحَدٍ مِنهُم تَشطِيرًا، وَلَقَد تَتَبَّعتُ أَشْعَارَ أَغْلَبِهِم، فَمَا عَثرتُ بِذَلِكَ، وَلَكِن رَأَيتُ أَبْيَاتًا فِي رِثَاءِ الصَّاحِبِ لَهَا قَضِيَّةٌ تَشبَهُ قَضِيَّةَ امرئِ القَيسِ مَعَ التَّوأَم، ذَكَرَهَا صَاحِبُ (مَعَاهِدِ التَّنْصِيصِ) فِي (المعاهد)، وَهِيَ[2]: أَنَّ أَبَا العَلاَء الأَصبَهَانِيَّ[3] قَالَ: رَأَيتُ فِي المَنَامِ قَائِلًا يَقُولُ: لِمَ لَمْ تَرثِ الصَّاحِبَ[4] مَعَ فَضلِكَ وَشِعرِكِ؟.

فَقُلتُ: أَلجَمَتنِي كَثرةُ مَحَاسِنِهِ، فَلَمْ أَدْرِ بِأَيِّهَا أَبْدَأ، وَخِفْتُ أَنْ أُقَصِّرَ، وَقَدْ ظُنَّ بِيَ الاسْتِيفَاءُ لَهَا. فَقَالَ:

أَجِزْ مَا أَقُولُ. [قلت: قل].

فَقَالَ: [من الطويل]

ثَـوَى الجُـودُ وَالـكَـافِي مَعًا فِي حَفِيرةٍ

فَقُلْتُ:

لِـيَـأْنَـسَ كُـلٌّ مِـنْـهُـمَا بِـأَخِـيـهِ

(١) عَبدُ المَلكِ بنُ مُحمَّد بنِ إِسمَاعِيلَ، أَبو مَنصورٍ الثَّعَالِبِيُّ: مِن أَئِمَّةِ اللُّغَةِ وَالأَدَبِ. مِن أَهلِ نِيسَابورَ. كَانَ فَرَّاءً يُخِيطُ جُلودَ الثَّعَالِبِ، فَنُسِبَ إِلَى صِنَاعَتِهِ. وَاشْتَغَلَ بِالأَدَبِ وَالتَّارِيخِ، فَنَبغَ. وَصَنَّفَ الكُتُبَ الكَثِيرةَ المُمْتِعَة. تُوفِّيَ سَنَة (٤٢٩هـ/ ١٠٣٨م)، وَلَهُ ثَمَانُونَ سَنَةً. من كتبه: (يتيمة الدهر) في تراجم شعراء عصره، و(فقه اللغة)، و(ثمار القلوب في المضاف والمنسوب)، وغيرها كثير. له ترجمة في: نزهة الألباب ٢٦٥، وتأريخ إربل ٢/ ٣٤٠، ووفيات الأعيان ٣/ ١٧٨، وتأريخ الإسلام ٩/ ٤٧٧، وسير أعلام النُّبلاء ١٧/ ٤٣٧، والوافي بالوفيات ١٩/ ١٣٠، وديوان الإسلام ٢/ ٥٥، والأعلام ٤/ ١٦٣، ومعجم المؤلِّفين ٦/ ١٨٩.

(٢) بدائع البدائه ٩٦-٩٧، ومعجم الأدباء٢/ ٧٠٣، ووفيات الأعيان ١/ ٢٣١، وتأريخ الإسلام ٨/ ٥٦٩، أعيان الشيعة ٣/ ٣٧٤، والغدير ٤/ ٧٤.

(٣) هو: أبو القاسم ابن أبي العلاء الشاعر، من وجوه أهل أصفهان وأعيانهم.
بدائع البدائه ٩٦، ومعجم الأدباء٢/ ٧٠٣، ووفيات الأعيان ١/ ٢٣١، والغدير ٤/ ٧٤.

(٤) أَبو القَاسِمِ المُلَقَّبُ بِالصَّاحِبِ كَافِي الكُفَاةِ، مرَّت ترجمته ١٢٦.

فَقَالَ:

هُمَا اصْطَحَبَا حَيَّينِ ثُمَّ تَعَانَقَا

فَقُلْتُ:

ضَجِيعَينِ فِي قَبْرٍ بِبَابِ دَرِيه[1]

فَقَالَ:

إِذَا ارْتَحَلَ الثَّاوونَ عَنْ مُستَقَرِّهُمْ

فَقُلْتُ:

أَقَامَا إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ فِيهِ

فَأَجِلْ مِنْ فَهْمِكَ طَرفَهُ فِيمَا ذَكرنَا لَكَ مِنْ بَرَاعَةِ مَطلَعِهِ وَالبَيتِ الَّذِي خَلْفَهُ، وَانْظُرْ إِلَى مَا نَتَكَلَّمُ فِي مَا قَالَ بِلَا فَصلٍ خَلفَهُمَا، فَإِنَّا سَنُرِيكَهُ سَالِكًا فِي نَظمِهِ طَرِيقَتِهِمَا، مِن اخْتِلَالِ أَلفَاظِهِ لِمُخَالَفَتِهَا لِلقَوَاعِدِ النَّحوِيَّةِ، وَوَضْعِهَا فِي غَيرِ مَحلِّهَا، عَلَى عَكسِ الطَّرَائِقِ الأَدَبِيَّةِ وَهوَ هَذَا: [من الطويل]

وَأَغْرَى بِهِ صُبْحَ المُحَيَّا وَقَدْ غَدَا لَهُ شَافِعًا فِي صُبْحِهِ حِنْدِسُ الجَعْدِ

أَقُولُ: قَولُهُ: وَأَغْرَى بِهِ، أَي وَلَعَ بِهِ، وَالضَّمِيرُ الَّذِي فِي (به) عَائِدٌ لِلسَّاقِي الَّذِي ذَكَرَهُ فِي البَيتِ الَّذِي تَقَدَّمَ، وَصُبْحُ المُحَيَّا، المُحَيَّا الوَجْهُ، وَاسْتَعَارَ لَهُ صُبْحًا وَأَضَافَهُ إِلَيهِ لِبَيَاضِهِ وَإِشْرَاقِهِ، وَيُرِيدُ بِهِ وَجْهَ السَّاقِي، وَهوَ فَاعِلُ (أَغْرَى) فَيَكونُ المَعنَى: وَلَعَ بِالسَّاقِي صُبحُ وَجْهِهِ، فَعَلَى هَذَا بَقِيَ المَعنَى نَاقِصًا، إِذْ لَمْ يُعْلَمْ صُبْحُ وَجْهِهِ لِمَن وَلَعَ؟! إِذْ بَقِيَ الفِعلُ وَهوَ أَغرَى مُحتَاجًا إِلَى المَفعُولِ، وَالمَفعولُ لَمْ يُذكَر فِي البَيتِ، وَلَمْ يَكُنْ فِيهِ إِشَارَةٌ تَدُلُّ عَلَيهِ، وَحَيثُ لَم يُذْكَر وَلَم تَكُنْ قَرِينَةٌ فِي البَيتِ تَدُلُّ عَلَيهِ بَقِيَ مَعنَى البَيتِ

(١) لـمَّا توفِّي الصاحب﵀، نُقل إلى إصفهان؛ فدُفن في قبَّة هناك تُعرف بباب دَرِيه، وقيل (ذريه)، وهي عامرة إلى الآن. ينظر: أعيان الشيعة ٣/ ٣٢٨، والغدير ٤/ ٧٤.

نَاقِصًا لِخِلوِّهِ مِنْهُ، وَبِنُقْصَانِهِ اسْتَبَانَ صَرِيحًا خَلَلُهُ، عَلَى أَنَّنَا لَو جَعَلنَا مَفْعُولًا (لِأَغرَى)؛ وَقُلنَا: وَأَغرَى بِهِ صُبحَ المُحِبِّ، فَلَا يَسُدُّ الخَلَلَ الَّذِي فِيهِ مِنْ مُخَالَفَتِهِ لِقَوَاعِدِ أَهْلِ الأَدَبِ فِي النَّظمِ، وَبَيَانِ مُخَالَفَتِهِ لَهم.

إِنَّهُ بِصَدرِ بَيتِهِ ذَكَرَ أَنَّ صُبْحَ المُحَيَّا وَلَعَ بِهِ، وَفِي عُجْزِهِ ذَكَرَ أَنَّ حِنْدِسَ جَعْدِهِ غَدَا شَافِعًا لِصُبْحِهِ، وَالشَّفِيعُ إِنَّمَا يَشفَعُ فِي جُرْمِ المُجْتَرَمِ، فَمَا جُرمِ صُبْحِ المُحَيَّا إِذَا كَانَ مُنِيرًا، وَأَغْرَى بِحُسنِ إِنَارَتِهِ؟! وَمَا المُقْتَضَى لِشَفَاعَةِ حِنْدِسِ الجَعْدِ؟! وَمَا كَانَتْ شَفَاعَتُهُ لَهُ؟! فَبَيتُهُ لَا يَظْهرُ مِنهُ إِنَّ لِصُبْحِ المُحَيَّا جِنَايَةً فِي ضِيَاه حَتَّى تَحسُنَ شَفَاعَةُ حِندسِ الجَعدِ لَهُ، فَإِنْ قِيلَ لِكَونِهِ أَغرَى المُحِبَّ، أَي وَلَعَهُ بِحُسْنِ ضِيَاهُ فَحِندسُ الجَعْدِ أَيْضًا يُولِعُ المُحِبَّ بِحُسنِ سَوَادِهِ، وَهَذَا ظَاهِرٌ يُعرَفُ بَدِيهًا مِن قَولِهِم: أَضَلَّنِي بِدُجَى شَعرِهِ، وَلَدَغَتْنِي أَفَاعِي ذَوَائِبِهِ وَعَقَارِبُ أَصْدَاغِهِ، فَالضَّلَالُ الَّذِي يَحصَلُ مِن سَوَادِ شَعرِهِ، وَاللَّدغُ الَّذِي يَجِدهُ مِن أَرَاقِمِ ذَوَائِبِهِ، وَعَقَارِبِ أَصدَاغِهِ، لَا شَكَّ وَلَا شُبْهَةَ أَنَّهُ مِن شِدَّةِ وُلُوعِهِ فِيمَا ذَكَرَ مِن شَعْرِهِ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ فَكَما قَالَ السَّيِّدُ (سَلَّمَهُ الله): وَأَغرَى بِهِ صُبحُ المُحَيَّا. يُقَالُ أَغرَى بِهِ حِنْدِسُ الجَعدِ، وَحِينَئِذٍ لَا يَصُحُّ أَنْ يَكونَ شَافِعًا لِصُبحِ المُحَيَّا لِمُشَارَكَتِهِ لَهُ بِالإِغْرَاءِ عَلَى أَنَّنَا لَو فَرَضْنَا أَنَّهُ يَصُحُّ أَنْ يَجعَلَهُ شَافِعًا لِصُبحِ المُحَيَّا بِالإِغرَاءِ لَكَانَ يَنبَغِي لَهُ أَنْ يَحتَالَ فِي نَظمِ بَيتِهِ وَيَجعلَ (لِحِنْدِسِ الجَعدِ) شَيئًا لَازِمًا لَا غِنَاءَ عَنهُ مِن مُقْتَضَيَاتِ الشَّفَاعَةِ (لِصُبحِ المُحَيَّا) وَيَجعلَ لَهُ قَرينةً وَاضِحَةً تَدُلُّ عَلَيهِ؛ لِأَنَّهُ يَهْمِلُ جُرمَ (صُبْحِ المُحَيَّا) وَلَمْ يَتَعَرَّضْ لَهُ وَلَمْ يُشِرْ إِلَى شَيءٍ مِمَّا تَقْتَضِيهِ الشَّفَاعَةُ لَهُ؛ وَيَقولُ بِلَا رَوِيَّةٍ: (وَأَغرَى بِهِ صُبحَ المُحَيَّا فَغَدَا حِندسُ الجَعْدِ شَافِعًا لِصُبْحِهِ).

وَهَذَا المَعنَى بِلَا مَعنَى كَمَا تَرَاهُ، يَعْجَبُ مِنهُ مَن لَهُ أَدنَى عَلَاقَةٍ بِعِلمِ الأَدَبِ، وَأَعجَبُ مِنهُ كَيفِيَّةُ وُقُوعِ نَاظِمِهِ فِيهِ؛ لِأَنَّهَا مِن أَعْجَبِ العَجَائِبِ وَهِيَ بِحَسَبِ مَا تَفَرَّستَ مِن حَالَاتِهِ فِي النَّظمِ أَنَّه لَمَّا رَأَى فِكرَتَهُ قَاصِرَةً عَن بُلُوغِ المَعَانِي البَلِيغَةِ الفَائِقَةِ وَهوَ يُرِيدُ

أَنْ تكونَ أَشعَارُهُ بَينَ الأَلِبَّاءِ رَائِقَةً عَمَدَ فِي سَائِرِ شِعرِهِ أَنْ يَتَتَبَّعَ مَعَانِي فُحولِ الشُّعَرَاءِ وَيَأَخذَهَا وَيَنْظِمَهَا فِي شِعْرِهِ لِتَبْتَهِرَ مِن حُسْنِهَا البُلَغَاءُ، إِلَّا أَنَّهُ سَلَّمَهُ اللهُ يَرومُ ذَلِكَ وَلَمْ يَتَأَتَّ لَهُ فَيَتَخَيَّلَ إِذَا أَخَذَ مَعنَى مِنْ بَلِيغٍ أَنَّهُ صَارَ أَحَقَّ مِنهُ بِذَلِكَ وَلَمْ يَشْعُرْ مِن نَفْسِهِ أَنَّهُ لِجَادَّةِ الخَطَلِ وَالخَطَأِ فِي نَظْمِهِ سَالِكٌ؛ لِأَنَّهُ يَجعَل لِغَالِبِ الأَلفَاظِ العَرَبِيَّةِ مَعَانِيَ غَيرَ مَعَانِيهَا وَيَنْظِمُهَا عَلَى مَا جَعَلَ لَهَا مِنَ المَعَانِي فَيَبقَى المَعنَى الَّذِي أَخَذَه فِي قَلبِهِ وَيَظْهَرُ مِنَ الأَلفَاظِ الَّتِي يَنْظِمُهَا مَعنًى غَيره أَو أَنَّهَا تَكونُ لِسُوءِ نَظمِهِ بِلَا مَعنَى، أَو يَكونُ لَهَا مَعنَى تُعرَفُ مِنهُ شَطرًا وَتَجهَلُ مِنهُ الشَّطرَ الآخَر مِنْ سُوءِ تَعبِيرِ لَفظِه، أَو يُخَالِفُ قَاعِدَةَ أَهلِ النَّظْمِ؛ فَيَخْتَلُّ نَظمُهُ، وَلَا يَكَادُ يَسلَمُ مِن شِعرِهِ مِن هَذِهِ المَعَايِبِ إِلَّا القَلِيلُ، وَهَذَا ظَاهِرٌ صَرِيحٌ لِـمَنْ فِي بَادِي نَظَرِهِ لَـمحَ شِعرَهُ، وَقَد أَوْضَحنَا لَكَ ذَلِكَ فِي مَا تَكلَّمنَا بِهِ سَابِقًا مِن مَقَابِحِ شِعرِهِ.

أَمَّا بَيتُهُ هَذَا عَلَى حَسَبِ مَا أَتَفَرَّسُ فَإِمَّا أَنْ يَكونَ أَخَذَ مَعنَاهُ مِن أَبِي سَعيدٍ المُؤَيَّدِ بنِ مُحَمَّدٍ الآلوسِيِّ[1]، وَأَفْسَدَهُ بِمَا ذَكرنَا مِن اسْتِعمَالِهِ الأَلفَاظَ العَرَبِيَّةَ، أَو مِن أَبِي الطَّيِّبِ

(١) أَبو سَعيدٍ المُؤَيَّدُ بنُ مُحمَّد بنِ عَليِّ بنِ مُحمَّد الآلوسيّ، الشَّاعِرُ المَشهورُ؛ كَانَ مِن أَعيَانِ شُعرَاءِ عَصرِهِ كَثيرَ الغَزلِ وَالهِجَاءِ، وَمَدحَ جَماعَةً مِن رُؤساءِ العِراقِ، وَلَه دِيوانُ شِعرٍ، وَكَانَ مُنقَطعًا إِلَى الوَزيرِ عَونِ الدِّينِ يَحيَى بنِ هُبيرةَ، وَلَه فِيهِ مَادئحُ جَيدةٌ. ذَكرَه الخَطيبُ البَغدَادِيُّ فَقَالَ: هُو عَطَّافُ ابنُ مُحَمَّدِ بنِ عَليِّ بنِ أَبِي سَعيدٍ الشَّاعِرُ المَعروفُ بِالمؤَيَّدِ، وُلِدَ بَآلوسَ، قَرية بِقُربِ حَديثَة، وَنَشَأ بِدِجيل، وَدَخلَ بَغدَادَ، وَصَارَ جَاووشًا فِي أَيَّامِ المُسْتَرشِدِ بِالله، وَذَكَرَه العِمادُ الكَاتِبِ فَقَالَ: تَرَفَّعَ قَدرهُ وَأَثرَى حَالُهُ، وَنَفَقَ شِعرُهُ، وَكَانَ لَه قَبولٌ حَسَنٌ، وَاقْتَنَى أَملَاكًا وَعقَارًا وَكَثُر رِيَاشُهُ، ثُمَّ عَثرَ بِهِ الدَّهرُ؛ فَقُبِضَ عَلَيهِ وَسُجِنَ فِي سجن المقتفي، ولم يخرج إِلَّا بعد موت المقتفي، وبعد أن قضى عشر سنوات في السجن، وبعد خروجه ذهب الى الموصل، وتوفِّي فيها سنة (٥٥٧هـ). أخباره كثيرة، وله ترجمة في: تأريخ بغداد ١٥/ ٣٤٧، وتأريخ إربل ٢/ ٥٦، ووفيات الأعيان ٥/ ٣٤٦، وتأريخ الإسلام ١٢/ ١٣٣، وديوان الإسلام ١/ ١٤٦، وترجم باسم عطاف بن محمَّد الآلوسي في تأريخ بغداد ١٧/ ١٨٦، والوافي بالوفيات ٢٠/ ٥٣، والأعلام ٤/ ٢٣٧، ومعجم المؤلِّفين ٦/ ٢٨٥.

المُتَنَبِّي، وَأَفسَدَهُ أَيضًا مِن مُخَالَفَتِهِ لِلقَوَاعِدِ الأَدَبِيَّةِ.

فَإِنْ كَانَ أَخَذَهُ مِن أَبِي سَعِيدٍ فَلَا بَأْسَ قَبلَ ذِكرِ بَيتِ أَبِي سَعِيدٍ أَنْ نَذكرَ كَيفِيَّةَ اسْتِعمَالِهِ لِلأَلفَاظِ العَرَبِيَّةِ عَلَى النَّحوِ الَّذِي ذَكرَ؛ لِيَتَمَهَّدَ المَطلَبُ حَتَّى يَظْهرَ لَكَ صَرِيحًا أَنَّهُ مِنهُ أَخَذَ هَذَا المَعنَى، وَبِأَخذِهِ مِنهُ بِهذِهِ الكَيفِيَّةِ، يَتَّضِحُ كَيفَ يَستَعمِلُ الأَلفَاظَ العَرَبِيَّةَ؛ فَانْظُر إِلَى قَولِهِ: [من الطويل]

وَأَغْـرَى بِـهِ صُبْحَ المُحَيَّا وَقَـدْ غَـدَا لَـهُ شَافِعًا فِي صُبْحِهِ حِـنْدِسُ الجَعْدِ

فَإِنِّي عَلَى حَسَبِ مَا أَرَاهُ مِنهُ، أَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَقولَ:

وَنَـمَّ بِـهِ صُـبـحُ الـمُـحَيَّـا

فَتَخَيَّلَ أَن لَفْظَةَ (أَغرَى) أَعذَبَ مِنهَا وَأَرْشَقَ، وَهُمَا فِي مَعنَى وَاحِدٍ، فَعَدَلَ مِنَ الأُولَى إِلَى الثَّانِيةِ؛ فَقَالَ:

وَأَغْـرَى بِـهِ صُـبْـحَ الْمُـحَيَّـا

وَأَرَادَ أَن يَقولَ عُقَيبَ ذَلِكَ:

وَقَـد غَـدَا لَـهُ سَـاتِـرًا

فَحَسِبَ أَنَّ (شَافِعًا) أَرَقَّ مِن (سَاتِرٍ)، وَهُمَا أَيضًا مَعنَاهُمَا سَوَاءٌ، فَعَدَلَ لِمَا حَسِبَهُ أَرَقَّ فَقَالَ:

لَـهُ شَـافِـعًـا

وَأَرَادَ أَن يَقولَ خَلفَ ذَلِكَ:

فِـي جُـنْـحِـهِ

فَظَنَّ أَنَّ لَفْظَةَ: (صُبْح) أَعْذَبُ وَأَرَقُّ مِن لَفْظَةِ (جُنْحِ)، وَحَسِبهُمَا أَيضًا بِمَعنَى وَاحِدٍ، فَعَدلَ لِمَا هُوَ أَعذَبُ وَأَرَقُّ، فَقَالَ:

فِي صُـبْـحِـهِ حِـنْـدِسُ الجَـعْـدِ

وَلَو أَنَّهُ -سَلَّمَهُ اللهُ- عَدَلَ عَمَّا استَحْسَنَهُ مِن هَذِهِ الأَلفَاظِ الَّتِي ذَكرنَاهَا، وَقَالَ:

وَنَـمَّ بِـهِ صُـبْـحَ الْمُـحَـيَّـا وَقَـدْ غَـدَا لَـهُ سَـاتِـرًا فِي جُنحِهِ حِـنْـدِسُ الجَعْدِ

لَسَلِمَ بَيتُهُ مِن هَذِهِ المَعَايِبِ الشَّنِيعَةِ، وَظَهَرَ مَعنَاهُ، وَعُرِفَ أَنَّهُ أَخَذَهُ مِن أَبِي سَعِيدٍ المَذكورِ، وَذَلِكَ حَيثُ يَقولُ:(١) [من الطويل]

وَيَـا حُسْنَهُ طَيْفًا، وَشَـى نُـورُ وَجْهِهِ بِطَيْفِي؛ فَـغَـطَّـانِي مِـنَ الشَّعر فَـاحِمُهْ

وَإِنْ كَانَ أَخَذَهُ مِن أَبِي الطَّيِّبِ المُتَنَبِّي وَذَلِكَ حَيثُ يَقُولُ:(٢) [من البسيط]

أَزَورُهُـــمْ وَسَـــوَادُ الـلَّـيـلِ يَـشْـفَـعُ لِي وَأَنْـثَـنِـي وَبَـيَـاضُ الـصُّـبْـحِ يُـغْـرِي بِي

فَأَبو الطَّيِّبِ أَتَى بِبَيْتِهِ عَلَى حَسَبِ القَوَاعِدِ الأَدَبِيَّةِ؛ لِأَنَّهُ قَالَ:

أَزَورُهُـــمْ وَسَـــوَادُ الـلَّـيـلِ يَـشْـفَـعُ لِي

أَي يَشفَعُ لِي عِندَ الأَعرَابِ، وَلَم يُرِدْ الشَّفَاعَةَ الحَقِيقِيَّةَ، وَلَكِنَّهُ أَتَى بِهَا عَلَى سَبِيلِ الكِنَايَةِ، وَأَرَادَ: أَنَّ سَوَادَ اللَّيلِ سَرَّهُ عَنِ الأَعرَابِ، وَأَمكَنَهُ مِنَ الوُصُولِ إِلَى أَحبَابِهِ، فَكَأَنَّهُ تَشَفَّعَ بِهِ عِندَهُم؛ فَصَارَ مَأمُونَ السَّاحَةِ لَدَيهِم إِذَا زَارَ أَحبَابَهُ؛ وَقَالَ:

وَأَنْـثَـنِـي وَبَـيَـاضُ الـصُّـبْـحِ يُـغْـرِي بِي

أَي يُهِيجُهُم عَلَيَّ مِنْ حَيْثُ يُظْهِرُنِي لَـهُم بَيَاضُ الصُّبْحِ.

وَقَرَائِنُ لَفْظِ البَيتِ صَرِيحَةٌ عَلَى أَنَّ لَفْظَةَ (يُغْرِي) المُرَادُ مِنهَا هَذَا المَعنَى؛ لِأَنَّ مَاضِيهَا (أَغْرَى)، وَقَد قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿.. **فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ**..﴾(٣)، أَي هَيَّجْنَاهَا، فَعَلَى هَذَا يَكونُ مَعنَى البَيتِ: أَزُورُهُمْ وَسَوَادُ اللَّيلِ يَسْتُرُنِي عَنِ الأَعرَابِ، وَأَنْثَنِي وَبَيَاضُ الصُّبحِ يُظْهِرُنِي لَهُم؛ فَيُهَيِّجُهم عَلَيَّ.

(١) لأبي سعيد المؤيد الآلوسيّ. وفيات الأعيان ٥/ ٣٤٨، ولِابْنِ دِنْدَانٍ الأَمِدِيِّ في تأريخ إربل ١/ ٥٩.

(٢) ديوان المتنبِّي ٤٤٦.

(٣) سورة المائدة/ ١٤.

والسَّيِّدُ -سَلَّمَهُ الله- مَا فَهِمَ مِن هَذِهِ القَوَاعِدِ شَيئًا، إِلَّا أَنَّهُ رَأى أَبَا الطَّيِّبِ فِي عَجُزِ بَيتِهِ نَسَبَ الإِغْرَاءَ لِلصُّبحِ الحَقِيقِيِّ، فَقَالَ فِي نَفْسِهِ:

أَنَا أَسْتَعِيرُ لِـمُحَيَّا السَّاقِي صُبْحًا، وَأَنْسِبُ الإِغرَاءَ لَهُ، وَأَجْعَلُهُ صَدرَ بَيْتِي لِيَخفَى عَلَى الشُّعَرَاءِ، وَنَظَرَ إِلَى صَدرِ بَيتِهِ فَرآهُ يَعْزُو الشَّفَاعَةَ لِسَوَادِ اللَّيلِ الحَقِيقِيِّ فَقَدَّرَ فِي نَفْسِهِ، وَقَالَ:

أَنَا أَسْتَعِيرُ أَيْضًا حِندِسًا لجَعْدِهِ، وَأَعْزُو الشَّفَاعَةَ لَهُ، وَأَجْعَلَهُ عَجُزَ بَيْتِي؛ لِيضيعَ الأَمرُ عَلَى الأُدَبَاءِ؛ فَيَتَخَيَّلونَ أَنَا الَّذِي لِهذَا المَعنَى ابْتَكرْتُهُ، وَبِحُسنِ لَآلِئِ كَلِماتِي نَظَمْتُهُ؛ فَتَكُونَ فَضِيلَةُ أَبِي الطَّيِّبِ فِي هَذَا البَيتِ لِي. وَلَم يَشْعُرْ أَنَّهُ بِعَمَلِهِ هَذَا أَفْسَدَ بَيتَهُ، وَلَم يَكنْ لَهُ مَعنًى البَتَّةَ.

وَقَدْ بَيَّنَاهُ سَابِقًا، فَرَاجِعهُ فَستَرَاهُ قَد انْطَمَسَ -مِن سُوءِ نِظَامِ أَلفَاظِهِ- مَعنَاهُ، وَقَد سَلَكَ العَامِلِيُّ -فِي تَشْطِيرِهِ- هَذَا المَسلَكَ المُسْتَهْجَن، وَغَادَرَ مَعنَى تَشطِيرِهِ أُضْحُوكَةً لِذَوي الفِطَن، وَذَلِكَ إِذْ قَالَ:

١. وَأَغْـرَى بِـهِ صُبْحَ المُحَيَّا وَقَـدْ غَدَا شَبَا لـحْظِهِ أَمْضَى مِنَ الصَّارِمِ الهِنْدِي

٢. بِـهِ رَامَ بَـرْيِـي فَـانْبَـرَيْـتُ مُـقَـدِّمًـا لَـهُ شَافِعًا فِي صُبْحِهِ حِـنْـدسَ الجَعْدِ

فَانْظُرْ إِلَى العَامِلِيِّ كَيفَ اقْتَفَى مِن نِظَامِهِ السَّيِّد هَذَا الأَثَرَ وَبِهَا عَثَرَ بِهِ السَّيِّدُ -سلمه الله- عَثَر، وَذَلِكَ أَنَّهُ فِي النَّظْمِ لَزِمَ طَرِيقَتَهُ، وَشَابَهَت سَلِيقَتَهُ، فَصَارَ كَأَنَّهُ يُفْرِغُ عَنْ لِسَانِهِ فِي كُلِّ مَا تَكَلَّمَ، حتَّى اغْتَدَى جَعدَ السَّاقي شَافِعًا لِصُبحِ مُحَيَّاهُ.

فَالعَامِلِيُّ فِي تَشْطِيرِهِ لِـهَذَا الخَطَأِ مَا تَخَطَّاهُ، وَقَد بَيَّنَا سَابِقًا فَسَادَهُ، وَخَطَّأنَاهُ فِيمَا أَرَادَهُ، وَسَأُزِيدُكَ فِيهِ بَيَانًا، وَأُقِيمُ عَلَى مَا أَدَّعِيهِ مِنْ فَسَادِهِ بُرْهَانًا، وَإِنْ كَانَ فِيمَا بَيَّنَاهُ سَابِقًا هِي بِأَنوَارِ أَدِلَّتِهَا لِذَوي الفَهْمِ لَامِعَة.

اعْلَمْ وَفَّقَكَ اللهُ، أَنَّ مَحَاسِنَ الحَبِيبِ كُلَّهَا يَجدُهَا المُحِبُّ بَلَاءَهُ، وَمَا لَهُ مِن سَقَامِهَا

طِبٌّ إِلَّا وَصْلَ مَن بِهَا تَفَرَّد؛ وَلِذَا يَرَى المُحِبُّ لَحْظَ حَبِيبِهِ سَهْمًا فِي حَشَاهُ، أَو حُسَامًا مُهَنَّدًا، وَقَدَّهُ صَعْدَةَ خَطَّارٍ، وَحُمْرَةَ خَدَّيهِ بِفُؤَادِهِ كَأَنَّهَا شُعْلَةُ نَارٍ، بَلْ كُلُّ جَارِحَةٍ مِنهُ يَصِفُهَا عَلَى حَسَبِ مَا يَجِدُهَا مِن هَذِهِ الأَوْصَافِ الَّتِي بِهَا تَعظمُ البَلِيَّة، وَتُورِدُهُ مَوَارِدَ المَنِيَّة.

فَإِذَا كَانَت كُلَّهَا عَينَ بَلَائِهِ فَلَا يَكونُ بَعضُهَا عِندَ بَعضٍ مِن شُفَعَائِهِ، إِلَّا أَنْ يَحتَالَ لَهُ بِشَيءٍ مِنْ مُقْتَضَيَاتِ الشَّفَاعَةِ.

فالعاملي وَإِنِ اسْتَدْرَكَ مَا لَم يَسْتَدركْهُ السَّيِّدُ مِنْ مُقْتَضَيَاتِ الشَّفَاعَةِ، وَهوَ قَولُهُ: بِهِ رَامَ بَرْيي فَانْبَرَيْتُ مُقَدِّمًا، أَيْ رَامَ بَرْيَهُ بِشَبَا لحْظِهِ؛ فَصَارَ ذَا خَطَرٍ، وَصَاحِبُ الخَوفِ مُفْتَقِرٌ لِشَافِعٍ يَشْفَعُ لَهُ عِندَ مَن يَخافُ مِنهُ، إِلَّا أَنَّهُ قَدَّمَ شَافِعًا فِي مَقَامٍ لَا يَصلَحُ فِيهِ أَنْ يَكونَ شَافِعًا.

وَهَذَا ظَاهِرٌ يُعرَفُ بَدِيهًا مِن قَولِهِ:

فَانْبَرَيْتُ مُقَدِّمًا لَهُ شَافِعًا فِي صُبْحِهِ حِنْدسَ الجَعْدِ

إِذْ جُهِلَتْ ثَمَرَةُ هَذَا التَّقدِيمِ.

وَمَا يَدري مَا أَرَادَ بِتَقدِيمِ (حِندسِ الجَعدِ شَافِعًا فِي صُبْحِهِ؟!).

إِنَّهُ حَسبَهُ شَافِعًا حَقِيقِيًّا، وَأَرَادَ قُربَهُ مِن شَبَا لحْظِهِ؛ حَتَّى أَنَّهُ يُخَاطِبُهُ وَيَسْتَعْطِفُهُ فَيَسمَعَ خِطَابَهُ وَاسْتِعْطَافَهُ؛ حَتَّى يَرُقَّ لَهُ كَي لَا يَبْرِيهِ.

وَأَرَادَ أَنْ يَجعَلَهُ تُرْسًا فَيَتَّقِي بِهِ مِن شَبَا لحْظِهِ، فَكُلٌّ مِن هَذينِ الأَمْرَينِ إِنْ قَصَدَهُ فَهوَ مَسْخَرَة، عَلَى أَنَّكَ إِذَا أَمْعَنْتَ النَّظَرَ فِيهِ لَمْ تَجِدْ أَسْخَرَ مِنهُ؛ لِأَنَّهُ حُكْمُ دَلَالَةِ اللَّفْظِ فِي صَدرِ البَيتِ فِي قَولِهِ:

بِهِ رَامَ بَرْيي فَانْبَرَيْتُ مُقَدِّمًا لَهُ شَافِعًا .....

إِنَّ الشَّافِعَ يَشفَعُ لَهْ كَي لَا يَبريهِ فِي شَبَا لَحظِهِ، وَهَذَا ظَاهِرٌ جِدًّا، وَمَعَ هَذَا الظُّهُورِ أَهمَلَ هَذِهِ الدَّلَالَةَ، وَتَصَدَّى لِغَيرِهَا فِي العُجْزِ بِقَولِهِ:

شَافِعًا فِي صُبْحِهِ حِنْدسَ الجَعْدِ

فَأَظهَرَ فِيهِ أَنَّ الشَّافِعَ يَشفَعُ فِي صُبْحِهِ، عَلَى أَنَّهُ مَعَ هَذَا التَّنَحُّرِالفَاحِشِ غَيَّرَ بِتَشْطِيرِهِ إِعْرَابَ عَجُزِ بَيتِ السَّيِّدِ؛ لِأَنَّ السَّيِّدَ جَعَلَ (حِندسَ الجَعْدِ) فَاعِلَ (غَدَا)، وَهوَ جَعَلَهُ مَفْعُولًا لِـ(مَقْدَم)، وَأَنْتَ تَعلَمُ أَنَّ الَّذِي يَتَصَدَّى لِـمُفَاخَرَةِ الشُّعَرَاءِ فِي تَشطِيرِهِ لِأَشعَارِهَا لَمْ يُظْهِرِ العَجْزَ فِي تَغْيِيرِهِ لِإِعرَابِ شِعرِهَا، وَإِنَّمَا يُظْهِرُ قُدْرَتِهِ وَاسْتِطَالَتِهِ عَلَيهِ بَل عَلَى كُلِّ عَويصٍ فِي الشِّعْرِ، وَدَعْ عَنكَ مَعَايِبَ هَذَا البَيتِ، وَأَعِدْ نَظَرَكَ إِلَى مَا قَالَهُ خَلفَه بِلَا فَصلٍ، فَستَعْجَبُ مِن كَثرَةِ مَا نُوردُ لَكَ مِن مَعَايِبِ نَظمِهِ مَعَ أَنَّا اقْتَصَرنَا عَلَى ذِكرِ المَعَايِبِ المُسْتَهْجَنةِ، وَمِن ذَلِكَ مَا قَالَهُ خَلفَهُ بِلَا فَصلٍ وَهوَ:

وَمَـاجَ بِـنَـارِ الـخَـدِّ مَـاءُ جَـمَالِـهِ فَلَمْ يَحتَرِقْ فِي خَـدِّهِ الخَالُ بِالوَقْدِ

أَقُولُ: قَولُهُ:

وَمَـاجَ بِـنَـارِ الـخَـدِّ مَـاءُ جَـمَالِـهِ

حَسَنٌ جِدًّا؛ لِأَنَّهُ اسْتَعَارَ لِـجَمَالِ خَدِّهِ (مَاءً)، وَأَرَادَ بِهِ رَيَّهُ مِنَ الشَّبِيبَةِ، وَاسْتَعَارَ أَيضًا لِـخَدِّهِ (نَارًا)، وَأَرَادَ بِهَا الحُمْرَةَ الَّتِي تَبدو عَلَى بَشَرَتِهِ، فَحَسُنَتْ اسْتِعَارَةُ المَاءِ وَالنَّارِ لَهُ مِنْ حَيثُ إِنَّهُ لَاحَظَ فِيهِمَا هَذِهِ المُلَاحَظَةَ، فَجَمَعَ بَينَ شَيئَينِ مُتَضَادَّينِ فِي خَدِّهِ، وَهُمَا المَاءُ وَالنَّارُ، إِلَّا أَنَّهُ جَعَلَ فِي عَجُزِ بَيتِهِ قَرِينَةً ظَاهِرةً تَدُلُّ عَلَى انْطِفَاءِ نَارِ خَدِّهِ؛ لِأَنَّهُ حَكَّمَ فِي صَدرِ بَيتِهِ سَبَبًا قَويًّا لِانْطِفَائِهَا وَأَخْفَاهُ، وَهوَ قَولُهُ:

وَمَـاجَ بِـنَـارِ الـخَـدِّ مَـاءُ جَـمَالِـهِ

ثُمَّ أَظْهَرَهُ بِقَولِهِ: (فَلَمْ يَحتَرِقْ)؛ لِأَنَّهُ بِقَولِهِ: (لَمْ يَحْتَرِقْ) قَرِينَةٌ ظَاهِرَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَـمَّا مَاجَ مَاءُ الجَمَالِ بِنَارِ خَدِّهِ أَطفَأَهَا فَلَمْ يَحتَرِقِ الخَالُ، فَظَهَرَ عَدَمُ احْتِرَاقِهِ مِن انْطِفَائِهَا،

وَبِانْطِفَائِهَا لَا يَنْبَغِي لَهُ بَعدَ ذَلِكَ أَنْ يَقولَ: (لَمْ يَحترِقِ الخَالُ بِالوَقْدِ)؛ لِأَنَّهُ لَا وَقْدَ لِلنَّارِ هُنَاكَ مِنْ حَيثُ إِنَّهَا انْطَفَتْ، فَتَلَخَّصَ بِانْطِفَائِهَا أَنَّ الحُمْرَةَ الَّتِي كَانَتْ فِي خَدِّهِ ذَهَبَت وَذَلِكَ مِن حَيثُ إِنَّهُ كَنَّى بِالنَّارِ عَنهَا، فَهوَ بِوَصْفِهِ هَذَا لِلْخَدِّ هَجَّنَ بِهِ مِن حَيثُ لَمْ يَشْعُرْ.

وَبِحَسَبِ مَا اتَفَرَّسُ أَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَأخُذَ مَعنَى بَيتِهِ هَذَا مِنَ الحَاجِرِيِّ[1]، وَذَلِكَ حَيثُ قَالَ: [2] [من الطويل]

عَجِبْتُ لِخَالٍ يَعْبُدُ النَّارَ دَائِمًا بِخَدِّكَ لَمْ يُحْرَقْ بِهَا وَهوَ كَافِرُ

فَوَقَعَ فِيمَا وَقَعَ فِيهِ، إِذ لَمْ يَتَدَبَّرْ مَا أَوْدَعَ الحَاجِرِيُّ فِي بَيتِهِ؛ لِأَنَّهُ لَاحَظَ فِيهِ مُلَاحَظَاتٍ عَجِيبَةً، وَهِيَ أَنَّهُ:

لَمَّا اسْتَعَارَ لِلْخَدِّ نَارًا، وَرَأَى مِن طَبْعِهَا أَنْ تَحرقَ كُلَّ مَا أُلْقِيَ فِيهَا وَأَرَادَ أَنَّ الخَالَ لَمَ يَحتَرِقَ فِيهَا مَعَ مَا جَعَلَ لَهُ فِي بَيتِهِ مِنَ اللَّوَازِمِ المُوجِبَةِ لِلاحْتِرَاقِ بِهَا وَمَعَ فِقدَانِهِ الأَسبَابَ المَانِعَةَ مِنَ الاحْتِرَاقِ فَلَمَّا استَعَارَهَا بِهذِهِ الكَيفِيَّةِ أَظْهَرَ التَّعَجُّبَ لَعَدَمِ احْتِرَاقِهِ بِهَا فَقَالَ: عَجِبْتُ لِخَالٍ.

فَالخَالُ لَهُ مَعَانٍ كَثِيرَةٌ مِنهَا: مَا قَصَدَهُ وَهِيَ الشَّامَةُ الَّتِي تَكونُ فِي الخَدِّ.

وَمِنهَا المُتَكَبِّرُ، وَفِي الشَّامَةِ شَبهٌ مِنَ المُتَكَبِّرِ؛ لِأَنَّ مِن شَأنِهِ الرِّفْعَةَ وَالعَظَمَةَ، وَهِيَ شَابَهَتهُ لِارتِفَاعِهَا فَوقَ الخَدِّ، وَلَاحَظَ بِتَنكِيرِهِ إِيهَامَ السَّامِعِ أَنَّهُ أَرَادَ المُتَكَبِّرَ، وَإِنْ هُوَ أَرَادَ الشَّامَةَ الَّتِي تَكونُ فِي الخَدِّ لِتَعْظِيمِ الأَمْرِ حَتَّى أَنَّهُ يُحْسِنُ تَعَجُّبَهُ لِعَدَمِ احْتِرَاقِهِ؛ لِأَنَّ المُتَكَبِّرَ لِتَكَبُّرِهِ يَسْتَحِقُّ الإِحرَاقَ، وَزَادَ الإِيهَامَ أَيضًا بِقَولِهِ يَعبدُ النَّارَ دَائِمًا، وهو يُرِيدُ مُصَاحَبَةَ الخَالِ لِحُمْرَةِ الخَدِّ وَلَبثِهِ فِيهَا دَائِمًا، وَإِنَّمَا فَعَلَ ذَلِكَ؛ لِيَشتَدَّ إِيهَامُهُ أَنَّهُ تَعَجَّبَ مِن مُتَكَبِّرٍ يَعبُدُ النَّارَ دَائِمًا، ثُمَّ لَمَّا حَكَّمَ هَذِهِ الصِّفَاتِ فِي الخَالِ خَافَ أَنْ يَكونَ انْصِرَافُهَا إِلَيهِ

(١) مرَّت ترجمة الحاجريّ.

(٢) ديوان الحاجريّ ٥٧.

حَقِيقةً، فَقَالَ: (بِخَدِّكَ)؛ لِيَنْقُلَهَا مِنَ الحَقِيقَةِ إِلَى المَجَازِ، لِيَعلَمَ أَنَّهُ أَرَادَ بِالخَالِ الشَّامةَ، وَبِعِبَادَةِ النَّارِ دَائِمًا مُصَاحَبَتَهَا لِحُمْرَةِ الخَدِّ، ثُمَّ لَمَّا تَكَشَّفَ المَعنَى خَافَ أَنْ تَذهَبَ بَلَاغَتُهُ فَاسْتَدركَهَا بِقَولِهِ: لَمْ يُحْرَقْ بِهَا وَهوَ كَافِرٌ؛ لِأَنَّ الكُفرَ فِي اللُّغَةِ: التَّغْطِيَةُ، وَكُلُّ شَيءٍ غَطَّى شَيئًا فَقَدْ كَفَرَهُ. قَالَ ابنُ السِّكِّيت[1]: وَمِنهُ سُمِّيَ الكَافِرُ؛ لِأَنَّهُ يَسْتُرُ نِعَمَ الله عَلَيهِ[2]، فَأَوهَمَ بِقَولِهِ: (وَهَوَ كَافِرٌ) أَنَّهُ أَرَادَ الكَافِرَ الَّذِي يَسْتُرُ نِعَمَ الله؛ لِئَلَّا تَذهَبُ بَلَاغَةُ بَيْتِهِ، وَهوَ يُرِيدُ الحَالَ؛ لِكَونِهِ سَتَرَ بِسَوَادِهِ مَا كَانَ تَحتَهُ مِن بَيَاضِ الخَدِّ، وَهَذِه الكِنَايَاتُ وَالنُّكَتُ الظَّرِيفَةُ مَعَ ظُهُورِهَا خَفِيَت عَلَى السَّيِّدِ -سَلَّمَهُ اللهُ- وَلَمْ يَنْتَبِهْ إِلَّا لِذِكرِ النَّارِ وَالخَالِ فَقَط، فَقَدَّرَ فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ يَزِيدُهُمَا فَيَسْتَعِيرُ مَاءً لِلجَمَالِ وَيُنَظِّمُهُ بِتِلْكَ الكَيفِيَّةِ الَّتِي ذَكَرَهَا حَتَّى أَنَّهُ يَكونُ مِنه بِهَذَا المَعنَى أَحَقَّ، وَلَمْ يَشعُر أَنَّها نَزَلَت -مِنَ المَعَايبِ- الطَّامَّةُ الكُبرَى عَلَى مَعنَى بَيتِهِ مِن هَذِهِ الزِّيَادَةِ، وَلَو أَنَّهُ -سَلَّمَهُ اللهُ- فَهِمَ مَا أَرَادَ الحَاجِرِيُّ فِي قَولِهِ: (لَمْ يُحْرَقْ بِهَا)، وَكَيفَ حَكَّمَ عَدَمَ الإحرَاقِ لَمَّا تَوَرَّطَ هَذِهِ الوُرطَةَ؛ لِأَنَّ الخَالَ لِسَوَادِهِ بِحَسَبِ القَوَاعِدِ الأَدَبِيَّةِ يَنْبَغِي أَنْ يَلحَظَ فِيهِ الإحرَاقَ وَعَدَمَ الاحرَاقِ لَمْ يَلقْ بِهِ، وَالحَاجِرِيُّ مِن هَذِهِ الحَيثِيَّةِ احْتَالَ لَهُ وَكَنَّى بِتِلكَ الكِنَايَاتِ العَجِيبَةِ الَّتِي تُلزِمُهُ الإحرَاقَ

(١) ابن السِّكِّيت: يَعقُوبُ بنُ إِسحَاقَ، أَبو يُوسُفَ: إِمَامٌ فِي اللُّغَةِ وَالأَدَبِ. أَصلُهُ مِن خُوزِستَانَ (بَينَ البَصرَةِ وَفَارس)، تَعلَّمَ فِي بَغدادَ، وَاتَّصَلَ بِالمُتَوَكِّلِ العَبَّاسِيِّ، فَعَهِدَ إِلَيهِ بِتَأدِيبِ أَولَادِهِ، وَجَعلَه فِي عَدادِ نُدَمَائِهِ، ثُمَّ قَتَلَهُ، قِيلَ: سَأَلَهُ: أَيُّهما أَحَبُّ إِلَيهِ وَلَدَاهُ المُعتَزُّ وَالمُؤَيَّدُ أَم الحَسَنِ وَالحُسَينِ؟ فَقَالَ ابنُ السِّكِّيتِ: وَالله إِنَّ قَنبرًا خَادِمَ عَلِيٍّ خَيْرٌ مِنكَ وَمِن ابْنَيكَ! فَأَمَرَ الأَتْرَاكَ فَدَاسُوا بَطنَهُ، أَو سَلُّوا لِسَانَهُ، وَحُمِلَ إِلَى دَارِهِ فَماتَ، وذلك سنة (٢٤٤هـ/ ٨٥٨م). مِنْ كُتُبِهِ: (إصلاح المنطق)، قال المبرَّد: ما رأيت للبغداديِّين كتابًا أحسن منه، و(الألفاظ)، و(الأضداد)، وغيرها كثير. له ترجمة في: تأريخ بغداد ١٤/ ٢٧٤، وتأرخ دمشق ٧٤/ ١٥١، ونزهة الألباء ١٣٨، ومعجم الأدباء ٦/ ٢٨٤٠، إنباه الرواة ٤/ ٦٢، ووفيات الأعيان ٦/ ٣٩٥، ومختصر تأريخ دمشق ٢٨/ ٣٩، وتأريخ الإسلام ٥/ ١٢٨٩، وسير أعلام النُّبلاء ١٢/ ١٦، والأعلام ٨/ ١٩٥، ومعجم المؤلِّفين ١٣/ ٢٤٣.

(٢) الصِّحاح ٢/ ٨٠٨.

وَتَحَسَّنَ العَجَبُ مِن عَدَمِ إِحْرَاقِهِ، وَلَقَد أَبْدَعَ فِي ذَلِكَ، حَيثُ كَنَّى عَنِ الخَالِ بِمُتَكَبِّرٍ، وَعَنْ صُحْبَتِهِ لِحُمْرَةِ الخَدِّ بِعِبَادَةِ النَّارِ، وَعَمَّا سَتَرَ تَحتَهُ مِن بَشَرَةِ الخَدِّ بِالكَافِرِ الَّذِي يَستُرُ نِعَمَ الله، فَإِظهَارُهُ لَهُ بِهَيئَةِ مُتَكَبِّرٍ يَعبُدُ النَّارَ دَائِمًا يَسُوقُ العَجَبَ لِلمَرءِ إِذَا رَآهُ لَم يَحْتَرِقْ بِالنَّارِ مَعَ هَذِهِ اللَّوَازِمِ المُوجِبَةِ للإِحرَاقِ، وَلِذَا قَالَ: عَجِبتُ لِخَالٍ صِفَتُهُ كَيتٌ وَكَيت لَمْ يُحرَق، فَقَولُهُ: لَمْ يُحرَقْ، لَمْ يَلحَظْ بِهِ الإِحرَاقَ المَعروفَ، وَهوَ أَنَّهُ لَمْ يَتَغَيَّر لَونُهُ وَلَم يَسْوَدّ مِن أُوَارِ النَّارِ، وَلَكِنْ أَرَادَ هَلَاكَهُ بِحَيثُ لَمْ يَبْقَ لَهُ أَثَرٌ؛ لِأَنَّ الإِحرَاقَ فِي اللُّغَةِ الهَلَاك[1]، كَذَا ذَكَرَهُ ابنُ الأَثِيرِ[2] فِي (النِّهَايَةِ). فَعَلَى هَذَا يَكونُ مَعنَى قَولِهِ:

عَجِبْتُ لِخَالٍ يَعْبُدُ النَّارَ دَائِمًا

أَي يَصحَبُ النَّارَ دَائِمًا، وَقَولُهُ:

بِخَدِّكَ لَم يُحْرَقْ بِهَا

أَي لَم يَهلَك بِهَا مِن حَيثُ أَنَّهُ تَوَسَّطَهَا وَاستَدَارَت عَلَيهِ.

وقوله: وَهَوَ كَافِرٌ.

أَي سَاتِرٌ مِنهَا مَا كَانَ تَحتَهُ، فَيَنبَغِي بِاسْتِيلَائِهَا هَذَا عَلَيهِ أَنْ يَهلَكَ بِهَا بِحَيثُ لَم يَبقَ لَهُ أَثَرٌ، فَهوَ يَعجَبُ مِن بَقَائِهِ بِهَا، وَهوَ عَلَى هَذِهِ الكَيْفِيَّةِ، وَالصِّفَةِ.

---

(١) الإِحْرَاق: الإِهْلَاكُ، وَهُوَ مِنْ إِحْرَاق النَّارِ. (النهاية ١/ ٣٧١).

(٢) ابن الأَثِير: المُبَارَكُ بنُ مُحمَّد بنِ مُحمَّد بنِ مُحمَّدِ بنِ عَبْدِ الكَرِيمِ الشَّيبَانيُّ الجَزريُّ، أَبو السَّعَادَاتِ، مَجدُ الدِّينِ: المُحَدِّثُ اللُّغَويُّ الأُصُوليُّ. وُلِدَ وَنَشَأَ فِي جَزيرةِ ابنِ عُمَر، وَانْتَقَلَ إِلَى المُوصِلِ، فَاتَّصَلَ بِصَاحِبِهَا، فَكانَ مِن أَخصَّائِهِ. توفِّي في إحدى قرى الموصل سنة (٦٠٦هـ/ ١٢١٠م)، من تصانيفه: (النهاية في غريب الحديث)، و(جامع الأصول في أحاديث الرسول)، وغيرها. له ترجمة في: تأريخ الإسلام ١٣/ ١٤٦، وسير أعلام النُّبلاء ٢١/ ٤٨٨، وطبقات الشافعيَّة الكبرى ٨/ ٣٦٦، وطبقات الشافعيِّين ٧٧٧، وطبقات الشافعيَّة لابن شهبة ٢/ ٦٠، وبغية الوعاة ٢/ ٢٧٤، وطبقات المفسِّرين للأنويّ ٢١٢، والأعلام ٥/ ٢٧٢، ومعجم المؤلِّفين ٨/ ١٧٤.

وَلله دَرُّ الحَاجِريِّ عَلَى نَبَاهَةِ فِطْنَتِهِ وَغَوصِ فِكرَتِهِ وَحُسنِ تَصَرُّفِهِ وَإِبْدَاعِ وَصفِهِ، فَلَقَد بَرَعَ فِيمَا أَودَعَ فِي وَصْفِهِ لِلْخَالِ مِن هَذِهِ النُّكَتِ العَجِيبَةِ اللَّطِيفَةِ وَالكِنَايَاتِ الظَّرِيفَةِ مَا حَسُنَ تَعَجُّبُهُ مِن عَدَمِ إِحْرَاقِهِ بِنَارِ الخَدِّ، مَعَ أَنَّ فِي إِحْرَاقِهِ سَوادَه يَشهَدُ.

وَقَد نَظَمَ الشُّعَرَاءُ فِي إِحْرَاقِهِ مَعَانيَ دَقِيقَةً فِي أَلفَاظٍ رَقِيقَةٍ تَسْتَوقِفُ أَسْمَاعَ البُلَغَاءِ وَتُبْهِرُ عُقُولَ الفُضَلَاءِ، وَمِن ذَلِكَ مَا يُنسَبُ لِابنَةِ البَاعُونِي: [من البسيط]

١. كَأَنَّمَا الخَالُ تَحتَ القُرْطِ فِي عُنُقٍ ... بَدَا لَنَا مِنْ مُحَيَّا جَلَّ مَنْ خَلَقَا

٢. نَجْمٌ بَدا فِي عَمُودِ الصُّبْحِ مُسْتَتِرًا ... تَحْتَ الثُّرَيَّا قَرِيبَ القُرْصِ فَاحْتَرَقَا

وَلِلعِمَادِ المَحَلِّي فِي الخَالِ وَالعِذَارِ:[1] [من الخفيف]

٣. قِيلَ لِي: مَنْ هَوَيْتَ قَدْ عَبَثَ الشَّعـ ... ـرُ بِخَدَّيْهِ، قُلتُ: مَا ذَاكَ عَارُهْ

٤. جَمْرَةُ الخَدِّ أَحْرَقَتْ عَنْبَرَ الخَا ... لِ فَمِنْ ذَلِكَ الدُّخَانِ عِذَارُهْ

وَقَالَ ابنُ حَمديس الصِّقِلِّيّ[2] فِي إِحْرَاقِ الخَالِ وَأَجَادَ:[3] [الكامل]

١. يَا سَالِبًا قَمَرَ السَّمَاءِ بِجَمَالَهُ ... أَلبَسْتَنِي لِلْحُزْنِ ثَوْبَ سَمَائِهِ[4]

(١) البيتان لعماد الدين حسام بن غزي المَحَلِّيّ في: بغية الطلب ٥/ ٢٢٢٨، ووفيات الأعيان ٦/ ٢٥١.

(٢) ابن حَمْدِيس: عَبدُ الجَبَّارِ بنُ أَبِي بَكرِ بنِ مُحمَّد بنِ حَمديسِ الأَزدِيُّ الصَّقِلِّيُّ، أَبو مُحمَّدٍ: شَاعِرٌ مُبدِعٌ. وُلِدَ وَنشَأَ وَتَلَقَّى تَعلِيمَه فِي جَزيرةِ صَقلِّية، وَرَحَل إِلى الأَندلُسِ سَنةَ (٤٧١هـ) فَمَدحَ المُعتَمدَ بنَ عَبَّادٍ، فَأَجزلَ لَهُ العَطَاءَ، ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى إِفْرِيقيَّة سَنةَ (٤٨٤هـ)، فَمَدَحَ صَاحِبَهَا يَحيَى بنَ تَميمٍ الصَّنهَاجِيَّ، ثُمَّ ابنَهُ عَلِيًّا فَابنَهُ الحَسَنَ، سَنةَ (٥١٦هـ)، وَتُوُفِّيَ فِي جَزيرَةِ مَيورقة سنة (٥٢٧هـ/ ١١٣٣م) عن نحو ٨٠ عامًا، وقد فقد بصره، له (ديوان شعر)، وله ترجمة في: الذخيرة ٧/ ٣٢٠، ووفيات الأعيان ٣/ ٢١٢، وتأريخ الإسلام ١١/ ٢٥٤، والوافي بالوفيات ١٨/ ٢٥، والأعلام ٣/ ٢٧٤.

(٣) ديوان ابن حمديس ٣٣٧.

(٤) في (الأصل): (في الحزن) في موضع (للحزن).

٢.أَ ضْرَمْتَ قَلْبِي فَارْتَمَى بِشَرَارَةٍ وَقَعَتْ بِخَدِّكَ فَانْطَفَتْ مِنْ مَائِهِ[١]

وَقَالَ الأَرَّجَانِيُّ فِي سَوَادِ الخَالِ، وَقَد أَبدَعَ غَايَةَ الإِبدَاعِ:[٢] [من الوافر]

١.وَأَغْيَدَ رَقَّ مَاءُ الوَجْهِ مِنْهُ فَلَوْ أَرْخَى لِثَامًا عَنْهُ سَالَا[٣]

٢.تُبِينُ سَوَادَهَا الأَبصَارُ فِيهِ فَحَيْثُ لَحَظْتَ مِنهُ حَسِبْتَ خَالَا

وَفِي مَعنَاهُ لِمَكِّي بنِ خَالِدٍ، أَبو الحَرَمِ المِصْرِيُّ الكَاتِبُ المُجَوِّدُ، المُلَقَّبُ بـ(فَخْر الكُتَّابِ):[٤] [من الكامل]

وَكَأَنَّ أَسْوَدَ نَاظِرِي فِي خَدِّهِ لَمَّا نَظَرْتُ لَهُ تَمَثَّلَ خَالَا

وَقَالَ الآخَرُ: [من الخفيف]

١.لَا تَقُولَنَّ خَالُهُ نَقْطُ مِسْكٍ زَادَ فِي الوَجْهِ بَهجَةً وَجَمَالَا

٢.ذَاكَ مَاءٌ بِوَجْهِهِ رَقَّ حَتَّى صَارَ إِنسَانُ عَينِ رَائِيهِ خَالَا

هَذَا لَعَمْرِي هُوَ الشِّعرُ الَّذِي يُقَامُ لَهُ وَيُقْعَد، وَبَينَ الأَلِبَّاءِ يُنْشَد، وَالشُّعَرَاءُ فِي كُلِّ مَا وَرَدَ فِي الشِّعرِ مِنَ المَعَانِي تَسَابَقوا كَمُسَابَقَتِهِم هَذِهِ فِي الخَالِ، وَكُلٌّ مِن فُحُولِهِم فِي ذَلِكَ أَبدَعَ غَايَةَ الإِبدَاعِ فِيمَا قَالَ، فَبَلَغَ مِنَ الفَصَاحَةِ غَايَتَهَا، وَمِنَ البَلَاغَةِ نِهَايَتَهَا، وَيَنْبَغِي لِلَّذِي يَسْلُكُ سُبُلَهُم هَكَذَا أَلفَاظُ شِعرِهِ تَكون، كَأَنَّهَا فِي نِظَامِهَا لُؤْلُؤٌ مَكنُون، وَهَكَذَا تَكونُ مَعَانِيهِ، مِن حُسْنِهَا تَسلِبُ لُبَّ ذَوي الأَلْبَابِ، وَتَعْجَبُ مِنهُ الظُّرَفَاءُ غَايَةَ

(١) في (الأصل): (أَشْعَلْتَ) في موضع (أَ ضْرَمْتَ)، و(علقت) في موضع (وقعت).

(٢) ديوان الأَرَّجانيّ ٣/ ١٠٦٥-١٠٦٦.

(٣) في (الأصل): (منه) في موضع (عنه).

(٤) في (الأصل): (لأبي الحَسَنِ عَلِيٍّ بنِ أَحمَدَ الدِّيبَاجِيِّ المِصريِّ) في موضع (لِمَكِّي بنِ خَالِدٍ، أَبو الحَرَمِ المِصْرِيُّ الكَاتِبُ المُجَوِّدُ).

- أَبُو الْحرَم الْمِصْرِيُّ الْكَاتِب الْمُجَوِّدُ الْمُلَقَّبُ بـ(فَخر الْكُتَّاب)، جَوَّدَ النَّاسُ عَلَيْهِ بِمصْرَ كَثِيرًا وَكَانَ مَليحَ الْخطِّ جَيِّدَ التَّوْقِيفِ طَالَ عُمرُهُ وَحَدَّثَ بِشَيْءٍ مِن شِعرِهِ وَعَاشَ سَبْعَةً وَثَمَانِينَ سَنَةً، وَتُوفِّي سَنَةَ تِسعٍ وَعِشْرِينَ وَسِتمِئَةٍ. ينظر: الوافي بالوفيات ٢٦/ ٣١، وتأريخ الإسلام ١٣/ ٩١١.

الإعْجَاب، وَيَكونُ هَكَذَا نَظمُهُ مِن إِحْكَامِهِ فِي مَعْقِلٍ لَا يَبلُغُ إِلَيهِ مِنَ الطَّاعِنِ نَوَافِذُ سِهَامِهِ، لَا كَالسَّيِّدِ -سَلَّمَهُ اللهُ- يَهمِلُ مِنْ شِعرِهِ أَلفَاظَهُ وَمَعنَاهُ، وَيَجعَلَهُ فِي إِهْمَالِهِمَا جَامِعًا لِأَشْتَاتِ مَعَايِبِ الأَشْعَارِ، وَيُصَيِّرُهُ غَرَضًا لِأَسهُمِ ذَوِي الأَنظَارِ، بِحَيْثُ أَيْنَمَا سَدَّدَ الرَّامِي سَهْمَهُ أَصَاب، وَإِنْ فَتَّشَ الحَاذِقُ فِي كَثْرَةِ خَطَأِهِ الشَّنِيعِ لَمْ يَكَدْ يَعْثُرُ مِنهُ بِصَوَاب، وَأَينَ الصَّوَابُ وَهَا أَنَا عَلَى مَا تَرَى مِن بَرَاعَةِ المَطلَعِ فِيمَا أَمْسَيْتُ مِن مَعَايِبِ شِعرِهِ، وَمَعَايِبِ تَشْطِيرِهِ إِلَى هَذَا البَيتِ مَا عَثرتُ بِصَوَابٍ فِي كَلَامِهِ وَلَا بِتَشْطِيرِ العَامِلِيِّ لِنِظَامِه.

وَهَذَا العَامِلِيُّ بِتَشْطِيرِهِ لِهَذَا البَيتِ جَرَى عَلَى عَادَتِهِ المُسْتَمِرَّةِ، وَعَثَرَ مِنْ عَدَمِ تَنَبُّهِهِ أَسوَءَ عَثرَةٍ، فَقَالَ:

وَمَـــاجَ بِـنَـارِ الخَـدِّ مَـاءُ جَمَـالِـهِ وَلَمْ أَرَ مَـاءً مَـاجَ بِـالـنَّـارِ فِي خَـدِّ

أَقُـولُ لَـوْ كَـانَ يَتَعَقَّلُ مَا فِي صَـدرِ هَـذَا البَيتِ لَـمَحَى مِـن تَشْطِيرِهِ أَثَـرَه، وَمَا ذَكَرَه، وَلَكِنَّهُ -عَفَا اللهُ عَنهُ- يَنْطِقُ لِسَانُهُ بِمَا لَا يَتَعَقَّلُهُ جَنَانُه، وَإِلَّا كَيفَ يَرَى السَّيِّدَ يَقولُ:

وَمَـــاجَ بِـنَـارِ الخَـدِّ مَـاءُ جَمَـالِـهِ

فَيُكَذِّبُهُ وَيَقولُ:

وَلَمْ أَرَ مَـاءً مَـاجَ بِـالـنَّـارِ فِي خَـدِّ

فَيُسَلِّطُ النَّفيَ عَلَى المَاءِ بِقَولِهِ: وَلَمْ أَرَ مَاءً إِلَى آخِرِه.

فَيُفْسِدَ مَعنَاهُ بِنَفْيِ المَاء.

وَكَانَ حَقُّهُ بَعدَ قَولِهِ:

وَمَـــاجَ بِـنَـارِ الخَـدِّ مَـاءُ جَمَـالِـهِ

أَنْ يَقُولَ:

وَلَمْ أَرَ مَـاءً قبلـه مَـاجَ فِي نَـارِ

لِيُسَلِّطَ النَّفْيَ عَلَى المَاءِ الحَقِيقِيِّ، لِيَحْسُنَ مَعنَاهُ وَيَعْظُم، وَهَذَا نَوعٌ مِنْ أَنوَاعِ الاسْتِعَارَةِ حَسَنٌ جِدًّا، تَسْتَعْمِلُهُ فُحُولُ الشُّعَرَاءِ لِتَعْظِيمِ مَا يَقْصُدُونَهُ فِي نِظَامِهِم، فَحَاوَلَهُ العامليّ -عَفَى اللهُ عَنهُ- فَمَا تَأَتَّى لَهُ وَحَسِبَ أَنَّهُ أَتَى بِهِ وَتَنَاوَلَهُ فِي نَظْمِهِ.

وَأَيْنَ الثُّرَيَّا مِن يَدِ المُتَنَاوِلِ[1]

وَهَذَا النَّوعُ لَهُ أَحْوَالٌ مِنهَا مَا يَكونُ كَبَيتِ السَّيِّدِ عَلَى مَا صَحَّحْنَاهُ، وَهوَ: [من الطويل]

وَمَاجَ بِنَارِ الخَدِّ مَاءُ جَمَالِهِ وَلَمْ أَرَ مَاءً قَبْلَهُ مَاجَ فِي نَارِ

فَإِنَّهُ اسْتَعَارَ فِي صَدرِ البَيتِ (مَاءً) لجَمَالِ الخَدِّ، وَأَرَادَ بِهِ رَيَّهُ مِنَ الشَّبِيبَةِ، وَاسْتَعَارَ لَهُ نَارًا وَأَرَادَ بِهَا الحُمْرَةَ الَّتِي تَبدُو عَلَى بَشَرَتِهِ؛ فَحَسُنَتْ اسْتِعَارَةُ المَاءِ وَالنَّارِ لَهُ مِن حَيثُ إِنَّه لَاحَظَ بِهِمَا هَذِهِ المُلَاحَظَةَ، فَجَمَعَ بَينَ شَيْئَينِ مُتَضَادَّينِ فِي خَدِّهِ، وَهُمَا المَاءُ وَالنَّارُ، لَكِنْ لَمَّا كَانَا فِي صَدرِ البَيتِ مَجَازًا صِرْفًا عَدَلَ عَنِ المَجَازِ فِي عَجُزِ البَيتِ وَاقْتَطَعَهُمَا عَمَّا أُضِيفَا إِلَيهِ وَادَّعَى لَهُمَا الحَقِيقَةَ؛ لِيَعظُمَ مَعنَاهُ، فَقَالَ:

وَلَمْ أَرَ مَاءً قَبلَهُ مَاجَ فِي نَارِ

فَنَفَى مَوَجَانَ المَاءِ الحَقِيقِيِّ فِي النَّارِ الحَقِيقِيَّةِ، وأَتَى بِصِيغَةِ التَّعَجُّبِ؛ لِيُوهِمَ السَّامِعَ أَنَّهُمَا وَقَعَا حَقِيقَةً لَا مَجَازًا فِي صَدرِ البَيْتِ.

وَلَا بَأسَ بِتَعيينِ مَا يُشْتَرَطُ فِي هَذِهِ الحَالَةِ عَلَى حَسَبِ التَّفْصِيلِ فِي صَدْرِ البَيتِ وَعَجُزِهِ، وَهوَ أَنْ تَعمَدَ إِلَى صَدرِ البَيتِ، وَتَسْتَعِيرَ لِمَنْ أَردتَ وَصْفَهُ ضِدَّينِ لَا يُمْكِنُ اجْتِمَاعُهُمَا عَادَةً وَعَقلًا، وَتُضِيفَ كُلًّا مِنْهُمَا إِلَى مَا يُنَاسِبُهُ وَبِإِضَافَتِهِمَا يَقْرَبُ لِلْعَقلِ مَا يَستَبعِدُهُ مِن اجْتِمَاعِهِمَا؛ لِأَنَّهُمَا يَكونَانِ مَجَازًا صِرفًا، ثُمَّ تُعْتَبَرُ فِي عَجُزِ البَيْتِ ثَلَاثَةُ أُمُورٍ:

---

(١) هَذَا قَولٌ جَرَى مَجرَى الأَمْثَالِ، وَنَظَمَهُ بَعضُ الشُّعَرَاءِ، وَمِمَّا قِيلَ فِيهِ: (الطويل)

تَمَنَّى أُنَاسٌ نَيلَ عَلْيَاكَ ضِلَّةً وَأَيْنَ الثُّرَيَّا مِنْ يَدِ المُتَنَاوِلِ

السحر الحلال ٩١.

الأوَّل: أَنْ تَفْتَتِحَ الكَلَامَ فِيهِ بِالتَّعَجُّبِ.

الثاني: أَنْ تَقْتَطِعَ مَا استُعِيرَ فِي الصَّدرِ عَمَّا أُضِيفَ إِلَيهِ، وَتَجعَلَهُ فِيهِ حَقِيقَةً صِرفًا.

الثالث: وَهوَ أَعْظَمُهَا، إِذْ بِهِ تَظْهَرُ الثَّمَرَةُ، وَيَتَّضِحُ المَطْلَبُ، وَهوَ لَفظَةُ (قَبلَهُ)، أَي قَبلَ الَّذِي اسْتُعِيرَ فِي صَدرِ البَيتِ، وَأُضِيفَ لِمَا يُنَاسِبُهُ فِيهِ.

وَمِثَالُ ذَلِكَ فِي النَّثْرِ: أَنْ تَقولَ:

تَجَلَّى نَهَارُ مُحَيَّا الحَبِيبِ فِي لَيلِ فَرعِهِ الدَّاجِي، وَلَمْ أَرَ قَبلَهُ نَهَارًا تَجلَّى فِي لَيلٍ سَاجٍ.

فَهُم لَمَّا رَأَوا قَدْ حَسُنَتِ اسْتِعَارَةُ النَّهَارِ وَاللَّيلِ فِي الفِقرةِ الأُولَى مِن حَيثُ إِنَّهُم جَعَلوا بِإِضَافَةِ النَّهَارِ لِلْمُحَيَّا، وَإِضَافَةِ اللَّيلِ لِلْفَرعِ، مَا قَرَّبَ لِلْعَقْلِ مَا يَسْتَبْعِدُهُ مِن اجْتِمَاعِ هَذِينِ الضِّدَّينِ اللَّذِينِ يَمْتَنِعُ عَقلًا وَعَادَةً اجْتِمَاعُهُمَا مَعًا فِي حَالِ الحَقِيقَةِ، أَرَادوا أَنْ يَنْقُلُوهُمَا مِن هَذِهِ المَرتَبَةِ إِلَى المَرْتَبَةِ الَّتِي ذَكَرنَاهَا، فَرَأَوا أَلَّا يَكونَ ذَلِكَ إِلَّا أَنْ يُعتَبَرَ -فِي الفِقرةِ الثَّانِيةِ- تِلكَ الأُمُورُ الثَّلَاثَةُ؛ فَأَتَوا بِهَا عَلَى مَا ذَكَرتُ، وَقَالوا:

لَمْ نَرَ قَبلَهُ نَهَارًا فِي لَيلٍ سَاجٍ

فَقَرَنوا بِهَا الفِقرةَ الأُولَى فَكَانَ الضَّمْيرُ الَّذِي فِي قَولِهِم: (لَمْ نَرَ قَبلَهُ) يَعُودُ لِنَهَارِ المُحَيَّا الَّذِي تَجَلَّى فِي لَيلِ فَرعِهِ، وَبِعَوْدِهِ لَهُ قَدْ ظَهَرَ مِن هَذَا التَّعَجُّبِ أَنَّ نَهَارَ المُحَيَّا صَارَ حُكْمُهُ حُكمَ النَّهَارِ الحَقِيقِيِّ، وَلِذَا قَد حَسُنَ التَّعَجُّبُ فِي قَولِهِم:

لَمْ نَرَ قَبلَهُ نَهَارًا تَجلَّى!... إِلَى آخِرِهِ.

مِنْ حَيْثُ أَتَى التَّجَلِّي فِي اللَّيلِ عَلَى خِلَافِ عَادَةِ النَّهَارِ؛ لِأَنَّ بِوجُودِ النَّهَارِ تُمحَى آيَةُ اللَّيلِ، وَبِوُجُودِ اللَّيلِ تُمحَى آيَةُ النَّهَارِ، وَلَا يُمْكِنُ اجْتِمَاعُهُمَا عَادَةً وَعَقْلًا، وَمَعَ عَدَمِ اجْتِمَاعِهِمَا عَادَةً وَعَقْلًا تَجَلَّى فِي لَيلِ فَرْعِهِ؛ مَعَ أَنَّ حُكمَهُ حُكمُ النَّهَارِ الحَقِيقِيِّ؛ وَلَا فِي وُجُودِهِ انْمَحَتْ آيَةُ لَيلِهِ، وَلَا فِي وُجُودِ لَيلِهِ انْمَحَتْ آيَتُهُ.

فَانْظُرْ فِي هَذِهِ الأُمُورِ الثَّلَاثَةِ الَّتِي أُودِعَتْ فِي هَذِهِ الجُمْلَةِ الثَّانِيةِ؛ كَيفَ أَبدَعَتْ بِتَحْسِينِ مَعنَى الجُمْلَةِ الأولَى؛ وَلِحُسْنِ إِبدَاعِهَا يَنبَغِي لِلأَدِيبِ الكَامِلِ أَنْ يُحسِنَ رِعَايَتَهَا، وَيَتَحَفَّظَ عَلَيهَا، وَلَا يَهمِلُهَا إِذَا قَصَدَ مِثلَ هَذَا المَقَامِ فِي نَظْمِهِ؛ لِأَنَّهُ مَتَى نَقَصَ مِنهَا وَاحِدٌ أَو غَيرُهُ بِمَا لَا يَقومُ مَقَامَهُ يَفْسُدُ مَعنَاهُ، كَمَا أَفْسَدَ العَامِلِيُّ -عَفَا اللهُ عَنهُ- صَدرَ بَيتِ السَّيِّدِ بِتَشْطِيرِهِ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ لَمَّا رَأَى أَنَّ السَّيِّدَ فِي صَدْرِ بَيتِهِ قَدِ اسْتَعَارَ لِجَمالِ الخَدِّ مَاءً، وَلِلخَدِّ نَارًا، وَصَيَّرَ المَاءَ يَمُوجُ فِي النَّارِ، وَذَلِكَ حَيثُ قَالَ:

وَمَـــاجَ بِـنَـــارِ الخَـــدِّ مَـــاءُ جَمـالِـهِ

أَرَادَ أَنْ يَلْحَظَ هَذِهِ الأُمُورَ الثَّلَاثَةَ، وَيَقولَ:

وَلَمْ أَرَ مَـــاءً قَـبـلَـهُ مَـــاجَ فِي نَـــارِ

فَمَا تَأَتَّى لَهُ ذَلِكَ، حَيثُ إِنَّهُ قَالَ:

وَلَمْ أَرَ مَـــاءً مَـــاجَ بِـالـنَّـــارِ فِي خَـدِّ

لِأَنَّهُ اعْتَرَاهُ الفَسَادُ مِن طَرِيقَينِ:

الأَوَّلُ: وَهوَ أَنَّهُ أُسْقِطَ مِنْهُ أَعْظَمُ الأُمورِ الثَّلَاثَةِ الَّذِي بِهِ تَظْهَرُ الثَّمَرَةُ، وَيَتَّضِحُ المَطْلَبُ، وَيَظْهَرُ التَّعَجُّبُ، وَهوَ لَفْظَةُ (قَبْلَه) وَبِإِسْقَاطِهَا فَسَدَ مَعْنَى بَيْتِهِ؛ لِأَنَّهُ وَإِنْ ذَكَرَ المَاءَ وَالنَّارَ وَاقْتَطَعَهُمَا عَمَّا أُضِيفَا إِلَيهِ فِي الصَّدْرِ، وَقَالَ: وَلَمْ أَرَ مَاءً كَانَ يَجِبُ أَنْ يَقُولَ: قَبلَهُ، أَي قَبلَ مَاءِ الجَمَالِ؛ فَتكونَ ثَمَرةُ هَذِهِ اللَّفْظَةِ أَنَّهَا تَقِي مَاءَ الجَمَالِ مِنَ النَّفْيِ، وَتَصْرِفُهُ إِلَى المَاءِ الحَقِيقِيِّ؛ لِيَظْهَرَ التَّعَجُّبُ فِي قَولِهِ: وَلَمْ أَرَ؛ لِأَنَّ بِفِقْدَانِهَا يَنْفَقِدُ التَّعَجُّبُ، وَيَبقَى نَفْيًا مَحْضًا، وَإِذَا أَتَى بِهَا أَثْبَتَ لِمَاءِ الجَمَالِ أَنَّهُ انْفَرَدَ بِمَوجِهِ فِي النَّارِ، وَأَنَّهُ أَتَى بِمَا لَمْ يُمْكِنْ إِتْيَانُهُ لِلمَاءِ عَادَةً وَعَقْلًا.

وَالطَّرِيقُ الثَّانِي: هُوَ أَنَّهُ اقْتَطَعَ المَاءَ وَالنَّارَ عَمَّا أُضِيفَا إِلَيهِ فِي الصَّدْرِ، وَأَتَى بِهِمَا فِي العَجُزِ، لَكِنَّهُ أَتَى بِهِمَا مَجَازًا صِرْفًا، وَيَتَخَيَّلُ أَنَّهُمَا وَقَعَا حَقِيقَةً فِي قَولِهِ:

وَلَمْ أَرَ مَـاءً مَـاجَ بِـالـنَّـارِ فِي خَـدِّ

لِأَنَّهُ وَإِنْ أَفْرَدَ المَاءَ وَلَمْ يُضِفْهُ لِلْجَمَالِ، وَأَفْرَدَ النَّارَ، وَلَمْ يُضِفْهَا لِلْخَدِّ، فَإِنَّهُ صَيَّرَهُمَا مَجَازًا صِرْفًا مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ جَعَلَهُمَا فِي الخَدِّ، وَبِجَعلِهِمَا فِي الخَدِّ تَحَقَّقَ أَنَّهُمَا مَجَازَانِ مِن حَيثُ يُلحَظُ بِهِمَا مَا يُنَاسِبُهُمَا، وَالَّذِي يُنَاسِبُ المَاءَ مِنَ الخَدِّ رَيَّهُ مِنَ الشَّبِيبَةِ، وَالنَّارَ حُمْرَةُ بَشَرَتِهِ، فَعَلَى هَذَا تَحَقَّقَ مِنْ قَولِ السَّيِّدِ:

وَمَـاجَ بِـنَـارِ الخَـدِّ مَـاءُ جَمَـالِـهِ

أَنَّ العَامِلِيَّ كَذَّبَهُ صَرِيحًا بِقَولِهِ:

وَلَمْ أَرَ مَـاءً مَـاجَ بِـالـنَّـارِ فِي خَـدِّ

مِنْ حَيثُ إِنَّهُ نَفَى مَوَجَانَ مَاءِ الجَمَالِ فِي النَّارِ الَّتِي هِيَ فِي خَدِّهِ، وَهوَ مَعَ ذَلِكَ يَتَخَيَّلُ أَنَّهُ حَسَّنَهُ بِتَشْطِيرِهِ هَذَا، إِذْ زَعَمَ أَنَّه نَحَى مَا نَحَتهُ فُحولُ الشُّعَرَاءِ فِي بَدَائِعِهِم، مِنْ هَذَا الَّذِي أَرَيْنَاكَ لَـمْحَةً مِنْ عَجَائِبِهِ.

وَمِنْهَا مَا يَكونُ فِي التَّجْرِيدِ

كَقَولِ السَّرِّي الرَّفَّاءِ:(١) [من الوافر]

وَزُرْنَـا مِـنْـهُ لَـيْـثَ الـغَـابِ طَـلْـقًـا وَلَمْ نَـرَ قَـبْـلَـهُ لَـيْـثًـا يُـزَارُ

وَذَلِكَ لِأَنَّهُ فِي صَدرِ بَيتِهِ هَذَا لَـمَّا جَرَّدَ مِنْ مَمْدُوحِهِ (لَيثَ غَابٍ)، وَزَارَهُ حَالَةَ كَونِهِ طَلِقَ الوَجْهِ، وَرَأَى مِنْ هَذَا التَّجْرِيدِ؛ مَا قَرَّبَ لِلْعَقْلِ زِيَارَتَهُ لِلَيْثِ غَابٍ -إِذْ هُوَ مَجَازٌ صِرفٌ- لِظُهُورِ تَشْبِيهِهِ بِاللَّيْثِ؛ أَحَبَّ أَنْ يُبْعِدَ ذَلِكَ؛ لِتَعْظِيمِ شَأنِ مَمْدُوحِهِ بِطَورٍ مِنَ المُبَالَغَةِ، فَالتَزَمَ فِي عُجْزِ بَيتِهِ الإِتْيَانَ بِتِلْكَ الأُمُورِ الثَّلَاثَةِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا سَابِقًا؛ لِيَتِمَّ مَا قَصَدَهُ، فَأَتَى بِالتَّعَجُّبِ، وَبِاللَّفْظَةِ الَّتِي تَظْهَرُ بِهَا الثَّمَرَةُ، وَيَتَّضِحُ المَطلَبُ، وَاقْتَطَعَ (اللَّيثَ) مِنْ صِيغَةِ التَّجْرِيدِ، وَجَعَلَهُ حَقِيقَةً صِرْفًا؛ لِيَحْصَلَ لَهُ مَا بَيَّنَاهُ.

(١) ديوانُ السَّرِّيّ الرَّفَّاءُ ١٨١.

وَمِنهَا مَا يَكونُ فِي الاسْتِعَارَةِ

وَيُعْتَبرُ فِيهِ أَمْرَانِ مِنْ هَذِهِ الأُمُورِ الثَّلَاثَةِ، كَقَولِ أَبِي عُبَادَةَ البُحْتُرِيِّ:(١) [من الطويل]

وَجَنَّةُ خُلْدٍ عَذَّبَتْنَا بِدَلِّهَا ... وَمَا خِلْتُ أَنَّا بِالجِنَانِ نُعَذَّبُ!(٢)

فَإِنَّهُ لَمَّا اسْتَعَارَ اسْمَ الجَنَّةِ لِحُسنِ مَعْشُوقَتِهِ وَصَيَّرَهَا تُعَذِّبُهُ بِدَلِّهَا، قَرَّبَ لِلْعَقْلِ مَا يَسْتَبْعِدُهُ مِنْ عَذَابِهِ بِالجَنَّةِ، فَأَحَبَّ أَنْ يُبْعِدَ ذَلِكَ بِطَورٍ مِنْ الْمُبَالَغَةِ لِتَعْظِيمِ شَأْنِ حُسْنِهَا، فَأَتَى فِي العُجْزِ بِذِكرِ الجَنَّةِ الحَقِيقِيَّةِ، وَذِكرِ العَذَابِ الحَقِيقِيِّ بِهَا فِي حَالَةِ التَّعَجُّبِ، وَهَذَا النَّوعُ مِنَ الاسْتِعَارَةِ -وَانْتِقَالُهُ فِيهَا مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ بِهذِهِ الكَيْفِيَّةِ الَّتِي ذَكرنَاهَا- لَمْ نَجِد لَهُ ذِكرًا فِي كُتُبِ أَهْلِ المَعَانِي وَالبَيَانِ، وَلَكِنْ وَجَدنَا فُحُولَ الشُّعَرَاءِ تَسْتَعْمِلُهُ فِي نِظَامِهَا، فَاسْتَخْرجْنَا قَوَاعِدَهُ مِنْ قَرَائِنِ لَفْظِهَا وَبَيَّنَّاهَا بِأَحْسَنِ بَيانٍ.

وَلِلشُّعَرَاءِ فِيهِ أَحْوَالٌ غَيرِ الَّتِي ذَكرنَاهَا، أَعْرضنَا عَنهَا خَوفَ الإِطَالَةِ، وَإِنِّي لَأَعْجَبُ مِن أَهلِ المَعَانِي وَالبَيَانِ كَيفَ لَم يَذكورُهُ فِي كُتُبِهِم عَلَى كَثرَةِ أَحوَالِهِ الَّتِي هِيَ مَسطُورةٌ فِي الشِّعرِ وَلَعَلَّهُم ذَكَرُوهُ وَلَم نَعْثَر عَلَيهِ؛ لِأَنَّهُم لِلْحَقِيقَةِ وَالمَجَازِ أَظْهَروا أَسرَارَهُمَا وَبَيَّنوا غَوَامِضَهمَا، وَأَسَّسُوا قَوَاعِدَهَا وَمَا دَقَّ فِيهَا مَعنًى إِلَّا بَيَّنُوهُ بِأَحْسَنِ تَبْيِينٍ فَكَيفَ يَخفَى عَلَيهِم مِنَ الاسْتِعَارَةِ هَذَا النَّوْعُ الَّذِي ذَكرنَاهُ وَقَد ذَكَروا مِنهَا مَا هُوَ أَعظَمُ مَوقِعًا مِنهُ وَذَلِكَ مِن حَيثُ إِنَّ الَّذِي ذَكرنَاهُ قَدِ افْتَقَرَ إِلَى أُمُورٍ كَثِيرَةٍ مِنهَا: التَّعَجُّبُ وَنِهَايَةُ مَا فِيهَا وَفِيهِ أَنَّ مَا استُعِيرَ وَأُضِيفَ لِمَا يُنَاسِبُهُ يُوهِمُ السَّامِعَ أَنَّهُ حَقِيقةٌ، وَهَذَا الَّذِي ذَكَرُوهُ لَمْ يَفْتَقِر مِثلُهُ لِذَلِكَ وَهوَ أَعلى فِي البَلَاغَةِ مِنهُ مَوقِعًا وَهوَ أَنْ يَكونَ التَّعَجُّبُ فِيهِ لِتَنَاسِي التَّشْبِيهَ فَتَأتِي بِالْمُشَبَّهِ عَلَى غَفْلَةٍ مِن ذِكرِ التَّشْبِيهِ بِاسمِ الْمُشَبَّهِ بِهِ بِحَالَةٍ لَا يُمْكِنُ وُقُوعُهَا

(١) ديوانُ البحتريّ ١/ ١٣٥.

(٢) في (الأصل): (حسن) في موضع (خلد).

عَقْلًا وَذَلِكَ مِثْلُ قَولِ ابنِ العَمِيدِ[1] فِي غُلَامٍ حَسَنٍ قَامَ يُظَلِّلُهُ عَنِ الشَّمْسِ وَهوَ:[2] [من الكامل]

١. قَامَتْ تُظَلِّلُنِي عَنِ الشَّمْسِ نَفْسٌ أَعَزُّ عَلَيَّ مِنْ نَفْسِي
٢. قَامَتْ تُظَلِّلُنِي وَمِنْ عَجَبٍ شَمْسٌ تُظَلِّلُنِي عَنِ الشَّمْسِ

قَالَ عُلَمَاءُ المَعَانِي وَالبَيَانِ: التَّعَجُّبُ فِي هَذِينِ البَيتَينِ لِلبِنَاءِ عَلَى تَنَاسِي التَّشْبِيهُ قَضَاءً لِحَقِّ المُبَالَغَةِ وَدَلَالَةً عَلَى أَنَّ المُشَبَّهَ بَحِيثُ لَا يَتَمَيَّزُ عَنِ المُشَبَّهِ بِهِ أَصْلًا، حَتَّى أَنَّ كُلَّمَا يَتَرَتَّبُ عَلَى المُشَبَّهِ بِهِ مِنَ التَّعَجُّبِ وَالنَّهْيِ عَنهُ يَتَرَتَّبُ عَلَى المُشَبَّهِ، وَقِيلَ التَّعَجُّبُ لِإِطْلَاقِ اسمِ المُشَبَّهِ بِهِ عَلَى المُشَبَّهِ بَعدَ ادِّعَاءِ دُخُولِ المُشَبَّهِ فِي جِنْسِ المُشَبَّهِ بِهِ فَلَولَا أَنَّه ادَّعَى لَهُ مَعنَى الشَّمْسِ الحَقِيقِيِّ وَجَعَلَهُ شَمْسًا عَلَى الحَقِيقَةِ لَمَا كَانَ لِهَذَا التَّعَجُّبِ مَعنًى؛ إِذْ لَا تَعَجُّبَ فِي أَنْ يُظَلِلَ إِنْسَانٌ حَسَنُ الوَجْهِ إِنسَانًا آخَرَ وَمِثل قَولِ ابنِ طَبَاطَبَا العَلَوِيِّ:[3] [من المنسرح]

---

(١) أَبو الفَضلِ مُحَمَّد بنُ العَمِيدِ أَبِي عَبدِ الله الحُسَين بنِ مُحَمَّد الكَاتِب، المَعرُوفُ بِابنِ العَمِيدِ، كَانَ وَزِيرَ رُكنِ الدَّولَةِ أَبِي عَلِيٍّ الحَسَنِ بنِ بُويهِ الدَّيلَمِيِّ، وَكَان مُتَوَسِّعًا فِي عُلُومِ الفَلسَفَةِ وَالنُّجُومِ، وَأَمَّا الأَدَبُ وَالتَّرسُلُ فَلَم يُقَاربهُ فِيهِ أَحَدٌ فِي زَمَانِهِ، وَسُمِّيَ الجَاحِظُ الثَّانِي، وَكَانَ كَامِلَ الرِّئَاسَةِ جَلِيلَ المِقدَارِ، مِن بَعضِ أَتبَاعِهِ الصَّاحِبُ ابنُ عَبَّادٍ وَلِأَجْلِ صُحْبَتِهِ قِيلَ لَهُ الصَّاحِبُ، وَكَانَ لَهُ فِي الرَّسَائِلِ اليَدُ البَيضَاءُ، وَقَد قِيلَ: بَدَأَت الكِتَابَةُ بِعَبدِ الحَمِيدِ، وَخُتِمَتْ بِابنِ العَمِيدِ، وَكَانَ يُقَالُ لَهُ: (الأُستَاذُ) وَكَانَ سَائِسًا مُدَبِّرًا لِلْمَلِكِ قَائِمًا بِحُقُوقِهِ. تُوفِّيَ سَنةَ (٣٦٠هـ).
له ترجمة في: يتيمة الدهر ٣/ ١٨٣، ومعجم الأدباء ٤/ ١٨٨٦، ووفيات الأعيان ٥/ ١٠٣، وسير أعلام النُّبلاء ١٦/ ٢٠٣، والوافي بالوفيات ٢/ ٢٨١، والأعلام ٤/ ٣٢٥.

(٢) ينظر: يتيمة الدهر ٣/ ٢٠٩-٢١٠، وأحسن ما سمعت ٧٤، والإعجاز والإيجاز ١٩٢، وخاص الخاص ١٥٨، ونهاية الأرب ٧/ ٥٦، ولباب الآداب ٢٠٢، ومعاهد التنصيص ٢/ ١١٣، وعلوم البلاغة ٢٦٣، والمنهاج الواضح للبلاغة ٣/ ٢٣٠، ٥/ ١٣٣. ونسبها ياقوت الحمويّ لأبي إسحق الصابئ في معجم الأدباء ١/ ١٤٣.

(٣) معاهد التنصيص ٢/ ١٢٩، وعلوم البلاغة، البيان، والمعاني، والبديع ٢٦٤، والمنهاج الواضح للبلاغة ٣/ ٢٣٠.

١. يَا مَنْ حَكَى المَاءُ فَرطَ رِقَّتِهِ ... وَقَلْبُهُ فِي قَسَاوَةِ الحَجَرِ
٢. يَا لَيْتَ حَظِّي كَحَظِّ ثَوْبِكَ مِنْ ... جِسْمِكَ يَا وَاحِدًا مِنَ البَشَرِ
٣. لَا تَعْجَبوا مِنْ بِلَى غِلَالَتِهِ ... قَدْ زَرَّ أَزْرَارَهُ عَلَى القَمَرِ

كَذَلِكَ قَالوا: هُنَا النَّهْيُ عَنِ التَّعَجُّبِ لِلْبِنَاءِ عَلَى تَنَاسِي التَّشْبِيهِ قَضَاءً لِحَقِّ المُبَالَغَةِ وَدَلَالَةً عَلَى أَنَّ المُشَبَّهَ بِحَيثُ لَا يَتَمَيَّزُ عَنِ المُشَبَّهِ بِهِ أَصْلًا، حَتَّى أَنَّ كُلَّ مَا يَتَرَتَّبُ عَلَى المُشَبَّهِ بِهِ يَتَرَتَّبُ عَلَى المُشَبَّهِ[1]، وَقِيلَ لِأَنَّهُ لَو لَمْ يَجعلْهُ قَمَرًا حَقِيقيًا لَمَا كَانَ لِلنَّهيِ عَنِ التَّعَجُّبِ مَعنًى؛ لِأَنَّ الكِتَّانَ إِنَّمَا يُسْرِعُ إِلَيهِ البِلَى؛ بِسَبَبِ مُلَامَسَتِهِ القَمَرَ الحَقِيقيَّ لَا بِمُلَابَسَتِهِ إِنسَانًا كَالقَمَرِ.

قَالَ صَاحِبُ المَعَاهِدِ[2]: وَرَأَيتُ بِلَفْظٍ قَدْ زَرَّ كِتَّانَهُ عَلَى القَمَرِ، وَلَعَلَّهُ أَبلَغُ بِالْمُرَادِ.

أَقُولُ: قَولُهُ: (أَبلَغُ بِالْمُرَادِ)، خَطَأٌ فَاحِشٌ؛ لِأَنَّهُ قَدْ نَصَبَ فِي البَيتِ قَرِينَةً ظَاهِرَةً تَدُلُّ عَلَى أَنَّ غِلَالَتَهُ كِتَّانٌ، وَإِنَّ مَن لَهُ أَدنَى شُعُورٍ إِذَا رَأَى قَولَهُ: (لَا تَعْجَبوا مِن بَلَاءِ غِلَالَتِهِ) يَفْهَم صَرِيحًا مِنْ قَولِهِ: (قَدْ زَرَّ أَزْرَارَهُ عَلَى القَمَرِ) أَنَّهَا كِتَّانٌ؛ إِذِ المَشهُورُ عِنْدَ النَّاسِ أَنَّ ضَوءَ القَمَرِ يُسْرِعُ بِالبِلَى لِلْكِتَّانِ وَلَا حَاجَةَ تَدعو لِذِكرِهِ بِاسمِهِ الخَاصِّ مَعَ هَذِهِ القَرِينَةِ الظَّاهِرَةِ، وَالعَجَبُ مِنهُ كَيفَ اخْتَارَ عَلَى هَذِهِ الكِنَايَةِ اللَّطِيفَةِ الَّتِي وَقَعَت بِهذَا اللَّفْظِ الرَّقِيقِ المُصَرَّح بِدَلَالَتِهِ عَلَى المَقْصُودِ أَنْ يَجعَلَ بَدَلَهَا لَفْظَةَ الكِتَّانِ مَعَ أَنَّهُ مَا أَثقَلَهُ بِهَذَا المَوضِعِ وَلَو جَعَلَهُ لَكَانَ أَثقلَ مِن جَبلِ تِهَامَةَ عَلَى قَلْبِ اللَّبِيبِ الظَّرِيفِ.

أَقُولُ: مِمَّا يُنَاسِبُ هُنَا أَنْ نَذكُرَ شَيئًا مِمَّا يَتَفَقَّهُ بِهِ المُتَعَلِّمُ وَيَسْتَضِيءُ بِهِ فِي كُلِّ عَويصٍ مُظْلِمٍ فَإِذَا ذَكرنَا مِن ذَلِكَ شَيئًا فَلَا تَتَوَهَّمْ أَنَّا نُعَرِّضُ بِهِ لِلاسْتِهَانَةِ فِي مَن لِغَفْلَتِهِ عَثَر،

(١) أسرار البلاغة ٣٠٣، ٣٠٤، ومفتاح العلوم ٣٨٦، والطراز ١/ ١٠٧.
(٢) معاهد التنصيص ٢/ ١٢٩.

بَل وَلَا فِي كُلِّ أَحَدٍ وَلَو أَنَّهُ مِن جَهْلِهِ لَا يَتَبَصَّر، وَإِنَّ مَقْصَدي فِي كُلِّ مَا ذَكَرتُ فِي هَذَا الكِتَابِ مِنَ الاعْتِرَاضَاتِ أَنْ أُعَلِّمَ مَنْ لَا عِلْمَ لَهُ بِهَذِهِ النُّكَتِ المُسْتَظْرَفَاتِ، فَلَا تَظُنَّ أَنِّي أُرِيدُ أَنْ أَسْتَطِيلَ بِعِلمِ الشِّعْرِ عَلَى مَن جَهِلَه، أَو أَنَّ الَّذِي اعْتَرَضَ عَلَيهِ هُوَ مُحِقٌّ فِيمَا قَالَه، وَإِنَّمَا أَنَا تَعَنُّتًا أَخْفَيْتُ بِزُخْرفِ الأَقوَالِ فَضْلَه، فَالشِّعْرُ لَا يَسْتَطِيلُ بِهِ مَن شَأنُ شَرَفِهِ عَظِيم، وَفِي الحَقِّ هُوَ مَنْقَصَةٌ لِكُلِّ مَاجِدٍ كَرِيم، وَلَسْتُ بِهَذَا الكِتَابِ انفَردتُ بِتحْرِيره مِنْ ذَوي الأَلبَاب، بَلْ هَذِه طَرِيقَةُ العُلَمَاءِ أَجمَع، وَكُلُّهُم سَلَكوا فِي هَذَا المَهْيَع، أَلَم تَرَهُم فِي حَالَةِ البَحْثِ يُزرِي بَعْضُهُم عَلَى بَعْضٍ فِي المُنَاضَلَة؟! وَيَخرُجُونَ فِي كَلَامِهِم بِالمُجَادَلَة، مِن اصْطِكَاكِ الأَقوَالِ فِي مَنَاصِلِهَا إِلَى المُصَاوَلَة، وَكُلٌّ لِكُلٍّ يُسَدِّدُ فِي ضِيقِ الخِصَامِ مِن حُجَجِهِ ذَوَابِلَه، وَتَكَلَّمَ بَعْضُهُم عَلَى بَعْضٍ فِي تِلْكَ الأَطْوَارِ المُخْتَلفَةِ مِن هَزلِ المَقَالِ وَجِدِّه، لَا يَكَادُ أَن يَبلُغَ الوَاصِفُ غَايةَ حَدِّه، خُصُوصًا الفُقَهَاءُ بِحَالَتَي البَحْثِ وَالكِتَابَةِ فِي رَدِّ بَعْضِهِم بَعْضًا؛ فَإِنَّهم يَخرُجُونَ فِي كَلَامِهِم إِلَى حَالَةِ مَن انْطَوَى عَلَى كَاشِحِه قَلبُهُ عَلَى الحَنَقِ بُغْضًا، وَمَقْصَدُهُم فِي ذَلِكَ تَبيينَ مَا هُوَ الحَقُّ لِئَلَّا تَحيدَ عَن مَنهَجِهِ الخَلق، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ فَلَا بَأسَ بِجَمِيعِ مُنَاضَلَاتِنَا فِي هَذَا الكِتَابِ، فَإِنَّهَا تُرْشِدُ إِلَى طَرِيقِ الصَّوَاب، هَذَا وَالأَدِيبُ أَولَى مِنَ الفَقِيهِ فِي خُشُونَةِ المَقَالِ فِي المُنَاضَلَةِ وَهَزلِ الكَلَامِ فِي المُجَادَلَةِ، فَالَّذِي أَرَدنَا ذِكرَهُ وَاسْتَحْسَنَّا نَشْرَهُ هُوَ أَنَّهُ يَنْبَغِي لِلأَدِيبِ الكَامِلِ وَاللَّبِيبِ الفَاضِلِ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَتَكَلَّمَ فِي مَطْلَبٍ وَعَرَضَ لَهُ أَمرَانِ وَاشْتَبَهَا عَلَيهِ أَنْ يُجِيلَ فِكرَتَه فِيهِمَا وَيَنْظُرَ أَيُّهُمَا الأَصْوَب؛ فَحِينَئِذٍ يَنْطِقُ فِيه؛ بِمِلءِ فِيه؛ وَيُبْدِهِ لِلسَّامِعِ مَا يُشْكَلُ فِيه:[1] [من الطويل]

إِذَا مَا قَتَلْتَ الشَّيءَ عِلْمًا فَقُلْ بِهِ ... وَلَا تَقُلِ الشَّيءَ الَّذِي أَنْتَ جَاهِلُهْ

فَتَتَكَلَّم فِي بَادِئِ النَّظَرِ؛ وَتَثِقُ بِكُلِّ مَا عَلَى قَلبِكَ خَطَر؛ فَكَمْ مِن مُسْتَعْجِلٍ زَلَّتْ بِهِ

(١) البيت لحارثة بن بدر الغدانيّ، ينظر: ربيع الأبرار ٢/٢٩، والتذكرة الحمدونيَّة ١/ ٣٧١.

القَدَم؛ وَنَدَمَ حَيثَ لَا [يَنْفَعُ] النَّدَم:[1] [من الطويل]

١. يَمُوتُ الفَتَى مِنْ عَثْرَةٍ بِلِسَانِهِ وَلَيْسَ يَمُوتُ المَرءُ مِنْ عَثْرَةِ الرِّجْلِ

٢. فَعَثْرَتُهُ مِنْ فِيهِ تُذْهِبُ نَفْسَهُ وَعَثْرَتُهُ بِالرِّجْلِ تَبْرَا عَلَى مَهْلِ

مِنَ الحِكَمِ البَاهِرَاتِ

وَمِنَ الحِكَمِ البَاهِرَاتِ:

قَولُ أَعرَابِيٍّ: إِيَّاكُم وَالعَجَلَةَ، فَإِنَّ العَرَبَ تُكَنِّيهَا أُمَّ النَّدَامَاتِ[2].

وَقَالَ آخَرُ: مَن وَرَدَ عَجِلًا صَدَرَ خَجِلا[3].

فَعَلَى هَذَا فَالتَأَنِّي لِلْمَرءِ أَحرَى، فَإِنَّهُ مِصبَاحُ مِشكَاةِ العَقْلِ فِي ظُلَمِ مُشْكِلَاتِ مَا يُجْهَل، وَالعَجَلَةُ لَا تُمْهِلُ العَقْلَ فِي مَا جَهِلَهُ، وَلِذَا غَالِبًا مَا يَقَعُ المُسْتَعْجِلُ فِي الهَلَكَةِ، وَإِنَّ مَنْ تَأَنَّى وَسَدَّدَ سَهمَ فِكرَتِهِ فِي عَوِيصِ مَا التَبَسَ فَكَثِيرًا مَا بِسَهمِهِ شَاكِلَةَ ذَلِكَ العَوِيصَ قَدْ قَرْطَس[4]، وَإِذَا تَأَنَّى حَتَّى عَلِمَ مَا أَشْكَلَ عَلَيهِ فَالأَولَى لَهُ أَنْ لاَ يَتَكَلَّمَ بِهِ حَتَّى يُزَيِّنَ بِنَوَادِرِ الكَلِمِ مَقَالَه، وَلَا يَلحَظُ بِأَلفَاظِهِ وَتَرَاكِيبِهَا مَا يَفْهَمُهُ الجَاهِلُ؛ فَيَلْتَجِئ إِلَى مَا يُخِلُّ بِالفَصَاحَةِ؛ لِيَنحَطَّ قَدرُهُ عِندَ الأَفَاضِلِ، وَكَيفَ تُفَهِّمُ مَنْ لَا يَفْهَم؟! أَو تُعَلِّمُ مَن لَا يَعْلَم؟! [مجزوء الكامل المرفَّل]

مَنْ لَيْسَ يَدْرِي مَا يُرِيدُ فَكَيفَ يَدري مَا تُرِيدُ؟![5]

(١) نَسَبَهُمَا ابنُ عَبدِ رَبِّه لِلإِمَامِ جَعفَرِ الصَّادِقِ ابنِ الإمام محمَّد الباقر ابن الإمام زين العابدين عليّ ابن الإمام الحسين ابن الإمام عليّ بن أبي طالب، سلام الله عليهم أجمعين. ينظر: العقد الفريد ٢/ ٣٠٣.

(٢) ينظر: البصائر والذخائر ٥/ ٢٢٣، وروض الأخيار ١٩١.

(٣) ينظر: ربيع الأبرار ٢/ ٤٥، و٣/ ٤٧١، وروض الأخيار ١٩١.

(٤) الشَّاكِلَةُ: الخاصِرةُ. (اللسان ١١/ ٣٦٠)، قَرْطَس أَي أَصاب الْقِرْطَاسَ، والرَّمْيَةُ الَّتِي تُصيب مُقَرْطِسة. (اللسان ٦/ ١٧٢).

(٥) ينظر: ربيع الأبرار ٢/ ٢٣.

وَقِيلَ لِأَبِي تَمَّامٍ: مَا لَكَ لَا تَقولُ مَا يُفْهَم؟! فَقَالَ:

مَا لَكَ لَا تَفْهَمُ مَا يُقَال؟![1]

وَقِيلَ لِبُقْرَاطَ: إِنَّ الكَلَامَ الَّذِي قُلْتَهُ لَمْ يُقْبَلْ!

قَالَ: لَيْسَ يُلْزِمُنِي أَنْ يُقْبَل، وَلَكِنْ يُلْزِمُنِي أَنْ يَكونَ صَوَابًا[2].

وَدَقَائِقُ مَعَانِي الكَلِمِ خَفِيَّةٌ لَا يَرَاهَا الغَبِيُّ، وَنُكَتُ تَصَرُّفَاتِهِ غَامِضَةٌ لَا يَعْرِفُهَا إِلَّا الذَّكِيُّ[3]. [من الطويل]

وَإِنَّ عَنَاءً أَنْ تُفَهِّمَ جَاهِلا فَيَحْسِبُ جَهْلًا أَنَّهُ مِنْكَ أَعْلَمُ[4]

مِنْ نَوَابِغِ الكَلِمِ

وَمِن نَوَابِغِ الكَلِمِ:

العَجَبُ مِمَّنْ يَكثُرُ غَلَطُه، ثُمَّ يَكثُرُ لَغَطُه[5].

قَالَ السَّيِّدُ -سَلَّمَهُ اللهُ- خَلفَ البَيتِ الَّذِي ذَكَرنَاهُ: [من الطويل]

وَيُرْدِي بِلَا غَمْزٍ مُثَقَّفُ قَدِّهِ وَيَسْفِكُ مَاضِي جَفْنِهِ وَهوَ فِي الغَمْدِ

---

(١) الحِكايةُ مَعَ أَبِي سَعيدٍ الضَّريرِ نَقَلَهَا العُكبرُيُّ فِي شرَحِ دِيوَانِ المُتَنَبِّي ٤/ ١٢٠، وفي رَوضِ الأَخيار ١٨٥، ومع أبي العميثل في: معاهد التنصيص ١/ ٤١، وقال الحمويّ في خزانته ١/ ٣٥٤. أنَّها مع أحد حساد أبي تمَّام.

(٢) القول لسقراط في: ربيع الأبرار ٢/ ٥٥، وروض الأخيار ١٩٦، ولحكيم في: مجاني الأدب ٢/ ٥٣، والكشكول ٢/ ١٣٢.

(٣) رسائل الجاحظ ٣/ ٨٣، وربيع الأبرار ٢/ ٢٩.

(٤) البيت لصالح بن عبد القدُّوس في: البيان والتبيين ٣/ ٢٥٨، وأمالي القالي ٢/ ٩٤، والتمثيل والمحاضرة ٧٨، والحماسة البصريَّة ٢/ ٤٠، ونهاية الأرب ٣/ ٨٢، ولباب الآداب ١٦٠. وأنشده القضاعيّ لمالك بن أنس في: المحاضرات والمحاورات ١٥٩، ولعمرو بن زعبل في ربيع الأبرار ٢/ ٢٧.

(٥) ربيع الأبرار ٢/ ٢٩. وفيه: (يكبر) في موضع (يكثر).

أَقُولُ: قَولُهُ: (وَيُرْدِي بِلَا غَمْزٍ)

يُرِيدُ بِالغَمْزِ: الطَّعنَ، وَهَذَا غَلَطٌ مَحْضٌ؛ لِأَنَّ الغَمْزَ عَصْرُ الشَّيءِ بِاليَدِ.

قَالَ ابنُ الأَثِيرِ فِي النِّهَايَةِ، فِي حَدِيثِ عُمَرَ، أَنَّهُ دَخَلَ عَلَيهِ وَعِنْدَهُ غُلَيِّمٌ أَسوَدُ يَغْمِزُ ظَهْرَهُ، أَي يَعْصِرُهُ[1].

وَقَالَ الجَوهَرِيُّ[2]: غَمَزتُ الشيَّءَ بِيَدي، وَاسْتَدَلَّ عَلَيهِ بِقَولِ زِيَادٍ الأَعْجَم:[3] [من الوافر]

وَكُنْتُ إِذَا غَمَزْتُ قَنَاةَ قَوْمٍ كَسَرْتُ كُعُوبَهَا أَوْ تَسْتَقِيمُ[4]

قَالَ صَاحِبُ (الفَتْح القَرِيب) فِي تَفْسِيرِهِ لِهَذَا البَيتِ: غَمَزتُ الشَّيءَ بِيَدي: عَصَرْتُهُ، وَقَولُهُ: كَسَرتُ كُعُوبَهَا، إِشَارَةٌ إِلَى شِدَّةِ الغَمْزِ وَالتَّثْقِيفِ، إِنْ لَمْ تَسْتَقِمْ عَلَى التَّلْيِينِ وَالتَّلْطِيفِ، وَالمَعنَى أَرَدْتُ كَسْرَ كُعُوبَهَا إِلَّا أَنْ تَسْتَقِيمَ مِنْ شِدَّةِ العَوَجِ.

فَإِذَا كَانَ الغَمْزُ عَصرَ الشَّيءِ بِاليَدِ، وَهُوَ مَعنَاهُ المَعرُوفُ مِنْ لَفْظِهِ عِنَدَ كَافَّةِ عُلَمَاءِ اللُّغَةِ، فَقَد اسْتَبَانَ صَرِيحًا خَطَأُ السَّيِّدِ فِي قَولِهِ: (وَيُرْدِي بِلَا غَمْزٍ).

لِأَنَّهُ يُرِيدُ بِالغَمْزِ الطَّعنَ وَلَا يَسُوغُ لَهُ أَنْ يَضَعَ لَهُ مَعنًى غَيرَ مَعنَاهُ الَّذِي وُضِعَ لَهُ وَيَسْتَعْمِلُهُ فِيهِ وَكَانَ حَقُّهُ أَنْ يَقُولَ: وَيُردي بِلَا وَخْزٍ أَو دَعْسٍ أَو غَيرَ ذَلِكَ مِمَّا تَسْتَعْمِلُهُ العَربُ فِي الطَّعْنِ لَا أَنَّهُ يَسْتَعْمِلُ الأَلفَاظَ خِلَافَ مَا اسْتَعْمَلتَهَا العَربُ وَأَعْظَمُ مِنهُ شَنْعَةً قَولُ العَامِلِيِّ فِي تَشْطِيرِهِ لِهَذَا البَيتِ وَهُوَ: [من الطويل]

١. وَيُرْدِي بِلَا غَمْزٍ مُثَقَّفُ قَدِّهِ وَمِنْ غَيرِ غَمْزٍ لَمْ نَجِدْ ذَابِلًا يُرْدِي

٢. وَتُصْمِي بِلَا رَمْيٍ نِبَالُ جُفُونِهِ وَيَسْفِكُ مَاضِي جَفْنِهِ وَهوَ فِي الغَمْدِ

(١) الغَمْز: العَصرْ والكَبْس باليَد. (النهاية ٣/ ٣٨٥).

(٢) الصِّحاح ٣/ ٨٨٩.

(٣) شعر زياد الأعجم ١٠١.

(٤) في الأصل: (تستقيما) في موضع (تستقيم).

لِأَنَّهُ قَدْ عَرَفَ أَنَّ الغَمْزَ لَيْسَ مَعنَاهُ الطَّعْنَ لَكِنَّهُ اعْتَرَاهُ الشَّكُّ مِن حَيثُ أَنَّهُ رَأَى السَّيِّدَ -سَلَّمَهُ اللهُ- اسْتَعْمَلَهُ بِهَذَا المَعنَى، فَاسْتَحْكَمَ شَكُّهُ وَاتَّهَمَ نَفْسَهُ وَوَثِقَ بِاسْتِعمَالِ السَّيِّدِ لَهُ وَبَنَى عَلَيهِ تَشْطِيرَهُ، وَذَلِكَ حَيْثُ قَالَ:

وَمِـنْ غَـيْرِ غَمْزٍ لَمْ نَجِدْ ذَابِـلًا يُـرْدِي

إِلَّا أَنَّهُ تَوَقَّفَ تَوَقُّفًا يَسِيرًا مِنْ هَذِهِ اللَّفْظَةِ وَغَيرِهَا وَجَعَلَهَا فِي حَاشِيَةِ الكِتَابِ وَهِيَ قَولُهُ: (وَمِنْ غَيْرِ وَخْزٍ)، وَجَعَلَ تِلْكَ اللَّفْظَةَ المُشَارَ إِلَيهَا فِي أَصْلِ الكِتَابِ مِن حَيثُ إِنَّهُ اعْتَمَدَ عَلَى اسْتِعْمَالِ السَّيِّدِ -سَلَّمَهُ اللهُ- لَهَا فَشَكَّ العَامِلِيُّ فِي هَذَا الشَّيءِ المُتَيَقِّنِ وَعُدُولِهِ إِلَى شَيءٍ وَاضِحٍ؛ فَسَادُهُ مِنْ أَعْجَبِ العَجَائِبِ، وَأَظُنُّهُ قَدْ قَرَأَ كِتَابَ الشُّكُوكِ لِصَالِحِ ابنِ عَبدِ القُدُّوسِ[1] وَإِلَّا لَمَا عَدَلَ عَنِ اللَّفْظِ الَّذِي يَصُحُّ إِلَى مَا لَا يَصُحُّ.

وَلِهَذَا الكِتَابِ نُكتَةٌ لَطِيفَةٌ عَلَى مَا ذَكَرهُ صَلَاحُ الدِّينِ الصَّفَدِيُّ، وَهِيَ أَنَّهُ تُوفِّيَ لِصَالِحِ ابنِ عَبدِ القُدُّوسِ وَلَدٌ فَحَضَرَ إِلَيهِ أَبو الهُذَيلِ العَلَّافُ[2] وَإِبرَاهِيمُ

(١) صَالِحُ بنُ عَبْدِ القُدُّوسِ بنِ عَبدِ الله بنِ عَبدِ القُدُّوسِ الأَزدِيُّ الجُذَامِيُّ، مَولَاهُمُ، أَبو الفَضلِ: شَاعِرٌ حَكِيمٌ، كَانَ مُتَكَلِّمًا، يَعِظُ النَّاسَ فِي البَصرَةِ. لَهُ مَعَ أَبِي الهُذَيلِ العَلَّافِ مُنَاظَرَاتٌ، وَشِعرُهُ كُلُّهُ أَمثَالٌ وَحِكَمٌ وَآدَابٌ، وَعَمِيَ فِي آخِرِ عُمْرِه، وَاتُّهِمَ عِندَ المَهدِي العَبَّاسِيّ بِالزَّنْدَقَةِ، فَقَتَلَهُ فِي بَغدَادَ، وَذَلِكَ (نَحو ١٦٠هـ/ نحو ٧٧٧م). ترجمته في: تأريخ بغداد ٩/ ٣٠٤، ومعجم الأدباء ٤/ ١٤٤٥، ووفيات الأعيان ٢/ ٤٩٢، وتأريخ الإسلام ٤/ ٤١١، والوافي بالوفيات ١٦/ ١٥٠، وفوات الوفيات ٢/ ١١٦، ونكت الهميان ١٤٩، والأعلام ٣/ ١٩٢.

(٢) أَبُو الهُذَيلِ العَلَّاف: مُحَمَّد بنُ مُحمَّدِ بنِ الهُذَيلِ بنِ عَبدِ الله بنِ مَكحُولٍ العَبْدِيُّ، مَولَى عَبدِ القَيسِ، مِن أَئِمَّةِ المُعْتَزِلَةِ، وُلِدَ فِي البَصرةِ وَاشْتَهَرَ بِعلمِ الكَلَامِ، قَالَ المَأْمُونُ: أَطَلَّ أَبوالهُذَيلِ عَلَى الكَلَامِ كَإِطلَالِ الغَمامِ عَلَى الأَنَامِ، لَهُ مَقَالَاتٌ فِي الاعْتِزَالِ وَمَجَالِسُ وَمُنَاظَرَاتٌ، وَكَانَ حَسَنَ الجَدَلِ قَوِيَّ الحُجَّةِ، سَرِيعَ الخَاطِرِ، كُفَّ بَصرُهُ فِي آخِرِ عُمْرِهِ، وَتُوُفِّيَ فِي سَامَرَّاءَ سَنَةَ (٢٣٥هـ). لَهُ كُتُبٌ كَثِيرةٌ، مِنهَا كِتَابٌ سَمَّاه (مِيلَاس) عَلَى اسْمِ مَجوسِيٍّ أَسلَمَ عَلَى يَدِهِ. له ترجمة في: تأريخ بغداد ٤/ ١٣٦، ووفيات الأعيان ٤/ ٢٦٥، وسير أعلام النُّبلاء ١٠/ ٥٤٢، والوافي بالوفيات ٥/ ١٠٧، ولسان الميزان ٥/ ٤١٣، والأعلام ٧/ ١٣١.

النَّظَّامُ[1]، وَهوَ صَغِيْرٌ، فَوَجَدَهُ يَتَلَظَّى حُزْنًا عَلَى وَلَدِهِ، فَقَالَ لَهُ:

لَا أَرَى لِتَحَرُّقِكَ وَجْهًا إِذ النَّاسُ عِندَكَ كَالنَّبَاتِ.

فَقَالَ: يَا أَبَا الهُذَيلِ، إِنَّمَا تَحَرُّقِي؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَقْرَأ كِتَابَ الشُّكُوكِ.

فَقَالَ: وَمَا هَذَا؟!

قَالَ: كِتَابٌ وَضَعْتُهُ مَنْ قَرَأَهُ شَكَّ فِيمَا كَانَ حَتَّى كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ، وَفِيمَا لَمْ يَكُنْ حَتَّى كَأَنَّهُ كَانَ.

فَقَالَ لَهُ إِبرَاهِيمُ النَّظَّامُ: فَابْنِ أَنْتَ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَمُتْ وَإِنْ كَانَ قَدْ مَاتَ وَعَلَى أَنَّهُ قَدْ قَرأَ الكِتَابَ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ قَرَأَهُ.

فَلَمْ يُحِرْ جَوَابًا.

وَقَولُهُ فِي تَصْدِيرِ العُجْزِ:

وَتَصمِي بِلَا رَمْيٍ نِبَالُ جُوفُنِهِ

خَطَأٌ فَاحِشٌ؛ لِأَنَّ عُلَمَاءَ اللُّغَةِ قَالوا: يُقَالُ: أَصْمَيتَ الصَّيْدَ إِذَا رَمَيْتَهُ وَقَتَلتَهُ، وَأَنْتَ تَرَاهُ فَبِقَولِهِ: تَصْمِي قَدْ خَصَّصَهَا أَنَّهَا تَرْمِي بِرَمِي قَاتِلٍ، وَلَا مَعنًى يَكونُ لِقَولِهِ: (بِلَا دَم)؛ لِأَنَّهُ يَنفِي الرَّمْيَ، وَإِذَا نَفَاهُ فَمَا يَكونُ صَنِيعَ نِبَالِ جُفُونِهِ؛ إِذَا ذَكَرَ لَهَا الرَّمْيَ ثُمَّ نَفَاهُ؟! وَأَيُّ صِفَةٍ أَثْبَتَهَا لَهَا بِقَولِهِ هَذَا؟!

وَلَمْ يَزَلِ العَامِلِيُّ -عَفَا اللهُ عَنهُ- يُقَابِلُ السَّيِّدَ فِي هَذَا الَّذِي تَنْفُرُ مِنهُ الطِّبَاعُ إِلَى أَنِ انْتَهَى السَّيِّدُ -سَلَّمَهُ اللهُ- إِلَى هَذَا الَّذِي تَسْتَكُّ مِن سَمَاعِهِ الأَسْمَاعُ وَهوَ قَولُهُ: [من الطويل]

١. وَبِالكَرخِ خِشفٌ قَدْ رَمَانِي عَلَى النَّوَى بِسَهْمِ الرَّدَى مِنْ مُقْلَتَيهِ عَلَى عَمْدِ

(١) أَبُو إِسحَاقَ النَّظَّامُ: مرَّت ترجمته في ١٩٣.

٢.وَقَـرَّبَـهُ طَـرْفِي وَهَـوَّمَ بَـعْـدَمَـا رَمَى بِالقَذَى جَفْنِي وَطَـرفِيَ بِالسُّهْدِ

فَانْظُرْ إِلَى بَيتِهِ الأَوَّلِ إِذَا كَانَ رَمَاهُ بِسَهْمِ البُعْدِ، فَكَيفَ يَقُولُ خَلفَهُ:

وَقَرَّبَهُ طَرفِي وَهَوَّمَ بَعدَ مَا... رَمَاهُ بِالسُّهْدِ

وَكَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَذْكُرَ أَنَّهُ بَعدَ هَذَا البُعْدِ وَصَلَهُ وَشَفَاهُ بِقُرْبِهِ مِنْ سَقَمِهِ الَّذِي أَنْحَلَهُ، وَيَذْكُرُ سَهَرَ أَجْفَانِهِ مِنْ بَعْدِهِ، وَقَذَى طَرفِهِ مِنْ سُهْدِهِ، ثُمَّ يَقُولُ:

وَقَرَّبَهُ طَرفِي وَهَوَّمَ... إِلَى آخِرِهِ.

لَكِنَّهُ -سَلَّمَهُ اللهُ- كَثِيرًا فِي هَذَا وَأَمْثَالِهِ يَتَوَهَّمُ فَيَحْسِبُ أَنَّهُ قَالَ مَا لَمْ يُقَلْ، فَإِذَا رَآهُ بَعدَ ذَلِكَ فَذِهْنُهُ إِلَيهِ لَمْ يَنْتَقِلْ، فَيَأْتِي بِمَا نَسِيَهُ لِيُتِمَّ مَقْصَدَهُ فِيمَا أَنْشَأَهُ.

وَلَا بَأسَ فِي أَنْ نَنْظِمَ مَا أَهْمَلَهُ لِنُبَيِّنَ لَكَ صَرِيحًا زَلَلَهُ، فَنَقُولُ:

١.وَبِالكَرخِ خِشفٌ قَدْ رَمَانِي عَلَى النَّوَى بِسَهْمِ الـرَّدَى مِـنْ مُقْلَتَيهِ عَـلَى عَمْدِ
٢.وَسَـهَّـدَ أَحْـدَاقِـي فَـبِـتُّ كَـأَنَّـنِي بِتَسْهِيدِهَا أُحْـصِي الكَـوَاكِـبَ بِالعَدِّ
٣.وَلَمْ تَنْطَبِقْ بِـالـنَّـوْمِ أَجْـفَـانُهَـا كَـأَنْ حَوَاجِبُهَا أُحْكِمْنَ بِالهَدْبِ فِي العِقْدِ
٤.إِلَى أَنْ غَنِمْتُ الـوَصْـلَ مِنْهُ بِلَيْلَةٍ جَـلَا نَحْسَهَا مِـنْ وَجْـهِـهِ قَمَرُ السَّعْدِ
٥.فَـقَـرَّبَـهُ طَـرْفِي وَهَـوَّمَ بَـعـدَمَـا رَمَى بِالقَذَى جَفْنِي وَطَـرفِيَ بِالسُّهْدِ

وَأَبْشَعُ مِنْ هَذَا وَأَعْجَب، وَأَشنَعُ مِنهُ وَأَغْـرَب، تَشْطِيرُ العَامِلِيِّ لِهَذَا البَيتِ، وَهوَ:

١.بِهِ اخْضَلَّ رَوضُ الأُنْسِ بَعدَ ذُبُولِهِ وَأَضْـحَى بِـهِ غُصْنُ النَّقَا مَائِسَ القَدِّ
٢.وَأَسْـدَى إِلَى وُفَّـادِهِ حُـلَـلَ الهَنَـا وَأَهْـدَى إِلَى رُوَّادِهِ يَـانِـعَ الـوَرْدِ

وَقَولُ السَّيِّدِ -سَلَّمَهُ اللهُ- قَبلَ بَيْتِ التَّخَلُّصِ أَيْضًا، وَهوَ:

فَـلَا مَـنْـهَـلٌ عَـذْبٌ سِـوَاهُ لِـوَارِدٍ وَلَا مَرْتَعٌ خِصْبٌ عَـدَاهُ لِـمُسْتَجْدِي

فَلَفظَةُ (وُفَّاد) الَّتِي فِي تَشْطِيرِ العَامِلِيِّ، وَلَفْظَةُ (مُسْتَجْدِي) الَّتِي فِي بَيْتِ السَّيِّدِ، غَالِبًا

مَا تَسْتَعْمِلُهُمَا الشُّعَرَاءُ فِي المَدحِ، وَأَظُنُّ أَنَّهُمَا لَمْ يُسْتَعْمَلَا فِي الغَزَلِ، وَهَبْ أَنَّهُمَا يُسْتَعْمَلَانِ فِي الغَزَلِ؛ فَإِنَّهُمَا فِي هَذَا المَقَامِ مُسْتَهْجَنَانِ اسْتِهْجَانًا عَظِيمًا خُصُوصًا إِذَا عُضِّدَتَا بِبَعضِ الأَلفَاظِ المَنظُومَةِ مَعَهَا فِي هَذِهِ الأَبيَاتِ؛ لِأَنَّ لَفْظَةَ (وُفَّاد) هُنَا كِنَايَةٌ عَن كَثرَةِ الوَارِدِينَ عَلَيهِ مِنْ أَهْلِ العِشْقِ لِبَدِيعِ حُسْنِهِ، وَيُعَضِّدُهَا لَفْظَةُ (رُوَّاد)؛ لِأَنَّهَا كِنَايَةٌ عَنهُم، فَإِذَا صَيَّرَهُ: تَأْتِيهِ وُفَّادُ عُشَاقِهِ زُمَرًا فَيُسْدِي إِلَيهِم حُلَلَ الهَنَا مُسْتَبْشِرًا، وَتَأْتِيهِ كَذَلِكَ رُوَّادُ رَوضِ حُسْنِهِ الفَرْدِ، فَيَهْدِي إِلَيهِم مِنْ وَجَنَاتِهِ يَافِعَ الوَردِ، فَهوَ إِذًا عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ مُومَسَة، وَعُشَّاقُهُ مِنَ الأَبَالِسَة، قَدْ خَلَعُوا ثَوبَ الحَيَا مِثلَمَا خَلَعَهُ عَلَانِيَةً بَينَ النَّاسِ، وَتَهَتَّكوا تَهَتُّكَهُ، كَأَنْ مَا عَلَيهِم فِي ذَلِكَ مِنْ بَأْس، وَلَيْسَ عَادَةُ الكَامِلِ الظَّرِيفِ، وَالأَلْمَعِيِّ الحَصِيفِ، أَنْ يَجعَلَ مَنْ يَتَغَزَّلُ بِهِ بِهذِهِ الصِّفَةِ، وَيُخَالِفُ مِنَ الشُّعَرَاءِ فِي هَذَا المَقَامِ أَرْبَابَ المَعْرِفَة، فَإِنَّهَا مَا زَالَتْ تَصِفُ مَنْ تَتَغَزَّلُ بِهِ بِالعِفَّةِ، وَإِنَّهُ حَذِرٌ بَعِيدٌ مِنَ الأُلفَةِ، وَلِذَا مَا يُشَبِّهونَ غَالِبًا بِالظَّبِي نَفَارَهُ، وَإِذَا زَارَتْهُ تَوَدُّ أَنْ تَموتَ وَلَا تَرَى ازْوِرَارَهُ، وَيَصِفُونَهُ بِالتَّسَتُّرِ وَالاحْتِجَابِ، وَأَنَّهُ مَا زَالَتْ مَضْرُوبَةً عَلَيهِ القِبَاب، وَهوَ فِي حِمَاهُ تَحوطُهُ آسَادُ قَبِيلَتِهِ فِي أَسَلَاتِ قَنَاهَا، وَمُرْهَفَاتِ ظُبَاهَا.

قَالَ ابنُ نَفَادَة[1]:[2] [من السريع]

١. قَدْ حَجَبوا البِيضَ بِبِيضِ الصِّفَاحْ ... وَمَنَّعُوا السُّمْرَ بِسُمْرِ الرِّمَاحْ

٢. وَأَطْبَقُوا أَصْدَافَ أَسْجَافِهِمْ ... فَمَا تَرَى شَمْسُ الصَّبَاحِ الصِّبَاحْ

٣. غَارُوا مِنَ النَّكْبَاءِ تَسْرِي فَهُمْ ... لَوْ قَدِرُوا سَدُّوا مَهَبَّ الرِّيَاحْ

(١) ابنُ نَفَادَة: أَحمدُ بنُ عَبدِ الرَّحمنِ بنِ عَليِّ بنِ نَفَادَةَ السَّلَمِيُّ الأَدِيبُ البَارِعُ بَدرُ الدِّينِ نِشوِ الدَّولَةِ، الشَّاعِرُ المُحْسِنُ؛ رَوى عَنهُ الشِّهَابُ القُوصِيُّ. كَانَ رَئِيسًا وَدِيوَانُهُ مَشهُورٌ. تُوفِّيَ سَنَةَ إِحدَى وَسِتِّمِئَةٍ وَقَد نَاهَزَ السِّتِينَ. وَلَهُ مَدَائِحُ كَثِيرةٌ فِي السُّلطَانِ صَلَاحِ الدِّينِ الكَبِيرِ وَفِي أَولَادِهِ وَأَخِيهِ العَادِلِ وَجَمَاعَتِهِ، وآخرين؛ وَهوَ مِنَ المَشهُورِينَ بِحُسنِ النَّظمِ. ينظر: الوافي بالوفيات ٧/ ٢٥، وفوات الوفيات ١/ ٨٤.

(٢) تنظر الأبيات في: الوافي بالوفيات ٧/ ٢٩، وفوات الوفيات ١/ ٨٦.

قَالَ ابنُ قَلَاقِس:[1] [من الكامل]

١. ارْجِعْ عَنِ الوَادِي فَإِنَّ مِيَاهَهُ ... مِمَّا يَشِبُّ بِهِ غَلِيلُ الهِيمِ
٢. مَدَّ الكُمَاةُ مِنَ الأَسِنَّةِ فَوْقَهُ ... ظِلًّا وَذَاكَ الظِّلُّ مِنْ يَحْمُومِ
٣. وَبِشِعْبِ رَامَةَ مَعْزَلٌ يَغْدُو بِهِ ... قَلْبُ الهِزَبْرِ أَسِيرَ لَحْظِ الرِّيمِ
٤. حَيْثُ التَفَتَّ إِلَى مَطَالِعِ شَمْسِهِ ... الفَيْتَهَا مَحْجُوبَةً بِغُيُومِ

فَانْظُرْ كَيفَ جَعَلَ ابنُ قَلَاقِسِ مِيَاهَ وَادِي مَنْ تَغَزَّلَ بِهِ بِهذِهِ المَنَعَةِ الشَّدِيدَةِ؛ إِذْ جَعَلَ شَرَائِعَهُ بِأَسِنَّةِ الكُمَاةِ مَسدُودَةً، وَالسَّيِّدُ وَالعَامِلِيُّ كَيفَ مَكَّنَا مِنهُ زُمرَ وُفَّادِهِ، وَأَبَاحَا وِرْدَ رَوْضِهِ لِرُوَّادِهِ، وَعَادَةُ الظُّرَفَاءِ مِن أَهلِ الأَدَبِ إِذَا رَامَتْ أَنْ تَصِفَ زِيَارَتَهُ تَجْعَلُ مِنْ دُونَهَا العَطَبَ؛ مِنْ شِدَّةِ شَوْكَةِ عَشِيرَتِهِ، وَشَرَاسَةِ قَبِيلَتِهِ، وَبُعْدِ الدَّارِ، وَشَحْطِ المَزَارِ، وَغَيرِ ذَلِكَ مِنَ الأَهوَالِ المَهُولَةِ، وَالدَّوَاهِي الجَلِيلَةِ، كَقَولِ ابنِ خَفَاجَةَ:[2] [من الطويل]

١. لَقَد جُبْتُ دُونَ الحَيِّ كُلَّ تَنُوفَةٍ ... يَحُومُ بِهَا نَسْرُ السَّمَاءِ عَلَى وَكْرِ[3]
٢. وَخُضْتُ ظَلَامَ اللَّيلِ يَسْوَدُّ فَحْمَةً ... وَدُسْتُ عَرِينَ اللَّيْثِ يَنْظُرُ عَنْ جَمْرِ[4]
٣. وَجُبْتُ دِيَارَ الحَيِّ وَاللَّيلُ مُطْرِقٌ ... مُنَمْنَمُ ثُوبِ الأُفْقِ بِالأَنْجُمِ الزُّهْرِ[5]
٤. أَشِيمُ بِهَا بَرْقَ الحَدِيدِ وَرُبَّمَا ... عَثَرتُ بِأَطْرَافِ الرُّدَيْنِيَّةِ السُّمْرِ[6]
٥. فَلَمْ أَلْقَ إِلَّا صَعْدَةً فَوْقَ لَامَةٍ ... فَقُلْتُ: قَضِيبٌ قَدْ أَطَلَّ عَلَى نَهرِ

---

(١) خلا منها ديوان ابن قلاقس.
- ابنُ قَلَاقِس: مرَّت ترجمته في٣١٢.
(٢) ديوان ابن خفاجة ٢٣.
(٣) التَّنُوفةُ: القَفْرُ مِنَ الأَرض؛ وَقِيلَ: التَّنُوفةُ مِنَ الأَرض المُتباعِدةُ مَا بَيْنَ الأَطْرافِ، وَقِيلَ: التَّنُوفَةُ الَّتِي لَا مَاءَ بِهَا مِنَ الفَلواتِ وَلَا أَنِيسَ، وَإِنْ كَانَتْ مُعْشِبَةً. (اللسان ٩/ ١٨).
(٤) في(الأصل): (سواد) في موضع (ظلام).
(٥) في(الديوان): (وجئت) في موضع (وجبت).
(٦) في(الأصل): (المثقفة) في موضع (الردينية).

٦. وَلَا شِمْتُ إِلَّا غُرَّةً فَوْقَ شُقْرَةٍ فَقُلْتُ: حَبَابٌ يَسْتَدِيرُ عَلَى خَمْرِ[٧]
٧. فَسِرْتُ وَقَلْبُ البَرقِ يَخْفِقُ غَيْرَةً هُنَاكَ وَعَينُ النَّجْمِ تَنْظُرُ عَنْ شَزْرِ[٨]

وَقَولُهُ أَيْضًا:[٩] [من الطويل]

١. وَلَيْلٍ طَرَقْتُ المَالِكِيَّةَ تَحْتَهُ أَجَدَّ عَلَى حُكْمِ الشَّبَابِ مَزَارَا[١٠]
٢. فَخَالَطْتُ أَطْرَافَ الأَسِنَّةِ أَنْجُما وَدُسْتُ بِهَالَاتِ البُدُورِ دِيَارَا

وَقَولُ صَرَّدُر:[١١] [من الكامل]

١. وَطَرَقْتَ أَرْضَهُمُ وَتَحْتَ سَمَائِهَا عَدَدَ النُّجُومِ أَسَنَّةُ الخُرْصَانِ[١٢]
٢. أَرْضٌ جَدَاوِلُهَا السُّيُوفُ وَنَبْتُهَا نَبْعٌ وَمَا رَكَزُوا مِنَ المُرَّانِ[١٣]

وَدَعْ عَنْكَ وَصْفَهُم شِدَّةَ مَنَعَتِهِ، وَصُعُوبَةَ زَورَتِهِ، وَهَلُمَّ إِلَى مَا اتَّصَفُوا بِهِ مِن غَيْرَتِهِم عَلَيهِ؛ فَإِنَّ الظَّرِيفَ مِنهُم لَيَأنَفُ أَنْ يُشَارِكَهُ بِحُبِّهِ أَحدٌ، وَمِنْ حَذَرِهِ عَلَيهِ يُخْفِي الكَمَدَ، وَيُسِرُّ أَمْرَهُ، وَيُخْفِي عَنِ النَّاسِ سِرَّهُ، حَتَّى أَنَّ مِهيَارَ الدَّيلَمِيَّ بَالَغَ بِذَلِكَ، وَادَّعَى

(٧) في(الأصل): (أشقر) في موضع (شُقْرَة).
(٨) في(الأصل): (عَليَّ) في موضع (هُنَاكَ).
(٩) ديوان ابن خفاجة ٨٤.
(١٠) في(الأصل): (العامريَّة) في موضع (المالكيَّة).
(١١) ديوان صَردُر ١٣.
- صَرَّدُرّ: عَليُّ بنُ الحَسَنِ بنِ عَليِّ بنِ الفَضلِ البَغدَاديُّ، أَبو مَنصورٍ: شَاعرٌ مُجيدٌ، مِن الكُتَّابِ، كَانَ يُقالُ لأبيهِ: (صَرَّ بَعْر)؛ لِبُخْلِهِ، وَانْتَقَلَ إِلَيهِ اللَّقَبُ حَتَّى قَالَ لَهُ نِظَامُ المُلكِ: أَنتَ (صَرَّ دُر لا صرَّ بعر)، فَلَزِمَهُ. مَدحَ القَائِمَ العَبَّاسِيّ وَوَزِيرَهُ ابنَ المَسلَمَةِ. قِيلَ عَنهُ: لَم يَكُنْ فِي المُتَأَخِّرينَ أَرقَّ طَبعًا مِنهُ، مَعَ جَزَالَةٍ وَبَلَاغَةٍ. تَقَنْطَرَ بِهِ فَرَسُهُ، فَهَلَكَ بِقُربِ خُرَاسَانَ سنة (٤٦٥هـ/ ١٠٧٣م)، له (ديوان شعر- ط). له ترجمة في: سير أعلام النُّبلاء ١٨/ ٣٠٣، والأعلام ٤/ ٢٧٢.
(١٢) في(الأصل): (المران) في موضع (الخرصان).
(١٣) في (الأصل): (الخرصان) في موضع (المران)، وفي (الديوان): (وعشبها) بدلاً من (ونبتها).
- النَّبْعُ: شَجَرٌ مِنْ أَشجار الجبالِ تُتَّخَذُ مِنْهُ القِسِيُّ. (اللسان ٨/ ٣٤٥).

أَنَّهُ أَخْفَاهُ عَنْ قَلْبِهِ، حَتَّى أَنَّهُ ذَابَ وَلَمْ يَعْلَمْ بِوَصَبِهِ، وَذَلِكَ حَيثُ يَقُولُ:(١) [من الكامل]

لَمْ تَدْرِ -مِنْ سَتْرِي لَهُ- كَبِدِي بِمَنْ ... ذَابَتْ، وَلَا لِمَنْ البُكَاءُ عُيوني

وَهذِه الأَحوَالُ لَا تَخفَى عَلَى ذَوي الكَمالِ، وَالعَجَبُ مِمَّن يَرَى نَفْسَهُ أَنَّهُ خِرِّيتٌ(٢) فِي مُحَسِّنَاتِ الشِّعرِ وَمُقَبِّحَاتِهِ، فَمَا بَالُهُ لَا يَتَّقِي مِن عَثَرَاتِهِ؟! وَلَعَمري مَا لَهُ لَا يَتَنَبَّهُ لِهذِهِ العُيوبِ الفَاحِشَةِ، وَلَا يَعْتَنِي بِتَهذِيبِهَا؟! أَوَمَا سَمِعَ قَولَ مَن حَثَّ عَلَى تَهذيبِ الشِّعرِ مِمَّا يُشِينُهُ؟! وَأَنْ لَا يُظْهِرَهُ مُنْشِئُهُ حَتَّى أَنَّهُ بِمُحَسِّنَاتِ نَظْمِهِ يُزِينَهُ، وَالحَقُّ لِمَنْ سَمِعَهُ يَجِبُ عَلَيهِ أَنْ يَتَّبِعَهُ، وَهوَ هَذَا الَّذِي بَالَغَ بِهِ فِي النَّصِيحَةِ خَوْفًا مِنَ الفَضِيحَةِ:(٣) [من الكامل]

١. لَا تَعْرِضَنَّ عَلَى الرِّوَاةِ قَصِيدَةً ... مَا لَمْ تُبَالِغْ قَبْلُ فِي تَهْذِيبِهَا

٢. فَإِذَا عَرَضْتَ الشِّعْرَ غَيرَ مُهَذَّبٍ ... عَدُّوهُ مِنكَ وَسَاوِسًا تَهذِي بِهَا

وَلَا قَولَ مَن لَمَحَ مَعنَاهُ:(٤) [من السريع]

وَالبَيْتُ لَا يَحْسُنُ إِنْشَادُهُ ... إِلَّا إِذَا أَحسَنَ مَنْ شَادَهُ

وَلَا قَولَ أَبِي الفَضْلِ المِيكَالِيّ:(٥) [من الكامل]

---

(١) ديوان المهيار الديلميّ ٤/ ١١٩.

(٢) الخِرِّيتُ: الْمَاهِرُ الَّذِي يَهْتَدي لأَخْراتِ المَفاوِزِ، وَهِيَ طُرُقُها الْخَفِيَّةُ ومَضايقُها. (اللسان ٢/ ٣٠).

(٣) البيتان بلا عزو في: نهاية الأرب ٧/ ٩٢، وخزانة الحمويّ ١/ ٥٩، وجواهر البلاغة ٣٢٩، وعلوم البلاغة ٣٥٥، وبغية الإيضاح ٤/ ٦٤٢.

(٤) وفيات الأعيان ٥/ ١٨.

(٥) البيتانِ لأبي الفَضلِ المِيكَالِيُّ فِي: زَهر الآدابِ: ٢/ ٤٢٦، وفي الضوء اللامع: ١/ ٣٤٨ ينسبهما لابن عبد العال، وفيه: (تهذيب ما يهذي به) بدل (التعذيب في تهذيبه).

- أَبو الفَضلِ المِيكَالِيُّ: عُبيدُ الله بنُ أحمدَ بنِ عَلِيِّ بنِ إِسمَاعِيلَ، يَعودُ بِنَسَبِهِ إِلَى يَزدَجُردَ بنِ بَهرَامَ جور، كَانَ أَوحدَ خُرَاسَانَ فِي عَصرِهِ أَدَبًا وَفَضْلًا وَنَسَبًا، حَسَنُ الخُلُقِ مَليحُ الوَجهِ وَالشَّمَائِلِ، كَثِيرُ القِرَاءَةِ، دَائِمُ العِبَادَةِ، سَخِيُّ النَّفْسِ، سَمِعَ بِخُرَاسَانَ مِنَ الحَاكِمِ أَبِي أَحمَدَ الحَافِظِ وَأَبِي عَمرو بنِ حَمدَانَ؛ وَعُقِدَ لَه مَجلسٌ لِلإِملَاءِ، وَأَبوهُ أَمِيرٌ مَشهورٌ جَلِيلُ القَدرِ. مَاتَ يَومَ عِيدِ الأَضحَى سَنَةَ=

١.يَا مَنْ يَقُولُ الشِّعرَ غَيرَ مُهَذَّبٍ وَيَسُومُنِي التَّعذِيبَ فِي تَهذِيبِهِ
٢.لَو أَنَّ كُلَّ النَّاسِ فِيكَ مُسَاعِدِي لَعَجَزْتُ عَنْ تَهذيبِ مَا تَهذِي بِهِ

وَرَأَيتُ لِلعِمَادِ الكَاتِبِ[1] بَيتَينِ فِي هَذَا البَابِ، وَهُمَا فِي غَايَةِ الإِعْجَابِ، يَزْدَري فِيهِمَا عَلَى مَا كَتَبَ، مَعَ أَنَّ الَّذِي كَتَبَهُ نَزَّهَتهُ أَهلُ الأَدَبِ، وَإِنَّمَا قَالَهُمَا وَخَفَّضَ نَفْسَهُ لِيَبْصِيرَ ذَوو البَصَائِرِ فِيمَا يُحَرِّرونَ، حَتَّى إِنَّهُم يُبَالِغُونَ فِي تَهذِيبِ مَا يُصَنِّفُونَ، وَيَرُدُّ مِنهُم جِمَاحَ مَنْ يَتَّكِلُ عَلَى حِدَّةِ فِكرَتِهِ وَسُرعَةِ بَدِيهِيَّتِهِ، وَهُمَا:[2] [من الخفيف]

١.هِيَ كُتْبِي وَلَيْسَ تَصْلَحُ مِنْ بَعْـ ـدِي لِغَيْرِ العَطَّارِ وَالإِسْكَافي
٢.فَهْيَ إِمَّا مَزَاوِدٌ لِلْعَقَاقِيـ ـرِ، وَإِمَّا بَطَائِنٌ لِلْخِفَافِ[3]

وَإِنِّي لَأَرَى إِذَا لَحَظَ الأَديبُ هَذَا وَأَمثَالُهُ؛ وَجَعَلَهُ نُصْبَ عَيْنَيْهِ لِيُهَذِّبَ مَقَالَهُ، خُصُوصًا إِذَا كَانَتْ لَهُ مَلَكَةٌ جَامِعَةٌ لِلْعُلُومِ؛ الَّتِي تَتَوقَّفُ عَلَيهَا فَصَاحَةُ الكَلَامِ؛

=سِتٍّ وَثَلَاثِينَ وَأَربَعمِئَةٍ. ينظر: فوات الوفيات ٢/ ٤٢٨، والوافي بالوفيات ١٩/ ٢٣١، والبلغة ٣١٧، والأعلام ٤/ ١٩١.

(١) عِمَاد الدِّين الكاتِبُ: مُحمَّد بنُ مُحمَّد بنِ حَامِد، أَبو عَبدِ الله، عِمَادُ الدِّين الكَاتِبُ الأَصبَهَانِيُّ: مُؤَرِّخٌ، عَالِمٌ بِالأَدَبِ، مِن أَكَابِرِ الكُتَّابِ، وُلِدَ فِي أَصبَهَانَ سَنَةَ تِسعٍ عَشرَةَ وَخَمسمِئَةٍ، وَقَدِمَ بَغْدَادَ وَهوَ ابنُ عِشرِينَ سَنَة أَو نَحوهَا، وَنَزَلَ النِّظَامِيَّةَ وَبَرعَ فِي الفِقهِ وَالحَدِيثِ عَلَى رِجَالِ عَصرِهِ، وَكَانَ فَقِيهًا شَافِعِيًّا وَأَدِيبًا مُنْشِئًا. وَاتَّصَلَ بِالوَزِيرِ (ابنِ هُبَيرَة) فَولَّاهُ نَظَرَ البَصرَةِ، ثُمَّ نَظَرَ وَاسِط، وَرَحلَ إِلَى دِمشقَ، فَاستُخدِمَ عِندَ السُّلطانِ (نور الدين) فِي دِيوَانِ الإِنشَاءِ، وَأَخبَارُهُ كَثيرةٌ، استَوطَنَ آخر أَيَّامِهِ دِمشقَ وَلَزِمَ مَدرسَته المَعروفةَ بِالعِماديَّة، وَتوفِّيَ فِيهَا سنة (٥٩٧هـ/ ١٢٠١م). له كتب كثيرة، منها (خريدة القصر-ط)، و(البرق الشاميّ-خ)، و(ديوان شعر)، وغيرها كثير، له ترجمة في: الوافي بالوفيات ١/ ١١٩، وطبقات الشافعيَّة الكبرى ٦/ ١٧٩، وديوان الإسلام ٣/ ٢٨٧، والأعلام ٧/ ٢٦.

(٢) ديوان العماد الأصفهانيّ ٣٠٠.

(٣) في (الأصل): (هي) في موضع (فهي).

فَإِنَّهُ يَكونُ كَلَامُهُ فِي غَايةِ الإحكَامِ، وَإِذَا أَهمَلَ ذَلِكَ عَثرَ فِي كَلَامِهِ عَثرةً إِثرَ عَثرةٍ، وَلَا يَشعُرُ بِنَفسِهِ، حَيثُ إِنَّهُ صَرَفَ عَن ذَلِكَ فِكرَهُ، فَيَأتِي عَلَيهِ مِنَ الاعْتِرَاضَاتِ فِي كَلَامِه مَا لَـم يَـخطُرْ عَلَى بَالِه، حَالَةَ نِظَامِه، فَيَعتَـريهِ الفَشَلُ لَدَى قَومٍ لَعَثرَتِهِ لَـمْ تُقَلْ.

وَإِنِّي عَلَى حَسَبِ مَا أَرَاهُ أَيْضًا أَنَّ العِلَّةَ فِي التَّغَزُّلِ بِالقَصِيدَةِ، وَتَقْدِيمِهِ عَلَى ثَنَاءِ المَمْدُوحِ فِي النِّظَامِ، هُوَ لِغَرضٍ بَعيدِ المَرامِ، وَذَلكَ أَنَّ المُفْلِقِينَ مِمَّنْ تَقَدَّمَ مِنَ الشُّعَرَاءِ أَحَبُّوا اسْتِعظَامَ قَصَائِدِهِم فِي عَينِ المَمْدُوحِ؛ حَتَّى تَدُرَّ عَلَيهِم يَدُهُ بِالنَّعْمَاءِ، فَرَأَوا ذَلِكَ لَا يَكونُ إِلَّا بِإِقبَالِ جُلَسَائِهِ عَلَيهَا، وَاسْتِحْسَانِهِم نِظَامَ قَوَافِيهَا، وَكَأَنَّ مِن شَأنِ نَادِي كُلِّ مَلكٍ انعِقَادُهُ بِأُنَاسٍ الغَالِبُ مِنهُم يَكرَهُ مَدحَه، وَلَا يُحِبُّ أَنْ يَسْمَعَهُ سَمْعُه؛ لِأَنَّهُ مِن جَوْرِهِ مَحنِيَّةٌ عَلَى بَغْضَائِهِ ضِلْعُه، وَأَنَّ الغَالِبَ مِنهُم يَزُورُهُ اسْتِكفَاءَ شَرِّه، وَيُظْهِرُ لَهُ المَحَبَّةَ وَيُقَبِّلُ يَدَه؛ لِيَدفَعَ بِذَلِكَ غَائِلَةَ ضُرِّه، وَقَدْ صَرَّحَ بَعْضُهُم بِذَلِكَ، فَقَالَ: [من الطويل]

١. وَرُبَّ يَـدٍ قَبَّلْتُهَا عَـنْ كَـرَاهَـةٍ ... وَكَـانَ بِـودِّي قَـطْعُهَا لَـو أُمَكَّـنُ

٢. وَلَـكِـنْ عَـلَى حُـلوِ الـزَّمَـانِ وَمُـرِّهِ ... أُدَارِي أُنَـاسًـا بِـالَّـتِي هِـيَ أَحْـسَـنُ

فَفَكَّروا فِي شَيءٍ يَجلِبُ أَهْوَاءَهُم لِلْقَصَائِدِ المُتَضَمِّنَةِ ذَلِكَ الثَّنَاء، فَمَا رَأَوْا أَحْسَنَ مِنْ التَّغَزُّلِ فِي النِّسَاء، وَوَصفِ الصَّهبَاء، وَأَطوَارِ الغِنَاء، وَغَيرِ ذَلِكَ مِمَّا شَاكَلَه؛ لِأَنَّهُ مُغنَاطِيسُ لِلنُّفُوسِ الحَيَوَانِيَّة، وَمِنْ نَفْسِ ذِكرِهِ تَسْكَرُ حَتَّى كَأَنَّكَ سَقَيتَهَا مِنهُ مُدَامًا صَرخَدِيَّة[1]، وَفِي الحَقِيقَةِ حَتَّى لَو كَانَتْ جُلَسَاءُ المَمْدُوحِ تُـحِبُّ أَنْ تَسمَعَ مَدْحَهُ، لَكَانَ هَذَا الغَزَلُ أَحَبَّ مِنهُ إِلَيهَا سَمَاعًا، بَلْ وَبَعضُ المَمْدُوحِينَ يَرَاهُ أَحَبَّ إِلَيهِ مِنْ مَدْحِهِ،

(١) صَـرْخَدِيَّةٌ نِسبَةً إِلَى صرَخَد: بَلَدٌ مُلَاصِقٌ لِبِلَادِ حُورَانَ مِن أَعمَالِ دِمشقَ، وَهِيَ قَلعَةٌ حَصِينَةٌ وَوِلَايةٌ حَسَنةٌ وَاسِعةٌ، يُنسَبُ إِلَيهَا الخَمْرُ. (معجم البلدان ٣/ ٤٠١).

وَنَفْسُهُ تَطَّلِعُ إِلَيه اطِّلَاعًا، فَلَمَّا رَأَوْهُ قَائِدًا نَفسَ المَمْدُوحِ وَأَنْفُسَ جُلَسَائِهِ لِلتَّوَجُّهِ لِبنَاتِ أَفكَارِهِم افْتَتَحُوا بِهِ عَقَائِلَ نِظَامِهِم؛ لِيَكونَ جَمِيعُ مَنْ حَلَّ فِي النَّدِيِّ إِذَا أُنْشِدَت مُتَوَجِّهًا لِغَزَلِهَا، حَتَّى أَنَّ المَمْدُوحَ إِذَا رَأَى عُظْمَ تَوَجُّهِهِم إِلَيهَا يَعْظُمُ فِي عَينِهِ شَأنُ فَضلِهَا، وَإِنْ قَلَّ فِي الأَثنَاءِ تَوَجُّهِهِم إِلَيهَا بِمَديحِهِ، أَو أَعرَضُوا عَنهَا بِالكُلِّيَّةِ، فَتَوَجُّهُهُم إِلَيهَا أَوَّلًا صَيَّرَهَا عِندَهُ بِرُتْبَةٍ عَلِيَّةٍ.

فَالغَزَلُ بِالنِّسَاءِ لَهُ مَوْقِعٌ عَظِيمٌ فِي قُلُوبِ الرِّجَالِ، خُصُوصًا العَرَبُ الجَاهِلِيُّونَ وَالإِسلَامِيُّونَ، فَقَدْ كَابَدَ الكَثِيرُ مِنهُم مِن حُبِّ النِّسَاءِ أَعظَمَ الأَهوَالِ، حَتَّى اعْتَرَاهُم الجُنُونُ؛ فَهَامُوا فِي القَفَارِ، وَمِنهُم مَنْ قَضَى نَحْبَهُ فِيهِ، وَقَلبُهُ يُطوَى مِن شُعَلَاتِ وَجْدِهِ عَلَى جَذوَةِ نَارٍ، وَهَذَا أَشْهَرُ مِنْ أَنْ يُذكَرَ.

وَلَقَد رَوَى أَهلُ السِّيَرِ، أَنَّ الَّذِينَ عَلَقَ الحُبُّ قُلُوبَهُم وَمَاتُوا، أَوْ جُنُّوا هُمْ الَّذِينَ عَشِقوا بَنَاتَ العَمِّ وَالجِيرَانِ فِي الحَدَاثَةِ، وَإِنَّ ذَلِكَ هَوُ العِشقُ الَّذِي لَا يُزَايِلُ صَاحِبَهُ أَبَدًا، بَلْ لَا يَزَالُ بِهِ حَتَّى يَموتَ كَمَدًا، أَو يَهيمُ عَلَى وَجْهِهِ.

وَمِن هَذَا البَابِ قَولُ المَجْنُونِ:(١) [من الطويل]

١. تَعَلَّقْتُ لَيلَى وَهيَ غِرٌّ صَغِيرَةٌ ... وَلَمْ يَبْدُ لِلأَتْرَابِ مِنْ ثَدْيِهَا حَجْمُ(٢)

٢. صَغِيرَينِ نَرْعَى البَهمَ يَا لَيْتَ أَنَّنَا ... إِلَى اليَومِ لَمْ نَكْبَرْ وَلَمْ تَكْبَرِ البَهمُ(٣)

وَمِنهُ قَولُ جَمِيلٍ:(٤) [من الطويل]

١. عَلِقْتُ الهَوَى مِنهَا وَلِيدًا وَلَمْ يَزَلْ ... إِلَى الآنَ يَنْمُو حُبُّهَا وَيَزِيدُ(٥)

(١) ديوان مجنون ليلى ١٨٦.

(٢) في (الأصل) جاء الصدر برواية: (وعلقت ليلى وهي ذات موصد).

(٣) في (الأصل): (صغيران) في موضع (إلى اليوم).

(٤) ديوان جميل: البيت الأوَّل ١٨، والثاني ١٦.

(٥) في الديوان: (فلم) في موضع (ولم)، (ينمي) في محل (يَنْمُو).

٢. وَأَفْنَيْتُ عُمْرِي بِانْتِظَارِيَ وَعْدَهَا وَأَفْنَتْ بِذَاكَ الدَهْرَ وَهوَ جَدِيدُ[١]

وَكَانَ أَوَّلُ مَا عَلِقَ جَمِيْلُ بُثَيْنَةَ [٢]، أَنَّهُ أَقْبَلَ يَوْمًا فِي إِبِلِهِ، فَاسْتَقْبَلَ وَادِيًا يُقَالُ لَهُ (وَادِي بَغِيْض)، فَاضْطَجَعَ وَأَرْسَلَ إِبِلَهُ مُصْعَدَةً، وَأَهْلُ بُثَيْنَةَ فِي ذَنَبِ الوَادِي؛ فَأَقْبَلَتْ بُثَيْنَةُ وَجَارِيَةٌ لَهَا وَارِدَتَيْنِ المَاءَ، فَمَرَّتَا عَلَى فِصَالٍ[٣] لَهُ بَرْكٍ، فَفَرَّقَتْهُنَّ بُثَيْنَةُ، وَهِيَ إِذْ ذَاكَ جُوَيْرِيَّةٌ صَغِيرَةٌ، فَسَبَّهَا جَمِيلٌ فَافْتَرَتْ عَلَيْهِ، فَمَلُحَ إِلَيْهِ سِبَابُهَا، فَقَالَ: [٤] [من الطويل]

١. وَأَوَّلُ مَا قَادَ المَوَدَّةَ بَيْنَنَا بِوَادِي بَغِيضٍ، يَا بُثَيْنُ، سِبَابُ

٢. وَقُلْتُ لَهَا قَوْلًا، فَجَاءَتْ بِمِثْلِهِ لِكِلِّ كَلَامٍ، يَا بُثَيْنُ، جَوَابُ[٥]

وَكَانَ العِشْقُ -فِي العَرَبِ- أَكْثَرَ وُقُوعًا فِي بَنِي عُذْرَةَ، وَقَدِ اشْتَهَرُوا فِيهِ بَيْنَ القَبَائِلِ، إِذ أَذَاعُوا سِرَّه، وَصَارُوا فِي العِشْقِ يُضْرَبُ بِهِمْ المَثَلُ؛ لِكَثْرَةِ مَنْ مِنْهُم العِشقُ قَتَلَ.

وَلَقَد رَوَى أَهلُ السِّيَرِ حَدِيثًا عَنْ مُحَمَّدِ بنِ جَعْفَر[٦] مَا هَذَا مُلَخَّصُهُ، أَنَّهُ قَالَ:

(١) في (الأصل): (فِي انْتِظَارِ نَوَالِهَا) في موضع (بِانْتِظَارِيَ وَعْدَهَا)، (العُمرَ) في محل (الدَهْرَ).

(٢) بُثَيْنَة بنتُ حَبَا (حبأ، وقيل حيي) بنِ ثَعلَبَةَ العُذْرِيَّةُ: شَاعِرةٌ مِن بَنِي عُذْرَةَ، مِنْ قُضَاعَةَ، اشْتَهَرَت بِأَخبَارِهَا مَعَ جَمِيل بنِ مَعْمَرٍ العُذرِيِّ، وَهُوَ مِن قَوْمِهَا، وَكَانَت مَنَازِلُهُم بِوَادِي القُرَى (بَينَ المَدينةِ وَمَكَّة)، فِي شِعرِهَا رِقَّةٌ وَمَتَانَةٌ، مَاتَ جَمِيلٌ قَبلَهَا، فَرَثَتهُ، وَلَم تَعِشْ بَعدَهُ طَوِيلًا، تُوفِّيَت سَنَةَ (٨٢هـ). ينظر: المؤتلف والمختلف ٤/ ٢٣٢٤، والإكمال ١/ ١٨٥، والذخيرة ١/ ٤٦٥، وتأريخ دمشق ٦٩/ ٥٧، مختصر تأريخ دمشق ٥/ ٢٧٥، والدرُّ المنثور ٧٩، والأعلام ٢/ ٤٣.

(٣) فِصال: جمع فَصيل، وهو ولَدُ النَّاقَةِ إِذا فُصِلَ عَن أُمِّه. (التاج ٣٠/ ١٦٦).

(٤) ديوان جميل بثينة ١٠٥.

(٥) الديوان: (وقلنا) في موضع (وقلت).

(٦) مُحمَّدُ بنُ جَعفَر بنِ الزُّبيرِ بنِ العَوَّامِ القَرشِيُّ الأَسَدِيُّ المَدنِيُّ، يَروي عَنْ عَمِّهِ عُروةَ وَابنِ عَمِّهِ عَبادِ بنِ عَبدِ الله، وَيَروي عَنهُ جَماعَةٌ، وَكَانَ مِن فُقَهَاءِ أَهلِ المَدينَةِ وَقُرَّائِهِم، وَقِيلَ عَنهُ كَانَ يُخَطِّىء وَيُخَالِف وَتُوفِّيَ شابًا. له ترجمة في: التأريخ الكبير ٢/ ٩٢٨، والجرح والتعديل ٧/ ٢٢١، والثِّقات لابن حبَّان ٧/ ٣٩٤، ورجال صحيح البخاريّ ٢/ ٦٤٠، ورجال صحيح مسلم ٢/ ١٧٢، والتعديل والتجريح ٢/ ٦٢٢، وتهذيب الكمال ٢٤/ ٥٧٩، وتهذيب التهذيب ٩/ ٩٣، والتُّحفة اللَّطيفة ٢/ ٤٦٥.

سَمِعْتُ رَجُلًا مِنْ عُذْرَةَ يَتَحَدَّثُ عِنْدَ عُرْوَةَ[1]؛ فَقَالَ لَهُ عُرْوَةُ: يَا هَذَا بِحَقٍ أَنَّكُمْ أَرَقُّ قُلُوبًا مِنَ النَّاس، فِي هَوَى الجَآذِرِ الَّتِي تَفْضَحُ بِعُيونِهَا جَآذِرَ الكُنَاس؟!

قَالَ: نَعَمْ وَالله ذِي الحُجُب، لَقَدْ تَرَكْتُ فِي الحَيِّ ثَلاثِينَ شَابًّا خَامَرَهُمُ المَوْتُ مَا لَهُمُ دَاءٌ إِلَّا الحُبّ[2].

وَرَوَوْا أَيْضًا مَا هَذَا مَضْمُونُهُ: عَنْ سَعْدِ بنِ عُتْبَةَ أَنَّهُ حَضَرَ فِي مَجْلِسِهِ رَجُلٌ اسْتَغْرَبَهُ، فَقَالَ لَهُ: مِمَّنْ أَنْتَ؟.

قَالَ: مِنْ قَوْمٍ إِذَا عَشِقُوا مَاتُوا.

فَقَالَ: عُذْرِيٌّ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: وَلِمَ كَانَ بِكُمْ هَذَا الدَّاءُ الَّذِي أَهْلَكَكُمْ؟.

قَالَ: لأَنَّ فِي رِجَالِنَا صَبَاحَةً وَفِي نِسَائِنَا عِفَّةً؛ وَلِذَا فَالرَّجُلُ مِنَّا إِذَا اشْتَدَّ عِشقُهُ يُلَاقِي حَتْفَه.

وَعَنْهُمْ مَا هَذَا مُلَخَّصُهُ، أَنَّهُ قَالَ رَجُلٌ مِنْ فَزَارَةَ لِرَجُلٍ مِنْ عُذْرَةَ: إِنَّكُمْ لَتَعُدُّونَ مَوْتَكُمْ فِي الحُبِّ فَضِيلَةً لَكُمْ وَمَزِيَّةً، وَإِنَّمَا ذَاكَ مِنْ ضَعْفِ البِنْيَةِ وَوَهْنِ العَقِيْدَةِ، وَسُوْءِ الرُؤْيَةِ.

فَقَالَ العُذْرِيُّ: أَمَّا إِنَّكُمْ لَوْ رَأَيْتُمْ المَحَاجِرَ البُلْجَ، تَرْشُقُ بِالأَعْيُنِ الدُّعْجِ، مِنْ فَوْقِهَا الحَوَاجِبُ الزُّجُّ، مِنْ تَحْتِهَا المَبَاسِمُ الفُلْجُ، تَفْتَرُّ عَنْ الثَّنَايَا الغُرِّ، كَأَنَّهَا البَرَدُ وَالدُّرُّ، لَجَعَلْتُمُوهَا اللَّاتَ وَالعُزَّى.

وَيُنَاظِرُ هَذَا الخَبَر مَا رَوَاهُ أَيضًا أَهلُ السِّيَرِ عَنْ رَجُلٍ مِنْ جُهَيْنَةَ، أَنَّهُ قَالَ: صَادَفْتُ فِي الحَمَّامِ جَمِيلًا صَاحِبَ بُثَيْنَةَ وَأَنَا لَا أَعْرِفُهُ، فَقُلْتُ: مَنْ أَنْتَ؟.

---

(١) عُرْوَةُ بنُ الزُّبيرِ بنِ العَوَّام: مرَّت ترجمته في ٧٦.

(٢) الخبر في نشوار المحاضرة ٥/ ٩٥، ومصارع العشَّاق ١/ ٤٢، وأخبار النساء ١/ ٦٧، وفي الموشى ١/ ٨٥ مع اختلاف الصياغة، وفيه (ثمانين) بدل (ثلاثين).

قَالَ: جَمِيلٌ.

فَقُلْتُ لَهُ: أَنْتَ الَّذِي تَقُولُ:(١) [من الطويل]

لَهَا النَّظْرَةُ الأُوْلَى عَلَيْهِنَ بَسْطَةً فَإِنْ كَرَّتِ الأَبْصَارُ كَانَ لَهَا العَقْبُ

فَقَالَ: نَعَمْ أَنَا الَّذِي أَقُوْلُ:(٢) [من الطويل]

تَرَى البُزْلَ يَكْرَهْنَ الرِّيَاحَ إِذَا جَرَتْ وَبَثْنَةُ إِنْ هَبَّتْ بِهَا الرِّيْحُ تَفْرَحُ(٣)

قَالَ: فَقُلْتُ إِنِّي وَاللهِ لأَظُنُّ أَنَّ عُرْقُوبَيْهَا يُذْكِيَانِ إِذَا كَلَّتْ شَفْرَةُ الحَيِّ، فَضَحِكَ وَقَالَ:

يَا ابنَ أَخِي لَوْ رَأَيْتَهَا؛ لَوَدَدْتَ أَنْ تَلْقَى اللهَ بِهِنَةٍ مِنْهَا مُصِرًّا عَلَيْهَا أَبَدًا.

أَقُولُ: وَلَقَد كَانوا إِذَا اشْتَدَّ بِهِم الغَرَامُ لَمْ يُدَنِّسوا الحُبَّ بِالآثَامِ، وَلَو أَتَى عَلَى أَنْفُسِهِم الحِمَام، وَيُؤَيِّدُ ذَلِكَ وَعَلَى صِحَّتِهِ يَشْهَد، مَا رَوَاهُ سَهْلُ بنُ سَعْدٍ(٤)، وَهَذَا مَضمُونُه، أَنَّهُ قَالَ: كُنْتُ بِمِصْرَ وَخَرَجْتُ لِحَاجَةٍ فَلَقِيَنِي بِبَعْضِ الطَّرِيق، رَجُلٌ كَانَ لِي صَدِيق، فَقَالَ لِي:

هَلْ لَكَ لِعِيَادَةِ جَمِيل أَنْ تَعْدِل، فَإِنَّ مَرَضَهُ عَلَيهِ قَدْ ثَقُلَ.

---

(١) ديوان جميل بثينة ٦٢.

(٢) المصدر نفسه ٦٥.

(٣) البُزُلُ: جَمعُ البَزولِ وَهوَ البَعيرُ فِي السَّنَةِ الثَّامِنةِ أَوِ التَّاسِعَةِ مِنَ العُمْرِ، وَمجَازًا: البَازِلُ: الرَّجُلُ الكَامِلُ فِي تَجْرِبَتِه وعَقلِه. وَقِيلَ: رَجُلٌ بازِلٌ: إِذَا احْتَنَكَ، تَشْبِيهًا بالبَعيرِ البَازِلِ. (التاج ٢٨/ ٧٨). وَرُبَّما قَصَدَ الشَّاعِرُ النِّسَاءَ كَبيرَاتِ السِّنِّ وَمَحْبُوبَتُه لَا تَزَالُ طِفْلَةً غِرَّةً.

(٤) سَهْلُ بنُ سَعْدٍ الخَزرَجِيُّ الأَنصَارِيُّ، مِنْ بَنِي سَاعِدَة: صَحَابِيّ، مِنْ مَشَاهِيرِهِم. مِن أَهْلِ المَدينَةِ، عَاشَ نَحوَ مِئَةِ سَنَةٍ. له ترجمة في: التأريخ الكبير ٤/ ٩٧، والكنى والأسماء ١/ ٦٠٩، والثِّقات لابن حبَّان ٣/ ١٦٨، ورجال صحيح البخاريّ ١/ ٣٢٤، ورجال صحيح مسلم ١/ ٢٥٥، والاستيعاب ٢/ ٦٦٤، وأسد الغابة ٢/ ٥٧٥، وتهذيب الأسماء واللغات ١/ ٢٣٨، وتهذيب الكمال ١٢/ ١٨٨، تأريخ الإسلام ٢/ ١١١٢، وسير أعلام النُّبلاء ٣/ ٤٢٢، والوافي بالوفيات ١٦/ ٨، والأعلام ٣/ ١٤٣.

قُلْتُ: نَعَمْ.

فَدَخَلْنَا عَلَيْهِ وَهُوَ يَجُودُ بِنَفْسِهِ، وَمَا نَرَى إِلَّا المَوتَ قَدْ نَزَلَ بِه، فَنَظَرَ إِلَيَّ وَقَالَ:

يَا ابْنَ سَعْد، مَا تَقُولُ فِي رَجُلٍ لَمْ يَزْنِ قَطُّ، وَلَمْ يَشْرَبْ مُدَامًا، وَلَمْ يَسْفِكْ دَمًا حَرَامًا، قَدْ أَتَتْ عَلَيْهِ خَمْسُوْنَ سَنَةٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله؟.

فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَإِنِّي أَظُنُّهُ نَاجيًا مِنْ عَذَابِ النَّارِ.

فَقَالَ: أَنَا ذَاكَ.

قُلْتُ: يَا سُبْحَانَ الله مَا رَأَيْتُ كَاليَوْمِ مِنْ هَذَا أَعجْب، وَلَا مِنهُ أَغْرَب، وَمَا أَحْسَبُكَ تَسْلَمُ وَأَنْتَ تُشَبِّبُ بِبُثَيْنَةَ مُنْذُ عِشْرِينَ سَنَةً، فَقَالَ:

إِنِّي فِي آخِرِ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ الدُّنْيَا، وَأَوَّلِ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ الآخِرَة، فَلا نَالَتْنِي شَفَاعَةُ مُحَمَّدٍ ﷺ فِي الصَّاخَّةِ وَالسَّاهِرَة[1]، إِنْ كُنتُ قَدْ وَضَعْتُ يَدِي يَوْمًا عَلَيْهَا لِرِيبَةٍ، وَإِنَّمَا أَكْثَرُ مَا يَكُوْنُ مِنِّي إِلَيْهَا إِذَا كَانَت مِنِّي قَرِيبَة، أَنِّي أَأْخُذُ يَدَهَا وأَضَعُهَا عَلَى قَلْبِي، فَأَسْتَرِيحُ بِهَا وَيَتَنَفَّسُ بَعضُ كَرِبِي، ثُمَّ أُغْمِيَ عَلَيْهِ فَأَفَاقَ وَأَنْشَأَ يَقُولُ:[2] [من الكامل]

١. صَدَعَ النَّعِيُّ، وَمَا كَنَى بِجَمِيلِ ... وَثَوَى بِمِصْرَ ثَوَاءَ غَيْرِ قَفُولِ[3]

٢. وَلَقَدْ أَجُرُّ الذَّيْلَ فِي وَادِي القُرَى ... نَشْوَانَ، بَيْنَ مَزَارِعٍ وَنَخِيلِ

٣. قُومِي بُثَيْنَةُ وانْدُبِي بِعَوِيلِ ... وَابْكِي خَلِيلَكِ دُونَ كُلِّ خَلِيلِ![4]

ثُمَّ أُغْمِيَ عَلَيْهِ فَمَاتَ.

---

(١) الصَّاخَّةُ: هِيَ الصَّيْحَةُ الَّتِي تَكُون فِيهَا القِيَامَةُ، تصُخُّ الأَسماعَ، أَي تُصِمُّها، فَلاَ تَسَمعَ إِلَّا مَا تُدْعَى بِهِ للإِحياء. (اللسان ٣/ ٣٣)، والساهرة: أَرضٌ يُجَدِّدُهَا اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ. (اللسان ٤/ ٣٨٣٣).

(٢) ديوان جميل بثينة ١٢٨.

(٣) في (الأصل): (صرخ) بدلًا من (صدع).

(٤) في (الديوان): (فاندبي) بدلًا من (واندبي).

وَيُؤَيِّدهُ أَيضًا مَا قَالَهُ الحَافِظُ أَبو مُحَمَّدٍ الأُمَوِيُّ[1] أَنَّهُ قَالَ: كَانَتْ عِنْدَهُ امْرَأَةٌ تَخْدِمُهُ، وَأَنَّ فَتًى عَلِقَهَا وَعَلِقَتْهُ، فَذَاعَ سِرُّهُمَا وَشَاعَ أَمْرُهُمَا، فَاجْتَمَعَا يَوْمًا فَقَالَ لهَا: هَلُمَّ نُحَقِّقُ مَا قَالَهُ فِينَا النَّاسُ، فَقَالَتْ: لَا واللهِ لَا كَانَ ذَلِكَ أَبَدًا، وَأَنَا أَقْرأُ: ﴿**الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ**﴾[2].

وَيُصَحِّحُهُ أَيضًا مَا رُوِيَ عَنْ جَمِيلٍ، وَهَذَا مُلَخَّصُهُ، أَنَّهُ قَالَ لِبُثَيْنَةَ؛ لِيَرَى مَا عِنْدَهَا: هَلْ لَكِ يَا بُثَيْنَةُ أَنْ نُحَقِّقَ مَا قَالَهُ فِينَا ذَوو الحَسَد؟ فَقَالَتْ: مَهْ إِنَّ الحُبَّ إِذَا نُكِحَ فَسَدَ[3].

وَنَظَمَ هَذَا المَعْنَى بَعْضُ الشُّعَرَاءِ فَقَالَ:[4] [من مجزوء الرجز]

١.مَا الحُبُّ إِلَّا نَظْرَةٌ وَغَمْزُ كَفٍّ وَعَضُدْ
٢.مَا الحُبُّ إِلَّا هَكَذَا إِنْ نُكِحَ الحُبُّ فَسَدْ

وَرُوِيَ عَنِ الأَصْمَعِيِّ أَنَّهُ قَالَ: قُلْتُ لأَعْرَابِيَّةٍ مَا تَعُدُّونَ العِشْقَ فِيكُمْ؟ قَالَتْ: العِنَاقُ وَالضَّمَّةُ وَالمُحَادَثَةُ وَالغَمْزَةُ، ثُمَّ قَالَتْ:

(١) لَمْ أَعْثَر عَلَى ذِكرٍ لِلحَافِظِ أَبِي مُحمَّدٍ الأمَوِيِّ، وَأَظُنُّه: الحَافِظُ ابنُ مُحمَّدٍ الأَمَوِيُّ.
– الحَافِظُ ابنُ مُحَمَّدٍ الأمَوِيُّ: عَبدُ المَلِكِ بنُ مُحَمَّدِ بنِ عَبدِ اللهِ بنِ بِشرَانِ، مَولَاهُمُ، البَغدَادِيُّ (أَبو القَاسِمِ)، مُحَدِّثٌ، وَاعِظٌ، تُوفِّيَ سَنةَ (٤٣٢هـ)، ومن آثاره: (آمال في الحديث).
ينظر: معجم المؤلِّفين ٦/ ١٩٠.
– الخبر في: طوق الحمامة ١٦٨، ورسائل ابن حزم ١/ ٢٩٧، وروضة المحبِّين ٣٤٦، وتزيين الأسواق ١/ ٩، وديوان الصبابة ٢٠٨.

(٢) سورة الزخرف/ ٦٧.

(٣) الموشى ٥٦.

(٤) نسب البيتان لأبي العيناء في: أشعار أولاد الخلفاء ١/ ٢٦، والأوراق ٣/ ٣٢٦، وفي سمط اللآلي ١/ ٦٩١ نُسِبا للمأمون (وأظن ذلك تصحيفًا من (مأبون) التي وردت في: أشعار أولاد الخلفاء، والأوراق، وبلا عزو في: الموشى ١/ ٥٦، وأخبار النساء ١/ ٥١ والمستطرف ١/ ٤٠٨.

يَا حَضَـرِيُّ، كَيْفَ هُوَ عِنْدَكُمْ؟ قُلْتُ: يَقْعُدُ المُحِبُّ بَيْنَ رِجْلَي مَنْ يُحِبُّ، ثُمَّ يُجْهِدُهَا، قَالَتْ: يَا بنَ أَخَيْ مَا هَذَا عَاشِقٌ، هَذَا طَالِبُ وَلَدٍ[1].

وَرُوِيَ مَا هَذَا مَضْمُونُهُ، سَأَلَ رَجُلٌ أَعْرَابِيًّا عَنِ العِشْقِ، فَقَالَ: هُوَ اللَّحْظَةُ والنَّظْرَةُ، وَمَصُّ الرِّيقَةِ، وَلَثْمُ الثَّغْرِ، وَالأَخْذُ مِنْ لَطَائِفِ الحَدِيثِ بِنَصِيبٍ، إِذَا غَابَ الرَّقِيب، فَكَيْفَ هُوَ عِنْدَكُمْ يَا حَضَرَيُّ، فَقَالَ:

العَضُّ الشَّدِيدُ، والجَمْعُ بَيْنَ الرُّكْبَةِ وَالوَرِيدِ، وَهُوَ يُوقِظُ النِّيَامَ، وَيُوجِبُ الآثَامَ، فَقَالَ:

تَاللهِ مَا يَفْعَلُ هَذَا العَدُوُّ، فَكَيْفَ الحَبِيب؟!

وَقِيْلَ لآخَر: مَا كُنْتَ صَانِعًا بِمَنْ أَحْبَبْتَ لَوْ ظَفِرْتَ بِهِ؟. قَالَ: أَحِلُّ الخِمَارَ، وَأُحَرِّمُ مَا وَرَاءَ الإِزَارِ، وَأَظْهَرُ الحُبِّ مَا يُرْضِي الرَّبَّ.

وَقِيلَ لآخَرَ: مَا كُنْتَ صَانِعًا بِمَحْبُوبَتِكَ لَوْ ظَفَرْتَ بِهَا؟.

قَالَ: أَضُمُّهَا وَأَلْثِمُهَا، وَأَعْصِي الشَّيْطَانَ فِي إِثْمِهَا، وَلا أُفْسِدُ عِشْقَ عِشْـرِينَ سَنَةٍ بِلَذَّةِ سَاعَةٍ تَفْنَى لَذَّتُهَا وَيَبْقَى عِقَابُهَا، إِنِّي إِنْ فَعَلْتُ ذَلِكَ لَلَئِيمٌ وَلَمْ يَلِدْنِي كَرِيمٌ[2].

وَالعِشقُ عَلَى حَسَبِ مَا حَدَّهُ عُلَمَاءُ الطِّبّ[3]، هُوَ طَمعٌ يَتَولَّدُ فِي القَلب، وَيَتَحَرَّكُ وَيَنمو وَتَجتَمعُ إِلَيهِ مَوادٌّ مِنَ الحِرصِ، وَكُلَّمَا قَوِيَ زَادَ صَاحِبُه فِي الاهْتِيَاجِ، وَالتَّمَادِي فِي الطَّمَعِ وَالفِكرِ فِي الآمَالِ، وَالحِرصِ عَلَى الطَّلَبِ وَاللِّجَاجِ، حَتَّى يُؤَدِّيهِ ذَلِكَ إِلَى الغَمِّ المُقْلِق، وَيَكونُ احْتِرَاقُ الدَّمِ عِندَ ذَلِكَ، وَاسْتِحَالَتِهِ إِلَى السَّوداءِ، وَالتِهَابُ الصَّفْرَاءِ وَانْقِلَابُهَا إِلَيهَا، وَمِن طَبعِ السَّوداءِ إِفسَادُ الفِكْرِ، وَمَعَ فَسَادِ الفِكرِ يَكونُ زَوَالُ العَقلِ،

(١) أخبار النساء ٥١.

(٢) ينظر: ديوان الصبابة ٢٠٨.

(٣) ينظر: نشوة السكران ٣.

وَرَجَاءُ مَا لَا يَكون، وَتَمَنِّي مَا لَا يَتُم، حَتَّى يُؤَدِّي إِلَى الجُنُون، فَحِينَئِذٍ رُبَّمَا قَتَلَ العَاشِقُ نَفْسَه، وَسَكنَ رَمسَه، وَرُبَّمَا مَاتَ غَمًّا وَتَرَحًا، وَرُبَّمَا نَظَرَ إِلَى مَعشُوقِهِ فَمَاتَ فَرَحًا، وَرُبَّمَا شَهَقَ شَهْقَةً فَتَحْتَقِنُ رُوحُهُ، فَيبقَى أَربَعًا وَعِشرينَ سَاعةً، فَيظُنونَ أَنَّه قَد مَات، فَيدفُنونَهُ وَهُوَ حَيٌّ مَعَ الأَموَات، وَرُبَّمَا تَنَفَّسَ الصُّعَدَاءَ، فَتَحْتَقِنُ رُوحُهُ فِي تَامُورِ قَلْبِه، وَيَنْضَمُّ عَلَيهَا القَلبُ، وَلَا يَنْفَرجُ حَتَّى يَمُوتَ بِكَربِه.

وَلِذَا تَرَى العَاشِقَ إِذَا ذُكِرَ مَن يَهوَى يَهربُ دَمُه، وَيَسْتَحِيلُ لَونُهُ، وَلَا غَروَ لِذَلِكَ؛ لِأَنَّ العِشقَ عَلَى العَاشِقِ تَظْهَرُ دَلَائِلُه، وَإِنْ لَمْ يُذْكَرْ عَشِيقُه، وَتَلوحُ عَلَيهِ مَخَائِلُهُ، بِشُحُوبِ الجِسمِ، وَحُلُولِ الكَمَدِ وَالسُّقْمِ، وَكُسُوفِ البَالِ، وَتَغَيُّرِ الأَحوَالِ، وَالنُّحُولِ الظَّاهِرِ، وَالدَّاءِ المُخَامِرِ، وَتَرَادُفِ الزَّفَرَاتِ، وَتَتَابُعِ العَبَرَاتِ وَاضْطِرَابِ القُلُوبِ، وَاضْطِرَامِ الصُّدُورِ، وَالتِهَابِ الوَجدِ، وَانتِهَابِ الصَّبرِ، إِلَى غَيرِ ذَلِكَ مِنَ اللُّمَعِ اللَّائِحَةِ، وَاللُّمَحِ الوَاضِحَةِ، الَّتِي شَهِدَ وَصْفُهَا عَلَى ضَعفِ القُوَى، وَدَلَّ عَلَى قُوَّةِ الجَوَى.

وَرَوَى الهَيثَمُ بنُ عَدِي[1] قَالَ: أَصَبْتُ صَخْرَةً مَكْتُوبٌ عَلَيْهَا: العِشْقُ مَلِكٌ غَشُومٌ مُسَلَّطٌ ظَلُومٌ، دَانَتْ لَهُ القُلُوبُ، وَانْقَادَتْ لَهُ الأَلْبَابُ، وَخَضَعَتْ لَهُ النُّفُوسُ، فَالعَقْلُ أَسِيرُهُ، وَالنَّظَرُ رَسُولُهُ، وَاللَّحْظُ لَفْظُهُ، مَسْتُورُهُ غَامِضٌ، وَهُوَ دَقِيقُ المَسْلَكِ عَسِرُ المَخْرَجِ[2].

وَلَقَد ذَكرَ لَه الأُدبَاءُ صِفَاتٍ مِثلَ هَذِهِ الصِّفَات، مِنْ ذَلِكَ رُوِيَ أَنَّ المَأمُونَ قَالَ لِيَحْيَى بنِ أَكْثَمَ[3]: مَا العِشْقُ؟.

(١) أَبو عَبدِ الرَّحمنِ الهَيثَمُ بنُ عَدِيِّ الطَّائِيُّ النَّعليُّ البُحْتُرِيُّ الكُوفيُّ، كَانَ عَالِمًا بِالشِّعرِ وَالأَخْبَارِ، وَالمَثَالِبِ وَالمَنَاقِبِ وَالمَآثِرِ وَالأَنْسَابِ، نَقَلَ مِن كَلامِ العَربِ وَعُلومِهَا وَأَشعَارِهَا وَلُغَاتِهَا الكَثِير، وَقَد نُقِمَ عَلَيهِ فِي نَسَبِهِ، وَكَانَ يَتَعرَّضُ لِأُصولِ النَّاسِ وَنَقلِ أَخبَارِهِم، توفِّي سنة ٢٠٦هـ.
البيان والتبيين ١/ ٢٨٠، وطبقات النسَّابين ١/ ٤٩، وفي تأريخ الأدب الجاهليّ ١/ ١٢٦.

(٢) ينظر: نشوة السكران ٧.

(٣) يَحيَى بنُ أَكثَم بنُ مُحمَّد بنِ قَطنٍ التَّمِيمِيُّ الأُسَيدِيُّ المَروزِيُّ، أَبو محمَّد: قَاضٍ، رَفِيعُ القَدرِ،=

فَقَالَ يَحْيَى: سَوَانِحُ تَسْنَحُ لِلْمَرْءِ فَيَهِيمُ بِهَا قَلْبُهُ وَيَتَوَاتَرُ بِهَا نَفَسُهُ، فَقَالَ لَهُ ثُمَامَةُ: أُسْكُتْ يَا يَحْيَى، إِنَّمَا عَلَيْكَ أَنْ تُجِيبَ فِي مَسْأَلَةِ طَلاقٍ أَوْ مُحْرِمٍ صَادَ صَيْدًا، وَأَمَّا هَذِهِ فَمِنْ مَسَائِلِنَا نَحْنُ.

فَقَالَ لَهُ المَأْمُونُ: قُلْ يَا ثُمَامَةُ، فَقَالَ:

العِشْقُ جَلِيسٌ مُمْتِعٌ، وَأَلِيفٌ مُؤْنِسٌ، وَصَاحِبٌ مَالِكٌ، وَمَالِكٌ قَاهِرٌ، مَسَالِكُهُ لَطِيفَةٌ، وَمَذَاهِبُهُ مُتَضَادَّةٌ، وَأَحْكَامُهُ جَائِرَةٌ، مَالِكُ الأَبْدَانِ وَأَرْوَاحِهَا، وَالقُلُوبِ فِي خَوَاطِرِهَا، وَالعُيُونِ وَنَوَاظِرِهَا، وَالنُّفُوسِ وَآرَائِهَا، وَأُعْطِيَ زِمَامَ طَاعَتِهَا، وَقِيَادَ مَمْلَكَتِهَا، تَوَارَى عَنِ الأَبْصَارِ مَدْخَلُهُ، وَغَمُضَ عَنِ القُلُوبِ مَسْلَكُهُ.

فَقَالَ المَأْمُونُ: أَحْسَنْتَ يَا ثُمَامَةُ، وَأَمَرَ لَهُ بِأَلْفِ دِينَارٍ(١).

وَقَالَ الأَصمَعِيُّ: سَأَلْتُ أَعْرَابِيَّةً عَنِ العِشقِ فَقَالَت: جَلَّ وَاللهِ أَنْ يُرَى وَخَفِيَ عَن أَعْيُنِ الوَرَى، فَهُوَ فِي الصُّدُورِ كَامِنٌ كُونَ النَّارِ فِي الحَجَر، إِنْ قَدَحتَهُ أَورَى، وَإِنْ تَرَكتَهُ تَوَارَى(٢).

=عَالِي الشُّهْرَةِ، يَتَّصِلُ نَسَبُه بِأَكثَمَ بنِ صَيفِيٍّ حَكيمِ العَرَب، وُلِدَ بِمَرو، وَاتَّصَلَ بِالمَأْمُونِ أَيَّامَ مَقَامِهِ بِهَا، فَوَلَّاهُ قَضَاءَ البَصْرَةِ سَنَةَ (٢٠٢)، ثُمَّ قَضَاءَ القُضَاةِ بِبَغْدَادَ، وَأَضَافَ إِلَيهِ تَدْبِيرَ مَملَكَتِهِ، استَولَى عَلَى قَلبِ المَأمونِ حَتَّى أَمرَ بِأَنْ لَا يُحْجَبُ عَنهُ لَيلًا وَلَا نَهَارًا، وَلَـمَّا مَاتَ المَأمونُ وَوَلِيَ المُعْتَصِمُ، عَزَلَهُ عَنِ القَضَاءِ، فَلَزِمَ بَيتَهُ، وَآلَ الأَمرُ إِلَى المُتَوَكِّل فَرَدَّهُ إِلَى عَمَلِهِ، ثُمَّ عَزَلَهُ سَنَةَ (٢٤٠هـ)، وَأَخذَ أَموَالَهُ، فَأَقَامَ قَلِيلًا، وَعَزَمَ عَلَى المُجَاوَرةِ في مَكَّة، فَرَحَلَ إِلَيهَا، فَلَمَّا كَانَ في الرَّبَذَةِ مَرِضَ وَتُوُفِّيَ فِيهَا سَنَةَ (٢٤٢ هـ)، وَأَخبَارُهُ كَثِيرة. له ترجمة في: تأريخ بغداد ١٤/ ١٩٥، وتأريخ دمشق ٦٤/ ٦٢، المنتظم ١١/ ٣١٣، وفيات الأعيان ٦/ ١٤٧، ومختصر تأريخ دمشق ٢٧/ ٢٠٣، والمختصر في أخبار البشر ٢/ ٣٩، وتهذيب الكمال ٣١/ ٢٠٧، وتأريخ الإسلام ١٨/ ٥٣٦، وسير أعلام النُّبلاء ١٢/ ٥، وتأريخ ابن الورديّ ١/ ٢١٨، وتهذيب التهذيب ١١/ ١٧٩، ولسان الميزان ٧/ ٤٢٩، والأعلام ٨/ ١٣٨، ومعجم المؤلِّفين ١٣/ ١٨٦.

(١) الجليس الصالح ٢٣٨، ومصارع العشَّاق ١/ ١١، ونهاية الأرب ٢/ ١٢٦، والمستطرف ٤٠٥.

(٢) الموشَّى ٩٠، والشكوى والعتاب ١٧٩، ومصارع العشَّاق ١/ ١٧٥، وربيع الأبرار ٣/ ٤٣٣، وروض الأخيار ٣٧٣، ونشوة السكران ٤.

وَقِيلَ لِأَبِي زُهَيرٍ المَدَنِيِّ: مَا العِشْقُ؟ فَقَالَ: الجُنُونُ، دَاءُ أَهلِ الذُّلِّ، وَهوَ دَاءُ أَهلِ الظَّرفِ[1].

وَقَالَ بَعْضُ أَهلِ الطِّبِّ فِي صِفَةِ الحُبِّ: الحُبُّ امْتِزَاجُ الرُّوحِ بِالرُّوحِ وَلَوْ امْتَزَجَ المَاءُ بِالمَاءِ لَامْتَنَعَ تَخْلِيصُ بَعْضِهِ مِنْ بَعْضٍ، فَكَيْفَ وَالرُّوحُ أَلْطَفُ امْتِزَاجًا وَأَرَقُّ مَسْلَكًا؟!

وَسُئِلَ أَعْرَابِيٌّ عَنِ الهَوَى، فَقَالَ: هُوَ أَغْمَضُ مَسْلَكًا فِي القَلْبِ مِنَ الرُّوحِ وَالجَسَدِ، وَأَمْلَكُ مِنَ النَّفْسِ بِالنَّفْسِ، بَطْنٌ وَظَهْرٌ، وَلُطْفٌ وَكَثْفٌ، فَامْتَنَعَ عَنْ وَصْفِهِ اللِّسَانُ، وَعَمِيَ عَنْهُ البَيَانُ، فَهُوَ بَيْنَ السِّحْرِ وَالجُنُونِ، وَلُطْفِ المَسْلَكِ وَالكُمُونِ[2].

أَقُولُ: إِنَّا قَدْ ذَكَرنَا الهَوَى وَالعِشقَ وَالحُبَّ، وَهيَ وَإِنْ كَانَتْ فِي مَورِدٍ وَاحِدٍ فَقَدْ فَرَّقَ مَا بَيْنَهَا عَمْرُو بنُ بَحْرٍ الجَاحِظُ، فَقَالَ: كُلُّ عِشْقٍ يُسَمَّى حُبًّا، وَلَيْسَ كُلُّ حُبٍّ يُسَمَّى عِشْقًا؛ لأَنَّ العِشْقَ اسْمٌ لِمَا فَضُلَ عِنِ الاقْتِصَادِ فِي الحُبِّ، كَمَا أَنَّ السَّرَفَ اسْمٌ لِمَا جَاوَزَ الجُودَ، وَالبُخْلُ اسْمٌ لِمَا قَصُرَ عَنِ الاقْتِصَادِ، وَالحُبُّ أَصْلُ الهَوَى، وَالهَوَى يَتَفَرَّعُ مِنهُ، والعِشْقُ يَتَوَلَّدُ عَنِ الحُبِّ، وَالحُبُّ هُوَ المَتَوَلِّدُ مِنْ أَوَّلِ نَظْرَةٍ[3].

فَإِنَّ الرَّجُلَ تَمُرُّ بِهِ المَرْأَةُ فَيَكُونُ ظَاهِرُ هَيْئَتِهَا مُشَاكِلًا لِطَبْعِهِ، فَتَتَحَرَّكُ نَفْسُهُ وَتَنْبَعِثُ هِمَّتُهُ، وَإِذَا تَكَرَّرَ نَظْرُهُ إِلَيْهَا زَادَ حُبُّهُ لَهَا، فَإِنْ نَظَرَتْ إِلَيْهِ نَظْرَةً، فَظَنَّ أَنَّ فِي نَظَرِهَا جزءًا مِنْ هَوًى لَهُ، أَوْ أَنَّ عَلَيْهَا مِسْحَةً مِنْ إِعْجَابٍ بِهِ دَخَلَ فِي عِدَادِ العَاشِقِينَ، عَلَى أَنَّهُم أَجْمَعُوا عَلَى أَنَّ العِشْقَ هُوَ الدَّاءُ العَيَاءُ، وَمَا لَهُ غَيْرُ وَصْلِ الحَبِيبِ مِنْ دَوَاءٍ، وَلهذَا كَثُرَت صِفَاتُهُ وَأَسمَاؤُهُ؛ لِأَنَّ مِنَ المَعلُومِ عِندَ العَرَبِ أَنَّ الشَّيءَ إِذَا عَظُمَ كَالسَّيْفِ وَالرُّمْحِ، وَالأَسَدِ، وَالدَّاهِيَةِ، وَالخَمْرِ، عَظُمَتْ فِيهِ عِنَايَتُهُمْ، وَوَضَعُوا لَهُ أَسْمَاءً وَصِفَاتٍ كَثِيْرَةً، وَكَانَت

(١) مصارع العشَّاق ١/ ١٢.

(٢) زهر الآداب ٤/ ١٠٢٣.

(٣) نهاية الأرب ٢/ ١٣٠، القول موجود بلا عزو.

عِنَايَتُهُم بِهِ شَهِيرةً، وَلَـمَّا كَانَ لَا شَيءَ عِنْدَهُمْ يَعْدِلُ الحُبّ، الَّذِي هُوَ يَسْلِبُ اللُّبّ، كَانَتْ عِنَايَتُهُمْ فِيهِ أَعْظَمَ، فَجَعَلوا لَهُ صِفَاتٍ وَأَسْمَاءً كَادَ أَنْ يَكِلَّ عَنْ نَقْشِهَا القَلَم، وَمِن أَيْسَرِ أَسمَائِهِ وَصِفَاتِهِ الَّتِي نَقَلَهَا الحُصْرِيُّ[1] عَنْهُمْ فِي بَعْضِ مُصَنَّفَاتِهِ وَهِيَ: العَلاقَةُ وَالمِقَةُ[2]، والعِشْقُ وَالرِّقَّةُ، وَالصَّبْوَةُ الصَّبَابَةُ، وَالكَرْبُ وَالكَآبَةُ، وَالشَّوقُ وَالشَّغَفُ، وَالْوَلَهُ وَالكَلَفُ، وَالوَجْدُ وَالأَسَفُ، وَالجَوَى وَالدَنَفُ، وَالخَلَّةُ وَالوُدُّ، وَالكَمَدُ وَالسُّهْدُ، وَالجُنُونُ وَالخَبَلُ، وَالتَدْلِيهُ وَالتَبْلُ، وَالحُزْنُ وَالأَرَقُ، وَالشَّجَنُ وَالحَرْقُ، وَالرَّسِيْسُ وَالوَجَلُ، وَالبَلابِلُ وَالوَهْلُ، والتَّيَّمُ وَالتَّبَلُّدُ وَالتَّلَدُّدُ، وَالتَّبالُهُ والتَّلَدُّد، وَالاكْتِئابُ وَالوَصَبُ، وَالغَرَامُ وَالنَّصَبُ، وَالهِيَامُ وَالهَلَعُ، وَالجَزَعُ والخَوْفُ والجَزَع، وَالخَلاعَةُ وَالحَسَرَاتُ، وَالتَّبَارِيحُ وَالغَمَرَاتُ، وَاللَّعَجُ وَالحَنِينُ، والتَّلَهُّفُ وَالأَنِينُ، وَاللَّذَعُ وَالشُّجُونُ، وَالتَّفَجُّعُ وَالفُتُونُ، وَاللَّوْعَةُ وَالسَّقَمُ، وَالاسْتِكَانَةُ وَالنَّدَمُ، وَالمَسُّ وَاللَّمَمُ، وَالدَّاءُ المُخَامِرُ وَالضَّنَى المَسَامِر، وَالعَقْلُ المُخْتَلَسُ وَالنَّفَسُ المُحْتَبَسُ، وَاللُّبُّ المَسْلُوبُ وَالدَّمْعُ المَسْكُوبُ.

فَهَذِهِ صِفَاتُ الحُبِّ وَأَسمَاؤُهُ، وَالحُبُّ بِضَمِّ الحَاءِ، هُوَ مَيلُ النَّفْسِ إِلَى الشَّيءِ، وَكَذَلِكَ المَحَبَّةُ وَبِكَسرِهَا الحَبِيبُ.

وَلِلْعُلَمَاءِ فِي حَدِّ المَحَبَّةِ أَقوَالٌ كَثِيرةٌ، وَلِنَذْكُرْ أَحسَنَهَا، وَهوَ المَيلُ الدَّائِمُ بِالقَلْبِ لِلْحَبِيبِ، وَمُصَاحَبَتِهِ عَلَى الدَّوَامِ كَمَا قِيلَ:[3] [من الطويل]

(١) في (الأصل): (الحصيري) في موضع (الحصري).

- الـحُصَـريّ: إبرَاهِيمُ بنُ عَلِيِّ بنِ تَـميمٍ الأَنصَارِيُّ، أَبو إِسحاقَ الحُصَـريُّ: أَدَيبٌ نَقَّادٌ. مِن أَهلِ القَيروَانِ. نِسبَتُهُ إِلَى عَمَلِ الحُصُرِ، توفِّي سنة (٤٥٣هـ/ ١٠٦١م)، من آثاره (زهر الآداب وثمر الألباب)، ومختصره (نُور الطرف ونَور الظرف)، وغيرها، وله شعر يمتاز بالرقَّة. له ترجمة في: الذخيرة ٨/ ٥٨٤، وتأريخ الإسلام ٩/ ٢١٥، وسير أعلام النُّبلاء ١٨/ ١٣٩، والوافي بالوفيات ٦/ ٤١، ومجاني الأدب ٥/ ٢٨٧، والأعلام ١/ ٥٠، ومعجم المؤلِّفين ١/ ٦٤.

(٢) المِقة: المحبَّة. (اللسان ١٠/ ٣٨٥).

(٣) البيتان لمهيار الديلميّ، في نفح الطيب ٥/ ٤٧٦، وخلا منهما الديوان، وفي الحماسة المغربيَّة=

١.وَمِـنْ عَـجَـبِـي أَنِّي أَحِـنُّ إِلَـيْـهِـمُ وَأَسْـأَلُ شَـوْقًـا عَـنْـهُـمُ وَهُـمُ مَعِي
٢.وَتَطْلُبُهُم عَيْنِي وَهُـم فِي سَـوَادِهَـا وَيَشْتَاقُهُم قَلْبِي وَهُـمْ بَـينَ أَضْلُعِي

وَكَمَا قِيلَ فِي هَذِهِ المُصَاحَبَةِ:(١) [من الطويل]

خَـيَـالُـكَ فِي عَيْنِي وَذِكْـرُكَ فِي فَمِي وَمَـثْـوَاكَ فِي قَـلْـبِـي فَـأَيـنَ تَـغِـيـبُ

وَلَـهُـم فِي اشْتِقَاقِ المَحْبَّةِ أَقوَالٌ كَثِيرةٌ أَيضًا، وَلِنَذْكُرُ أَحْسَنَهَا، وَهوَ أَنَّـهَا: مُشْتَقَّةٌ مِنْ حَبَّةِ القَلْبِ، وَهِيَ سُوَيْدَاهُ، فَسُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِوُصُولِـهَا إِلَى حَبَّةِ القَلْبِ، وَلِلْعَرَبِ فِي صِفَاتِ الحُبِّ وَمَا يَلْقَاهُ مِنْ مُقَاسَاتِهِ الصَّبُّ، مِن هَيَمَانِهِ وَاضْطِرَامِ نِيرَانِهِ، شِعرٌ أَرَقُّ مِنَ الصَّبَا، وَأَحلَى مِن أَيَّامِ الصِّبَا، وَذَلِكَ كَقَولِ بَعْضِهِم:(٢) [من البسيط]

١.الـحُـبُّ أَوَّلُـهُ حُـبٌّ تَـهِـيـمُ بِـهِ نَفْسُ المُحِبِّ فَيَلقَى المَوتَ كَاللَّعَبِ
٢.يَكونُ مَبـدَؤُهُ مِـنْ نَـظْـرَةٍ عَرَضَـتْ وَخَـطْـرَةٍ قَـدَحَـتْ فِي القَلْبِ كَاللَّهَبِ
٣.كَـالـنَّـارِ مَـبْـدَؤُهَـا مِـنْ قَـدْحَـةٍ فَـإِذَا تَأَجَّجَتْ أَحْرَقَتْ مُسْتَجْمَعَ الحَطَبِ

وَكَقَولِ بَعْضِهِم أَيْضًا:(٣) [من الطويل]

١.وَلَـمَّا شَكَوْتُ الحُبَّ قَالَتْ: كَذَبْتَنِي أَ لَسْتُ أَرَى مِنْكَ العِظَامَ كَوَاسِيَا؟!
٢.وَمَا الحُبُّ حَتَّى تَلْصَقُ الجِلْدَ بِالحَشَا وَتَخْـمَـدُ حَـتَّـى لَا تُجِـيـبَ المُـنَـادِيَـا
٣.وَتَضْعَفُ حَتَّى لَا يُبَقِّي لَكَ الهَوَى سِـوَى مُـقْـلَـةٍ تَـبْـكِـي بِهَـا وَتُـنَـاجِـيَـا

وَمِمَّا وَرَدَ لِأَهْلِ العِشقِ مِنَ الأَخبَارِ العَجِيبَةِ وَالنَّوَادِرِ الغَرِيبَةِ مَا رُوِيَ فِي (مَنَازِلِ الأَحْبَابِ) عَنْ عُثْمَانَ بنِ عَمرٍو التَّيْمِيِّ قَالَ:

هَوَى فَتًى مِن بَنِي أَسَدٍ فَتَاةً مِن فُخْذِهِ، وَكَانَ أَيْسَرَ مِنهَا وَأَغْنَى، وَكَانَ أَبوهُ يَمْنَعُهُ

=٢/ ١٠٦٨، بلا عزو.
(١) بلا عزو في: المستطرف ٤٠، وزهر الأكم ٣/ ١٠٤.
(٢) لأعرابية في: أخبار النساء ٥٨.
(٣) مصارع العشاق ١/ ١٠٩، بلا عزو.

أَنْ يَتَزَوَّجَهَا، وَيُرِيدُ لَهُ أَشرَفَ مِنهَا، وَيَعرُضُ عَلَيهِ غَيْرَهَا فَيَأْبَى إِلَّا هِيَ، وَكَانَ أَبوهَا قَدْ حَبَسَهَا عَلَيهِ رَجَاءَ أَنْ يَتَزَوَّجَهَا، فَلَمَّا طَالَ ذَلِكَ عَلَى أَبِيهَا زَوَّجَهَا غَيرَهُ، فَلَقِيهَا الفَتَى ذَاتَ يَوْمٍ فَقَالَ لَهَا:(١) [من الطويل]

١.لَعَمْرِيَ يَا سُعْدَى لَطَالَ تَأَيُّمِي ... وَمَعْصِيَتِي شَيْخَيَّ فِيكِ كِلَيْهِما

٢.وَتَرْكِيَ ذَا الحَيَّيْنِ لَمْ أَبْغِ مِنْهُما ... سِوَاكِ وَلَمْ يُوقَعْ هَوَايَ عَلَيْهِما

فَأَجَابَتْهُ الجَارِيَةُ:(٢) [من الطويل]

١.حَبِيبِيَ لَا تَعْجَلْ لِتَفْهَمَ قِصَّتِي ... وَتَعْلَمَ مَا بِي مِنْ بَلَاءٍ وَمِنْ جَهْدِ

٢.وَمِنَ عَبَرَاتٍ تَعْتَرِينِي وَزَفْرَةٍ ... تَكَادُ لَهَا نَفْسِي تَسِيلُ مِنَ الوَجْدِ

٣.غُلِبْتُ عَلَى نَفْسِي جِهَادًا وَلَمْ أَطِقْ ... خِلَافًا عَلَى أَهْلِي بِهَزْلٍ وَلَا جِدِّ

٤.وَلَمْ يَمْنَعُونِي أَنْ أَمُوتَ بِرَغْمِهِم ... غَدًا وَسطَ هَذَا الغَارِ فِي جَدَثٍ وَحْدِي

٥.فَلَا تَنْسَ أَنْ تَأتِي هُنَاكَ لِكَيْ تَرَى ... مَكَانِي لِتشكو مَا تَحَمَّلَتَ مِنْ جُهْدِ

فَلَمَّا كَانَ مِنَ الغَدِ أَتَى حَيْثُ زَعَمَتْ فَوَجَدَهَا مَيِّتَةً، فَاحْتَمَلَهَا وَأَدْخَلَهَا الغَارَ، ثُمَّ التَزَمَهَا فَمَاتَ، فَالتَمَسُوهُمَا حَوْلًا فَلَمْ يَعْثُرُوا عَلَيْهِمَا، وَإِذَا بِهَاتِفٍ يَهتُفُ عَلَى الجَبَلِ الَّذِي هُمَا فِيهِ- وَكَانَ يُدعَى أَعْرَاف- بِهَذِهِ الأَبيَاتِ:(٣) [من الرجز]

٦.إِنَّ الكَرِيمَيْنِ ذَوِي التَّصَافِي ... الذَّاهِبَيْنِ بِالوَفَاءِ الصَّافِي

٧.وَاللهِ مَا رَأَيتُ فِي طَوَافِي ... أَبْعَدَ مِنْ غَدرٍ وَمِنْ خِلَافِ

٨.مِنْ مَيِّتَيْنِ فِي ذُرَا أَعرَافِ

قَالَ: فَصَعَدَ القَوْمُ الجَبَلَ فَالتَمَسُوهُمَا فَإِذَا هُمَا قَدْ بَلِيَا أَحَدُهُمَا إِلَى جَانِبِ صَاحِبِهِ فَوَارُوهُمَا، وَلَمْ يُوجَدْ أَكثَرُ بَاكِيًا وَلَا بَاكِيَةً، أَكثَر مِنْ ذَلِكَ اليَوم.

(١) الخبر والشعر في: مصارع العشَّاق ١/ ٢٦٥.

(٢) مصارع العشَّاق ١/ ٢٦٦.

(٣) الخبر والشعر في: مصارع العشَّاق ١/ ٢٦٦.

وَيُشَابِهُ هَذِهِ القَضِيَّةَ فِي عُظْمِ البَلِيَّةِ مَا رُوِيَ فِي الكِتَابِ المَذكورِعَنْ مُصْعَبِ بنِ عَبْدِ الله الزُّبَيْرِيّ(١)، قَالَ(٢): تَزَوَّجَ مَالِكُ بنُ عَمْرُو الغَسَّانِيّ بِنْتَ عَمٍّ لِلنُّعْمَانِ بنِ بَشْيرٍ الأَنْصَارِي(٣)، وَكَلَفَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِصَاحِبِهِ، وَكَانَ مَالِكُ شُجَاعًا، فَاشْتَرَطَتْ عَلَيْهِ أَن لا يُقَاتِلَ، شَفَقَةً عَلَيْهِ وَصَبَابَةً بِهِ، وَأَنَّهُ غَزَا حَيًّا مِنْ لَـخْمٍ وَبَاشَرَ القِتَالَ بِنَفْسِهِ؛ فَأَصَابَتْهُ جِرَاحٌ، فَقَالَ وَهُوَ مُثْقَلٌ:(٤) [من الطويل]

١.أَلا لَيْتَ شِعْرِي عَنْ غَزَالٍ تَرَكْتُهُ إِذَا مَا أَتَاهُ مَصْرَعِي كَيْفَ يَصْنَعُ

(١) في (الأصل): (الزهري) في موضع (الزُّبَيْرِيّ)
– مُصْعَب بنُ عَبدِ الله الزُّبَيْرِيّ بنِ مُصعَب بنِ ثَابِت بنِ عَبدِ الله بنِ الزُّبَيرِ، أَبو عَبدِ الله: عَلَّامة بِالأَنسَابِ، غَزيرُ المَعرفَةِ بِالتَّأريخِ، كَانَ مِن وُجَهَاءِ قُريش مُرُوءةً وَعِلمًا وَشَرَفًا، وَكَانَ مُحَدِّثًا، شَاعِرًا، وُلِدَ بِالمَدينَةِ، وَسَكنَ بَغدَادَ، وَتُوفِّي فِيهَا سَنةَ (٢٣٦هـ)، لَهُ كِتَابُ (نسب قريش)، و(النسب الكبير)، وَغيرهمَا. له ترجمة في: الطبقات الكبرى ١/ ٥٢، والتقات لابن حبَّان ٩/ ١٧٥، ومعجم الشعراء ١/ ٣٩٧، وتأريخ بغداد ١٣/ ١١٣، وتأريخ دمشق ٥٨/ ٢٥٢، والكاشف ٢/ ٢٦٨، وسير أعلام النبلاء ١١/ ٣٠، وتأريخ الإسلام- بشَّار ٥/ ٩٤١، وميزان الاعتدال ٤/ ١٢٠، والأعلام: ٧/ ٢٤٨، ومعجم المؤلِّفين ١٢/ ٢٩١.

(٢) الخبر وما يتعلَّق به في: الموشَّى ١١٢، ومصارع العشاق ١/ ٤٩.

(٣) النُّعمَانُ بنُ بَشِير: النُّعمَانُ بنُ بَشيرِ بنِ سَعدِ بنِ ثَعلَبَةَ الخَزرَجِيُّ الأَنصَارِيُّ، أَبو عَبدِ الله: أَمِيرٌ، خَطيبٌ، شَاعِرٌ، مِن أَهلِ المَدينَةِ، وَجَّهتهُ نَائِلةُ (زَوجةُ عُثمانَ) بِقَميصِ عُثمَانَ إِلَى مُعَاوِيةَ، فَنَزَلَ الشَّامَ، وَشَهِدَ (صِفِّينَ) مَعَ مُعَاوِيةَ، وَوَلِيَ القَضَاءَ بِدِمشَقَ، وَوَلِيَ اليَمَنَ لمعَاوِيَةَ، ثُمَّ استَعْمَلَهُ عَلَى الكُوفَةِ تِسعَةَ أَشهُرٍ وَعَزلَهُ، وَوَلَّاهُ حِمص، وَاستَمرَّ فِيهَا إِلَى أَنْ مَاتَ يَزيدُ بنُ مُعاوِيَةَ، فَبَايَعَ النُّعمانُ لِابنِ الزُّبَيرِ، وَتَمَرَّدَ أَهلُ حِمصَ، فَخَرجَ هَارِبًا، فَاتبَعَه خَالِدُ بنُ خَلِي الكُلَاعِيُّ فَقَتَلَهُ سَنةَ (٦٥هـ). له ترجمة في: الطبقات الكبرى ٦/ ١٢٢، والثُّقات لابن حبَّان ٣/ ٤٠٩، ومشاهير علماء الأمصار ٨٧، ورجال صحيح البخاريّ ٢/ ٧٥١، ورجال صحيح مسلم ٢/ ٢٩٣، والاستيعاب ٤/ ١٤٩٦، وتأريخ دمشق ٦٢/ ١١١، وتأريخ الإسلام ٢/ ٧٢٧، وسير أعلام النُّبلاء ٣/ ٤١١، الإصابة ٦/ ٣٤٦، والأعلام ٨/ ٣٦.

(٤) الموشَّى ١١٢ وفيه (أتته ميتتي) بدل (أتاه مصرعي)، و(عليه تقطع) بدل (عليه تطلع)، ومصارع العشَّاق ١/ ٤٩.

٢.فَلَوْ أَنَّنِي كُنْتُ المُؤَخَّرَ بَعْدَهُ لَمَا بَرِحَتْ نَفْسِي عَلَيْهِ تَطَلَّعُ

وَمَكَثَ يَوْمًا وَلَيْلَةً وَمَاتَ مِنْ جِرَاحَتِهِ، فَلَمَّا وَصَلَ خَبَرُهُ إِلَى زَوْجَتِهِ بَكَتْهُ سَنَةً، ثُمَّ اعْتَقَلَ لِسَانُهَا وَامْتَنَعَتْ مِنَ الكَلامِ وَكَثُرَ خُطَّابُهَا، فَقَالَ عُمُومَتُهَا وَوُلاةُ أَمْرِهَا: زَوِّجُوْهَا لَعَلَّ لِسَانَهَا يَنْطِلَقُ فَإِنَّمَا هِيَ النِّسَاءُ، فَزَوَّجُوهَا بَعْضَ مُلُوكِ القَبَائِلِ، فَسَاقَ إِلَيْهَا أَلفَ بَعِيرٍ، فَلَمَّا كَانَتِ اللَّيْلَةُ الَّتِي أُهْدِيَتْ إِلَيْهِ فِيهَا، قَامَتْ عَلَى بَابِ القُبَّةِ فَقَالَتْ:[1] [من الطويل]

١.يَقُولُ رِجَالٌ زَوِّجُوهَا لَعَلَّهَا تَقَرُّ وَتَرْضَى بَعْدَهُ بِخَلِيلِ
٢.فَأَيْقَنْتُ فِي النَّفْسِ الَّتِي لَيْسَ بَعْدَهَا رَجَاءٌ لَهُمْ وَالصِّدْقُ أَفْضَلُ قِيلِ
٣.وَحَدَّثَنِي أَصْحَابُهُ أَنَّ مَالِكًا أَقَامَ وَنَادَى صَحْبَهُ بِرَحِيلِ
٤.وَحَدَّثَنِي أَصْحَابُهُ أَنَّ مَالِكًا ضَرُوبٌ بِحَدِّ السَّيْفِ غَيْرُ فَلُولِ
٥.وَحَدَّثَنِي أَصْحَابُهُ أَنَّ مَالِكًا جَوَادٌ بِمَا فِي الرَّحْلِ غَيْرُ بَخِيلِ
٦.وَحَدَّثَنِي أَصْحَابُهُ أَنَّ مَالِكًا خَفِيفٌ عَلَى الجِدَّاتِ غَيْرُ ثَقِيلِ

ثُمَّ شَهِقَتْ شَهْقَةً فَمَاتَتْ.

وَيُمَاثِلُ هَذِهِ الحِكَايَةَ مَا هُوَ مَذكورٌ فِي (المَعَاهِد) عَنْ أَبِي مَالِكٍ الرَاوِيَة قَالَ: سَمِعْتُ الفَرَزْدَقَ يَقُولُ: أَبِقَ غُلَامَانِ لِرَجُلٍ مِنَّا يُقَالُ لَهُ النَّضْرُ، فَحَدَّثَنِي قَالَ: خَرَجْتُ فِي طَلَبِهِمَا، وَأَنَا عَلَى نَاقَةٍ لِي كَوْمَاءَ أُرِيدُ اليَمَامَةَ، فَلَمَّا صِرْتُ فِي مَاءٍ لِبَنِي حَنِيفَةَ يُقَالُ لَهُ: (الصَّرصَران)، ارْتَفَعَتْ سَحَابَةٌ، فَأَرْعَدَتْ وَأَبْرَقَتْ وَأَرْخَتْ عَزَالِيهَا، فَعَدَلْتُ إِلَى بَعْضِ

(١) الموشَّى: ١/ ١١٢-١١٣ وفيه (تفيق) بدل (تقر)، وفي الثاني: (فأضمرت) بدل (فأيقنت)، و(رجاء لها) بدل (رجاء لهم)، والثالث فيه (ثوى وتنادى) بدل (أقام ونادى)، والرابع فيه: (بماضي الشفرَتَين صقيل) بدل (بحدِّ السيف غير فلول)، والبيت الأخير فيه: (العلات) بدل (الجدات)، ومصارع العشَّاق: ١/ ٥٠ وفي البيت الرابع: (نصل) بدل (حد)، والبيت الأخير فيه: (الأحداث) بدل (الجدَّات).

دِيَارِهِمْ وَسَأَلتُ القِرَى، فَأَجَابُوا، فَدَخَلْتُ دَارًا لَهُمْ وَأَنخْتُ رَاحِلَتِي، وَجَلَسْتُ تَحْتَ ظِلَّةٍ لَهُمْ مِنْ جَرِيدِ النَّخْلِ، وَفِي الدَّارِ لَهُمْ جُوَيْرِيَّةٌ سَوْدَاءُ، إِذْ دَخَلَتْ جَارِيَةٌ كَأَنَّهَا سَبِيكَةُ فِضَّةٍ، وَكَأَنَّ عَيْنَيْهَا كَوْكَبَانِ دُرِّيَّانِ، فَسَأَلَتِ الجَارِيَةَ: لِمَنْ هَذِهِ العَيْسَاءُ؟ تَعْنِي نَاقَتِي، فَقِيلَ: لِضَيْفِكُمْ هَذَا، فَعَدَلَتْ إِلَيَّ، وَسَلَّمَتْ عَلَيَّ، فَرَدَدْتُ عَلَيْهَا السَّلَامَ، فَقَالَتْ: مِمَّنِ الرَّجُلُ؟ فَقُلْتُ: مِنْ بَنِي حَنْظَلَة، فَقَالَتْ: مِنْ أَيِّهِمْ؟ فَقُلْتُ مِنْ بَنِي نَهْشَلٍ، فَتَبَسَّمَتْ وَقَالَتْ: أَنْتَ إِذًا مِمَّنْ عَنَاهُ الفَرَزْدَقُ بِقَوْلِهِ: [من الكامل]

١. إِنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا بَيْتًا، دَعَائِمُهُ أَعَزُّ وَأَطْوَلُ

٢. بَيْتًا، زُرَارَةُ مُحْتَبٍ بِفِنَائِهِ وَمُجَاشِعٌ، وَأَبُو الفَوَارِسِ نَهْشَلُ

قَالَ: فَقُلْتُ نَعَمْ جُعِلْتُ فِدَاكَ، وَاعَجْبَنِي مَا سَمِعْتُ مِنْهَا، فَضَحِكَتْ وَقَالَتْ: فَإِنَّ ابنَ الخَطَفى، تَعنِي جَريرًا، قَد هَدَمَ عَلَيْكُمْ بَيْتَكُمْ هَذَا الَّذِي فَخَرْتُمْ بِهِ، وَذَلِكَ حَيْثُ يَقُولُ:(١) [من الكامل]

١. أَخْزَى الَّذِي رَفَعَ السَّمَاءَ مُجَاشِعًا وَبَنَى بِنَاءَكَ بِالحَضِيضِ الأَسْفَلِ(٢)

٢. بَيْتًا يُحَمْحِمُ قَيْنُكُمْ بِفِنَائِهِ دَنَسًا مَقَاعِدُهُ، خَبِيثَ المَدْخَلِ(٣)

قَالَ: فَوَجِمْتُ، فَلَمَّا رَأَتْ ذَلِكَ فِي وَجْهِي، قَالَتْ: لا بَأْسَ عَلَيْكَ، فَإِنَّ النَّاسَ يُقَالُ فِيهِمْ وَيَقُولُونَ(٤)، ثُمَّ قَالَتْ: أَيْنَ تُرِيدُ؟.

قُلْتُ: اليَمَامَةَ، فَتَنَفَّسَتِ الصُّعَدَاءَ، ثُمَّ قَالَتْ: هَا هِيَ تِلْكَ أَمَامَكَ، ثُمَّ أَنْشَأَتْ تَقُولُ: [من الوافر]

(١) ديوان جرير، تذييل الديوان ٩٤٠.

(٢) في (الأصل): (بناه) في موضع (بناءك).

(٣) في (الأصل): (يحمم) بدلًا من (يحمحم).

- يقال حَمْحَم الثورُ إذا نَبَّ وأراد السِّفادَ. (اللسان ١٢/ ١٦١).

(٤) ينظر: مصارع العشَّاق ١/ ١٢٢-١٢٣، والتذكرة الحمدونيَّة ٦/ ١٥٩-١٦٠، ومعاهد التنصيص ١/ ١٠٥-١٠٦.

١. تُـذَكِّـرُنِي بِـلادًا، خَـيْرُ أَهْـلِي ... بِهَـا، أَهْـلُ الْمُـرُوْءَةِ وَالْكَـرَامَهْ
٢. أَلَا فَسَقَى الإِلَـهُ أَجَشَّ صَوْبٍ ... يَسِحُّ بِـدَرِّهِ بَـلَـدَ الـيَـمَامَـهْ[1]
٣. وَحَيَّا بِالسَّلَامِ ابْنَا نَجِيدٍ ... فَأَهْلٌ لِلتَّحِيَّةِ وَالسَّلَامَهْ

قَالَ: فَآنَسْتُ بِهَا، وَقُلْتُ: أَذَاتَ خِدْرٍ أَمْ ذَاتَ بَعْلٍ؟ فَأَنْشَأَتْ تَقُولُ: [من الوافر]

١. إِذَا رَقَدَ النِّيَامُ فَإِنَّ عَمْرًا ... تُؤَرِّقُهُ الْهُمُومُ إِلَى الصَّبَاحِ
٢. تُقَطِّعُ قَلْبَهُ الذِّكْرَى وَقَلْبِي ... فَلَا هُوَ بِالْخَلِيِّ وَلَا بِصَاحِي
٣. سَقَى اللهُ الْيَمَامَةَ دَارَ قَوْمٍ ... بِهَا عَمْرٌو يَحِنُّ إِلَى الرَّوَاحِ

فَقُلْتُ لَهَا: مَنْ عَمْرٌو هَذَا؟ فَقَالَتْ: [من الوافر]

١. سَأَلْتَ وَلَوْ عَلِمْتَ كَفَفْتَ عَنْهُ ... وَمَنْ لَكَ بِالْجَوَابِ سِوَى الْخَبِيرِ
٢. فَإِنْ تَكُ ذَا قَبُولٍ إِنَّ عَمْرًا ... لَكَالْقَمَرِ الْمُضِيءِ الْمُسْتَنِيرِ
٣. وَمَالِي بِالتَّبَعُّلِ مُسْتَرَاحٌ ... وَلَوْ رَدَّ التَّبَعُّلُ لِي أَسِيرِي

قَالَ ثُمَّ سَكَتَتْ سَكْتَةً كَأَنَّهَا تَسْتَمِعُ إِلَى كَلامٍ، ثُمَّ تَهَافَتَتْ وَأَنْشَأَتْ تَقُولُ: [من الوافر]

٤. يُخَيَّلُ لِي هَيَا عَمْرُو بنُ كَعْبٍ ... بِأَنَّكَ قَدْ حُمِلْتَ عَلَى سَرِيرِ[2]
٥. تَسِيْرُ بِكَ الْهُوَيْنَا الْقَوْمُ لَمَا ... رَمَاكَ الْحُبُّ بِالْقَلَقِ الْيَسَيرِ
٦. فَإِنْ يَكُ هَكَذَا يَا عَمْرُو إِنِي ... مُبَكِّرَةٌ عَلَيْكَ إِلَى الْقُبُورِ

ثُمَّ شَهَقَتْ شَهْقَةً فَخَرَّتْ مَيِّتَةً، فَقُلْتُ: مَنْ هَذِهِ؟ فَقَالُوا: هَذِهِ عَقِيلَةُ بِنتُ الضَّحَاكِ ابنِ عَمْرِو بنِ مُحَرَّق بنِ النُّعْمَانِ بنِ الْمُنْذِرِ بنِ مَاءِ السَّمَاءِ، قُلْتُ لَهُمْ: فَمَنْ عَمْرُو هَذَا؟ قَالُوا: ابنُ عَمِّهَا عَمْرُو بنُ كَعْبِ بنِ مُحَرَّقٍ، فَارْتَحَلْتُ مِنْ عِنْدَهُمْ، فَلَمَّا دَخَلْتُ الْيَمَامَةَ سَأَلْتُ عَنْ عَمْرٍو هَذَا، فَإِذَا هُوَ قَدْ دُفِنَ فِي ذَلِكَ الوَقْتِ الَّذِي قَالَتْ فِيهِ مَا قَالَتْ[3].

(١) أَجَشُّ: شَدِيدُ الصَّوْتِ، صَوْتِ الرَّعْدِ. (التاج ١٧/ ١٠٨)، الصَّوْبُ: المَطَرُ. (التاج٣/ ٢١٣).
(٢) في (الأصل): (هنا) في موضع (هيا).
(٣) الخبر والشعر في: مصارع العشَّاق ١/ ٨٦، والتذكرة الحمدونيَّة ٦/ ١٦٠، ومعاهد=

وَذَكَر مُؤَلِف (مَنَازِل الأحبَابِ)[1] عِلَّةَ مَوْتِ مَنْ تَقَدَّمَهَا، وَعِلَّةَ مَوتِهَا فَقَالَ: إِنَّ كُلًّا مِن أُولَئِكَ النِّسَاءِ حَصَلَ لَهَا المَوتُ عِندَ تَحقُّقِ اليَأسِ مِمَّنْ تُحِبُّ أَمَّا بِمُعَايَنَةِ مَوتِهِ أَو بِإِخْبَارِهَا بِذَلِكَ؛ لِأَنَّ مِنَ الحُكَمَاءِ مَنْ يَذْكُر أَنَّ رَوعَةَ فَقْدِ الإِلفِ وَتَحَقُّقَ اليَأْسِ يَغْمُرَانِ القَلبَ وَهْلَةً وَاحِدَةً؛ فَتَحْتَقِنُ النَّفْسُ عَنهُ؛ فَيَضعَفُ القَلبُ عَنْ دَفْعِ مَا دَهَمَهُ؛ فَتَفِيضُ النَّفسُ وَتَذهَبُ الرُّوحُ.

وَأَمَّا هَذِهِ فَإِنَّ نَفْسَهَا لَطُفَتْ حَتَّى رُفِعَ بَينَهَا وَبَينَ مَحْبُوبِهَا حِجَابُ البُعدِ، وَلَمْ يَبقَ لَهَا مَادَّةٌ إِلَّا مَا يَرِدُ عَلَيهَا مِنْ ذَلِكَ الأُنْسِ، فَكَانَ بِمَنزِلَةِ المِصبَاحِ الَّذِي يُضِيءُ لِلْبَصَرِ، فَلَمَّا ذَهَبَ عَنِ القَلْبِ أَحَسَّ بِفَقْدِهِ كَمَا يَحِسُّ البَصرُ بِذِهَابِ المِصبَاحِ إِذَا انطفَأَ.

أَقولُ: إِنَّ هَذَا الوَجْهَ الَّذِي وَجَّهَهُ حَسَنٌ إِلَّا أَنَّهُ اسْتَخْرَجَهُ بِتَعَسُّفٍ وَتَغَلْغُلِ فِكرٍ، وَالأَقْرَبُ إِلَى الصَّوَابِ: أَنَّهَا مَا عَلِمَتْ بِمَوتِ ابنِ عَمِّهَا إِلَّا مِن عِلمِ الزَّجْرِ، لَا كَمَا عَلَّلَ، أَن نَفْسِهَا لَطُفَتْ حَتَّى رُفِعَ حِجَابُ البُعدِ بَينَهَا وَبَينَ مَحبُوبِهَا؛ لِأَنَّهُ الأَقْرَبُ مِن أَحوَالِ العَرَبِ حَيثُ إِنَّهُم كَانُوا بِعِلمِ الزَّجرِ مَاهِرين، وَلَهُم فِيهِ قَضَايَا تُبهِرُ السَّامِعِينَ، وَلَقَد اشْتَهَرَ مِنَ العَربِ بِعِلمِهِ بَنُو أَسَدٍ، وَلَهُم فِيهِ عَجَائِبُ كَثِيرةٌ لَا تُحَدُّ، مِنهَا مَا ذَكَرَه ابنُ الأَثِيرِ فِي النِّهَايَةِ، وَهوَ مَا هَذَا مَضمُونُهُ:[2]

إِنَّ الجِنَّ أَرَادوا أَنْ يَختَبروا بَنِي أَسَدٍ أَ لَهُمْ بِهَذَا العِلمِ دِرَايَةٌ؟! فَبَعَثوا إِلَيهِم شَخصًا بِصُورةِ إِنسَان، رَاكِبًا عَلَى نَجِيبٍ مِنَ الهِجَانِ، وَلَمَّا أَتاهُم قَالَ لَهُم:

قَد ضَلَّ لِي مِنَ الإِبلِ لِقَاح[3]، فَلاَ بُدَّ أَحَدًا مِنكُم يَزْجُرُ لِي طَائِرًا، وَيُعَلِّمَنِي فِي أَي نَاحِيةٍ ذَهَبَ مِنَ البِطَاح.

=التنصيص ١/ ١٠٦.

(١) منازل الأحباب ومنازه اللباب، للشهاب محمود (المتوفَّى ٧٢٥هـ)، محمود بن سلمان بن فهد ابن محمود الحنبليّ الحلبيّ ثمَّ الدمشقيّ.

(٢) لم أجده في (النهاية)، ولا في غيره من المصادر التي تحت يدي.

(٣) اللِّقاحُ: الإِبلُ بأَعيانها، الْوَاحِدَةُ لَقُوح، وَهِيَ الحَلُوبُ. (اللسان ٢/ ٥٨٠).

فَقَالوا لَهُ: خُذْ هَذَا الغُلَامَ مَعَك، فَأَخَذَهُ مَعَهُ وَأَردَفَه عَلَى جَمَلِهِ، فَلَمَّا خَرَجَ بِهِ إِلَى الصَّحرَاءِ، رَأَى عُقَابًا كَاسِرةً، فَصَرَخَ الغُلَامُ مِن وَجَلِهِ.

فَقَالَ لَهُ: مَا لَكَ؟!

فَقَالَ: رَفَعَت جَنَاحًا وَكَسَرَت جَنَاحًا، وَأَحْلِفُ بِالله صُرَاحًا أَنَّكَ لَسْتَ بِإِنْسِيٍّ[1]، وَلَستَ تَبغِي لِقَاحًا.

فَإِذَا كَانَت العَرَبُ بِالزَّجرِ هَذَا عِلمُهَا، فَلَا يَبعُدُ أَنَّ عَقِيلَةَ عَنَّ لَهَا طَائِرٌ أَو حَيوَانٌ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ، فَعَلِمَتْ بِمَوتِ ابنِ عَمِّهَا، كَمَا عَلِمَ الغُلامُ الَّذِي عَشِقَ سَمرَاءَ الكَثِيبِ أَنَّهَا فِي خِبَاءِ هُوذَةَ[2] مِن دُونِ أَنْ يُخْبِرَهُ أَحَد، وَذَلِكَ حَيثُ يَقولُ: [من البسيط]

سَمْرَاءُ وَالـلَّاتِ وَالعُزَّى وَمَـا كَذَبَتْ طَـيري وَلَا خَـانَنِي قَلْبِي وَلَا كَـذَبَا

وَلَقَد جَرَى لَهُ مَعَ هُوذَةَ وَمَعَ عَشِيقَتِهِ مِنَ النِّظَامِ؛ مَا هُوَ مُنَاسِبٌ لِـهَذَا المَقَام، وَلَا بَأسَ بِذِكرِ حَدِيثِهِ:

رُوِيَ فِي (مَنَازِل الأَحبَابِ) أَنَّ هُوذَةَ بنَ عَلِيٍّ الحَنَفِيَّ اصْطَحَ فِي يَوْمٍ رِبعِيٍّ، عَلَى رَوْضٍ جِزعِيٍّ[3]، مِنْ شَرَابٍ وَردِيٍّ، مَعَ قَيْنَةٍ رَاقَهُ مَنْظَرُهَا، وَشَاقَهُ مِزْهَرُهَا[4]، فَلَمَّا أَخَذَ مِنهُ الشَّرَابُ، وَاجْتَمَعَ عَلَيهِ سُكرُ الخَمْرةِ وَالمُلكُ وَالشَّبَاب، دَعَى فِتيَانَ قَومِهِ، فَلَمَّا مَثلوا بَينَ يَدَيهِ صُفوفًا، وَازْدَحموا عَلَيهِ عُكوفًا، أَمَرَ بِتَرتِيبِ مَجَالِسِهِم، وَأَذِنَ فِي انْبِسَاطِهِم

(١) الإنسيُّ: وَاحِدُ الأَنَاسِي، وهذا جَمعُ أُنْسِيَان، وَهوَ تَصغِيرُ إِنسَان. (اللسان ٦/ ١١).

(٢) هَوْذَة بنُ عَلِيِّ بنِ ثُمامَةَ بنِ عَمرِو الحَنَفيُّ، مِن بَني حَنيفةَ، مِن بَكرِ بنِ وَائِل: صَاحِبُ اليَمامَةِ (بِنَجدٍ)، وَشَاعرُ بَني حَنيفَةَ وَخَطِيبُهَا قُبيَل الإسلام، وفي العهد النبويّ، وَهوَ مِن أَهلِ (قُرَّان)، من قُرَى (اليمامة)، وأَهلُ قُرَّان أَفصَحُ بَني حَنيفَةَ، وَكَانَ مِمَّن يَزورُ كِسرَى فِي المُهِمَّاتِ. وَيُقَالُ لَهُ: (ذو التاج)، كان هوذة ذا قدرٍ عالٍ، وكانت له مع بني تميم معارك أُسِرَ في إحداها، توفِّي سنة (٨هـ/ ٦٣٠م). ينظر الأعلام ٨/ ١٠٢. وذُكِر في الاشتقاق ٥٥.

(٣) الجِزعِيُّ: نِسبَةً إِلَى الجِزْعِ: والجزعُ المُشْرِفُ مِن الأَرْضِ إِلَى جَنْبِه طُمَأْنِينَةٌ. (التاج ٢/ ٤٣٥).

(٤) المِزْهَرُ: العُودُ الَّذِي يُضْرَبُ بِهِ. (التاج ١١/ ٤٨٠).

وَمُؤَانَسَتِهِم، فَلَمَحَ فِي آخِرِهِم فَتًى يَشهَدُ عِطفُهُ بِلُطفِه، وَيَنْطِقُ طَرفُهُ بِظَرفِه، إلَّا أَنَّهُ نَاحِلُ البَدَنِ، ذَابِلُ الشَّفَةِ، غَائِرُ العَينِ، مُتَتَابِعُ النَّفَسِ، شَاحِبُ اللَّونِ، فَعَرَفَ بِالفِرَاسَةِ أَنَّهُ عَاشِقٌ، فَسَأَلَ عَنهُ، فَقِيلَ: فَتًى مِن عِجلٍ نَزَلَ اليَمَامَةَ، لَا يُخَالِطُ وَلَا يُبَاسِطُ، يُخَاطَبُ فَلَا يَفْهَمْ، وَيُكَلَّمُ فَلَا يَتَكَلَّمْ، فَمِنْ قَائِلٍ مَجنونٌ، وَمِنْ قَائِلٍ مَسْحُورٌ، وَمِنْ قَائِلٍ جَانٍّ خَائِفٍ، إِنْ أُلقِيَ إِلَيهِ شَيء أَكَلَهُ، وَإِنْ أُهْمِلَ أَمرُهُ أَهمَلَهُ.

فَأَمَرَ هُوذَةُ بِإِدنَائِهِ إِلَيهِ حَتَّى أَوقَفَهُ بَينَ يَدَيهِ، فَقَالَ: [من الهزج]

١. أَبَيْتَ اللَّعْنَ يَا هُوذَ ... ةُ، مِنْ وَالٍ، وَمِنْ دَاعِي

٢. رَعَايَاهُ مِنَ المَادِ ... حِ، وَالشَّاكِرِ، وَالدَّاعِي

٣. إِذَا قِيلَ صَبَاحَاهُ ... أَتَى كَالأَسَدِ السَّاعِي

٤. بِلَدْنِ الكَعْبِ عَرَّاصٌ ... وَمَاضِي الغَرْبِ قَطَّاعِ[1]

٥. إِذَا مَا لَبِسَ التَّاجَ ... عَلَى أَبْيَضَ لَمَّاعِ

٦. غَدَونَا بَينَ سَجَّادٍ ... مِنَ الخَوْفِ وَرَكَّاعِ

٧. لِطَلقِ الوَجْهِ بَسَّامٍ ... مَدِيدٍ وَاسِعِ البَاعِ

٨. يَحِلُّ المُرْتَجَى مِنهُ ... بِضَرَّارٍ وَنَفَّاعِ

٩. وَإِنْ قَالَ رَمَينَاهُ ... بِأَبْصَارٍ وَأَسْمَاعِ

ثُمَّ تَنَفَّسَ الصُّعَدَا، وَبَكَى، حَتَّى أَبْكَى القُرَبَاءَ وَالبُعَدَا، وَبَلَّ الثَّرَى، وَانْتَحَبَ حَتَّى كَادَ يَسمَعُ مَنْ بِوَادِي اليَمَامَةِ مَن بِوَادِي القُرَى.

قَالَ: فَنَزَلَ هُوذَةُ عَنْ سَرِيرِهِ إِلَيهِ، وَمَسَحَ دَمْعَهُ بِبُردَيه، وَجَمَعَ لَهُ فِي التَّفْدِيَةِ بَينَ أَبَوَيه[2]، وَقَالَ:

(١) العَرَّاص: الرُّمْحُ اللَّدْنُ، أَيْ لَدْنُ المَهَزَّةِ إذا هُزَّ اضْطَرَبَ. (التاج ١٨/ ٣٠)، وسيفٌ غَرْبٌ: قَاطِعٌ حَدِيدٌ. (اللسان١/ ٦٤١)، والماضي: القاطع. (التاج ٣٩/ ٥٣٨).

(٢) أي: قَالَ لَهُ: فِدَاكَ أُمِّي وَأَبِي.

مَا أَبكَاكَ لَا بَكَتْ عَينَاكَ؟!

فَقَالَ: [من الطويل]

١.بَكَيتُ عَلَى سَمْرَاءَ وَالرَّمْلُ دُونَهَا ... وَفِيَانُ صِدْقٍ بِالقَنَا يَمْنَعُونَهَا

٢.وَقَدْ قِيلَ بَعْدِي: إِنَّهَا قَدْ تَبَعَّلَتْ ... وَمَا رَغِبَتْ لَكِنَّهُم يُلْزِمُونَهَا

٣.فَإِنْ نَكَحَتْ بَعْدِي كَمَا قِيلَ رَغْبَةً ... فَقَدْ تَلَفَتْ نَفْسِي وَلَاقَتْ مَنُونَهَا

٤.وَإِنِّي لَيُرْضِينِي تَأَيُّمُهَا وَإِنْ ... حَمَوهَا وَحَالُوا بِالقَوَاضِبِ دُونَهَا

٥.فَلَو أَبْصَرَتْ عَيْنَاكَ يَا هُوذُ وَجْهَهَا ... وَزَادَتْكَ أَنْفَاسُ الشَّمَالِ قُرُونَهَا

٦.هِيَ البَدْرُ وَجْهًا بِلْ هِيَ الظَّبْيُ مُقْلَةً ... إِذَا كَسَرَتْ لَحظًا وَغَضَّتْ جُفُونَهَا

فَاهْتَزَّ هُوذَةُ طَرَبًا لِشِعْرِه، وَسَأَلَه عَن حَقِيقَةِ أَمرِه، فَقَالَ:

هِيَ سَمرَاءُ بِنتُ الغِطْرِيفِ العِجْلِيِّ، وَقَد ضَرَبَهَا أَبوهَا وَأَخوهَا غَيرَ مَرَّةٍ مِن أَجلِي، ثُمَّ طَرَدونِي، وَخَلَعَنِي قَومِي عَنهُم وَأَبعدُونِي، فَوَقَعْتُ بِاليَمَامَة، بِأَذيَالِ غَمَامَة.

قَالَ: وَمَا تُرِيدُ مِنِّي؟!

قَالَ: عَونِي عَلَيهَا، وَعَلَى أَبِيهَا، وَإِيفَاءَ مَهْرِهَا.

فَقَالَ هُوذَةُ: وَمَا مَهرُهَا؟!

قَالَ: مِئَةٌ سَوداءُ جَعدَة، وَمِئَةٌ حَمرَاءُ وَردَة، وَمِئَةٌ صَفْرَاءُ نَهدَة، وَعَبِيدٌ وَإِمَاء.

قَالَ: لَكَ ذَلِكَ، إِنْ رَغِبَ أَبوهَا فِيكَ، وَكُنتَ مِمَّن تُكَافِؤُهَا وَتُكَافِؤُكَ.

فَبَكَى الفَتَى بُكَاءً شَدِيدًا، وَأَنشَأَ يَقولُ: [من الوافر]

١.سُمَيْرَاءَ الكَثِيبِ فَدَتْكِ نَفْسِي ... وَإِنْ قَطَّعْتُهَا أَسَفًا وَوَجْدَا

٢.بِعَيْشِكِ هَلْ رَضِيتِ سِوَايَ بَعْلا ... وَهَلْ أَصْفَيتَ غَيْرِي مِنكِ وُدَّا

٣.يَقُولُ لِي الإِمَامُ وَقَدْ حَبَانِي ... بِمَا اشْتَرَطُوا لَهَا شَرَفًا وَمَجْدَا

٤.لَعَلَّكَ دُونَهَا حَسَبًا وَنَفْسًا ... وَلَسْتَ بِكُفْؤِهَا شَرَفًا وَمَجْدَا

٥.فَقُلْتُ: شَقِيقُهَا أَصلًا وَفَرعًا وَصَاحِبُهَا القَرِيبُ أَبًا وَجَدًّا

فَقَالَ لَهُ هُوذَةُ: وَلِمَ أَضِفْتَهَا إِلَى الكَثِيبِ، وَنَسَبتَهَا إِلَيهِ نِسبَةَ مُريبٍ؟! فَبَكَى وَقَالَ: [من الوافر]

١.سُمَيْرَاءَ الكَثِيبِ كَتَمْتُ سِرِّي وَسِرُّكِ أَنْ يَفُوهَ بِهِ لِسَانِي

٢.وَلَا وَاللهِ لَا أُبْدِيهِ حَتَّى أُوَسَّدُ سَاعِدِي، أَبَدَ الزَّمَانِ[1]

فَقَالَ هُوذَةُ: لَقَدْ ارتُبتُ بِكِتمَانِكَ، وَالمَثَلُ يَقولُ: [من الطويل]

وَلَو لَمْ يَكُنْ أَمْرًا مُرِيبًا ذَكَرْتَهُ وَلَا يَكْتِمُ الأَمْرَ الجَمِيلَ لَبِيبُ

فَأَجَابَهُ الفَتَى يَقُولُ: [من الطويل]

١.مَعَاذَ سُمَيْرَاءَ الكَثِيبِ وَإِنَّهُ مَعَاذَ لِمِثْلِي أَنْ يُظَنَّ بِنَا شَرُّ

٢.وَمَا كَانَ ذَاكَ السِّرُّ إِلَّا التَفَاتَةً إِلَيَّ بِعَيْنٍ كُحْلُهَا الغُنْجُ وَالسِّحْرُ[2]

٣.وَشَيْئًا يَسُوءُ النَّاسَ لَكِنْ يَسُرُّني إِذَا مَا جَرَى لِي عِندَهَا سَاعَةً ذِكْرُ

٤.مَرَرنَا عَلَيهَا بِالكَثِيبِ غَدِيَّةً وَقَدْ سَفَرَتْ فَاجْتَازَ فِي وَجْهِهَا السَّفْرُ

٥.فَحِينَئِذٍ دَبَّ الهَوَى فِي مَفَاصِلِي فَأَوَّلُهُ هَذَا وَآخِرُهُ العُمْرُ

٦.فَمَا انْطَلَقَتْ رِجْلِي وَلَا سَارَ أَدهَمِي وَقُلْتُ لِصَحْبِي: صَحْبُ قَدْ سُحِرَ المُهْرُ

قَالَ فَأَمَرَ هُوذَةُ أَنْ يُكتَبَ كِتَابًا إِلَى أَبِيهَا، وَسَاقَ إِلَيهِ مِنَ الصَّدَاقِ مَاطَلَبَهُ فِيهَا، فَدَخَلَ عَلَيهَا، وَهِيَ تَقولُ: [من الرجز]

سَمْرَاءُ لَا ذُكِّرْتِ مِنْ مَنكُوحَةٍ مَفْضُوحَةٍ فِي أَهْلِهَا مَقْبُوحَةٍ

أَقولُ: إِنَّ الكِتَابَ الَّذِي ذَكرتُ مِنهُ هَذِهِ القَضِيَّةَ فِيهِ نَقَائِصُ كَثِيرةٌ، وَفِي هَذِهِ القَضِيَّةِ بِنَفْسِهَا نَقِيصَةٌ يَسِيرَةٌ، فَتَفَرَّستُ تَمَامَهَا عَلَى سَبِيلِ الإِجْمَالِ بِحَسَبِ سِيَاقِ كَلَامِهَا، فَرَأَيتُهَا

(١) أُوَسَّدُ سَاعِدِي: أَي حَتَّى أَموتُ وَأُقبَر؛ لِأَنَّ المَيِّتَ عِندَمَا يُقبَرُ يُوضَعُ كَفُّهُ تَحتَ خَدِّهِ عَلَى التُّرَابِ.
(٢) الغُنْجُ فِي الْجَارِيَةِ: تَكَسُّرٌ وتَدَلُّلٌ. (اللسان ٢/ ٣٣٧).

تَدُلُّ عَلَى أَنَّهَا مَرْوِيَّةٌ فِي طَرِيقَيْنِ:

الأَوَّلُ: هَذَا الَّذِي قَدْ ذَكَرْنَاهُ، **وَالثَّانِي**: مَا هَذَا مُلَخَّصُ مَعْنَاهُ، وَهُوَ إِنَّ عَاشِقَ هَذِهِ الفَتَاةِ بَعدَ أَنْ ضَرَبَهَا وَضَرَبَهُ أَبوهَا وَأَخُوهَا وَطَرَدَاهُ، قَصَدَ هُوذَةَ بنَ عَلِيٍّ الحَنَفِيَّ، وَهُوَ إِذ ذَاكَ أَمِيرُ اليَمَامَةِ؛ يَسْتَعِينُهُ عَلَى مَهْرِهَا، وَأَنْ يَخطِبَهَا لَهُ مِن أَهْلِهَا، وَإِنَّ أَخَا هَذِهِ الفَتَاةِ الَّتِي يُسَمِّيهَا عَاشِقُهَا سَمرَاءَ الكَثيبِ، بَعدَ أَنْ ضَرَبَهَا، قَصَدَ هَلَاكَهَا، وَأَخَذَهَا لِلبَرِّ الأَقفَرِ، وَتَرَكَهَا فِي شِعبِ جَبلٍ، وَآبَ يُخْبِرُ عَنهَا بِخَبَرٍ مُرِيب، مَرَّةً يَقولُ لِأَبيهَا: زَوَّجْتُهَا، وَأُخرَى يَقُولُ: اخْتَطَفَهَا الجِنُّ، وَفِي شِعْرِ عَاشِقِهَا مَا بِجَمِيعِ ذَلِكَ يُعْلِنْ.

وَإِنَّ هُوذَةَ عَثَرَ عَلَى تِلكَ الفَتَاةِ؛ فَالتَقَطَهَا وَلَمْ تُعلِمْ هُوذَةَ بِخَبَرِهَا، وَإِنَّ عَاشِقَهَا مَا عَلِمَ بِخَبَرِهَا إِلَّا بَعدَ أَنْ قَصَدَ هُوذَةَ، وَيَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ قَولُ عَاشِقِهَا:

وَقَدْ قِيلَ بَعْدِي أَنَّهَا قَدْ تَبَعَّلَتْ... البَيتُ

وَإِنَّهُ لَمَّا حَلَّ بِرَبعِ هُوذَةَ، خَطَرَ عَلَى بَالِهِ اخْتِطَافُ الجِنِّيِّ لَهَا، أَو سَأَلَ عَنْ شَأنِهَا، فَقَالَ يُخَاطِبُ الجِنِّيَّ بِأَبيَاتٍ مِنهَا قَولُهُ: [من الطويل]

١.وَلَمْ تَخْتَطِفْهَا مِنْ جَوًى وَصَبَابَةً ... وَلَا أَنْتَ مِثْلِي لِلْغَرَامِ غَرِيمُ
٢.وَلَمَّا رَجَونَا وَصْلَهَا وَدُنُوَّهَا ... ذَهَبْتَ بِهَا إِنَّ المَشُومَ مَشُومُ
٣.لَعَلَّكَ مِثْلِي فِي سُمَيْرَاءَ رَاغِبٌ ... شَجَاكَ لَهَا طَرْفٌ أَغَنُّ رَخِيمُ

قَالَ: ثُمَّ أَنَّهُ أَطْرَقَ إِلَى الأَرْضِ سَاعَةً وَرَفَعَ رَأسَهُ وَأَنْشَأَ يَقُولُ: [من الطويل]

١.سُمَيْرَاءُ مَا أَجْدَى احْتِيَالِي وَلَا أَغْنَى ... وَلَا قَرَّبَ المَثْوَى نَوَالًا وَلَا أَدْنَى
٢.وَمَا أَنْتِ إِلَّا فِتْنَةٌ وَبَلِيَّةٌ ... خُلِقْتِ لِكَيْ أَشْجَى وَأَكْمَلْتِ كَي أَضْنَى
٣.وَهَبْكِ سَحَرْتِ الإِنْسَ حُسْنًا وَبَهْجَةً ... فَكَيفَ سَحَرْتِ الإِنْسَ وَيْحَكِ وَالجِنَّا
٤.وَلَولَاكِ يَا سَمْرَاءُ لَمْ تُصْبِنِي الصَّبَا ... وَلَا مَلَكَ ابنُ الأَيْكِ قَلْبِي إِذَا غَنَّا
٥.وَأَنَّكِ فِي هَذَا الخِبَاءِ مُقِيمَةٌ ... وَإِنْ قَالَ رَبُّ التَّاجِ: وَسْوَسَ أَو جُنَّا

٦. قَالَ: فَضَحَكَ هُوذَةُ، وَقَالَ لَهُ: مِنْ أَينَ عَرَفْتَ أَنَّهَا فِي هَذَا الخِبَاءِ مُقِيمَةٌ؟!

فَأَنْشَأَ يَقُولُ: [من الطويل]

١. وَلَمَّا تَوَسَّمْتُ الخِبَاءَ اسْتَفَزَّنِي فَرَقَّ لَهُ قَلْبِي وَهَشَّتْ لَهُ نَفْسِي

٢. وَلَوْ لَمْ تَكُنْ سَمْرَاءُ فِيهِ مُقِيمَةً لَمَا عَادَ لِي مَا بَانَ عَنِّي مِنَ الأُنْسِ

قَالَ: فَرَقَّ لَهُ هُوذَةُ، فَرَحِمَهُ وَقَالَ:

إِنِّي التَقَطْتُ فَتَاةً يَحْسِبُهَا الرَّائِي مَهَاةً، وَلَا أَعْلَمُ مَنْ هِيَ، فَإِنْ كَانَتْ طَلِبَتَكَ، فَأَنْتَ أَحَقُّ بِهَا، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ هِيَ فَلَكَ الخِيَارُ.

قَالَ: فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى بَابِ الخِبَاءِ، قَالَ هُوذَةُ: يَا لَقِيطَةُ.

فَقَالَتْ: لَبَّيكَ.

فَعَرَفَ الفَتَى صَوْتَهَا، فَأَنْشَأَ يَقولُ: [من البسيط]

سَمْرَاءُ وَاللَّاتِ وَالعُزَّى وَمَا كَذَبَتْ طَيري وَلَا خَانَنِي قَلْبِي وَلَا كَذَبَا

قَالَ: فَأَجَابَتْهُ الجَارِيةُ بِقَولِهَا: [من البسيط]

١. يَا صَاحِبَ المُهْرِ فِي يَوْمِ الغَدِيرِلَقَدْ فَضَحْتَنِي بَيْنَ أَتْرَابِي فَوَاعَجَبَا

٢. لَا وَالَّذِي قَصَدَ النُّسَّاكُ كَعْبَتَهُ وَأَمَّهَا لِرِضَاهُ الوَفْدُ وَاقْتَرَبَا

٣. لَا نِلْتَ مِنِّيَ وَصْلًا أَنْتَ تَطْلُبُهُ حَتَّى يَنَالَ أَبِي مِنْكَ الَّذِي طَلَبَا

٤. لَئِنْ فَضَحْتَ أَبِي أَوْ شِنْتَ عِرْضَ أَخِي فَإِنَّنِي شَرُ بِنْتٍ أُنْكِحَتْ حَسَبَا

قَالَ: فَضَحَكَ هُوذَةُ مِنْ كَلَامِهَا، وَقَالَ:

أَلَسْتِ لَقِيطَتِي وَأَمْرِي فِيكِ مَاضٍ؟!

فَقَالَت: [من الوافر]

١. لَقِيطَةُ هُوذَةِ ابنِ عَلِيٍّ حَقًّا أَقَرُّ لَهُ إِذَا جَحَدَ الكَنُودُ

٢. وَعِنْدِي حُكْمَهُ مَاضٍ مُطَاعٌ وَهَلْ تَعْصِي مَوَالِيهَا العَبِيدُ؟!

٣.وَلَـكِـنَّ الـهُـمَامَ أَجَـلَّ مِـنْ أَنْ يُـكَـلِّـفُ عَـبْـدَهُ مَـا لَا يُـرِيـدُ
٤.وَيَـفْـضَـحُـهُ وَيُخْـزِيـهِ بِـأَمْـرٍ يَحِـلُّ عَـلَـيـهِ عَـارًا لَا يَـبِـيـدُ
٥.وَدُونَ دُنُـوِّهِ مِـنِّـي خُـطُـوبٌ يَـشِـيـبُ لَهَـوْلِهَـا الـطِّـفْـلُ الـوَلِـيـدُ
٦.وَحَـرْبٌ تَحسِبُ الهَامَاتِ مِنهَا طُـيُـورًا عَـنْ مَجَـاثِـمِـهَـا تَحِـيـدُ

قَالَ: فَضَحَكَ هُوذَةُ مِنْ كَلَامِهَا، وَأَجَابَهَا يَقولُ: [من الوافر]

١.دَعِـي عَـنْـكِ الجَـهَـالَـةَ وَاطْـمَـأني عَـلَى رَجُـلٍ لَـهُ خَـطَـرٌ بَجِـيـدُ
٢.وَخَـلِّي الحَـرْبَ إِنَّ الحَـرْبَ شُـؤْمٌ يَـكِـيـعُ لِـشَرِّهَـا الـبَـطَـلُ الـنَّـجِـيـدُ
٣.وَأَيُّ مُحَـارِبٍ لِـلْـمُـلْـكِ إِلا غَـوِيٌّ -لَا أَبَـا لَـكِ- لَا رَشِـيـدُ
٤.وَمَـنْ يَسْطِيعُ هُـوذَةُ إِنَّ هَـذَا لَأَمْـرٍ إِنْ هَمَـمْـتِ بِـهِ بَـعِـيـدُ
٥.وَأَنْـتِ لَقِيطَتِي مِـنْ غَـيْرِ شَكٍّ وَأَمْـرِي فِـيكِ مَـاضٍ لَا يَحِـيـدُ

قَالَ: فَأَجَابَت الجَارِيةُ هُوذَةَ بِقَولِهَا: [من الوافر]

١.أَبَـيْـتَ الـلَّـعْـنَ مِـنْ مَـلِـكٍ مُـطَـاعٍ تَـدِيـنُ لَـهُ الْمُـلُـوكُ وَلَا يَـدِيـنُ
٢.رَضِـيـتُ بِـأَمْـرِهِ لَـكِـنَّ أَخْـذِي كَـمَا يَـرْجُـوهُ شَيءٌ لَا يَـكـونُ
٣.أَدُونَ أَبِي وَإِخْـوَتِيَ اغْـتِـصَـابِي لَـقَـدْ هَـوَّنْـتَ أَمْـرًا لَا يَهُـونُ

فَقَالَ الغُلَامُ: [من البسيط]

١.مَـاذَا تَرينَ فَـإِنِّي قَـدْ حَـوَيْـتُ هَـوًى وَقَـدْ ضَنَيْتُ جَوًى حَتَّى رَدَيتُ ضَنَى
٢.فَـإِنْ سَمِعْتِ بِصَبٍّ مَاتَ مِنْ كَمَدٍ وَفَـاضَ وَجْـدًا بِـمَـنْ يَـهـوَاهُ فَـهـوَ أَنَـا
٣.لَـقَـدْ بُلِيتُ وَمَـا الأَقْـدَارُ وَاحِـدَةٌ بِـمِـحْـنَـةٍ صَـعْـبَـةٍ لَا تَـشْـبَـهُ الـمِحَـنَـا

قَالَ: فَأَجَابَتْهُ الجَارِيَةُ، وَذَلِكَ حَيثُ تَقولُ: [من الخفيف]

١.أَيُّهَـا الـعَـاشِـقُ الَّـذِي فَـضَـحَ الـعُـشْـ ـشَاقَ طُـرًّا وَالـعِـشْـقُ سِرٌّ يُـصَـانُ
٢.لَيْسَ مَهْرِي عَلَيْكَ مِنْ بَعْدِ مَا قَدْ مِـتُّ إِلَّا الـطَّـعَـانُ وَالْمَـيـدَانُ

٣.فَلَئِنْ كُنْتَ فَارِسًا فَأَنَا الزَّوْ ... جُ وَإِلَّا فَالصَّدُّ وَالهِجْرَانُ

قَالَ: فَأَجَابَهَا الغُلَامُ بِقَولِهِ: [من الخفيف]

١.أَيُّ كَفٍّ وَسَاعِدٍ لِمُحِبٍّ ... قَتَلَتْهُ اللَّحَاظُ وَالأَجْفَانُ

٢.إِنَّنِي فَارِسٌ شُجَاعٌ إِذَا كَلْـ ... ـلَ المَوَاضِي وَكَلَّتِ الشُّجْعَانُ

٣.غَيرَ أَنَّ النَّجِيدَ فِي حَوْمَةِ الحَرْ ... بِ ضَعِيفٌ عَمَّنْ يُحِبُّ جَبَانُ

٤.قَتَلَتْنِي مِنْ هَدْبِ الحَاظِكِ الغِيـ ... ـدِ دَلَالًا، وَجَفْنُكِ الوَسْنَانُ

٥.فَدَعِي السَّيْفَ وَالسِّنَانِ فَأَلْحَا ... ظُكِ سَيْفٌ مُجَرَّدٌ وَسِنَانُ

٦.لَكِ لَحْظٌ كَأَنَّهُ الخُمْرُ وَالسِّحـ ... ـرُ وَقَدٌّ كَأَنَّهُ الخَيزُرَانُ

٧.فَإِذَا مِسْتَ أَوْ تَثَنَّيْتَ أَغْضَتْ ... خَجَلًا لِاهْتِزَازِكَ الأَغْصَانُ[1]

٨.آهِ مِنْ لَوْعَةٍ عَلَى كَبِدِي مِنْـ ... ـكَ وَآهٍ يَقُولُهَا اللَّهْفَانُ

٩.قَدْ طَرَحْتُ السِّلَاحَ عَنِّي وَإِسْتَسْـ ... ـلَمْتُ ذُلًّا فَهَلْ لَدَيْكِ أَمَانُ

قَالَ: فَأَطْرَقَتِ الجَارِيَةُ، وَقَالَتْ: مَا أَنَا بِالمُتَخَلِّيَةِ بِالأَمْرِ دُونَ أَبِي.

فَدَعَا هُوذَةُ أَبَاهَا وَأَدْخَلَهُ عَلَيْهَا، فَلَمَّا رَآهَا لَمْ تَشُكَّ إِلَيهِ أَنَّهَا أَخَاهَا، وَإِنَّمَا زَعَمَتْ أَنَّ جِنِّيًّا اخْتَطَفَهَا وَطَرَحَهَا فِي شِعْبٍ مِنَ الجَبَلِ، فَزَوَّجَهَا مِنَ الغُلَامِ وَزُفَّت إِلَيهِ.

وَتِلكَ نِعْمَةٌ هُوذَةَ ابنِ عَلِيٍّ عَلَيهِ.

انْظُرْ لِهَذَا الغُلَامِ كَيفَ عَلِمَ بِالزَّجْرِ عِلمًا قَطْعِيًّا أَنَّ فِي ذَلِكَ الخِبَاءِ عَشِيقَتَه، مَعَ أَنَّهُ لِخَبَرِهَا لَمْ يَعْلَمْ حَقِيقَتَه، حَيْثُ أَشْكَلَ عَلَيهِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ قَبْلَ زَجْرِهِ، تَرَاهُ غَيرَ مُحَقِّقٍ لَهُ فِي بَدَائِعِ شِعْرِهِ، فَمَرَّةً يَقُولُ تَزَوَّجَتْ، وَأُخْرَى يَقُولُ اخْتُطِفَتْ، إِلَى أَنْ لَهَا طَيْرُهُ زَجَر، هُنَاكَ تَحَقَّقَ الخَبَر، وَجَزَمَ وَقَالَ: [من الطويل]

وَأَنَّكِ فِي هَذَا الخِبَاءِ مُقِيمَةٌ ... وَإِنْ قَالَ رَبُّ التَّاجِ: وَسْوَسَ أَو جُنَّا

(١) ماسَ يَمِيسُ مَيْسًا إِذا تَبَخْتَرَ فِي مَشْيِه وتَثَنَّى. (اللسان ٦/ ٢٢٤).

فَلِلَّهِ دَرُّهُ مَا أَرَقَّ فِكرَه، وَأَصْدَقَ زَجْرَه، مِن حَيثُ تَيَقَّنَ أَنَّهَا فِي الخِبَا مُقِيمَة، وَلَو قَالَ صَاحِبُهُ قَدْ جُنَّ إِذْ لَمْ يَرَهَا فِيهِ وَعِنْدَهُ، وَإِنْ قَالَ ذَلِكَ إِنَّهَا قَاطِنَةٌ فِي مَحَانِيه.

وَأَنْتَ إِنْ نَظَرْتَ إِلَى عُرَفَاءهُم بِهَذَا العِلْمِ تَرَ مِنهُمُ العَجَب، لِإِخْبَارِهِم بِالْمُغَيَّبِ، وَتَرَ كُلَّمَا قَالوا عَنْ شَيءٍ قَبلَ وُقُوعِهِ يَقَع كَمَا يَقُولُون، وَلَم تَجدهُم فِيهِ يُخْطِئون، وَلَهُم فِي هَذَا العِلْمِ قَضَايَا عَجِيبَة، وَأُمُورٌ غَرِيبَة، فَالعَجَبُ مِنْ مُؤَلِّفِ (مَنَازِل الأَحبَابِ) كَيفَ أَغْفَلَ وَتَعَسَّفَ بِكَيفِيَّةِ عِلمِ عَقِيلَة بِمَوْتِ ابنِ عَمِّهَا فِي ذَلِكَ الجَوَاب، وَهوَ فِي كِتَابِهِ يَرَى هَذَا الفَتَى الَّذِي يَعْشَقُ سَمرَاءَ الكَثِيبِ كَيفَ عَلِمَ بِالزَّجرِ أَنَّ عَشِيقَتَهُ فِي خِبَاءِ هُوذَةَ قَدْ قَطَنَتْ، وَبَدَائِعُ نَظْمِهِ بِذَلِكَ أَعْلَنَت، وَهَب أَنَّهُ غَفَلَ عَمَّا تَضَمَّنَ مِنَ الزَّجْرِ هَذَا الخَبَر، فَمِنَ الحَدِيثِ الَّذِي ذَكَرَهُ لِلُبْنَى فِي هَذَا الكِتَابِ بِذَلِكَ مَا شَعَر؟!

وَهوَ أَنَّ لُبْنَى أَمَرَتْ غُلَامًا لَهَا فَاشْتَرَى أَرْبَعَةَ غِرْبَانٍ، فَلَمَّا رَأَتْهُنَّ بَكَتْ وَصَرَخَتْ وَجَعَلَتْ تَضْرِبُهُنَّ بِالسَّوْطِ جَمِيعًا حَتَّى مِتْنَ، وَجَعَلَتْ تَنْشُدُ بِأَعلَى صَوْتِهَا هَذِهِ الأَبيَات: [من الوافر]

١. لَقَدْ نَادَى الغُرَابُ بِبَينِ لُبْنَى ... فَطَارَ القَلْبُ مِنْ حَذَرِ الغُرَابِ

٢. فَقَالَ: غَدًا تُبَاعَدُ دَارُ لُبْنَى ... وَتَنْأَى بَعْدَ وُدٍّ وَاقْتِرَابِ

٣. فَقُلْتُ: تَعُسْتَ وَيْحَكَ مِن غُرَابٍ ... وَكَانَ الدَّهْر سَعْيُكَ فِي تَبَابِ

٤. لَقَدْ أَوْلَعْتَ لَا لَاقَيْتَ خَيْرًا ... بِتَفْرِيقِ المُحِبِّ عَنِ الحِبَابِ

وَجَاءَ زَوجُهَا فَرَآهَا عَلَى تِلْكَ الحَالَةِ، فَقَالَ: مَا دَعَاكِ إِلَى مَا أَرَى؟!

فَقَالَتْ: إِنَّ حَبِيبِي قَيْسًا أَمَرَهُنَّ بِالوُقُوعِ، فَلَمْ يَقَعنَ وَذَلِكَ حَيثُ يَقُولُ: [من الطويل]

أَلَا يَا غُرَابَ البَيْنِ قَدْ طِرْتَ بِالَّذِي ... أُحَاذِرُ مِنْ لُبْنَى فَهَلْ أَنْتَ وَاقِعُ؟!

فَآلَيْتُ أَنْ لَا أَظْفَرَ بِغُرَابٍ إِلَّا قَتَلْتُهُ، فَغَضِبَ زَوْجُهَا، وَقَالَ:

وَالله لَقَدْ هَمَمْتُ بِتَخْلِيَةِ سَبِيلِكِ.

فَقَالَت: والله وَدِدْتُ أَنَّكَ فَعَلتَ ذَلِكَ وَإِنِّي عَمْيَاءُ، فَوَالله مَا تَزَوَّجْتُ بِكَ رَغْبَةً فِيكَ، وَلَقَدْ كُنْتُ آلَيتُ أَنْ لَا أَتَزَوَّجَ بَعدَ قَيْسٍ أَبَدًا، وَلَكِنْ غَلَبَنِي أَبِي عَلَى أَمْرِي، وَقَالَ جَرير:[1] [من الكامل]

لَيْتَ الغُرَابَ غَدَاةَ يَنْعَبُ دَائِما كَانَ الغُرَابُ مُقَطَّعَ الأَوْدَاجِ

وَقَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ[2] فِي (مَجمَع الأَمْثَالِ): لَيْسَ فِي الأَرْضِ بَارِحٌ وَلاَ نَطِيحٌ وَلَا قَعِيدٌ وَلَا أَعْضَبُ وَلَا شَيءٌ مِمَّا يَتَشَاءَمُونَ بِهِ، إِلَّا وَالغُرَابُ عِنْدَهُم أَنْكَدُ، وَاشْتَقُّوا مِن اسمِهِ الغُربَةَ، وَيَقولُونَ: إِنَّ عَادَتَهُ أَنَّهُ لَا يَعْتَرِي مَنَازِلَهُم إِلَّا عِندَ البَينِ، يَقَعُ فِيهَا فَيَلْتَمِسُ وَيَتَقَمَّمُ[3]، وَزَعَمُوا أَنَّ نَعِيقَهُ يُتَطَيَّرُ مِنهُ، وَهوَ أَنْ يَقُولَ عِيق عِيق، يُقَالُ نَعَبَ بِشَرٍّ، وَنَغِيقُهُ يُتَفَاءَلُ بِهِ، وَهوَ أَنْ يَقولَ: غَاق غَاق، يُقَالُ نَغَقَ بِخَيرٍ، وَالتَّشَأُّمُ مِنْ بَعْضِ الحَيوَانَاتِ فِي حَالَاتٍ مَخصُوصَةٍ قَدْ وَرَدَ فِي الشَّرِيعَةِ المُحَمَّدِيَّةِ.

رَوَى ابنُ بَابَوَيهِ[4]، فِي (الفقيه)[5] عَنِ الكَاظِمِ عليه السلام، أَنَّ الشُّؤمَ لِلْمُسَافِرِ فِي طَرِيقِهِ فِي سِتٍّ: الغُرَابُ النَّاعِقُ عَنْ يَمِينِهِ وَالنَّاشِرُ لِذَنَبِهِ، وَالذِّئْبُ العَاوِي فِي وَجْهِ الرَّجُلِ وَهوَ

(١) ديوان جرير ١/ ١٣٦.

(٢) الزَّمخشَريُّ: مرَّت ترجمته في ٢٤٤.

(٣) يَلتَمِسُ: يَطلُبُ، يُفَتِّشُ، وَيَتَقَمَّمُ: يَأكلُ ما يجدُ مِن القَمامَةِ.

(٤) أَبُو جَعفَرٍ، مُحَمَّدُ بنُ عَلِيِّ بنِ الحُسَينِ بنِ بَابَويه القُمِّيُّ، المَعرُوفُ بِالشَّيخِ الصَّدُوقِ: كَانَ جَليلَ القَدرِ عَظيمَ المَنزلَةِ، حَافِظًا لِلأَحَاديثِ، بَصيرًا بِالرِّجالِ، نَاقِدًا لِلأَخبَارِ، فَهوَ رئيسُ المُحَدِّثينَ، وردَ بغدادَ سَنةَ (٣٥٥هـ)، وَحَدَّثَ بِهَا، وَسَمعَ مِنهُ جَمعٌ غَفيرٌ مِنَ الفَريقَينِ. توفِّي سنة (٣٨١هـ)، وَلَهُ قَرابَةُ ألفِ كِتابٍ وَرِسَالَةٍ فِي العَقَائِدِ وَالحَديثِ وَالكَلامِ وَغَيرِ ذَلِكَ، أَشهَرُهَا (مَنْ لا يحضره الفقيه)، و(التوحيد)، و(كمال الدين)، و(الأمالي)، و(عيون الأخبار). له ترجمة في: رجال النجاشيّ ٣٨٩، وتأريخ بغداد ٣/ ٣٠٣، رجال ابن داوود ٥١، معالم العلماء ١٤٦، وأمل الآمل ٢/ ٢٨٣، وحِلية الأبرار ١/ ٥، روضات الجنَّات ٦/ ١٣٢.

(٥) كتاب (الفقيه)، أو كتاب (من لا يحضره الفقيه) للشيخ الصدوق.

مُقْعٍ عَلَى ذَنَبِه، ثُمَّ يَرتَفِعُ وَيَنْخَفِضُ، وَالضَّبِيُ السَّانِحُ مِن عَنْ يَمِينٍ إِلَى شَمالٍ، وَالبُومَةُ الصَّارِخَةُ، وَالمَرأَةُ الشَّمْطَاءُ، وَالأَتَانُ العَضْبَاء، فَقَولُهُ: وَهوَ مُقْعٍ، أَي جَالِسٌ عَلَى اسْتِهِ مُفْتَرِشًا رِجْلَيهِ وَنَاصِبًا يَدَيهِ، وَالسَّانِحُ مَا وَلَّاكَ مَيَامِنَه، مِن ضَبْيٍ وَغَيْرِهِ، وَالبَارِحُ مَا وَلَّاكَ مَيَاسِرَه، وَالعَرَبُ تَتَيَمَّنُ السَّانِحَ وَتَتَشَأَمُ بِالبَارِحِ، وَمِنْهُمُ مَنْ يَتَيَمَّنُ بِالبَارِحِ، وَيَتَشَأَمُ بِالسَّانِحِ كَأَهلِ الحِجَازِ، وَأَمَّا النَّجْدِيُّونَ فَهُم عَلَى العَكْسِ مِن ذَلِكَ.

وَالشَّمْطَاءُ: قَالَ المُطَرِّزِيُّ[1] وَابنُ فَارِسٍ[2]: الشَّمْطُ اخْتِلَاطُ الشَّيبِ بِسَوَادِ الشَّبَابِ، وَكُلُّ خَلِيطَينِ خَلَطْتَهُمَا فَقَدْ شَمَطْتَهُمَا، وَمِنهُ قِيلَ لِلصَّبَاحِ شَمِيطٌ؛ لِاختِلَاطِ بَيَاضِهِ بِبَاقِي ظُلْمَةِ اللَّيلِ، وَلَا يُقَالُ لِلمَرأَةِ شَيْبَاء بَلْ شَمْطَاءُ[3]، وَالعَضْبَاء: قَالَ المُطَرِّزِيُّ وَالجَوْهَرِيُّ[4]: الشَّاةُ العَضبَاءُ المَكسُورةُ القَرنِ[5] الدَّاخِلِ وَقِيلَ الَّتِي كُسِرَ أَحَدُ قِرنَيهَا، وَالعَضبَاءُ: المَشْقُوقَةُ الأذنِ، وَنَاقَةُ النَّبِيِّ ﷺ العَضْبَاء لَمْ تَكُنْ مَشقُوقَةَ الأُذنِ بَل ذَلِكَ لَقَبٌ لَهَا.

أَقُولُ: انْظُرْ إِلَى هَذِهِ الأَخْبَارِ الَّتِي ذَكرنَاهَا، فَإِنَّهَا لَا تَخلو مِن فَائِدَتَينِ:

الأولَى: تُقَرِّبُ لِلْعَقْلِ أَنَّ عَقِيلَةَ مَا عَلِمَتْ بِمَوتِ ابنِ عَمِّهَا إِلَّا مِنْ طَرِيقِ عِلمِ الزَّجْرِ.

(١) مرَّت ترجمته في ٤٤.

(٢) ابنُ فَارِس: أَحمدُ بنُ فَارسِ بنِ زَكَرِيَّاءَ القَزوينِيّ الرَّازِيُّ، أَبو الحُسَينِ: مِنْ أَئِمَّةِ اللُّغَةِ وَالأَدَبِ. أَصلُهُ مِن قَزوين، وَأَقَامَ مُدَّةً فِي هَمذَانَ، قَرأَ عَلَيهِ البَدِيعُ الهَمَذَانِيُّ وَالصَّاحِبُ بنُ عَبَّاد وَغَيرُهُما مِن أَعيَانِ البَيانِ، ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى الرَّيِّ فَتُوفِّيَ فِيهَا، وَذَلِكَ سَنةَ (٣٩٥هـ/ ١٠٠٤م)، وَإِلَيهَا نِسبَتُهُ. مِن تصانيفه (مقاييس اللغة)، و(المجمل)، و(الصاحبيّ) في علم العربيَّة، ألَّفه لخزانة الصاحب ابن عباد، وغيرها كثير. له ترجمة في: نزهة الألباء ٢٣٥، ووفيات الأعيان ١/ ١١٨، والوافي بالوفيات ٧/ ١٨١، والشدياق ١٩٣، والأعلام ١/ ١٩٣.

– ينظر: مجمل اللغة لابن فارس ١/ ٥١٢، والمغرب في ترتيب المعرب ٢٥٧.

(٣) الشَّمْطُ: الخَلْطُ، يَقُولُ: اخْتَلَطَ فِي ذَنبِها بَيَاضٌ وَغَيْرُهُ. (اللسان ٧/ ٣٣٦).

(٤) المغرب في ترتيب المعرب ٣١٨، والصِّحاح ١/ ١٨٣.

(٥) العَضْباء: الشاة المكسورة القرن الداخل، وهو المُشاش. (الصِّحاح ١/ ١٨٣).

وَالثَّانِيَةُ: إِذَا كَانَ العِشْقُ سَابِقًا هَكَذَا يَفْعَلُ بِالنَّاسِ، وَعُرَفَاؤُهُم جَمَعَت أَخْبَارَهُمْ، وَدَوَّنَتْهَا فِي الكُتُبِ حَتَّى تَسْتَأْنِسُ بِهَا المُلوكُ وَالظُّرَفَاءُ؛ فَلَا شَكَّ وَلَا شُبْهَةَ أَنَّ ثَمَرَةَ الغَزَلِ الَّذِي يَكونُ فِي أَوَّلِ قَصَائِدِ المَدِيحِ يَلْحَظُ فِيهِ الشُّعَرَاءُ مَا قُلْنَاهُ، وَهُوَ اسْتِمَالَةُ نُفُوسِ جُلَسَاءِ المَلكِ إِلَى قَصَائِدِهِم لِيَعْظَمَ شَأْنُهَا.

وَيُؤَيِّدُ ذَلِكَ أَنَّ شُعَرَاءَ الجَاهِلِيِّينَ وَمَنْ نَهَجَ مَنْهَجَهُم مِنْ شُعَرَاءِ الإِسلَامِيِّينَ، يَنْظِمُونَ قِطعَةً مِنَ الغَزَلِ، وَيَبتَدِؤُونَ بِهَا فِي القَصِيدَةِ، وَلَمْ يَكُنْ بَينَهَا وَبَينَ المَقْصَدِ ارتِبَاطٌ البَتَّةَ، فَتَرى المُبَايَنَةَ بَينَهُمَا شَدِيدَةً.

وَأَنْتَ إِذَا نَظَرْتَ إِلَى هَذِهِ القِطْعَةِ مِنَ الغَزَلِ وَرَأَيْتَهَا مُنْفَرِدَةً بِجُمْلَتِهَا، عَلِمْتَ أَنَّ مَا بَيَّنَّاهُ مَقْصَدُهُم بِهَا، عَلَى أَنَّهَا لَوْ كَانَتْ مُرْتَبِطَةً بِالمَقْصَدِ، وَأَجْهَدْتَ نَفْسَكَ عَلَى أَنْ تَرَى لَهَا ثَمَرةً غَيرَ هَذَا لَعَجَزْتَ، وَعَلمتَ أَنَّهَا لَمْ تُوجَدْ.

فَإِذَا كَانَت هَذِهِ ثَمَرَةَ الغَزَلِ كَانَ يَنْبَغِي لِلسَّيِّدِ -سَلَّمَهُ اللهُ- عَنْ غَزَلِ قَصِيدَتِهِ لَمْ يَغْفَلْ، وَلَا يَأتِي مِنْ بَرَاعَةِ مَطْلَعِهَا إِلَى خِتَامِهَا يَطْرُدُ فِي هَذِهِ المَعَايِبِ عَلَى هَذِهِ المَثُوبَةِ، وَيُبْدِهُ مِنْ نِظَامِهَا لِلسَّامِعِينَ عُيوبَه، وَلَولَا خَوفُ الإِطَالَةِ لَاسْتَقْصَينَاهَا بَيْتًا فَبَيتًا، وَذَكَرنَا مَا بِكُلِّ بَيتٍ مِنْ هَذِهِ العُيوبِ الوَاضِحَةِ وَالخَلطِيَاتِ الفَاضِحَة، وَلَكِنْ فِي مَا أَوْردنَاهُ شَاهِدُ عَدلٍ لِمَا فِيهِم سَابِقًا مِن هَذِهِ المَعَايِبِ ذَكَرنَاهُ.

عَلَى أَنَّنَا سَنَذكُرُ مِنْ مَعَايِبِهَا أَعْظَمَ مِمَّا ذُكِرَ وَأَفْظَعَ، وَأَقْبَحَ مِنهُ وَأَشْنَع، [لا] سِيَّمَا فِي التَّخَلُّصِ، فَأَنَّهُ سَرَقَهُ مِن ابنِ رَشِيقٍ[1].

---

(١) قال ابن رشيق: (من الطويل)

أصحُّ وأقوَى مَا سَمِعنَاهُ فِي النَّدَى ... مِنَ الخَبرِ المَأثُورِ مُنذُ قَدِيمِ
أَحَادِيثُ تَروِيهَا السُّيولُ عَنِ الحَيَا ... عَنِ البَحرِ عَن كَفِّ الأَمِيرِ تَمِيمِ

ديوان ابن رشيق ١٧٠-١٧.

اقتطعَ السَّارقُ البيتَ الأَخيرَ، فَقَالَ:=

وَالتَّخَلُّصُ -كَمَا قَدْ عَلِمْتَ- هُوَ أَحدُ المَوَاضِعِ الثَّلَاثَةِ الَّتِي تَجِبُ المُحَافَظَةُ عَلَيهَا، وَيَنْبَغِي أَنْ يَتَأَنَّقَ الشَّاعِرُ فِيهَا، وَلَا بَأسَ بِذِكْرِهِ بِأَقْسَامِهِ؛ لِيَظْهَرَ لَكَ أَنَّ اقْتِحَامَ السَّيِّدِ عَلَى بَيتِ ابنِ رَشِيقٍ هُوَ مِن أَقْبَحِ المَعَايبِ الشِّعرِيَّةِ.

فَالتَّخَلُّصُ[1] عَلَى مَا حَدَّهُ أَرْبَابُ هَذَا الفَنِّ، هُوَ عِبَارَةٌ عَنْ الخُرُوجِ مِنْ كَلَامٍ إِلَى كَلَامٍ آخَرَ غَيْرِهِ؛ بِلَطِيفَةٍ تُلَائِمُ بَينَ الكَلَامِ الَّذِي خَرَجَ مِنهُ وَالكَلَامِ الَّذِي دَخَلَ فِيهِ، فَإِذَا كَانَ بِغَيرِ لَطِيفَةٍ وَبِغَيرِ مُنَاسَبَةٍ تُلَائِمُ بَينَ الكَلَامَينِ، فَهوَ الاقْتِضَابُ[2]، وَيُسَمَّى الاقْتِطَاعُ وَالارْتِجَالُ.

وَهوَ عَلَى قِسمَينِ:

القِسمُ الأَوَّلُ: وَهوَ أَنْ يَكونَ بَيَنَ الكَلَامَينِ نَوعُ ارْتِبَاطٍ بِلَفْظَةٍ: أَمَّا بَعْدُ وَقِيلَ إِنَّهَا مُفَرَّعَةٌ مِنَ الاقْتِضَابِ؛ لِأَنَّ الانْتِقَالَ بِهَا مِنَ الحَمْدِ وَالثَّنَاءِ إِلَى كَلَامٍ آخَرَ مِنْ غَيْرِ مُلَاءَمَةٍ، لَكِنَّهُ يُشْبِهُ التَّخَلُّصَ بِنَوعٍ مِنَ الرَّبْطِ عَلَى مَعنًى مَهْمَا يَكُنْ مِن شَيءٍ بَعْدَ الحَمْدِ وَالثَّنَاءِ؛ فَإِنَّهُ كَانَ كَذَا.

قَالَ ابنُ الأَثِيرِ فِي (المَثَل السَّائِر)[3]، وَالَّذِي أَجْمَعَ عَلَيهِ المُحَقِّقونَ مِن عُلَمَاءِ البَيَانِ أَنَّ فَصلَ الخِطَابِ هُوَ أَمَّا بَعدُ؛ لِأَنَّ المُتَكَلِّمَ يَفْتَتِحُ كَلَامَهُ فِي شَأنِ ذِكرِ الله وَتَحمِيدِهِ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَخرُجَ إِلَى الغَرَضِ المَسُوقِ إِلَيهِ فَصَلَ بَينَهُ وَبَينَ ذِكرِ الله بِلَفْظَةِ أَمَّا بَعدُ[4]. انتهى.

وَقِيلَ: أَوَّلُ مَنْ تَكَلَّمَ بِكَلِمَةِ (أَمَّا بَعدُ) دَاوودُ عليه السلام؛ لِقَولِهِ تَعَالَى: ﴿.. **وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ**﴾[5]، وَقِيلَ أَوَّلُ مَنْ تَكَلَّمَ بِهَا عَلِيٌّ عليه السلام.

مَنَاهِلُ مَدَّتْهَا السُّيولُ عَنِ الحَيَا ... عَنِ البَحرِ عَن كَفِّ الهُمامِ أَبِي المَهدِي

(١) ينظر: البديع في البديع ٣٥.

(٢) ينظر: المثل السائر ٣/ ١٣٩.

(٣) ينظر: المثل السائر ٢/ ٢٦٠.

(٤) المثل السائر ٣/ ١٣٩.

(٥) سورة ص/ ٢٠، وينظر: الأوَّل للعسكريّ ٦٨.

أَو بِلَفْظَةِ (هَذَا)، كَقَولِهِ تَعَالَى: ﴿**هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ**﴾[1]، فَلَفْظَةُ هَذَا اقْتِضَابٌ فِيهِ نَوعُ ارْتِبَاطٍ بِمَا قَبلَهُ؛ لِأَنَّ الوَاوَ لِلْحَالِ، وَلَفْظَةُ (هَذَا) أَمَّا خَبَرُ مُبْتَدَأٍ مَحذوفٍ، أَي الأَمرُ هَذَا وَالحَالُ كَذَا، أَو مُبْتَدأ مَحْذُوفُ الخَبَرِ، أَي هَذَا الأَمْرُ كَمَا ذُكِرَ.

قَالَ ابنُ الأَثِيرِ فِي (المَثل السَّائِر) لَفْظَة (هَذَا) فِي هَذَا المَقَامِ مِنَ الفَصلِ الَّذِي هُوَ أَحْسَنُ مِنَ الوَصْلِ، وَهِيَ عَلَاقَةٌ وَكِيدَةٌ بَينَ الخُرُوجِ مِن كَلَامٍ إِلَى كَلَامٍ آخَرَ غَيْرِهِ[2]،

وَالقِسْمُ الثَّانِي: وَهوَ أَنْ لَا يَكونَ نَوعُ ارْتِبَاطٍ وَلَا رَائِحَةٍ مُنَاسِبَةٍ وَلَا لَطِيفَةٍ تُلَائِمُ بَينَ الكَلَامِ الَّذِي خَرَجَ مِنهُ، وَالكَلَامُ الَّذِي دَخَلَ فِيهِ وَهَذَا مَذْهَبُ الجَاهِلِيِّينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ مِنَ الإِسلَامِيِّينَ كَجَرِيرٍ، وَالفَرَزدَقِ، وَأَبِي تَمَّامٍ، وَالبُحْتُرِيِّ، وَأَبِي نُواسٍ، كَقَولِهِ: [3] [من المديد]

١. يا كثير النوح في الدمن ... لا عليها بل على السكنِ
٢. سُنَّةُ العُشَّاقِ وَاحِدَةٌ ... فَإِذَا أَحْبَبْتَ فَاسْتَنِنِ
٣. ظَنَّ بِي مَنْ قَدْ كَلِفْتُ بِهِ ... فَهوَ يَجفُونِي عَلَى الظِّنَنِ
٤. نَامَ لَا يَعْنِيهِ مَا لَقِيَتْ ... عَينُ مَمْنُوعٍ مِنَ الوَسَنِ
٥. رَشَأٌ لَوْلَا مَلَاحَتُهُ ... خَلَتِ الدُّنْيَا مِنَ الفِتَنِ
٦. مَا بَدَا إِلَّا اسْتَرَقَّ لَهُ ... حُسْنُهُ عَبْدًا بِلَا ثَمَنِ
٧. فَاسْقِنِي كَأْسًا عَلَى عَذِبٍ ... كَرِهَتْ مَسْمُوعَهَا أُذُنِي
٨. مِنْ كُمَيْتِ اللَّونِ صَافِيَةٍ ... خَيْرَ مَا سُلْسِلَتْ فِي بَدَنِ
٩. مَا اسْتَقَرَّتْ فِي فُؤَادِ فَتًى ... فَدَرَى مَا لَوْعَةُ الحَزَنِ
١٠. مُزِجَتْ مِنْ صَوبِ غَادِيَةٍ ... حَلَبَتْهُ الرِّيحُ مِنْ مُزُنِ

(١) سورة ص/ ٥٥، وينظر: المثل السائر ٣/ ١٤٠.
(٢) المثل السائر ٣/ ١٣٩.
(٣) ديوان أبي نواس ١/ ١٣٦-١٣٧.

١١. تَـضْـحَـكُ الـدُّنْـيَـا إِلَى مَـلِـكٍ قَـــامَ بِـــالآثَـــارِ وَالـــسُّـــنَـــنِ
١٢. يَـا أَمِـــينَ اللهِ عِـــشْ أَبَـــدًا دُمْ عَـــلَى الأَيَّـــامِ وَالـــزَّمَـــنِ

وَهَذَا عِندَ المُتَأَخِّرينَ مَعِيبٌ.

فَالتَّخَلُّصُ الَّذِي نَحْنُ بِصَدَدِهِ هُوَ أَنْ يَتَخَلَّصَ الشَّاعِرُ مِنَ الغَزَلِ إِلَى المَدِيحِ فِي بَيتٍ وَاحِدٍ يَثِبُ مِنَ الغَزَلِ إِلَى المَدِيحِ وَثْبَةً عَجِيبَةً بِحَيْثُ لَا يَشْعُرُ السَّامِعُ بِالانْتِقَالِ مِنَ الغَزَلِ إِلَّا وَقَدْ وَقَعَ فِي المَدِيحِ؛ لِشِدَّةِ المُمَازَجَةِ وَالالتِئَامِ بَينَهُمَا حَتَّى كَأَنَّهَا أُفْرِغَا فِي قَالَبٍ وَاحِدٍ، وَهَذَا أَحسَنُ التَّخَلُّصَاتِ البَدِيعِيَّةِ الَّتِي اعْتَنَى بِهَا المُتَأَخِّرونَ دُونَ شُعَرَاءِ العَرَبِ وَمَنْ جَرَى مَجْرَاهُمْ؛ فَإِنَّهُم لَمْ يَعْتَنُوا بِذَلِكَ لَكِنْ لَمْ يَفُتْهُمْ ذَلِكَ، وَقَدْ أَوْرَدَ لَهُم أَرْبَابُ هَذَا الفَنِّ، مَا هُوَ فِي غَايَةِ الحُسْنِ، لَكِنْ وَقَعَ فِي شِعْرِهِم نَادِرًا، حَيْثُ إِنَّهم لَمْ يَعْتَنُوا بِهِ، وَلَولَا أَنَّهُمْ فَتَحُوا لِلْمُتَأَخِّرينَ هَذَا البَابَ؛ لَصَعُبَ عَلَيهِم فَتْحُهُ، وَمِمَّا أَوْرَدوا لَهُم فِي ذَلِكَ قَولُ زُهَيرِ ابنِ أَبِي سُلمَى:[1] [من البسيط]

إِنَّ البَخِيلَ مَلُومٌ حَيْثُ كَانَ وَلَـ ـكِنَّ الجَوَادَ -عَلَى عِلَّاتِهِ- هَرِمُ[2]

وَقُولُ الفَرَزْدَقِ وَقَدْ أَجَادَ إِلَى الغَايَةِ:[3] [من الطويل]

١. وَرَكْبٍ كَأَنَّ الرِّيحَ تَطْلُبُ عِنْدَهُمْ لَـهَا تِـرَةً مِـنْ جَـذْبِهَا بِالعَصَائِبِ
٢. سَرَوا يَخْبِطُونَ اللَّيْلَ وَهِيَ تَلِفُّهُمْ عَلَى شُعَبِ الأَكْوَارِ مِنْ كُلِّ جَانِبِ[4]

(١) شرح ديوان زهير بن أبي سلمى ١٢٩.

(٢) هَرِم بن سِنَان بنِ أَبِي حَارِثَةَ المُرِّيُّ، مِن مُرَّةَ بنِ عَوفِ بنِ سَعدِ بنِ ذُبيَانَ، مِنْ أَجوَادِ العَرَبِ فِي الجَاهِلِيَّةِ، يُضرَبُ بِهِ المَثَلُ، وَهوَ مَمدُوحُ زُهيرِ بنِ أَبِي سُلمَى، اشْتَهَرَ هُوَ وَابنُ عَمِّهِ الحَارِثُ بنُ عَوفِ بنِ أَبِي حَارِثَةَ، بِدُخُولِهِمَا فِي الإِصلَاحِ بَينَ عَبسٍ وَذُبيَانَ، وَتَحَمُّلِهُمَا الدِّيَاتِ، فَكَانَت ثَلَاثَةَ آلَافِ بَعِيرٍ، فِي ثَلَاثِ سِنِينَ، وَمَاتَ هَرِمٌ قَبلَ الإِسلَامِ، فِي أَرضٍ لِبَنِي أَسَد يُقَالُ لَهَا (رزَاءُ)، وذلك (نحو ١٥ق.هـ). له ترجمة في: وفيات الأعيان ٦/ ٢٦٤، الإصابة ٦/ ٤٤٧، والأعلام ٨/ ٨٢.

(٣) ديوان الفرزدق ١/ ٥٣.

(٤) في (الأصل): (إِلَى شَعَثٍ) في موضع (عَلَى شُعَبٍ).

٣.إِذَا مَا رَأَوْا نَارًا يَقُولُونَ: لَيْتَهَا وَقَدْ خَصِرَتْ أَيْدِيهِمُ، نَارُ (غَالِبِ)[1]

وَقَوْلُ ذِي الرُّمَّةِ:[2] [من الوافر]

سَمِعْتُ، النَّاسُ يَنْتَجِعُونَ غَيْثًا فَقُلْتُ لِـ(صَيْدَحَ): انْتَجِعِي (بِلَالَا)[3]

وأَمَّا تَخَلُّصَاتُ المُتأَخِّرين من الشعراء؛ فقد اعتنوا بِهَا غَايَةَ الاعْتِنَاء.

فَمِنْ بَدَائِعِهَا قَوْلُ بَدِيعِ الزَّمَانِ:[4] [من البسيط]

١.أَبَى المَقَامَ بِدَارِ الذُّلِّ لِي كَرَمٌ وَهِمَّةٌ تَصِلُ التَّخْوِيدَ وَالخَبَبَا[5]

٢.وَعَزْمَةٌ لَا تَزَالُ الدَّهْرَ ضَارِبَةً دُونَ الأَمِيرِ وَفَوْقَ المُشْتَرِي طَنَبَا

---

(١) في (الأصل): (أبصروا) في موضع (مَا رَأَوْا).

- خَصِرَت: تَأَلَّمَتْ من البَرْد. (التاج ١١/ ١٧١).

(٢) ديوان ذي الرمة: ١٩٨، وفي رواية: (رأيت الناس).

(٣) وَصَيْدَحٌ: اسْمُ نَاقَتِهِ، وَبِلَالٌ مَمْدُوحِهِ، وَهُوَ ابنُ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ، وَكَانَ يَمْدَحُهُ كَثِيرًا.

(٤) ديوان بديع الزمان الهمذانيّ: ٣٣.

- بَدِيع الزَّمَان: أَحمَدُ بنُ الحُسَينِ بنِ يَحيَى الهَمَذَانِيُّ، أَبو الفَضلِ: أَحدُ أَئِمَّةِ الكُتَّابِ، وَكَانَ شَاعِرًا وَطَبَقَتُهُ فِي الشِّعرِ دُونَ طَبَقَتِهِ فِي النَّثرِ، وُلِدَ فِي هَمذَانَ وَانتَقَلَ إِلَى هُرَاةَ فَسَكَنَهَا، ثُمَّ وَرَدَ نِيسَابُورَ، فَلَقِيَ أَبَا بَكرٍ الخَوَارِزْمِيَّ، فَشَجَرَ بَينَهُمَا مَا دَعَاهُمَا إِلَى المُسَاجَلَةِ، فَطَارَ ذِكرُ الهَمَذَانِيِّ فِي الآفَاقِ، وَلَمَّا مَاتَ الخَوَارِزْمِيُّ خَلَا لَهُ الجَوُّ فَلَم يَدَعْ بَلدَةً مِن بُلدَانِ خُرَاسَانَ وَسَجِسْتَانَ وَغَزنَةَ إِلَّا دَخَلَهَا، وَلَا مَلِكًا وَلَا أَميرًا إِلَّا فَازَ بِجَوائِزِهِ. كَانَ قَوِيَّ الحَافِظَةِ، يُضرَبُ المَثَلُ بِحِفْظِه. وَيُذكَرُ أَنَّ أَكثَرَ (مَقَامَاتِه) ارْتِجَالٌ، وَأَنَّه كَانَ رُبَّمَا يَكتُبُ الكِتَابَ مُبتَدِئًا بِآخِرِ سُطُورِهِ، ثُمَّ هَلُمَّ جرًّا إِلَى السَّطْرِ الأَوَّلِ؛ فَيُخْرِجُهُ وَلَا عَيبَ فِيهِ! تُوفِّيَ سَنَةَ (٣٩٨هـ). له ترجمة في: يتيمة الدهر ٤/ ٢٩٣، ومعجم الأدباء ١/ ٢٣٤، ووفيات الأعيان ١/ ١٢٧، والوافي بالوفيات ٦/ ٢٢٠، والأعلام ١/ ١١٥، ومعجم المؤلِّفين ١/ ٢٠٩.

(٥) في (الأصل): (التوخيد)، وهو تصحيف.

- التَّخْوِيد: سُرعةُ السَّيْرِ. (التاج ٨/ ٦٧)، والخَبَبُ: ضَرْبٌ مِنَ العَدْوِ، وهو الإِسْرَاعِ فِي المَشْيِ. (التاج ٢/ ٣٢٨).

وقول أَبي تمَّام:[1] [من البسيط]

١. يَقُولُ فِي قُومِسٍ صَحْبِي وَقَدْ أَخَذَتْ مِنَّا السُّرَى وَخُطَى المَهْرِيَّةِ القَوْدِ[2]

٢. أَمَطْلِعَ الشَّمْسِ تَبْغِي أَنْ تَؤُمَّ بِنَا؟ فَقُلْتُ: كَلَّا وَلَكِنْ مَطْلِعَ الجُودِ

قَالَ صَلاحُ الدِّينِ الصَّفَدِيُّ: وَالنَّاسُ يَسْتَحْسِنُونَ هَذَا مِنْ أَبِي تمَّام وَيَعُدُّونَهُ مِنْ الجَيِّدِ لَهُ، وَقَدْ أَخَذَهُ بِلَفْظِهِ مِنْ مُسْلِمِ بنِ الوَلِيدِ، وَاجْتَرَأَ عَلَيْهِ اجْتِرَاءَ السَّادَةِ عَلَى العَبِيدِ؛ لأَنَّ مُسْلِمًا هُوْ البَادِئُ[3] وَأَبُو تمَّام هُوَ العَادِي، وَذَلِكَ حَيْثُ يَقُولُ:[4] [من الطويل]

١. يَقُولُ صَحْبِي وَقَدْ جَدُّوا عَلَى عَجَلٍ وَالخَيْلُ تَسْتَنُّ بِالرُّكْبَانِ فِي اللُّجُمِ[5]

٢. أَمَطْلِعَ الشَّمْسِ تَبْغِي أَنْ تَؤُمَّ بِنَا؟! فَقُلْتَ: كَلَّا وَلَكِنْ مَطْلِعَ الكَرَمِ

وَهَذَا فِي غَايَةِ الحُسْنِ الَّتِي تَكَبُو الفُحُولُ دُونَ بُلُوغِهَا، وَتَعْجَزُ الشُّعَرَاءُ عَنِ الظَّفَرِ بِمَصُوغِهَا، فَإِنَّ عَيْنَ النُّهَى تَصِلُ النَّظَرَ إِلَى رِفْعَتِهَا وَتَتَأَمَّلُ، وَمَطَايَا التَّخْيِيلِ تَكِلُّ عَنِ النُّهُوْضِ بِعِبْئِهَا فَتَتَجَمَّلُ، وَمَا تَتَحَمَّلُ.

وَقَدْ أَخَذَهُ أَبُو اسْحَاقِ الغَزِّيّ فَسَبَكَهُ فَلَبَكَهُ لَمَّا قَالَ:[6] [من الوافر]

١. تَقُولُ، إِذَا حَثَثْنَاهَا وَظَلَّتْ تُنَاجِينَا بِأَلْسِنَةِ الكَلالِ:[7]

(١) ديوان أبي تمَّام ٢/ ١٣٢.

(٢) في (الأصل): (تقول) في موضع (يقول).

– قومس: تعريب كومس، بلد يقعُ في ذيل جبال طبرستان، بين الري ونيسابور، حلَّ فيه الشاعر وهو في طريقه إلى ممدوحه عبد الله بن طاهر. ينظر: معجم البلدان ٤/ ٤١٤.

– والإبلُ المَهْرِيَّة: نسبة إلى قبيلة (مَهْرَة بن حَيْدَان)، وإليها يَرْجِع كلّ مَهْرِيّ. (التاج ١٤/ ١٥٨)، والقَوَدُ: طُولُ الظَّهْرِ والعُنُقِ. (التاج ٩/ ٨٠).

(٣) في (الأصل): (البادي).بتسهيل الهمزة.

(٤) ديوان مسلم بن الوليد ٣٤٠.

(٥) في (الأصل): (تقول) في موضع (يقول).

(٦) ديوان الغزي ٣٨٠.

(٧) الديوان: (فظلَّت) بدلًا من (وَظَلَّت).

٢. إِلَى أُفُقِ الـهِـلَالِ مَسِيرُ رَكْبِي؟! فَـقُـلْـنَـا: بَـلْ إِلَى أُفُـقِ الـنَّـوَالِ

فَأَيْنَ مَعَالِي الشَّمْسِ مَا يُحَاوِل، وأَيْنَ الثُّرَيَّا مِنْ يَدِ المتَنَاول؟! وَلَكِنَّ هَذِهِ الأَشْيَاءَ يَتَّفِقُ لَهَا سَعَادَةٌ فَمَا تُعَارَضُ، وَلا تُقَارَضُ.

فَانْظُرْ إِلَى ذِي الأَدَبِ البَارِعِ كَيفَ عَابَ عَلَى أَبِي تَمَّامٍ فِي أَخذِهِ بَيتَ مُسلِمِ ابنِ الوَلِيدِ وَكَيفَ أَزرَى عَلَى أَبِي إِسحَاقَ فِي ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ يُقَبِّحُ أَنْ يُأخَذَ مَا نَظَمَهُ الشَّاعِرُ المُجِيدُ، وَكَيفَ لَا يُقَبِّحُ هَذَا وَهوَ بِهَذِهِ السَّرِقَةِ المَذْمُومَةِ.

وَالشَّاعِرُ إِذَا فَعَلَ ذَلِكَ يُشِينُ بِهِ مَنْظُومَه، عَلَى أَنَّهُ لَوْ لَمْ يَكُنْ سَرَقَهُ وَكَانَ تَضْمِينًا، لَكَانَ وُقُوعُهُ فِي التَّخَلُّصِ عَيْبًا مُشِينًا؛ لِأَنَّ التَّخَلُّصَ مَقَامُهُ مَقَامُ افْتِخَارٍ، وَيَقْبُحُ عَلَى الشَّاعِرِ أَنْ يَفْتَخِرَ بِشِعْرِ غَيْرِهِ لَدَى ذَوِي الأَخْطَارِ، وَالمَغْرُوسُ فِي الأَنْفُسِ عَدَمُ التَّعَرُّضِ لِلتَّضْمِينِ فِي بَرَاعَةِ التَّخَلُّصِ البَتَّةَ، وَإِذَا ادَّعَى الشَّاعِرُ فِيهِ التَّضْمِينَ عَدُّوهُ مِنهُ فَلْتَةً؛ لِأَنَّ التَّخَلُّصَ تَبْقَى نَفْسُ المَمْدُوحِ إِلَيهِ مُتَطَلِّعَة، وَجُلَسَاؤُهُ كُلٌّ مِنهُم فَاتِحٌ إِلَيهِ مَسْمَعَه، وَيَرتَقِبونَهُ بِأَنْفُسٍ مُتَوَجِّهَة إِلَيهِ بِكُلِّيَّتِهَا، فَإِذَا كَانَ حَسَنًا أَعْلَنَتْ بِمَدْحِهِ بَكَافَّتِهَا، وَإِنْ رَأَوا فِيهِ شَيئًا مِمَّا يُعَابُ بِهِ الشَّاعِرُ افْتَضَحَ مُنْشِئُهُ وَلَمْ يَدرِ مَا يَصْنَعُ وَأَيُّ مُزْرٍ عَلَيهِ مِنْ ذَلِكَ المَجْمَعُ يَدْفَع، وَبِهِ يَفْتَخِرُ إِذَا كَانَ بَدِيعًا عَلَى أَقْرَانِهِ، وَتَرْتَفِعُ عِندَهُم عَظَمَةُ شَأْنِهِ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ فَالسَّيِّدُ -سَلَّمَهُ اللهُ- بِجَمِيعِ ذَلِكَ مِنْ أَهلِ التَّحْقِيقِ، فَكَيفَ يَسْرُقُ بَيتَ ابنِ رَشِيقٍ[1] وَيَقْتَطِعُهُ مِنَ البَيتِ الَّذِي مَعَهُ؟! وَيَتَخَلَّصُ بِهِ مِنَ الغَزَلِ إِلَى المَدحِ وَبِحُسْنِ نِظَامِهِ يَتَبَجَّح؟! وَمَا دَرَى لِشُهْرَتِهِ افْتَضَح، وَأَنَّ هَذَا البَيتَ المُسْتَحْسَنْ لَهُ شَأْنٌ عَظِيمٌ عِندَ أَرْبَابِ هَذَا الفَنِّ، وَلَقَد أَوْرَدُوهُ مَعَ البَيتِ الَّذِي اقْتَطَعَهُ، وَكُلٌّ مِنهُمَا فِي الثَّنَاءِ رَفَعُوا مَوْضِعَه.

وَهُمَا:[2] [من الطويل]

(١) ابن رَشِيق، الحَسَنُ بنُ رَشِيقٍ القَيْرَوانيُّ، مرَّت ترجمته ٢٦٥.

(٢) ديوان ابن رشيق ١٧٠-١٧١.

١. أَصَحُّ وَأَقْوَى مَا رَوَيْنَاهُ فِي النَّدَى مِنَ الخَبَرِ المَأْثُورِ مُنْذُ قَدِيمِ
٢. أَحَادِيثُ تَرْوِيهَا السُّيُولُ عَنِ الحَيَا عَنِ البَحْرِ عَنْ جُودِ الأَمِيرِ تَمِيمِ[1]

قَالُوا[2]: إِنَّهُ نَاسَبَ فِي البَيتِ الأَوَّلِ بَيْنَ الصِّحَّةِ وَالقُوَّةِ، وَالسَّمَاعِ وَالخَبَرِ المَأْثُورِ، وَالأَحَادِيثِ وَالرِّوَايَةِ عَلَى اصْطِلَاحِ أَهلِ الحَدِيثِ.

وَكَذَا نَاسَبَ فِي البَيتِ الثَّانِي بَيْنَ السَّيْلَ وَالحَيَا، وَالبَحْرَ وَجُودِ تَمِيمٍ، مَعَ مَا فِي هَذَا البَيتِ الثَّانِي مِن صِحَّةِ التَّرْتِيبِ فِي العَنْعَنَةِ، إِذْ جَعَلَ الرِّوَايَةَ لِصَاغِرٍ عَن كَابِرٍ كَمَا يَقَعُ فِي سَنَدِ الأَحَادِيثِ، فَإِنَّ السُّيولَ أَصْلُهَا المَطَرُ، وَالمَطَرُ أَصْلُهُ البَحْرُ، وَالبَحْرُ أَصْلُهُ الَّذِي يَمُدُّهُ، وَهوَ جُودُ المَمْدُوحِ عَلَى الادِّعَاءِ.

وَهَذَا أَحْسَنُ شِعرٍ وَقَعَ فِي هَذَا المَعْنَى.

فَانْظُرْ، فَإِذَا كَانَ هَذَانِ البَيتَانِ بِهَذِهِ الكَيْفِيَّةِ، فَكَيفَ اطْمَأَنَّتْ نَفْسُ السَّيِّدِ مِنْ هَذِهِ الشَّنْعَةِ، وَعَدَا عَلَى ثَانِيهِمَا، وَحَسِبَ إِنْ هُوَ مِنهُمَا اقْتَطَعَهُ، ضَيَّعَ عَلَى ذَوِي النَّظَرِ مَهْيَعَه[3]، وَصَارَ وَكَأَنَّهُ لَمْ يَقُلْهُ ابنُ رَشِيقٍ، فَيَتَخَلَّصُ بِهِ وَيَكونُ بِحُسْنِ هَذَا التَّخَلُّصِ خَلِيقًا، فَيَقولُ غَيْرَ مُخْتَشٍ مِن سَرِقَتِهِ، بِزَعْمِهِ أَنَّهُ أَخْفَى أَمْرَهُ، وَعُدَّ مِنْ عُيونِ قَصِيدَتِه: [من الطويل]

مَنَاهِلُ مَدَّتْهَا السُّيُولُ عَنِ الحَيَا عَنِ البَحْرِ عَنْ كَفِّ الهُمَامِ أَبِي المَهدِي

(١) تميم بنُ المعزِّ بنِ بَادِيس بنِ المَنصورِ بنِ بُلّكِين بنِ زيْري بنِ مَنَادٍ، السُّلطانُ أَبو يَحيَى الحِمْيَريُّ الصُّنْهاجيّ، كَانَ حسن السِّيرة، مُحِبًّا للعلماء، قصده الشُّعراء مِن النَّواحي، وامتدحه الحَسَن ابْن رشيق القَيْروانيّ، وغيره، كان ملكًا جليلًا، شجاعًا، مَهيبًا، فاضلًا، شاعرًا، جوادًا، ممدّحًا. ملك إفريقية بعد أَبِيهِ، وتوفِّي سنة (٥٠١هـ). له ترجة في: وفيات الأعيان ١/ ٣٠٤، وتأريخ الإسلام ١١/ ٢٤، وسير أعلام النُّبلاء ١٩/ ٢٦٣، والوافي بالوفيات ١٠/ ٢٥٦، والأعلام ٢/ ٨٨.

(٢) ينظر: تحرير التحبير ٣٦٦، ونهاية الأرب في فنون الأدب ٧/ ١٥٩، والطراز ٣/ ٨١، وخزانة الحمويّ ١/ ٣٦٨، وعلوم البلاغة ٣٢٣، والبلاغة العربيَّة ٢/ ٣٨٣.

(٣) هَاعَ الشيءُ يَهِيع هِياعًا: اتَّسَعَ وانْتَشَر. وطَرِيقٌ مَهْيَعٌ: واضِحٌ واسِعٌ بَيِّنٌ. (اللسان ٨/ ٣٧٨).

فَالعَجَبُ مِنَ السَّيِّدِ عَلَى هَذِهِ السَّرِقَةِ، فَمَا أَدري مَا الَّذِي أَجَأَهُ إِلَيهَا فَإِنْ كَانَ أَحَبَّ هَذِهِ العَنْعَنَةَ فَمَنَاهِجُهَا لَمْ تَكُنْ ضَيِّقَةً، وَالشُّعَرَاءُ تَوَسَّعُوا فِيهَا فِي أَطْوَارٍ مُخْتَلِفَةٍ بِنَظْمِهِم، وَلَمْ يَشُذُّ عَنْهُم شَيءٌ لَمْ يَنْظِمُوهُ بِكَلِمِهِم وَمِن مَحَاسِنِ ذَلِكَ قَولُ ابنِ الوَادِعِيِّ:(١) [من البسيط]

١. مَنْ أَمَّ بَابَكَ لَمْ تَبْرَحْ جَوَارِحُهُ تَرْوِي أَحَادِيْثَ مَا أَوْلَيْتَ مِنْ مِنَنِ
٢. فَالْعَيْنُ عَنْ (قُرَّةٍ) وَالْكَفُّ عَنْ (صِلَةٍ) وَالقَلْبُ عَنْ (جَابِرٍ) وَالسَّمْعُ عَنْ (حَسَنِ)

وَقَوْلُ ابنِ جَابِرٍ الأَنْدَلُسِيِّ(٢): [من الخفيف]

١. عَارَضُوا مُرْسَلَ الظَّلامِ بِنَقْلٍ مُسْنَدٍ عَنْ حِسَانِ تِلْكَ الفُرُوعِ
٢. عَدَلُوا فِي رِوَايَةِ الحُبِّ جَفْنِي مَعَ جَرْحِ الدُّمُوعِ عِنْدَ الهُمُوعِ

(١) في (الأصل): (ابن الوادعي) في موضع (الوادعي).
- خزانة الحمويّ ١/ ٣٠٤، وغاية النهاية ١/ ٥١٧ البيت الثاني برواية:
فَالقَلبُ عَنْ جَابِرٍ، وَالكَفُّ عَنْ صِلَةٍ وَالعَينُ عَنْ قُرَّةٍ، وَالوَجْهُ عَنْ حَسَنِ
- الوَدَاعِي: عَليُّ بنُ المُظَفَّر بنِ إِبرَاهِيم الكِنْدِيِّ الوَدَاعِيُّ، عَلَاء الدِّين، وَيُقَالُ لَهُ ابنُ عَرَفَة، أَديبٌ مُتَفَنِّنٌ شَاعِرٌ، عَارِفٌ بِالحَدِيثِ وَالقِرَاءآتِ. مِن أَهلِ الإِسْكَنْدَرِيَّة. أَقَامَ بِدَمشق، وَتُوفِّيَ فِيهَا. لَه (التذكرة الكنديَّة)، أَدَب وَأَخبَار وَعُلُوم، وَ(ديوان شعر)، تُوفِّيَ سَنة (٧١٦ هـ)
فوات الوفيات ٣/ ٩٨، والوافي بالوفيات ٢٢/ ١٢٤، وذيل التقييد ٢/ ٢٢٤، والردُّ الوافر ١١٣، والسلوك ٢/ ٥١٩، والدرر الكامنة ٤/ ١٥٤، ولسان الميزان ٤/ ٢٦٣، وديوان الإسلام ٤/ ٣٧٧، والبدر الطالع ١/ ٤٩٨، والأعلام ٥/ ٢٣، ومعجم المؤلِّفين ٧/ ٢٤٣.

(٢) ابنُ جَابِر: مُحمَّد بنُ أَحمدَ بنِ عَليِّ بنِ جَابِرٍ الأَنْدَلُسِيُّ الهَوَّارِيُّ المَالِكيُّ، أَبو عَبدِ الله، شَمسُ الدِّين: شَاعِرٌ، عَالِمٌ بِالعَربيَّةِ أَعمَى. مِن أَهلِ المِريَّةِ، صَحِبَهُ إِلَى الدِّيَارِ المِصريَّةِ أَحمدُ بنُ يُوسفَ الغِرنَاطِيُّ الرَّعَينيُّ، فَكَانَ ابنُ جَابِرٍ يُؤَلِّفُ وَيَنْظِمُ، وَالرَّعَينيُّ يَكتُبُ، وَاشْتَهَرَا بِالأَعمَى وَالبَصِيرِ، ثُمَّ دَخَلَا الشَّامَ، فَأَقَامَا بِدِمَشقَ قَلِيلًا. وَتَحوَّلَا إِلَى حَلَبٍ وَسَكنَا (البِيرةَ)، ثُمَّ تَزَوَّجَ ابنُ جَابِرٍ، فَافْتَرَقَا، وَمَاتَ الرَّعَينيُّ فَرَثَاهُ ابنُ جَابِرٍ وَمَاتَ بَعدَهُ بِنَحوِ سَنةٍ. فِي (البِيرَةِ) سَنةَ.(٧٨٠ هـ). له ترجمة في: الوافي بالوفيات ٢/ ١١٠، ونكت الهميان ٢٣٠، والدرر الكامنة ٥/ ٧٠، وبغية الوعاة ١/ ٣٤، والأعلام ٥/ ٣٢٨، ومعجم المؤلِّفين ٨/ ٢٩٤.

٣. عَنْعَنُوا نَقْلَ لَوْعَتِي عَنْ دُمُوعِي عَنْ جُفُونِي عَنْ قَلْبِيَ المَوْجُوعِ

وَهَذا البَابُ وَاسِعٌ جِدًّا تَضِيقُ عَنْ جَمعِهِ الدَّفَاتِرُ، وَلَو كَانَ لِلسَّيِّدِ قُدْرَةٌ لَنَظَمَ فِيهِ، لَكِنَّهُ غَيرُ قَادِرٍ وَلَيْسَ مِنهُ بِعَجِيبٍ إِذَا هُوَ لِبَيتِ ابنِ رَشِيقٍ قَدْ سَرَقَهُ فَكُلُّ نِظَامِ قَصِيدَتِهِ يَرَاهُ سَرِقَةً مِن تَحَقُّقِهِ، فَانْظُرْ كَيفَ جَعَلَ دَيْدَنَهُ مِنَ الشُّعَرَاءِ سَرِقَةَ الكَلِمِ فِي كُلِّ مَا قَد نَظَمَ وَاقْتَفَى العَامِلِيُّ فِي تَشْطِيرِهِ أَثَرَه، وَصَوَّبَ نَظَرَه فَكَأَنَّهُمَا فِي هَذَا المَيدَانِ فَرَسَا رِهَانٍ، قَالَ أَبو نُوَاس:(١) [من الطويل]

تُدَارُ عَلَيْنَا الرَّاحُ فِي عَسْجَدِيَّةٍ حَبَتْهَا بِأَنْوَاعِ التَّصَاوِيرِ فَارِسُ

أَخَذَ العَامِلِيُّ صَدرَهُ، فَقَالَ: [من الطويل]

يُدِيرُ عَلَينَا خَمْرَةً عَسْجَدِيَّةً قَدِ اتَّقَدَتْ فِي الكَأْسِ مِنْ خَدِّهِ الوَرْدِي

وَقَالَ أَبُو الطَّيِّبِ المُتَنَبِّي:(٢) [من البسيط]

أَزُورُهُمْ وَسَوَادُ اللَّيلِ يَشْفَعُ لِي وَأَنْثَنِي وَبَيَاضُ الصُّبْحِ يُغْرِي بِي

أَخَذَهُ السَّيِّدُ، فَقَالَ:

وَأَغرَى بِهِ صُبْحُ المُحَيَّا وَقَدْ غَدَا لَهُ شَافِعًا فِي صُبْحِهِ حِنْدِسُ الجَعْدِ

وَقَالَ أَبُو الفَضْلِ يَحْيَى بنُ نِزَارٍ:(٣) [من الطويل]

تَمُوجُ بِحَارُ الحُسْنِ فِي وَجَنَاتِهِ فَيَقْذِفُ مِنهَا عَنْبَرًا فِي السَّوَاحِلِ

(١) ديوان أبي نواس ٣/ ١٨٤.

(٢) ديوان المتنبِّي ٤٤٦.

(٣) تأريخ بغداد ٢١/ ١٩٨، ومعجم الأدباء ٦/ ٢٨٣٣، ووفيات الأعيان ٦/ ٢٥٠.

- يَحيَى بنُ نِزَارِ بنِ سَعيدٍ، أَبو الفَضلِ المَنْبَجِيُّ: شَاعِرٌ مِنْ أَهلِ مِنبَج (مِن أَعمَالِ حَلَب)، ولِدَ فِيهَا. وَانْتَقَلَ إِلَى دِمشقَ، فَاتَّصَلَ بِالمَلِكِ العَادِلِ نُورِ الدِّينِ مَحمود بنِ زَنكي، وَمَدَحَه بِقَصَائِدَ أَجَادَ فِيهَا. ثُمَّ رَحَلَ إِلَى بَغْدَادَ فَتَوَطَّنَهَا، وَتُوفِّيَ فِيهَا سَنةَ (٥٥٤هـ/ ١١٥٩م)، وَكَانَ مِنْ ذَوي الثَّروةِ الوَاسِعَةِ وَالحِرفَةِ الكَامِلَةِ، وَلَهُ شِعرٌ حَسَن لَطِيفٌ. لَه تَرجَمَةٌ فِي: تأريخ بغداد ٢١/ ١٩٨، ومعجم الأدباء ٦/ ٢٨٣٢، ووفيات الأعيان ٦/ ٢٤٩، والأعلام ٨/ ١٧٤.

وَقَالَ الآخَرُ:[1] [من السريع]

يَـمُـوجُ بَـحْـرُ الحُـسْـنِ فِي خَـدِّهِ فَـيَـقْـذِفُ الـعَـنْـبَـرَ فِي الـسَّـاحِـلِ

وَقَالَ الحَاجِرِيُّ:[2] [من الطويل]

عَـجِـبْـتُ لِـخَـالٍ يَـعْـبُـدُ الـنَّـارَ دَائِـمًا بِـخَـدِّكَ لَمْ يُحْـرَقْ بِهَـا وَهـوَ كَـافِـرُ

أَخَذَهَا السَّيِّدُ وَالعَامِلِيُّ، فَقَالَا: [من الطويل]

١. وَمَـاجَ بِـنَـارِ الخَـدِّ مَـاءُ جَمَالِـهِ وَلَمْ أَرَ مَـاءً مَـاجَ بِـالـنَّـارِ فِي خَـدِّ

٢. وَمِـنْ عَجَبٍ خَـالٌ عَـلَى النَّارِ قَائِمٌ فَـلَـمْ يَحْـتَـرِقْ فِي خَـدِّهِ الخَـالُ بِـالـوَقْـدِ

وَقَالَ أَبُو جَعفَرِ الشَّقْرِيُّ:[3] [من السريع]

وَأَنْـطَـقَ الـورقَ بِـعِـيـدَانِـهِ مُـرْقِـصَـةً كُـلَّ قَـضِـيـبٍ وَرِيـقْ

أَخَذَهُ السَّيِّدُ وَالعَامِلِيُّ، فَقَالَا: [من الطويل]

١. وَغَـرَّدَ قُـمْـرِيُّ الـهَنَا حِـينَ سَفَّهَتْ غُصُونُ النَّقَا -وَهْنًا- نَسِيمَ صَبَا نَجْدِ[4]

٢. وَغَنَّى بِلَحْنٍ مُطْرِبٍ حِينَ رَقَّصَتْ شَمُولُ الصَّبَا أَزْهَـارَ أَغْصَانِهِ المُلْدِ[5]

وَقَالَ الشَّافِعِيُّ:[6] [من الطويل]

---

(١) البَيْتُ لِيَحيَى بنِ نِزَارِ بنِ سَعيدٍ. ينظر: وفيات الأعيان ٦/ ٢٥٠.

(٢) ينظر: زهر الأكم ٢/ ٢٤.

- مرَّت ترجمته في ٣١٨.

(٣) ينظر: الإحاطة ١/ ١٠٥، وفيها (مطربة) بدلًا من (مرقصة)، ومعاهد التنصيص ٢/ ١٥٤، وفيه (وأنق) في موضع (وأنطق).

(٤) لَا يُقَالُ القُمْرِيُّ، بَلْ القُمَارِيُّ، وَهوَ نَوعٌ مِنَ الحَمام. (التاج ١٣/ ٤٦٨)، والوَهنُ: نَحْوٌ من نِصْفِ اللَّيْلِ أَو بعدَ ساعةٍ مِنْهُ، أَو هُوَ حِين يُدْبِرُ اللَّيْلُ، أَو هُوَ ساعَةٌ تمْضِي مِن اللَّيْلِ. (التاج ٣٦/ ٢٦٧).

(٥) الشَّمُول: الخَمْر؛ لأَنَّهَا تَشْمَل بِريحها الناسَ، وَقِيلَ: سُمِّيت بِذَلِكَ؛ لأَنَّ لَهَا عَصْفَةً كعَصْفَة الشَّمال. (التاج ١١/ ٣٦٩).

(٦) ديوان الإمام الشافعيّ ٤٦.

خُـذُوا بِـدَمِـي ذَاكَ الـغَـزَالَ فَـإِنَّـهُ رَمَـانِي بِسَـهْـمَيْ مُقْلَتَيْهِ عَـلَى عَمْدِ

أَخَذَهُ السَّيِّدُ، فَقَالَ: [من الطويل]

وَبِالكَرخِ خِشْفٌ قَدْ رَمَانِي عَلَى النَّوَى بِسَهْمِ الـرَّدَى مِـنْ مُقْلَتَيْهِ عَـلَى عَمْدِ

وَقَالَ مُحَمَّدُ بنُ جَابِرٍ الأَنْدَلُسِيُّ:(١) [من المديد]

ظَـبْـيَـةٌ فِي ثَـغْـرِهَـا لَـعَـسٌ يُجْـتَـنَـى مِـنْ رَشْـفِـهِ عَـسَـلُ

وَقَالَ الآخَرُ:(٢) [من الطويل]

أُعَـانِـقُ غُـصْـنَ الـبَـانِ مِـنْ لِـينِ قَـدِّهَـا وَأَجْـنِـي جَـنِـيَ الـوَرْدِ مِـنْ وَجَـنَـاتِهَـا

أَخَذَ السَّيِّدُ مِنْهُمَا اللَّفْظَ وَالمَعْنَى، فَقَالَ: [من الطويل]

فَأَقْطُفُ غُصْنَ الوَرْدِ مِنْ رَوضِ خَدِّهِ وَمِـنْ ثَـغْـرِهِ أَجْـنِي الجَـنَـيَّ مِـنَ الشَّهْدِ

وَقَالَ السُّفْيَانِيُّ: (٣) [من الكامل]

رَوْضُ المُنَى قَـدْ عَـادَ غَـضًّا مُـورِقًا وَاهْـتَـزَّ غُـصْـنُ المَـجْـدِ فِـيـهِ وَأَوْرَقَـا

أَخَذَهُ السَّيِّدُ وَالعَامِلِيُّ، فَقَالَا: [من الطويل]

بِـهِ اخْضَلَّ رَوْضُ الأُنْـسِ بَعْدَ ذُبُولِهِ وَأَضْـحَى بِـهِ غُصْنُ النَّقَا مَائِسَ القَدِّ

وَقَالَ مِهيَارُ الدَّيلَمِيُّ:(٤) [من الرمل]

وَتَـمَـشَّـتْ فِـيـكَ أَرْوَاحُ الـصَّـبَـا يَـتَـأَرْجَـحْـنَ بِـأَنْـفَـاسِ الخُـزَامَـى

أَخَذَهُ السَّيِّدُ، فَقَالَ: [من الطويل]

وَضَـاعَ بِـمُـعْـتَـلِّ الـصَّـبَـا كُـلَّـمَا سَرَى أَرِيجُ الأَقَاحِي الغَضُّ وَالشِّيحُ وَالرَّنْدُ

وَقَالَ الآخَرُ: [من الكامل]

(١) نفح الطيب ٧/ ٣٦٨.

(٢) خزانة الحمويّ ٢/ ٤٣٨، بلا عزو.

(٣) يتيمة الدهر ٣/ ١٥٢.

(٤) ديوان مهيار الديلميّ ٣/ ٣٢٧.

فَالرَّوضُ فِيهَا ضَاحِكٌ مُتَبَسِّمٌ وَنَسِيمُهَا فِي ذَيلِهِ يَتَعَثَّرُ

أَخَذَهُ السَّيِّدُ، فَقَالَ: [من الطويل]

وَيَفْتَرُّ مُحْمَرُّ الشَّقِيقِ بِنَشْرِهَا إِذَا جَرَّ مُخْضَرَّ البَنَفْسَجِ لِلْبُرْدِ

وَمَعْنَى بَيْتِ السَّيِّدِ مَعنَى البَيتِ المَذكُورِ بِنَفْسِهِ، إِلَّا أَنَّ البَيتَ المَذْكُورَ صَيَّرَ نَاظِمَهُ الوَردَ يَتَبَسَّمُ، وَالسَّيِّدُ جَعَلَ مُحْمَرَّ الشَّقِيقِ يَفْتَرُّ، وَيَفْتَرُّ بِمَعْنى يَتَبَسَّمُ، وَالسَّيِّدُ جَعَلَ مُخْضَرَّ البَنَفْسَجِ يَجُرُّ البُردَ؛ وَذَلِكَ جَعَلَ النَّسِيمَ يَتَعَثَّرُ فِي ذَيلِهِ.

وقال القاضي التنوخيّ:[1] [من الخفيف]

وَرِيَاضٍ حَاكَتْ لَهُنَّ الثُّرَيَّا حُلَلًا كَانَ غَزْلُهَا لِلرُّعُودِ

أَخَذَهُ السَّيِّدُ، فَقَالَ: [من الطويل]

وَقَدْ طَرَّزَتْ أَيدِي النَّسيم مطَارفًا لَهَا نَسجَتها السُّحبُ بالبرْقِ والرَّعدِ

وَقَالَ المِهيَارُ:[2] [من الرجز]

١. أَمِلْ إِلَى وَادِيهِمُ وَادِي النَّدَى أَعْنَاقُهَا تَرعَى الخَصِيبَ المُبْقِلا

٢. تَرَى الرِّيَاضَ وَالحِيَاضَ فَعْمَةً تَكرَعُ عَلًّا مَا اشْتَهَتْ وَنَهَلا[3]

أَخَذَهُ السَّيِّدُ، فَقَالَ: [من الطويل]

فَرَدَّ مَا هَا عَلًّا وَنَهَلًا مُبَادِرًا فَقَدْ سَاغَ مِنْ سَلْسَالِهَا سَائِغُ الوُردِ

وَقَالَ الخَطِّيُّ فِي رِمَاحِ أَنْصَارِ الحُسَينِ وَسُيوفِهَا:[4] [من الطويل]

---

(١) في (الأصل): (قال المعرِّي)، وهو وهم، فالبيت للقاضي التنوخيّ.
– معاهد التنصيص ٢/ ١٥٧، وجواهر الأدب ٢/ ٣٣٩.

(٢) ديوان مهيار الديلميّ ٣/ ٢٠١.

(٣) العَلُّ والعَلَلُ: الشَّرْبةُ الثَّانِيَةُ، وَقِيلَ: الشُّرْب بَعْدَ الشُّرْبِ تِباعًا. (اللسان ١١/ ٤٦٧)، النَّهْل: أَوَّل الشُّرْب؛ تَقُولُ: أَنهَلْتُ الإِبلَ، وَهُوَ أَوَّل سَقْيِهَا. (اللسان ١١/ ٦٨٠).

(٤) ديوان الخطِّيّ ٣٦.=

فَلَيْسَ لَهَا إِلَّا الصُّدُورُ مَرَاكِزٌ وَلَيْسَ لَهَا إِلَّا الرُّؤُوسُ مَغَامِدُ

أَخَذَهُ السَّيِّدُ، فَقَال: [من الطويل]

مُثَقَّفُ لَمْ يَعْرِفْ سِوَى المَجْدِ مَرْكَزًا وَمُرْهَفٌ لَمْ يَأْلَفْ سِوَى الحَمْدِ مِن غَمْدِ

وَهَذَا بَيتُ الخَطِّي بِعَينِهِ إِلَّا أَنَّهُ جَعَلَ المَجْدَ مَركَزًا بَدَلَ الصُّدُورِ وَالحَمْدَ غِمْدًا بَدَلَ الرُّؤُوسِ.

وَقَالَ أَبُو الشِّيصِ:(١) [من الكامل]

وَأَقَمْتُ سُوقًا لِلثَّنَاءِ وَلَمْ تَكُنْ سُوقُ الثَّنَاءِ تُعَدُّ فِي الأَسْوَاقِ

أَخَذَهُ السَّيِّدُ، فَقَالَ: [من الطويل]

وَرَوَّجَ سُوقَ المَجْدِ بَعْدَ كَسَادِهِ فَقَامَتْ بِهِ سُوقٌ مِنَ الشُّكْرِ وَالحَمْدِ

وَقَالَ أَبُو تَمَّام:(٢) [من الطويل]

وَكَمْ عَاثِرٍ مِنَّا أَخَذْتَ بِضَبْعِهِ فَأَضْحَى لَهُ فِي قُنَّةِ المَجْدِ مُطَّلَعْ(٣)

وَقَالَ أَيضًا:(٤) [من الكامل]

يَا مَالِكُ اسْتَوْدَعْتَنِي لَكَ مِنَّةً تَبْقَى ذَخَائِرُهَا عَلَى الأَحْقَابِ

= - جَعْفَر الْخَطِّي: جَعفرُ بنُ مُحَمَّد بنِ حَسَنٍ الخَطِّيُّ البَحرَانيُّ العَبدِيُّ العَدنَانِيُّ، أَبو البَحرِ: شَاعِرُ الخَطِّ فِي عَصرِهِ. مِن أَهلِ البَحْرَينِ، رَحلَ إِلَى بِلَادِ فَارِس، وَأَقَامَ فِيهَا إِلَى أَنْ تُوفِّيَ سنة (١٠٢٨هـ/ ١٦١٩م). لَهُ (ديوان شعر-ط) اشتهر في حياته. له ترجمة في: أمل الآمل ٢/ ٥٤، وخلاصة الأثر ١/ ٤٨٣، وسلافة العصر ٥٢٤، وأنوار الربيع ٢/ ٢٥٧، وهديَّة العارفين ١/ ٢٥٤، وأنوار البدرَين ٢٨٨، و١١/ ٢٧٩، الاعلام ٢/ ١٢٩، ومعجم المؤلِّفين ٣/ ١٤٦.

(١) ديوان أبي الشيص ١٢٧.

(٢) ديوان أبي تمام ٢/ ٣٣٤.

(٣) في (الديوان): (قُلَّة) بدلًا مِن (قُنَّة).

- قُنَّةُ الجَبَلِ وقُلَّتُه: أَعلاه. (اللسان ١٣/ ٣٤٩).

(٤) ديوان أبي تمَّام ١/ ٩٠.

وَقَال الخَطِيبُ أَبو زَكَرِيَّا:[1] [من الكامل]

١. لَا تَلْزِمَنِّيَ مِنْ ثَنَائِكَ مُوجِبًا حَقًّا فَلَسْتُ لِحَقِّهِ بِالقَاضِي[2]

٢. فَلَقَدْ عَجَزْتُ عَنِ القَرِيضِ وَرُبَّما أَعْرَضْتُ عَنْهُ أَيَّمَا إِعْرَاضِ

أَخَذَ السَّيِّدُ مَعنَى صَدرِ البَيتِ الأَوَّلِ، وَمَعنَى عَجْزِ البَيتِ الثَّانِي، وَلَمَحَ البَيْتَينِ الآخَرِينِ، وَقَالَ: [من الطويل]

أَخَذْتُ بِضَبْعِي عِنْدَ كُلِّ مُلِمَّةٍ وَأَلْزَمْتَنِي بِالشُّكْرِ فِي القُرْبِ وَالبُعْدِ

وَقَالَ الآخَرُ:[3] [من الخفيف]

قَالَ: ثَقَّلْتُ إِذْ أَتَيْتُ مِرَارًا قُلْتُ: ثَقَّلْتَ كَاهِلِي بِالأَيَادِي

أَخَذَهُ السَّيِّدُ، فَقَالَ: [من الطويل]

وَأَثْقَلْتَ ظَهْرِي بِالأَيَادِي فَلَمْ يَنُؤ بِأَثْقَالِهَا جَهْدِي وَلَمْ يَحْصِهَا عَدِّي

وَقَالَ أَبو تَمَّامٍ:[4] [من الطويل]

جَمَعنَا العُلَا بِالجُودِ بَعدَ افْتِرَاقِهَا إِلَيْنَا كَمَا الأَيَّامُ يَجْمَعُهَا الشَّهْرُ[5]

(١) وفيات الأعيان ٦/ ١٩٦.

- الخَطِيب التِّبْرِيزيّ يَحيَى بنُ عَلِيِّ بنِ مُحَمَّد الشَّيبَانيُّ التَّبريزيُّ، مِن أَئمَّةِ اللُّغَةِ وَالأَدَبِ. أَصلُهُ مِن تَبريز، وَنَشأَ فِي بَغدادَ وَرَحلَ إِلَى بِلَادِ الشَّام، فَقَرأَ (تَهذيبَ اللُّغَة) لِلأَزهَرِيِّ، عَلَى أَبِي العَلَاءِ المَعَرِّي، وَدَخلَ مِصرَ، ثُمَّ عَادَ إِلَى بَغْدَادَ، فَقَامَ عَلَى خِزانَةِ الكُتُبِ فِي المَدرسَةِ النِّظَامِيَّةِ إِلَى أَنْ تُوفِّي سَنةَ (٥٠٢هـ/ ١١٠٩م)، مِن آثَارِهِ (شرح ديوان الحماسة لأبي تمّام-ط)، و(تهذيب إصلاح المنطق لابن السكِّيت-ط)، وغيرهما. له ترجمة في: نزهة الألباء ٢٧٠، ومعجم الأدباء ٦/ ٢٨٢٣، إكمال الإكمال ١/ ٤٨٤، ووفيات الأعيان ٦/ ١٩١، وسير أعلام النُّبلاء ١٩/ ٢١٩، وبغية الوعاة ٢/ ٣٣٨، وطبقات المفسِّرين للأدنويّ ١٥١، والأعلام ٨/ ١٥٧.

(٢) في (الأصل): (من قاضي) بدلًا مِن (بالقاضي).

(٣) البيت للحسين بن الحجَّاج. ينظر: خزانة الحمويّ ١/ ٢٥٩، وجواهر البلاغة ٣٢٠.

(٤) ديوان أبي تمّام ٤/ ٥٧٥.

(٥) في (الأصل): (والمجد بالجود والندى) في موضع (بِالجُودَ بَعدَ افْتِرَاقِهَا).

وَقَالَ المِهْيَارُ:[1] [من الخفيف]

سَلَكوا فِي الكَمَالِ فَانْتَظَمُوهُ ... مُولَجُ الخَيْطِ فِي ثُقُوبِ الجَزْعِ[2]

أَخَذَهُمَا السَّيِّدُ، فَقَالَ:[3] [من الطويل]

جَمَعْتَ المَعَالِي الغُرَّ بَعْدَ شَتَاتِهَا ... بِصُنْعِكَ، جَمعَ السِّلْكِ مُنْتَضَدَ العِقْدِ

وَقَالَ المُتَنَبِّي:[4] [من الوافر]

أَقَامَتْ فِي الرِّقَابِ لَهُ أَيَادٍ ... هِيَ الأَطْوَاقُ وَالنَّاسُ الحَمَامُ

أَخَذَهُ السَّيِّدُ، فَقَالَ: [من الطويل]

وَطَوَّقْتَنِي طَوقَ الحَمَامِ فَوَاضِلا ... مَنَحْتَ الرِّضَا فِيهَا، وَبَاقِرِ وَالمَهدِي

وَقَالَ بِشَّارُ بنُ بُرد[5]:

يُنَادُونَ مَن ذَا وَكُنْتَ العَلَمْ

أَخَذَهُ السَّيِّدُ، فَقَالَ:

وَبِالرَّفْعِ قَدْ نُودِيتَ بِالعَلَمِ الفَرِدِ

وَخُلَاصَةُ الأَمرِ: مَنْ نَظَرَ هَذِهِ القَصِيدَةَ فِي بَادِئِ النَّظَرِ؛ عَرَفَ أَنَّ سَرِقَاتِهَا لَا تُغْتَفَر؛ لِأَنَّهُ لَمْ يُسَاوِ مَنْ أَخَذَ مِنهُ، وَلَمْ يَزِدْ عَلَيهِ بِنَوعٍ مِنَ المُحَسَّنَاتِ؛ لِيَكونَ لَهُ مَزِيَّةٌ فِي نِظَامِهِ، بَلْ لَمْ يَزَلْ نَاقِصًا عَنهُ، وَكَلًّا عَلَيهِ فِي أَخذِ لَفْظِهِ وَمَعنَى كَلَامِهِ.

وَلَا بَأسَ بِذِكرِ الأَخْذِ وَالسَّرِقَةِ عَلَى مَا حَقَّقَهُمَا عُلَمَاءُ هَذَا الفَنِّ؛ حَتَّى يُستبَانَ مِن هَذِهِ السَّرِقَاتِ مَا رُبَّمَا يَخفَى عَلَى النَّاظِرِ مِنْ عُيوبِ مَا يُستَهْجَنُ، فَالأَخذُ وَالسَّرِقَةُ

(١) ديوان المهيار ٢/ ٢٣٥.

(٢) في (الأصل): (الفخار) بدلًا من (الكمال)، و(من ثقوب) في موضع (في ثقوب).

(٣) ديوان المهيار ٢/ ٢٣٥.

(٤) ديوان المتنبِّي ٩٤.

(٥) قال بشار بن برد: (المتقارب)

وَنُبِّئْتُ قَوْمًا بِهِمْ جُنَّةٌ ... يُنَادُونَ مَن ذَا وَكُنْتَ العَلَمْ

ديوان بشَّار بن برد ٤/ ١٥٦.

نَوعَانِ: **ظَاهِرٌ، وَغَيرُ ظَاهِرٍ**[1].

فَأَمَّا **الظَّاهِرُ فَضَربَانِ، أَحَدُهُمَا**: أَنْ يُؤْخَذُ المَعنَى مَعَ اللَّفْظِ كُلِّهِ أَو بَعْضِهِ. **وَالثَّانِي**: يُؤخَذُ المَعنَى وَحْدَهُ.

وَالأَوَّلُ عَلَى أَقْسَامٍ؛ لِأَنَّهُ إِمَّا أَنْ يَأخُذَ اللَّفْظَ كُلَّهُ مِنْ غَيرِ تَغْيِيرٍ لِنَظْمِهِ، وَهَذَا مَذمُومٌ؛ لِأَنَّهُ سَرِقَةٌ مَحضَةٌ، وَيُسَمَّى: نَسْخًا وَانْتِحَالًا، كَمَا حُكِيَ عَنْ عَبْدِ اللهِ ابنِ الزُّبَيْرِ أَنَّهُ فَعَلَ ذَلِكَ بِقَوْلِ مَعْنِ بنِ أَوْسٍ المُزَنِيّ[2] حِيْنَ دَخَلَ عَلَى مُعَاوِيَةَ ابنِ أَبِي سُفْيَانَ، فَأَنْشَدَهُ[3]:[4] [من الطويل]

١. **إِذَا أَنْتَ لَمْ تُنْصِفْ أَخَاكَ وَجَدْتَهُ ... عَلَى طَرَفِ الهِجْرَانِ، إِنْ كَانَ يَعْقِلُ**

٢. **وَيَرْكَبُ حَدَّ السَّيْفِ مِنْ أَنْ تُضِيمَهُ ... إِذَا لَمْ يَكُنْ عَنْ شَفْرَةِ السَّيْفِ مَعْدِلُ**[5]

فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ: لَقَدْ شَعَرْتَ بَعْدَنَا يَا أَبَا بَكْر. وَلَمْ يُفَارِقْ عَبْدُ اللهِ المَجْلِسَ حَتَّى دَخَلَ مَعْنُ بنُ أَوْسٍ المُزَنِيُّ، وَأَنْشَدَ قَصِيدَتَهُ الَّتِي أَوَّلُهَا:[6] [من الطويل]

لَعَمْرُكَ مَا أَدْرِي، وَإِنِّي لأَوْجَلُ ... عَلَى أَيِّنَا تَغْدُو المَنِيَّةُ أَوَّلُ[7]

(١) بغية الإيضاح ٤/ ٦٦٩.

(٢) مَعنُ بنُ أَوسِ بنِ نَصرِ بنِ زِيَادٍ المُزَنِيُّ، شَاعِرٌ فَحلٌ، مِن مُخَضْرِمِي الجَاهِلِيَّةِ وَالإسلام، رَحَلَ إِلَى الشَّامِ وَالبَصرَةِ، وَكُفَّ بَصَرُه فِي أَوَاخِرِ أَيَّامِهِ، وَكَانَ يَتَرَدَّد إِلَى عَبدِ الله بنِ عَبَّاسٍ وَعَبدِ الله بنِ جَعفَر بنِ أَبِي طَالِبٍ؛ فَيُبَالِغَانِ فِي إِكرَامِهِ، لَهُ أَخبَارٌ مَعَ عُمَر بنِ الخَطَّابِ، وَكَانَ مُعاوِيَةُ يُفَضِّلُهُ وَيقولُ: أَشعَرَ أَهلِ الجَاهِلِيةِ زُهيرُ بنُ أَبي سُلمَى، وَأَشعَرُ أَهلِ الإسلام ابْنهُ كَعْب وَمَعنُ بنُ أَوس، مَاتَ فِي المَدِينَةِ سَنَةَ (٦٤هـ). لَهُ تَرجَمَةٌ فِي: الحيوان ٧/ ٤٨٠، وتأريخ دمشق ٥٩/ ٤٢٦، وبدائع البدائه ١٤، ومختصر تأريخ دمشق ٢٥/ ١٤٥، ونكت الهميان ٢٧٩، والإصابة ٦/ ٢٤٢، وخزانة البغداديّ ٧/ ٢٦٠، والأعلام ٧/ ٢٧٣.

(٣) الخبر والشعر في: الكامل في اللغة والأدب ٢/ ١٥٧، والعقد الفريد ٥/ ١٩٠، وديوان المعاني ١/ ١١٣.

(٤) البيتان لمعن بن أوس المزنيّ. ديوانه ٩٤.

(٥) الديوان: (مزحل) في موضع (مَعْدِلُ).

(٦) ديوان معن بن أوس المزنيّ ٩٣.

(٧) في (الأصل): (تعدو) في موضع (تغدو).=

حَتَّى أَتَـمَّهَا، وَفِيْهَا البَيْتَانِ المتَقَدِّمَانِ[1]، فَأَقْبَلَ مُعَاوِيَةُ عَلَى عَبْدِ اللهِ بنِ الزُّبَيْرِ، فَقَالَ: أَلَمْ تُـخْبِرْنِي أَنَّـهُمَا لَكَ؟ قَالَ: أَنَا سَوَّيْتُ المعَانِي، وَهُوَ أَلَّفَ الأَلْفَاظَ ونَظَمَهَا، وَبَعْدُ فَهُوَ ظِئْرِي[2]، فَمَا قَالَ مِنْ شيءٍ فَهُوَ لِي، وَكَانَ ابْنُ الزُّبَيرِ مُسْتَرْضَعًا فِي مُزَينَة، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: وَكِذْبًا يَا أَبَا بَكْر! فَقَامَ عَبْدُ الله وَخَرَجَ.

وَإِمَّا أَنْ يُبَدِّلَ الكَلِماتِ كُلَّهَا بِمَا يُرَادِفُهَا، وَهوَ أَيْضًا مَذْمُومٌ وَسَرِقَةٌ مَحْضَةٌ، كَقَوْلِ الحُطَيْئَةِ:[3] [من البسيط]

دَعِ المَـكَـارِمَ لا تَـرْحَـلْ لِبُغْيَتِهَـا وَاقْـعُـدْ فَـإِنَّـكَ أَنْـتَ الطَّاعِمُ الكَاسِي

فَإِنَّهُ يُقَالُ فِيهِ:[4] [من البسيط]

ذَرِ المَـآثِـرَ لَا تَـذْهَـبْ لِـمَطْلَبِهَـا وَاجْـلِـسْ فَـإِنَّـكَ أَنْـتَ الآكِـلُ اللابِسُ

وَأَمَّا أَنْ يُبَدِّلَ بَعْضَ الكَلِمَاتِ بِمَا يُرَادِفُهَا، وَهُوَ كَذَلِكَ مَذْمُومٌ وَسَرِقَةٌ مَحْضَةٌ، كَقَولِ امْرِئِ القَيْسِ فِي لامِيَّتِهِ:[5] [من الطويل]

وُقُـوْفًـا بِـهَا صَـحْبِي عَـلَيَّ مَطِيَّهُمْ يَقُولُونَ: لا تَـهْلَكْ أَسًـى، وَتَـجَمَّلِ

فَأَوْرَدَهُ طَرَفَةُ فِي دَالِيَّتِهِ:[6] [من الطويل]

وُقُـوْفًـا بِـهَا صَـحْبِي عَـلَيَّ مَطِيَّهُمْ يَـقُـوْلُـوْنَ: لا تَـهْلَكْ أَسًـى، وَتَـجَلَّدِ

فَهَذَا بَيْتُ امْرِئِ القَيْسِ بِعَيْنِهِ، إِلَّا أَنَّهُ أَقَامَ (تَـجْلَّدِ) مَقَامَ (تَـجَمَّلِ).

=وجاءت كذلك في: أدب الكاتب ٥٦١، وحماسة التبريزيّ ٢/ ٨، ولباب الآداب ٣٩٩، والحماسة البصريَّة ٢/ ٧، وجاءت في ديوان الشاعر ومصادر كثيرة أخرى بصورة (تغدو).

(١) في (الأصل): (وفيها هذان البيتان) في محل (وَفِيهَا البَيْتَانِ المتَقَدِّمَانِ).

(٢) الظِّئْرُ: العاطفةُ على غير ولدها. (تاج العروس ١٢/ ٤٦٠ مادة ظأر).

(٣) ديوان الحطيئة ١١٩.

(٤) جواهر البلاغة ٣٣٧، بلا عزو.

(٥) ديوان أمرئ القيس١١١.

(٦) ديوان طرفة بن العبد ١٩.

وَكَقَولِ العَبَّاسِ بنِ عَبْدِ المطَّلِبِ:[1] [من الطويل]

وَمَا النَّاسُ بِالنَّاسِ الَّذِينَ عَهِدْتَهُمْ وَلَا الدَّارُ بِالدَّارِ الَّتِي كُنْتَ تَعْلَمُ

فَأَوْرَدَهُ الفَرَزْدَقُ فِي شِعْرِهِ، إِلَّا أَنَّهُ أَقَامَ (تَعْرِفُ) مَقَامَ (تَعْلَمُ) فَقَالَ:[2] [من الطويل]

وَمَا النَّاسُ بِالنَّاسِ الَّذِيْنَ عَهِدْتَهُمْ وَلا الدَّارُ بِالدَّارِ الَّتِي كُنْتَ تَعْرِفُ

وَأَمَّا أَنْ يُبَدِّلَ الأَلفَاظَ بِمَا يُضَادُّهَا فِي المعْنَى مَعَ رِعَايَةِ النَّظْمِ وَالتَّرْتِيبِ، وَهُوَ مَذْمُومٌ أَيْضًا، وَسَرِقَةٌ مَحْضَةٌ، كَقَوْلِ ابنِ أَبِي فَنَنٍ:[3] [من الكامل]

١.ذَهَبَ الزَّمَانُ بِرَهْطِ حَسَّانَ الأُلَى كَانَتْ مَنَاقِبُهُمْ حَدِيثَ الغَابِرِ

٢.وَبَقِيتُ فِي خَلَفٍ تَحِلُّ ضُيُوفُهُمْ فِيهِمْ بِمَنْزِلَةِ اللَّئِيمِ الغَادِرِ

٣.سُودُ الوُجُوهِ لَئِيمَةٌ أَحْسَابُهُمْ فُطْسُ الأُنُوفِ مِنَ الطِّرَازِ الآخِرِ

فَإِنَّهُ عَكَسَ قَوْلَ حَسَّانَ بنِ ثَابِت:[4] [من الكامل]

بِيضُ الوُجُوهِ كَرِيمَةٌ أَحْسَابُهُمْ شُمُّ الأُنُوفِ مِنَ الطِّرَازِ الأَوَّلِ

---

(١) الوساطة ١٩٩، بغية الإيضاح ٤/ ٦٧٤.

(٢) لم يثبت في ديوان الفرزدق.

– الوساطة ١٩٩، وجمهرة الأمثال١/ ٩٦، وديوان المعاني ١/ ٧٨، وبغية الإيضاح ٤/ ٦٧٤ نسب البيت للفرزدق، وبلا عزو في: فضل الكلاب ٢٨، والمنتحل ١٦٨.

وينسب إلى هُدبة بن الخشرم العذري في: سمط اللآلي ١/ ٨١٠، وإلى الأعشى في المجموع اللفيف ٢٠٦.

ووجدته في شعر هُدبةَ بنِ الخشرم العذريّ: ١٣٥ برواية.

فَمَا النَّاسُ بِالنَّاسِ الَّذِيْنَ عَرَفْتَهُمْ وَلا الدَّارُ بِالدَّارِ الَّتِي أَنْتَ تَعْرِفُ

(٣) أَحمد بن أَبي فَنن، مولى بني هاشم، اسم أَبِي فنن صالح، ويكنَّى: أحمد أَبا عبد الله، وهو شاعر مجوَّد نقيّ اللفظ، أكثر المدح للفتح بن خاقان. وَكَانَ أَحْمَد أسود اللون.

ينظر: تأريخ بغداد ٤/ ٤٢٤، ووفيات الأعيان ٤/ ٧٥، وصيد الأفكار ٢/ ١١٣.

– أحمد بن أبي فنن: حياته وما تبقَّى من شعره ١٧٣.

(٤) ديوان حسان بن ثابت ١٨٤.

وَإِمَّا أَنْ يَأْخُذَ اللَّفْظَ كُلَّهُ أَوْ بَعْضَهُ مَعَ تَغْيِيرٍ لِنَظْمِهِ، فَيُسَمَّى (إِغَارَةً وَمَسْخًا)[1]، وَهُوَ عَلَى ثَلاثَةِ اقْسَامٍ:

أَوَّلُهَا[2]: أَنْ يَكُوْنَ الثَّانِي أَبْلَغَ مِنَ الأَوَّلِ لاخْتِصَاصِهِ بِفَضِيلَةٍ لَا تُوجَدُ فِي الأَوَّلِ، كَحُسْنِ السَّبْكِ، وَالاخْتِصَارِ، وَالإِيضَاحِ، أَوْ زِيَادَةِ مَعْنًى، وَهَذَا القِسْمُ مَمْدُوحٌ مَقْبُولٌ، وَيُسَمَّى (حُسْنُ الإِتِّبَاعِ) كَقَوْلِ بَشَّارِ بنِ بُرْد:[3] [من البسيط]

٤. لَوْ كُنْتِ تَلْقِينَ مَا نَلْقَى قَسِمْتِ لَنَا ... يَوْمًا نَعِيشُ بِهِ مِنْكُمْ وَنَبْتَهِجُ[4]

٥. لَا خَيْرَ فِي العَيْشِ إِنْ دُمْنَا كَذَا أَبَدًا ... لا نَلْتَقِي وَسَبِيلُ المُلْتَقَى نَهَجُ

٦. قَالُوا حَرَامٌ تَلاقِينَا فَقُلْتُ لَهُمْ ... مَا فِي التَّلَاقِي وَلَا فِي غَيْرِهِ حَرَجُ[5]

٧. مَنْ رَاقَبَ النَّاسَ لَمْ يَظْفَرْ بِحَاجَتِهِ ... وَفَازَ بِالطَّيِّبَاتِ الفَاتِكُ اللَّهِجُ

أَخَذَ هَذَا البَيْتَ الأَخِيرَ سَلْمُ الخَاسِرُ[6]، فَقَالَ مِنْ أَبْيَاتٍ أَوَّلُهَا:[7] [من مخلع البسيط]

١. بَانَ شَبَابِي فَمَا يَحُورُ ... وَطَالَ مِنْ لَيْلِيَ القَصِيرُ[8]

٢. أَهْدَى لِيَ الشَّوْقَ وَهُوَ خِلْوٌ ... أَغَنُّ فِي طَرْفِهِ فُتُورُ

٣. وَقَائِلٍ حِيْنَ شَبَّ وَجْدِي ... وَاشْتَعَلَ المُضْمَرُ السَّتِيرُ

---

(١) بغية الإيضاح ٤/ ٦٧٤، وعلوم البلاغة ٣٦٩.

(٢) في (الأصل): (أحدها) في موضع (أَوَّلُهَا).

(٣) ديوان بشار بن برد ٢/ ٧٥-٧٦.

(٤) في (الأصل): (ألقى) في موضع (نَلْقَى).

(٥) في الديوان:

قالوا حرام تلاقينا فقد كذبوا ... ما في التزامٍ ولا في قُبلةٍ حرج

(٦) سَلْمُ الخَاسِرُ: مرَّت ترجمته في ٣١٠.

(٧) ديوان سلم الخاسر ٥٠.

(٨) يحور: يرجع. (التاج ١١/ ١٠٣).

٤. لَـوْ شِـئْـتَ أَسْـلاكَ عَـنْ هَـوَاهُ قَـلْـبٌ لأَشْـجَـانِـهِ ذَكُـورُ
٥. فَـقُـلْـتُ: لَا تَـعْـجِـلَـنْ بِـلَـوْمِـي فَـإِنَّـمَا يُـنْـبِـئُ الـخَـبِـيرُ
٦. عَـذَّبَـنِـي وَالـهَـوَى صَـغِـيرٌ فَـكَـيْـفَ بِـي وَالـهَـوَى كَـبِـيرُ
٧. مَـنْ رَاقَـبَ الـنَّـاسَ مَـاتَ غَـمًا وَفَـازَ بِـاللَّـذَّةِ الجَـسُـوْرُ

فَبَيْتُ سَلْم هَذَا أَجْوَدُ سَبْكًا، وَأَخْصَرُ لَفْظًا.

وَلَقَدْ حَدَّثَ أَحْمَدُ بنُ صَالِح[1] قَالَ:

لـمَّا بَلَغَ بَيْتُ سَلْم بَشَّارًا غَضِبَ وَاسْتَشَاطَ[2]، وَحَلَفَ أَنْ لا يَدْخُلَ إِلَيْهِ، وَلا يُفِيدَهُ وَلا يَنْفَعَهُ مَا دَامَ حَيًّا، فَاسْتَشْفَعَ إِلَيْهِ بِكُلِّ صَدِيقٍ، وَكُلِّ مَنْ يَثْقُلُ عَلَيْهِ رَدَّهُ؛ فَكَلَّمُوهُ فِيهِ، فَقَالَ: أَدْخُلُوهُ إِلَيَّ، فَأَدْخَلُوهُ، فَاسْتَدْنَاهُ، ثُمَّ قَالَ لَهُ:

يَا سَلْم مَنِ الَّذِي يَقُولُ: مَنْ رَاقَبَ النَّاسَ لَمْ يَظْفَرْ بِحَاجَتِهِ؟.

فَقَالَ: أَنْتَ يَا أَبَا مَعَاذ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاكَ

قَالَ: فَمَنْ ذَا الَّذِي يَقُولُ: مَنْ رَاقَبَ النَّاسَ مَاتَ غَمًّا؟.

قَالَ: تِلْمِيذُكَ وَخَرِّيجُكَ وَعَبْدُكَ يَا أَبَا مَعَاذ، فَاجْتَذَبَهُ إِلَيْهِ وَقَنَّعَهُ بِمِخْصَرَةٍ كَانَتْ بِيَدِهِ ثَلاثًا، وَسَلْمٌ يَقُولُ:

لَا أَعُودُ إِلَى مَا تَكْرَهُ يَا أَبَا مَعَاذ، وَلا آتِي شَيْئًا تَذُمُّهُ، وَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُكَ وَصَنِيعُكَ، وَبَشَّارُ يَقُولُ لَهُ:

يَا فَاسِقُ أَتَجِيءُ إِلَى مَعْنًى سَهَرَتْ لَهُ عَيْنِي، وَتَعِبَ فِيهِ فِكْرِي، وَسَبَقْتُ النَّاسَ إِلَيْهِ، فَتَسْرِقُهُ، ثُمَّ تَخْتَصِرُ لَهُ لَفْظًا يُقَرِّبُهُ لِتَزْرِي بِهِ عَلَيَّ وَتَذْهَبَ بِبَيْتِي؟ وَهُوَ يَحْلِفُ لَهُ أَنْ لا يَعُودَ، وَالجَمَاعَةُ يَسْأَلُونَهُ الرِّضَا وَالكَفَّ عَنْهُ[3]، فَبَعْدَ جُهْدٍ شَفَّعَهُمْ فِيهِ، وَكَفَّ عَنْهُ

(١) هو أحمد بن أبي فنن.

(٢) في (الأصل): (واشتط) في موضع (واستشاط).

(٣) في (الأصل): (الرِّضَا وَالكَفِّ عَنْهُ) محذوفة.

وَعَنْ ضَرْبِهِ، ثُمَّ رَجَعَ لَهُ وَرَضِيَ عَنْهُ.

وَسُمِّيَ سَلْمُ هَذَا[1] الخَاسِرُ؛ لِخُسرَانِهِ فِي تِجَارَتِهِ؛ لأَنَّهُ بَاعَ مُصْحَفًا وَرِثَهُ وَاشْتَرَى بِثَمَنِهِ عُودًا يَضْرِبُ بِهِ، كَذَا فِي (الأَسَاسِ)[2].

وَكَقَوْلِ بَعْضِهِمْ:[3] [من الطويل]

خَلَقْنَا لَهُمْ فِي كُلِّ عَيْنٍ وَحَاجِبٍ بِسُمْرِ القَنَا وَالبِيضِ، عَيْنًا وَحَاجِبَا

أَخَذَهُ ابْنُ نُبَاتَةَ السَّعْدِي وَأَحْسَنَ اتِّبَاعَهُ، فَقَالَ:[4]

خَلَقْنَا بِأَطْرَافِ القَنَا فِي ظُهُورِهِمْ عُيُونًا لَهَا وَقْعُ السُّيُوفِ حَوَاجِبُ[5]

فَبَيْتُ ابْنِ نُبَاتَةَ هَذَا أَبْلَغُ؛ لاخْتِصَاصِهِ بِزِيَادَةِ مَعْنًى، وَهُوَ الإِشَارَةُ إِلَى انْهِزَامِهِمْ حَيْثُ أَوْقَعَ الطَّعْنَ وَالضَّرْبَ عَلَى ظُهُورِهِمْ.

وَثَانِيهَا: أَنْ يَكُوْنَ الثَّانِي دُونَ الأَوَّلِ؛ لِفَوَاتِ فَضِيلَةٍ تُوجَدُ فِي الأَوَّلِ، وَهُوَ مَذْمُومٌ مَرْدُودٌ، كَقَوْلِ أَبِي تَمَّامٍ مِنْ قَصِيدَةٍ فِي رِثَاءِ مُحَمَّدِ بنِ حُمَيْدِ بنِ مُسْلِمٍ الطَّائِيّ، وَقَد اسْتُشْهِدَ فِي بَعْضِ غَزَوَاتِهِ:[6] [من الكامل]

هَيْهَاتَ لَا يَأْتِي الزَّمَانُ بِمِثْلِهِ إِنَّ الزَّمَانَ بِمِثْلِهِ لَبَخِيلُ

أَخَذَهُ أَبُو الطَّيِّبِ المتَنَبِّي فَقَالَ:[7] [من الكامل]

أَعْدَى الزَّمَانَ سَخَاؤُهُ فَسَخَا بِهِ وَلَقَدْ يَكُونُ بِهِ الزَّمَانُ بَخِيلا

(١) في (الأصل): (هذا) محذوفة.

(٢) كتاب (أساس البلاغة) للزمخشري (المتوفَّى ٥٣٨ هـ).

(٣) البيت لأبي إسحاق إبراهيم الغزِّي في: ريحانة الألبا ٢٦٤، وخلاصة الأثر ٢/ ٣١٤، وبغية الإيضاح ٤/ ٦٧٥، والبلاغة العربيَّة ٢/ ٥٥١.

(٤) البيت لابن نُبَاتَةَ السعديّ، ديوانه ١/ ١٨٦، وفيه (بظهورهم) بدل (في ظهورهم).

(٥) في الديوان: (بظهورهم) في موضع (في ظهورهم).

(٦) ديوان أبي تمَّام ٤/ ١٠٢.

(٧) ديوان المتنبِّي ١٣٣.

فَالمِصْرَاعُ الثَّانِي مِنْ بَيْتِ أَبِي الطَيِّبِ مَأْخُوذٌ مِنِ المِصْرَاعِ الثَّانِي مِنْ بَيْتِ أَبِي تَمَّامٍ، لَكِنَّ مِصْرَاعَ أَبِي تَمَّام أَجْوَدُ سَبْكًا.

وَثَالِثُهَا: أَنْ يَكُوْنَ الثَّانِي مِثْلَ الأَوَّلِ، وَهَذَا أَبْعَدُ مِنَ الذَّمِّ، وَالفَضْلُ لِلأَوَّلِ.

كَقَوْلِ أَبِي تَمَّام:(١) [من الكامل]

لَوْ حَارَ مُرْتَادُ المَنِيَّةِ لَمْ يَجِدْ إِلَّا الفِرَاقَ عَلَى النُّفُوسِ دَلِيلا(٢)

أَخَذَهُ أَبُو الطَّيِّبِ، فَقَالَ:(٣) [من البسيط]

لَوْلا مُفَارَقَةُ الأَحْبَابِ مَا وَجَدَتْ لَهَا المَنَايَا إِلَى أَرْوَاحِنَا سُبُلا

وَكَقَوْلِ الأَرَّجَانِي:(٤) [من الكامل]

١. لَمْ يُبْكِنِي إِلَّا حَدِيثُ فِرَاقِهِمْ لَمَّا أَسَرَّ بِهِ إِلَيَّ مُوَدِّعِي
٢. هُوَ ذَلِكَ الدُّرُّ الَّذِي أَلْقَيْتُمُ فِي مَسْمَعِي أَلْقَيْتُهُ مِنْ مَدْمَعِي

وَقَوْلُ جَارِ الله(٥) فِي مَرْثِيَّةِ أُسْتَاذِهِ:(٦) [من الطويل]

---

(١) ديوان أبي تمّام ٣/ ٦٦.

(٢) الديوان: (لم يرد).

(٣) ديوان المتنبِّي ١٠.

(٤) ديوان الأَرَّجَانِي ٣/ ٨٩٣.

(٥) جار الله الزمخشريّ، مرَّت ترجمته ٢٤٤.

(٦) أستاذه: هو أبو مضر ابن جرير الأصفهانيّ.

- محمودُ بنُ جَريرٍ الضَّبِّيُّ الأَصبَهَانِيُّ النَّحويُّ أَبُو مُضر، كَانَ يُلَقَّب فَريدَ العَصرِ، وَكَانَ وَحيدَ دَهرِهِ وَأَوَانِه فِي عِلمِ اللُّغةِ وَالنَّحوِ وَالطِّبِّ، يُضرَبُ بِهِ المَثَلُ فِي أَنوَاعِ الفَضَائِلِ. أَقَامَ بِخَوَارِزم مُدَّةً، وَانْتَفَعَ النَّاسُ بِعُلُومِهِ وَمَكَارِمِ أَخلَاقِهِ، وَأَخَذوا عَنهُ عِلْمًا كَثِيرًا، وَتَخَرَّجَ عَلَيهِ جَمَاعَةٌ مِنَ الأَكَابِرِ فِي اللُّغةِ وَالنَّحوِ، مِنهُم الزَّمَخْشَرِيُّ، مَاتَ بِمَرو بَعدَ سَنةِ سَبعٍ وَخمسمِئةٍ، وَرَثَاهُ الزَّمَخشَرِيُّ. له ترجمة في: معجم الأدباء ٦/ ٢٦٨٥، وبغية الوعاة ٢/ ٢٧٦، والأعلام ٧/ ١٦٧، ومعجم المؤلِّفين ١٢/ ١٥٦.

- البيتان في: ديوان الزمخشريّ ٥٥٨.

١. وَقَائِلَةٍ مَا هَذِهِ الدُّرَرُ الَّتِي تُسَاقِطُهَا عَيْنَاكَ سِمْطَيْنِ سِمْطَيْنِ؟
٢. فَقُلْتُ هُوَ الدُّرُّ الَّذِي قَدْ حَشَا بِهِ (أَبُو مُضَرٍ) أُذْنِي تَسَاقَطَ مِنْ عَيْنِي

هَذَا إِذَا لَمْ تَكُنْ فِيهِ دَلالَةٌ عَلَى السَّرِقَةِ، وَأَمَّا إِذَا كَانَت فِيهِ دَلالَةٌ عَلَيْهَا بِاتِّفَاقِ الوَزْنِ وَالقَافِيَةِ، فَهُوَ مَذْمُومٌ، كَقَوْلِ أَبِي تَمَّام:(١) [من الوافر]

١. مُقِيمَ الظَّنِّ عِنْدَكَ وَالأَمَانِي وَإِنْ قَلِقَتْ رِكَابِي فِي البِلَادِ
٢. وَمَا سَافَرْتُ فِي الآفَاقِ إِلَّا وَمِنْ جَدْوَاكَ رَاحِلَتِي وَزَادِي

وَقَوْلِ أَبِي الطَّيِّبِ:(٢) [من الوافر]

١. وَإِنِّي عَنْكَ بَعْدَ غَدٍ لَغَادٍ وَقَلْبِي عَنْ فِنَائِكَ غَيْرُ غَادِي(٣)
٢. مُحِبُّكَ حَيْثُمَا اتَّجَهَتْ رِكَابِي وَضَيْفُكَ حَيْثُ كُنْتُ مِنَ البِلَادِ

وَالضَّرْبُ الثَّانِي مِنَ النَّوْعِ الظَّاهِرِ، وَهُوَ أَخْذُ المَعْنَى وَحْدَهُ، وَيُسَمَّى هَذَا الأَخْذُ إِلْمَامًا(٤)، مِنْ أَلَمَّ بِهِ إِذَا قَصَدَهُ، وَأَصْلُهُ مِنْ أَلَمَّ بِالمَنْزِلِ إِذَا نَزَلَ بِهِ، وَيُسَمَّى أَيْضًا سَلْخًا، وَالسَّلْخُ كَشْطُ الجِلْدِ عَنِ الشَّاةِ وَنَحْوِهَا، وَاللَّفْظُ لِلْمَعْنَى بِمَنْزِلَةِ الجِلْدِ، فَكَأَنَّهُ كَشَطَ مِنَ المَعْنَى جِلْدَهُ وَأَلْبَسَهُ جِلْدًا آخَرَ، وَهُوَ عَلَى **ثَلاثَةِ أَقْسَامٍ**:

الأَوَّلُ: أَنْ يَكُونَ الثَّانِي أَبْلَغَ مِنَ الأَوَّلِ، كَقَوْلِ أَبِي تَمَّام:(٥) [من الطويل]

---

(١) ديوان أبي تمّام: ١/ ٣٧٤ مع تقديم وتأخير.
- أخذه من قول أبي نواس: (من الطويل)
وإن جرت الألفاظ يومًا بمدحةٍ لغيرك إنسانًا فأنتَ الذي نَعني
ديوان أبي نواس ١/ ١٣٩.
(٢) ديوان المتنبِّي ٨.
- أخذ أبوالطيِّب المعنى والوزن والقافية من بيتَي البحتريّ.
(٣) في (الأصل): (في) في موضع (عن).
(٤) ينظر العمدة ١/ ٢٣٩، وبغية الإيضاح ٤/ ٦٧٨.
(٥) ديوان أبي تمّام ٢/ ٣٣٢.

هُوَ الصُّنْعُ إنْ يَعْجِلْ فنفعٌ وَإنْ يَرِثْ فَلَلرَّيْثُ فِي بَعْضِ المَوَاطِنِ أَسْرَعُ[1]

وَقَوْلِ أَبِي الطَّيِّبِ:[2] [من الخفيف]

وَمِنَ الخَيْرِ بُطْءُ سَيْبِكَ عَنِّي أَسْرَعُ السُّحْبِ فِي المَسِيرِ الجَهَامُ

فَبَيْتُ أَبِي الطَّيِّبِ أَبْلَغُ؛ لِاشْتِمَالِهِ عَلَى زِيَادَةِ بَيَانٍ لِلمَقْصُودِ، حَيْثُ ضَرَبَ المَثَلَ بِالسَّحَابِ.

الثَّانِي: أَنْ يَكُونَ الثَّانِي دُونَ الأَوَّلِ، كَقَوْلِ البُحْتُرِيِّ:[3] [من الكامل]

وَإِذَا تَأَلَّقَ فِي النَّدِيِّ كَلَامُهُ مَصْقُولُ خِلْتَ لِسَانَهُ مِنْ عَضْبِهِ

وَقَوْلِ أَبِي الطَّيِّبِ:[4] [من البسيط]

كَأَنَّ أَلْسُنَهُمْ فِي النُّطْقِ قَدْ جُعِلَتْ عَلَى رِمَاحِهِمُ فِي الطَّعْنِ خُرْصَانَا

فَبَيْت أَبِي الطَّيِّبِ دُونَ بَيْتِ البُحْتُرِيِّ؛ لِأَنَّهُ قَدْ فَاتَهُ مَا أَفَادَهُ البُحْتُرِيُّ بِلَفْظَتَيِ (تَأَلَّقَ) وَالمَصْقُول مِنَ الاسْتِعَارَةِ التَّخْيِيلِيَّةِ، حَيْثُ أَثْبَتَ التَّأَلُّقَ وَالصَّقَالَةَ لِلكَلَامِ كَإِثْبَاتِ الأَظْفَارِ لِلمَنِيَّةِ، وَيَلْزَمُ مِنَ هَذَا تَشْبِيهُ كَلَامِهِ بِالسَّيْفِ، وَهُوَ اسْتِعَارَةٌ بِالكِنَايَة.

الثَّالِثُ: أَنْ يَكُوْنَ مِثْلَ الأَوَّلِ، كَقَوْلِ أَبِي زِيَادٍ:[5] [من الوافر]

وَلَمْ يَكُ أَكْثَرَ الفِتْيَانِ مَالا وَلَكِنْ كَانَ أَرْحَبَهُمْ ذِرَاعَا

---

(١) في (الأصل): (فخير) في موضع(فنفعٌ)، (المواضع أنفع) بدلًا من (المَواطِنِ أَسْرَعُ).

(٢) ديوان المتنبِّي ١٥٢.

(٣) ديوان البحتريّ ١/ ١٦٤

(٤) ديوان المتنبِّي ١٦٩.

(٥) البيت لأبي زياد الأعرابيّ، الوساطة ٢٨٧، والحماسة بشرح المرزوقيّ ١١١٥، والحماسة بشرح التبريزيّ ٢/ ٢٦٩، والتذكرة الحمدونيَّة ٤/ ١٩، والحماسة المغربيَّة ١/ ٢٩٧ وخزانة البغداديّ ١/ ٢٩٧، ٦/ ٤٦٧، وزهر الأكم ٢/ ١٥٦، وبلا عزو في: الحيوان ٥/ ٧٥، وثمار القلوب ١/ ٥٧٦، والبديع في نقد الشعر ٢٢٩، وشرح ديوان المتنبِّي المنسوب للعكبريّ ٢/ ٢١٠، وتحرير التحبير ٥٣٠، وفي حماسة الخالديِّين ٦٠ لمروان بن معن، وفي محاضرات الأدباء ١/ ٦٨٢ =

وَقَوْلِ أَشْجَعَ فِي جَعْفَرِ البَرْمَكِيِّ:(١) [من المتقارب]

وَلَـيْـسَ بِـأَوْسَـعِـهِـمْ فِي الـغِـنَـى وَلَـكِـنَّ مَـعْـرُوفَـهُ أَوْسَـعُ

وَكَقَوْلِ بَعْضِهِمْ فِي مَرْثِيَّةِ ابنٍ لَهُ:(٢) [من الكامل]

=للعرندس.

– أَبُو زِيَاد الأعرابيّ: يَزيدُ بنُ عَبدِ الله بنِ الـحُرِّ بنِ هَـمَّامٍ الكِلابِيّ، مِن بَنِي رَبِيعَة: عَالِمٌ بِالأَدبِ، لَهُ شِعرٌ جَيِّدٌ، كَانَ مِن سُكَّانِ بَادِيةِ العِرَاقِ، وَحَلَّ بِأَرضِهِ قَحطٌ، فَدَخَل بَغدَادَ فِي أَيَّامِ المَهدِي العَبَّاسِي، وَنَزَلَ قَطِيعَةَ (العَبَّاس بنِ مُحَمَّد) فَأَقَامَ بِهَا نَحوَ أَربَعِينَ سَنَةً، وَمَاتَ فِيهَا (نَحوَ ٢٠٠هـ). له ترجمة في: إنباه الرواة ٤/ ١٢٧، الوافي بالوفيات ٢٨/ ٥١، والأعلام ٨/ ١٨٤.

(١) أشجعُ بنُ عَمرٍو السُّلَمِيّ: مِن أَهلِ الرِّقَّةِ، قَدِمَ البَصرَةَ فَتَأَدَّبَ بِهَا، ثُمَّ وَرَدَ بَغدَادَ فَنَزَلَهَا، وَاتَّصَلَ بِالبَرَامِكَة، وَغَلَبَ مِن بَينِهِم عَلَى جَعفَرِ بنِ يَحيَى، فَحَبَاه، وَاصطَفَاه، وَأَبَرَّه، وَأَدنَاه، وَكَانَ أَشجَعُ حُلوًا ظريفًا، سَائِرَ الشِّعرِ، وَلَه كَلَامٌ جَزلٌ، وَمَدحٌ رَصِينٌ، فَمَدَحَ جَعْفَرًا بِقَصَائِدَ كَثِيرةٍ، وَوَصَلَه بِهَارونَ الرَّشيدِ، فَمَدَحَه وَهوَ بالرِّقَّة بِقَصيدةٍ تَمَكَّنَت بِهَا حَالُهُ عِندَ الرَّشِيد. له ترجمة في الأوراق ١/ ٧٤، بغية الطلب ٤/ ١٨٦٦، فوات الوفيات ١/ ١٩٦، الوافي بالوفيات ٩/ ١٥٧، الأعلام ١/ ٣٣١.

– البيت لأشجع السلميّ في: مختارات من شعر أشجع السلميّ (خ)، أبو بكر الصوليّ ق٤. وينظر: كتاب بغداد ٥٢، والأوراق ١/ ٨٣، ونقد الشعر ٧٢ حماسة الخالديِّين٦٠، الموشَّح ٢٨٤، الوساطة ٢٨٧، والأوائل ٤١، والصناعتَين ١٠٠، وديوان المعاني ١/ ٦٤، والبصائر والذخائر ٩/ ١٤٤، والإعجاز والإيجاز ١٥٦، ويتيمة الدهر ٤/ ٥٠٥، تأريخ دمشق ٩/ ١١، والبديع في نقد الشعر ٢٣٠، وشرح ديوان المتنبِّي للعكبريّ ٤/ ١٥٣، وبغية الطلب ٤/ ١٨٧٤، ووفيات الأعيان ١/ ٤٧٥، ومختصر تأريخ دمشق ٤/ ٤٠٤، ولباب الآداب ١٥١، ١٧٩، وخزانة البغداديّ ١/ ٢٩٧، وزهر الأكم ٢/ ١٥٦، وحماسة القرشيّ ٣٧١.

(٢) البيت للعتبيّ في: التعازي ١٨٠، والكامل في اللغة ٢/ ٣٣، العقد الفريد ٣/ ٢١٨ والموازنة ١/ ١١١، والوساطة ٢٩٠، والمنصف ٦٣٩، والبصائر والذخائر ٦/ ٩٩، ومحاضرات الأدباء ٢/ ٥٣٩، والتذكرة الحمدونيَّة ٤/ ٢٦٣، ووفيات الأعيان ٤/ ٣٩٩، والوافي بالوفيات ٤/ ٦، والمستطرف٤٣٢، ٥١٠، ومجاني الأدب ٢/ ٤٥، وبلا عزو في: المنصف ٧٨٩، وعلوم البلاغة ٣٧٠، وبغية الإيضاح ٤/ ٦٨٣، والبلاغة العربيَّة ٢/ ٥٥٤، وفي تأريخ دمشق ٤١/ ٣٢٢ لسمنون، وفي شرح ديوان المتنبِّي ١/ ٢٤٥ لحبيب.

وَالـصَّـبْرُ يُحْـمَـدُ فِي المَـوَاطِـنِ كُلِّهَا إِلَّا عَـلَـيْـكَ فَـإِنَّـهُ مَـذْمُـومُ

وَقَوْلِ أَبِي تَمَّام:(١) [من الطويل]

وَقَـدْ كَـانَ يُدْعَى لابِـسَ الصَّبْرِ حَازِمًا فَأَصْبَحَ يُدْعَى حَـازِمًا حِـيْنَ يَجْـزَعُ(٢)

وَكَقَوْلِ بَكْرِ(٣) بنِ النَّطَّاحِ:(٤) [من الطويل]

كَـأَنَّكَ عِـنْدَ الكَـرِّ فِي حَـوْمَـةِ الوَغَى تَـفِـرُّ مِـنَ الـصَّـفِّ الَّـذِي مِـنْ وَرَائِـكَـا

وَقَوْلِ أَبِي الطَّيِّبِ:(٥) [من الكامل]

فَـكَـأَنَّـهُ والـطَّـعْـنُ مِـنْ قُـدَّامِـهِ مُـتَـخَـوِّفٌ مِـنْ خَـلْـفِـهِ أَنْ يُـطْـعَـنَـا(٦)

هَذَا هُوَ النَّوْعُ الظَّاهِرُ مِنَ الأَخْذِ وَالسَّرِقَةُ.

وَأَمَّا **غَـيْـرُ الظَّاهِرِ**، فَهُوَ عَلَى ثَلاثَةِ(٧) أَقْسَامٍ:

مِنْهَا: أَنْ يَتَشَابَهَ الـمَعْنَيَانِ، مَعْنَى البَيْتِ الأَوَّلِ، وَمَعْنَى البَيْتِ الثَّانِي، كَقَوْلِ

---

(١) ديوان أبي تمّام ٤/ ٩٢.

(٢) الديوان: (فقد صار يدعى).

(٣) في (الأصل): (أبي بكر) في موضع (بكر).

– بَكر بنُ النَّطَّاح الحَنَفِيُّ، أَبو وَائِل: شَاعِر غَزِل، مِن فُرسَانِ بَنِي حَنيفَةَ، مِن أَهلِ اليَمَامَةِ. انْتَقَلَ إِلَى بَغْدَادَ فِي زَمَنِ الرَّشِيدِ، وَاتَّصَلَ بِأَبِي دُلَفٍ العِجْلِيِّ فَجَعلَ لَهُ رِزْقًا سُلطَانِيًّا عَاشَ بِهِ إِلَى أَن تُوفِّيَ. وَرَثَاهُ أَبو العَتَاهِيَة سَنةَ (١٩٢ هـ). له ترجمة في: طبقات الشعراء ٢١٧، وتأريخ بغداد ٧/ ٩٣، وفوات الوفيات ١/ ٢١٩، والوافي بالوفيات ١٠/ ١٣٧، والأعلام ٢/ ٧١.

(٤) شعر بكر بن النطاح ٣٠.

أخذ أبو العتاهية هذا البيت، فقال: (من الطويل)

كـأنّـك عـنـد الـكـرِّ في الحَـــربِ إنَّـما تـفـرُّ مـن الـصَّـفِّ الـذي مِـن وَرَائِـكَـا

ديوانه: ٣٢٠.

(٥) ديوان المتنبِّي ١٣٩.

(٦) في (الأصل): (وكأنَّه) في محل (فكأنَّه).

(٧) في (الأصل): (ثلاثة) محذوفة.

جَرِيرٍ:[1] [من الوافر]

فَلا يَمْنَعْكَ مِنْ أَرَبٍ لِحَاهُمْ ... سَوَاءٌ ذُو العِمَامَةِ وَالخِمَارِ

وَقَوْلِ أَبِي الطَّيِّبِ:[2] [من الوافر]

وَمَنْ فِي كَفِّهِ مِنْهُمْ قَنَاةٌ ... كَمَنْ فِي كَفِّهِ مِنْهُمْ خِضَابُ

فَتَعْبِيرُ جَرِير عَنْ الرَّجُلِ بِذِي العِمَامَةِ، كَتَعْبِيرِ أَبِي الطَّيِّبِ عَنْهُ بِمَنْ فِي كَفِّهِ قَنَاةٌ، وَكَذَا تَعْبِيرُهُ عَنِ المرْأَةِ بِذَاتِ الخِمَارِ، كَتَعْبِيرِهِ عَنْهَا بِمَنْ فِي كَفِّهِ خِضَابٌ.

وَمِنْهُ قَوْلُ الطِّرِمَّاحِ:[3] [من الطويل]

١. لَقَدْ زَادَنِي حُبًّا لِنَفْسِيَ أَنَّنِي ... بَغِيضٌ إِلَى كُلِّ امْرِئٍ غَيْرِ طَائِلِ

٢. وَإِنِّي لأَشْقَى بِاللِّئَامِ وَلَا تَرَى ... شَقِيًّا بِهِمْ إِلَّا كَرِيمَ الشَّمَائِلِ

وَقَالَ أَبُو الطَّيِّبِ:[4] [من الكامل]

وَإِذَا أَتَتْكَ مَذَمَّتِي مِنْ نَاقِصٍ ... فَهِيَ الشَّهَادَةُ لِي بِأَنِّي كَامِلُ[5]

وَيَجُوْزُ فِي تَشَابِهِ المعْنَيَيْنِ اخْتِلافُ المورِدَيْنِ، كَأَنْ يَكُون[6] أَحَدُ البَيْتَيْنِ نَسِيبًا مَثَلًا،

(١) ديوان جرير ٨٥٦.

(٢) ديوان المتنبِّي ٣٧٣.

(٣) ديوان الطرماح ٢٠٧-٢٠٨.

- الطِّرِمَّاحُ بنُ حَكيم بنِ الحَكَم، مِن طَيء، شَاعِرٌ إِسلَامِي فَحل، وُلِدَ وَنَشَأَ فِي الشَّام، وَانْتَقَلَ إِلَى الكُوفَةِ، فَكَانَ مُعَلِّمًا فِيهَا. وَاعتَقَدَ مَذهَبَ (الشُّرَاةِ) مِنَ الأَزَارِقَةِ، وَاتَّصَلَ بِخَالِدِ بنِ عَبدِ الله القَسرِيِّ، فَكانَ يُكرِمُهُ وَيَستَجِيدُ شِعْرَه، وَكَانَ هَجَّاءًا مُعَاصِرًا لِلكُمَيْتِ صَدِيقًا لَهُ، لَا يَكَادَانِ يَفْتَرِقَانِ، قَالَ الجَاحِظُ: وَكَانَ قَحْطَانِيًّا عَصَبِيًّا، لَه دِيوانُ شِعرٍ صَغِيرٍ، تُوفِّيَ (نَحوَ سَنة ١٢٥هـ). ترجمته في: الحيوان ٧/ ٤٦٣، والشعروالشعراء ٢/ ٥٧٠، والمؤتلف والمختلف ١/ ١٩١، تأريخ دمشق ٢٤/ ٤٦٥، الوافي بالوفيات ١٦/ ٢٤٥، والأعلام ٣/ ٢٢٥.

(٤) ديوان المتنبِّي ١٦٦.

(٥) الديوان: (فاضل).

(٦) في (الأصل): (اخْتِلافُ المورِدَيْنِ) محذوفة، و(أن يكون) بدلًا من (كأن يكون).

وَالآخَرُ مَدْحًا أَو هِجَاءً، فَإِنَّ الشَّاعِرَ الحَاذِقَ إِذَا قَصَدَ إِلَى المعْنَى المخْتَلَفِ احْتَالَ فِي اخْفَائِهِ، فَغَيَّرَ لَفْظَهُ وَصَرَفَهُ عَنْ نَوْعِهِ مِنَ النَّسِيبِ أو المَدِيحِ أو غَيْرِ ذَلِكَ، وَصَرَفَهُ عَنْ وَزْنِهِ وَقَافِيَتِهِ.

وَمِنْهَا: أَنْ يُنْقَلَ المعْنَى إِلَى مَحَلٍّ آخَرَ كَقَوْلِ البُحْتُرِيّ:(١) [من الكامل]

سُلِبُوْا، وَأَشْرَقَتِ الدِّمَاءُ عَلَيْهِمُ مُحَمَّرَةً، فَكَأَنَّهُمْ لَمْ يُسْلَبُوْا

وَقَالَ أَبو الطَّيِّبِ:(٢) [من الكامل]

يَبِسَ النَّجِيعُ عَلَيْهِ وَهْوَ مُجَرَّدٌ مِنْ غِمْدِهِ فَكَأَنَّمَا هُوَ مُغْمَدُ(٣)

فَنَقَلَ المعْنَى مِنَ القَتْلَى وَالجَرْحَى إِلَى السَّيْفِ.

وَمِنْهَا: أَنْ يَكُوْنَ مَعْنَى الثَّانِي أَشْمَلَ مِنْ مَعْنَى الأَوَّلِ كَقَوْلِ جَرِير:(٤) [من الوافر]

إِذَا غَضِبَتْ عَلَيْكَ بَنُو تَمِيمٍ حَسِبْتَ النَّاسَ كُلَّهُمُ غِضَابَا(٥)

وَقَوْلِ أَبِي نُواس:(٦) [من السريع]

لَيْسَ عَلَى اللهِ بِمُسْتَنْكَرٍ أَنْ يَجْمَعَ العَالَمَ فِي وَاحِدِ(٧)

فَالأَوَّلُ مُخْتَصٌّ بِبَعْضِ العَالَمِ وَهُوَ النَّاس، وَهَذَا يَشْمُلُهُمْ وَغَيْرَهُمْ.

وَمِنْهَا: القَلْبُ، وَهُوَ أَنْ يَكُوْنَ مَعْنَى الثَّانِي نَقِيْضَ مَعْنَى الأَوَّلِ، كَقَوْلِ أَبِي الشِّيصِ:(٨) [من الكامل]

(١) ديوان البحتريّ ١/ ٧٦.
(٢) ديوان المتنبِّي ٤٤.
(٣) في (الديوان): (فَهُوَ).
(٤) ديوان جرير ٣/ ٨٢٣.
(٥) في (الأصل): (علي) بدلًا من (عليك)، وهو سبق قلم.
(٦) ديوان أبي نواس ٢١٨.
(٧) في (الديوان): (لله).
(٨) ديوان أبي الشيص ١٠٢.=

أَجِـــدُ المَـلَامَـةَ فِي هَـــوَاكِ لَـذِيـذَةً ... حُـبًّا لِـذِكْـرِكِ فَـلْـيَـلُـمْـنِي الـلُّـوَّمُ

وَقَوْلِ أَبِي الطَّيِّبِ:[1] [من الكامل]

أَ أُحِـبُّـهُ وَأُحِـــبُّ فِـيـهِ مَـلَامَـةً؟ ... إِنَّ المَـلَامَـةَ فِـيـهِ مِـنْ أَعْـدَائِـهِ

فَهَذَا نَقِيضُ مَعْنَى بَيْتِ أَبِي الشِّيصِ.

وَالأَحْسَنُ فِي هَذَا النَّوْعِ أَنْ يُبَيَّنَ السَّبَبَ كَمَا فِي هَذَينِ البَيْتَيْنِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ ظَاهِرًا كَقَوْلِ أَبِي تَمَّامٍ:[2] [من الوافر]

وَنَـغْـمَـةُ مُـعْـتَـفٍ يَـرْجُـوهُ أَحْـلى ... عَـلَى أُذُنَـيْـهِ مِـنْ نَـغَـمِ الـسَّـمَاعِ[3]

وَقَوْلِ أَبِي الطَّيِّبِ:[4] [من الخفيف]

وَالـــجِـرَاحَـاتُ عِـنْـدَهُ نَـغَـمَاتٌ ... سَـبَـقَـتْ قَـبْـلَ سَـيْـبِـهِ بِـسُـؤَالِ

أَرَادَ أَبو تَمَّامٍ أَنَّ المَمْدُوحَ يَسْتَلِذُّ نَغَمَاتِ السَّائِلِينَ لِمَا فِيهِ مِنْ غَايَةِ الكَرَمِ وَنِهَايَةِ الجُودِ، وَأَرَادَ أَبو الطَّيِّبِ أَنَّهُ إِنْ سَبَقَتْ نَغْمَةُ سَائِلٍ عَطَاءَ المَمْدُوحِ بَلَغَ ذَلِكَ فِيهِ مَبْلَغَ الجِرَاحَةِ مِنْ المَجْرُوحِ؛لأَنَّ عَادَتَهُ أَنْ يُعْطِيَ[5] بِغَيْرِ سُؤَالٍ.

- أَبُو الشِّيص: هُو مُحَمَّد بنُ عَلِيِّ بنِ رَزِينٍ الـخُزَاعِيُّ، ابنُ عَمِّ دِعبلِ الـخُزَاعِيِّ، شَاعرٌ مَطبوعٌ سَريعُ الخَاطِرِ رَقيقُ الأَلفَاظِ، مِنْ أَهلِ الكُوفَةِ، غَلَبَه عَلَى الشُّهْرَةِ مُعَاصِرَاهُ صَريعُ الغَوَانِي وَأَبو نُواسٍ. وَانْقَطَعَ إِلَى أَمِيرِ الرِّقَّةِ (عُقْبة بنِ جَعفَرٍ الخُزَاعِيّ)، فَأَغنَاهُ عُقبَةُ عَنْ سِوَاهُ. وَأَبُو الشِّيصِ لَقَبٌ، وَكُنْيَتُهُ أَبُو جَعفَرٍ، عَمِيَ فِي آخِرِ عُمْرِهِ، وَتُوفِّيَ سَنةَ (١٩٦هـ). له ترجمة في: البرصان ٤٢٤، والحيوان ٧/ ٤٦٢، والشعر والشعراء ٢/ ٨٣٢، وطبقات الشعراء ٧٢، وتأريخ بغداد ٣/ ٢٢٦، وفوات الوفيات ٣/ ٤٠٢، ونكت الهميان ٢٤٤، ونزهة الألباب ٢/ ٢٦٥، والأعلام ٦/ ٢٧١، ومعجم المؤلِّفين ١١/ ٢٣.

(١) ديوان المتنبِّي ٣٤٢.

(٢) ديوان أبي تمَّام ٢/ ٣٣٩.

(٣) في (الأصل): (وَنَغْمَةُ مُعْتَفِي جَدْوَاهُ أَحْلا) بدلًا من (وَنَغْمَةُ مُعْتَفٍ يَرْجُوهُ أَحْلَى).

(٤) ديوان المتنبِّي ١١٣.

(٥) في (الأصل): سقطت(أن)من النص.

وَمِنْهَا: أَنْ يُؤْخَذَ بَعْضُ المعْنَى، وَيُضَافَ إِلَيْهِ مَا يُحَسِّنُهُ، كَقَوْلِ الأَفْوَهِ الأَوْدِيّ:(١) [من الرمل]

وَتَرَى الطَّيْرَ عَلَى آثَارِنَا ... رَأْيَ عَيْنٍ ثِقَةً أَنْ سَتُمَارَا

وَقَالَ أَبو تمّام:(٢) [من الكامل]

١. وَقَدْ ظُلِّلَتْ عُقْبَانُ أَعْلَامِهِ ضُحًى ... بِعُقْبَانِ طَيْرٍ بِالدِّمَاءِ نَوَاهِلِ(٣)

٢. أَقَامَتْ مَعَ الرَّايَاتِ حَتَّى كَأَنَّهَا ... مِنَ الجَيْشِ إِلَّا أَنَّهَا لَمْ تُقَاتِلِ

فَإِنَّ أَبَا تمّام لَمْ يَلُمْ بِشِيءٍ مِنْ مَعْنَى قَوْلِ الأَفْوَهِ (رَأْيَ عَيْنٍ)، وَلا (ثِقَةً أَنْ سَتُمَارَ)، لَكِنْ زَادَ عَلَيْهِ زِيَادَةً مُحَسِّنَةً لِبَعْضِ المعْنَى الَّذِي أَخَذَهُ بِقَوْلِهِ: (إِلَّا أَنَّهَا لَمْ تُقَاتِل)، وَبِقَوْلِهِ: (فِي الدِّمَاءِ نَوَاهِل)، وَبِقَوْلِهِ: (أَقَامَتْ مَعَ الرَّايَاتِ)، مَعَ قَوْلِهِ: (كَأَنَّهَا مِنَ الجَيْشِ)، وَبِهذِهِ الزِّيَادَةِ يَتُمُّ حُسْنُ قَوْلِهِ: أَلَّا أَنَّهَا لَمْ تُقَاتِل؛ لأَنَّهُ لَوْ قِيلَ ظُلِّلَتْ عُقْبَانُ أَعْلَامِهِ ضُحًى بِعُقْبَانِ الطَّيْرِ إِلَّا أَنَّهَا لَمْ تُقَاتِلْ لمْ يَحْسُنْ هَذَا الإِسْتِثْنَاءُ المنْقَطِعُ ذَلِكَ الحُسْنُ؛ لأَنَّ إِقَامَتَهَا مَعَ الرَّايَاتِ حَتَّى كَأَنَّهَا مِنَ الجَيْشِ يُوْهِمُ أَنَّهَا تُقَاتِلُ مِثْلَ الجَيْشِ، فَيَحْسِنُ الاسْتِدْرَاكُ الَّذِي رَفَعَ التَّوَهُّمَ النَّاشِيءَ مِن الكَلامِ السَّابِقِ، بِخِلَافِ وُقُوعِ ظِلِّهَا عَلَى الرَّايَاتِ.

---

(١) الذخيرة ١/٢٨٣، والشعر والشعراء ١/١٦٨، والوساطة ٢٧٤، والمنصف ١٨٨، ٦٦٧، والصناعتَين ٢٢٥، ورسالة التوابع ١٢٨، والمختار من شعر الأندلس ٥٥، وشرح ديوان المتنبِّي للعكبريّ ٣/٣٣٩، والحماسة البصريَّة ٥٠، وخزانة البغداديّ ٤/٢٨٩، وعلوم البلاغة ٣٧٢، وبغية الإيضاح ٤/٦٨٧، والبلاغة العربيَّة ٢/٥٥٦، وتأريخ الأدب العربيّ ٢٨٣.

- الأَفْوَه الأَوْديّ: هو صَلَاءَة بنُ عَمرِو بنِ مَالِكٍ، أبو ربيعة، مِن بَنِي أَوْد، مِنْ مُذْحِج شاعر يمانيّ جاهليّ، لُقِّبَ بِالأَفْوَهِ؛ لِأَنَّهُ كَانَ غَلِيظَ الشَّفَتَيْنِ، ظَاهِرَ الأَسنَانِ، كَانَ سَيدَّ قَومِهِ، وَقَائِدَهُم فِي حُرُوبِهِم، وَهوَ أَحدُ الحُكماءِ وَالشُّعَرَاءِ فِي عَصرِهِ، تُوُفِّيَ نَحو (٥٠ق.هـ). له ترجمة في: الحيوان ٧/ ٤٤٠، والشعر والشعراء ١/ ٢١٧، وشعراء النصرانيَّة ١/ ٧٠ والأعلام ٣/ ٢٠٦.

(٢) ديوان أبي تمّام ٣/ ٨٢.

(٣) الديوان: (في الدماء).

وَهَذِهِ الأَنْوَاعُ المَذْكُورَةُ مِنْهَا مَقْبُولٌ وَمِنْهَا مَا هُوَ فَوْقَ ذَلِكَ، مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ يُخْرِجُهُ حُسْنُ التَّصَرُّفِ مِنَ الاتِّبَاعِ إِلَى حَيِّزِ الابْتِدَاعِ، وَكُلَّمَا كَانَ (الاتِّبَاعُ)[1] أَشَدَّ خَفَاءً بِحَيْثُ لَا يُعْرَفُ أَنَّ الثَّانِي مَأْخُوْذٌ مِنَ الأَوَّلِ إِلَّا بَعْدَ إِعْمَالِ رَوِيَّةٍ وَمَزِيْدِ تَفَكُّرٍ كَانَ أَقْرَبَ إِلَى القَبُولِ؛ لِكَوْنِهِ أَبْعَدَ عَنْ الأَخْذِ وَالسَّرِقَةِ، وَأَدْخَلَ فِي الابْتِدَاعِ، وَالتَّصَرُّفِ.

وَدَعْ عَنكَ مِنَ المَعايِبِ جَمِيعَ مَا فِيهَا سَلَكَه، وَهُلُمَّ إِلَى المَعَايِبِ المُضْحِكَة، وَانْظُر لِمَا مِنهَا فِي نِظَامِهِ أَوْدَعَه، وَمِن تَخَيُّلَاتِهِ المَعرُوفَةِ ابْتَدَعَه، فَلَقَد أَنشَأَ مَا لَو تَعَقَّلَه لَوَدَّ أَنْ يَرُدَّهُ إِلَى فَمِه، وَلَمْ يَرْتَسِمْ فِي الصُّحُفِ مَعَ كَلِمِه، وَإِنْ كَانَ كَلَامُهُ -سَلَّمَهُ اللهُ- كُلُّهُ مِنْ غَلَطِه عَلَى هَذَا النَّمَط، وَبِهِ لِغَالِبِ المَعَايِبِ الفَاحِشَةِ التَقَط، إِلَّا أَنَّ هَذَا بِعَينِهِ أَظْهَرَ، وَلِظُهُورِهِ يَرَاهُ مَنْ لَا شُعُورَ لَه، فَكَيفَ أَهلُ النَّظَر؟! وَذَلِكَ حَيثُ قَالَ: [من الطويل]

مُثَقَّفُ لَمْ يَعْرِفْ سِوَى المَجْدِ مَرْكَزًا وَمُرْهَفُ لَمْ يَأْلَفْ سِوَى الحَمْدِ مِنْ غَمْدِ

فَانْظُرْ فَلَئِنْ أَصَابَ بِتَشْبِيهِهِ مَمْدُوحَهُ بِالْمُثَقَّفِ، وَبِالحُسَامِ المُرهَفِ، لِنَفَاذِ عَزْمَتِهِ فِي الصُّمِّ الصِّلَاد، وَلِمَضَائِهَا فِي الخُطُوبِ الشِّدَاد، فَلَقَدْ أَخْطَأَ خَطَأً شَنِيعًا مَا سُمِعَ بِمِثْلِه، وَمَا فَاهَ بِنَظِيرِهِ أَحَدٌ مِنْ قَبلِه؛ لِأَنَّهُ شَبَّهَهُ بِالْمُثَقَّفِ وَصَيَّرَهُ لَمْ يَعْرِفْ مَرْكَزًا سِوَى المَجْدِ، وَبِالحُسَامِ وَجَعَلَهُ لَمْ يَأْلَفْ سِوَى الحَمْدِ مِنْ غِمْدِ، فَكَأَنَّ المَجْدَ وَالحَمْدَ اللَّذَينِ مَا زَالَ يَذُبُّ عَنْ حَوْزَتَيهِمَا زُمَرَ أَعْدَائِهِ، هُمَا مِن كَواشِحِ عَلَائِهِ، فَأَرَادَ أَنْ يُظهِرَ اسْتِطَالَتَهُ عَلَيهِمَا، وَمَضَاءَ عَزمَتِهِ فِيهِمَا، وَكَأَنَّهُمَا مَا زَالَا يَبغِيانِ عَلَيهِ وَيَزدَادَانِ تَمَرُّدًا، فَصَيَّرَهُ سِنَانًا وَحُسَامًا لَمْ يَأْلَفْ سِوَاهُمَا مَرْكَزًا وَمَغْمَدًا، وَلَعَمْرِي مَا لَهُ لَا يَتَعَقَّلُ مَا نَهَجَتهُ الشُّعَرَاءُ فِي ذَلِكَ فَيَتَجَنَّبُ مِنْ مَقَالِهِ هَذَا مَا هُوَ فِيهِ سَالِكٌ، مِن مُخَالَفَتِهِ لَهَا فِي هَذَا المَقَام، أَلَم يَرَهَا تَشْبَهُ مَنْ يَمْدَحُهُ تَارَةً بِالسِّنَانِ وَأُخرَى بِالحُسَام، وَتَجعَل حَالَةَ وَصْفِهَا لَهُ بِالسِّنَانِ مَرْكَزه مِن عَدَاهُ الصُّدور، وَحَالَة وَصفهَا لَهُ بِالحُسَامِ غِمدُهُ مِنْهُم النُّحُور، فَعَلَى هَذَا يَكونُ المَركَزُ وَالغِمدُ هُنَا كِنَايةً عَنْ شِدَّةِ بَطشِهِ فِيهِم، وِجلْبِ المَنَايَا إِلَيهِم؛ لِأَنَّهُ إِذَا رَكَزَ الرُّمْحَ فِي صُدُورِهَا

(١) في (الأصل): (الاتباع) محذوفة.

خَرَقَهَا، وَإِذَا خَرَقَهَا أَزْهَقَ أَنْفُسَهَا، وَكَذَلِكَ إِذَا أَغْمَدَ السَّيفَ فِي نُحُورِهَا قَطَعَهَا، وَإِذَا قَطَعَهَا تموتُ فَتُقَاسِي بِهَا أَقَارِبُهَا تَفَجُّعهَا، فَإِذَا تَحَقَّقَ أَنَّ الرَّكزَ وَالغِمدَ هُنَا كِنَايَةً عَمَّا ذَكَرَ، فَكَيفَ السَّيِّدُ -سَلَّمَهُ اللهُ- يُصَيِّرُهُمَا فِي المَجْدِ وَالحَمْدِ؟! وَفِي سُوءِ هَذَا التَّعْبِيرِ لَمْ يَشْعُرْ، وَلَيْتَ شِعرِي أَتَرَاهُ لَوْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ هُوَ أَعَزُّ عَلَيهِ مِن كُلِّ أَحَدٍ، وَأَرَادَ مَدحَهُ وَاحِدٌ مِن أَهْلِ الكَمَالِ، فَقَالَ فِيهِ مِثلَمَا قَالَ أَنَّ وَلَدَكَ هَذَا سِنَانٌ مُثَقَّفٌ مَركَزُهُ فِي صَدْرِكَ، وَصَارِمٌ مُرهَفٌ غِمْدُهُ فِي نَحْرِكَ، أَتَرَاهُ يَطرِبُ لِهَذَا الإِطرَاءِ؟! وَتَبْتَهِجُ نَفْسُهُ بِبَدَائِعَ هَذَا الثَّنَاءِ؟! أَمْ يَتَمَيَّزُ مِنَ الغَيظِ غَضَبًا، وَتَضْطَرِمُ أَحْشَاؤُه تَلَهُّبًا؟! فَإِنْ كَانَ يُزْعِجُهُ ذَلِكَ، فَكَيفَ لِمَا لَمْ يَحْسُنْ إِتْيَانُهُ أَتَى بِهِ وَمَا اجْتَنَبَهُ؟! وَمَعَ ذَلِكَ يَزْعَمُ مِنْ غَيرِ شُعُورٍ أَنَّهُ لِمَمْدُوحِهِ بِهَذَا الغَلَطِ المُفْرِطِ قَدْ أَطْرَبَهُ، أَمَا دَرَى قَد أَطْبَقَتْ كَافَّةُ الشُّعَرَاءِ عَلَى وَصفِ المَمْدُوحِ فِي حَالَةِ الحَربِ بِهَذِهِ الصِّفَةِ، وَلَمْ تَكُنْ فِيهَا لِغَيرِ مَقَامَاتِ الحَرْبِ مُنْصرفة، وَأَشْعَارُهُم بِذَلِكَ كَثِيرةٌ لَم يُمْكِنْ أَنْ يُحصَى لَهَا عَدَد، وَهِيَ بِمَا ذَكرنَاهُ تَشْهَد، وَمَا أَحْسَنَ قَولَ بَعضِهِم وَأَلطَفَهُ، فَلَقَد أَبدَعَ غَايَةَ الإِبدَاعِ فِي مَدْحِ مَنْ وَصَفَهُ بِهَذِه الصِّفَة: [من المتقارب]

١. وَمُفْتَرَقُ العَزَمَاتِ ارْتَبَى ... بِحِجْرِ الوَغَى وَبِصَدْرِ النَّدِي

٢. تَجَرَّدَ دُونَ المَعَالِي يَحُوطُ ... حَرِيمَ المَكَارِمِ وَالسُّؤْدُدِ

٣. نَضَتْهُ يَمِينُ العُلَا مُرْهَفًا ... كَسَاهُ صَقَالًا سَنَا المَحْتِدِ

٤. مُدِيمُ التَّجَرُّدِ لَكِنَّهُ ... بِغَيْرِ المَفَارِقِ لَمْ يُغْمَدِ

٥. وَهَزَّتْهُ رُمْحًا عَلَى مِثْلِهِ ... أَنَامِلُهَا الدَّهْرَ لَمْ تُعْقَدِ

٦. فَمِنْهُ بِكَفِّ العَلَاءِ المَهَزُّ ... وَمَرْكَزُهُ فِي حَشَا الحُسَّدِ

وَمِنْ هَذَا النَّمَطِ مَا يَظهَرُ مِنْ مَعنَاهُ صَرِيحًا أَنَّ مَا اسْتَعمَلَهُ السَّيِّدُ مِنْ أَفْحَشِ الغَلَطِ، وَهوَ قَولُ بَعْضِهِم حَيثُ إِنَّهُ شَبَّهَ مَمْدُوحَهُ بِالمِقْضَبِ، وَأَبَانَ مَا يُرَادُ بِغِمْدِهِ فِي النُّحُورِ حَالَةَ القَرْعِ وَالضَّرْبِ، وَهوَ: [من الرجز]

١. يَا صَارِمَ المَجْدِ الَّذِي فِي لَمْعِهِ جَلَا مِنَ الهَيْجَاءِ دَاجِي نَقْعُهَا
٢. مَا اعْصَوْصَبَتْ كَتِيبَةٌ خَرْسَاءُ فِي خُرْصَانِهَا وَاسْتَمْنَعَتْ بِنَبْعِهَا
٣. إِلَّا انْتَضَاهُ مَجْدُهُ صَفِيحَةً تَخْطِفُ أَبْصَارَهُمُ مِنْ لَمْعِهَا
٤. إِنْ قِيلَ قَدْ أُغْمِدَ فِي الطُّلَى دَرَتْ عُلَاهُ ذَا كِنَايَةٌ عَنْ قَطْعِهَا
٥. لِأَنَّهَا مُذْ طُبِعَتْ شَفْرَتُهُ قَدْ عَرَفَتْ قَطْعَ الطُّلَى مِنْ طَبْعِهَا

وَمِنْ هَذَا المَنْهَجِ الوَاضِحِ مَا هُوَ لِاسْتِعْمَالِ السَّيِّدِ فَاضِحِ، وَهوَ قَولُ بَعْضِهِمْ: [من الرجز]

١. مَا هُوَ دُونَ المَجْدِ إِلَّا أَسْمَرٌ وَأَبْيَضٌ مَاضِي الغِرَارِ مُرْهَفُ
٢. يُغْرَسُ فِي الأَحْشَاءِ بِالطَّعْنِ وَلِطْ طُلَى إِذَا أُغْمِدَ فِيهَا يَقْطِفُ

وَهَذَا ظَاهِرٌ فِي الشِّعرِ جِدًّا لَم يَحتَجْ إِلَى بَيَانٍ يَكْشِفُهُ؛ لِأَنَّهُ مِنْ ظُهُورِهِ حَتَّى الأَطْفَالَ تَعْرِفُهُ، وَذَلِكَ يُفْهَمُ بِالبَدِيهَةِ، أَنَّ الرُّمْحَ قَصَبَةٌ وَالصَّارِمُ حَدِيدَةٌ، وَالثَّمَرَةُ فِي تَشْبِيهِ المَمْدُوحِ بِهِمَا، عَظُمَ مَا يَنْبَعِثُ مِنْهُمَا، مِنْ خَرقِ الصُّدُورِ وَفَرْي النُّحُورِ؛ لِأَنَّ بِذَلِكَ تَزهَقُ أَنْفُسُ الصَّنَادِيدِ، فِي اليَومِ العَبوس الشَّدِيدِ، وِالمَلحُوظُ مِنهُمَا هَذَا المَعنَى لَا غَير، لَا أَنَّ فِي الرُّمْحِ صِفةً غَيرَ هَذَا تُقْصَدُ، وَلَا فِي الصَّارِمِ المُهَنَّد، وَأَنْتَ إِذَا جَرَّدتَ مِنهُمَا هَذِهِ الصِّفَةَ؛ لَمْ تَجِدْ فِيهِمَا غَيرَ هَذِهِ صِفَةً مُسْتَظْرَفَةً، وَلَـمَّا كَانَتْ هَذِهِ الصِّفَةُ مَعلُومَةً فِيهِمَا اكتَفُوا فِي نَفْسِ التَّشْبِيهِ بِهِمَا، وَلَم يَتعَرَّضُوا لِمَا يُصْدِرُ حَالَةَ الطَّعْنِ وَالضَّربِ مِنْهُمَا؛ لِأَنَّهُ لِكَثْرَةِ وُقُوعِهِ مِنْهُمَا غُرِسَتْ فِي الأَنْفُسِ مَهَابَتُهُ، وَاسْتَوْثَقَتْ مِنَ القُلُوبِ مَخَافَتُهُ، وَمِنْ نَفْسِ ذِكرِهِمَا تَفْزَعُ الأَنْفُسُ، لَـمَّا شَاهَدَتْ مَا يَكونُ فِي الحَرْبِ مِنْهُمَا، وَفِي هَذَا المَسْلَكِ الظَّاهِرِ الجَلِيّ قَالَ مِهيَارُ الدَّيلَمِيّ:[1] [من الرجز]

يَهُزُّ مِنْكَ صِعْدَةً خَطَّارَةً عَلَى العِدَى وَيَنْتَضِيكَ مُنْصُلا

(١) ديوان مهيار الديلميّ ٣/ ٢٠٥.

وَكَذَلِكَ مُسْلِمُ ابنُ الوَلِيدِ الأَنْصَارِي:[1] [من البسيط]

سَلَّ الخَلِيفَةُ سَيْفًا مِنْ بَنِي مَطَرٍ أَقَامَ قَائِمُهُ مَنْ كَانَ ذَا مِيَلِ

وَقَالَ السَّيِّدُ الرَّضِيُّ:[2] [من الكامل]

الصَّارِمُ المَشْهُورُ يُنْذِرُ نَفْسَهُ فَخُذُوا الحَذَارَ مِنَ الحُسَامِ المُغْمَدِ

وَقَالَ أَبُو بَكرٍ يَحيَى بنُ بَقِي الأَنْدَلُسِيُّ:[3] [من الكامل]

١. مُدَّتْ عَلَيهِ مِنَ الوَقَارِ سَكِينَةٌ فِيهَا حَفِيظَةُ كُلِّ لَيْثٍ مُخْدِرِ

٢. مِثْلُ الحُسَامِ إِذَا انْطَوَى فِي غِمْدِهِ أَلْقَى المَهَابَةَ فِي نُفُوسِ الحُضَّرِ

وَقَالَ أَبُو مَنصُور عَليّ بنُ الحَسَنِ:[4] [من الرجز]

١. مَا كُنْتَ إِلَّا السَّيفَ سَلَّتْهُ يَدٌ ثُمَّ أَعَادَتْهُ إِلَى قِرَابِهِ

٢. هَزَّتْهُ حَتَّى أَبْصَرَتْهُ صَارِمًا رَوْنَقُهُ يُغْنِيهِ عَنْ ضِرَابِهِ

وَقَالَ ابنُ عُنَينٍ:[5] [من الكامل]

سَيْفٌ صَقَالُ المَجْدِ أَخْلَصَ مَتْنَهُ وَأَبَانَ طِيبُ الأَصْلِ مِنهُ الجَوْهَرَا

فَكُلُّ مِن هَؤلَاءِ قَصَدَ بِتَشْبِيهِهِ فِيمَا أَنْشَأه المَعنَى الَّذِي ذَكَرنَاه، وَهُوَ وَاضِحٌ يُعرَفُ مِن ظَاهِرِ نَظمِهِم، وَصَرِيحِ مَعنَى كَلِمِهِم مِنَ هَذَا التَّحْذِيرِ وَالإِنذَارِ عَن وُقُوعِ مَا يَصدُرُ

(١) شرح ديوان صريع الغواني ٧.
- مرَّت ترجمته في ٢٧٧.

(٢) ديوان الشريف الرضيّ ١/ ٢٧٢.

(٣) ابن بَقِيّ: يَحيَى بنُ عَبدِ الرَّحمَنِ بنِ بَقِيٍّ الأَندَلُسِيُّ القُرْطُبِيُّ، أَبو بَكرٍ: شَاعِرٌ، مِن أَهلِ قُرطُبَة، اشْتَهَرَ بِإِجَادَةِ المُوَشَّحَاتِ، وَتَنَقَّلَ فِي كَثِيرٍ مِن بِلَادِ الأَندَلُسِ التِمَاسًا لِلرِّزقِ. تُوفِّيَ سَنَةَ (٥٤٠هـ/ ١١٤٥م). ينظر: الأعلام ٨/ ١٥٢، ومعجم المؤلِّفين ١٣/ ٢٠٥.

(٤) ديوان صَرَّدُر ٨٨.
- أَبُو مَنصُور عَليّ بنِ الحَسَنِ (صَرَّدُر)، مرَّت ترجمته.

(٥) ديوان ابن عنين ٦.

مِن مَصْقُولِ الغِرَارِ، وَغَير ذَلِكَ مِنَ الأَمَارَاتِ الوَاضِحَاتِ وَالقَرَائِنِ الظَّاهِرَاتِ، كيُغْنِي عَنِ الضَّرَابِ رَوْنَقُهُ، وَيُقِيمَ مَن كَانَ ذَا مَيلٍ قَائِمُهُ وَدَعْ عَنْكَ هَذَا كُلَّهُ لَو فَرَضْنَا أَنَّهُ يَسُوغُ لِلسَّيِّدِ مَا اسْتَعْمَلَهُ.

أَوَلَيْسَ الَّذِي اسْتَعْمَلَهُ أَنَّهُ رَأَى الشُّعَرَاءَ تُشَبِّهُ المَمْدُوحَ بِالسِّنَانِ وَالمُهَنَّدِ وَتَجعَلُ مِنَ العِدَى الصُّدُورَ وَالرِّقَابَ لَهُ مَرْكَزًا وَمَغْمَدا، وَهُوَ اقْتَفَى أَثَرَهُم فِي ذَلِكَ إِلَّا أَنَّهُ جَعَلَ المَجْدَ وَالحَمْدَ مَرْكَزًا وَمَغْمَدا، فَعَلَى طَرِيقَتِهِ هَذِهِ يَنْبَغِي أَنَّ كُلَّ مَا اسْتَعمَلَهُ الشُّعَرَاءُ فِي الحَرب، كَهَذَا التَّشْبِيهِ الَّذِي شَبَّهَتْ فِيهِ المَمدُوحَ بِالسِّنَانِ وَالعَضْب، يَجوزُ أَنْ يَسْتَعْمِلَهُ اسْتِعْمَالَهُ المَعرُوفَ، وَيَكونُ عِندَ كَافَّةِ الظُّرفَاءِ مَأْلُوفًا.

فَإِنْ كَانَ الأَمرُ كَذَلِكَ؛ فَالشُّعَرَاءُ مَرَّةً تُشَبِّهُ المَمْدُوحَ بِالسِّنَانِ وَالحُسَام، وَتَارَةً بِالأَسَدِ الضِّرْغَام، وَطَوْرًا تَقُولُ: صَاعِقَةٌ نَزَلَت عَلَى أَعْدَائِهِ، وَكَوكَبٌ انْقَضَّ عَلَيهِم مِن سَمَائِهِ، وَشِهَابٌ سَقَطَ عَلَيهِمْ فَأَحْرَقَهُم، وَطَاعُونٌ حَلَّ بِهِم فَأَهْلَكَهُمْ.

أَ فَيُحسُنُ عِندَهُ إِذَا مَدَحَهُ وَلَدُه أَنْ يَقُولَ لَهُ مَا أَنْتَ إِلَّا كَوكَبٌ انقَضَّ عَلَى الشَّرَفِ الوَضَّاحِ، وَصَاعِقَةٌ نَزَلَتْ عَلَى المَجْدِ الصُّرَاحِ، وَشِهَابٌ سَقَطَ عَلَى المَكرُمَاتِ، وَطَاعُونٌ حَلَّ بِأَبيَاتِ العُلَا السَّامِيَات.

فَإِنْ كَانَ هَذَا لَمْ يَحسُنْ عِندَهُ فَهوَ وَذَاكَ فِي مَورِدٍ وَاحِدٍ إِلَّا أَنَّ هَذَا أَهْجَن مِنهُ، وَأَنَا إِنَّمَا ذَكَرتُ هَذِهِ النَّظَائِرَ لِقَولِهِ، وَعَظَّمْتُ ضَربِي لَهُ الأَمْثِلَةَ، لِأُبْدِهِ صَرِيحًا زَلَلَه، حَتَّى لَا يَتَخَيَّلَ مُتَخَيِّلٌ وَلَو أَنَّهُ كَانَ مِنْ غَيرِ أَهْلِ الفَنِّ أَنِّي مُفْتَرٍ عَلَيهِ بِمَا اعْتَرَضْتُ، وَمُخْفٍ لِفَضْلِهِ فِي جَمِيعِ مَا بِهِ تَكَلَّمْتُ، وَلَو أَنَّهُ -سَلَّمَهُ اللهُ- مِنْ أَهْلِ هَذَا الفَنِّ، وَعَارِفٌ بِتَصَرُّفِ الشُّعَرَاءِ فِي النَّظْمِ وَأَحَبَّ هَذَا المَعنَى الَّذِي تَسْتَعْمِلُهُ الشُّعَرَاءُ فِي حَالَةِ الحَرب، أَنْ يَنْقِلَهُ إِلَى حَالَةِ السِّلمِ لَاحْتَالَ لَهُ بِمَا يُقَرِّبُهُ لِذَلِكَ مِنْ حَرَكَاتِ تَصَرُّفِ الأُدَبَاءِ، وَنُكَتِ اسْتِعْمَالِ الظُّرفَاءِ؛ لِأَنَّ الشَّاعِرَ المُفْلِقَ لَا يُعْجِزُهُ شَيءٌ فِي نَظمِ الشِّعْرِ، وَلَا يَعْسُرُ عَلَيهِ، وَكُلُّ شَيءٍ

صَعْبٍ تُصَيِّرُهُ حِدَّةُ فِكرِهِ سَهْلًا لَدَيهِ، مَعَ أَنَّ هَذَا الَّذِي اسْتَعْمَلَهُ السَّيِّدُ وَزَلَّتْ بِهِ القَدَمُ فَعَثَرَ، لَيْسَ مِنَ الأَشْيَاءِ الَّتِي فِي النَّظمِ تَتَعَسَّر، وَمَازَالَت الشُّعَرَاءُ فِي بَادئ النَّظَرِ تَقْلِبُ الهِجَاءَ مَدِيحًا، وَالمَدِيحَ هِجَاءً، وَالرِّثَاءَ غَزلًا، وَالغَزَلَ رِثَاءً، وَهَكَذَا تَفْعَلُ فِي كُلِّ شَيءٍ مِنَ الشِّعرِ بِنِظَامِهَا، وَبَدائِعِ كَلَامِهَا، وَهَذَا ظَاهِرٌ لِدَى كُلِّ أَدِيب، وَفَاضِلٍ أَرِيب، وَلَو نَظَرَ -سَلَّمَهُ اللهُ- كَيفَ فِي الشِّعرِ تَصَرُّفُهَا لَمَا تَوَرَّطَ بِذَلِكَ فِي نِظَامِهِ وَخَالَفَهَا، وَهَا هِيَ تَسْتَعْمِلُ أَشيَاءَ خَاصَّةً فِي الحَرْبِ يَقْبُحُ اسْتِعْمَالُهَا فِي السِّلمِ، وَهِيَ ظَاهِرةٌ كَاسْتِعْمَالِهِ هَذَا لَدَى عَامَّةِ الخِلقِ، فَضْلًا عَمَّنْ لَهُ عِلْمٌ، أَ فَيَجُوزُ -لِكَوْنِهِ رَآهَا تَنْظِمُهَا فِي مَقَامِ تَكَافُحِ الفَوَارِسِ فِي الاصْطِدَام- أَنْ يَنْقُلَهَا فِي نَظْمِهِ إِلَى كُلِّ مَقَام؛ مِن غَيرِ أَنْ يَحتَالَ لَهَا بِشَيءٍ يُقَرِّبُهَا مِمَّا يُنَاسِبُهَا مِنْ ذَلِكَ المَقَامِ الَّذِي يُرِيدُهُ، وَذَلِكَ أَنَّهَا جَرَت عَادَتُهَا أَنْ تَمدَحَ الأَمَاجِدَ فِي الحَرْبِ بِتَغَيُّرِ الوَجْهِ وَتَخَدُّدِهِ بِالجِرَاحِ، وَوَصْلِ السُّيوفِ إِذَا قَصُرنَ بِالخُطَا فِي ضِيقِ مَكَرِّ الكِفَاحِ، وَحَصِّ التَّرِيكِ رُؤُوسَهَا، وَلِبْسِ الصُّوفِ، وَالزَّغْفِ، وَالمَغَافِرِ، وَهَذَا يَقْبُحُ اسْتِعمَالُهُ فِي السِّلمِ؛ إِذْ فِيهِ لِبْسُهَا كُلَّ مِطْرَفٍ فَاخِرٍ.

قَالَ جَريرُ بنُ عَطِيةَ الخَطْفيّ:(١) [من الطويل]

١. وَأَبنَاءُ إِسْحاقَ اللُّيُوثُ إِذَا ارْتَدَوْا ... مَحَامِلَ مَوْتٍ لَابِسِينَ السَّنَوَّرَا(٢)

٢. فَيَومًا سَرَابِيلُ الحَدِيدِ عَلَيهِمُ ... وَيَوْمًا تَرَى خِزًّا وَعَصْبًا مُنَيَّرَا(٣)

وَقَالَ السَّيِّدُ الرَّضِيُّ:(٤) [من الكامل المرفل]

١. مَا التَذَّ لِبْسُ الصُّوفِ إِلْـ ... ـلَا مَنْ تَعَمَّمَ بِالقَتِيرِ

(١) شرح ديوان جرير ٢/ ٤٧٢.

(٢) في (الأصل): (غدوا) في موضع (ارتدوا)، و(محاميل قود يلبسون) بدلًا من (مَحَامِلَ مَوْتٍ لَابِسِينَ).

(٣) ثوبٌ مُنَيَّر: مَنْسُوجٌ عَلَى نِيرَيْنِ؛ عَنِ اللِّحيَانِيِّ. ونِيْرُ الثَّوْبِ: هُدْبُه. (اللسان ٥/ ٢٤٦).

(٤) شرح ديوان الشريف الرضيّ ١/ ٣٢٩.

٢.مُتَخَدِّدُ الخَدَّيْنِ مُغْبَرُّ الذَّوَائِبِ وَالضُّفُورِ[١]

وَقَالَ نَابِغَةُ بَنِي الحَارِثِ ابنِ كَعْبٍ:[٢] [من الكامل]

١.إِنْ تَسْأَلِي عَنَّا سُمَيُّ فَإِنَّنَا يَسْمُو إِلَى قِمَمِ العُلَا أَدْنَانَا
٢.وَتَبِيتُ جَارَتُنَا حَصَانًا عَفَّةً تَرضَى وَيَأْخُذُ حَقَّهُ مَوْلَانَا
٣.وَنَقُومُ إِنْ طَرَقَ المَنونُ بِسَحْرَةٍ لَوْ صَاتَ وَالِدُنَا الَّذِي أَوْصَانَا
٤.أَنْ لَانَفِرَّ إِذَا الكَتِيبَةُ أَقْبَلَتْ حَتَّى تَدُورَ رَحَاهُمُ وَرَحَانَا[٣]
٥.وَتَعِيشُ فِي أَحْلَامِنَا أَشْيَاعُنَا مُرْدًا وَمَا وَصَلَ الوُجُوهَ لِحَانَا
٦.وَإِذَا السُّيوفُ قَصُرْنَ طَوَّلَهَا لَنَا -حَتَّى تُنَاوِلَ مَا نُرِيدُ- خُطَانَا

وَقَالَ آخَرُ:[٤] [من الكامل]

نَصَلِ السُّيوفَ إِذَا قَصُرنَ بِخَطْوِنَا يَومًا وَنُلِحِقَهَا إِذَا لَمْ تَلْحَقِ

وَقَالَ حَمِيدُ بنُ ثَورٍ الهِلَالِيُّ:[٥] [من الطويل]

١.إِلَى أَنْ نَزَلنَا بِالفَضَاءِ وَمَا لَنَا بِهِ مَعْقِلٌ إِلَّا الرِّمَاحُ الشَّوَاجِرُ
٢.وَوَصلُ الخُطَا بِالسَّيفِ وَالسَّيفِ بِالخُطَا إِذَا ظُنَّ أَنَّ المَرءَ ذَا السَّيفِ قَاصِرُ

وَقَالَ الآخَرُ:[٦] [من الطويل]

---

(١) الضُفُورُ: الشَّعْرُ المَضْفُورُ، وَمِنهُ الضَّفيرةُ: أي العَقِيصَة. (اللسان ٤/ ٤٩٠).

(٢) نَابِغَةُ بَنِي الذَّيَّانِ الحَارِثِيُّ، وَاسْمُهُ يَزيدُ بنُ أَبَانَ بنِ عَمرِو بنِ حَزَنِ بنِ زِيَادِ بنِ الحَارِثِ بنِ مَالِكِ ابنِ كَعبِ بنِ الحَارِثِ بنِ كَعبٍ. شَاعِرٌ مُحسِنٌ. المؤتلف والمختلف ٢٥٢.

(٣) في(المؤتلف): (ألا نصد إذا الكماة تقدمت)، وتروى (إذا الكتيبة أحجمت) في موضع (أَنْ لَانَفِرَّ إِذَا الكَتِيبَةُ أَقْبَلَتْ).

(٤) البيت لكعب بن مالك في: طبقات فحول الشعراء ٢/ ٢١٧، وتأريخ دمشق ١٢/ ٤٠١، ومختصر تأريخ دمشق ٦/ ٢٩٤، والأعلام ٥/ ٢٢٨.
- كَعْبُ بنُ مَالِكِ بنِ عَمرِو بنِ القَينِ: مرَّت ترجمته في ٧٨.

(٥) ديوان حميد بن ثور ٢٨٣.

(٦) البيت ذكر في الشعر المنسوب لقيس بن الخطيم، وهو من شواهد كتاب سيبويه. ينظر: ديوان=

إِذَا قَصُرَتْ أَسْيَافُنَا كَانَ وَصْلُهَا خُطَانَا إِلَى أَعْدَائِنَا فَنُضَارِبُ

قَالوا بِكَسرِ (نُضَارِب)؛ لِأَنَّهُ مَعْطُوفٌ عَلَى مَوْضِعِ الشَّرْطِ الَّذِي هُوَ إِذَا.

وَقَالَ أَبو سَعدٍ المَخْزُومِيُّ:(١) [من الخفيف]

١. رُبَّ نَارٍ رَفَعْتُهَا وَدُجَى اللَّيـ ـلِ عَلَى الأَرضِ مُسْبِلُ الطَّيْلَسَانِ
٢. وَأَمُونٍ نَحَرْتُهَا لِضُيوفٍ وَأُلُوفٍ نَقَدْتُهُنَّ لِجَانِي
٣. وَحُرُوبٍ شَهِدتُهَا جَامِعَ القَلْبِ فَلَمْ تُنْكِرِ الكُمَاةُ مَكَانِي
٤. وَإِذَا مَا الحُسَامُ كَانَ قَصِيرًا طَوَّلَتْهُ إِلَى العَدُوِّ بَنَانِي

وَقَالَ بَعْضُهُم يَمْدَحُ صَخْرَ بنَ عَمرِو بنِ الشَّرِيدِ السُّلَمِيُّ:(٢) [من مجزوء الكامل المرفل]

١. إِنَّ ابنَ عَمْرِو بنِ الشَّرِيـ ـدِ لَهُ فَخَارٌ لَا يُرَامُ
٢. وَحِجًا إِذَا عُدِمَ الحِجَا وَنَدًى إِذَا بَخَلَ الغَمَامُ
٣. يَصِلُ الحُسَامُ بِخَطْوِهِ فِي الرَّوْعِ إِنْ قَصُرَ الحُسَامُ

وَمِثْلُهُ قَولُ الآخَرِ:(٣) [من الرجز]

=قيس بن الخطيم ٢٧٤، ويتوصَّل المحقِّق إلى أنَّ البيت للأخنس بن شهاب. ديوان قيس بن الخطيم ٢٧٩.

(١) في (الأصل): (أبو سعيد)، وكذلك في شرح نهج البلاغة ٥/ ١٧٢، وأظنُّه تصحيف.

- عِيسَى بنُ خَالِدِ بنِ الوَلِيدِ، مِن ولدِ الحَارِثِ بنِ هِشَامٍ المَخزُومِيّ، أَبو سَعدٍ: شَاعِرٌ، مِنْ أَهلِ بَغدَادَ، كَثيرُ الشِّعرِ جَيِّدُه، كَانَ يُهَاجِي دِعبلَ بنَ عَلِيٍّ الخِزَاعِيّ، لَهُ مَديحٌ لِلْمَأمونِ، تُوفِّي فِي الرَّيّ وَقَد هَرَبَ إِلَيهَا مِنْ بَغدَادَ (نحو ٢٣٠هـ/ نحو ٨٤٥م). جمع شعره رزوق فرج رزوق، بغداد، مطبعة الإيمان، ١٩٧١م. له ترجمة في: طبقات الشعراء ٢٩٤-٢٩٧، ومعجم الشعراء ١/ ١٤٢، وسمط اللآلي ٥٧٨ وفيه أبو سعيد، والأعلام ٥/ ١٠٢.

- لم ترد الأبيات في شعره.

(٢) بلا عزو في: شرح نهج البلاغة ٥/ ١٧٢، وحماسة القرشيّ ٣٥٦.

(٣) في يتيمة الدهر للحاتميّ من أرجوزة ٣/ ١٤٩، وفي شرح نهج البلاغة: قال الراجز ٥/ ١٧٢.=

يَخْطُو إِذَا مَا قَصَّرَ العَضْبُ الذَّكَرْ خَطْوًا تَرَى مِنْهُ المَنَايَا تُبْتَدَرْ

وَقَالَ الآخَرُ:(١) [من الطويل]

١. مَقَادِيمُ وَصَّالُونَ فِي الرَّوْعِ خَطوَهُم بِكُلِّ رَقِيقِ الشَّفْرَتَينِ يَمَاني

٢. إِذَا اسْتُنْجِدُوا لَمْ يَسْأَلوا مَنْ دَعَاهُمُ لِأَيَّةِ حَرْبٍ أَمْ بِأَيِّ مَكَانِ

وَقَالَ الآخَرُ:(٢) [من البسيط]

إِذَا الكُمَاةُ تَنَحُّوا أَنْ يُصِيبَهُمُ حَدُّ السُّيُوفِ وَصَلنَاهَا بِأَيْدِينَا

وَقَالَ الآخَرُ:(٣) [من الطويل]

وَصَلنَا الرِّقَاقَ المُرْهَفَاتِ بِخَطْوِنَا عَلَى الهَوْلِ حَتَّى أَمْكَنَتْنَا المَضَارِبُ

=- الحاتِميّ مُحَمَّدُ بنُ الحَسَنِ بنِ المُظَفَّرِ، أَبُو عَليٍّ الحَاتَميُّ، نِسبَةً إِلَى جَدٍّ لَهُ اسمُهُ (حَاتم)، مِن أَهلِ بَغدادَ، أَديبٌ نَقَّادٌ، له (الرسالة الحاتميَّة-ط)، ومنها (الموضحة) في نقد شعر المتنبِّي، و(حلية المحاضرة-خ) في الأدب والأخبار، و(سرُّ الصناعة) في الشعر، وغيرها، توفِّي سنة (٣٨٨هـ/ ٩٩٨م). له ترجمة في: تأريخ بغداد ٢/ ٢١٠، ومعجم الأدباء ٦/ ٢٥٠٥، وإنباه الرواة ٣/ ١٠٣، ووفيات الأعيان ٤/ ٣٦٢، وتأريخ الإسلام ٨/ ٦٣٩، والوافي بالوفيات ٧/ ٢٤٢، وبغية الوعاة ١/ ٨٧، والأعلام ٦/ ٨٢، ومعجم المؤلِّفين ٩/ ٢٢٢.

(١) لوداك بن ثميل المازنيّ في: العقد الفريد ٦/ ٥٩، وحماسة الخالديِّين ٤٦، والتنبيه على أوهام أبي عليّ في أماليه ٥٥، وسمط اللآلي ١/ ٤٢١، والتذكرة الحمدونيَّة ٢/ ٤٠٣، ونهاية الأرب في فنون الأدب ٣/ ٢٢٩، وخزانة البغداديّ ٧/ ٣٣.

- وَدَّاك بن سنان ثُمَيْل المَازِنِيُّ: شَاعِرٌ، مِنَ الفُرسَانِ، وهو من شعراء الحماسة.

المبهج ٨١، الأعلام ٨/ ١١١.

(٢) لأبي مخزوم النهشليّ في: الكامل في اللغة ١/ ٩٥، والحماسة المغربيَّة ١/ ٦٢٦، وخزانة البغداديّ ٧/ ٣٢، ولنهشل بن حري المازنيّ في: عيار الشعر ١٠٤/ ٣٢٢، وزهر الآداب ٤/ ١١٥٩، ولوداك بن ثميل في حماسة الخالديّين ٤٦/ ٣٨٠، وللفرزدق في شرح الحماسة للمرزوقيّ ٨١/ ٤٢١، ولبعض بني قيس بن ثعلبة في التذكرة الحمدونيَّة ٢/ ٤٠٢، ونهاية الأرب ٣/ ٢٢٩، ونسبه الزبيديّ لبشامة بن حزن في تاج العروس ٣٨/ ٥٢١.

(٣) لرجل من بني نمير في: البيان والتبيين ٣/ ١٩، والمجموع اللفيف ٤٤٨، وشرح نهج البلاغة ٥/ ١٧٣، وخزانة البغداديّ ٦/ ٢٢٢.

وَقَالَ بَعْضُ الرُّجَّازِ:[1] [من الرجز]

الطَّاعِنُونَ فِي النُّحُورِ وَالكُلى وَالوَاصِلُونَ لِلسُّيُوفِ بِالخُطَا

وَمِنَ المَعنَى الَّذِي نَحنُ بِذِكْرِهِ، مَا رُوِيَ أَنَّ رَجُلًا مِنَ الأَزدِ رَفَعَ إِلَى المُهَلَّبِ سَيْفًا لَهُ، وَقَالَ:

يَا عَم، كَيفَ تَرَى سَيْفِي هَذَا؟!

فَقَالَ: إِنَّهُ لجَيِّدٌ لَولَا أَنَّهُ قَصِيرٌ.

قَالَ: طُولُهُ يَا عَم بِخُطْوَتِي.

فَقَالَ: وَاللهِ يَا ابنَ أَخِي إِنَّ المَشْيَ إِلَى الصِّينِ وَإِلَى أَذْرَبيْجَانَ عَلَى أَنْيَابِ الأَفَاعِي أَسهَلُ مِنْ تِلكَ الخُطوَةِ، وَلَمْ يَقُلِ المُهَلَّبُ ذَلِكَ جُبْنًا؛ بَلْ قَالَ مَا تُوجِبُهُ الصُّورَةُ، إِذْ كَانَتْ تِلْكَ الخُطْوَةُ قَرِينَةَ المَوتِ[2].

قَالَ البُحْتُرِيُّ:[3] [من الكامل]

حَصَّ التَّرِيكُ رُؤُوسَهُم فَرُؤوسُهُم فِي مِثلِ لَألَاءِ التَّرِيكِ المُذْهَبِ[4]

وَقَالَ قَتَادَةُ بنُ مَسلَمَةَ الحَنَفِيُّ:[5] [من الكامل]

١. وَمَعي أُسُودٌ مِنْ حَنِيفَةَ فِي الوَغَى لِلْبِيضِ فَوْقَ رُؤُوسِهِم تَوْسِيمُ

٢. قَوْمٌ إِذَا لَبِسُوا الحَدِيدَ كَأَنَّهُمْ فِي البِيضِ وَالحَلَقِ الدِّلَاصِ نُجُومُ

---

(١) بلا عزو في: البيان والتبيين ٣/ ١٩، وخزانة البغداديّ ٦/ ٢٢٣، وفيهما جاء العجز برواية (شزرًا وصالوا السيوف بالخطا)، وشرح نهج البلاغة ٥/ ١٧٣.

(٢) حماسة الخالديّين ٣٠.

(٣) ديوان البحتريّ ١/ ٨٢.

(٤) حَصَّ رُؤُوسَهم: حَلَقَهَا، فالحَصُّ: حَلْقُ الشَّعرِ. (التاج ١٧/ ٥١٦)، والتَّرِيكَةُ: بَيضَةُ الحَدِيدِ للرَّأْسِ، قيل: على التَّشْبِيه بالتَّرِيكَةِ الَّتِي هِيَ البَيضَة، ترائِكُ وتَرِيكٌ. (التاج ٢٢٧/ ٩٢).

(٥) ينظر: شرح ديوان الحماسة للمرزوقيّ ٥٤٧، والتبريزيّ ٣٢١.

وَقَالَ مُحَمَّد بنُ هَانِئ المَغْرِبِيُّ[1]:[2] [من الكامل]

فِي فِتْيَةٍ صَدَأُ الدُّرُوعِ لِبَاسُهُمْ وَخَلُوقُهُمْ عَلَقُ النَّجِيعِ الأَحْمَرِ

وَمِنْ مَعَايِبِ هَذِهِ القَصِيدَةِ المُسْتَبْشَعَةِ وَمَقَابِحِهَا المُسْتَشْنَعَةِ قَولُهُ -سَلَّمَهُ اللهُ- فِي خِتَامِهَا:

وَلَمْ يَقْضِ مِنْ قَصْد سِوَاكَ وَلَمْ يَكُنْ بِبَابِكَ إِلَّا لِلْوَرَى مُنْتَهَى القَصْدِ

أَقُولُ: لِقَولِهِ، لَمْ يَكُنْ يَلزِمُهُ -مِن حَيثُ حُكْمُ هَذَا النَّفْيِ العَامِ- أَنْ يَسْتَثْنِي بَابَ المَمْدوحِ فَيقُول: إِلَّا بِبَابِكَ؛ فَيَسْتَثْنِيهَا مِنْ جَمِيعِ أَبوَابِ الخَلْقِ، لِتَكونَ هِيَ لَا غَير مَقْصَدًا لِلْوَرَى؛ لَا أَنَّهُ يَسْتَثْنِي الوَرَى فَيَقُولُ:

بِبَابِكَ إِلَّا لِلْوَرَى مُنْتَهَى القَصْدِ

وَهَذِه قَاعِدَةٌ مُطَّرَدَةٌ بَينَ النُّحَاةِ مَعرُوفَةٌ لَا يَجوزُ عِندَهُم تَقْدِيمُ المُستَثْنَى عَلى أَدَاةِ الاسْتِثْنَاءِ، خُصُوصًا (إِلَّا)؛ لِأَنَّ مَقَامَهَا مَقَامُ حَصْرٍ، وَهِيَ تَلي المَحْصُورَ وَلَا يَتَقَدَّمُ عَلَيهَا، وَمَسْلَكُ السَّيِّدِ -سَلَّمَهُ اللهُ- كُلُّهُ عَلَى هَذَا الهَذْر، وَمَا فِي شِعْرِهِ مَا يَروقُ الظُّرَفَاءَ ذَوي النَّظَرِ.

---

(١) في (الأصل): (محمَّد بن هانئ الأندلسيّ).

- ابنُ هَانِئ الأَندَلُسيُّ: مُحَمَّد بنُ هَانِئٍ الأَزدِيُّ الأَندَلُسِيُّ الشَّاعِرُ المَشهورُ، كَانَ أَبوهُ هَانِئٌ مِن قَريَةٍ مِن قُرَى المَهديَّةِ بِأَفريقِية، وَكَانَ شَاعِرًا أَدِيبًا، فَانْتَقَلَ إِلَى الأَندَلُس، فَوُلِدَ لَهُ فِيهَا مُحَمَّدٌ المَذكورُ بِمَدينةِ إِشبِيلَية وَنَشَأَ فِيهَا وَاشْتَغَلَ، وَحَصَلَ لَهُ حَظٌّ وَافِرٌ مِنَ الأَدَبِ وَعَمَلِ الشِّعرِ فَمَهَرَ فِيهِ، وَكَانَ حَافِظًا لِأَشعَارِ العَربِ وَأَخبَارِهِم، وَاتَّصَلَ بِصَاحِبِ إِشبيليَة وَحَظِيَ عِندَهُ، وَكَانَ كَثِيرَ الانهِمَاكِ فِي المَلاذِّ مُتَّهمًا بِمَذهَبِ الفَلَاسِفَةِ، وَلَمَّا اشْتَهَرَ عَنهُ ذَلِكَ نَقَمَ عَلَيهِ أَهلُ إِشْبِيلية، فَانْفَصَلَ عَنهَا وَعُمرُه يَومَئِذٍ سَبعةٌ وَعِشرونَ عَامًا، ثُمَّ تَقَلَّبَت بِهِ الأَحوَالُ حَتَّى قُتِلَ فِي بَرقَةَ سَنَةَ (٣٦٢هـ).

وفيات الأعيان: ٤/ ٤٢١، والوافي بالوفيات ١/ ٢٦٠، وجواهر الأدب ٢/ ١٩٧، والفن ومذاهبه ٤١٩.

(٢) ديوان ابن هانئ الأندلسيّ ١٦٢.

وَوَقَفْتُ لَهُ عَلَى قَصِيدَةٍ بَائِيَّةٍ هِيَ أَيْضًا فِي مَدحِ قَمَرِ الشَّرَفِ الوَاضِحِ الحَاجِّ مُحَمَّد صَالِحٍ، وَوَجَدْتُهُ مُقَرِّضًا عَلَيهَا فِي فِقَرَاتٍ أَبَانَ بِهَا أَنَّهُ مُعَرِّضٌ فِي غَزَلِهَا بِوَلَدِهِ، وَمَضْمُونِهِ أَنَّهُ مُلْتَمِسٌ مِنْ مَمْدُوحِهِ أَنْ يُعَجِّلَ إِلَيهِ سَبَبَ رِفْدِهِ، وَيُرْجِعُهُ إِلَيهِ؛ لِأَنَّهُ قَدْ عَزَّ فِرَاقُهُ عَلَيهِ، وَلَـمَّا اسْتَطْرَدْتُ فِي غَزَلِهَا وَجَدتُهُ مَسْخَرَة، وَهوَ بِزَعمِهِ أَنَّهُ أَجَادَ تَنمِيقَهُ وَتَحرِيرَه، وَهوَ إِذَا عُرِضَ حَتَّى عَلَى مَنْ لَا ذَوْقَ لَهُ بِالأَدَبِ وَفُنُونِهِ يَرَاهُ مِـمَّا تَأبَاهُ أَهلُ الغِيرَةِ؛ مِنْ حَيْثُ أَنَّهُ يَرَاهُ جَعَلَ وَلَدَهُ عُنْوَانَ غَزَلِ شَاعِرٍ مُتَهَتِّكٍ بِحُبِّ المُرْدِ لَا يَقْبَلُ مِنْ عُذَّالِهِ النَّصِيحَةَ، وَلَا يَخشَى مِنَ الفَضِيحَة، مُتَجَاهِرٍ فِيهِ بِالغَرَامِ، وَنَشْرِ مَحَاسِنِ جِسْمِهِ بَينَ الأَنَام، يَصِفُ مِنهَا حُسنَ عُضوٍ فَعُضوٍ وَيَتَشَوَّقُ، عَن قَلبٍ كَلِفٍ بِحُبِه يُحْرَق، وَلَمْ تَجِدْ فِي هَذَا الغَزَلِ الشَّنِيعِ رَائِحَةَ التَّعْرِيضِ البَتَّةَ؛ لِأَنَّهُ قَدْ صَرَّحَ فِي نَظْمِهِ الَّذِي تَضَمَّنَ وَصْفَهُ وَنَعْتَهُ، إِنَّهُ هُوَ المَعْنِيُّ بِهَذَا الوَصْفِ لَا غَيرَ مِنْ جَاذَر الإِنْسِ البَدِيعَةِ الجَمَالِ، الَّتِي كَأَنَّهَا مِن حُسنِهَا سُرِقَتْ مِنْ وُلْدَانِ الجِنَانِ، عَلَى أَنَّهُ لَوْ كَانَ تَعْرِيضًا وَهُوَ مِنَ الغَزَلِ بِهذِهِ الصِّفَةِ؛ لَكَانَ هَذَا التَّعْرِيضِ عِندَ أَرْبَابِ هَذَا الفَنِّ شَنْعَة؛ لِأَنَّهُ صَيَّرَ نَفْسَهُ عِندَ مَمْدُوحِهِ مُغْرَمًا بِذَلِكَ الظَّبْيِ الأَغَنِّ الأَغَرِّ، وَمَا اكْتَفَى بِذَلِكَ حَتَّى شَكَا إِلَيهِ وَلَوْعه، وَهَذَا مِمَّا لَا يُخَاطَبُ بِهِ العُظَمَاءُ ذَوو الخَطَرِ، وَهوَ مِنَ المَعلُومَاتِ البَدِيهِيَّةِ الَّذِي تَأبَاهُ ذَوو الحَمِيَّةِ، وَذَا غَزَلُ قَصِيدَتِه بِرِمَّتِهِ، فَانْظُرْ إِلَيهِ فَإِنَّكَ تَجِدُ بِمُجَرَّدِ النَّظَرِ كَيفَ بِالنَّظْمِ يَخُوضُ فِي بِحَارِ الخَطَأِ طَائِرُ فِكْرَتِهِ: [من الكامل]

١. كَمْ لَاحَ فِي فَلَكِ الرُّصَافَةِ كَوْكَبُ ... بِسُعُودِه شَمْلُ النُّحُوسِ مُشَعَّبُ

٢. وَبِوَجْهِهِ شَقَّ الصَّبَاحُ عَمُودَهُ ... لَـمَّا اسْتَشَاطَ مِنَ الجُعُودِ الغَيْهَبُ

٣. مُتَنَقِّبٌ بِبَنَانِهِ فَكَأَنَّهُ ... قَمَرُ السَّمَا بِهِلَالِهِ مُتَنَقِّبُ

٤. وَكَأَنَّمَا الشَّمْسُ المُنِيرَةُ خَدُّهُ ... وَالنَّجْمُ قُرطٌ فَوْقَهُ يَتَذَبْذَبُ

٥. يَا مَنْ بِهِ غَنَّى (طُوَيْسُ) وَ(مَعْبَدٌ) ... وَبِهِ اسْتَشَارَ (مُهَلْهِلٌ) وَ(مُهَلَّبُ)[1]

(١) طُوَيْس: عِيسَى بنُ عَبدِ الله، مَولىَ بَنِي مَخزوم: أَوَّلُ مَنْ غَنَّى فِي المَدينَةِ. كَانَ ظَرِيفًا، عَالِمًا بِتَارِيخِ المَدينَةِ وَأَنسَابِ أَهلِهَا، يُجِيدُ النَّقرَ عَلَى الدَّفِّ. وُلِدَ فِي المَدينَةَ وَأَقَامَ إِلَى أَيَّامِ مَروانَ بنِ=

٦. وَبِسَيْفِ جَفْنَيهِ تَقَلَّدَ (عَامِرٌ) وَبِرُمْحِ قَامَتِهِ تَقَدَّمَ (مَرْحَبُ)[1]

=الحَكم، فَانْتَقَلَ إِلَى السُّويدَاءِ فَلَمْ يَزَل فِيهَا إِلَى أَنْ تُوفِّيَ سنة (٩٢هـ/ ٧١١م). وَفِيهِ المَثَلُ: «أَشأَمُ مِنْ طُوَيْس». له ترجمة في: وفيات الأعيان ٣/ ٥٠٦، وتأريخ الإسلام ٢/ ١١١٩، وسير أعلام النُّبلاء ٤/ ٣٦٤، والوافي بالوفيات ١٦/ ٢٨٧، وفوات الوفيات ٢/ ١٣٧، ونزهة الألباب ١/ ٤٤٨، وكنوز الذهب ٢/ ٤٧، والأعلام ٥/ ١٠٥، وطبقات النسَّابين ٢٤.

- مَعْبَد المُغَنِّي: مَعبَدُ بنُ وَهَيبٍ، أَبُو عَبَّادٍ المَدَنِي: نَابِغَةُ الغِنَاءِ العَرَبِيِّ فِي العَصْرِ الأَمَوِيِّ. كَانَ مَولًى لِمُعَاوِيةَ أَو لِابنِ قَطن مَولَى مُعَاوِيةَ، أَو لِبَنِي مَخْزُوم، نَشَأَ فِي المَدينةِ يَرعَى الغَنَم لِمَوالِيهِ، وَرُبَّما اشتَغَلَ فِي التِّجَارَةِ، وَلَمَّا ظَهَرَ نُبوغُه فِي الغِنَاءِ أَقْبَلَ عَلَيهِ كُبَرَاءُ المَدينَةِ، ثُمَّ رَحَلَ إِلَى الشَّامِ فَاتَّصَلَ بِأُمَرائِهَا وَارتَفَعَ شَأنُهُ، وَكَانَ أَديبًا فَصِيحًا، وَعَاشَ طَويلًا إِلَى أَنْ انْقَطَعَ صَوتُه، وَمَاتَ فِي عَسْكَرِ الوَلِيدِ بنِ يَزيد سَنةَ (١٢٦هـ/ ٧٤٣م). تأريخ دمشق ٥٩/ ٣٢٨، تأريخ الإسلام ٣/ ٥٣٦، والأعلام ٧/ ٢٦٤، مختصر تاريخ دمشق ٢٥/ ١٢٠.

- المُهَلْهِل: عَديُّ بنُ رَبيعةَ بنِ مُرَّةَ بنِ هُبيرةَ، مِن بَنِي جَشَم، مِن تَغلِب، أَبو لَيلَى، مِن أَهلِ نَجدٍ مِن أَبطَالِ العَربِ فِي الجَاهِلِيَّةِ، شَاعِرٌ، وَهوَ خَالُ امرِئ القَيسِ الشَّاعِرِ، لُقِّبَ مُهَلهِلًا؛ لِأَنَّهُ أَوَّلَ مَن هَلهلَ نَسجَ الشِّعرِ، أَي رَقَّقَهُ. وَلَمَّا قَتلَ جَسَّاسُ بنُ مُرَّةَ كُلَيبًا ثَارَ المُهَلهِلُ، فَانقَطَعَ عَنِ الشَّرَابِ وَاللَّهوِ، إِلَى أَن يَثأَرَ لأَخِيهِ، فَكانَت وَقَائِعُ بَكرٍ وَتَغلِبَ، الَّتِي دَامَت أَربَعِينَ سَنةً، وَكَانت لِلمُهلهِلِ فِيهَا العَجَائِبُ وَالأَخبَارُ الكَثيرةُ. أَمَّا شِعرُهُ فَعَالِي الطَّبَقَةِ، توفِّي (نحو ١٠٠ق.هـ/ نحو ٥٢٥م). ولمحمَّد فريد كتاب (المهلهل سيِّد ربيعة). الأعلام ٤/ ٢٢٠.

- المُهَلَّب بن أَبي صُفْرَة: ظَالِمُ بنُ سَرَّاقٍ الأَزْدِيُّ العَتَكِيُّ، أَبو سَعيدٍ: أَمِيرُ، وُلِدَ فِي دَبَا، وَنَشَأَ فِي البَصرَةِ، وَقَدِمَ المَدينةَ مَعَ أَبيهِ فِي أَيَّامِ عُمرَ، وَوَلِيَ إِمَارةَ البَصرةِ لِمِصْعَبِ بنِ الزُّبَيرِ، وَفُقِئَتْ عَينُهُ فِي سَمرقَند، وَقَاتَلَ الأَزَارقَةَ تَسعةَ عَشرَ عَامًا، لَقِيَ فِيهَا مِنهُمُ الأَهوَالَ، وَأَخِيرًا تَمَّ لَهُ الظَّفَرَ بِهِم، فَقَتَلَ كَثيرينَ وَشَرَّدَ بَقِيَّتَهُم فِي البِلَادِ، ثُمَّ وَلَّاه عَبدُ المَلكِ بنُ مَروانَ وُلَايةَ خُرَاسَانَ، فَقَدِمَهَا سَنةَ (٧٩هـ)، وَمَاتَ فِيهَا سَنةَ (٨٣هـ). له ترجمة في: الطبقات الكبرى ٧/ ٧١، وطبقات خليفة ٣٤٤، والاستيعاب ٤/ ١٦٩٢، وسمط اللآلي ١/ ٧٦١، والمجموع اللفيف ٣٩٢، وتأريخ دمشق ٦١/ ٢٨٠، وأسد الغابة ٦/ ١٧٠، ووفيات الأعيان ٥/ ٣٥٠، وتأريخ الإسلام ٢/ ١٠١٠، وسير أعلام النُّبلاء ٤/ ٣٨٣، والوافي بالوفيات ١٦/ ٣٠٨، والأعلام ٧/ ٣١٥.

(١) عَامِرُ بنُ الطُّفَيل بنِ مَالِكِ بنِ جَعْفَرِ بنِ كِلَابٍ العَامِرِيُّ، أَحَدُ فُتَّاكِ العَرَبِ، وَمِن شُعَرائِهِم وَسَادَاتِهِم فِي الجَاهِلِيَّةِ، أَدركَ الإسلام فَوَفَدَ عَلَى رَسُولِ اللهﷺ بَعدَ فَتحِ مَكَّةَ، فَدَعَاهُ إِلَى الإسلام فَاشتَرطَ أَنْ يَجعَلَهُ وَلِيَ الأَمرِ مِنْ بَعدِهِ، وَأَنْ يَكونَ لَهُ نِصفُ ثِمارِ المَدينَةِ، فَرَدَّهُ النَّبِيُّﷺ، فَغَادَرَ=

٧.امْزِجْ بِعَذْبٍ لُمَاكَ كَأْسَكَ وَاسْقِنِي جَهْرًا فَمِنْ كَأْسَيْكَ سَاغَ الْمَشْرَبُ
٨.فَلَكٌ بِأَنْجُمِهِ تَجَلَّتْ شَمْسُهُ فَالشَّمْسُ تُشْرِقُ بِالنُّجُومِ وَتَغْرُبُ
٩.وَيَكَادُ بِالأَبْصَارِ يُذْهِبُ نُورُهَا نَظَرًا وَرَشْفًا بِالبَصَائِرِ تُذْهِبُ
١٠.أَوَ مَا تَرَي يَا سَعْدُ سَلْسَالَ الطِّلا وَافَى إِلَيْكَ بِهَا الغَزَالُ الرَّبْرَبُ

=حَنقًا يُريدُ الغَدرَ بِهِ، فَماتَ فِي الطَّريق قَبلَ أَن يَبلُغَ قَومِهِ، وذلك سنة (١١هـ)، وَهوَ ابنُ عَمِّ لَبيد الشَّاعِر، له ترجمة في: الردَّة للواقديّ ٨٥، والحيوان ٧/ ٤٦٤، والشعر والشعراء ١/ ٣٢٢، وسمط اللآلي ١/ ٨١٦، والمجموع اللفيف ١١٦، وأسد الغابة ٣/ ١٠٤، الوافي بالوفيات ١٦/ ٣٣٠، والشعور بالعور ١٥٩، والإصابة ٥/ ١٣٣، وخزانة البغداديّ ٣/ ٨٠، والأعلام ٣/ ٢٥٣، ومعجم المؤلِّفين ٥/ ٥٤.

- مَرحَب: كَانَ مِن رِجَالِ اليَهودِ، طَويلُ القَامَةِ، عَظيمُ الهَامَةِ، وَكَانَ مِقدَامًا عِندَهُم مَشْهُورًا بِشَجَاعَتِهِ وَبَسَالَتِهِ، وَكُلَّما خَرَجَ قَرنٌ مِنَ المُسلِمِينَ إِلَى سَاحَةِ الحَربِ، يَحمِلُ عَلَيهِ مَرحَبٌ، فَلَم يَتَمَكن أَحدٌ مِن المُسلِمِينَ عَلَى مُقَاوَمَتِهِ، بَعثَ إِلَيهِ الرَّسولُ الكَريمُ ﷺ أَبَا بَكرٍ؛ فَعَادَ خَائِبًا يُؤَنِّبُ القَومَ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ، وَيُؤَنِّبونَهُ، ثُمَّ بَعَثَ بَعدَهُ بِعُمرَ بنِ الخَطَّابِ؛ فَلَمْ يَتَمَكنْ مِنَ المُقَاوَمَةِ، فَرَجعَ يُجَبِّنُ أَصحَابَهُ، وَيُجَبِّنُونَهُ، فَقَالَ ﷺ فِي اليَومِ الثَّالِثِ: «**لأُعطِيَنَّ الرَّايَةَ اليومَ رَجُلًا يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّه اللهُ وَرَسُولُه، يَفتَحُ اللهُ عَلَى يَدَيهِ، كَرَّارًا غَيرَ فَرَّارٍ**»، قال ﷺ: أَينَ عَليُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ؟. فَقَالوا: يَا رَسُولَ الله هُوَ يَشْتَكِي عَينَيهِ، قَالَ ﷺ: فَأَرسِلُوا إِلَيهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَجَعَلَ ﷺ مِن رِيقِ فَمِهِ عَلَى عَينَيهِ، وَدَعَا لَهُ فَبَرِئَ كَأَنْ لَمْ يَكن بِهِ وَجَعٌ، ثُمَّ قَالَ ﷺ: «**اللَّهُمَّ أَكفِهِ الحَرَّ وَالبَردَ**»، قَالَ عَلِيٌّ صَلَوَاتُ الله وَسَلَامُهُ عَلَيهِ: «**فَما وَجَدتُ بَعدَ ذَلِكَ حَرًّا وَلَا بَرْدًا**».

أَخَذَ عَلِيٌّ صَلَوَاتُ الله عَلَيهِ الرَّايَةَ، وَجَاءَ بِهَا مُهَروِلًا، حَتَّى حِصَارَ قَمُوصَ (وَهوَ جَبَلٌ بِخَيبَرَ، عَلَيهِ حِصْنُ أَبِي الحُقَيقِ اليَهُودِيّ)، فَخَرَجَ مَرحبٌ كَعَادَتِهِ كُلَّ يَومٍ، وَهوَ يَرتَجِزُ:

قَدْ عَلِمَتْ خَيبرُ أَنِّي مَرحَبُ شَاكِي السِّلَاحِ بَطَلٌ مُجَرَّبُ

فَأَجَابَهُ عَلِيٌّ عليه السلام:

أَنَا الَّذِي سَمَّتْنِي أُمِّي حَيدَرهْ ضِرْغَامُ آجَامٍ وَلَيثٌ قَسْوَرهْ.

اشْتَبَكَتْ الحَرْبُ بَيْنَهُمَا: أَرَادَ (مَرحَبٌ) أَنْ يَحمِلَ عَلَى أَمِيرِ المُؤمنينَ عليه السلام، فَضَرَبَه ضَربَةً سَقَطَ مِنهَا لِوَجهِهِ قَتِيلًا، وَقِيلَ إِنَّه قَدَّهُ نِصفَينِ مُتَمَاثِلَينِ بِتِلكَ الضَّربَةِ.

ينظر: شرح اللمعة ٧/ ١٥٣، وتأريخ الطبريّ ٣/ ١٠، ومقاتل الطالبيِّين ١/ ٤٠، والكامل في التأريخ ٢/ ٩٩، والمختصر في أخبار البشر ١/ ١٤٠، وتأريخ الإسلام ٢/ ٢٣٦.

١١.شَمْسٌ عَلَيْكَ يُدِيرُهَا بَدْرُ الدُّجَى ... وَالكَأْسُ مَشْرِقُهَا وَفُوكَ المَغْرِبُ

١٢.لَوْ ذَاقَ ذُو القَرْنَيْنِ مَاءَ حَيَاتِهَا ... مَا كَانَ مَاءُ حَيَاتِهِ يَتَطَلَّبُ

١٣.أَو مَسَّ كِسرَى الفُرْسِ خَالِصَ تِبْرِهَا ... مَا كَانَ بِالتِّبرِ الكُؤُوسَ يُذَهِّبُ

١٤.أَو فَضَّ قَيْصَرُ عَنْ خِتَامِ رَحِيقِهَا ... مَا فَضَّ مَخْتُومَ الرَّحِيقِ فَيَشْرَبُ

١٥.أَو شَامَ لُؤْلُؤَهَا النَّجَاشِي لَمْ يَكُنْ ... بِاللُّؤْلُؤِ المَكنُونِ عَنْهَا يَرْغَبُ

١٦.أَو شَمَّ تُبَّعَ طِيبَهَا لَمْ تَلْفَهُ ... إِلَّا بِنَشْرِ أَرِيجِهَا يَتَطَيَّبُ

١٧.أَو أَنَّ خَاقَانًا صَغَى لِحَدِيثِهَا ... مَرَحًا لِمَا فِي غَيْرِهَا يَتَطَرَّبُ

١٨.أَوْ حَازَهَا بُقْرَاطُ صِرْفًا لَمْ يَكُنْ ... فِي غَيْرِهَا الدَّاءَ العُضَالَ يُطَيِّبُ

١٩.فَحُبَابُهَا شُهْبُ السَّمَا وَدِنَانُهَا ... أَقْمَارُهَا يَنْقَضُّ فِيهَا الكَوْكَبُ

٢٠.بِأَثِيثِهِ مُتَدَرِّعٌ وَبِجَفْنِهِ ... مُتَقَلِّدٌ وَبِقَوْسِهِ مُتَنَكِّبُ

٢١.يُصْمِي قُلُوبَ العَاشِقِينَ بِأَسْهُمِ الـ ... أَجْفَانِ وَهوَ إِلَى القُلُوبِ مُحَبَّبُ

٢٢.وَيَذُبُّ مِنْ أَصْدَاغِهِ وَجُعُودِهِ ... أَفْعَى عَنِ الكَنْزِ المَصُونِ وَعَقْرَبُ

٢٣.وَيَمُوجُ مَاءُ الحُسْنِ فِي وَجَنَاتِهِ ... وَالنَّارُ فِي أَمْوَاجِهِ تَتَلَهَّبُ

٢٤.قَانِي الخُدُودِ كَأَنَّمَا بِكؤُوسِهِ ... مِنْ خُمْرَةٍ فِيهَا الخُدُودُ تُشَرَّبُ

٢٥.وَمُقَبَّلٌ بِالاقْحُوَانِ مُفَضَّضٌ ... وَمُوَرَّدٌ بِالأُرْجُوَانِ مُذَهَّبُ

٢٦.مَا خِلْتُ أَنَّ الغُصْنَ يَسْفِكُ قَبْلَهُ ... مُهَجًا وَيَفْتِكُ بِالأُسُودِ الرَّبْرَبُ

٢٧.رَشَأٌ أَجَشُّ وِصَالُهُ لَوْ شَاتُهُ ... صَبَبٌ وِلِلصَّبِّ المُعَنَّى خُلَّبُ

٢٨.رَوْضٌ إِذَا أَطْرَى الصَّبَا لِي وَرْدَهُ ... بِالْكَرخِ أَطْرِي بِالغَرِيِّ وَأَطْرَبُ

٢٩.أَ دَرَى الحَبِيبُ بِأَنَّ مِنْ هِجْرَانِهِ ... قَلْبِي عَلَى جَمْرِ الغَضَى يَتَقَلَّبُ

٣٠.يَا غَائِبًا عَنْ مُقْلَتَيَّ وَشَخْصُهُ ... عَنْ طَيِّ جَانِحَتَيَ لَيْسَ يُغَيَّبُ

٣١.رِضْوَانُ حُسْنِكَ مَالِكٌ بِعَذَابِهِ ... رِقِّي، وَبِالرِّضْوَانِ كَيْفَ أُعَذَّبُ

٣٢.فَأَطِلْ عَذَابَكَ بِالنَّوَى أَوْلَا تُطِلْ ... فَبِكَ العَذَابُ وَحَقِّ وَصْلِكَ يَعْذُبُ

٣٣.وَمُلَاعِبًا مَرَحًا أَسِنَّةَ قَدِّهِ ... رِفْقًا بِقَلْبِي إِنَّهُ لَكَ مَلْعَبُ
٣٤.فَلَو اسْتَطَعْتُ إِلَيْكَ حَمَّلْتُ الصَّبَا ... كُتُبًا بِأَقْلَامِ المَحَبَّةِ تُكْتَبُ
٣٥.وَإِلَى لِقَاكَ رَكِبْتُ أَصْعَبَ مَرْكَبٍ ... شَوْقًا وَلَو أَنَّ الأَسِنَّةِ مَرْكَبُ
٣٦.وَقَطَعْتُ أَعْنَاقَ القَفَارِ إِلَى أَبِي الـ ... ـمَهْدِيِّ أَطْفُو بِالقَفَارِ وَأَرْسِبُ
٣٧.وَأَنَخْتُ رَكْبَ صَبَابَتِي بِرِحَابِهِ ... نَظَرًا أُصَعِّدُ بِالرَّجَا وَأُصَوِّبُ
٣٨.وَبَثَثْهُ شَكَوَى نَوَاكَ لَعَلَّما ... جَدْوَاهُ تَعْكِسُ [لي] نَوَاكَ فَتَقْرَبُ
٣٩.وَنَشَرْتُ دَعْوَى الحُبِّ بَينَ يَدَيهِ كَيْ ... يَقْضِي عَلَيْكَ بِكُلِّمَا يَتَرَتَّبُ
٤٠.فَهوَ المُحَكَّمُ فِي الدَّعَاوَى حَيْثُ لا ... يَقْضِي سِوَاهُ حُكومَةً وَيُرَتِّبُ

وَلَعَمْرِي هَذِهِ الطَّامَّةُ الكُبْرَى مِنَ المَعَايِبِ، وَالفَضِيحَةُ العُظمَى الَّتِي لَا تُغَطَّى وَلَو تَبَرقَعَت بِشُمِّ الأَهَاضِب، بَلْ لَو تُدْفَنُ تَحتَ الأَرْضِ السَّابِعَةِ السُّفْلَى لَخَرَجَتْ طَائِرَةً فِي الخَافِقَينِ، وَغَنَّتْ بِهَا الحُدَاةُ فِي الثَّقَلَينِ، أَلَا تَرَاهُ كَيْفَ أَخْفَى ذِكرَ وَلَدَهُ بِالمَرَّةِ وَابْرَزَ شَوْقَهُ وَهِيَامَهُ بِصُورَةِ مَنْ تَعَشَّقَ بِأَجْنَبِيٍّ وَأَخْفَى أَمْرَه، وَلَمْ يَرْضَ بِهذَا حَتَّى أَخَذَ بِوَصْفِ مَحَاسِنِهِ بِهذِهِ الصِّفَة، وَأَظْهَرَ فِي صَرِيحِ كَلَامِهِ أَنَّ مَحَاسِنَهُ قَدْ زَادَت كُلفَة، وَكَأَنَّ شَوقَهُ بِهِ عَلَى مَا وَصَفَ كَشَوقِ كُثَيِّرٍ بِعَزَّة، إِذ هَدَّ قُواهُ، وَأَبَانَ مِنْ عَدَمِ تَحَمُّلِهِ عَجْزَهُ فَهوَ عَلَى مَا تَرَاهُ مَا بَرِحَ يَصِفُهُ وَصفَ مَن تَمَتَّعَ بِحَبِيبِهِ وَفَارَقَه، فَيَذكُرُ سَاعَاتِ لَهوِهِ بِهِ؛ إِذْ قَامَ يَسْقِيهِ مِنْ ثَغْرِهِ مُدَامَ رُضَابٍ وَأُخرَى مِن كَأْسِهِ مُعَتَّقَة، وَيَتَنَقَّبُ بِبَنَانِهِ فَيَحْسِبُهُ مِنْ شِدَّةِ عِشْقِهِ أَنَّهُ مُتَنَقِّبٌ بِهِلَالِ السَّمَا، فَيَقولُ لَهُ امْزِجْ خَمرَ كَأْسِكِ بِاللُّمَا، فَقَدْ سَاغَ لِي مِنْهُمَا المَشْرَبُ، وَإِنِّي بِغَيْرِهِمَا لَا أَرْغَب، وَسَاقَ الغَزَلَ كَمَا تَرَاهُ عَلَى هَذَا المَسَاق، إِلَى أَنْ تَشَفَّعَ فِي أَنْ يُقَرِّبُهُ مِنهُ طِيبُ الأَعْرَاق، وَذَلِكَ بَعدَ أَنْ تَمَنَّى لَو أَنَّهُ رَكِبَ لِلِقَائِهِ أَصْعَبَ مَركب، وَلَو أَنَّهُ كَانَ مَرْكَبُهُ الأَسِنَّة، وَقَطَعَ إِلَى أَبِي المَهْدِيِّ مِنَ القَفْرِ سَهْلَهُ وَحَزْنَه، وَأَنَاخَ رَكبَ صَبَابَتِهِ بِرِحَابِه، وَجَلَسَ لَدَيهِ يُصَعِّدُ طَرْفَهُ بِالرَّجَاءِ وَيُصَوِّب، لِيَرِقَّ عَلَيهِ لِمَا بِهِ، وَيَبُثَّهُ شَكوَى نَوَاه، وَيَنشُرُ بَينَ يَدَيهِ لِلْحُبِّ دَعْوَاه، لِيَقْضِيَ بِكُلِّ مَا يَتَرَتَّبُ عَلَيه، لِيَقِرَّ بِذَلِكَ عَيْنَيْه.

وَإِنَّ مُلَخَّصَ هَذَا الهَذْرِ الَّذِي هَذَرَهُ مِنْ إِنَاخَةِ رَكبِ صَبَابَتِه، وَبَثِّهِ مِنْ نَوَاهُ أَلَمَ شِكَايَتِه، أَرَادَ أَنْ يَسأَلَ أَبَا المَهدِيِّ شَيْئًا، فَاسْتَحْيَاهُ، وَمِنْ مَهَابَتِهِ أَخْفَاه، فَأَتَى بِمَا هُوَ أَعْظَمُ مِمَّا سَتَره، وَلَو سَتَرَ هَذَا؛ وَمَا سَتَرَهُ أَظْهَره، لَكَانَ أَجمَلَ مِمَّا يَنْشُرُ لَدَى أَبِي الرِّضَا لِلْحُبِّ مِنْ دَعوَاه، وَيَسْتَقْضِيهِ فِي حُبِّ مَنْ اسْتَعذَبَ هَوَاه، لِيَقْضِيَ بِكُلِّمَا يَتَرَتَّبُ مِنْ حُكْمِهِ عَلَى مَن أَحَبَّ، وَمَا يَتَرَتَّبُ عَلَيهِ مِنْ دَعوَاه، إِلَّا الَّذِي أَخْفَاه، وَهوَ بَذلُ أَبِي المَهدِيِّ لَهُ اللَّهَا؛ لِأَنَّهُ مُحَكَّمٌ بِهَذِهِ الدَّعوَى، حَيثُ لَا يَمضِي سِوَاهُ حُكُومَةَ النَّدَى، بَينَ خُصَمَاءِ الجِدَى، فَإِذَا كَانَ اسْتَحْيَى أَنْ يَسْأَلَهُ الرِّفْدَ مِن صَيِّبِ عَطَائِهِ، فَكَيفَ لَا يَسْتَحِي أَنْ يَجعَلَهُ فِي الحُبِّ فَيْصَلًا لِقَضَائِه؟!

وَقَدْ عَابَ أَرْبَابُ هَذَا الفَنِّ عَلَى أَبِي نُوَاسٍ وَأَضْرَابِهِ مِنَ الشُّعَرَاءِ، حَيثُ قَدْ أَتَوْا بِمَا أَتَى بِهِ مِمَّا لَا يَلِيقُ أَنْ يُخَاطَبَ بِهِ العُظَمَاءُ، وَذَلِكَ قَولُهُ:(١) [من الطويل]

سَأَشْكُو إِلَى الفَضْلِ بنِ يَحْيَى بنِ خَالِدٍ هَـوَاكِ لَـعَـلَّ الـفَـضْـلَ يَجْـمَـعُ بَيْنَنَا

وَذَلِكَ إِذْ جَعَلَ مَـمْدُوحَه سَاعِيًا بَينَهُ وَبَينَ مَحبوبِهِ فِي الوِصَالِ، وَقَدْ ذَكَرنَا سَابِقًا هَذَا وَأَمْثَالَهُ فِي مَعَايِبِ الشِّعْرِ، فَهُوَ -سَلَّمهُ اللهُ- زَادَ عَلَيهِم فِي التَّهْجِينِ؛ لِأَنَّهُ أَخْطَأَ مِن طَرِيقَينِ:

الأَوَّلُ: أَنَّهُ نَسَبَ أَنَّ غَزَلَهُ فِي وَلَدِهِ، وَجَعَلَ يَصِفُ حُسْنَهُ مِنْ بَيَاضِ خَدِّهِ وَسَوَادِ جَعْدِهِ، وَهَذَا يَقْبُحُ بِالسَّوَقَةِ، فَضْلًا عَمَّنْ طَبَّقَ مِنَ الكَوْنِ فَخَارَ مَحتِدِه مَغْرِبَهُ وَمَشْرِقَه، عَلَى أَنَّ غَزَلَهُ لَوْ لَمْ يَكُنْ يَذْكُر فِي العُنوَانِ أَنَّهُ عَرَّضَ فِيهِ بِوَلَدِهِ؛ لَمَا أَحَدٌ عَرَفَه، بِجَمِيعِ مَا بِأَوْصَافِهِ وَصَفَه؛ لِأَنَّهُ غَزلٌ مَحضٌ مَا فِيهِ مِنْ أَمَارَاتِ التَّعْرِيضِ شَيءٌ حَتَّى أَنَّهُ يَفْهَمُهُ مَن سَمِعَه، وَلَو أَنَّهُ لَمْ يَذْكُر بِتَقْرِيضِهِ أَنَّهُ عَرَّضَ فِيهِ لَكَانَ أَقَلَّ شَنْعَة، وَإِنِّي عَلَى حَسَبِ مَا أَرَاهُ مِنهُ إِنَّمَا التَجَأَ إِلَى أَنْ يَذْكُرَ فِي التَّقْرِيضِ عَلَى القَصِيدَةِ أَنَّه مُعَرِّضٌ فِيهَا بِوَلَدِهِ، مِن

(١) ديوان أبي نواس ١/ ١٦٩.

عَجْزِهِ عَنْ نَظْمِ ذَلِكَ فِي قَصِيدَتِهِ؛ لِأَنَّهَا خَالِيَةٌ مِنهُ وَخَافَ -لِخُلُّوهَا مِنهُ- أَنْ لَا يَعْلَمَ الْمَمْدُوحُ بِإِرَادَتِهِ، فَأَتَى بِهِ لِيَعرِفَ الْمَمدُوحُ إِرَادَتِهِ، حَتَّى يَعطِيهِ طَلَبَتِه.

وَالطَّرِيقُ الثَّانِي: وَهوَ اسْتِطْرَادُهُ فِي ذَلِكَ الغَزَلِ بِتِلْكَ الكَيْفِيَّةِ، إِلَى أَنْ تَخَلَّصَ إِلَى مَدحِ ذِي الرِّفْعَةِ العَلِيَّةِ، بِذَلِكَ التَّخَلُّصِ الْمُسْتَهْجَنِ، عِندَ الأَذْكِيَاءِ ذَوي الفِطَن، وَالتَّخلُّصُ أَحَدُ الْمَوَاضِعِ الثَّلَاثَةِ مِنَ القَصِيدَةِ الَّتِي تَجِبُ مُحَافَظَةُ الشاعر فِيهَا، وَأَنْ يَتَأَنَّقَ فِي أَلْفَاظِهَا وَمَعَانِيهَا، وَهوَ قَدْ شَانَ تَخَلُّصَهُ بِهذِهِ الْمَنْقَصَةِ، عَلَى أَنَّا لَوْ فَرَضْنَا أَنَّهُ أَجَادَ فِي التَّعْرِيضِ فِي الغَزَلِ، أَ لَيْسَ يَكونُ مَقْصَدُهُ أَنَّ مَمْدُوحَهُ عَلَيهِ بِوَافِرِ نَعْمَائِهِ يَتَفَضَّل؟! وَهَذَا بِأَهْلِ الرِّفْعَةِ وَالعَظَمَة، وَمَنْ عَلَيهِم مِنَ الجَلَالَةِ سِمَة، يَقْبحُ إِذَا أَحَدٌ مِنهُم لِذِي كَرَمٍ قَصَد، أَنَّهُ مِن أَوَّلِ قَصِيدَتِهِ لِجدَاهُ يَستَعِد، وَبِتَخَلُّصِهِ لِلْمُمَدَّحِ يَمُدُّ إِلَيهِ كِلتَا يَدَيهِ يَسأَلُهُ الصَّفَد؛ لِأَنَّ هَذِهِ قَاعِدَةُ ضِعَافِ النَّاسِ الَّذِينَ يَسْتَطْرِقُونَ البُيوتَ، وَيَسأَلونَ أَهْلَهَا القُوتَ، فَهُم مِنْ أَوَّلِ شُرُوعِهِم بِالأَبوَابِ يَبتَدِئونَ بِشَكوَى حَالِهِم، وَيُلْحِفُونَ فِي سُؤَالِهِم، لَا قَاعِدَةَ مَنْ سَمَا فِي جَرثُومَةِ مَجْدِهِ إِلَى شَرَفٍ بَاسِق، وَهوَ فِي حَلبَةِ رِهَانِهِ إِلَى قَصَبَاتِهِ سَابِق، وَلَكِنَّهُ -سَلَّمَهُ اللهُ- مِنْ عَدَمِ خِبْرَتِهِ فِي التَّعْرِيضِ الَّذِي تَسْتَعْمِلُهُ الشُّعَرَاءُ؛ تَخَيَّلَ أَنَّ مَا نَظَمَهُ فِي الغَزَلِ نَحَا فِيهِ مِنَ التَّعْرِيضِ مَا نَحَتْهُ مِنهُم الفُصَحَاءُ.

وَالتَّعْرِيضُ عَلَى حَسَبِ مَا ذَكَرَهُ أَرْبَابُ هَذَا الفَنِّ، هُوَ اللَّفْظُ الدَّالُّ عَلَى الشَّيءِ مِن طَرِيقِ الْمَفْهُومِ لَا بِالوَضْعِ الحَقِيقِي وَلَا الْمَجَازِي، وَبِهذَا الحَدِّ يُعرَفُ الفَرقُ بَينَهُ وَبَينَ الكِنَايَةِ، فَإِنَّ الكِنَايَةَ هِيَ اللَّفْظُ الَّذِي يَتَجَاذَبُهُ جَانِبَا حَقِيقَةٍ وَمَجاز، وَيَجوزُ حَمْلُهُ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنهُمَا، كَمَا فِي قَولِهِ تَعَالَى: ﴿.. **أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ**..﴾[1]، فَإِنَّهُ أَيضًا يُجوزُ حَمْلُهُ عَلَى الحَقِيقَةِ، وَهوَ اللَّمْسُ الْمَعْرُوفُ، وَعَلَى الْمَجَازِ وَهوَ الجُمَاعُ، فَإِنَّهُ لَمْسٌ وَزِيَادَةٌ، فَإِذَا عَرَفْتَ ذَلِكَ فَاعْلَمْ أَنَّ التَّعْرِيضَ مُخْتَصٌّ بِاللَّفْظِ الْمُرَكَّبِ، وَلَا يَأْتِي فِي اللَّفْظِ الْمُفْرَدِ

(١) سورة النساء/ ٤٣.

البَتَّةَ، وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ أَنَّهُ لَا يَفْهَمُ المَعْنَى فِيهِ مِنْ جِهَةِ الحَقِيقَةِ وَلَا مِنْ جِهَةِ المَجَازِ، وَرُبَّمَا يُفْهَمُ مِنْ جِهَةِ التَّلْوِيحِ وَالإِشَارَةِ، وَذَلِكَ لَا يَسْتَقِلُّ بِهِ اللَّفْظُ المُفْرَدُ، وَبِهذَا الاعْتِبَارِ سُمِّيَ تَعْرِيضًا؛ لِأَنَّ المَعْنَى فِيهِ يُفْهَمُ مِنْ عَرضِ اللَّفْظِ، أَي جَانِبِهِ، وَعَرضُ كُلِّ شَيءٍ جَانِبُهُ.

وَمِنْ أَمْثَالِهِ مَا حُكِيَ عَنْ مَروَان بنِ الحَكَمِ أَنَّهُ كَانَ وَالِيًا عَلَى المَدينَةِ مِن قِبَلِ مُعَاوِيَةَ، فَعَزَلَهُ، فَلَمَّا قَدِمَ عَلَيهِ قَالَ لَهُ: عَزَلْتُكَ لِثَلاثٍ لَوْ لَمْ تَكُنْ إِلَّا وَاحِدَةٌ مِنْهُنَّ لَأَوْجَبَتْ عَزْلَكَ، إِحْدَاهُنَّ: أَنِّي أَمَّرْتُكَ عَلَى عَبْدِ الله بنِ عَامِرٍ وَبَيْنَكُمَا مَا بَيْنَكُمَا، فَلَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ تَشْتَفِي مِنْهُ، وَالثَّانِيَةُ: كَرَاهَتُكَ لأَمْرِ زِيَادٍ، وَالثَّالِثَةُ: أَنَّ ابْنَتِي رَمْلَةَ اسْتَعْدَتْكَ عَلَى زَوْجِهَا [عَمْرِو بنِ عُثْمَانَ] فَلَمْ تَعَدِّهَا، فَقَالَ لَهُ مَرْوَانَ: أَمَّا ابنُ عَامِرٍ فَإِنِّي لَا أَثْغَرُ[1] مِنْهُ بِسُلْطَانِي، وَلَكِنْ إِذَا تَسَاوَتِ الأَقْدَامُ عَلِمَ أَيْنَ مَوْضِعُهُ، وَأَمَّا كَرَاهَتِي أَمْرَ زِيَادٍ؛ فَإِنَّ سَائِرَ بَنِي أُمَيَّةَ كَرِهُوهُ، وَأَمَّا الاسْتِعْدَاءُ لرَمْلَةَ عَلَى زَوْجِهَا عَمْرِو بنِ عُثْمَانَ[2] فَإِنَّهُ وَالله لَيَأتِي عَلَيَّ سَنَةٌ أَوْ أَكْثَرُ وَعِنْدِي بِنْتُ عُثْمَانَ فَمَا كَشَفْتُ لَهَا ثَوْبًا[3]، يُرِيدُ بِذَلِكَ أَنَّ رَمْلَةَ بنتَ مُعَاوِيَةَ إِنَّمَا اسْتَعْدَتْ لِطَلَبِ الجِمَاعِ، فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ: يَا بنَ الوَزَغِ لَسْتَ هُنَاكَ، فَقَالَ لَهُ مَرْوَانُ: هُوَ ذَاكَ، وَهَذَا مِنَ التَّعْرِيضَاتِ اللَّطِيفَةِ.

وَحَكَى صَاحِبُ كِتَابِ (العِقد)[4] أَنَّ امْرَأَةً وَقَفَتْ عَلَى قَيْسِ بنِ سَعْدِ ابنِ عَبَادَةَ، فَقَالَتْ: أَشْكُو إِلَيْكَ قِلَّةَ الفَأْرِ فِي بَيْتِي.

فَقَالَ: مَا أَحْسَنَ مَا وَرَّتْ عَنْ حَاجَتِهَا، امْلأوا لَهَا بَيتَهَا خُبْزًا وَلَحْمًا وَسَمْنًا.

---

(١) الثَّغْرِ: الْكَسْرُ وَالْهَدْمُ. وثَغَرْتُ الْجِدَارَ إذا هَدَمْتَهُ. (اللسان ٤/ ١٠٤).

(٢) في (الأصل): (عمر) في موضع (عمرو).

(٣) في (الأصل): (فما انشقَّ لها ثوب) في موضع (فَمَا كَشَفْتُ لَهَا ثَوْبًا).

(٤) ليس في العقد، بل في: المثل السائر ٢/ ٢٠٠، ٣/ ٧٤، والطراز ١/ ١٩٨، وعلوم البلاغة ٣١٣.

وَمِنْ ذَلِكَ مَا رُوِيَ أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَسَاوِرَةِ كِسرَى وَخَوَاصِّهِ قِيلَ لَهُ: إِنَّ المَلِكَ يَختَلِفُ إِلَى امْرَأَتِكَ، فَهَجَرَهَا لِذَلِكَ وَتَرَكَ فِرَاشَهَا، فَأَخْبَرَتْ كِسرَى، فَدَعَاهُ وَقَالَ لَه: قَدْ بَلَغَنِي أَنَّ لَكَ عَيْنًا عَذْبَةً، وَأَنَّكَ لَا تَشْرَبُ مِنْهَا، فَمَا سَبَبُ ذَلِكَ؟!

فَقَالَ: أَيُّهَا المَلِكُ بَلَغَنِي أَنَّ الأَسَدَ يَرِدُهَا، فَخِفْتُ، فَاسْتَحْسَنَ مِنهُ كِسرَى هَذَا الكَلَامَ وَأَسْنَى عَطَاءَهُ[1].

وَمِنَ التَّعْرِيضِ شِعرًا قَولُ الشَّمَيدر الحَارِثِيِّ مِنْ شُعَرَاءِ الحَمَاسَةِ: [من الطويل]

بَنِي عَمِّنَا لَا تَذْكُرُوا الشِّعْرَ بَعْدَمَا دَفَنْتُمْ بِصَحْرَاءِ الغَمِيمِ القَوَافِيَا

فَإِنَّهُ لَمْ يَقْصُد هُنَا الشِّعرَ بَلْ عَرَّضَ بِمَا جَرَى لَهُم فِي ذَلِكَ المَكَانِ مِنَ الظُّهُورِ عَلَيهِم، أَي لَا تَفْتَخِرُوا بَعدَ تِلكَ الوَاقِعَةِ فِي ذَلِكَ المَكَانِ[2].

وَأَهْجَنُ مَا هُوَ فِي هَذِهِ الأَبيَاتِ الَّتِي أَنْشَأَهَا فِي مَن بِهِ تَعَلَّقَ قَلْبُهُ وَبِهَوَاهُ تَعَذَّبَ، وَزَعَمَ بِإِبْدَاعِ حُسْنِهِ غَنَّى أَبرَعُ المُغَنِّينَ فَأَطْرَب، قَولُهُ:

يَا مَنْ بِهِ غَنَّى طُوَيْسُ وَمِعْبَدُ وَبِهِ اسْتَشَارَ مُهَلْهَلٌ وَمُهَلَّبُ

أَقُولُ: قَولُهُ

يَا مَنْ بِهِ غَنَّى طُوَيسُ

زَعَمَ أَنَّهُ أَحْسَنُ المُغَنِّينَ، وَلِذَا اخْتَارَهُ وَنَظَمَهُ فِي البَيْتِ، وَهوَ عَلَى مَا حَكَاهُ صَاحِبُ

(١) ينظر: ربيع الأبرار ٤/ ٤٤٩، والمثل السائر ٢/ ٢٠٢، ٣/ ٧٥، والطراز ١/ ٢٠٠.

(٢) قَالَ أَبو القَاسِمِ الحَسَنُ بنُ بشر الآمِدِيُّ (المتوفَّى ٣٧٠هـ): وَأَمَّا الشَّمَيدَرُ فَهوَ الشَّمَيدَرُ الحَارِثِيُّ مِن بَنِي الحَارِثِ بنِ كَعبٍ، شَاعِرٌ فَارِسٌ، أَنشَدنَا لَهُ أَبو الحَسَنِ عَلِيُّ بنُ سُلَيمَانَ الأَخفَشُ قَالَ: أَنشدَنَا ثَعلَبُ وَالمُبَرِّدُ جَمِيعًا، وَذَكَرَ البَيتَ، المؤتلف والمختلف ١٧٩.

– قال الجاحظ: قال سويد المراثد أو غيره، البيان والتبيين ٢/ ١٢٩، وفي حماسة الخالديِّين ٤٥، أعرابيّ من بني الحارث بن كعب، وفي المجموع اللفيف ٣٩١، أسماه: سويد الحارثيّ.

(القَامُوسِ)[1] كَانَ يُسَمَّى طَاووسًا، فَلَمَّا تَخَنَّثَ سُمِّيَ (طُوَيس)، وَتَكَنَّى بِأَبِي عَبدِ النَّعِيمِ، أَوَّلُ مَنْ غَنَّى فِي الإسلَامِ، وَيُقَالَ أَشْأَمُ مِنْ طُوَيس، وَكَانَ يَقُولُ:

إِنَّ أُمِّي كَانَتْ تَمْشِي بِالنَّمَائِمِ بَينَ نِسَاءِ الأَنْصَارِ[2].

وَكَذَلِكَ ذَكَرَهُ الزَّمَخْشَرِي[3]، وَزَادَ، إِنَّهُ أَوَّلُ مَنْ غَنَّى فِي الإِسْلَامِ بِالمَدينَةِ، وَنَقَرَ بِالدَّفِّ المُرَبَّعِ، وَكَانَ أَخَذَ طَرَائِقَ الغِنَاءِ مِنْ سَبْيِ فَارِس.

وَقَالَ الجَوْهَرِيُّ أَيْضًا فِي (صِحَاحِهِ): إِنَّهُ كَانَ بِالمَدينَةِ يَقُولُ: يَا أَهْلَ المَدينَةِ تَوَقَّعُوا خُروجَ الدَّجَّالِ مَا دُمْتُ بَينَ ظَهْرَانَيكُم، فَإِذَا مِتُّ فَقَدْ أَمِنْتُم؛ لِأَنِّي وُلِدتُ فِي اللَّيلَةِ الَّتِي مَاتَ فِيهَا رَسولُ اللهﷺ، وَفُطِمْتُ فِي اليَومِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ أَبُو بَكرٍ، وَبَلَغْتُ الحُلمَ فِي اليَومِ الَّذِي قُتِلَ فِيهِ عُمَر، وَتَزَوَّجْتُ فِي اليَومِ الَّذِي قُتِلَ فِيهِ عُثمانَ، وَوُلِدَ لِي وَلَدٌ فِي اليَومِ الَّذِي قُتِلَ فِيهِ عَلِيٌّ عليه السلام، وَكَانَ اسْمُهُ طَاووسًا، فَلَمَّا تَخَنَّثَ جَعَلَهُ طُوَيْسَا، وَتَكَنَّى بِأَبِي عَبدِ النَّعِيمِ[4].

وَقَالَ فِي نَفْسِهِ: [من مجزوء الرمل]

١. إِنَّنِي عَبْدُ النَّعِيمِ أَنَا طَاووسُ الجَحِيمِ
٢. وَأَنَا أَشْأَمُ مَنْ يَمْ شِي عَلَى ظَهْرِ الحَطِيمِ

وَطُوَيسٌ هَذَا مَا رَأَيتُ أَحَدًا مِنَ الشُّعَرَاءِ ذَكَرَهُ فِي نَظْمِهِ أَو أَشَارَ إِلَيهِ فِي أَثْنَاءِ كَلِمِه، وَأَظُنُّ بَلْ أَقْطَعُ أَنَّهُ لَمْ تَذْكُرْهُ الشُّعَرَاءُ أَجْمَع لِهَذَا الشُّؤمِ الَّذِي بِهِ اشْتَهَرَ؛ لِأَنَّهَا قَد اجْتَنَبَتْ كَثِيرًا مِنَ الأَلفَاظِ خَوْفًا مِنَ الوُقُوعِ بِهَذَا الخَطَرِ، لِأَنَّكَ قَدْ عَلِمتَ أَنَّ مَا يُتَشَاءَمُ مِنهُ مَعْيبٌ وَعَيبُهُ لَمْ يُغْتَفَر، هَذَا إِذَا لَم يَكُنْ مَشْؤُومًا، وَلَكِنَّ بَعضَ أَلفَاظِهِ

(١) القاموس المحيط: مجد الدين أبو طاهر محمَّد بن يعقوب الفيروزآباديّ (المتوفَّى ٨١٧هـ).
(٢) القاموس المحيط ٥٥٥.
(٣) ينظر: المستقصى في أمثال العرب ١/ ١٠٩.
(٤) الصِّحاح ٣/ ٩٤٥.

يُسْتَشْعَرُ مِنهَا الحُزْنَ وَالاكْتِئَابِ، فَإِنَّهَا تَتَجَنَّبُهُ غَايَةَ الاجْتِنَاب، كَقَولِ أَبِي عُبَادَةَ البُحْتُرِيِّ:(١)

لَكَ الوَيْلُ مِنْ لَيْلٍ بَطَاءٌ أَوَاخِرُهْ(٢)

فَإِنَّهُ قَدْ عَلِمْتَ لَمَّا أَنْشَدَهُ، قَالَ لَهُ يُوسُفَ بنَ مُحَمَّدٍ:

بَلْ لَكَ الوَيْلُ وَالحَرْبُ.

فَكَيفَ مَنْ هُوَ مَشْؤُومٌ حَقِيقَةً، وَبِهِ المَثَلُ فِي الشُّؤْمِ يُضْرَبُ، فَلَا شَكَّ وَلَا شُبْهَةَ أَنَّ ذِكْرَهُ مُسْتَبْشَعٌ وَمِنْ شُؤْمِهِ يَنْفُرُ الطَّبْعُ عَلَى أَنَّ لِلشَّاعِرِ مَنْدُوحَةً عَن ذِكرِهِ بِمَنِ اشْتَهَروا فِي الغِنَا(٣)؛ لِأَنَّهُم أَكْثَرُ مِنْ رَمْلِ عَالِجٍ وَالدَّهْنَا(٤).

وَقَولُهُ -سَلَّمَهُ اللهُ-

وَبِهِ اسْتَشَارَ مُهَلْهِلٌ وَمُهَلَّبُ

فَمُهَلْهِلٌ مَا اسْتَشَارَ بِحُبِّ وَلَدٍ وَلَا امْرَأَةٍ، بَلْ وَلَا سَعْيُ الحُبِّ بِقَلْبِهِ التَهَبْ، وَكَذَلِكَ المُهَلَّب، حَتَّى أَنَّه يُذكَرُ أَنَّهُمَا افْتَتَنَا بِمَنْ شَغَفَهُ حُبُّهُ مِنَ المِلَاحِ، وَثَارَا لِقَضِيَّةٍ فِي الحُبِّ قَدْ أَجَّجَتْ لَهُمَا الكِفَاحَ؛ لِأَنَّ مُهلْهِلًا ثَارَ بِثَأْرِ أَخِيهِ كُلَيبٍ، وَخَبَرُهُ مَشهُورٌ، أَنَّهُ لِذَلِكَ ثَارَ، وَمَا فِيهِ مِنْ رَيْبٍ، وَكَانَ سَبَبُ قَتْلِ كُلَيْبٍ هُوَ أَنَّ البَسُوسَ بِنتَ

(١) يوسف بن محمَّد بن يوسف الثقفيّ: مرَّت ترجمته في ٢٩٨.

(٢) ديوان البحتري ٢/ ٨٧٦.

- البيت في الديوان برواية: (من الطويل)

لَهُ الوَيْلُ مِنْ لَيْلٍ تَطَاوَلَ آخِرُهْ وَوَشْكِ نَوًى حَتَّى تُزَمَّ أَبَاعِرُهْ!

(٣) هي (الغناء)، إلَّا أنَّ المؤلِّف يحذف الهمزة من أجل السجع.

(٤) عالج رمال بين فيد والقريات، ينزلها بنو بحتر من طيِّء، وهي متَّصلة بالثعلبيَّة على طريق مكَّة، لا ماء بها ولا يقدر أحد عليهم فيه، وهو مسيرة أربع ليال. (معجم البلدان ٤/ ٧٠)، والدَّهناء: هي سبعة أجبل من الرمل في عرضها، بين كلِّ جبَلَين شقيقة، وطولها من حزن ينسوعة إلى رمل يبرين. (معجم البلدان ٢/ ٤٩٣).

سَعدٍ[1] خَالَةَ جَسَّاسِ بنِ مُرَّةٍ كَانَ لَهَا جَارٌ مِنْ حَرَمٍ يُقَالُ لَهُ: سعد ابن شَمْسٍ، وَكَانَتْ لَهُ نَاقَةٌ يُقَالُ لَهَا سَرَابُن، وَكَانَ كُلَيبُ بنُ وَائِلٍ قَدْ حَمَى أَرْضًا مِنْ أَرْضِ العَالِيةِ فِي مُسْتَقبَلِ الرَّبِيعِ، فَلَمْ يَرْعَهَا أَحَدٌ إِلَّا جَسَّاسٌ؛ لِمُصَاهَرَةٍ بَيْنَهُمَا؛ لِأَنَّ حَلِيلَةَ بِنتَ مُرَّةَ أُخْتُ جَسَّاسٍ كَانَتْ تَحتَ كُلَيبٍ، فَخَرَجَتْ نَاقَةُ الجُرمِيِّ تَرْعَى فِي حِمَى كُلَيبٍ مَعَ إِبِلِ جَسَّاسٍ، فَأَبْصَرَهَا كُلَيبٌ فَرَمَاهَا بِسَهْمٍ فَأَصَابَ ضَرْعَهَا، فَوَلَّتْ حَتَّى بَرَكَتْ فِي فِنَاءِ صَاحِبِهَا وَضَرْعُهَا يَشْخَبُ دَمًا وَلَبَنًا، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيهَا صَاحِبُهَا قَالَ: وَا ذُلَّاه، وَا ذُلَّ جَارَاه. فَخَرَجَتْ جَارِيَةُ البَسُوسِ، فَلَمَّا رَأَتِ النَّاقَةَ ضَرَبَتْ يَدَهَا عَلَى رَأْسِهَا وَصَاحَت: وَا ذُلَّاه.

وَقَالَت: [من الطويل]

١.لَعَمْرِيَ لَوْ أَصْبَحْتُ فِي دَارِ مُنْقِذٍ ... لَمَا ضِيمَ سَعْدٌ وَهوَ جَارٌ لِأَبْيَاتي

٢.وَلَكِنَّنِي أَصْبَحْتُ فِي دَارِ غُرْبَةٍ ... مَتَى يَعْدُ فِيهَا الذِّئبُ يَعدُ عَلَى شَاتي

٣.فَيَا سَعْدُ لَا تَغْرُرْ بِنَفْسِكَ وَارْتَحِلْ ... فَإِنَّكَ فِي قَوْمٍ عَلَى الجَارِ أَمْوَاتِ

فَسَمِعَهَا جَسَّاسٌ، فَقَالَ: اسْكُتِي أَيَّتُهَا المَرأَةُ، فَلْيُقْتَلَنَّ جَمَلٌ عَظِيمٌ أَعْظَمُ مِنْ نَاقَةِ جَارِكِ، وَلَمْ يَزَلْ جَسَّاسٌ يَتَوقَّعُ غِرَّةَ كُلَيْبٍ حَتَّى خَرَجَ كُلَيبٌ لَا يَخَافُ شَيْئًا فَتَبَاعَدَ عَنِ الحَيِّ وَاتْبَعَهُ جَسَّاسٌ، وَمَعَهُ عَمْرو بنُ الحَارِثِ، فَأَدْرَكَ جَسَّاسٌ كُلَيْبًا، فَطَعَنَهُ بِالرُّمْحِ؛ فَدَقَّ صُلْبَهُ فَانْفَذَهُ، ثُمَّ أَدْرَكَهُ عَمْرُو بنُ الحَارِثِ فَقَالَ:

يَا عَمْرُو أَغِثْنِي بِشُربَةِ مَاءٍ

فَقَالَ: تَجَاوَزْتَ شَبِيثًا وَالأَحَصَّ، يَعنِي مَوْضِعَ المَاءِ، وَأَجْهَزَ عَلَيهِ[2].

---

(١) هي البسوس ابنة المنقذ التميميَّة، ثمَّ السعديَّة من قضاعة من بنى حرم.
التنبيه والأشراف ١٧٤.

(٢) الكَلَامُ مَعَ جَسَّاسٍ، وَالجَوَابُ جَوَابُهُ، وَلَيسَ مَعَ عَمرٍو.
ينظر: زهر الأكم ٣/ ٢٠٦.

فَقِيلَ فِي ذَلِكَ:(١) [من البسيط]

الـمُسْتَجِيرُ بِعَمْرٍو عِنْدَ كُرْبَتِهِ كَالمُسْتَجِيرِ مِنَ الرَّمْضَاءِ بِالنَّارِ

وَنَشَبَتِ الحَربُ بَينَ بَكرٍ وَتَغْلِب أَرْبَعِينَ سَنةً حَتَّى قُتِلَ أَكْثَرُ بكر، وَكَانَتِ الغَلَبَةُ لِتَغْلِبَ عَلَيهِم، قِيلَ كَانَ بَينَ مَبعَثِ النَّبِيِّ ﷺ وَبينَ هَذِهِ الحَرب سِتِّينَ سَنةً(٢).

وَأَمَّا المُهَلَّبُ فَقَد اسْتَنْهَضَهُ القُبَّاعُ(٣) وَالِي البَصرةِ لِقِتَالِ الخَوَارِجِ حِينَ قَارَبوا البَصرَةَ وَخَافَهُم أَهْلُهَا، وَهِيَ قَضِيَّةٌ مَشهُورَة ذَكَرَهَا ابنُ أَبِي الحَدِيدِ فِي شَرحِ النَّهجِ، فَمَنْ أَرَادَهَا فَلْيَطْلُبْهَا مِنْ هُنَاكَ(٤).

فَانْظُرْ فَإِذَا كَانَ سَبَبُ اسْتِثَارَةِ مُهَلْهِل وَالمُهَلَّبِ هَذَا الَّذِي ذَكَرنَاهُ مِنْ أَمْرِهِمَا، وَهوَ كَمَا تَرَاهُ لَمْ يَكُنْ مِن حُبِّ رَشَأٍ، وَلَا غَانِيةٍ فَكَيْفَ صَيَّرَ السَّيِّدُ -سَلَّمَهُ اللهُ- لِإِفْرَاطِ حُسْنِ وَلَدِهِ سَبَبَ اسْتِثَارَتِهِمَا؟! وَأَرَادَ بِذَلِكَ أَنَّ وَلَدَهُ بَلَغَ مِنَ الحُسنِ حَدًّا لَا يُلتَفَتُ مَعَهُ إِلَى

(١) البيت للتِّكلام الضبعيّ:
أَصلُ هَذَا المَثَلُ وَأَوَّلُ مَنْ نَطَقَ بِهِ التِّكلَامُ الضَّبْعِيُّ، وَذَلِكَ أَنَّ جَسَّاسَ بنِ مُرَّةَ لَمَّا طَعَنَ كُلَيْبًا، وَهوَ كُلَيبُ وَائِلٍ، اسْتَسْقَى عَمرَو بنَ الحَارِثِ مَاءً فَلَمْ يَسْقِهِ وَأَجْهَزَ عَلَيهِ، فَقَالَ التِّكلَامُ فِي ذَلِكَ:

الـمُستغيثُ بعمرو عندَ كربتهِ كالمُستغيثِ مِنَ الرَّمضاءِ بالنارِ

ينظر: فصل المقال في شرح كتاب الأمثال ٣٧٧.

(٢) المناقب المزيديَّة ١/ ١٩٢، ٢٣٠، والمفصَّل في تأريخ العرب قبل الإسلام ٨/ ٨٦-٨٨، ١٠/ ٢٧-٢٩، ١٨/ ٢٢٥-٢٣٥.

(٣) القُبَّاعُ: مِكْيَالٌ ضَخْمٌ. والقُبَّاعُ: لقب الْحَرْثُ بْنُ عَبْدِ الله وَالِي البصرة. (اللسان ٨/ ٢٥٩).
- القُبَّاعُ: هوالْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الله بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ، أَحَدُ بَنِي مَخزوم، وَهوَ أَخو عُمرَ بنِ عَبدِ الله بنِ أَبِي رَبيعةَ المَخزُوميّ الشَّاعِر، وَلَّاهُ ابنُ الزُّبَيرِ البَصرةَ بَعدَ أَنْ عَزلَ عُمرَ بنَ عُبيدِ الله، وَكَانَ رَجُلًا سَهَّاكًا، فَمرَّ بِمِكيالٍ فِي البَصرةِ فَقَالَ: إِنَّ هَذَا لَقُبَّاعٌ صَالِحٌ؛ فَلَقَّبوهُ بـ(القُبَّاع). وكان خطيبًا، وَكَانَ فِيهِ سَوَادٌ؛ لِأَنَّ أُمَّهُ كَانَت حَبَشِيَّةً نَصرَانِيَّةً.
ينظر: الطبقات الكبرى ٥/ ٢١، والكامل في اللغة والأدب ٣/ ٢٢٢،

(٤) شرح ابن أبي الحديد ٤/ ١٤٤.

غَيرِهِ، حَتَّى أَنَّهُ صَارَ لِإِفْرَاطِ حُسْنِهِ يُوهِمُ أَنَّ المُهَلهِلَ وَالمُهَلَّبَ هُوَ كَانَ سَبَبَ اسْتِثَارَتِهِمَا، لَا مَن اسْتَثَارَا فِيهِمَا، وَمَا ذَاكَ إِلَّا مِنْ قِلَّةِ نَبَاهَتِهِ، وَجَرِيهِ عَلَى عَادَتِهِ، وَلَو أَنَّهُ تَنَبَّهَ لَعَدَلَ عَنْ مُهَلهِلِ وَالمُهَلَّبِ إِلَى مَنْ بِهِم المَثَلُ فِي العِشقِ يُضْرَبُ، وَقَالَ لَو رَأَى حُسْنَهُ قَيسُ بنُ ذَرِيحٍ لَنَسِيَ لُبنَى وَبَاتَ بِجَنبِهِ لَا بِجَنْبِهَا مُعَنَّى، أَو لَمِحَهُ أُمرؤُ القَيسِ وَكُثَيِّرٌ لَمَا ذَكَرَا عُنَيْزَةَ وَعَزَّة، وَلَكَانَ كُلٌّ مِنهُمَا يُجِيدُ بِهِ لِلنِّظَامِ حُسنَه وَطَرزَه، أَوْ صَادَفَهُ المَجْنُون؛ لَصَارَ بِحُبِّهِ لَا بِحُبِّ لَيلَى مَفتون، أَوْ نَظَرَهُ عُروَةُ بنُ حِزَام؛ لَأَورَدَهُ حُبُّهُ لَا حُبُّ عَفْرَاءَ أَكؤُسَ الحِمَام، لَكِنَّهُ -سَلَّمَهُ اللهُ- لَا يَفْطِنُ لِهَذِهِ المُحَاوَرَاتِ؛ وَلِذَا تَرَاهُ فِي نَظْمِهِ كَثِيرَ العَثَرَاتِ، وَلَقَدْ زَادَ فِي هَذِهِ القَصِيدَةِ البَنَائِيَّةِ أَبيَاتَ وَلَدُهُ هَذَا الَّذِي بِهِ غَنَّى طُوَيسٌ وَمَعبَد، وَمِن سَيفِ جَفْنِهِ عَامِرٌ تَقَلَّد، وَجَرَى عَلَى مِنهَاجِ أَبِيهِ وَمَا اتَّقَى زَلَّةَ القَدَم، وَمَن شَابَهَ أَبَاهُ فَمَا ظَلَم، وَخَتَمَ أَبيَاتَهُ بِمَدْحِ شِعْرِهِ، فَقَالَ: [من الكامل]

شِعْرِي حَكَى الشِّعرَى العَبُورِ وَإِنَّهُ نَظْمٌ كَمَنْظُومِ الجُمَانِ مُثَقَّبِ

فَالْحَظْ هَذَا التَّشْبِيهَ الَّذِي تَضْحَكُ مِنهُ الأَطْفَالُ، فَضْلًا عَنْ ذَوِي الكَمَالِ، فَتَرَى غَايَةَ العَجَب، مِن نَظْمِهِ الَّذِي زَعَمَ أَنَّهُ كَمَنْظُومِ الجُمَانِ مُثَقَّب، وَتَخَيَّل أَنَّ الأَلفَاظَ لَهَا ثُقُوبٌ شَبِيهَةٌ بِثُقُوبِ الجُمَان، وَهَذَا مَا لَا يَتَخَيَّلَهُ إِنسَان؛ لِأَنَّ عَلَى تَخَيُّلِهِ هَذَا يَنْبَغِي أَنْ يَكونَ لِأَلفَاظِ شِعرِهِ خَيطٌ يَنْظِمُهَا فِيه، وَيَعْقِدُهُ مِن رُؤُوسِ قَوَافِيه؛ لِئَلَّا تَتَسَاقَطُ مِن سلْكِهَا أَلفَاظُ نِظَامِه، وَيَشْتَغِلُ بِنَظْمِهَا مَرَّةً أُخرَى فَتُلهِيهِ عَنْ بُلوغِ مَرَامِه، بَلْ رُبَّمَا فِي سُقُوطِهَا تَضِيعُ بَعضُ أَلفَاظِهَا فِي التُّرَابِ، فَيَجهدُ نَفْسَهُ فِي نَسْفِهِ وَافْتِلَائِهِ عَلَيهَا مَعَ جُملَةِ الأَحْبَاب، وَلَا يَعْثَر بِهَا كَفُّه، وَلَا يَقَعُ عَلَيهَا طَرْفُه، فَيَبقَى حَائِرًا فِكرُهن وَمُلْتَبِسًا عَلَيهِ أَمْرُه، لَا يَيْأَسُ مِنْهَا فَيَمْضِي لِشَأنِه، وَلَا يَحظَى بِرُؤيَتِهَا فَيَقَرُّ لَاحِظُ عَينِه، وَلَعَمري أَنَّ تَشْبِيهَهُ هَذَا مِنَ المَعَايِبِ المُبْتَكَرة، وَمَا تَأَتَّى لَهُ إِلَّا مِنْ حَيْثُ أَنَّهُ مَنْهَجُ أَبِيهِ فِي النَّظْمِ اسْتَقْصَى أَثَرَه، وَسَلَكَ مَسْلَكَه، وَلِذَا تَرَاهُ -سَلَّمَهُ اللهُ- مَا زَالَ يَأتِي بِالمَعَايِبِ المُضْحِكَةِ،

وَأَظُنَّ عَلَى حَسَبِ مَا ارْتَكَبَ فِي نَظْمِهِ تِلكَ العَادَةَ، أَنَّهُ نَظَرَ فِي مَعْنَى بَيتِهِ هَذَا إِلَى قَوْلِ أَبِي عُبَادَةَ:(١) [من الطويل]

١. وَمَا عَدَلَتْ عَنْكَ القَصَائِدُ مَعْدِلا ... وَلَا تَرَكَتْ فَضْلًا لِغَيْرِكَ يُحْسَبُ

٢. يُنَظَّمُ مِنْهَا لُؤْلُؤٌ فِي سُلُوكِهِ ... وَمِن عَجَبٍ تَنظِيمُ مَا لَا يُثَقَّبُ(٢)

وَأَرَادَ أَنْ يَزِيدَ عَلَيهِ إِذْ جَعَلَ لَفْظَ نَظْمِهِ مُثَقَّبًا كَالجُمَانِ، فَكَانَ تَشْبِيهُهُ هَذَا ضَرْبًا مِنَ الهَذَيَان، وَمَا دَرَى أَنَّ أَبَا عُبَادَةَ البُحْتَرِيّ حَذَفَ أَدَاةَ التَّشْبِيهِ وَادَّعَى لِلَفْظِ قَصَائِدِهِ مَعنَى اللُّؤْلُؤِ الحَقِيقِيِّ، وَهوَ أَبلَغُ فِي التَّشْبِيهِ، فَقَالَ:

يُنَظَّمُ مِنْهَا لُؤْلُؤٌ فِي سُلُوكِهِ

ثُمَّ خَافَ أَنْ يَتَوَهَّمَ السَّامِعُ أَنَّ لِذَلِكَ اللُّؤْلُؤِ ثُقُوبًا يُنْظَمُ مِنهَا فِي تِلْكَ السُّلُوكِ، فَأَبْدَعَ وَأَغْرَبَ، وَأَزَالَ الإِيهَامَ وَزَادَ فِي بَلَاغَةِ التَّشْبِيهِ بِقَولِهِ:

وَمِن عَجَبٍ تَنظِيمُ مَا لَا يُثَقَّبُ

فَنَصَبَ قَرِينَةً ظَاهِرةً بِقَولِهِ:

تَنظِيمُ مَا لَا يُثَقَّبُ

تَدُلُّ عَلَى أَنَّ أَلفَاظَ قَصَائِدِهِ إِنَّمَا نُظِّمَتْ فِي صِيَغِ تَفَاعِيل أَبْحُرِ وَزْنِهَا.

وَرَأَيتُ لِهَذَا الوَلَدِ الَّذِي فَتَنَ بِحُسْنِهِ وَالِدَهُ، فَزَيَّنَ أَبُوهُ فِي تَغَزُّلِهِ عَلَيهِ بَدَائِعَهُ وَفَرَائِدَهُ؛ قَصِيدَةً فِي مَدْحِ عَلَمَيْ التُّقَى؛ مَنْ سَمَيَا فِي النُّسْكِ مَرْتَبَةً لَنْ تُرْتَقَى، وَتَضَوَّعَ نَشْرُ تُقَاهُمَا فِي الخَافِقَينِ، الحَاجِّ مُحَمَّد هَادِي وَالحَاجِّ مُحَمَّدِ حُسَين، لَمَّا قَدِمَا مِنْ حَجِّهِمَا، وَأَكْثَرَتِ الشُّعَرَاءُ فِي تَهَانِيهِم لِجَدِّهِمَا، ذِي القَدرِ الشَّامِخِ وَالحِلمِ الرَّاسِخِ، عَظِيمِ المَنَائِحِ، الحَاجِّ مُحَمَّدِ صَالِح، دَامَ مَجْدُهُ وَسَعْدُ جِدُّه، وَلَمَّا اسْتَطْرَدْتُ أَبْيَاتَهَا، وَنَظَرْتُ فِي كِلِمَاتِهَا،

(١) ديوان البحتريّ ١/ ١٣٨.

(٢) في (الديوان): (ننظم) في محل (ينظم).

وَجَدْتُه فِيهَا مَا فَارَقَ عَادَتَهُ، وَلَا جَانَبَ طَرِيقَتَهُ، وَرَأَيْتُهُ قَدْ أَلَمَّ فِيهَا بِمَعنًى مُسْتَهْجَن، تَأْبَاهُ الأَغْبِيَاءُ فَضْلًا عَنْ ذَوي الفِطَنِ، وَهوَ قَولُهُ: [من الخفيف]

١. حَطَّمَا بِالحَطِيمِ سُمْرَ الخَطَايَا نَحَرَا بُدْنَ مُوبِقَاتٍ طِلَاحِ

٢. جَدَّدَا بِالنَّبِيِّ وَالآلِ عَهْدًا عَنْهُمَا ثَابِتَ الجَرَائِمِ مَاحِي

فَقَولُهُ:

حَطَّمَا بِالحَطِيمِ سُمْرَ الخَطَايَا

مِنْ أَفْحَشِ القَوْلِ؛ لِأَنَّهُ يَكونُ كِنَايةً عَن تَوْبَتِهِمَا عَمَّا اقْتَرَفَا مِنَ الذُّنُوبِ، وَأَفْحَشَ مِنهُ قَولُهُ:

نَحَرَا بُدْنَ مُوبِقَاتٍ طِلَاحِ

فَهوَ أَيْضًا كِنَايةٌ عَنْ تَوْبَتِهِمَا مِنْ عَظَائِمِ كَبَائِرِ المُوبِقَاتِ، وَهَذَا ظَاهِرٌ جِدًّا مِن حَيثُ سُمِّيَتِ البُدنُ مِنَ الإبلِ بُدْنَةً؛ لِعُظْمِهَا وَسِمْنِهَا، كَذَا ذَكَرَهُ ابنُ الأَثِيرِ فِي (النهاية)[1]، فَهوَ لَهُمَا بِهذَا الوَصْفِ خَالَفَ سِيرَةَ الشُّعَرَاءِ وَارْتَكَبَ أَسْوَأَ خُطَّة، وَمَا تَنَبَّهَ لِهذِهِ الوَرْطَة؛ لِأَنَّ الشَّاعِرَ إِذَا مَدَحَ مَنْ يَرتَكِبُ الذَّنْبَ العَظِيمَ، يُصَيِّرُهُ مِن جَمِيعِ المَآثِمِ سَلِيم، وَإِنَّهُ مَا اجْتَرَحَتْ خَطِيئَةً يَدَاه، وَإِنَّهُ مُبَرَّأٌ مِن جَمِيعِ المَآثِمِ فِي دُنْيَاه، لَا كَالسَّيِّدِ -سَلَّمَهُ اللهُ- يَنْسِبُ لِلأَتْقِيَاءِ الأَعَاظِمِ كَبَائِرَ الجَرَائِم، وَأَعْظَمُ مِمَّا لَهُمَا نَسَبَه، وَفِي نِظَامِهِ مِن فُحْشِ المَقَالِ ارْتَكَبَه، أَنَّهُ بَعدَ مَا ذَكَرَ أَنَّهُمَا حَطَّمَا بِالحَطِيمِ سُمرَ خَطَايَاهُمَا وَنَحَرَا يَوْمَ النَّحْرِ بُدْنَ مُوبِقَاتِهِمَا، فَكَنَّى بِذَلِكَ عَن غُفرَانِ عَظَائِمِ جَرَائِمِهِمَا، وَكَبَائِرِ مَآثِمِهِمَا، نَسَبَ لَهُمَا جَرَائِمَ ثَابِتةً فِي صَحَائِفِهِمَا، بَعدَمَا رَجَعَا مِن حَجَّةِ الإِسلَامِ، وَقَصَدَا زِيَارَةَ خَاتِمِ الأَنبِيَاءِ ﷺ وَآلِهِ عليهم السلام سَادَاتِ الأَنَام، وَذَلِكَ حَيْثُ قَالَ: [من الخفيف]

جَدَّدَا بِالنَّبِيِّ ﷺ وَالآلِ عليهم السلام عَهْدًا عَنْهُمَا ثَابِتُ الجَرَائِمِ مَاحِي

(١) البَدَنَة تَقَعُ عَلَى الْجَمَلِ وَالنَّاقَةِ وَالْبَقَرَةِ، وَهِيَ بِالْإِبِلِ أَشْبَهُ. وَسُمِّيَتْ بدَنةً؛ لِعِظَمِها وسِمْنَها. (النهاية في غريب الحديث ١/ ١٠٨).

فَعَلَى هَذَا يَكونُ أَنَّهُمَا بَعدَ أَنْ حَطَّمَا بِالحَطِيمِ سُمْرَ خَطَايَاهُمَا، وَغُفِرَتْ لَهُمَا مَآثِمُهُمَا، اقْتَرَفَا ذُنُوبًا غَيْرَهَا مَا بَينَ الحَرَمَينِ بِرُجُوعِهِمَا، فَرُسِمَتْ فِي صَحَائِفِهُمَا، وَلَمَّا جَدَّدَا بِالنَّبِيِّ وَالأَئِمَّةِ المَدْفُونِينَ بِالبَقِيعِ عَهْدَهُمَا، مُحِيَت مِن صَحَائِفِهُمَا جَرَائِمُهُمَا؛ لِأَنَّ جَرَائِمهُمَا السَّابِقَةَ حَطَّمَا بِالحَطِيمِ سُمْرَهَا فَغُفِرَت، وَبِتَجْدِيدِ عَهْدِهَا مُحِيَت الجَرَائِمُ الَّتِي لَهُمَا فِي مَسِيرِهِمَا مَا بَينَ الحَرَمَينِ تَجَدَّدَتْ.

فَانْظُرْ إِلَى فُحْشِهِ كَيفَ هَجَّنَ فِيهِ مَقَالَه، وَذَكَرَ مَا لَايَلِيقُ ذِكْرَهُ فِي القَادَةِ القَالَه، وَعُذْرًا لَهُ؛ فَإِنَّهُ لَا يَفْهَمُ مَا يَنْطِقُ فِيهِ لِسَانَه، وَلَمْ تَسمَعْهُ آذَانَه، وَلَمْ يَشْعُرْ بِهِ جَنَانَه، فَيَسْتَقْبِحْ قَبيحَهُ وَيَروقُهُ إِحْسَانُه؛ لِأَنَّ الشِّعْرَ صَعْبُ المَرَام، وَلَمْ يَنَلْ شَأَوَ عُلُوِّهُ إِلَّا اللَّبِيبُ مِن ذَوي الأَفْهَام: [من الطويل]

وَمَا كُلُّ مَنْ رَامَ المَعَالِي يَنَالَهَا وَلَا كُلُّ سَيَّارٍ إِلَى النَّجْمِ يَهتَدِي

فَأَينَ هُوَ مِن هَذِهِ المَطَالِبِ العَظِيمَةِ؟! الَّتِي لَا يَهتَدِي إِلَى غَوْرِهَا إِلَّا ذَوو الأَنْفُسِ الَّتِي هِيَ بِجَمِيعِ دَقَائِقِ عِلمِ الأَدَبِ عَلِيمَة، وَلَقَدْ جَرَى فِي هَذَا المَيدَانِ الَّذِي جَرَى بِهِ وَلَدُ السَّيِّدِ وَعَثَر، وَلَدُنَا السَّيِّدُ حَيْدَر، فَتَأَنَّقَ فِي نِظَامِهِ وَأَعْجَبَ، وَأَبْدَعَ فَأَغْرَبَ، وَأَبدَى مِن فُنُونِ بَدَائِعِهِ مُذْ عَنْ غَرَائِبِ أَفْكَارِهِ قَدْ أَعْرَب، وَجَرَى فِي صِغَرِ سِنِّهِ فِي مَيدَانِ كِبَارِ عُلَمَاءِ الأَدَب، فَمَا فَاتَ العِذَارُ العِذَارَ فِي جَرَيَانِهِ مَعَهُم بِهَذَا المُضْمَار[1]، وَلاَ تَحْسِبْ أَنِّي فِي نَشْرِ فَضِيلَةِ وَلَدِنَا أُرِيدُ أَنْ أُفَضِّلَهُ عَلَى وَلَدِ السَّيِّدِ، فَالسَّيِّدُ بَلْ جَمِيعُ شُعَرَاءِ زَمَانِهِ؛ لَيْسُوا فِي الحَقِيقَةِ مِنْ أَقْرَانِه، ولم يَسْتَطِيعُوا الجَرْيَ فِي مَيدَانِه، فَأَنَّى يَحرُزُونَ قَصَبَ رِهَانِه؟! وَهُوَ -إِنْ شَاءَ اللهُ- السَّابِقُ الَّذِي لَا يُجَارِيهِ أَحَد، وَبَدَائِعُ نَظْمِهِ لَهُ بِذَلِكَ تَشْهَدْ، وَإِنَّمَا أَرَدتُ أَنْ يَتَحَرَّزوا فِي نِظَامِهِم كَمَا تَحَرَّزَ مِنْ هَذِهِ المَعَانِي الخَسِيسَةَ، وَيَقْصُدوا مَا قَصَدَ

(١) فَمَا فَاتَ العِذَارُ العِذَارَ: أَي لَم يَغْتَرّ، وَلَم يَخْرجْ عَنْ حُدُودِ الأَدَبِ، فَالعِذَارُ الأَوَّلُ عِذَارُ الدَّابَّةِ، وَالعِذَارُ الثاني: سِمةٌ فِي مَوْضِعِ العِذَارِ؛ يُقَالُ إِذَا خلَع الفرسُ العِذارَ جَمَحَ وطَمَّح. (اللسان ٤/ ٥٥٠).

مِن المَعَانِي النَّفِيسَة، فَانْظُرْ فَسَيُسْفِر لَكَ مِنْ نَظْمِهِ الصَّبَاح، وَيَسْتبَانُ لَكَ الخَزَفُ مِنَ اللُّؤْلُؤِ الصُّرَاح، وَذَا مَا قَالَهُ فِيهِما[1] مِن نَظْمِهِ الفَرِيدِ الَّذِي مَا عَلَيهِ مِنْ مَزِيد:[2] [من الكامل]

١.لَا مَسَّ أَيْدِي الرَّامِيَاتِ إِلَى (مِنَى) نَصَبٌ وَلَا مِنْهَا عُقِرْنَ الأَسْوُقُ

٢.فَ(لِلكَعْبَةِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ) بِكَعْبَتَيْ أَمَلِ العُفَاةِ سَرَتْ خَفَائِفَ تُعْنِقُ[3]

٣.وَبِثِقْلِ أَجْرِهِمَا ثَقِيلَاتِ الخُطَى صَدَرَتْ كَأَنَّ لَهَا الرَّوَاسِي أَوْسُقُ[4]

٤.الْمُحْرِمَيْنِ -وَإِنْ أَحَلَّا دَائِمًا- زُهْدًا بِمَا تَهْوَى النُّفُوسُ وَتَعْشَقُ

٥.فَكَأَنَّ كُلَّ مَقَامِ احْتَلَّا بِهِ حَرَمٌ، وَحَجٌّ كُلَّ يَوْمٍ يُخْلَقُ

٦.وَالرُّكْنُ يَشْهَدُ أَنَّ كَفَّهُمَا الَّتِي اسْ تَلَمَتْهُ لَا إِثْمٌ بِهَا مُتَعَلِّقُ

٧.نَحَرَا غَدَاةَ النَّفْرِ هَدْيًا قَالَ: لَمْ يُقْبَلْ سِوَايَ، لَوْ اَنَّ هَدْيًا يَنْطِقُ

٨.وَسَرَيْنَ مِنْ حَرَمِ الإِلَهِ جَوَانِحًا بِهِمَا إِلَى حَرَمِ النَّبِيِّ ﷺ الأَيْنُقُ[5]

٩.بَيْتٌ لَوِ (الْبَيْتُ) اسْتَطَاعَ لَجَاءَهُ (بِالرُّكْنِ) يَسْعَى سَعْيَ مَنْ يَتَمَلَّقُ

١٠.فَالدَّهْرُ فِيهِ مُحْرِمٌ فَمُقَصِّرٌ وَالْفَخْرُ فِيهِ طَائِفٌ فَمُحَلِّقُ

١١.عَكَفَا بِهِ يَتَمَسَّكَانِ فَنَاشِقٌ لَثَمَ الضَّرِيحَ، وَلَاثِمٌ يَسْتَنْشِقُ

وَهِيَ قَصِيدَةٌ غَرَّاءُ، وَفَرِيدَةٌ عَصمَاءُ، سَنُورِدُهَا -إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى- بِتَمَامِهَا فِي بَابِ التَّهْنِئَاتِ.

(١) هما: عَبدِ الهَادِي وَمُحَمَّد حُسَينٍ حَفِيدَا الحَاجِّ مُحمَّدِ صَالِحٍ كُبَّة، القَادِمَانِ مِنَ الحَجِّ.

(٢) ديوان السَّيِّد حيدر الحِلِّيّ، القصيدة (٨٥)، الأبيات ٧١-٨١.

(٣) تَعنقُ: مِنَ العَنقِ وَهوَ ضَربٌ مِنَ السَّيرِ. (اللسان ١٠/ ٢٧٤)، وَكَعبَتَيْ أَمَلِ العُفَاةِ: كِنَايةٌ عَن عَبدِ الهَادِي وَمُحَمَّد حُسَينٍ حَفِيدَي الحَاجِّ مُحَمَّدِ صَالِحٍ كُبَّة، القَادِمَينِ مِنَ الحَجِّ.

(٤) أَوْسُق: جَمعُ الوَسْقِ، وَهوَ حِملُ البَعيرِ. (اللسان ١٠/ ٣٧٨).

(٥) أَينُق: جمع النَّاقةُ. (اللسان ١٠/ ٣٦٢).

وَلَقَدْ أَسْهَبْنَا فِي ذِكرِ المَعَايِبِ الَّتِي هِيَ فِي نِظَامِ الشُّعَرَاءِ لَا تُغْتَفَرْ، وَأَنْتَ إِذَا أَجَلْتَ فِكْرَكَ فِي شِعْرِهِمْ تَرَى مَعَايِبَهُ لَا تُحْصَر، وَأَكْثَرُ مَا أَرَاهُم فِي شِعْرِهِم يَرتَكِبونَ فِي القَافِيَةِ أَقْبَحَ مَعَايِبَهَا الشَّنِيعَة، وَمِنْ عَدَمِ شُعُورِهِم يَحسِبُونَ أَنَّهُ مِنَ البَدَائِعِ البَدِيعَة، كَمَن أَرَّخَ مِنهُم عَامَ وَفَاةِ ذِي الأَصلِ الزَّكِيِّ، وَالقَدرِ العَلِيِّ، وَالشَّرف المُضِيِّ، الحَاجِّ مَهدِيِّ، نَجْلِ زَعِيمِ القَادَةِ الجَحَاجِح، الحَاجِّ مُحَمَّدٍ صَالَح، وَذَلِكَ حَيثُ قَالَ: [من الطويل]

١.نَأَيْتَ أَبَا الهَادِي فَأَحْرَقْتَ مُهْجَتِي ... فَيَا لَيْتَ أَنِّي كُنْتُ أَفْدِيكَ بِالنَّفْسِ

٢.وَمُذْ مَاتَ فَرْدُ الدَّهْرِ قُلْتُ مُؤَرِّخًا ... وَقَدْ رَحَلَ المَهْدِي لِجَنَّةِ فِرْدَوسِ

وَهَذَا العَيبُ يُسَمِّيهِ العَرُوضِيُّونَ (سِنَادَ الرِّدفِ)[١]، وَهُوَ رِدفُ رَوِيِّ أَحَدِ البَيْتَينِ بِحَرفِ الرَّدفِ الآتِي بَيَانُهُ، أَي تَصْيِيرُهُ ذَا رَدفٍ دُونَ الآخَرِ، فَالبَيْتُ الأَوَّلُ رَوِيُّهُ هُنَا، وَهُوَ (السِّينُ)، غَيْرُ مَرْدُوفٍ، وَرَوِيُّ البَيتِ الثَّانِي مَرْدُوفٌ؛ لِإِتيَانِ الوَاوِ قَبلَهُ، وَهُوَ عِنْدَهُم عَيبٌ فَاحِشٌ[٢]، وَاسْتَشْهَدوا عَلَيهِ بِقَوْلِ الشَّاعِر:[٣] [من المتقارب]

١.إِذَا كُنْتَ فِي حَاجَةٍ مُرْسِلا ... فَأَرْسِلْ حَكِيمًا وَلَا تُوْصِهِ

٢.وَإِنْ تَأْتِ أَمْرًا عَلَيكَ التَوَى ... فَشَاوِرْ لَبِيبًا وَلَا تَعْصِهِ[٤]

(١) الرِّدْفُ فِي الشِّعْرِ حَرْفٌ سَاكِنٌ مِنْ حُرُوفِ المَدِّ واللِّين يَقعُ قَبْلَ حَرْفِ الرَّوِيّ لَيْسَ بَيْنَهُمَا شَيْءٌ، فَإِنْ كَانَ أَلِفًا لَمْ يَجُز مَعَهَا غَيْرُهَا، وَإِنْ كَانَ وَاوًا جَازَ مَعَهُ الْيَاءُ. وَقِيلَ: الرِّدْف الأَلف وَالْيَاءُ وَالْوَاوُ الَّتِي قَبْلَ الرَّوِيّ، سُمِّيَ بِذَلِكَ؛ لأَنه مُلْحَقٌ فِي الْتِزَامِهِ وتَحَمُّلِ مُرَاعَاتِهِ بِالرَّوِيِّ. (اللسان ٩/ ١١٧).

(٢) سِنَادُ الرِّدْفِ: وَهُوَ رِدفُ أَحَدِ البَيتَينِ دُونَ الآخَرِ؛ كَقَولِ القَائِلِ: (وذكر البيتَين أعلاه). أهدى سبيل ١٠٤.

(٣) البيتان للزبير بن عبد المطَّلب في: جمهرة الأمثال ١/ ٩٨، والتذكرة الحمدونيَّة ١/ ٣٩٨، وقصَّة الأدب في الحجاز ٣٣٩، ولأحمد بن فارس في الإعجاز والإيجاز ١٧٧، وخاصُّ الخاصِّ ١٩٤، ولعبد الله بن جعفر بن أبي طالب في: جواهر الأدب ٢/ ٤٢٤، وبدون عزو في مصادر كثيرة أخرى.

(٤) في الأصل (أخاك) في موضع (لبيبًا).

وَقَالوا: الأَوَّلُ مَردُوفٌ لِإِتيَانِ الوَاوِ قَبلَ [حَرفِ الرَّوي] الصَّادِ، وَالثَّانِي غَيرُ مَردُوفٍ، وَشُعَرَاءُ زَمَانِنَا -مِن عَدَمِ تَنَبُّهِهِم- لَا يَعْتَبِرونَ مِن أَحْرُفِ القَافِيَةِ إِلَّا [حَرْفَ] الرَّوي فَقَط، وَهُوَ مِنْ أَفْحَشِ الغَلَطِ؛ لِأَنَّ الأَحْرُفَ الَّتِي تَتَرَكَّبُ مِنهَا القَافِيةُ سِتَّةٌ[1]، وَحَرَكَاتُهَا سِتَّةٌ[2]، كَمَا سَيَأتِي ذِكْرُه.

قَالَ ابنُ أَبِي الحَدِيدِ فِي (شَرحِ النَّهْجِ)[3]: فَإِنْ تَتَسَاوَى الحُرُوفُ الَّتِي قَبْلَ الرَّوِيِّ مَعَ كَونِهَا لَيْسَتْ بِوَاجِبَةِ التَّسَاوِي، فَذَلِكَ قِسْمٌ مِنْ أَقْسَامِ البَدِيعِ يُسَمُّونَهُ لُزُوم مَا لَا يَلزَم[4]، وَهوَ كَقولِ بَعضِ شُعَرَاءِ الحَمَاسَةِ:[5] [من الكامل]

١. بَيْضَاءُ بَاكَرَهَا النَّعِيمُ فَصَاغَهَا ... بِلَيَاقَةٍ فَأَدَقَّهَا وَأَجَلَّهَا

(١) تتركَّب القافية من ستَّة حروف متحرِّكة وساكنة، هي: ١. الرَّوِيُّ: وهو الحرف الذي بُنِيَت عليه القصيدة، وتنسب إليه، فيقال: سينيَّة وداليَّة، وهكذا، ٢. الوَصل: هو ما جاء بعد الرويّ من حرف مدٍّ أُشبعت به حركة الرويّ، أو هاء وَلِيَتِ الرَّويّ، وحرف المدِّ يكون ألفًا أو ياءً أو واوًا، ٣. الخروج: هو حرف المدِّ الذي ينشأ من إشباع حركة الوصل إن كان الوصل غير حرف مدٍّ، ومثاله الألف في هبوبها، والواو في أذكره، والياء في نعله، ٤. الردف: هو حرف المدِّ الذي يكون قبل الرويّ، ولا فاصل بينهما، ٥. التأسيس: هو الألف التي يكون بينها وبين الرويّ حرف، ٦. الدخيل: هو الحرف المتحرِّك الذي يقع بين التأسيس والرويّ. ينظر: أهدى سبيل ٩٢.

(٢) حركات حروف القافية هي: ١. المجرى: وهو حركة الرويّ المطلق، ٢. النفاذ: حركة الوصل إذا كان هاءً، ٣. الحذو: حركة ما قبل الردف، ٤. الإشباع: حركة الدخيل، ٥. الرّسُّ: حركة ما قبل التأسيس، ٦. التوجيه: حركة ما قبل الرويّ المقيَّد. ينظر: أهدى سبيل ٩٧.

(٣) ينظر: شرح ابن أبي الحديد ١/ ١٣٤.

(٤) لُزومُ مَا لَا يَلزَم: صِنفٌ مِن أَصنَافِ البَدِيعِ، وَيُقالُ لَهُ الإِعنَات، وَيَرِدُ فِي المَنظومِ وَالمَنثورِ مِن الكَلامِ، وَمَعناهُ فِي لِسانِ عُلَمَاءِ البَيانِ أَنْ يَلتزِمَ النَّاظِمُ قَبلَ حَرفِ الرَوِيِّ حَرفًا مَخصُوصًا، أَو حَرَكَةً مخصُوصةً مِنَ الحَرَكَاتِ قَبلَ حَرفِ الرَّوي أَيضًا. ينظر: الطراز ٢/ ٢٠٩.

(٥) لعروة بن أذينة في: عيون الأخبار ٤/ ٣٠، وزهر الآداب ١/ ٢٠٨، وشرح ديوان الحماسة للتبريزيّ ٢/ ٦٨، والتذكرة الحمدونيَّة ٦/ ٦٣، والمثل السائر ١/ ١٩٠، والحماسة البصريَّة ٢/ ١٤٩، وصبح الأعشى ٢/ ٢٣٠، والكشكول ١/ ٧٥، وزهر الأكم ١/ ٢٧١.

٢.حَجَبَتْ تَحِيَّتَهَا فَقُلْتُ لِصَاحِبِي: مَا كَانَ أَكْثَرَهَا لَنَا وَأَقَلَّهَا
٣.وَإِذَا وَجَدْتُ لَهَا وَسَاوِسَ سَلْوَةٍ شَفَعَ الضَّمِيرُ إِلَى الفُؤَادِ فَسَلَّهَا

قَالَ: أَلَا تَرَى كَيفَ لَزِمَ اللَّامَ الأَوَّلَ مِنَ اللَّامَينِ اللَّذَينِ صَارَا حَرْفًا مُشَدَّدًا، فَالثَّانِي مِنْهُمَا هُوَ الرَّوِيُّ وَاللَّامُ الأَوَّلُ قَبلَهُ هُوَ التِزَامُ مَا لَا يَلْزَمُ، فَلَو قَالَ فِي القَصِيدَةِ: وَصْلَهَا، وَقَبلَهَا، وَفِعلَهَا، لَجَازَ، وَاحْتَرَزْنَا بِقَولِنَا: لَيْسَتْ بِوَاجِبَةِ التَّسَاوِي عَنْ قَولِ الرَّاجِزِ، وَهوَ مِنْ شُعَرَاءِ الحَمَاسَةِ أَيْضًا:(١) [من الرجز]

١.وَفِيشَةٍ لَيْسَتْ كَهَذِي الفَيْشِ قَدْ مُلِئَتْ مِنْ خِرَقٍ وَطَيْشِ
٢.إِذَا بَدَتْ قُلْتَ: أَمِيرَ الجَيْشِ مَنْ ذَاقَهَا يَعْرِفُ طَعْمَ العَيْشِ

فَإِنَّ لُزُومَ اليَاءِ قَبْلَ حَرفِ الرَّوِيِّ لَيْسَ مِن هَذَا البَابِ؛ لِأَنَّهُ لُزُومٌ وَاجِبٌ، أَلَا تَرَى أَنَّهُ لَوْ قَالَ فِي هَذَا الرَّجَزْ البَطْشُ وَالعَرشُ وَالفَرشُ لَمْ يَجُزْ؛ لِأَنَّ الرِّدفَ لَا يَجوزُ أَنْ يَكونَ حَرْفًا خَارِجًا عَنْ حُروفِ العِلَّةِ، وَالقَافِيَةُ تُطْلَقُ فِي اللُّغَةِ عَلَى القَصِيدَةِ لِاشْتِمَالِهَا عَلَيهَا(٢)، مِن إِطْلَاقِ الجُزْءِ مُرَادًا بِهِ الكُلُّ، كَقَولِ الخَنْسَاءِ مِن قَصِيدَةٍ تَرثِي بِهَا أَخَاهَا صَخْرًا:(٣) [من المتقارب]

وَقَافِيَةٍ مِثْلَ حَدِّ السِّنَا نِ تَبْقَى وَيَذْهَبُ مَنْ قَالَهَا

وَقَولُ الشَّمَيدرِ الحَارِثِيِّ: [من الطويل]

بَنِي عَمِّنَا لَا تَذْكُرُوا الشِّعْرَ بَعْدَمَا دَفَنْتُمْ بِصَحْرَاءِ الغَمِيمِ القَوَافِيَا

وَيُعتَبرُ لِتَفْسِيرِهَا لَفْظًا وَمَعْنًى حَالَتَانِ: **الأُولى** تَفْسِيرِهَا بِاعْتِبَارِ لَفْظِهَا، فَهِيَ فَاعِلَةٌ مِن قَفَا أَي تَبِعَ، سُمِّيَتْ بِذَلِكَ؛ لِأَنَّهَا تَقْفُو صَدْرَ البَيتِ أَي تَتْبَعُهُ، وَقِيلَ لِأَنَّهَا تَقْفُو أَخَوَاتِهَا؛ لِأَنَّ بَعْضَهَا يَتْبَعُ أَثَرَ بَعْضٍ، وَالأَوَّلُ أَولَى؛ لِجَوَازِ أَنْ يَكونَ الشِّعْرُ بَيْتًا وَاحِدًا،

(١) القوافي للتنوخيّ ٦٣.
(٢) ديوان الخنساء ١٠٦.
(٣) ديوان الخنساء ١٠٦.

وَقِيلَ لِأَنَّ الشَّاعِرَ يَقفُوهَا، أَي يَتْبَعُهَا وَيَنْظِمُ عَلَيهَا؛ لِأَنَّهَا مَجرَى لَهُ فِي البَيْتِ الأَوَّلِ عَلَى السَّلِيقَةِ وَالسَّجِيَّةِ ثُمَّ يَتْبَعُهَا فِي سَائِرِ الأَبْيَاتِ فَعَلَى هَذَا فَهيَ فَاعِلَةٌ بِمَعْنَى مَفْعُولَة[1]، كَـ﴿.. عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾[2]، بِمَعنَى مَرضِيَّةٍ. هَذَا تَفْسِيرُهَا بِاعْتِبَارِ لَفْظِهَا.

وَالثَّانِيةُ تَفْسِيرهَا بِاعْتِبَارِ مَعْنَاهَا، وَفِيهِ اخْتِلَافٌ كَثِيرٌ لَكِن قَالَ الصُّغْنَاقِيُّ[3]: لَيسَ نِزَاعُهُم فِي مُسَمَّى القَافِيةِ لُغَةً، وَلَا فِيمَا يُصْطَلَحُ عَلَيهِ أَنَّهُ قَافِيةٌ، وَإِنَّمَا النِّزَاعُ فِي القَافِيةِ المُضَافُ إِلَيهَا العِلْمُ، فِي قَولِهم: عِلمُ القَافِيَةِ، مَا المُرَادُ فِيهِ، فَفِيهِ اثْنَا عَشَرَ قَوْلًا.

الأَوَّلُ: وَهوَ أَصَحُّ الأَقوَالِ، وَهوَ مَا ذَهَبَ إِلَيهِ الخَلِيلُ بنُ أَحمدَ، مِنْ أَنَّهَا مِن آخِرُ حَرفٍ مِنَ البَيْتِ إِلَى أَوَّلِ سَاكِنٍ يَلِيهِ، مَعَ حَرَكَةِ الحَرْفِ الَّذِي قَبلَهُ[4]؛ لِأَنَّكَ تَرَى هَذَا القَوْلَ مُنْتَظِمًا لِجَمِيعِ العَوَارِضِ فِي القَافِيَةِ مِن حُروفٍ وَحَرَكَاتٍ تُرَاعَى أَحْكَامُهَا، وَمَتَى اخْتَلَّ شَيءٌ مِمَّا اشْتَرَطَهُ فَسَدَتِ القَافِيةُ.

ثانيها: أَنَّ القَافِيةَ آخِرُ كَلِمَةٍ مِنَ البَيتِ، وَهوَ قَولُ الأَخْفَشِ[5].

ثالثها: أَنَّهَا الجُزآنِ الأَخِيرَانِ مِنهُ.

رابعها: أَنَّهَا الجُزءُ الأَخِيرُ مِنهُ[6].

خامسها: أَنَّهَا بَعْضُ الجُزءِ المَذكُورِ[7].

---

(١) العمدة ١/ ١٥٤، والقوافي للتنوخيّ ٦٢.

(٢) سورة الحاقَّة/ ٢١.

(٣) الحسين بن عليّ بن الحجَّاج بن عليّ الصغناقيّ الحنفيّ (حسام الدين)، فقيه، أصوليّ، متكلِّم نحويّ، صرفيّ، قدم حلب ودمشق، وتوفِّي في حلب سنة (٧١١هـ أو ٧١٤هـ). ينظر: الجواهر المضيئة ١/ ٢١٢، ومعجم المؤلِّفين ٤/ ٢٨، وتاج التراجم ١٦٠.

(٤) العمدة ١/ ١٥١.

(٥) العمدة ١/ ١٥٢.

(٦) ومن الناس من جعل القافية آخر جزء من البيت. العمدة ١/ ١٥٣.

(٧) العمدة ١/ ١٥١.

سادسها: أَنَّهَا الجُزْءُ المَذكورُ وَبَعضُ جُزءٍ[1].

سابعها: أَنَّهَا حَرفَانِ مِن آخِرِ البَيْتِ[2].

ثامنها: أَنَّهَا مَا لَـزَمَ الشَّاعِرَ إِعَادَتُهُ مِنَ الحُروفِ وَالحَرَكَاتِ.

تاسعها: أَنَّهَا حَرفُ الرَّوِيِّ نَفسُهُ.

عَاشِرُهَا: أَنَّهَا النِّصفُ الأَخِيرُ مِنَ البَيتِ[3].

حادي عشرها: أَنَّهَا البَيْتُ كُلُّهُ[4].

ثاني عشرها: أَنَّهَا القَصِيدَةُ كُلُّهَا[5].

وَفِي هَذِينِ القَولَينِ نَظَرٌ.

وَعَلَى القَولِ الأَوَّلِ، فَهِيَ قَدْ تَكونُ بَعضَ كَلِمَةٍ، كَقَولِ امرئ القَيْسِ:[6] [من الطويل]

وُقُـوفًـا بِهَـا صَـحْبِي عَلَـيَّ مَطِيَّهُم يَقُـولُـونَ لَا تَهلَكْ أَسًـى وَتَـجَمَّلِ[7]

وَهِيَ هُنَا مِنْ حركة حرف (الجيم) في (تجمل) إِلَى آخِرِ الكلمة[8].

(١) العمدة ١/ ١٥١.

(٢) قال أبو القاسم عبد الرحمن الزجَّاجيّ: بعض الناس من العلماء يرى أن القافية حرفان من آخر البيت. العمدة ١/ ١٥٣.

(٣) ومنهم من جعل القافية في الجزء الآخر من البيت، وقال: لا يسمَّى بيتًا من الشعر ما دام قسيمًا أوَّل. العمدة ١/ ١٥٤.

(٤) ومنهم من قال: البيت كلُّه هو القافية؛ لأنَّك لا تبني بيتًا على أنَّه من الطويل، ثمَّ تخرج منه إلى البسيط، ولا إلى غيره من الأوزان. العمدة ١/ ١٥٤.

(٥) ومنهم من جعل القافية القصيدة كلها؛ وذلك اتِّساع ومجاز. العمدة ١/ ١٥٤.

(٦) ديوان امرئ القيس ١١١.

(٧) في (الأصل): (وتحمل) في موضع (وتجمل).

(٨) لتوضيح الفكرة، نرسم الكلمة عروضيًا بوضع خطٍّ مائلٍ مقابل الحرف المتحرِّك، ودائرة صغيرة مقابل الحرف الساكن، فتكون كلمة (وَتَـجَمَّلِ /// ٥ / / ٥)، فالقافية محصورة بين الحرف=

وَقَد تكونُ كَلِمَةً كَامِلَةً كَقَولِهِ أيْضًا:(١) [من الطويل]

فَفَاضَتْ دُمُوعُ العَينِ مِنِّي صَبَابَةً عَلَى النَّحْرِ حَتَّى بَلَّ دَمْعِيَ مَحْمَلِي(٢)

فـ(مَحْمَلِي) بِمَجْمُوعِه القَافِيَة.

قَالَ بَعْضُ الأَفَاضِلِ: هَهُنَا مُنَاقَشَةٌ؛ لِأَنَّ ظَاهِرَهُ أَنَّ المُرَادَ بِالكَلِمَةِ: الكَلِمَةُ النَّحْوِيَّةُ، كَمَا يَدُلُّ عَلَيهِ السِّيَاقُ، وَمَا فِي هَذَا البَيتِ اسْتِشهَادٌ؛ لِأَنَّ (مَحْمَلي) لَيْسَ كَلِمةً وَإِنَّمَا هِي كَلِمَتَانِ، مُضَافٌ وَمُضَافٌ إِلَيهِ، كَمَا هُوَ غَيْرُ خَافٍ، فَالأَوْلَى الاسْتِشْهَادُ بِقَولِهِ:(٣) [من الطويل]

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكرَى حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ بِسِقْطِ اللِّوَى بَينَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ(٤)

فَإِنَّ القَافِيَةَ فِيه مِن حَاءِ (حَوْمَلَ) إِلَى آخِرِهِ، وَهِيَ كَلِمةٌ وَاحِدَةٌ.

وَقَدْ تَكونُ كَلِمةً وَبَعضَ كَلِمَةٍ أُخْرَى، كَمَا فِي قَولِ الشَّاعِرِ:(٥) [من الكامل]

دَمِنٌ عَفَتْ وَمَحَا مَعَالِمَهَا هَطَلٌ أَجَشُّ وَبَارِحٌ تَرِبُ

فَهِيَ مِنَ الحَاءِ المُهْمَلَةِ إِلَى آخِرِ البَيتِ.

وَقَدْ تَكونُ مِنْ كَلِمَتَينِ، كَمَا فِي قَولِ امرئ القَيْسِ:(٦) [من الطويل]

=الساكن الأخير والساكن الذي يليه، وهو حرف الميم الأوَّل من الحرف المشدَّد، مع حركة حرف الجيم الذي يسبق الحرف المشدَّد، فالقافية هنا جزء من كلمة.

(١) ديوان امرئ القيس ١١٢.

(٢) وعند رسم كلمة (مَحْمَلِي / ه/ / ه) نجد أنَّ الكلمة كلها قافية.

(٣) ديوان امرئ القيس ١١٠.

(٤) فلو رسمنا (حَوْمَلِ / ه/ / ه) نجد أنهَّا كلها كلمة قافية.

(٥) بلا عزو في: كتاب العروض ٨٨.

– عند رسم الكلمتَين الأخيرتَين من البيت (وَبَارِحٌ تَرِبُ / / ه/ / ه/ / / ه) نجد القافية تبدأ من حرف الحاء من بارح، فالقافية في هذا البيت تتكوَّن من كلمة وجزء من كلمة أخرى.

(٦) ديوان امرئ القيس ١١٩.=

مُـكِـرٍّ مُـفِـرٍّ مُـقْـبِـلٍ مُـدْبِـرٍ مَـعًـا كَجُلمُودِ صَخْرٍ حَطَّهُ السَّيْلُ مِنْ عَلِ

فَهِيَ (من) الجَارُ (لِعَل) إِلَى آخِرِ البَيْتِ.

وَقَدْ تَكونُ كَلِمَتَينِ وَبَعْضَ أُخرَى، كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:(١)

قَـدْ جَـبَرَ الـدِّيـنَ الإِلَـهُ فَـجَـبر فَـهِـيَ فِـيـهِ مِـنْ لَـهَ إِلَى آخِـرِ البَيْتِ.

حُرُوفُ القَافِيَة

وَأَمَّا الأَحْرُفُ الَّتِي تَتَرَكَّبُ مِنهَا القَافِيَةُ فَسِتَّةٌ(٢)، وَلَهَا سِتُّ حَرَكَاتٍ، فَأَمَّا الحُرُوفُ فَهِيَ: الرَّوِيُّ وَالوَصْلُ وَالـخُرُوجُ وَالرِّدفُ وَالتَّأْسِيسُ وَالدَّخِيلُ. وَنَظَمَ هَذِهِ الأَحرُفَ ابنُ عَجلُونَ فِي قَولِهِ: [من الطويل]

١. حُـرُوفُ الـقَـوَافِي سِتَّةٌ قَـدْ نَظَمْتُهَا لِـيَـقْـصُـرَ فِـيـهَـا الأَمْـرُ فَـهـوَ طَـويـلُ

٢. رَوِيٌّ وَوَصْـلٌ وَالخُـروجُ وَرِدْفُـهُ وَمِـنْ قَـبـلِـهِ الـتَّـأْسِـيسُ ثُـمَّ دَخِـيـلُ

حَرَكَاتُ القَافِيَة

وَأَمَّا حَرَكَاتُهَا فَسِتٌّ(٣)، وَهِيَ: المَجْرَى وَالنَّفَاذُ وَالحَذْو وَالإِشْبَاعُ وَالرِّس وَالتَّوْجِيهُ، وَقَدْ نَظَمَهَا بَعْضُ الشُّعَرَاءِ فِي قَوْلِهِ: [من الكامل]

١. إِنَّ الـقَـوَافِي عِـنْـدَنَـا حَـرَكَـاتُهَـا سِـتٌّ عَـلَى نَـسَـقٍ بِهِـنَّ يُـلَاذُ

٢. رِسٌّ وَإِشْـبَـاعٌ وَحَـذْوٌ ثُـمَّ تَـوْ جِـيـهٌ وَمَـجْـرَى بَـعْـدَهُ وَنَـفَـاذُ

=- عند رسم الكلمتَين الأخيرتَين من البيت (من عل / ه/ / ه) نجد القافية تبدأ من حرف الميم، فالقافية في هذا البيت تتكوَّن من كلمتَين.

(١) ديوان العجَّاج ٢.

- عند رسم الكلمات (الإله فجبر / ه/ / ه/ / / ه) نجد القافية تبدأ من لَه، إلى آخر البيت.

(٢) ميزان الذهب في شعر العرب ١١٣، وأصول النغم في الشعر العربيّ ٣٢٣.

(٣) ميزان الذهب في شعر العرب ١١٨، وأصول النغم في الشعر العربيّ ٣٣٧.

وَنِهَايَةُ مَا يَجْتَمِعُ مِن هَذِهِ الحُروفِ وَالحَرَكَاتِ فِي قَافِيَةٍ مِثل قَافِيَةِ هَذَا البَيتِ، وَهوَ: [من المنسرح]

يُوشَكُ مَنْ فَرَّ مِنْ مَنِيَّتِهِ فِي بَعْضِ غِرَّاتِهِ يُوَافِقُهَا

لِأَنَّهَا قَدْ اجْتَمَعَ فِيهَا خَمسَةٌ وَهيَ: التَّأْسِيسُ وَالدَّخِيلُ وَالرَّويُّ وَالوَصْلُ وَالخُرُوجُ، كُلُّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِه يَلزَمُ تَكرَارهُ إِلَّا الدَّخِيلُ.

وَاجْتَمَعَتْ فِيهَا أَرْبَعُ حَرَكَاتٍ وَهِيَ: الرِّسُّ وَالإِشْبَاعُ وَالمَجْرَى وَالنَّفاذُ فَالألفُ فِي الكَلِمَةِ [يُوَافِقُهَا] تَأْسِيسٌ، وَحَرَكَةُ الحَرْفِ الَّذِي قَبْلَهُ رِسٌّ، وَالفَاءُ دَخِيلٌ وَحَرَكَتُهُ إِشْبَاعٌ، وَالقَافُ رَوِيٌّ وَحَرَكَتُه مجرَى، وَالهَاءُ وَصْلٌ وَحَرَكَتُه نَفَاذٌ، وَالأَلِفُ خُرُوجٌ.

عُيوبُ القَافِيَةِ[1]

١. الإِيطَاءُ:[2]

وَمِنْ عُيوبِهَا الإِيطَاءُ، وَهوَ اتِّفَاقُ قَافِيَتَي البَيتَينِ لَفْظًا وَمَعنَى، وَذَلِكَ كَقَولِ الشَّاعِرِ: [من الطويل]

١.أَ وَاضِعَ البَيْتِ فِي خَرْسَاءَ مُظْلِمَةٍ تَقَيَّدَ العَيرُ لَا يَرأَى بِهَا السَّارِي

٢.لَا يَحْصِيَ المُزْنَ عَنْ أَرْضٍ أَلَمَّ بِهَا وَلَا يَضِلُّ عَلَى مِصْبَاحِهِ السَّارِي

فَالسَّارِي فِي قَافِيَتَي البَيَتَيْنِ مُتَّحِدٌ لَفْظًا وَمَعْنَى، وَهوَ عَيبٌ قَبِيحٌ وَسَبَبُ قُبْحِهِ دَلَالَتُهُ عَلَى ضَعْفِ طَبعِ الشَّاعِرِ وَنَزَارَةِ مَادَّتِهِ، إِذْ أَحْجَمَ طَبْعُهُ وَقَصُرَ فِكرُه عَنْ أَنْ يَأْتِي بِقَافِيَةٍ غَيرِ الأُولَى، وَاسْتَروَحَ إِلَى إِعَادَةِ الأُولَى وَهوَ مَعَ كَونِهِ عَيْبًا قَبِيحًا يَجوزُ لِلْمُوَلِّدِينَ تَعَاطِيهِ كَمَا جَازَ لِغَيرِهِم، قَالَ ابنُ القَطَّاعِ[3]: إِلَّاعِنْدَ الجُمَحِيِّ وَحْدَهُ فَإِنَّهُ مَنَعَهُم مِنهُ وَأَمَّا إِذَا

(١) ميزان الذهب في شعر العرب ١٢٣، وأصول النغم في الشعر العربيّ ٣٤٥.

(٢) ميزان الذهب في شعر العرب ١٢٤، وأصول النغم في الشعر العربيّ ٣٤٥.

(٣) ابن القَطَّاع: عليّ بن جعفر بن عليّ السعديّ، أبو القاسم، المعروف بابن القطَّاع، عالم بالأدب=

اتَّحَدَتَا لَفْظًا وَاخْتَلَفَتَا مَعنًى فَلَيسَ بِإِيطَاءٍ، كَذَهَبَ مَاضِي يَذْهَبُ وَذَهَبَ مُرَاسِلُ الفِضَّةِ، وَكَذَلِكَ المَعرَّفُ مَعَ المُنْكَرِ كَرَجُلٍ مَع الرَّجُلِ، وَالمُعَرَّفُ بِالأَلفِ وَاللامِ مَعَ المُعَرَّفِ بِالإِضَافَةِ، وَاجْتِمَاعُ الاسْمِ مَعَ الكُنيَةِ كَـ(مَالِك) وَ(ابن مَالِك)، فِيهِمَا مَذْهَبَانِ أَشهَرُهُمَا وَهوَ مَذهَبُ الأَخْفَش وَجَزَمَ بِهِ ابنُ القَطَّاعِ أَنَّه لَيسَ بِإِيطَاءٍ.

٢. التَّضْمِينُ:(١)

وَمِنْ عُيوبِهَا التَّضْمِينُ: وَهوَ تَعلِيقُ قَافِيةِ البَيْتِ بِمَا بَعْدَهُ عَلَى وَجْهٍ لَا يَسْتَقِلُّ بِالإِفَادَةِ، وَيُسَمَّى بِذَلِكَ ضِمنَ البَيتِ الثَّانِي مَعنَى البَيتِ الأَوَّلِ وَتَمَّمَهُ بِهِ؛ لِأَنَّ الأَوَّلَ لَا يَتُمُّ إِلَّا بِالثَّانِي وَذَلِكَ كَقَولِ الشَّاعِرِ: [من الوافر]

١. وَهُمْ وَرَدُوا الجِفَارَ عَلَى تَمِيمٍ وَهُمْ أَصْحَابُ يَوْمَ عُكَاظِ إِنِي

٢. شَهِدْتُ مَوَاقِفَ صَادِقَاتٍ شَهِدْتُ لَهُمْ بِصِدْقِ الوُدِّ مِنِّي

وَإِنَّمَا كَانَ عَيْبًا؛ لِأَنَّ القَافِيةَ مَحَلَّ الوَقْفِ وَالاسْتِرَاحَةِ، فَإِذَا كَانَتْ مُفْتَقِرَةً إِلَى مَا بَعْدَهَا لَمْ يَصُحّ الوَقُوفُ عَلَيهَا فَيَزُولُ الغَرَضُ المَذْكُورُ مِنهَا.

وَأَمَا إِذَا تَعَلَّقَتْ قَافِيةُ البَيتِ بِمَا بَعْدَهَا وَاسْتَقَلَّتْ بِالفَائِدَةِ كَقَولِهِ:

إِنَّ أَمِيرَ المُؤمِنِينَ قَدْ بَنَى عَلَى الطَّرِيقِ عَلَمًا مِثْلَ الطُّوَى

فَلَيْسَ بِعَيْبٍ عِنْدَ الأَكْثَرِ لِحُصُولِ الفَائِدَةِ بِقَولِهِ: قَدْ بَنَى، وَإِذَا لَمْ تَتَعَلَّقْ القَافِيةُ بِمَا بَعْدَهَا، بَلْ تَعَلَّقَ صَدرُ البَيْتِ بِمَا بَعْدَهُ، كَقولِ الشَّاعِرِ: [من الوافر]

=واللغة، من أبناء الأغالبة السعديِّين أصحاب المغرب، ولد في صقلِّيَّة، ثمَّ انتقل إلى مصر بعد أن احتلَّ الفرنج صقلية، وتوفِّي في القاهرة سنة (٥١٥هـ/ ١١٢١م)، ومن آثاره: (كتاب الأفعال)، و(العروض البارع)، و(الشافي في القوافي)، وغيرها. له ترجمة في: وفيات الأعيان ٣/ ٣٢٢، وتأريخ الإسلام ١١/ ٢٤١، وسير أعلام النُّبلاء ١٩/ ٤٣٣، والوافي بالوفيات ٢٠/ ١٧٥، والبلغة ١٠٢، والأعلام ١١/ ٢٦٩.

(١) ميزان الذهب في شعر العرب ١٢٤، وأصول النغم في الشعر العربيّ ٣٤٥.

١. أَقُولُ لِصَاحِبِي وَالعِيسُ تَهْوِي ... بِنَا بَيْنَ المُفِيفَةِ فَالضُّمَارِ

٢. تَزَوَّدْ مِنْ شَمِيمِ عَرَارِ نَجْدٍ ... فَمَا بَعْدَ العَشِيَّةِ مِنْ عَرَارِ

فَلَيْسَ بِعَيْبٍ لانْتِفَاءِ ذَلِكَ المَحْذُورِ، نَصَّ عَلَيهِ أَبو العَبَّاسِ[١]، وَسَمَّاهُ تَعْلِيقًا مَعْنَويًا، وَعَدَّهُ بَعضُ أَهْلِ البَيَانِ فَنًّا مِنْ فُنُونِ البَدِيعِ، وَسَمَّاهُ التَّفْرِيعُ.

وَإِنْ كَانَ البَيتُ مُسْتَقِلًّا بِنَفْسِهِ لَكِنَّهُ مُشْتَمِلٌ عَلَى مَا يَفْتَقِرُ فِي تَفْسِيرِهِ إِلَى البَيْتِ الثَّانِي، وَجَاءَ الثَّانِي كَالْمُفَسِّرِ لَهُ وَالمُبَيِّنِ لِمَعْنَاهُ، لَمْ يَكنْ عَيْبًا، وَذَلِكَ كَقَولِ الشَّاعِرِ:[٢] [من الطويل]

١. وَتَعْرِفُ فِيهِ مِنْ أَبِيهِ شَمَائِلا ... وَمِنْ خَالِهِ أَوْ مِنْ يَزِيدَ وَمِنْ حُجرْ[٣]

٢. سَمَاحَةَ ذَا أَوْ بِرِّ ذَا أَو وَفَاءَ ذَا ... وَنَائِلَ ذَا إِذَا صَحَى وَإِذَا سَكَرْ[٤]

وَإِذَا لَمْ يَتُمّ الأَوَّلُ، وَجَاءَ الثَّانِي جَوَابًا لَهُ، أَو كَالجَوَابِ، وَذَلِكَ كَقَوْلِ الشَّاعِرِ:[٥] [من المتقارب]

١. وَلَو عَنْ نَثَا غَيْرِهِ جَاءَنِي ... وَجُرْحِ اللِّسَانِ كَجُرحِ اليَدِ[٦]

(١) المِبْرَد: محمَّد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالِيّ الأزديّ، أبو العبَّاس، المعروف بالمبرِّد، إمام العربيَّة ببغداد في زمنه، وأحد أئمَّة الأدب والأخبار، ولد في البصرة وتوفِّي في بغداد سنة (٢٨٦هـ/ ٨٩٩م)، من آثاره: (الكامل)، و(المقتضب)، وغيرها كثير. له ترجمة في: معجم الشعراء ١/ ٤٨٤، وتأريخ العلماء النحويِّين ٥٣، وتأريخ بغداد ٤/ ١٥١، ونزهة الألباء ١٦٤، ومعجم الأدباء ٦/ ٢٦٧٨، وإنباه الرواة ٣/ ٢٤١، ووفيات الأعيان ٤/ ٢١٣، وسير أعلام النُّبلاء ١٣/ ٥٧٦، وتأريخ الإسلام ٦/ ٨٣١، والوافي بالوفيات ٥/ ١٤١، وبغية الوعاة ١/ ٢٦٩، والأعلام ٧/ ١٤٤، ومعجم المؤلِّفين ١٢/ ١١٤.

(٢) الشعر لأمرئ القيس، ديوانه ٧٥.

(٣) في الديوان: (ومن يزيد) في موضع (أو من يزيد).

(٤) في الديوان: جاء الصدر برواية: (سماحة ذا وبر ذا ووفاء ذا).

(٥) الشعر لأمرئ القيس، ديوانه ٥٣.

(٦) نَثَّ الخَبَرَ، يَنُثُّه، ويَنِثُّه، نَثًّا، إذا أَفْشَاهُ. والنَّثُّ: نَشْرُ الحَدِيثِ، وَقيل: هُوَ نَشْرُ الحديثِ الَّذِي=

٢. لَـقُـلْـتُ مِـنَ الـقَـولِ مَـا لَا يَـزَا ... لُ يُـؤْثَـرُ عِـنْـي يَـدَ الـمُـسْـنَـدِ[١]

فَالـمُتَقَدِّمُونَ لَا يَرَونَهُ عَيْبًا، إِذِ الجَوَابُ إِنَّمَا يَكونُ بَعدَ تَمَامِ الكَلَامِ، وَقِيلَ هُوَ عَيبٌ؛ لِأَنَّ مَعنَى الشَّرطِ لَا يَتُمُّ إِلَّا بِمَا بَعْدَهُ، فَهوَ كَالجُزْءِ منه.

٣. الإِقوَاءُ:[٢]

وَمِنْ عُيوبِهَا الإِقوَاءُ، وَهوَ عِنْدَهُم اخْتِلَافُ المَجرَى، وَهوَ حَرَكَةُ الرَّوِيِّ بِحَركَةٍ تُقَارِبُهَا فِي الثِّقلِ كَكَسْرٍ وَضَمٍّ، وَهوَ وَالَّذِي بَعدَهُ عَيبٌ فَاحِشٌ لَا يَنْبَغِي لِلْمُحْدِثِينَ اسْتِعْمَالَهُ، وَإِنْ وَرَدَ عِندَ العَرَبِ؛ لِأَنَّ المَجْرَى يَنْبَغِي أَنْ لَا تَقْتَرِنَ فِي جَمِيعِ قَوَافِي أَبيَاتِ القَصِيدَةِ إِلَّا بِمَا يُمَاثِلُهَا؛ إِنْ ضَمَّة فَضَمَّة، أَو فَتْحَةٌ فَفَتْحَة، أَوْ كَسرَةٌ فَكَسرَة، فَإِنْ قُرِنَت بِمَا يُقَارِبُهَا فِي الثِّقْلِ كَالضَّمِّ بِالكَسْرِ أَوْ العَكْسِ، سُمِّيَ ذَلِكَ إِقْوَاءً، مِنْ أَقوَى الحَبْلُ إِذَا تَجَانَبَتْ أَو تَبَاعَدَت قُوَّةٌ مِنْ قُوَاهُ، أَي طَاقَةٌ مِن طَاقَاتِهِ وَقِيلَ مِن أَقوَى الرَّبعُ إِذَا خَلَا مِنْ سُكَّانِهِ سُمِّيَ هَذَا العَيْبُ بِهِ؛ لِأَنَّ حَرَكَةَ الرَّوي جَانَبَتْ وَبَاعَدَت حَرَكَةَ الرَّوي الأَوَّلِ، أَوْ لِأَنَّ الرَّوِيَّ الثَّانِي خَلَا مِنْ حَرَكَةِ الرَّوِيِّ الأَوَّلِ، فَمِثَالُ اخْتِلَافِهِمَا بِالانْتِقَالِ مِنَ الكَسْرَةِ إِلَى الضَّمَّةِ قَولُ الشَّاعِرِ:[٣] [من البسيط]

١. لَا بَأْسَ بِالقَوْمِ مِنْ طُولٍ وَمِنْ قِصَرٍ ... جِسْمُ البِغَالِ وَأَحْلَامُ العَصَافِيرِ

٢. كَأَنَّهُم قَصَبٌ جَوْفٌ أَسَافِلُهُم ... مُثَقَّبٌ نَفَحَتْ فِيهِ الأَعَاصِيرُ[٤]

=كَتْمُهُ أَحَقُّ من نَشْرِه. (التاج ٥/ ٣٩٦).

(١) في (الأصل): (عند) في موضع (عني). يَدَ المُسنَدِ: آخر الدهر أو أبد الدهر. (التاج ٨/ ٢١٧).

(٢) أهدى سبيل إلى علم الخليل ١٠٢، وميزان الذهب في شعر العرب ١٢٣، وأصول النغم في الشعر العربيّ ٣٤٦.

(٣) شرح ديوان حسَّان ٢١٤-٢١٥.

(٤) في الديوان جاء البيت برواية: (من البسيط)

كَأَنَّكُمْ خُشُبٌ جُوفٌ أَسَافِلُهُ ... مُثَقَّبٌ فِيهِ أَرْوَاحُ الأَعَاصِيرِ

٤. الإصراف:[١]

وَمِن عُيوبِهَا الإصرَافُ، وَهوَ اخْتِلَافُ المَجرَى بِحَركَةٍ تُبَاعِدُهَا فِي الثِّقْلِ، وَذَلِكَ كَاخْتِلَافِهَا بِفَتْحٍ وَغَيرِهِ مِنْ ضَمٍّ وَكَسْرٍ[٢]، سُمِّيَ بِذَلِكَ مِنْ قَولِهم صَرَفْتُ الشيَّءَ عَمَّا كَانَ عَلَيهِ، فَمِثَالُ اجْتِمَاعِ الفَتْحِ مَعَ الضَّمِّ قَولُ الشَّاعِرِ:[٣] [من الوافر]

١. أَرَيتُكَ إِنْ مَنَعْتَ كَلَامَ يَحيَى ... أَتَمْنَعُنِي عَلَى يَحيَى البُكَاءَ[٤]

٢. فَفِي طَرفِي عَلَى يَحيَى سُهَادٌ ... وَفِي قَلْبِي عَلَى يَحيَى البَلَاءُ

فَجَمَعَ بَينَ الفَتْحَةِ وَالضَّمَّةِ، مَعَ الانْتِقَالِ مِنَ الأَوَّلَى إِلَى الثَّانِيَة.

وَمِثَالُ اجْتِمَاعِ الفَتْحِ مَعَ الكَسْرِ قَولُ الآخَرِ:[٥] [من الوافر]

٣. أَلَمْ تَرَنِي رَدَدْتُ عَلَى ابنِ لَيْلَى ... مَنِيحَتَهُ فَعَجَّلْتُ الإِدَاءَ

٤. وَقُلْتُ لِشَاتِهِ لَمَّا أَتَتْنَا ... رَمَاكِ اللهُ مِنْ شَاةٍ بِدَاءِ

فَجَمَعَ بَينَ الفَتْحَةِ وَالكَسْرَةِ، مَعَ الانْتِقَالِ مِنَ الأُولَى إِلَى الثَّانِيَة.

٥. الإكفَاءُ:[٦]

وَمِنْ عُيوبِهَا الإِكْفَاءُ، وَهوَ عِندَهُم اخْتِلَافُ الرَّوِيِّ بِحُروفٍ مُتَقَارِبَةِ المَخَارِجِ، وَهوَ وَالَّذِي بَعْدَهُ مِنْ أَقْبَحِ العُيوبِ أَيْضًا، لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنَ المُوَلَّدينَ اسْتِعمَالُهُ، وَإِنْ وَرَدَ فِي شِعرِ العَرَبِ؛ لِأَنَّ حُروفَ الرَّوِيِّ يَنْبَغِي أَنْ تَكونَ فِي جَمِيعِ أَبيَاتِ القَصِيدَةِ مُتَمَاثِلة،

(١) ميزان الذهب في شعر العرب ١٢٣، وأصول النغم في الشعر العربيّ ٣٤٧.

(٢) أهدى سبيل ١٠٣.

(٣) بلا عزو في: أهدى سبيل ١٠٣.

(٤) في الأصل (أ رأيك) في موضع (أريتك).

(٥) بلا عزو في: أهدى سبيل ١٠٣.

(٦) أهدى سبيل ١٠٣، وميزان الذهب في شعر العرب ١٢٣، وأصول النغم في الشعر العربيّ ٣٤٨.

كَالدَالِ مَعَ الدَالِ، وَاللَّامِ مَعَ اللَّامِ، فَمَتَى مَا خُولِفَ ذَلِكَ كَانَ عَيْبًا، وَسُمِّيَ إِكفَاءً مِنْ قَولِهِم أَكفَيْتُ الإِنَاءَ إِذَا كَبَبْتُهُ، وَقِيلَ مِنَ الإِكفَاءِ، وَهوَ الانْقِلَابُ؛ لِأَنَّ الشَّاعِرَ يَنْقَلِبُ بِالرَّوِيِّ عَنْ طَرِيقَتِهِ، وَهَذَا لَازِمُ مَعنَى الأَوَّلِ، وَقِيلَ مِنْ قَولِهِم فُلَانٌ كُفْؤُ فُلَانٍ أَي مُمَاثِلُهُ؛ لِأَنَّ أَحَدَ الطَّرَفَينِ مُمَاثِلُ الآخَرِ، أَي مُقَارِبُه فِي المَخْرَجِ؛ فَلِذَلِكَ أَقَامَهُ الشَّاعِرُ مَقَامَهُ، وَالأَوَّلُ أَظهَرُ، كَمَا فِي قَولِ الشَّاعِرِ:(١) [من الرجز]

بَـنَـاتُ وَطَّـاءٍ عَـلَى خَـدِّ اللَّـيـلْ لَا تَـشْـتَـكَـينَ عَـمَـلًا مَـا أَكْـفَـينْ(٢)

فَاخْتَلَفَ الرَّوِيُّ بَاللَّامِ وَالنُّونِ، وَهُمَا مُتَقَارِبَانِ بِالمَخْرَجِ؛ لِأَنَّ مَخرَجَ اللَّامِ مِنْ أَدنَى حَافَّةِ اللِّسَانِ إِلَى مُنْتَهَى طَرَفِ الأَسْنَانِ، وَمَخرَجُ النُّونِ مِنْ طَرَفِ اللِّسَانِ، وَمَجَارِيهِ مِنَ اللَّثَّةِ تَحتَ مَخرَجِ اللَّامِ بِقَلِيلٍ، وَقِيلَ فَوْقَهُ.

٦. الإِجَازَة:(٣)

وَمِن عُيوبِهَا الإِجَازَةُ، وَالكُوفِيُّونَ يُسَمُّونَهَا الإِجَارَةَ بِالرَّاءِ المُهْمَلَةِ، وَهيَ عِندَهُمْ اخْتِلَافُ الرَّوِيِّ بِحُرُوفٍ مُتَبَاعِدَةِ المَخَارِجِ، وَهوَ أَقْبَحُ مِنَ الأَوَّلِ، سُمِّيَ بِذَلِكَ؛ لِتَجَاوُزِ حَرفِ الرَّوِيِّ عَنْ مَوْضِعِهِ الأَوَّلِ، وَذَلِكَ كَقَولِ الشَّاعِرِ:(٤) [من الطويل]

١.أَلا هَـلْ تَـرَى إِنْ لَمْ تَكُنْ أُمُّ مَالِكٍ بِـمِـلْـكِ يَـدِي إِنَّ الـكَـفَـاءَ قَـلِـيـلُ

٢.رَأَى مِـنْ خَلِيلَيْهِ جَـفَـاءً وَغِلْظَةً إِذَا قَـامَ يَـبْـتَـاعُ الـقَـلُـوصَ ذَمِـيـمُ

فَاخْتَلَفَ الرَّوِيُّ بِاللَّامِ وَالمِيمِ وَهُمَا مُتَبَاعِدَانِ بِالمَخْرَجِ؛ لِأَنَّ مَخرَجَ اللَّامِ كَمَا عَرفْتَهُ أَدْنَى حَافَّةِ اللِّسَانِ إِلَى مُنْتَهَى طَرَفَيْ الأَسنَانِ، وَمَخْرَجُ المِيمِ الشَّفَتَانِ فَبَينَهُمَا تَبَاعُدٌ.

(١) بلا عزو في: أهدى سبيل ١٠٣.

(٢) في المصدر: (ما أنقين) في موضع (ما أكفين).

(٣) أهدى سبيل ١٠٤، وميزان الذهب في شعر العرب ١٢٣، وأصول النغم في الشعر العربيّ ٣٤٩.

(٤) بلا عزو في: أهدى سبيل ١٠٤.

٧. السِّنَادُ:(١)

وَمِنْ عُيوبِهَا السِّنَادُ، وَاختُلِفَ فِي تَفْسِيرِهِ، قِيلَ هُوَ كُلُّ عَيبٍ يَلْحَقُ القَافِيَةَ، أَيُّ عَيبٍ كَانَ، وَقِيلَ هُوَ كُلُّ عَيْبٍ سِوَى الإكفَاءِ وَالإقوَاءِ وَالإيطَاءِ وَبِهِ قَالَ الزَّجَّاجُ(٢)، وَقِيلَ هُو اخْتِلَافُ الأَرْدَافُ وَبِهِ قَالَ أَبو عُبَيْدَةَ(٣)، وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ اخْتِلَافُ مَا يُرَاعَى قَبْلَ الرَّوِيِّ مِنَ الحُروفِ وَالحَرَكَاتِ وَبِهِ قَالَ الرُّمَّانِيُّ(٤)، وَهوَ قَبيحٌ فِي القَوَافِي وَاشْتِقَاقُه مِن قَولِهم تَسَانَدَ القَومُ إِذَا خَرَجُوا عَلَى رَايَاتٍ شَتَّى أَي مُختَلِفينَ غَيرَ مُتَّفِقينَ؛ وَذَلِكَ لِتَخَالُفِ

(١) أهدى سبيل ١٠٤، وميزان الذهب في شعر العرب ١٢٣، وأصول النغم في الشعر العربيّ ٣٥٠.

(٢) الزَّجَّاجُ: إِبرَاهِيمُ بنُ السِّرِيِّ بنِ سَهلٍ، عَالِمٌ بَالنَّحوِ وَاللُّغَةِ، وُلِدَ وَمَاتَ فِي بَغدادَ. كَانَ فِي فُتوَّتِهِ يَخرطُ الزُّجَاجَ، وَمَالَ إِلَى النَّحْوِ فَعَلَّمَهُ المُبَرِّدُ، عَمَلَ مُؤَدِّبًا لِلقَاسِمِ بنِ عُبيدِ الله ثُمَّ كَاتِبًا لَهُ عِندمَا تَولَّى الـوُزارَةَ لِلمُعْتَضِدِ العَبَّاسِيّ، تُوفِّي سَنةَ (٣١١هـ/ ٩٢٣م)، ومن آثاره (إعراب القرآن)، و(معاني القرآن)، و(الاشتقاق)، و(خلق الإنسان) وغيرها. ترجم له في: تأريخ بغداد ٦/ ٨٧، ونزهة الألباء ١٨٣، ومعجم الأدباء ١/ ٥١، وإنباه الرواة ١/ ١٩٤، والوافي بالوفيات ٥/ ٢٢٨، والبلغة ٥٩، وبغية الوعاة ١/ ٤١١، والأعلام ١/ ٤٠، ومعجم المؤلِّفين ١/ ٣٣.

(٣) مَعْمَر بنُ المُثنَّى التَّيْمِيُّ بِالوَلاَءِ، البَصريُّ، أَبو عُبيد النَّحويُّ، مِن أَئِمَّةِ العِلمِ بِالأَدَبِ وَاللُّغةِ. مَولِدهُ وَوَفَاتُهُ فِي البَصرَةِ، استَقْدَمَهُ هَارونُ الرَّشيدُ إِلَى بَغدادَ سَنة (١٨٨هـ)، وَقرأَ عَلَيهِ أَشيَاءَ مِنْ كُتُبِه، قِيلَ عَنهُ: لَم يَكُن فِي الأَرضِ أَعلَمُ بِجميعِ العُلومِ مِنهُ، مِن حُفَّاظِ الحَديثِ، وَقَد رُمِيَ بِرَأيِ الخَوَارِجِ، وَقِيلِ كَانَ صَدوقًا أَخْبَاريًا، مَاتَ سَنة (٢٠٩هـ). له ترجمة في: أخبار النحويِّين ٥٣، وتأريخ بغداد ١٣/ ٢٥٢، وتأريخ دمشق ٥٩/ ٤٢٣، ونزهة الألباء ٨٤، ومعجم الأدباء ٦/ ٢٧٠٤، وتأريخ إربل ٢/ ٥٤٧، وإنباه الرواة ٣/ ٢٧٦، وتهذيب الأسماء ٢/ ٢٦٠، ووفيات الأعيان ٥/ ٢٣٥، وسير أعلام النُّبلاء ٩/ ٤٤٥، والبلغة ٢٩٥، وبغية الوعاة ٢/ ٢٩٤، وطبقات المفسِّرين ٣٠، وديوان الإسلام ٣/ ٢٩٩، والأعلام ٧/ ٢٧٢، وطبقات النسَّابين ٥٠.

(٤) الرُّمَّانيّ: عَلِيّ بنُ عِيسَى، أَبو الحَسَنِ، مِن كِبارِ النُّحَاةِ. أَصلُهُ مِن سَامَرَّاءَ، وَمَولِدُهُ وَوَفَاتُه فِي بَغدادَ، لَهُ نَحو مِئةِ مُصَنَّفٍ، مِنهَا: (المعلوم والمجهول)، و(الأسماء والصفات)، وغيرها، تُوفِّيَ سنة (٣٨٤هـ/ ٩٩٤م)، له ترجمة في: تأريخ بغداد ١٢/ ٦٧، ونزهة الألباء ٢٣٣، ومعجم الأدباء ٤/ ١٨٢٦، وسير أعلام النُّبلاء ١٦/ ٥٣٣، والوافي بالوفيات ٢١/ ٢٤٧، والبلغة ٢١٠، والأعلام ٤/ ٣١٧، ومعجم المؤلِّفين ٧/ ١٦٢.

قَوَافِي الأَبيَاتِ بِهِ، وَهوَ أَنوَاعٌ خَمسَةٌ، اثْنَان مِنهَا بِاعْتِبَارِ الحُرُوفِ، وَثَلَاثَةٌ بِاعْتِبَارِ الحَرَكَاتِ.

١. سِنَادُ الرِّدفِ:(١)

فَأَحدُ النَّوعَينِ اللَّذَينِ بِاعْتِبَارِ الحُرُوفِ، هو: سِنَادُ الرِّدفِ، وَهوَ رِدفُ أَحَدِ البَيْتَينِ بِحَرفِ الرِّدفِ، أَي تَصْيِيرِهِ ذَا رِدفٍ، دُونَ البَيتِ الآخَرِ، كَمَا فِي قَولِهِ: [من المتقارب]

١. إِذَا كُنْتَ فِي حَاجَةٍ مُرْسِلًا فَأَرْسِلْ حَكِيمًا وَلَا تُوْصِهِ

٢. وَإِنْ تَأْتِ أَمْرًا عَلَيكَ التَوَى فَشَاوِرْ لَبِيبًا وَلَا تَعْصِهِ(٢)

فَالأَوَّلُ مَرْدوفٌ لِإِتيَانِ الوَاوِ قَبلَ الصَّادِ، وَالثَّانِي غَيرُ مَرْدُوفٍ.

٢. سِنَادُ التَّأْسِيسِ:(٣)

وَثَانِيهِمَا سِنَادُ التَّأسِيسِ: وَهوَ تَأْسِيسُ أَحَدِ البَيْتَينِ بِحَرفِ التَّأسِيسِ المُتَقَدِّمُ بَيَانُه دُونَ البَيتِ الآخَرِ، كَمَا فِي قَولِهِ:(٤) [من الرجز]

يَا دَارَ سَلْمَى يَا اسْلَمِي ثُمَّ اسْلَمِي فَخُنْدُفٌ هَامَةُ ذَا العَالَمِ(٥)

فَالثَّانِي مُؤَسَّسٌ، وَالأَوَّلُ غَيرُ مُؤَسَّسٍ، وَهَذَا الشِّعرُ لِلْعَجَّاجِ، وَيُحكَي أَنَّ ابْنَهُ رُؤْبَةَ كَانَ يَقُولُ: لُغَةُ أَبِي هَمْزُ (العَالَمَ)، فَعَلَيْهِ لَا يَكونُ فِيهِ سِنَادُ تَأسِيسٍ لِعَدَمِ تَأسِيسِ أَحَدِهِمَا.

وَأَمَّا الثَّلَاثَةُ الَّتِي بِاعْتِبَارِ الحَرَكَاتِ فَأَحَدُهُمَا:

---

(١) ميزان الذهب في شعر العرب ١٢٤، وأصول النغم في الشعر العربيّ ٣٥٠.

(٢) في الأصل (أخاك) في موضع (لبيبًا).

(٣) ميزان الذهب في شعر العرب ١٢٥، وأصول النغم في الشعر العربيّ ٣٥٠.

(٤) الرجز للعجَّاج، ديوانه ١/ ٤٤٢، والبيت الثاني في ١/ ٤٦٢

(٥) رُسمت العالم مهموزة: (هذا العألم) في موضع (ذا العالم).
قال المحقِّق في الهامش: هكذا كان يقرأها العجَّاج.

١. سِنَادُ الإِشْبَاعِ:(١)

وَهُوَ اخْتِلَافُ حَرَكَةِ الدَّخِيلِ الْمُتَقَدِّمُ بَيَانُهُ بِحَرَكَتَيْنِ، كَالضَّمَّةِ مَعَ الكَسْرَةِ أَو مُتَبَاعِدَتَيْنِ كَالفَتْحَةِ مَعَ أَحَدِهِمَا، وَالثَّانِي أَفْصَحُ مِنَ الأَوَّلِ، وَنَصَّ السَّيِّدُ فِي شَرْحِ الخَزْرَجِيَّةِ(٢) عَلَى الأَوَّلِ أَنَّهُ لَيْسَ بِعَيْبٍ.

فَمِثَالُ الأَوَّلِ كَمَا فِي قَولِهِ:(٣) [من الطويل]

١. وَهُمْ طَرَدُوا مِنهَا بِلِيًّا فَأَصْبَحَتْ بَلِيٌّ بِوَادٍ مِنْ تِهَامَةِ غَائِرِ(٤)

٢. هُمُ مَنَعُوهَا مِنْ قُضَاعَةَ كُلِّهَا وَمِن مُضَرَ الحَمْرَاءِ عِندَ التَّغَاوُرِ

فَحَرَكَةُ دَخِيلِ الأَوَّلِ كَسْرَة، وَالثَّانِي ضَمَّةٌ، وَهُمَا مُتَقَارِبَتَانِ فِي الثِّقْلِ كَمَا عَلِمْتَ.

وَالثَّانِي كَقَولِهِ:(٥) [من الرجز]

يَا نَخْلَ ذَاتِ السِّدْرِ وَالجَدَاوِلِ تَطَاوَلِي مَا شِئْتِ أَنْ تَطَاوَلِي

فَحَرَكَةُ دَخِيلِ الأَوَّلِ كَسْرَةٌ، وَالثَّانِي فَتْحَةٌ، وَهُمَا مُتَبَاعِدَتَانِ.

٢. سِنَادُ الحَذوِ:(٦)

وَثَانِيهَا سِنَادُ الحَذوِ، وَهوَ اخْتِلَافُ حَرَكَةِ مَا قَبْلَ الرِّدْفِ كَمَا فِي قَولِهِ: [من الوافر]

---

(١) ميزان الذهب في شعر العرب ١٢٥، وأصول النغم في الشعر العربيّ ٣٥٠.

(٢) الخزرَجِيَّةُ قَصيدةٌ لِلخَزْرَجِيِّ فِي العَروضِ، وَشَرْحُ الشَّرِيفِ عَلَيهَا يُسَمَّى (رِيَاضَةُ الأَبيِّ فِي شَرحِ قَصِيدَةِ الخَزرَجِيِّ).

- السَّيِّد: هُوَ الشَّرِيفُ الغِرنَاطِيُّ، أَبو القَاسِمِ مُحَمَّدُ بنُ أَحمَدَ بنِ مُحَمَّد الحَسَنِي السَّبْتِي، رَئِيسُ العُلومِ اللِّسَانِيَّةِ بِالأَنْدَلُسِ، كَانَ آيَةَ الله البَاهِرَةَ فِي العَرَبِيَّةِ وَالبَيَانِ وَالأَدَبِ، وَيَكفِيهِ فَضلًا أَنَّهُ شَرحَ الخَزْرَجِيَّةَ، وَافْتَرَعَ هِضَابَ مُشكِلَاتِهَا بِفَهْمِهِ، مِنْ غَيرِ أَنْ يَسْبِقَهُ أَحَد إِلَى اسْتِخْرَاجِ كُنُوزِهَا، وَإِيضَاحِ رُمُوزِهَا. ينظر: نفح الطيب ٥/ ١٨٩، والأعلام ٥/ ٣٢٧، ومعجم المؤلِّفين ٨/ ٣١٧.

(٣) أهدى سبيل ١٠٤.

(٤) في (الأصل): (عنها) في موضع (منها).

(٥) أهدى سبيل ١٠٤.

(٦) أهدى سبيل ١٠٥، وميزان الذهب في شعر العرب ١٢٥، وأصول النغم في الشعر العربيّ ٣٥١.

١. وَقَدْ أَلِجُ الخِبَاءَ عَلَى جَوَارٍ كَأَنَّ عُيونَهُنَّ عُيونُ عِينِ
٢. كَأَنِّي بَينَ خَافِقَتَيْ عُقَابٍ يُرِيدُ حَمَامَةً فِي يَوْمِ غَينِ

فَحَرَكَةُ حَذْوِ الأَوَّلِ، كَسْرَةٌ وَالثَّانِي فَتْحَةٌ، وَهُمَا مُتَبَاعِدَتَانِ كَمَا عَلِمْتَ وَأَمَّا إِذَا كَانَ الاخْتِلَافُ بِحَرَكَتَينِ مُتَقَارِبَتَينِ؛ فَلَيْسَ ذَلِكَ بِعَيبٍ، نَصَّ عَلَيهِ السَّيِّدُ أَيْضًا كَقَولِهِ:(١) [من الوافر]

١. أَلَا هُبِّي بِصَحْنِكِ فَاصْبِحِينَا وَلَا تُبْقِي خُمُورَ الأَنْدَرِينَا
٢. ذِرَاعَيْ عَيْطَلٍ أَدْمَاءَ بَكرٍ تَرَبَّعَت الأَجَارِعَ وَالمُتُونا(٢)

فَحَرَكَةُ حَذْوِ الأَوَّلِ كَسْرةٌ، وَالثَّانِي ضَمَّةٌ.

وَمِثَالُ الضَّمَّةِ مَعَ الفَتْحَةِ كـ(بَرْمُون) مَعَ (مُصْطَفَون)، فَإِنَّ المِيمَ مِنَ الأَوَّلِ مَضْمُومَةٌ، وَالفَاءُ مِنَ الثَّانِي مَفْتُوحَةٌ، إِذْ أَصْلُهُ (مُصْطَفِيونَ) فَاستُثْقِلَتِ الضَّمَّةُ عَلَى اليَاءِ فَحُذِفَت؛ ثُمَّ حُذِفَتِ اليَاءُ لِالتِقَاءِ السَّاكِنَينِ.

٣. سناد التوجيه:(٣)

وَثَالِثُهَا سِنَادُ التَّوْجِيهِ(٤)، وَهوَ اخْتِلَافُ حَرَكَةِ مَا قَبلَ الرَّوِيِّ المُقَيَّدِ، أَي السَّاكِنُ بِحَرَكَتَينِ مُتَبَاعِدَتَينِ كِمَا نَصَّ عَلَيهِ السَّيِّدُ أَيْضًا، وَذَلِكَ كَمَا فِي قَولِهِ:(٥) [من الرجز]

وَقَاتِمِ الأَعْمَاقِ خَاوِي المُخْتَرَقْ
أَلَّفَ شَتَّى لَيْسَ بِالرَّاعِي الحَمِقْ

(١) من معلقة عمرو بن كلثوم، ديوانه ٦٤، ٦٨.

(٢) في (الأصل): (أرمى) في موضع (أدماء)، و(فالمنونا) في محل (والمتونا).
- في (الديوان): جاء البيت برواية:
ذِرَاعَيْ عَيْطَلٍ أَدماءَ بَكرٍ هِجَانِ اللَّونِ لَم تَقْرَأْ جَنِينَا

(٣) ميزان الذهب في شعر العرب ١٢٥، وأصول النغم في الشعر العربيّ ٣٥٢.

(٤) أهدى سبيل إلى علمَي الخليل ١٠٥.

(٥) الرجز لرؤبة بن العجَّاج، ديوانه ١٠٤.

شَـذَّابَـةٌ عَـنْـهَـا شَـذَا الـرَّبْـعِ السُّحُقْ

فَحَرَكَةُ الأَوَّلِ فَتحَةٌ، وَالثَّانِي كَسرَةٌ، وَالثَّالِثُ ضَمَّةٌ.

وَقَدِ اخْتَلَفَ الخَلِيلُ وَالأَخْفَشُ فِي سِنَادَيِ التَّوْجِيهِ وَالإِشْبَاعِ أَيُّهُمَا أَقْبَحُ فَذَهَبَ الخَلِيلُ إِلَى أَنَّ الأَوَّلَ أَقْبحُ مِنَ الثَّانِي، قِياسُ الفَتْحَةِ مَعَ الكَسْرَةِ أَو الضَّمَّةِ قَبْلَ حَرْفِ الرَّوِيِّ الْمُقَيَّدِ عَلَى الأَلِفِ إِذَا وَقَعَتْ رِدْفًا مَعَ الوَاوِ وَاليَاءِ، وَذَهَبَ الأَخْفَشُ إِلَى عَكسِهِ؛ لِكَثرَةِ وُرودِ شِعرِ العَربِ فِي التَّوجِيهِ بِالفَتْحَةِ مَعَ الضَّمَّةِ وَالكَسرَةِ.

وَلَعَمْرِي لَقَدْ أَكْثَرتُ جَرَيَانَ القَلَم؛ فِي مَعَايبَ هَذِهِ الأَشْعَارِ الَّتِي لَا يَكَادُ مِنهَا بَيْتٌ يَسلَم، فَإِنَّ فِي بَعْضِ مَا ذَكَرنَا شَاهِدَ صِدْقٍ لِمَا بِهِم سَابِقًا قَدِ ادَّعَينَا؛ مِنْ هَذِهِ المَعَايبِ الَّتِي أَوْقَفْنَاكَ عَلَى فَضَائِحِهَا، وَأَرَيْنَاكَ مُسْتَهْجَنَاتِ قَبَائِحِهَا.

وَأَنَا وَأَيْمُ الله، لَوْ لَمْ يَتَقَصَّدْ هَؤلَاءِ الَّذِينَ ذَكَرنَا مَعَايِبَهُم مَنْقَصَتِي، وَيُجْهِدُوا أَنْفُسَهُم فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ عَلَى انْخِفَاضِ رِفْعَةِ فَضِلَتِي؛ لَغَضَضْتُ عَنْ تِلكَ المَعَايبِ الطَّرفَ، وَلَا فُهْتُ مِنْهَا بِحَرْف، وَيُؤَيِّدُ ذَلِكَ أَنَّ لِغَيْرِهِمْ فِي هَذَا المَقَامِ مِنَ الشُّعَرَاءِ شِعْرًا أَكْثَرَ مِنْ رَمْلِ عَالِجِ وَالدَّهنَاء، فِيهِ مِنَ المَعَايبِ مَا هُوَ مِن مَعَايبِهِم أَظْهَرُ وَأَعْجَب، وَأَعْظَمُ شَنْعَةً وَأَغْرَب، أَعْرَضْتُ عَنهُ وَلَمْ أُبْدِ شَيْئًا مِنهُ، عَلَى أَنَّنِي قَدْ وَقَفْتُ عَلَيهِ بِرمَّتِهِ، وَرَأَيتُ فِيهِ مَا يُضْحِكُ الحَزِينَ مِن أُعْجُوبَتِهِ، وَأَنَا مَا شَنَنْتُ عَلَى شِعْرِ هَؤلَاءِ الغَارَةَ، وَكَشَفْتُ مِنْ حِجَابِهِ أَسْتَارَهُ، وَأَبْدَهْتُ[1] سُخْفَهُ لَدَى أُولِي المَعرِفَةِ، إِلَّا لِأُمُورٍ صَدَرَت مِنهُم، أَوْجَبَتْ هَذَا الَّذِي صَنَعْتُهُ مَعَهُم، وَمِنَ أَيْسَرِ تِلْكَ الأُمُورِ أَنَّ ابنَ رَئِيسِ فُصَحَاءِ هَذَا العَصرِ وَمَنْ هُوَ كَأَبِيهِ بَدِيعُ هَذَا الزَّمَانِ فِي النَّظْمِ وَالنَّثْرِ، وَبَدْرُ بَلاغَتِهِ المُضِيءُ، السَّيِّدُ رَاضِي بنُ السَّيِّد صَالِحِ القَزْوِينِيِّ[2]، زَهَا بِنَفْسِهِ، وَأَخَذَهُ العُجْبُ، وَحَسِبَ أَنَّهُ فِي نَظمِ الشِّعْرِ وَحِيدَ دَهْرِهِ

(١) أَبْدَهْتُ: أظهرتُ، من بَدَّاهُ تَبْدِيةً: أَظْهَرَه. (التاج ٣٧/ ١٥٣).

(٢) السَّيِّد رَاضِي القَزْوِينِيُّ (المتوفَّى ١٢٨٧ هـ): هُوَ ابنُ السَّيِّد صَالِحِ بنِ السَّيِّد مَهديِّ بنِ السَّيِّد رِضَا=

وَفَرِيدَ عَصْرِهِ، وَمَا بَرِحَ يَجْلُسُ فِي أَنْدِيَةِ بَغْدَادَ المُعَظَّمَةِ، وَهُوَ يَحْسَبُ [أَنَّهُ] مَا فِي الكَوْنِ مَنْ يُضَاهِي نَظْمُهُ نَظْمَه، فَإِذَا عَنَّ ذِكْرُنَا سَدَّدَ سِهَامَهُ، وَبَلَغَ مِنَّا مَرَامَهُ، بِلا جِنَايَةٍ مِنَّا سَبَقَتْ، وَلَا إِسَاءَةٍ تَقَدَّمَتْ، وَلَمْ تَكُ لَنَا بَعْدُ بِبَغْدَادَ مَعْرِفَةٌ، وَلا لَنَا مَعَ عُظَمَاءِ أَهْلِهَا أُلْفَةٌ، وَلَا نَحْنُ مِمَّنْ يَعُدُّ الشِّعْرَ يَكْسُو المُجِيدَ فَخْرًا، أَو يَرْفَعُ لَهُ قَدْرًا، بَلْ هُوَ عِنْدَنَا يَخْفِضُ الشَّرِيفَ، وَيَضَعُ قَدْرَهُ المُنِيْفَ.

فَاتَّفَقَ أَنْ حَضَرَ السَّيِّدُ المُشَارُ إِلَيْهِ فِي نَادِي الحَاجِّ عِيسَى وَأَخِيهِ الحَاجِّ أَحْمَدَ، وَكَانَ فِي المَجْلِسِ حَاضِرًا مَنْ هُوَ فِي حَلِّ عَوِيصَاتِ المُشْكِلاتِ قَدِ انْفَرَدَ، بَدْرُ العِلْمِ وَحُسَامُهُ المَشْرَفِيّ، الشَّيْخُ حَسَن الفَلوجِيُّ[1] فَجَرَى بينهم ذِكْرُ الأُدَبَاءِ إِلَى أَن انْتَهَى الكَلامُ بِهِمْ إِلَى (الحِلَّةِ الفَيْحَاءِ)، فَقَالَ السَّيِّدُ المَذْكُورُ مَا فِيهَا مِنَ الأُدَبَاءِ أَحَدٌ، وَوَافَقَهُ عَلَى ذَلِكَ الحَاجُّ عِيسَى وَأَخُوْهُ الحَاجُّ أَحْمَد[2]، فَقَالَ الشَّيخُ حَسَن؛ مَا هَذَا مَضْمُونُهُ: إِنَّ فِيهَا مَنْ لَوْ عَرَفْتُم؛ لَاسْتَعْظَمْتُم مَا اسْتَحْقَرْتُم، وَأَشَارَ بِذَلِكَ إِلَيْنَا؛ لاطِّلاعِهِ فِي الاسْتِطَالَةِ عَلَى عَوِيصِ النَّظْمِ عَلَيْنَا، فَقَالَ السَّيِّدُ [رَاضِي]: إِنْ كَانَ الأَمْرُ كَمَا تَقُولُ؛

=الحُسَينيُّ القَزْوينيُّ النَّجَفِيُّ نَزيلُ بَغدَادَ مَعَ وَالِدِهِ، وَتُوفِّي قَبلَ وَالِدِهِ بِسَنَتَينِ فِي تَبريزَ مُسَافرًا إِلَيهَا، وَكَانَ مِن أَفَاضِلِ شُعَرَاءِ عَصرِهِ، وَلَهُ مُسَاجَلَاتٌ مَعَهم، مِثل الشَّيخِ عَبَّاس المُلَّا وَالشَّيخِ مُوسَى شَريف، وَالشَّيخِ عَبدِ الحُسَينِ مُحيي الدِّين. الذَّريعَة ٩ ق٢/ ٣٤٧

(١) الشَّيخُ حَسَن بنُ مُحَمَّدِ صَالِحٍ الفَلُّوجِي الحِلِّيّ: كَانَ عَالِمًا عَامِلًا، فَاضِلًا كَامِلًا، وَرِعًا تَقِيًّا عَابِدًا، لَه مَنزِلَةٌ عِلميَّةٌ وَاجتماعِيَّةٌ عَظيمَةٌ، لهُ إِلمَامٌ بِعلوم شَتَّى مِنهَا: العَربيَّةُ وَالمَعَاني وَالبَيان وَالمَنطِقُ وَالرِّياضِيَّاتُ وَالفِقهُ وَأُصُولُه، وَقَد دَرَس عِلَيهِ أَنجَالُ السَّيِّد مَهدِي القَزوينيّ: السَّيِّد المِيرزَا جَعفَر وَإِخوَتُهُ، وَآخَرُونَ مِنهم: السَّيِّد حَيدَر الحِلِّيّ وَصَالِحُ الكَوَّازِ وَحَمَّادِي نُوح وَمَحمُود سَمَاكَة، لَمَ يَترُك التَّدريسَ حَتَّى بَعدَ أَن كُفَّ بَصرُه، وَكَانَ أَحدُ أَئِمَّةِ الجَمَاعَةِ فِي البَلَدِ. تُوفِّي سَنةَ (١٢٩٨هـ)، أو (١٢٩٧هـ). ينظر: الحصون المنيعة ٢/ ٣٤٠، وأعيان الشيعة ٥/ ٢٥٥ والبابليَّات ٢/ ١٨٢، وشعراء الحِلَّة ٢/ ١١٥، وتأريخ الحِلَّة ٢/ ١٧٢.

(٢) عيسى وأحمد من آل شالجي موسى البغداديّ، من أعيان بغداد، هما اللذان مدحهما المصنِّف بالقصيدتَين (٢٤، ٩٦) من الجزء الثاني من ديوانه، تنظر الصفحَتان: ٢/ ٦٢، ٢١٢.

فَهَا أَنَا قَدْ نَظَمْتُ أَبْيَاتًا فِي مَدْحِ الجَوَادَينِ عليهما السلام فَابْعَثْهَا إِلَيْهِم لِيُشَطِّرُوهُا، فَنَرَى كَيْفَ نَظْمُهُم؟.

فَكَتَبَهَا الشَّيْخُ حَسَن وَابْتَلَى بِهَا غَيْرُنَا مِنْ أُدَبَاءِ الحِلَّةِ حَذَرًا مِنَ الفِتْنَة، لِعِلْمِهِ بِأَلْسِنَتِنَا أَنَّهَا فِي كُلِّ خُصُومَةٍ صَوَارِمُ وَأَسِنَّةٌ، لَا يَمْنَعُ مِنْهَا مَانِعٌ، وَلا يَدْفَعُ مَا تُثِيرُهُ دَافِعٌ، وَمِنْ هَذِهِ الحَيْثِيَّةِ أَخْفَى ذِكْرَنَا، وَابْتَلَى بِهِ غَيْرُنَا، إِلَّا أَنَّهُ فِي أَثْنَاءِ كِتَابِهِ لِمَنْ كَتَبَ إِلَيْهِ عَرَّضَ أَنْ يَعْرِضَهُ عَلَيَّ، وَيَنْشُرُ مَا فِيهِ لَدَيَّ، فَتَفَرَّسْتُ مِنْ هَذِهِ العِبَارَةِ، أَنَّهَا مِنْ بَابِ (إِيَّاكِ نَعْنِي واسْمَعِي يَا جَارَة)، فَكَانَ الأَمرُ كَما تَفَرَّسْتُ، وَلَهُ مِنْ هَذِهِ الأَمَارَاتِ قَدْ عَرَفْتُ، وَهَذِهِ الأَبْيَات الَّتِي حَسِبَهَا السَّيِّدُ أَنَّهَا مِنَ الْمُعْجِزَاتِ: [مجزوء الكامل المرفَّل]

١. مُوسَى بنُ جَعْفَرِ وَالجَوَا ... دُ وَمَنْ هُمَا سِرُّ الوُجُودِ
٢. هَذَا غِيَاثُ الخَائِفِيـ ... ـنَ وَذَاكَ غَيْثٌ لِلْوُفُودِ
٣. مَلَكَا الوُجُودَ فَطَوَّقَا ... بِالْجُودِ عَاطِلَ كُلِّ جِيدِ

فَلَمَّا عُرِضَتْ عَلَيَّ؛ أَمَرْتُ مَنْ أُبْتِلِيَ بِتَشْطِيرِهَا بِالإِحْجَام، وَخَلَقْتُ لَهَا مَقَامَةً كَمَقَامَاتِ الحَارِثِ بنِ هُمَام، فِي كِتَابٍ كَتَبْتُهُ إِلَى مَنِ ارْتَقَى فِي العِلْمِ وَالتُّقَى عَالِيَاتِ القُنَنِ، الشَّيْخِ حَسَن، وَعَزَوْتُ الكِتَابَ لِوَلَدِنَا (حَيْدَر) الَّذِي فَاقَ بِنَظْمِهِ أَبَا تَمَّام وَمُسْلِما[1]، تَرَفُّعًا عَنْ مُجَارَاتِ ذَلِكَ الصَّبِيِّ، الَّذِي تَزَبَّبَ وَهُوَ حِصْرِمٌ، وَهَذَا نَصُّ الكِتَابِ، فَامعِنِ النَّظَرَ فِيهِ، فَسَتَعْجَبُ مِنْ حُسْنِ تَصَرُّفَاتِهِ وَمَعَانِيْهِ:

مَا رَوْضَةٌ ضَحِكَتْ ثُغُورُ أُقْحُوَانِهَا مِن بُكَاءِ الغَمَام، وَفَاحَ عَبِيرُ رَيْحَانِهَا عَلَى سَائِرِ الأَنَام، وَغَرَّدَتِ الوَرْقَاءُ بِأَلْحَانِهَا، عَلَى عَذَبَاتِ أَغْصَانِهَا، وَمَاسَتْ طَرَبًا مِنْ سَجَعِهَا يَانِعَاتُ قُضْبَانِهَا، وَزَهَرَتْ أَورَاقُ فَرْعِهَا مِنْ مُتْرَعَاتِ غُدْرَانِهَا، وَتَنَفَّسَتْ فِيْهَا بِأَنْفَاسِ الخُزَامَى رَقَائِقُ نَسَمَاتِ النُّعَامَى، بَأَبْهَى مِنْ سَلامٍ أَفَاضَتهُ عَلَى قَصَبِ الأَقْلامِ العُقُولُ

(١) الشاعر مسلم بن الوليد، مرَّت ترجمته في ٢٧٧.

وَالنُّفُوس، وَنَطَقَتْ فِيهِ بِأَلْسِنَتِهَا عَلَى صَفَحَاتِ الطُّرُوس، وَأَهْدَتْهُ الأَحِبَّة، وَحَمَلَتْهُ نِيَاقُ المَحَبَّة، إِلَى مَنِ ارْتَدَى بِالعِلْمِ، وَتَأَزَّرَ بِالتُّقَى وَتَقَمَّصَ بِالحِلْمِ، وَإِلَى أَعلَى مَرَاتِبِ الزُّهْدِ وَالصَّلاحِ قَدِ ارْتَقَى، الفَاضِلُ الذِي أَفْحَمَ فِي بَحْثِهِ كُلَّ فَاضِلٍ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ يَومَ الخِصَامِ مِنْ مُنَاضِلٍ، مَنْ أَشْرَقَتْ فِي سَمَاءِ الهُدَى شَمْسُ عِلْمِهِ، وَزَهَتْ فِي أَفْلاكِ الحِجَا نُجُومُ فَهْمِهِ، وَجُبِلَتْ نَفْسُهُ عَلَى حُبِّ الحَقِّ، وَلِسَانُهُ عَلَى مَقَالَةِ الصِّدْقِ، وَقَلْبُهُ عَلَى المَحَبَّةِ لِذَوِي الإِخَاءِ، وَالانْهِمَاكِ لَهُم عَلَى حِفْظِ المَوَدَّةِ وَحُسْنِ الوَفَاءِ، وَاسِطَةُ عِقْدِ جِيدِ الزَّمَنِ، وَغُرَّةُ وَجْهِهِ الحَسَنِ، مَتَّعَنَا اللهُ بِبَقَائِهِ، وَسَرَّنَا بِلِقَائِهِ، بِمُحَمَّدٍ الأَمِينِ ﷺ، وَآلِهِ عليهم السلام وَصَحْبِهِ الغُرِّ المَيَامِين.

أَمَّا بَعْدُ:

فَقَدْ وَرَدَتْ أَلُوكَةُ[1] مَحَبَّتِكَ، وَرِسَالَةُ مَوَدَّتِكَ، فَكَانَ وُرُودُهَا إِلَيْنَا كَوُرُودِ الحَيَاةِ إِلَى الأَجْسَادِ بَعْدَ المَمَاتِ، فَلَمَّا فَضَضْنَا خِتَامَهَا، وَكَشَفْنَا عَنْ عُقُودِهَا، وَنَفَحَتْ عَلَيْنَا لَطَائِمُ مَقْصُودِهَا، ضَحِكَ ثَغْرُ فَصَاحَتِي بَعْدَ اسْتِعْبَار، وَقَالَ: أَتُنْكَرُ الشَّمسُ فِي رَابِعَةِ النَّهَار؟ وَهَل يُقَالُ لأَمْوَاجِ البُحُورِ[2] أَنَّها آلٌ يَمُورُ؟ وأَنَّ السَّبْعَةَ السَّيَارَةَ شَابَهَا الحَصَى بِالنُّور؟! فَيَا لله العَجَبُ! مِنْ إِنْسَانَي عَيْنِ الأَدَبِ، وَلِسَانَي الفَصَاحَةِ فِي النِّظَامِ وَالخُطَبِ، مَنْ رَضَعَا ثَدِيَّي الفَصَاحَةِ حَتَّى اسْتَوْفَيَا أَلْبَانَهَا، وَغَاصَا فِي بُحُورِ أَعَارِيضِ هَذَا النِّظَامِ؛ وَالتَقَطَا لآلِئَهَا وَمَرْجَانَهَا، عَلَمَي المَجْدِ المُشَيَّدِ الحَاجِّ عِيسَى وَأَخِيهِ الحَاجِّ أَحْمَد، كَيْفَ يَسْتَحِلَّانِ أَكْلَ لَحْمِنَا وَهُوَ مُرُّ المَذَاقِ؟! وَيَحْمِلَان عَلَى هُزَّلِ الهِجَانِ (يَلَمْلُمَ) بَلاغَتَنَا؟! وَإِنَّ حَمْلَهُ لا يُطَاقُ! مَعَ أَنَّنَا إِذَا نَشَرَ الأَعْدَاءُ ذَمَّهُمَا طَوَيْنَاهُ بِالمَدْح، وَإِنْ كَانَ جِدًّا أَوْ مَزحًا، فَنُعْطِي حُرْمَةَ الأَدَبِ حَقَّهَا، وَخِلاصَةَ عِلاقَتِهِ صِدْقَهَا، وَلَولا حُرْمَةُ الأَدَبِ -لأَنَّهَا عِنْدَ أَهْلِهَا أَوثَقُ حُرْمَةً مِنْ قَرَابَةِ النَّسَبِ- لَنَشَرَ لِسَانُ فَصَاحَتِي مِنَ الأَجْدَاثِ الفَرَزْدَقَ

(١) الألوكة: الرسالة. (التاج ٢٧/ ٤٨).

(٢) في (الأصل): (البحار) في موضع (البحور).

وَجَرِير، وَطَبَّقَتِ الزَّوْرَاءَ شَقْشَقَتُهُ بِالهَدِير، لَكِنْ مَنْ ذَا الَّذِي تَسْخُو نَفْسُهُ بِهَشْمِ عَظْمِهِ؟! وَبِأَكْلِ لحْمِهِ فِي فَهْمِهِ؟! نَعُوذُ بِالله مِنِ ارْتِكَابِ هَذِهِ الخُطَّةِ الَّتِي يَنْفُرُ مِنْهَا ذُو الطَّبْعِ السَّلِيمِ، وَيَبِيْتُ مِنْ ذِكْرِهَا بِلَيْلَةِ السَّلِيمِ، وَأَعْجَبُ مِنْ هَذَا كُلِّهِ مَا وَقَعَ[1] مِمَّن هُوَ لِسَانُ قُصَيّ! وَصَنْجُ فَصَاحَةِ لُؤَي! وَشَمْسُ بَلاغَةِ غَالِبٍ ومضر! وَكَوْكَبُ مُعْجِزِهَا الأَزْهَر، وَسَيْفُ مِذْوَدِهَا المَاضِي، السَّيِّد رَاضِي، كَيْفَ مَعَ عِلْمِهِ بِي أَنِّي أَصْمَعِيُّ هَذَا الزَّمَان، وَلِتَدْوِينِ آثَارِ مَنْ غَبَرَ وَدَثَرَ ابنُ خِلِّكان، يَمْتَحِنَنِي بِتَشْطِيرِ أَبْيَاتٍ عَزَاهَا إِلَيهِ مَكِيْدَةً؛ لِزَعْمِهِ أَنِّي لا أَعْرِفُ طَارِفَ الشِّعْرِ وَتَلِيدَهُ، فَيَا سُبْحَانَ الله أَ يَجْهَلُ أَنِّي خِرِّيتُ[2] سَيْرِ قَضَايَا أَهْلِ الأَدَب؟ وَسِيَّانِ عِنْدِي مَنْ بَعُدَ مِنْهُمْ وَقَرُب، وَلِئَنْ أَرَدْتُ بَيَانَ قَضِيَّةِ هَذِهِ الأَبْيَاتِ، فَهِيَ مِنْ أَغْرَبِ القَضَايَا البَاهِرَاتِ، وَذَلِكَ أَنَّ جَمَاعَةً مِنَ الشُّعَرَاءِ المُفْلِقِينَ، وَرَدُوا مِنَ النَّجَفِ الأَشْرَفِ إِلَى الزَّوْرَاءِ، لِزِيَارَةِ السَّادَةِ الغُرِّ المَيَامِينَ، وَقَدْ صَحِبَهُمْ مِنْ الفَيْحَاءِ، جَمَاعَةٌ مِنَ الأُدَبَاء، فَلَمَّا اسْتَقَرَّ بِهِمُ الجُلُوسُ فِي نَادِي المَنَادَمَةِ وَتَذَاكُرِ الأَشْعَارِ، أَنْشَدَ مِنْهُمْ عَلَى البَدِيهَةِ فِي مَدْحِ الجَوَادِينِ عليهما السلام الشَّيْخُ حَسَن بنُ نَصَّار: [من الكامل]

١. مُوسَى بنُ جَعْفَرٍ وَالجَوَادُ وَمَنْ هُما ... سِرُّ الوُجُودِ وَعِلَّةُ الإِيْجَادِ

٢. هَذَا غِيَاثُ الخَائِفِينَ وَذَاكَ غَيْـ ... ـثٌ لِلْوُفُودِ وَرَوْضَةُ المُرْتَادِ

٣. مَلَكَا الوُجُودَ فَطَوَّقَا بالجُودِ عَا ... طِلَ كُلِّ جِيدٍ لِلأَنَامِ وَهَادِي

وَاقْتَرَحَ عَلَى الجَمَاعَةِ تَشْطِيرَهَا بِسُرْعَةٍ، وَأَنْ يَقْسِمَ مَنْ يَتَصَدَّى لَهَا لَفْظَةَ تَدْوِيرِهَا بِالنِّصْفِ، وَيُتِمَّهَا بِمَا اخْتَرَعَهُ، فَمَا هَدَأَ لِسَانُهُ مِنَ اقْتِرَاحِهِ وَسَكَن، إِلَّا وَأَجَابَهُ مِنْ شُعَرَاءِ الفَيْحَاءِ مَنْ هُوَ بِكَشْفِ كُلِّ مُعْضِلَةٍ قَمِنْ، ذُو الشَّرَفِ وَالعِفَّة مُحَمَّد ابنُ إِسْمَاعِيلَ الخِلْفَة:[3] [من الكامل]

(١) في (الأصل): (ما وقع) محذوفة.

(٢) الخِرِّيتُ: الدَّلِيلُ الحاذِقُ. (التاج ٤/ ٥٠٧).

(٣) مُحمَّدُ بنُ إِسماعِيلَ بنِ الخَلِفَة البَغدَادِيُّ الحِلِّيُّ الشَّهيرُ بِابنِ الخِلْفَة، وُلدَ في بغَدادَ وَهَاجَرَ أَبوه=

١. مُوسَى بنُ جَعْفَرٍ وَالجَوَادُ وَمَنْ هُما ... لِلْخَلْقِ كَالأَرْوَاحِ لِلأَجْسَادِ
٢. بِهِمَا الوُجُودُ قَدِ اسْتَفَادَ لأَنْ هُما ... سِرُّ الْوُجُودِ وَعِلَّةُ الإِيجَادِ
٣. هَذَا غِيَاثُ الخَائِفِينَ وَذَاكَ غَيْـ ... ـظُ الْحَاسِدِينَ وَحَاصِدُ الأَجْنَادِ
٤. بَلْ ذَا مُغِيثُ الصَّارِخِينَ وَذَاكَ غَيْـ ... ـثٌ لِلْوُفُودِ وَرَوْضَةُ الْمُرْتَادِ
٥. مَلَكَا الوُجُودَ فَطَوَّقَا بِالْجُودِ عَا ... فِيهِ مَعًا وَقَمَاقِمَ الأَمْجَادِ
٦. حَتَّى بِرِفْدِ نَدَاهُمَا قَدْ زِينَ عَا ... طِلُ كُلِّ جِيدٍ لِلأَنَامِ وَهَادِي

فضرب الشَّيْخُ مُحَمَّدُ رِضَا[1] بنُ الشَّيْخِ أَحْمَد النَّحْوِيّ[2] يَدَهُ عَلَى فَخْذِهِ مُغْضَبًا وَقَالَ:

=مِنهَا إِلَى الحِلَّةِ وَتَوَطَّنَ فِيهَا، وَكَانَ مُحَمَّد مَا زَالَ طِفلًا، فَشَبَّ وَتَرَعرَعَ فِي الحِلَّةِ وَدَفَعتهُ مَوهِبَتُهُ الفِطرِيَّةُ إِلَى ارتِشَافِ العِلمِ وَالأَدَبِ مِن خِلَالِ حُضُورِهِ فِي دِيوَانِ السَّيِّد سُلَيمَانَ الكَبِيرِ، وَمَا كَانَ يَدورُ فِيهِ مِن مُسَاجَلَات، وَنَوَادِر أَدبِيَّةٍ حَتَّى بَرعَ فِي قَولِ الشِّعرِ بِالفُصحَى وَاللَّهْجَةِ العَامِيَّةِ، فَذَاعَ صِيتُهُ، وَانْتَشَرَ شِعْرُهُ بَينَ النَّاسِ. له ترجمة في: البابليَّات ٢/ ٤٩، وأدب الطفِّ ٦/ ٩٤، وديوان السَّيِّد سليمان الكبير ٣١، وديوان السَّيِّد مهدي بن داوود الحِلِّيّ ١/ ١٦-١٧.

(١) الشَّيخُ مُحمَّد رِضَا النَّحوِيُّ: أَدِيبٌ أَرِيبٌ عَالِمٌ، كَانَ نَحْوِيًّا لُغَوِيًّا وَاقِفًا عَلَى أَسرَارِ العَرَبِيَّةِ وَدَقَائِقِهَا، قَرأَ عَلَى السَّيِّد مَهدِيِّ بَحرِ العُلُومِ الطَّبَاطَبَائِي فِي عُلُومِ الدِّينِ، وَفِي عُلُومِ الأَدبِ عَلَى السَّيِّد صَادِقِ الفَحَّامِ، وَانْقَطَعَ إِلَى السَّيِّد مَهدِيِّ بَحرِ العُلُومِ الطَّبَاطَبَائِي وَاخْتَصَّ بِهِ، وَلَهُ فِيهِ مَدَائِحُ كَثِيرةٌ، تُوفِّيَ فِي الحِلَّةِ سَنة (١٢٢٦هـ). ينظر: الحصون المنيعة ٢/ ٤٤٨، ٩/ ١٤٩، معارف الرجال ٢/ ٢٧٧، والطليعة ٢/ ٢٢٣ ٢٣٠، أعيان الشيعة: ٤٤/ ٢٩٣-٣٢١، والذريعة ٩/ ق٢/ ٣٦٧، وماضي النجف وحاضرها ٣/ ٤٥٢، البابليَّات ٢/ ١١-٣٠، وشعراء الحِلَّة ٥/ ٣-١٦٢، والأعلام ٦/ ١٢٦، وأدب الطفِّ ٦/ ١٣٨-١٧٠، ومعجم المؤلِّفين ١/ ١٩١.

(٢) الشَّيخُ أَحْمدُ النَّحْوِيُّ: هُوَ الشَّيخُ أَحمدُ بنُ حَسَنِ الخَيَّاطُ الحِلِّيُّ، أَبو الرِّضَا، المَعروفُ بِالنَّحْوِيِّ أَديبٌ، مِنَ الشُّعَرَاءِ، وُلِدَ فِي الحِلَّةِ، وَتُوفِّيَ فِيهَا سَنةَ (١١٨٣هـ). مِنْ آثَارِهِ: (شَرحُ المقصورة الدريديَّة)، و(جذوة الغرام في الأدب)، و(ديوان شعر). له ترجمة في: معارف الرجال ١/ ٥٦-٦٠، والطليعة ١/ ٩٦ ٩٩، وأعيان الشيعة ٨/ ٤٩٩-٥٠٥، والذريعة ٩/ ٥٥، الغدير ٧/ ٤٥، وماضي النجف وحاضرها ٣/ ٤٤٣-٤٥٠، البابليَّات ١/ ٢٦٦-٢٧٩، وشعراء الحِلَّة ١/ ٥٣-١٠٣، والأعلام ١/ ١١٢، وأدب الطفِّ ٥/ ٢٩٨-٣١٠، ومعجم المؤلِّفين ١/ ١٩١.

يَا لَلرِّجَالِ مُوتُوا عَجَبًا، مَا كُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّ الشَّيخَ عَلَى جَلَالَةِ قَدْرِهِ، يَنْتَحِلُ شِعْرِي الَّذِي قُلْتُهُ فِي مَدْحِ الجَوَادَيْنِ عليهما السلام، وَيَزِيدُ لِكُلِّ بَيْتٍ كَلِمَتَيْنِ، وَيَقْتَرِحُ عَلَى الشُّعَرَاءِ صُعُوبَةَ تَشْطِيرِهِ، وَمَا يَدْرِي مَا تَكُونُ عَاقِبَةُ مَصِيرِهِ، وَيُنْشِدُ مُفْتَخِرًا بِحَضْرَتِي فِي هَذَا المَحْفِلْ، وَبِي وَبِهؤلَاءِ لَا يَحْفَلْ، حَتَّى كَأَنِّي مَا قُلْتُ ارْتِجَالا، فِي مَدْحِ مَنْ تَسَامَى مَجْدُهُمَا وَتَعَالَى: [مجزوء الكامل المرفَّل]

١. مُوسَى بنُ جَعْفَرِ وَالجَوَا ... دُ وَمَنْ هُمَا سِرُّ الوُجُودِ
٢. هَذَا غِيَاثُ الخَائِفِيـ ... ـنَ وَذَاكَ غَيْثٌ لِلوُفُودِ
٣. مَلَكَا الوُجُودَ فَطَوَّقَا ... بِالجُودِ عَاطِلَ كُلِّ جِيدِ

فَصَاحَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ الشَّيْخُ مُسْلِمُ بنُ عَقِيلْ[1]: مَا هَذِهِ الزَّخَارِفُ وَالأَبَاطِيل؟! وَأَنْتُمَا لِلفَصَاحَةِ قَمَرا سَمَاهَا، وَمُصْبَاحَا دُجَاهَا، لَقَدْ أَفْسَدْتُمَا أَبْيَاتِي، وَسَخَرْتُمَا فِي نِظَامِ كِلِمَاتِي، وَلَقَدْ تَأَنَّقْتُ فِيهَا، وَأَحْكَمْتُ صُدُورَهَا بِقَوَافِيهَا، وَطَرَّزْتُهَا بِالجِنَاسِ، لِيَنْهَمِكَ فِي حِفْظِهَا الكَيِّسُ مِنَ النَّاسِ، فَاسْمَعُوهَا يَا أَهْلَ الفَضْلِ، واحْكُمُوا بَيْنِي وَبَيْنَهُمَا بِالعَدْلِ، ثُمَّ قَامَ مُغْضَبًا وَقَعَدَ، وَالتَفَتَ إِلَى الجَمَاعَةِ وَأَنْشَدَ: [من الكامل]

١. مُوسَى بنُ جَعْفَرِ وَالجَوَادُ وَمَنْ هُما ... سِرُّ الوُجُودِ، وَجَعْفَرُ الجُودِ
٢. هَذَا غِيَاثُ الخَائِفِينَ، وَذَاكَ غَيْـ ... ـثٌ لِلوُفُودِ، شِفَاءُ مَفْؤُودِ[2]
٣. مَلَكَا الوُجُودَ فَطَوَّقَا بِالجُودِ عَا ... طِلَ كُلِّ جِيدٍ لِلأَمَاجِيدِ

(١) الشَّيْخُ مُسْلِمُ بنُ عَقِيلٍ الجَصَّانِيُّ الأَصلِ، النَّجَفِيُّ المَسْكَنِ، وُلِدَ فِي جَصَّانَ، وَهَاجَرَ إِلَى النَّجَفِ، عَالِمٌ أَدِيبٌ، شَاعِرٌ لَبِيبٌ، تَقِيٌّ نَاسِكٌ، لَهُ مَراثٍ فِي الحُسَينِ عليه السلام، وَمُطَارَحَات بَينَهُ وَبينَ أُدبَاءِ عَصرِهِ، تُوفِّيَ (نَحوَ ١٢٣٥هـ)، وفي أعيان الشيعة توفِّي سنة (١٢٣٠هـ). له ترجمة في: الحصون المنيعة ٩/ ٣١٩، والفوائد الرجاليَّة ١/ ٨١، ٩٧، ومعارف الرجال ٣/ ٤، وأعيان الشيعة ٤٧/ ١٢٣، والبند في الأدب العربيّ ٥٨، وشعراء الغريّ ١١/ ٣٠١-٣١٠، وأدب الطفِّ ٦/ ٢١٠-٣١٢، معجم المؤلِّفين العراقيِّين ٣/ ٣٠١، ومعجم رجال الفكر والأدب في النجف ١/ ٣٥٣.

(٢) المفؤود: الذي يشكو من علَّة في فؤاده. (التاج ٨/ ٤٧٧).

فَقَالَ السَّيِّد صَادِق الفَحَّام[1]: عَلَىَ أَدَبِ الشَّيْخِ مُسْلِمِ السَّلاَم، إِذَا كَانَ هَذَا فِي النَّظْمِ[2] نَظَرُكَ، فَكُلَّمَا قَالَتِ الشُّعَرَاءُ شِعْرُكَ، وَأَنَا كُلَّمَا أَجِلْتُ فِكْرَتِي بِالتِقَاطِكَ لآلِئَ نَظْمِي مِنْ سِلْكِي، أَعْجَبُ كَيْفَ سَلِمَتْ مِنْكَ (قِفَا نَبْكِ)؟! وَإِذَا كَانَ هَذَا دَيْدَنُكَ فِي النِّظَام، فَمَا هَذِهِ الغَفْلَةُ مِنْكَ عَنْ كِتَابِ الله الوَاحِدِ العَلَّام؟! فَطَرِّزْهُ بِجِنَاسِكَ، وَافْتَخِرْ بِهِ بَيْنَ جُلَّاسِكَ، فَقَالَ مُسْلِم: مَهْلًا مَهْلًا مَا هَذَا الغَضَب؟ وَأَنْتَ مِنْ أَرْفَعِ بَيْتٍ مِنْ آلِ عَبْدِ المُطَّلِب، كَيْفَ يُخْرِجُكَ الغَضَبُ مِنَ الهَزْلِ إِلَى الجِدِّ؟! وَتَنْضِي لِخُصُومَتِي مِنْ لِسَانِكَ سَيْفًا مَاضِيَ الحَدِّ؟! فَقَالَ له:

يَا مُسْلِمُ، أَتَضَعُ سَبَّابَتَكَ فِي فَمِ الأَرْقَم[3] وَتَزْعَمُ أَنَّكَ تَسْلَم؟ أَرَأَيْتَ نَمْلَةً حَمَلَتْ ثَبِير؟! أَوْ البَعُوضَةَ جَرَّتِ الأَثِير؟! فَارْفَعْ عَنِّي عَتَبَكَ فَلَسْتُ أَسْتَسْهِلُ جُرْمَكَ، وَأَعِرْنِي سَمْعَكَ وَفَهْمَكَ لأُبَيِّنَ لَكَ خَطَأَكَ فِيمَا سَرَقْتَ، فَإِنَّهُ لَا يَتَغَطَّى قُبْحُهُ بِحُسْنِ مَا بِتَجْنِيسِهِ

(١) السَّيِّد صادق الفحَّام: هُوَ السَّيِّد صَادِقُ بنُ عَلِيٍّ الفَحَّامُ الأَعرَجِيُّ، مِنْ شُعرَاءِ القَرنِ الثَّانِي عَشَرَ الهِجريّ البَارزينَ، حِلِّيُّ المَولِدِ وَالنَّشأَةِ، نَجَفِيُّ الثَّقَافَةِ وَالتَّحصيلِ العِلمِيِّ، وُلِدَ فِي قَريةِ الحُصَينِ، وَفِيهَا شَبَّ وَأَخَذَ مَبَادِئَ تَعلِيمِهِ الأُولَى، ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى الحِلَّةِ، ثُمَّ هَاجَرَ إِلَى النَّجَفِ الأَشرفِ سَعيًا لِلْحُصُولِ عَلَى مَا يُرِيدُ، فَنَالَ بِسَعيهِ دَرجةً عِلْمِيَّةً مَرْمُوقَةً، وَمَكَانَةً أَدَبِيَّةً رَفِيعةً بَينَ عُلَماءِ النَّجَفِ وَأُدَبَائِهَا، تَضَلَّعَ فِي اللُّغَةِ العَربِيَّةِ حَتَّى عُرِفَ بِقَامُوسِ لُغَةِ العَرَبِ، وَارْتَقَى سُلَّمَ الشِّعرِ وَالأَدَبِ وَصَارَ عُضْوًا فِعَّالًا فِي مَعرَكَةِ الخَمِيسِ الَّتِي ضَمَّتْ جَهَابِذَةَ هَذَا الفَنِّ، فَكَانَ هُوَ مِنَ المُمَيَّزِينَ فِيهَا، تُوُفِّيَ فِي النَّجَفِ وَدُفِنَ فِيهَا سَنةَ (١٢٠٥هـ)، تَركَ عُدَّةَ مُؤَلَّفَاتٍ، مِنهَا دِيوانًا وُفِّقنَا لِتَحقِيقِه. له ترجمة في: رياض الجنَّة ٣/ ٣١٧، وتكملة أمل الآمل ٣/ ١٦٧، والفوائد الرضويَّة ١/ ٣٥٧، ومعارف الرجال ١/ ٣٦٥، ومرآة الشرق ١/ ٧٨٢، والطليعة ١/ ٤٠٤، وأعيان الشيعة ٧/ ٣٦٠، ريحانة الأدب ٤/ ٢٩٧، والكرام البررة ٦٤٠، والذريعة ٣/ ٣٢٠، ٩/ ق٢/ ٥٧٩، والبابليَّات ١/ ٢٨٥-٢٩٨، وشعراء الحِلَّة ٣/ ٣١-٥٩، وأحسن الوديعة ٧، ومكارم الآثار ١/ ٢٠٥، والأعلام ٣/ ١٨٦، وأدب الطفِّ ٥/ ٣٥٠، ومعجم المؤلِّفين ٤/ ٣١٦، ومعجم رجال الفكر والأدب في النجف ١/ ١٥٩، وموسوعة طبقات الفقهاء ١٣/ ٣٠٠.

(٢) في (الأصل): (النظام) في موضع (النظم).

(٣) الأرقَم: أَخبَثُ الحَيَّات وَأَطْلَبُها للنَّاس. (التاج ٣٢/ ٢٧٦).

قَدْ تَأَنَّقْتَ، انْظُرْ إِلَى قَولِكَ فِي البَيْتِ الأَولِ هَلْ تَرَى للوَاوِ فِي (وَمَنْ هُمَا) مِنْ مُحَصِّل؟! وَهَلْ لِزِيَادَتِهِ فَائِدَةٌ إِلَّا لوَزْنِ بَيْتِكَ كَي لَا يَخْتَلّ؟! عَلَى أَنَّهُ لَمْ تَدْعُ الضَّرُورَةُ إِلَى الإِتيَانِ بِهِ إِلَّا لمعْنًى مُؤَوَّلٍ؛ لأَنَّهُ بِحَذْفِهِ يَحْسَنُ مَعْنَى الأَبيَاتِ[1]، وَممْكِنٌ تَغْيِيرُهُ عِنْدَ أَرْبَابِ الكَمَالَاتِ، فَعِ تَحْرِيرِي وَتَبَصَّرْ فِي تَقْرِيرِي، وَأَجِلْ فِكْرَكَ فِي ثَانِي الأَبْيَاتِ، فَإِنَّهُ مِنْ أَعْظَمِ البَلِيَّاتِ، لمعنَاهُ أَهْمَلتَهُ، وَلِلَفْظِهِ بِالجِنَاسِ طَرَّزْتَهُ، فَجَعَلْتَ أَحَدَهُمَا غِيَاثَ الخَائِفِينَ، وَالآخَرَ غَيْثَ الوَافِدِينَ، فَكَيْفَ تَخُصُّ أَحَدَهُمَا بِالشَّجَاعَةِ وَالآخَرِ بِالكَرَم؟! مَعَ أَنَّ كُلًّا مِنْهُمَا جَامِعٌ لجَمِيعِ صِفَاتِ الكَمَالِ بِيْنَ الأُمَم، وَأَعِدْ طَرْفَ بَصَرِك، إِلَى ثَالِثِ أَبْيَاتِ شِعْرِك، فَإِنَّ الأَولَى بَعْدَ قَوْلِكَ: مَلَكَا الوُجُودَ، أَنْ تَقُولَ: طَوَّقَا جَمِيعَ مَا حَوَاهُ بِالجُودِ، فَهَلَّا سَرَقْتَهُ كَمَا وَجَدْتَهُ؟!

وَانْدَفَعَ يُنْشِدُ، وَلِإِعجَابِهِ بِحُسْنِ أَبْيَاتِهِ: [من الكامل]

١. مُوسَى بنُ جَعْفَرٍ وَالجَوَادُ وَمَنْ هُمَا ... سِرُّ الوُجُودِ، وَعَيْبَةُ العِلْمِ
٢. فَهُمَا غِيَاثُ الخَائِفِينَ، هُمَا ... غَيْثُ الوُفُودِ، وَمُنْتَهَى الحِلْمِ
٣. مَلَكَا الوُجُودَ فَطَوَّقَا كَرَمًا ... مَا فِي الوُجُودِ بِنَائِلٍ جَمِّ

ثُمَّ التَفَتَ إِلَيْهِ وَقَالَ: إِنَّ عَثْرَتَكَ لَا تُقَال، فَإِنْ كُنْتَ نَائِمًا انْتَبِه، لِمَا أَنْتَ بِه، فَقَدْ أَسْفَرَ الصَّبَاحُ لِذِي عَيْنَيْنِ، وَاسْتَبَانَ لِلنَّاقِدِ النُّحَاسُ مِنَ اللُّجَيْنِ، وَفِي بَعْضِ مَا أَوْرَدْتُ كَافٍ فِي التَّنْبِيهِ، لِلكَامِلِ النَّبِيهِ، ثُمَّ تَمَثَّلَ بِهَذِهِ الأَبْيَاتِ؛ لِيَعْلَمَ مَنْ حَضَرَ لمَنْ هَذِهِ الأَمَارَات: [من الرجز]

١. يَا صَاحُ قَدْ لَحَنْتُ فِي قَوْلِي وَمَا ... كَانَ بِقَلْبِي فِيهِ أَمْسَى مُودَعَا
٢. وَاللَّحْنُ فِي المَقَالِ لَا يَعْرِفُهُ ... إِلَّا فَتًى بِرَمْزِهِ قَدْ بَرَعَا
٣. فَإِنْ تَجِدْنِي قَدْ ذَكَرْتُ (المُنْحَنَى) ... فَاعْلَمْ بِأَنِي قَدْ قَصَدْتُ (لَعْلَعَا)

(١) في (الأصل): (لأنَّه يجب حذفه عند النحاة) في موضع (لأَنَّهُ بِحَذْفِهِ يَحْسَنُ مَعْنَى الأبياتِ).

٤. أَوْ قُلْتُ (حُـزْوَى) فَمُرَادِي (رَامَـةٌ) أَوْ (الغَضَـى) فَقَدْ أَرَدْتُ (الأَجْرَعَا)

فَسَكَتَ الشَّيْخُ مُسْلِمٌ، وَلَـمْ يَتَكَلَّمْ، حَتَّى كَأَنَّ اللهَ لِشَفَتِهِ العُلْيَا بِشَفَتِهِ السُّفْلَى قَدْ أَلحَمَ.

أَقُولُ: وَالعَجَبُ العَجِيبُ، أَنَّ مَعَ هَذِهِ الإِشَارَاتِ الوَاضِحَةِ فِي هَذِهِ القَضِيَّةِ، الَّتِي تَدُلُّ عَلَى أَنَّنَا نَحْنُ ابْتَدَعْنَاهَا، تَـخَيَّلَ السَّيِّدُ أَنَّـهَا حَقِيقَةٌ، صَدَرَتْ مِنْ هَؤلاءِ الَّذِينَ انْتَضَوا مِنْ أَلسِنَتِهِمْ لِلخُصُومَةِ مَواضِي ظُبَاهَا، وَأَنَّ كُلَّ مُتَأَخِّرٍ مِنْهُمْ ادَّعَى حَقِيقَةً عَلَى مَنْ تَقَدَّمَهُ أَنَّهُ لِـهَذِهِ الأَبْيَاتِ مِنْهُ سَرَقَهَا، وَكَدَّرَ بِنَظْمِـهِ مِـنْ لآلِئِ نِظَـامِهَا رَوْنَـقَهَا، وَالتَبَسَ الأَمْـرُ عَلَيْـهِ، وَمِـنْ غَوَاشِي خَجَلِهِ لَمْ يَكَدْ يُبْصِرُ مَا لَدَيْهِ، وَلَمْ يَشْعُرْ بِأَبْيَاتِهِ أَنَّهَا (مَـجْزُوءِ الكَامِلِ المذَال بِحَرُف)، وَإِنَّا لَهُ مَكِيدَةً أَضَفْنَا لَهُ هَذِهِ الزِّيَادَةَ لِئَلَّا يَعْرِفَ.

وَهَذَا نَوعٌ مِنْ أَنوَاعِ البَدِيعِ يُسَمِّيهِ البَدِيعِيِّونَ التَّشْـرِيع[1]، وَقَد التَزَمنَاهُ فِي هَذِهِ القَضِيَّةِ، فِي الأَبيَاتِ المَنسُوبَةِ لِلشَّيخِ حَسَن بنِ نَصَّارٍ، والأَبيَاتِ الـمَنسُوبَةِ لِـمُسلِمِ بنِ عَقِيلٍ، وَمَا عَدَاهُمَا لَـمْ نَلْتَزِم فِيهِ ذَلِكَ.

وَلَا بَأسَ بِذِكرِهِ لِيَتَبَصَّـرَ فِيمَا صَنَعْنَا بِشِعْرِهِ فَهوَ يُسَمَّى (التَّشْـرِيع) بِالشِّينِ المُعْجَمَةِ، مَأَخُوذٌ مِن شَرَعْتُ الخَيمَةَ إِذَا رَفَعْتُ أَطْنَابَهَا؛ لِيَدخُلَ الهَوَاءُ مِن كُلِّ جِهَةٍ، وَهَذَا النَّوعُ -أَعْنِي التَّشـرِيعَ- سَمَّاهُ ابنُ أَبِي الإِصْبَعِ[2]التَّوْأَم وَأَرَادَ بِذَلِكَ مُطَابَقَةَ التَّسمِيَةِ لِلْمُسَمَّى، فَإِنَّ هَذَا النَّوعَ شَرطُهُ أَنْ يَبْنِي الشَّاعِرُ بَيتَهُ عَلَى وَزْنَينِ مِنْ أَوزَانِ العَرُوضِ، وَقَافِيَتَينِ، فَإِذَا أَسْقَطَ مِنْ آخِرِ البَيْتِ جُزْءًا أَوْ جُزأينِ صَارَ ذَلِكَ البَيتُ مِن وَزْنٍ آخَرَ غَيْرَ الأَوَّلَ وَذَلِكَ كَقَولِ الحَرِيرِيِّ:[3] [من الكامل]

(١) التشريعُ: هو بِناءُ البَيتِ عَلَى قَافِيَتَينِ، يَصُحُّ المَعنَى عَلَى الوُقُوفِ عَلَى كُلِّ وَاحِدةٍ مِنْهُمَا.
بغية الإيضاح ٤/ ٦٦٢، والبلاغة العربيَّة ٢/ ٥٣١.

(٢) ابن أبي الإصبع، مرَّت ترجمته.

(٣) مقامات الحريريّ ١/ ٢٢٣.

١. يَا خَاطِبَ الدُّنيَا الدَّنِيَّةِ إِنَّهَا شَرَكُ الرَّدَى، وَقَرَارَةُ الأَكْدَارِ
٢. دَارٌ مَتَى مَا أَضْحَكَتْ فِي يَومِهَا أَبْكَتْ غَدًا، بُعْدًا لَهَا مِنْ دَارِ

وَهِيَ مِنْ ثَانِي الكَامِلْ[١] وَتَنْتَقِلُ بِالإِسْقَاطِ إِلَىَ ثَامِنِهِ[٢]، فَتَصِير هَكَذَا: [من مجزوء الكامل]

يَا خَاطِبَ الدُّنيَا الدَّنِيْ ـيَةِ إِنَّهَا شَرَكُ الرَّدَى

وَكَذَلِكَ البَيْت الثَّانِي.

وَوَقَعَ قَبْلَ الحَرِيرِيِّ مِنْ كَلَامِ العَرَبِ فِي هَذَا البَابِ:[٣]

١. وَإِذَا الرِّيَاحُ مَعَ العَشِيِّ تَنَاوَحَتْ هُدُجُ الرِّئَالِ تَكِبُّهُنَّ شِمَالا[٤]
٢. أَلْفَيْتَنَا نَقري العَبِيطَ لِضَيْفِنَا قَبْلَ العِيَالِ، وَنَقْتُلُ الأَبْطَالا[٥]

فَإِنَّ هَذَا الشَّاعِرَ لَو اقْتَصَرَ عَلَى الرِّئَالِ وَالعِيَالِ، كَانَ الشِّعرُ مِنَ الضَّربِ المُرَفَّلِ مِنَ

---

(١) ثاني الكامل: أي الصورة الثانية من الكامل وفيها العروض تامة صحيحة (مُتَفَاعِلُنْ /// ه/ / ه)، والضرب تام مقطوع (مُتَفَاعِلْ /// ه)، وفي هذا المثال دخله زحاف الإضمار فصار (مُتْفَاعِلْ / ه/ ه).

(٢) قَالَ ثَامِنَهُ، وهي الصورة الثامنه للكامل وفيه يكون البيت مجزوءًا مُرَفَّلاً، أي إنَّ الضرب على وزن متفاعلاتن /// ه/ / ه/ ه).

وفي أبيات الحريريّ انتقل إلى سادس الكامل: أي الصورة السادسة من الكامل، وفيها العروض مجزوءة صحيحة (مُتَفَاعِلُنْ /// ه/ / ه)، والضرب مجزوء صحيح (مُتَفَاعِلُنْ /// ه/ / ه).

(٣) رواية (الأصل) للبيتَين مطابقة لما جاء بلا عزو في: خزانة الحمويّ ١/ ٢٦٧، وجاءت برواية أخرى تختلف عن الأولى وبلا عزو أيضًا في: تحرير التحبير ٥٢٣، والطراز ٣/ ٤٠، وتأريخ آداب العرب ٣/ ٢٤٥.

(٤) الرَّأْل: وَلَدُ النَّعام. (اللسان ١١/ ٢٦١)، وَهُدُجُ الرِّئَالِ: ولدُ النَّعَامِ الضَّعِيفَةُ فِي مَشْيِهَا. (التاج ٦/ ٢٧٣)، تَكِبُّهُنَّ: تَقْلِبُهُنَّ عَلَى وُجُوهِهِنَّ، مِن كَبَبْتُ القَصْعَةَ: قَلَبْتُهَا على وَجْهِها. (التاج ٤/ ٩٤).

(٥) قِرَى الضَّيف: إكرَامُهُ والإحْسَانُ إِلَيْهِ. (التاج ٣٩/ ٢٨٤)، والعَبِيطُ مِنْ اللَّحْمِ، وَذَلِكَ مَا كَانَ سَلِيمًا مِنَ الْآفَاتِ إِلَّا الْكَسْرَ، وقيل: الطَّرِيُّ غَيْرُ النَّضِيج. (اللسان ٧/ ٣٤٧).

الكَامِلِ وَهوَ: [مجزوء الكامل المرفَّل]

وَإِذَا الـرِّيَـاحُ مَـعَ الـعَـشِـيْـ ـيِ تَـنَـاوَحَـتْ هُـدُجُ الـرِّئَـالِ

وَكَذَلِكَ البَيْت الثَّانِي يَكونُ مِثلَ هَذَا.

وَمِثْلُهُ قَولُ الشِّهَابِ أَحْمَدَ بنِ يُوسُفَ بنِ مَالِكٍ الأَنْدَلُسِيِّ:[1] [من الكامل]

١. يَـا رَاحِـلًا يَـبْـغِـي زِيَـارَةَ طَـيْـبَـةٍ نِـلْـتَ الـمُـنَى بِـزِيَـارَةِ الأَخْـيَـارِ

٢. حَيِّ العَقِيقَ إِذَا وَصَلْتَ وَصِفْ لَنَا وَادِي مِـنَـى يَـا طَـيِّـبَ الأَخْـبَـارِ

وَالقَضِيَّةُ الَّتِي ابْتَدَعْنَاهَا فِي هَذَا الكِتَابِ، وَقَعَ التَّشْرِيعُ فِيهَا فِي الأَبيَاتِ الَّتِي عَزَونَاهَا لِلشَّيْخِ حَسَن بنِ نَصَّارٍ وَهوَ: [من الكامل]

مُوسَى بـنُ جَعْفَرِ وَالجَـوَادُ وَمَـنْ هُمَا سِرُّ الـوُجُـودِ وَعِـلَّـةُ الإِيْجَـادِ

فَإِنَّكَ إِذَا وَقَفْتَ مِن هَذَا البَيتِ عَلَى الوُجودِ، وَجَعَلتَهُ قَافِيَةً، كَانَ مِن (مَجزوءِ الكَامِل المُذَال بحَرفٍ)[2]، وَهوَ مَا عَزَونَاهُ لِلشَّيخِ مُحَمَّد رِضَا ابنِ الشَّيخِ أَحمَدَ النَّحويِّ، أَنَّهُ قَالَ:

مُـوسَـى بـنُ جَـعْـفَـرِ وَالجَـوَا دُ وَمَـنْ هُمَـا سِرُّ الـوُجُـودِ

وَفِي الأَبيَاتِ المَنسُوبَةِ لِـمُسْلِمِ بنِ عَقِيلٍ، فَهوَ أَيضًا إِذَا وَقَفتَ عَلَى (الوُجُودِ) يَكونُ كَذَلِكَ.

وَفِيمَا عَدَى ذَلِكَ مَا التَزَمنَاهُ لِعِلَّةٍ وَهيَ أَنَّ السَّيِّدَ لَـمَّا كَانَ مُقْتَرَحًا عَلَينَا تَشْطِيرَ أَبيَاتِهِ، أَضَفنَا إِلَيهَا هَذِهِ الزِّيادَةَ، وَعَزَونَاهَا لِلشَّيخِ حَسَن، وَاعْرَضْنَا عَنْ تَشْطِيرِ أَبيَاتِهِ، وَتَصَدَّينَا لِتَشْطِيرِ الأَبيَاتِ الَّتِي عَزَونَاهَا لِلشَّيخِ حَسَنْ بنِ نَصَّارٍ؛ لِالتِبَاسِ الأَمْرِ فِي هَذِهِ القَضِيَّةِ، أَرَدنَا أَنْ نُبَيِّنَ اقْتِدَارَنَا فِي التَّشْطِيرِ فَالتَزَمنَا فِيهِ شَيئًا صَعْبًا مَا التَزَمَهُ غَيْرُنَا، وَهوَ قَسمُ اللَّفْظَةِ المُشْتَرَكَةِ بَينَ الصَّدْرِ وَالعَجْزِ بِالنِّصفِ وَتَتْمِيمِهَا بِمَا يُنَاسِبُهَا، وَأَعْرَضنَا فِيهِ

(١) البيتان لأبي جعفر الرعينيّ الغرناطيّ في: نفح الطِّيب ١/ ٤٤.

(٢) هو من مجزوء الكامل المرفَّل.

عَنِ التَّشْرِيعِ لِئَلَّا -بِكَثْرَةِ التِزَامِ صِنَاعَةِ صِيَاغَةِ لَفْظِه- تَذهَبُ بَلَاغَةُ مَعناه، وَمَا تَبقَّى فِيهِ إِلَّا هَذِهِ الصِّنَاعَةَ اللَّفْظِيَّةَ الَّتِي التَزَمْنَاهَا، هَذَا مَا كَانَ مِن أَمْرِ التَّشْطِيرِ الَّذِي عَزَونَاهُ إِلَى مُحَمَّد بنِ إِسْمَاعِيلَ الخِلفَة، وَأَمَّا مَا كَانَ مِنْ أَمْرِ الأَبيَاتِ الَّتِي عَزَونَاهَا لِلسَّيِّدِ صَادِقِ الفَحَّام، فَإِنَّنَا أَعْرَضْنَا عَنِ التَّشْرِيعِ فِيهَا؛ لِأَنَّنَا التَزَمنَا فِيهَا تَبيِيَن خَطَأ السَّيِّدِ فِيمَا نَظَمَهُ، وَقَدْ بَيَّنَاهُ صَرِيحًا فِي مَا عَزَونَاهُ مِنَ المُخَاصَمَةِ بَينَ السَّيِّدِ صَادِقِ الفَحَّام وَبَينَ مُسْلِمِ بنِ عَقِيلٍ، وَإِذَا التَزَمنَا فِيهَا ذَلِكَ فَلَا يُمْكِنُ أَنْ نَلْتَزِمَ فِيهَا التَّشْرِيعَ؛ لِأَنَّهُ كَمَا بَيَّنَّا مِن أَنَّ بِكَثْرَةِ التِزَامِ الصِّنَاعَاتِ اللَّفْظِيَّةِ تَذْهَبُ بَلَاغَةُ المَعنَى، عَلَى أَنْ مَنْ يَلْحَظُ بِأَدنَى مُلَاحَظَةٍ هَذِهِ القَضِيَّةَ؛ الَّتِي ابْتَدَعْنَاهَا فِي هَذَا الكِتَابِ؛ يَعْجَبُ مِنَ السَّيِّدِ غَايَةَ الإِعْجَاب، مِن حَيْثُ إِنَّهُ اتَّهَمَ نَفْسَهُ فِي نَظْمِ أَبْيَاتِهِ، وَتَخَيَّلَ أَنَّ هَؤلَاءِ الفُحُولَ تَنَازَعوا حَقِيقَةً فِي نِظَامِ كَلِمَاتِهِ، وَأَنَّ هَذِهِ القَضِيَّةَ، حَقِيقَةً، مَا بَينَهُم صَدَرَت، وَلَمْ يَنْظُرْ إِلَى الإِشَارَاتِ الَّتِي -بِاخْتِرَاعِنَا لَهَا- قَدْ صَرَّحَتْ، وَمِنْ بَعْضِهَا مَا قُلنَاهُ -إِذْ تَجرَأَ عَلَينَا لِحَدَاثَةِ سِنِّهِ وَقِصَرِ بَاعِهِ مِنَ الشِّعرِ فِي فَنِّهِ- أَتَضَعُ سَبَّابَتَكَ فِي فَمِ الأَرقَمِ وَتَزعَمُ أَنَّكَ تَسْلَم؟! أَرَأَيْتَ نَمْلَةً حَمَلَت ثَبِير؟! أَوْ البَعُوضَةَ جَرَّتْ الأَثِير؟! وَأَعْظَمُ مِن هَذَا بَيَانًا، مَا هَتَفَ بِهِ لِسَانِي فِي هَذِهِ القَضِيَّةِ إِعْلَانًا، وَهُوَ مَا عَزَوتُهُ لِلسَّيِّدِ صَادِقِ الفَحَّام، حِينَ خَصَمَ مُسْلِمًا فَقَالَ: فَإِنْ كُنْتَ نِائِمًا انْتَبِهْ لِمَا أَنْتَ بِهِ، فَقَدْ أَسْفَرَ الصَّبَاحُ لِذِي عَيْنَينِ، وَاسْتَبَانَ لِلنَّاقِدِ النُّحَاسُ مِنَ اللُّجَيْنِ، وَفِي بَعْضِ مَا أَوْرَدْتُ كَافٍ فِي التَّنْبِيهِ لِلْكَامِلِ النَّبِيه، عَلَى أَنَّنِي لَمَّا عَلِمتُ بِهِ أَنَّهُ لَا يَفْهَمُ ذَلِكَ وَلَا يَعْرِفُه بِالمَرَّة، عَمَدْتُ لَهُ فِيمَا لَحَنْتُ لَهُ فِي قَولِي، وَأَظْهَرْتُ سِرَّه، وَذَلِكَ حِيْنَ قُلتُ: ثُمَّ تَمَثَّل بِهذِهِ الأَبْيَاتِ، لِيَعْلَمَ مَنْ حَضَرَ لَحْنَ هَذِهِ الأَمَارَاتِ، وَهَذَا مَفْهومُ تِلْكَ الأَبيَاتِ، مِمَّا تَفْهَمَهُ حَتَّى المُخَدَّرَات، وَالسَّيِّدُ -عَفَا اللهُ عَنهُ- بَعدَ هَذَا البَيَانِ، مَا عَرَفَ لَحْنَ قَولِنَا فِي هَذِهِ القَضِيَّةِ، مَعَ أَنَّهُ يَدَّعِي أَنَّهُ شَاعِرٌ أَلمَعِي، وَأَنَّى يَكونُ مَا ادَّعَاهُ، وَغَالِبُ الشِّعْرِ عَلَى اللَّحْنِ بُنِي، وَمَقَامُهُ فِي الشِّعْرِ عَظِيم، تَتَنَافَسُ بِهِ الشُّعَرَاءُ، وَتُبَالِغُ فِي حُسْنِ مَوْقِعِهِ الأُدَبَاء.

قَالَ مَالِكُ بنُ أَسمَاء بنِ خَارِجَةَ الفِزَارِيُّ:(١) [من الخفيف]

١. وَحَـدِيـثٍ، أَلَـذُّهُ -وَهـوَ مِمَّـا يَـنْـعَـتُ الـنَّـاعِـتُـونَ- يُـوزَنُ وَزْنَـا

٢. مَـنْـطِـقٌ صَـائِـبٌ، وَتَـلْـحَـنُ أَحْـيَـا نًـا، وَخَـيْـرُ الـحَدِيثِ مَـا جَـاءَ لَـحنَا

فَاللَّحْنُ هُوَ الكِنَايَةُ عَنِ الشَّيءِ، وَالتَّعْرِيضُ بِذِكْرِهِ، وَالعُدُولُ عَنِ الإِفْصَاحِ عَنهُ(٢)، عَلَى مَعنَى قَولِهِ تَعَالَى: ﴿..**وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ**..﴾(٣)، وَقَولُ الشَّاعِرِ:(٤) [من الكامل]

وَلَـقَـدْ وَحَـيْـتُ لَـكُـمْ لِـكَـيْـمَـا تَفْطُنُوا وَلَـحنْـتُ لَـحْـنًا لَيْسَ بِالـمُرْتَابِ(٥)

وَقَالَ السَّيِّدُ المُرْتَضَى فِي الدُّرَر: قَدْ قِيلَ إِنَّ اللَّحْنَ الَّذِي عُنِيَ فِي البَيتِ المُتَقَدِّم ذِكرُه هُوَ الفِطْنَةُ وَسُرعَةُ الفَهْمِ(٦)؛ عَلَى مَعنَى مَا رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**لَعَلَّ أَحَدَكُم أَنْ يَكونَ أَلحَنَ بِحُجَّتِهِ**»، أَي أَفْطَنُ لَهَا وَأَغْوَصُ عَلَيهَا.

وَمِمَّا يَشْهَدُ أَنَّ اللَّحْنَ هُوَ الكِنَايَةُ عَنِ الشَّيءِ وَالتَّعْرِيضُ بِذِكرِهِ؛ مَا رَوَاهُ السَّيِّدُ المُرتَضَى فِي الدُّرَرِ قَالَ:

---

(١) مَالِكُ بنُ أَسْمَاءَ بنِ خَارِجةَ بنِ حِصنِ بنِ حُذَيفَةَ بنِ بَدرٍ، أبو الحسن، الفَزَارِيُّ، شَاعِرُ غَزَلٍ ظَرِيفٌ، وَهوَ مِن شُعَرَاءِ الحَمَاسَة، كَانَ هُوَ وَأَبوهُ مِنْ أَشرَافِ الكُوفَةِ، فَتَزَوَّجَ الحَجَّاجُ أُختَهُ (هِند بِنتَ أَسمَاءَ)، فَقَلَّدَه الحجاج خَوَارِزمَ، وَأَصبَهَانَ، ثُمَّ وَقَعَ مِنهُ مَا أَغْضَبَ الحَجَّاجَ، فَحَبَسهُ مُدَّةً طَوِيلَةً. توفِّي (نحو ١٠٠هـ/ ٧١٨م)، وَلَهُ شِعرٌ كَثِيرٌ. له ترجمة في: معجم الشعراء ١/ ٣٢٨، وتأريخ دمشق ٩/ ٥١، وتأريخ الإسلام ٣/ ١٤٦، وسير أعلام النُّبلاء ٤/ ٣٥٧، ولسان الميزان ٥/ ٢، والأعلام ٥/ ٢٥٧.

- وينظر البيتان في: معجم الشعراء ١/ ٣٢٨، وتأريخ بغداد ١٢/ ٢١٠، وتأريخ دمشق ٤٥/ ٤٣٩، ومعجم الأدباء ٥/ ٢١٠٩، وتأريخ الإسلام ٣/ ١٤٦.

(٢) اللسان ١٣/ ٣٨٠.

(٣) سورة محمَّد/ ٣٠.

(٤) لِلْقَتَّالِ الكِلابيّ فِي: مجمع الأَمثَالِ ٢/ ٢٥٥، وبلا عزو في تحرير التحبير ٢٠٤.

(٥) في مجمع الأمثال: (تفهموا) بدلًا من (تفطنوا).

(٦) الغرر والدرر ١/ ١١.

أَخْبَرَنَا أَبُو عُبَيْدِ الله مُحَمَّدُ بنُ عِمرانَ بنِ مُوْسَى المَرْزُبَانِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بنُ عَبْدِ الله العَسْكَرِيّ قَالَ: حَدَّثَنَا العَنَزِيُّ[1] قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِي بنُ إِسْمَاعِيلَ اليَزِيدِيّ قَالَ: أَخْبَرَنَا إِسْحَاقُ بنُ إِبْرَاهِيمَ قَالَ: تَكَلَّمَتْ هِنْدُ بِنْتُ أَسْمَاءَ بنِ خَارِجَةَ فَلَحَنَتْ وَهِيَ عِنْدَ الحَجَّاجِ، فَقَالَ لَهَا:

تَلْحَنِينَ وَأَنْتِ شَرِيفَةٌ فِي قَوْمِك؟!

قَالَتْ: أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ أَخِي مَالِكٍ لِامْرَأَتِهِ الأَنْصَارِيَّةِ؟!

قَالَ: مَا هُوَ؟ قَالَتْ: قَالَ:

مَنْطِقٌ صَائِبٌ وَتَلْحَنُ أَحْيَا نًا وَخَيْرُ الحَدِيثِ مَا كَانَ لَحْنَا[2]

فَقَالَ لَهَا الحَجَّاجُ: إِنَّمَا عَنَى أَخُوكِ اللَّحْنَ فِي القَوْلِ، إِذَا كَنَّى المُحَدِّثُ عَمَّا يُرِيدُ، وَلَمْ يَعْنِ اللَّحْنَ فِي العَرَبِيَّةِ، فَأَصْلِحِي لِسَانَكِ[3].

قَالَ السَّيِّدُ المُرْتَضَى: وَقَدْ ظَنَّ عَمْرُو بنُ بَحْرٍ الجَاحِظُ مِثْلَ هَذَا بِعَيْنِهِ وَقَالَ: إِنَّ اللَّحْنَ مُسْتَحْسَنٌ فِي النِّسَاءِ الغَرَائِرِ[4]، وَالغَرَائِرُ جَمْعُ غَرِيرَةٍ وَهِيَ الَّتِي لَمْ تُجَرِّبِ الأُمُورَ، وَلَيْسَ بِمُسْتَحْسَنٍ مِنْهُنَّ كُلُّ الصَّوَابِ وَالتَّشَبُّهَ بِفُحُولِ الرِّجَالِ، وَاسْتَشْهَدَ بِأَبْيَاتِ مَالِكٍ بِعَيْنِهَا، وَظَنَّ أَنَّهُ أَرَادَ بِاللَّحْنِ مَا يُخَالِفُ الصَّوَابَ، وَتَبِعَهُ عَلَى هَذَا الغَلَطِ عَبْدُ الله بنُ مُسْلِمِ بنِ قُتَيْبَةِ الدِّينَوَرِيُّ، فَذَكَرَ فِي كِتَابِهِ المَعْرُوْفِ بِـ(عِيْونِ الأَخْبَارِ)[5] أَبْيَاتَ الفَزَارِيّ

(١) في (الأصل): (الغزي) في موضع (العنزيّ).
– هُوَ الحَسَنُ بنُ عليلٍ العَنَزِيُّ كَانَ صَاحِبَ أَدَبٍ وَأَخبَارٍ، تُوفِيَّ فِي سُرَّ مَنْ رَأَى سَنَةَ (٢٩٠هـ).
يَروي عَنهُ أَحمدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ عَبدِ الله أَبو بَكرٍ الجَوْهَرِيُّ المُعَنوَنُ فِي تَأَريخِ الخَطِيبِ.
الأمالي للشيخ المفيد ٣١٨.

(٢) (الأصل): (ما جاء) في موضع (ما كان).

(٣) أمالي المرتضى ١/ ١١.

(٤) أمالي المرتضى ١/ ١١.

(٥) عيون الأخبار، لأبي محمَّد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوريّ (المتوفَّى ٢٧٦هـ).

وَاعْتَذَرَ بِهَا مِنْ لَـحْنٍ إنْ أُصِيبَ فِي كِتَابِهِ[1].

[قَالَ الشَّرِيفُ الْمُرْتَضَى]: وَأَخْبَرَنَا أَبُو عُبَيْدِ الله المَرْزُبَانِيُّ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بنُ يَحْيَى الصُّولِيّ، قَالَ: حَدَّثَنِي يَحْيَى بنُ عَلِيّ الْمُنَجِّم، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، قَالَ: قُلْتُ لِلجَاحِظِ: مِثْلُكَ فِي عَقْلِكَ وَعِلْمِكَ بَالأَدَبِ يَنْشُدُ قَوْلَ الفَزَارِي وَيُفَسِّرُهُ عَلَى أَنَّهُ أَرَادَ اللَّحْنَ فِي الإعْـرَابِ[2]، وَإِنَّمَا أَرَادَ وَصْفَهَا بِالظَّرَفِ وَالفِطْنَةِ، وَإِنَّـها تُوَرِّي عَمَّـا قَصَدَتْ لَهُ، وَتَتَنَكَّبُ التَّصْـرِيحَ بِهِ؟ فَقَالَ: قَدْ فَطِنْتُ لِذَلِكَ بَعْدُ، فَقُلْتُ: غَيِّرْهُ مِنْ كِتَابِكَ، فَقَالَ: كَيْفَ لِيَ بِتَغْيِيرِ مَا سَارَ بِهِ الرُّكْبَانُ؟قَالَ الصُّولِـيّ: فَهُوَ فِي كِتَابِهِ عَلَى خَطَئِهِ.

[قَالَ الشَّرِيفُ الْمُرْتَضَى]: وَمِنْ حُسْنِ اللَّحْنِ الَّذِي هُوَ التَّعْرِيضُ وَالكِنَايَةُ مَا أَخْبَرَنَا بِهِ أَبُوالحَسَنِ عَلِيّ بنُ مُحَمَّدِ الكَاتِبِ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بنُ الحَسَنِ ابنِ دُرَيْدٍ الأَزْدِيّ أَنَّ رَجُـلًا مِنْ بَنِي العَنْبَرِ حَصَلَ أَسِيرًا فِي بَكْرِ بنِ وَائِلٍ، فَسَأَلَـهُمْ رَسُولًا إِلَى قَوْمِهِ، فَقَالُوا لَهُ: لَا تَرْسِلْ إِلَّا بِحَضْـرَتِنَا؛ لأَنَّهُمْ كَانُوا عَزَمُوا عَلَى غَزْوِ قَوْمِهِ فَخَافُوا أَنْ يُنْذِرَهُمْ، فَجِيءَ بِعَبْدٍ أَسْوَدَ فَقَالَ لَهُ: أَتَعْقِلُ؟ قَالَ: نَعَمْ إِنِّي لَعَاقِلٌ، قَالَ: أَرَاكَ عَاقِلًا، وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى اللَّيْلِ فَقَالَ: مَا هَذَا؟ قَال: اللَّيْلُ، قَالَ: أَرَاكَ عَاقِلًا، ثُمَّ مَلأَ كَفَّيْهِ مِنَ الرَّمْلِ فَقَالَ: كَمْ هَذَا؟ قَالَ: لا أَدْرِي وَإِنَّهُ لَكَثِيْرٌ، فَقَالَ: أَيَّمَا أَكْثَرُ النُّجُومُ أَمْ النِّيـرَانُ؟ قَالَ: كُلٌّ كَثِيرٌ، فَقَالَ: أَبْلِغْ قَوْمِيَ التَّحِيَّةَ، وَقُلْ لَـهُمْ لِيُكْرِمُوا فُلانًا -يَعْنِي أَسِيرًا كَانَ فِي أَيْدِيهِمْ مِنْ بَكر- فَإِنَّ قَوْمَهُ لِي مُكْرِمُونَ، وَقُلْ لَـهُمْ إِنَّ العَرْفَجَ قَدْ أَدْبَى وَشَكَّتِ النِّسَاءُ وَأْمُرْهُمْ أَنْ يُعَرُّوا نَاقَتِي الحَمْرَاءَ، فَقَدْ أَطَالُوا رُكُوبَهَا، وَأَنْ يَرْكَبُوا جَـمَلِي الأَصْهَبَ بِآيَةِ مَا أَكَلَتْ مَعَكُمْ حَيْسًا، وَاسْأَلُوا عَنْ خَبَرِي أَخِي الحَارِثَ.

فَلَـمَّا أَدَّى العَبْدُ الرِّسَالَةَ إِلَيْهِمْ، قَالُوا: لَقَدْ لَحَنَ الأَعْوَرُ، وَاللهِ مَا نَعْرِفُ لَهُ نَاقَةً حَمْرَاءَ وَلَا جَمَلًا أَصْهَبَ، ثُمَّ سَرَّحُوا العَبْدَ وَدَعُوا الحَارِثَ فَقَصُّوا عَلَيْهِ القِصَّةَ، فَقَالَ:

(١) أمالي المرتضى ١/ ١١-١٢.

(٢) أمالي المرتضى ١/ ١١-١٢.

قَدْ أَنْذَرَكُمْ؛ أَمَّا قَوْلُهُ: قَدْ أَدْبَى العَرْفَجُ، يُرِيدُ أَنَّ الرِّجَالَ قَدْ اسْتَلْأَمُوا وَلَبِسُوا السِّلَاحَ، [وَالعَرْفَجُ جِنْسٌ مِنَ الشَّوْكِ، وَأَدْبَى أَي أَوْرَقَ وَصَارَ الوَرَقُ عَلَيْهِ كَالدَّبَى[1]، الدَّبَى صِغَارُ النَّمْلِ]، وَقَولُهُ وَشَكَتِ النِّسَاءُ، أَي اتَّخَذَتِ الشِّكَاءَ لِلسَّفَرِ، وَقَولُهُ النَّاقَةُ الحَمْرَاءُ أَيْ ارْتَحَلُوا عَنِ الدَّهْنَاءِ وَأَرْكَبُوا الصَّمَّانَ، وَهُوَ الجَمَلُ الأَصْهَبُ، وَقَوْلُهُ: أَكَلْتُ مَعَكُمْ حَيْسًا، يُرِيدُ أَخْلاطًا مِنَ النَّاسِ قَدْ غَزُوكُمْ؛ لأَنَّ الحيْسَ يَجْمَعُ التَّمْرَ وَالسَّمْنَ وَالأَقِطَّ، فَامْتَثَلُوا مَا قَالَ وَعَرَفُوا لَحنَ كَلامِهِ[2].

وَالعَجَبُ لِهَذَا الأَعْرَابِيِّ كَيفَ عَرَفَ لَحْنَ أَخِيهِ وَاسْتَخْرَجَ دَقَائِقَ خَوَافِيهِ، مَعَ هَذَا الغُمُوضِ الَّذِي لَا يَهتَدي إِلَيهِ الفَطِنُ اللَّبِيبُ، وَلَا يُدْرِكهُ الحَازِمُ الأريبُ.

وَاللَّحْنُ الَّذِي فِي كِتَابِنَا ظَاهِرٌ جِدًّا، وَلِظُهُورِهِ وَظُهُورِ النُّكَتِ الَّتِي فِيهِ اسْتَظْرَفَتهُ الأُدبَاءُ، وَتَنَاقَلَتهُ الشُّعَرَاءُ، وَصَارَ لَهُ شَأنٌ عَظِيمٌ عِنْدَ الفُضَلَاءِ، وَحُذَّاقِ الأَلِبَّاء، وَلَمَّا وَقَفَ عَلَيهِ الحَاجُّ مُحَمَّد رِضَا ابنُ مَنْ مَلَأَ سَيبُ مَعرُوفِهِ الفَضَاء، زَعِيمُ الجَحَاجِحَ، الحَاجُّ مُحَمَّد صَالِح، تَعَجَّبَ غَايَةَ العَجَب، وَأَحَبَّ أَنْ أُخَمِّسَ قَصيدَةَ السَّيِّدِ الدَّالِيَّةَ، أَوْ أُشَطِّرَهَا؛ لِأَنَّهُم كَانُوا قَبلَ أَنْ أَتَكَلَّمَ عَلَيهَا يَسْتَعْظِمُونَ أَمْرَهَا، فَأَخْبَرَنِي الشَّيخُ حَسَن بِمَرَامِهِ، فَأَنْشَأْتُ قَصِيدَةً مُسْتَقِلَّةً مُجَارٍ بِهَا السَّيِّدَ، عَلَى وَزنِ شِعْرِهِ وَرَوِيِّ نِظَامِه، وَصَارَتْ مَعَهُم لَنَا عَلَاقَةٌ أَحْكَمَتْ مَا بَينَنَا عَقدَ الصَّدَاقَة، وَاتَّفَقَ فِي بَعضِ السِّنِينَ أَنِ اجْتَمَعْتُ أَنَا وَالسَّيِّدُ صَالِح فِي نَادِيهِم العَظِيمِ، وَكَانَ السَّيِّدُ المُشَارُ إِلَيهِ فِي صَدَاقَتِهِ لَنَا كَالأَخِ الحَمِيم، يُعَظِّمُنِي وَأُعَظِّمُهُ، وَيُكرِمُنِي وَأُكْرِمُهُ، وَاتَّفَقَ أَنَا وَابْنَ أَخِي[3] قَدْ أَنْشَأَ كُلٌّ قَصيدَةً بِمَدْحِهِم، وَكُلٌّ مِنهُمَا قَد احْتَوَتْ عَلَى مَعَانٍ عَجِيبَةٍ، فِي تَعْظِيمِ شَأنِهِم، فَقَرأتُ قَصِيدَتِي وَالسَّيِّدُ سَاكِتٌ

(١) الدَّبى: صغار الجراد والنمل. (اللسان ١٤/ ٢٤٨).

(٢) أمالي المرتضى: ١/ ١٢-١٣.

(٣) ابن أخيه: هو السَّيِّد حيدر الحِلِّيّ.

فَقُلتُ فِي نَفْسِي: لَعَلَّهُ مِن إِعْجَابِهِ بِهَا بَاهِتٌ، فَلَمَّا قُرِئتْ قَصِيدةُ ابنِ أَخِي وَبَلَغَ المُنْشِدُ فِي الإنْشَادِ إِلَى قَولِهِ:

نُسْكٌ كَمَا شَاءَ الإِلَهُ...

قَالَ لَهُ السَّيِّدُ: أَعِدْ، فَلَمَّا أَعَادَ:

نُسْكٌ كَمَا شَاءَ الإِلَهُ وَأَنْعُمٌ لَمْ يَحْصِهَا إِلَّا الإِلَهُ عَدِيدَا

قَالَ لَهُ اقْرَأ:

نُسْكٌ كَنُسْكِ المُصْطَفَى وَمَوَاهِبٌ

فَأَمَرتُ المُنْشِدَ أَنْ يَقْرَأ البَيتَ كَمَا غَيَّرَهُ؛ لِئَلَّا فِي جِدَالِنَا مِنْ قِرَاءتِهَا، فَيَذهَبُ حُسنُ تِلَاوَتِهَا.

فَلَمَّا أَتَمَّهَا المُنْشِدُ، التَفَتُّ إِلَى السَّيِّدِ وَقُلتُ لَهُ:

أَفْسَدْتَ البَيتَ بِتَغْيِيرِكَ؛ لِأَنَّ صَدرَهُ الَّذِي غَيَّرتَهُ أَرَّقَ لَفْظًا، وَإِنْ أَنْتَ قَصَدْتَ التَّوْرِيَةَ بِقَولِكَ:

نُسْكٌ كَنُسْكِ المُصْطَفَى وَمَوَاهِبٌ

مِنْ حَيثُ إِنَّ أَبَا المَمدُوحِ مُصْطَفَى، وَالمُصْطَفَى النَّبِيُّ ﷺ، فَمُرَادُكَ أَنَّ نُسكَ المَمْدُوحِ كَنُسْكِ أَبِيهِ، وَتُوهِمُ أَنَّكَ تُرِيدُ نُسْكَ النَّبِيِّ ﷺ، وَصَدرُ البَيتِ أَعْظَمُ؛ لِأَنَّهُ قَالَ:

نُسْكٌ كَمَا شَاءَ الإِلَهُ...

فَقَولُهُ: كَمَا شَاءَ الإِلَهُ لَا شَكَّ وَلَا شُبْهَةَ أَنَّهُ أَعْظَمُ مِمَّا قَصَدتَ.

فَانْقَطَعَ حَصرًا وَأَبْدَى غَضَبَهُ تَضَجُّرًا حِينَ رَدَدْنَا كَيدَهُ فِي نَحْرِه، وَأَفْحَمنَاهُ فِي رَدِّ الجَوَابِ عَنْ هَذَره، فَهَمَّ أَنْ يَقُومَ فَأَلزَمُوهُ بِالقُعُودِ، فَقَعَدَ وَهوَ يَكَادُ مِنَ الغَيْظِ أَهَابُهُ أَنْ يَتَقَدَّد.

وَلِأُبْدِيَ لَكَ خَطَأَ السَّيِّدِ، فَانْظُرْ إِلَى قَولِهِ:

نُسْكٌ كَنُسْكِ المُصْطَفَى وَمَوَاهِبٌ

فَإِنَّهُ قَدِ ارتَفَعَ شَأْنُهُ بِالعَجْزِ الَّذِي قَالَهُ ابنُ أَخِي؛ لِأَنَّهُ عَظَّمَ المَوَاهِبَ الَّتِي ذَكَرَهَا فِي شَطْرِهِ فَقَالَ:

لَمْ يَحْصِهَا إِلَّا الإِلَهُ عَدِيدَا

وَلَولَا هَذَا العَجْزُ لَانْحَطَّ الصَّدْرُ الَّذِي قَالَهُ السَّيِّدُ؛ لِأَنَّا لَو قُلنَا لِلسَّيِّد -سَلَّمَهُ اللهُ- اجْعَلْ لِهَذَا الصَّدرَ الَّذِي نَظَمْتَهُ عَجْزًا غَيرَ هَذَا، لَمَا كَانَ لَهُ بُدٌّ إِلَّا أَنْ يَأْخُذَ فِي تَشْبِيهِ المَوَاهِبِ، فَيَقولُ:

نُسْكٌ كَنُسْكِ المُصْطَفَى وَمَوَاهِبٌ كَمَوَاهِبِهِ؛ لِأَنَّهُ كَمَا شَبَّهَ بِنُسْكِهِ نُسكَهُ فَعَلَى هَذَا لَو كَلَّفنَاهُ نَظمَهُ فَمَا لَهُ بُدٌّ إِلَّا أَنْ يَقولَ: [من الكامل]

نُسْكٌ كَنُسْكِ المُصْطَفَى وَمَوَاهِبٌ تَحْكِي مَوَاهِبَ رَاحَتَيهِ جُودَا

فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَبَيتُ ابنِ أَخِي أَعْظَمُ مَعنًى؛ لِأَنَّه أَوَّلًا عَجزُهُ رَفَعَ الصَّدرَ الَّذِي نَظَمَهُ السَّيِّدُ، وَثَانِيًا لَو اطَّرَدَ السَّيِّدُ فِي تَشْبِيهِهِ، وَأَتَمَّ صَدرَهُ بِمَا ذَكَرنَاهُ، لَكَانَ بَيتُ ابنِ أَخِي أَعظَمَ؛ لِأَنَّهُ قَالَ:

نُسْكٌ كَمَا شَاءَ الإِلَهُ وَأَنْعُمٌ لَمْ يَحْصِهَا إِلَّا الإِلَهُ عَدِيدَا

فَالنُّسكُ الَّذِي هُوَ كَمَا يَشَاؤهُ اللهُ، وَالمَوَاهِبُ الَّتِي لَمْ يُحْصِ عَدَّهَا إِلَّا الإِلَهُ، لَا شَكَّ وَلَا شُبهَةَ أَنَّهَا أَعظَمُ مِنَ النُّسْكِ وَالمَوَاهِبِ اللَّذِينِ ذَكَرَهُمَا السَّيِّدُ، وَمِن تَقَصُّدَاتِ السَّيِّدِ -سَلَّمَهُ اللهُ- وَأَصْحَابِهِ لَنَا كَهَذِهِ وَنَظَائِرِهَا الَّتِي صَدَرَتْ مِنهُ وَمِنهُم مِنْ غَيْرِ دَاعٍ يَدعُوهُم، تَعَرَّضْتُ لِمَعَايِبِ شِعرِهِ وَشِعْرِهِم وَلَولَا خَوْفُ الإِطَالَةِ لَذَكَرتُ مِنْ تَقَصُّدَاتِهِم الَّتِي شَابَهوا بِهَا ذَنَبَ العَقْرَبِ، الَّتِي مِنْ طَبْعِهَا مِن غَيرِ دَاعٍ لِمَنْ صَادَفَتهُ أَنْ تَلْسَب، عَلَى أَنَّنِي وَإِنْ ذَكرتُ مَا ذَكَرتُ أَسِفْتُ عَلَى الصَّفْحِ؛ لِأَنَّهُ بِي أَجمَلُ، وَلَهُم بِعَدَمِ

الـمُبَالَاتِ أَقْتَل، لَكِن جَرَى الأَمْرُ كَمَا قَالَهُ السَّيِّدُ الرَّضِيُّ رحمه الله:[1] [من الكامل]

لَا تَـصْـفَـحَـنَّ عَـنِ الـعَـدُوِّ إِذَا جَنَى وَإِذَا الـمَـضَـارِبُ أَمْكَنَتْكَ فَصَمِّمِ[2]

وَهَذَا آخِرُ مَا أَرَدنَا رَسْمَهُ مِنَ البَابِ الأَوَّلِ.

وَيَتلُوهُ البَابُ الثَّانِي.

(١) ديوان الشريف الرضيّ ٢/ ٧٤٢.

(٢) في الديوان (الملم) بدلًا من (العدو).

فِهْرِسُ المُحتَوَيَاتِ

كلمة المركز	٧
مقدِّمة المحقِّق	١٣
الفصل الأوَّل: حياة الشاعر	٢١
اسمه ونسبه، اسرته	٢٣
ولادته ونشأته	٢٧
شيوخه وطلابه	٣٠
وفاته	٣٢
آثاره	٣٤
الفصل الثاني: مخطوطة الكتاب ومنهج التحقيق	٣٧
وصف المخطوطة	٣٩
منهج التحقيق	٤٥
مصباح الأدب الزاهر لذوي البصائر	٤٧
القول في المقدِّمة	٥١
الشعر في اللغة	٥١
استحسان النبيِّ صلى الله عليه وآله لجيِّد الشعر	٥١
مع النَّابِغة الجعديّ	٥٢
مع قيس بن الخطيم	٥٤

مع قُس بن ساعدة الإياديّ	٥٥
أعرابيٌّ يشكو الجدبَ إلى الرسول صلى الله عليه وآله	٥٩
الرسول صلى الله عليه وآله يذكر عمه أبا طالب ويستغفر إليه	٦١
مع رجل من كنانة	٦٢
سَوَادُ بن قارب وخبر النبيّ صلى الله عليه وآله	٦٣
شاعرية عبد الله بن رواحة	٦٦
سُحَيم وقوله المرضي عند رسول الله صلى الله عليه وآله	٧٠
كفى الإسلام والشيب ناهيا	٧١
العبَّاس بن مرداس السُّلَمي وخبره في قسمة غنائم حُنَين	٧٢
رأي رسول الله صلى الله عليه وآله في الشعراء	٧٨
بعض المواقف مع حسَّان بن ثابت وكعب بن مالك	٧٩
رأي الإمام الصادق عليه السلام في الشعر والشعراء	٨٠
قريش واتِّهامها الرسول صلى الله عليه وآله بأنَّه شاعر وما أتى به هو الشعر	٨٧
محاولة كفَّار قريش مجاراة القرآن	٩٢
عبد الله بن رواحة، شعره وشاعريَّته	١٠٠
أخبار الكميت مع الإمام الصادق عليه السلام	١٠٠
أخبار الفرزدق مع الإمام زين العابدين عليه السلام	١٠١
خبر كعب بن زهير	١٠٤
فصاحة الحسن والحسين سلام الله عليهما	١٠٨
الإمام زين العابدين عليه السلام في البيت الحرام	١١٢
أبو طالب وحرصه على النبيّ صلى الله عليه وآله	١١٣

الخزم في الشعر العربيّ	١١٩
خُلَاصَة القول في تحريم الشعر	١٢٢
ما بين الشريف المرتضى والشريف الرضيّ	١٢٩
كُثيِّر عَزَّة وأعجب ما كان بينهما	١٣٥
التفريع أو النفي والجحود	١٤١
عاتكة المرِّيَّة وابن عمها	١٤٢
ترغيب النبيّ ﷺ لمن تابعه وآمن به بهجاء الكفرة	١٤٥
طسم وجُديس وهلاكهما	١٥٤
التشبيهات	١٥٩
فضل البلغاء	١٦٥
القاضي الفاضل والملك العزيز	١٦٥
تميم بن جميل التَّغلِبيّ والمعتصم	١٦٧
يزيد بن مزيد الشيباني	١٦٩
معاوية بن أبي سفيان ورأيه في الشعر	١٧٠
معاوية والحارث بن نوفل	١٧١
أبيات بشر بن عوانة	١٨٤
خروج النبيّ ﷺ من مكَّة ليعرض نفسه على القبائل	١٨٦
الأصمعي والصبيَّانِ الفَصيحان	١٩٢
النَّظَّام والفراهيديّ	١٩٣
نبوغ لبيد العامريّ	١٩٤
الصبي الموهوب والحجاج بن يوسف الثقفيّ	٢٠٠

الحارث بن كعب وفصاحته وبراعته ساعة احتضاره	٢٠٤
دُوَيد بن زيد وفرائد كلامه عند احتضاره	٢٠٦
وفاة العبَّاس بن الأحنف	٢١١
الصِّمَّة بن عبد الله القُشيريّ	٢١٣
مطيع بن إياس	٢١٣
يحيى بن زياد الحارثيّ	٢١٤
صَخر بن عَمرو الشَّريد	٢١٥
الباب الأوَّل : نقد قصائد المديح ، في مديح شعراء العصر	**٢٢٩**
برزت تتهادى كذات النِّطاقين	٢٥٧
امرؤ القيس والتوأم اليشكريّ	٣٣٤
منَ الحِكَم الباهرات	٣٦٠
من نوابغ الكَلِم	٣٦١
علم القافية	٤٦٥
حروف القافية	٤٦٧
حركات القافية	٤٦٧
عيوب القافية	٤٦٨
المقامة الأدبيَّة	٤٧٩
التشريع	٤٨٧
هند بنت أسماء بن خارجة زوجة الحجَّاج تلحن في كلامها	٤٩٢
الفرق بين اللحن بمعنى التعريض واللحن بمعنى الخطأ	٤٩٢

منشوراتنا

تشرَّفَ مركزُ تراثِ الحِلَّة التابع لقسم المعارف الإسلاميَّة والإنسانيَّة في العتبة العبَّاسيَّة المقدَّسة بتحقيق ومراجعة وضبط ونشر الكتب الآتية:

١. **معاني أفعال الصلاة وأقوالِها.**
تأليف: الشيخ أحمد ابن فهد الحِلِّيّ (ت ٨٤١هـ).
تحقيق وتعليق وضبط: مركزُ تراثِ الحِلَّة.

٢. **مختصر المراسم العلويَّة.**
تأليف: المحقِّق الحِلِّيّ، جعفر بن الحسن الـهُذَليّ (ت ٦٧٦هـ).
تحقيق: أحمد عليّ مجيد الحِلِّيّ.

٣. **التأصيل والتجديد في مدرسة الحِلَّة العلميَّة- دراسة تحليليَّة.**
تأليف: د. جبَّار كاظم الملَّا.

٤. **مدرسة الحِلَّة وتراجم علمائها، مِن النشوء إلى القمَّة.**
تأليف: السيِّد حيدر السيِّد موسى وتوت الحسينيّ.

٥. **المنهج التاريخيّ في كتابَي العلَّامة الحِلِّيّ (ت ٧٢٦هـ) وابن داوود (حيًّا سنة ٧٠٧هـ) في علم الرجال.**
تأليف: أ.م.د. سامي حمود الحاج جاسم.

٦. **التراث الحِلِّيّ في مجلَّة فقه أهل البيت عليهم السلام.**
أعدَّه وضبطه: مركز تراث الحِلَّة.

٧. **شرح شواهد قطر الندى.**

تأليف: السيِّد صادق الفحَّام (ت ١٢٠٥هـ).

دراسة وتحقيق: أ.م.د. ناصر عبد الإله دوش.

٨. **مراصد التدقيق ومقاصد التحقيق.**

تأليف: الحسن بن يوسف بن عليّ بن المُطهَّر، العلَّامة الحِلِّيّ (ت ٧٢٦هـ).

تحقيق: د. الشيخ محمَّد غفوري نژاد.

٩. **درر الكلام ويواقيت النظام.**

تأليف: السيِّد حسين بن كمال الدين بن الأبزر الحسينيّ الحِلِّيّ (بعد ١٠٦٣هـ).

تحقيق: السيِّد جعفر الحسينيّ الأشكوريّ.

١٠. **موسوعة تراث الحِلَّة المصوَّرة.**

إعداد: وحدة الإعلام. مركز تراثِ الحِلَّة.

١١. **فقهاء الفيحاء وتطوُّر الحركة الفكريَّة في الحِلَّة (بجزئين).**

تأليف: السيِّد هادي حمد آل كمال الدين الحسينيّ (ت ١٤٠٥هـ).

دراسة وتحقيق: أ.د. عليّ عبَّاس الأعرجيّ.

١٢. **الموسوعة الرجاليَّة للعلَّامة الحِلِّيّ (ت ٧٢٦هـ).** وتشتمل:

- **تحقيق كتاب (خلاصة الأقوال)**، مع إضافة حواشي كلٍّ مِن: الشهيد الثاني قدس سره، والشيخ حسن صاحب المعالم قدس سره، والشيخ البهائيّ قدس سره.
- **تحقيق كتاب (إيضاح الاشتباه).**
- تأليف كتاب بعنوان: **(المباني الرجاليَّة للعلَّامة الحِلِّيّ في كتبه الأخرى).**

تحقيق: الشيخ محمَّد باقر ملكيان.

١٣. **كشف المخفيّ من مناقب المهديّ عليه السلام للحافظ ابن البطريق الحِلِّيّ (نسخة مستخرجة).**

استخرجها وحقَّقها: السيِّد محمَّد رضا الجلاليّ.

١٤. **مسائل متفرِّقة لفخر المحقِّقين.**

تحقيق: الشيخ قاسم إبراهيم الخاقانيّ.

١٥. **تدوين السيرة الذاتيَّة في تراث السيِّد رضيّ الدين ابن طاووس الحِلِّيّ.**

تأليف: السيِّد حيدر موسى الحسينيّ.

١٦. **ديوان الشيخ حسن مصبِّح الحِلِّيّ.**

دراسة وتحقيق: د. مضر سليمان الحِلِّيّ.

١٧. **خلاصة الأقوال في معرفة الرجال.**

إعداد وتقديم: ميثم سويدان الحِميريّ الحِلِّيّ.

١٨. **رسائل الشيخ حسين الحِلِّيّ.**

تحقيق وتعليق ومراجعة وضبط: مركز تراث الحِلَّة.

١٩. **خمسُ رسائل لفخر المحقِّقين.**

تحقيق وتعليق ومراجعة وضبط: مركز تراث الحِلَّة.

٢٠. **منهج القصَّاد في شرح بانت سعاد.**

تأليف: أحمد بن محمَّد ابن الحدَّاد البجليّ الحِلِّيّ (بعد ٧٤٥ هـ).

تحقيق: أ.د. عليّ عبَّاس الأعرجيّ.

٢١. **مزارات الحِلَّة الفيحاء ومراقد علمائها.**

تأليف: السيِّد حيدر السيِّد موسى وتوت.

٢٢. **أجوبة المسائل المهنَّائيَّة.**

تحقيق: الشيخ حسين الواثقيّ.

٢٣. **اختبار العارف ونهل الغارف (ديوان الشيخ حمَّادي نوح الكعبيّ).**

تحقيق وتعليق: الدكتور مضر سليمان الحِلِّيّ.

٢٤. **بغية الطالبين لما وصل إلينا من إجازات فخر المحقِّقين.**

جمع وتحقيق: ميثم سويدان الحِميريّ.

٢٥. **الخطاب الأخلاقيّ وأبعاده التداوليَّة عند السيِّد رضيّ الدين عليّ بن طاووس الحِلِّيّ.**

تأليف: أ.د. رحيم كريم الشريفيّ، و أ.م.د. حسين عليّ حسين الفتليّ.

٢٦. **مصباح الأدب الزاهر لذوي البصائر (الجزء الأوَّل والثاني).**

تأليف: السَّيِّدِ مَهدِيِّ بنِ دَاودَ الحِلِّيّ (١٢٢٢-١٢٨٩هـ).

تَحقِيقُ وَتَعلِيقُ: الدكتور مُضَر سُلَيمَانَ الحُسَيْنِيِّ الحِلِّيّ.

وسيصدرُ قريبًا (بمراجعة وضبط مركز تراث الحِلَّة)

١. **المباحث الرجاليَّة في تُراث الشيخ محمَّد ابن إدريس الحِلِّيّ** ﷺ **(٥٤٣-٥٩٨هـ).**

تأليف: حيدر السيِّد موسى وتوت الحسينيّ.

٢. **ديوان الشَّيخِ أَحمَدَ النَّحوِيِّ الحِلِّيّ النَّجَفِيِّ (المتوفَّى ١١٨٣هـ).**

تحقيق وتعليق: الدكتور مضر سليمان الحِلِّيّ.

٣. **ديوان الشَّيخِ مُحَمَّد رِضَا النَّحوِيِّ الحِلِّيّ النَّجَفِيِّ (المتوفَّى ١٢٢٦هـ).**

تحقيق وتعليق: الدكتور مضر سليمان الحِلِّيّ.

٤. **إيضاح المصباح لأهل الصلاح.**

تأليف: السيِّد بهاء الدين عليّ بن عبد الكريم النيليّ النجفيّ.

دراسة وتحقيق: مركز تراث الحِلَّة.

٥. **الأشجان في مراثي خير إنسان.**

للسيِّد حيدر بن سليمان الحسينيّ الحِلِّيّ.

تحقيق وتعليق: الدكتور مضر سليمان الحِلِّيّ.

٦. **كافية ذوي الإرب في شرح الخطب.**

تأليف: الشيخ ظهير الدين عليّ بن يوسف النيليّ (كان حيًّا سنة ٧٧٧هـ).

تحقيق: مركز تراث الحِلَّة.

٧. **منتهى السؤول في شرح معرب الفصول.**

تأليف: الشيخ ظهير الدين عليّ بن يوسف النيليّ (حيًّا سنة ٧٧٧هـ).

تحقيق: مركز تراث الحِلَّة.

٨. **الدرس النحويّ في الحِلَّة.**

تأليف: د. قاسم رحيم حسن.

٩. **موسوعة اللُّغويِّين الحِلِّيِّين.**

تأليف: أ.د. هاشم جعفر حسين الموسويّ.

١٠. **العلَّامة الحِلِّيّ (ت ٧٢٦هـ).**

تأليف: د. محمَّد مفيد آل ياسين.

١١. **بحوث ودراسات حِلِّيَّة مترجمة، العلَّامة الحِلِّيّ (١).**

ترجمة: أيُّوب الفاضليّ.

مراجعة وضبط وتعليق: أ.د. عليّ عبَّاس الأعرجيّ.

ومن الأعمال التي قيد التأليف والتحقيق، بمراجعة وضبط مركز تراث الحِلَّة

١. **الإجازة الكبيرة.**

تأليف: الحسن بن يوسف بن عليّ بن الـمُطهَّر العلَّامة الحِلِّيّ (ت ٧٢٦هـ).

تحقيق: المرحوم كاظم عبود الفتلاويّ.

٢. **حاشية إرشاد الأذهان.**

تأليف: الشيخ ظهير الدين عليّ بن يوسف النيليّ (حيًّا سنة ٧٧٧هـ).

تحقيق: السيِّد حسين الموسويّ البروجرديّ.

٣. **الفوائد الحِلِّيَّة.**

تأليف: أحمد عليّ مجيد الحِلِّيّ.

٤. **كشف الخفا في شرح الشفا.**

تأليف: الحسن بن يوسف ابن المطهَّر، العلَّامة الحِلِّيّ (ت ٧٢٦هـ).

تحقيق: الشيخ مجيد هادي زاده.

٥. **المختار من حديث المختار.**

تأليف: أحمد بن محمّد ابن الحدَّاد البجليّ الحِلِّيّ (بعد ٧٤٥هـ).

تحقيق: مركز تراث الحِلَّة.

٦. **موصل الطالبين إلى شرح نهج المسترشدين.**

تأليف: الشيخ نصير الدين عليّ بن محمَّد القاشيّ الحِلِّيّ (ت ٧٥٥هـ).

تحقيق: مركز تراث الحِلَّة.

٧. **نهج البلاغة.**

يُطبع بالفاكس ميل على نسخةٍ كتبها تلميذ العلَّامة الحِلِّيّ سنة (٦٧٧هـ) في مقام صاحب الزمان عليه السلام في الحِلَّة.

٨. **نهج المسترشدين.**

تأليف: العلَّامة الحِلِّيّ الحسن بن يوسف ابن المطهَّر الحِلِّيّ (ت ٧٢٦هـ).

٩. **إرشاد المسترشدين وهداية الطالبين.**

تأليف: فخر المحقِّقين. تحقيق: ميثم سويدان الحِميريّ.

١٠. **تفسير الإيضاح للعلَّامة الحِلِّي بين المنهج العقليّ والمبنى الكلاميّ.**

تأليف: أ.د. حكمت الخفاجيّ.

١١. **الشيخ حسين الحِلِّيّ وآراؤه الفقهيَّة في مستحدثات المسائل.**

تأليف: رياض أحمد محمَّد تركيّ.

١٢. **الإجازة العلميَّة عند علماء الحِلَّة حتَّى نهاية القرن الثامن الهجريّ.**

تأليف: محمَّد جسَّاب عزُّوز.

١٣. **معجم النسَّاخ الحِلِّيِّين.**

تأليف: م.م. حيدر محمَّد الخفاجيّ.

١٤. **الفرائد المحمَّديَّة في شرح الفوائد الصمديَّة.**

تأليف: محمَّد رضا ابن الحسن الحسينيّ الحِلِّيّ الأعرجيّ.

تحقيق: أ.د. عليّ عبَّاس الأعرجيّ.

١٥. **التحقيق المبين في شرح نهج المسترشدين.**

تأليف: الشيخ خضر بن محمَّد الحبلروديّ الحِلِّيّ (ت ٨٥٠هـ).

تحقيق: مركز تراث الحِلَّة.

تَمَّ الجزءُ الأوَّلُ مِنَ المصباحِ

ويَليهِ الجزءُ الثَّاني

إِنْ شَاءَ اللهُ